

الذخيرة في محاسن أهل الجبيلة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشبنتري (١٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الأول

تخقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤



الطبعة الاولى
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

مقدمة المحقق

جعل ابن بسام هذا القسم الرابع من الذخيرة - وهو آخر الأقسام - في جزئين واضحين دون أن يصرح بذلك ، يتناول الجزء الأول منهما الشعراء الطارئين على الأندلس من المشرق والقيروان وصقلية ، ويشمل الثاني ثلاثة عشر شاعراً من شعراء المشرق والقيروان ، تخيرهم تحكماً ، وقد أحسّ هو بذلك عندما ترجم لابن قاضي ميلاء من شعراء « الأعمودج » دون رفاقه ممن ضمهم ذلك الكتاب فقال : « ولعلّ بعض من يتصفح كتابي هذا يقول إن شعراء الأعمودج مائة شاعر وشاعرة وأكثرهم كان في المائة الخامسة من الهجرة... أفلا ذكرهم عن آخرهم ؟ وماله اقتصر على بعضهم دون سائرهم ؟ » وعاد يعتذر عن ذلك بما قاله في المقدمة وهو أنه احتذى فعل أبي منصور الثعالبي ، في اليتيمة ، مع أن من يدقق في الأمر يجد أن أبا منصور لم يفعل كما فعل ابن بسام ، وإنما وجد بين يديه قطعة من شعر الأندلسيين فأدرجها في كتابه ، وهو لا يدرك تفاوت الزمن بين أصحابها .

ولقد راعيت في نشر هذا القسم تلك التجزئة الطبيعية ، ففي هذا الجزء تراجم الطارئين وفي الجزء التالي ترد تراجم المشاركة المقيمين ، رغم أن الجزءين قد يجمعان لصغر حجمهما في مجلد واحد ، ولما كانا متباعدين في المادة وجدت من المفيد صنع فهرس مستقلة لكل منهما على خلاف ما صنعته في الأقسام الثلاثة السابقة .

وقد اعترضني في تحقيق القسم الرابع هذا صعوبة لم أجد لها حلاً ، أوقفتني بين المضي في العمل أو التوقف عنه ، وذلك أنني لم أجد منه سوى مخطوطة

واحدة هي نسخة الخزانة العامة بالرباط ورقم ١٣٥٠ ؛ ومادة هذا القسم فيها تقع بين الصفحة ٣٠ والصفحة ١٩٤ ؛ وفضلاً عن ما يمثله انفرادها من صعوبة في العمل فإنها ليست حسنة الضبط أبداً ، كما أن الترقيم فيها رغم تسلسله وعدم انقطاعه غير صحيح لأنه قد سقط منها ورقة ضاع بسقوطها آخر ترجمة جلال الدولة وأول ترجمة ابن أبي الشخباء ، أقول « ورقة » ، وهذا من حسن الظن ، فربما كان ما سقط يزيد على هذا المقدار . وقد اخترت المضي في التحقيق ، رغبة في أن أجد الذخيرة قد اكتملت وأن أبلغ بما عزمت عليه آخر الشوط ، بعد اليأس من العثور على مخطوطات أخرى من هذا القسم .

وفي سنة ١٩٤٥ قامت لجنة مؤلفة من الأساتذة عبد العزيز محمد الأهواني وعبد القادر القط ومحمد عبده عزام تحت إشراف الدكتور عبد الوهاب عزام بنشر جانب من هذا القسم شمل حتى نهاية ترجمة عبد الكريم ابن فضال القيرواني المعروف بالحلواني (أي حتى ص ٣٠٠ من هذه الطبعة) اعتماداً على هذه النسخة الوحيدة التي لم أجد لدي أيضاً سواها ؛ وفي مقدمة تلك الطبعة إشارة إلى كثرة التحريف والتصحيح في هذه النسخة ، ولكن الجهد الذي بذله المحققون الفضلاء قد أعانني كثيراً في عملي هذا ، وإن كنت قد خالفتهم في بعض القراءات ، واهتديت إلى حل بعض المشكلات على ضوء مصادر لم تكن متيسرة لديهم حينئذ .

ولست أشك في أن هذا العمل لا يحظى لدي بالرضى الكامل ، وعمى أن تسعفنا الأيام بالعثور على نسخ أخرى تعين على مزيد من الضبط والتدقيق ، والله الموفق .

احسان عباس

بيروت في أول يونيه (حزيران) ١٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

ذِكْرُ الكُتَّابِ الوُزَرَاءِ ، والأعيانِ الأدباءِ والشعراءِ ،
الوافدين على جزيرة الأندلس ، والطارئين عليها ،
من أولِ المائةِ الخامسة من الهجرة إلى وقتنا هذا
الذي هو سنةِ اثنين وخمسمائة ،
واجتلابُ ما بلغني من نوادر أخبارهم ، وشواردِ أشعارهم ،
مع ما يتعلقُ بها ، ويُذكرُ بسببها

قال علي بن بسّام : قد استوفيتُ في ثلاثةِ الأقسامِ ، جُملةً مما انتهى
إليّ من محاسنِ النثرِ والنظامِ ، لمن نشأ بالجزيرةِ من الأعيانِ الأعلامِ ،
من أوّلِ تاريخِ هذا المجموعِ إلى وقتنا . ولنُعقِبَ ذلكَ بحولِ الله وتأييده
بذكرِ مَنْ هاجرَ إليها مِنْ تلكِ الآفاقِ ، وطراً عليها مِنْ شعراءِ الشَّامِ
والعِراقِ ، ممّن تَبَحَّحَ ذراها . وتَسَرَّبَ لُغَتُها ، ونَجَمَ في
أفلاكِها . وخيّمَ في ظلالِ أُملاكِها . ولمْ آتِ بِهذهِ الفِرقةِ مِنْ أربابِ
هذا الفنِّ الذي أنا في إقامةِ أودِهِ . مُتَعَزِّزاً من ذِلَّةِ ، ولا مُسْتَكْرِراً من
قِلَّةِ ، ولا لَأَنِّي لم أجِدْ من أعيانِ وُزرائنا وكتّابِنا مَنْ هُوَ أبعَدُ غَايَةِ ،
ولا أبْهَرُ آيَةِ ، ولكنَّهُم أسندُوا إلى أعلامِها . وتردّدوا بَيْنَ جَمِيعِها
وجِمَامِها ، فصاروا مِنْ أهلِها بالوفادَةِ عليها ، وختلَعِ أوطانِهم

لبيها ؛ مع أن هذه الطائفة لم يسم إلا بالأندلس ذكرهم ، ولا طارَ
إلا بمدح ملوكنا شعرهم ؛ وكم في شعرائنا ممن عاصرني ولم أسمع
بذكره ، ولا وقع إلي شيء من شعره ، ولعله كان أخلق بأن يُذكر ،
وأحق بأن تُتلى آياته وتُسطر ، لكن يبلغ المرء جهده ، والإحاطة
لله وحده .

وقد أثبت أيضاً آخر هذا القسم طرفاً من كلام أهل المشرق ، وإن
كانوا لم يطرأوا على هذا الأفق ، حدّو أبي منصور الشعالبي ؛ فإنه ذكر
في بيتيمته نقرأ من أهل الأندلس فعارضته أو ناقضته ، والأدب ميسدان
يليق به المتاح ، ويُسْتَحْسَنُ فيه الجِماع .

فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ١ ،
وإثبات جملة من نظمه ونثره ، مع ما يتعلّق من الأخبار السلطانية بذكره

هو صاعد بن الحسن بن عيسى ، البغدادي تُرْبَةُ ، والطبري أصلاً ،
والرُبَيْمي نسباً ، ينتمي في ربعة الفرس ، وكان ٢ طالع على آفاق الجزيرة
في أيام المنصور محمد بن أبي عامر نجماً من المشرق غرب ، ولساناً عن

١ ترجمة صاعد في جذوة المقتبس : ٢٢٢ (بغية الملتبس رقم : ٨٥٢٣) والصلة : ٢٢٢
وأنباء الرواة ٢ : ٨٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٨١ والمعجب : ٧٥ والوفيات ٢ : ٤٨٨
وشذرات الذهب ٣ : ٢٠٦ ونفح الطيب ٣ : ٧٧ (وصفحات أخرى متفرقة) وروضات
الجنات : ٣٢٢ وبغية الوعاة : ٢٦٧ وللمستشرق بلاشير بحث عنه في مجلة Hesperis
العدد العاشر ١٩٣٠ ص : ٢٨ .

٢ نقل المقرئ بعض هذا في النفح ٣ : ٩٥ .

العَرَبِ أَغْرَبَ . أَبْدَهُ مَنْ رَأَى وَسَمِعَ . وَأَذَكَّى مَنْ طَارَ وَوَقَعَ .
فَأَرَادَ الْمَنْصُورُ أَنْ يُعْفِيَ بِهِ آثَارَ أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ الْوَافِدِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ
قَبْلَتِهِ . وَهَزَّهُ لِمَالِكٍ فَأَلْفَى سَيْفَهُ كَسَهَامًا . وَسَحَابَهُ جَهَامًا ؛ مِنْ رَجُلٍ
يَتَكَلَّمُ بِمَلَأٍ فِيهِ . وَلَا يُوثِقُ عَلَى مَا يَتَدْرَهُ وَمَا يَأْتِيهِ .

وقد أجرى ابنُ حَيَّانٍ ذِكْرَهُ فَقَالَ : وَلَمَّا دَخَلَ قَرْطَبَةَ دَفَعَهُ
بِالْحُمْلَةِ عَنِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ . وَأَبْعَدُوهُ عَنِ الثَّقَمَةِ فِي عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ وَدِينِهِ .
وَلِذَلِكَ مَا رَضِيَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا أَيَّامَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا ، وَلَا رَأَوْهُ أَهْلًا لِلْأَخْذِ
عَنْهُ وَلَا لِلْاِقْتِدَاءِ بِهِ . وَغَسَّرَقُوا كِتَابَهُ الْمُرْجَمَ بِ « الْفُصُوصِ » ١ . فَهَا هُوَ
إِلَى الْيَوْمِ فِي نَهْرِهِمْ يَسْغُوصُ .

وقد أتيتُ أنا بِالسَّمْعِ مِنْ أَعَاجِيْبِهِ ، وَأُورِدْتُ غَرَائِبَ مِنْ أَكَاذِيبِهِ .
وَتَخَلَّلْتُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ جُمْلَةً مِنْ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ . مِمَّا يَشْهَدُ عَلَى ثُبُوتِ
قَدَمِهِ وَشُهْرَةِ تَقْدَمِهِ .

١ كتاب الفصوص فيما ذكره ابن حيان يحتوي على آداب وأشعار وأخبار (وبالقرويين
نسخة جيدة منه) . وقد قرأ ابن حيان على مؤلفه في داره سنة ٣٩٩ (بدأ صاعد بتأليفه
سنة ٣٨٥ في ربيع الأول واكماله في شهر رمضان من العام نفسه) وعن ابن حيان اتصلت
روايته بابن حبر (فهرسة ابن حبر : ٣١٦) .

فصول من نثره في أوصاف شتى

اتصل أول دخوله الأندلس بالوزير عبد الله بن مسleme . فلما نكيب استعطف له الوزير أبا جعفر بن الدب ليشفع له عند الخليفة سليمان وخاطبه في ذلك بعدة رسائل . فكانت رقي لم تنفع ، ووسائل لم تنجع [٣١] .

منها فصل يقول فيه : لما جمع الله طوائف الفضل عليك . وأذلق بك الألسن ، وأرهف فيك الخواطر . ورفرف عليك طير الآمال ، ونفيست إليك علائق الرجال . لم أجيد لابن مسleme حين عضه الثقاف . وضاق به الخناق . وانقطع به الرجاء . وكبا به الدهر . ملجأ غيرك . فعطفك على واله نبيه النحس من سينة السعد ، وأيقظته الآفات من رقدة الغفلة ، ورشقته سهام الزمان بصنوف الامتهان ، حتى لتنب المنية أمينية . وسمي الموت فتوتا . ومن لم يكتب له الدهر سجلا ، ولا عقد له أمانا . ولا أشهد على نفسه ثقة ، فليكن منه على حذر . ومن نبوته على يقين الخبر . وليعلم أن اصطناع المعروف يكافئ المرء في سمعه وبصره . ويلقاه في طريقه . ويتحول بينه وبين محاربه ، ويجازيه في أهله وولده . ويصحبه في اغترابه عن بلدته .

وفي فصل منها : فحنانك عليه وعلي في . واذكر تعلق الآمال به وتعلق أمليه بك . وحاجة الرؤساء إليه وحاجته إليك . وحشدة لك القول ، والله تعالى خالق الدنيا بحرّفين ، وإن الكلمة لتترقا الدم ، والرقية لتخرج الحية من مسكاتها ، فإن خببت من طيلابك نثرا قلت نظاماً :

يا أحمد بن سعيد العاصم الذي
أخذ العقاب من ابن مسلمة الذي
لم تبق غير حشاشة إن أدركت
بيدك بعد الله فك أساره
فأرحم أنين أبي بنات لم يصب
أسف الفراخ على كفيل كاسب
فاجعلته في يمني يدك فإنها
ما ذنبه إلا الزمان فإنه
كالمرأة الورهاه تنقض غزلها

أوفى فليلحدان عنه زليل
حكمت القضاء به وغالت غول
خلصت وإن أسلمت فهو قتيل
وعليك في استنقاذه التعويل
ليد موعهن على الخدود مثل
أودى فليس لهن بعد كفيل
سور تحوط المستجير وغيل
رخو اليد بن بمن يحب مكلول
والشاة تملأ قعبها وتميل

وله من أخرى إلى مجاهد يصف ظهوره على خيران وأسرته
لجماعة من الصقلب :

كتابي وأنا مستطار فرحاً ، ومستوفيز مراحاً ، بالغادي والرائح علي
من البشائر التي تسمع الصم . وتنتطق البكم ، بعدوا نجاً بعد ما ظن
أن ليس ناجياً . وخنزواني^٢ أقبل في صفاده عانياً . صنعا من الله أسأله
ضارعا أن يجعله عندك راسياً ، وعليك مخيماً ، فإن الذي آوي إليه من
تطولك يبدي ولوعاً ويغري بالتزاع إليك . والنزوع نحوك . [وم] [ما

١ كان مجاهد صاحب دانية والجزائر وخيران صاحب المرية (بعد الفتنه حتى سنة ٤١٩) وقد
كانت تدور بين هذين الفتيين العامريين حروب أعرض عن ذكرها صاحب البيان المغرب
(٣ : ١٦٦) وانظر أعمال الاعلام : ٢١٢ .

٢ الخنزواني : الصلف المتكبر .

أنشدته باليمن أبو الغزور^١ الأعرابي لنفسه وقد حجّ ابنه فقال يذكر
شوقه إليه :

ألا ليت لي عينان^٢ تطلّعانِ عليّ النأي أحياناً وتنصرفانِ
فإن كان خيراً سرّتي وعرفتُه وإن كان شرّاً ظلّمتا تكيفانِ

؛ ولما أتتني إحدى خرائطك الجزيلة ، وتبادرت التبشير باحتلال المركب ،
كاد الفرح يقضي عليّ ، وينزع التماسك من يدي . ولولا أنني ثبتت
التحيرة^٣ ، ومُحصّد المريّة ، لكنتُ كأمّ أبي مزبد^٤ إذ بعثت إليه
يحيى بن خالد غلاماً ، فقال لها : يا أمه ! وهب لي يحيى « غ » قالت :
وما « غ » ؟ قال : لا قالت : وما « لا » ؟ قال : [« م »] وطبق
الميم على شفّتيه ، فضرّطت ، فقال : الحمد لله ، لولا تقطيع الحروف
لخربت . فحضرتني إذأ عند ورود المال ما كتبتُ به :

أنتك الخريطة والمركب كما اقترن السعد والكوكبُ
فقالوا من الواهب المستقلّ عقائل يعيها بها الحُستب
فقلتُ فتى أصفريّ^٥ النجارِ يروعُ به المشرق المغرب

- ١ كذا هو بالعين المعجمة في الأصل ، والأرجح أنه « الحزور » أو « العزور » - بالعين
المهملّة - فهاتان الصورتان تردان في الأعلام .
- ٢ هذه هي لعة من يقول : « يا ليت عيناها لنا وفاها » .
- ٣ نحيرة الرجل (بالراء المهملّة) : طبيعته .
- ٤ المشهور مزبد المدني أبو اسحاق صاحب النوادر الحارة (انظر القوافي ٤ : ١٣١ وله نوادر
كثيرة في كتب الأدب كالبيان والحيوان والبصائر ومحاضرات الراغب) .
- ٥ أصفري : من بني الأصفر ، وهم الروم بوجه عام .

يُحَكِّتُكُ أُسِيافَهُ بِالرَّدَى كَمَا حُكَّ بِالْهَانِيءِ^١ الْأَجْرَبُ
فَلَكَوْلًا شَجَاعَتُهُ مَا نَجَا وَإِكْنَهُ حَوْلٌ قَلْبُ
بَصِيرٌ بِتَوْسِيعِ سَبِيلِ الْفِرَارِ إِذَا ضَاقَ بِالْمُرْهَقِ الْمَهْرَبِ

ومنها :

هَتَاكَ أَبَا الْحَيْشِ مَنَ جَيْشُهُ أُسَارَى كَأَنَّهُمْ الرِّبْرَبُ
يَرِقُ^٢ عَلَيْهَا السَّنَانُ الْحَقُودُ وَيَرْحَمُهَا الصَّارِمُ الْمُغْضَبُ
وَهُمْ يَخْضِبُونَ صُدُورَ الْقَتَا وَأَنْحَلُهُمْ بَيْضَةَ تَخْضَبُ
وَلَمْ أَرَ مَنَ قَبْلِهِمْ فَارِسًا يَتَلِيقُ بِهِ الْحَلْتِيُّ وَالْمُنْدَهَبُ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْكَبُوا يَرْكَبُوا

ينظر هذا بناظرٍ مُرِيبٍ . إلی قولِ حبيب^٣ :

قد جاعنا الرِّشَا الذي أهديتَه خِرْفَاً وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ

ومن أناشيد الشعالي في معناه^٤ : [٣٢]

ونساءً لمطمئنٍ مُتَقِيمٍ وَرِجَالٌ إِنْ كَانَتِ الْأَسْفَارُ

وقوله « يرق عليها السنان » . . . البيت : كقول بعض أهل العصر :

لعلتك يوماً ذاكري في مُلَمَّةٍ يَلِينُ بِهَا قَلْبُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِيدِ

١ الهانء : الذي يطلي الجمال بالقطران .

٢ ص : يروق .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٢ .

٤ التمثيل والمحاضرة : ٢٢٤ .

وأراه قلب قول أبي الطيب^١ :

وغيظ على الأيتام كالنار في الحشا ولكنّه غيظُ الأسير على القيد

وأرى أبا الطيب ألم بعض الإمام ، بقول أبي تمام^٢ :

بما حفظه في جیده وهزليو لحظ الأسير حلقات كبله

جملة أخبار نوادر ، جرت له مع المنصور بن أبي عامر

اجتمع^٣ عند المنصور ابن أبي عامر أعيان الأوان كالزبيدي والعاصمي وابن العريف^٤ ومن سواهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم أنه متقدم في هذه الآداب التي أنتم سرّجها الضاحية ، وأهلبتوها السارية . وأحِبّ أن يُمتحن ما عنده . فوجّه إليه . ودخل المجلس قد احتفل فحجل ، فرفع المنصور مجلسه وآتسه . وسأله عن أبي سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيته وقرأ عليه كتاب سيديويه . فبادرته العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب ،

١ ديوان المتنبي : ٥٤٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ٤ : ٥٣٢ .

٣ النفع ٣ : ٧٧ وفيه بضم إيجاز .

٤ أبو بكر الزبيدي اللغوي المشهور صاحب طبقات النحويين والحن العامة والاستدراك على العين وغيرها ؛ والعاصمي هو محمد بن عاصم النحوي القرطبي (الجزوة : ٧٤ والصلة : ٤٥٣) وابن العريف هو أبو القاسم الحسين بن الوليد (الجزوة : ١٨٢) .

واعتذرَ أنْ النحوَ ليسَ جُلَّ بضاعته ، ولا رأسَ صناعته . فقال له الزبيدي :
فما تُحسِنُ أيتها الشيخ ؟ قال : حِفْظَ الغريب . قال : فما وِزَنَ أو لَوِّقَ ؟
فضحك صاعد وقال : أمثلي يُسألُ عنْ هذا ؟ إنَّما يُسألُ عنه صبيان
المكتب . قال الزبيدي : فقد سألتناك ، ولا تشكُّ أنْلكَ تجمُّههُ . فتغيَّرَ
لونه وقال : « أفعل » . قال الزبيدي : صاحبكم مُمخِرِق ! قال له
صاعد : إخالُ الشيخِ صناعته الأبنية ؟ قال له : أجل . قال صاعد :
وبضاعتي أنا حِفْظُ الأشعار . وروايةُ الأخبار ، وفكِّ المُعَمَّى . وعلمُ
الموسيقى . قال فناظره ابنُ العَرِيفِ فظَهَرَ عليه صاعد ، وجعل لا يَستجري
في المجلسِ كلمةً إلاَّ أنشدَ عليها شعراً شاهداً : أو أتى بحكايةٍ تُجانِسها ،
فازداد المنصورُ عَجَباً . ثم أراه كتابَ النوادر لأبي عليٍّ فقال : إذا أراد
المنصورُ أمليتُ على منقيدِي خيدمتيه وكُتِّبَ دَوْلته كتاباً أرفعَ منه
قَدْرًا . وأجلَ خطراً . [لا] أدخلُ فيه خبراً ممَّا أدخله أبو عليٍّ . فأذنَ
لهُ المنصورُ في ذلك ، وجلسَ بجامعِ مدينةِ الزَّاهِرَةِ يُملي كتابه المترجمَ
: « الفصوص » . فلما أكمله وتتبَّعه أدباءُ الوقت ، لم تمرَّ فيه كلمةٌ زعموا
صِحَّتْها عندهم . ولا خبَّرُ ثبَّتَ لَدَيْهم . فقالوا للمنصور : رجلٌ
[مقتدر] على تأليفِ الكذب . [. . .] من عيونِ الأدب ، يُسندُها إلى شيوخٍ
لم يرههم ولا أخذَ عنهم . حتَّى إنَّهم كلَّفوا المنصورَ أنْ يأمرَ بتفسيرِ
كاغدٍ أبيضٍ وتغييرِ بهجته ليدلَّ على التقدِّمِ . ففعلَ وترجمَ على ظهرِ
ذلكَ السِّفَرِ بكتابِ « النكتِ » تأليفِ أبي الغوثِ الصَّنَعاني . فترامى إليه
صاعداً حينَ رآه ، وجعل يُقلِّبُه ، وقال : إني واللهِ قرأتُه بالبلدِ الفُلانيِّ

١ التفسير - عند الاندلسيين والمغاربة - تجليد الكتب .

٢ ص : النكت ؛ وأثبت ما في النسخ .

على الشيخ أبي فلان ، وهذا خطبه . فأخذه المنصور من يده خوفاً أن
يفتحه . وقال له : إن كنت رأيتَه كما تزعمُ فعلامَ يحتوي ؟ قال :
ورأسيك^١ لقد بعُدَ عَهدي به ولا أنص منه شيئاً ، ولكنه يحتوي على
لُغةٍ منثورة لا يشوبها شعراً ولا خبَر . فقال له المنصور : أبعدَ اللهُ
مثلك ! فما رأيتُ الذي هو أكذبُ منك . وأمرَ بإخراجه وأن يُقدَف
بكتاب « الفصوص » في النهر ، وفي ذلك يقولُ بعضُ شعراء العصر^٢ :

قد غاص في البحر كتابُ الفصوص^٣ وهكذا كلُّ ثقيلٍ يَغوصُ

فجاوبه صاعداً بقوله :

عادَ إلى معدنه إنما تُوجد في^٤ قعر البحارِ الفصوص

قال ابن بسّام : وما أحسبُ أن أحداً يجترىءُ على إخراج تصنيف ،
ولابدأ تأليف ، يضيقُ عنه التَّعديل ، ويتدفع في صدره النقدُ والتَّحصيل .
لا سيما وصاعداً علمَ أن قُرطبةَ - حسبَ ما ذكرنا - ميدانُ جِياد ،
وبلدُ جِيادٍ وجِيادٍ ؛ ولكنه اشترطَ غيرَ المشهور ، فلم يظفروا منه
بكتير ، وأعانهم هو على نفسه بما كان ينفقُ به من تنحليته وكذبِهِ .
ولم يكن عندَ ابنِ أبي عامرٍ تحرير ولا بصيرٌ بالنقدِ مشهور ؛ وإلا فليس
يخلو كتابُ « الفصوص » المذكور من غريبةٍ مسموعة ، ولا من
فائدةٍ راقيةٍ بديعة . ولكنه خبَرٌ وجدناه فنقلناه .

١ النسخ : وأبيك .

٢ انظر أيضاً ابن خلكان ٢ : ٤٨٩ والمسلک السهل : ٢٥٣

٣ ابن خلكان : عنصره إنما يخرج من .

وأدخِل ١ على المنصور يوماً ورْدَةً في غير أَيْتَامِهَا ، لم تستتِمْ
ففتح كَيْمَامِهَا . فقال فيها صاعداً على الارتجال :

أَتَتَكَ أبا عامرٍ ورْدَةً يُنْذِرُكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسَهَا
كَعَدْرَاءِ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فغَطَّتْ بِأَكَامِهَا رَاسَهَا

فُسِّرَ بذلك المنصور . وكان ابنُ العَرِيفِ حَاضِراً . فحَسَدَهُ وجرى
إلى مُنَاقَضَتِهِ . وقال لابن أبي عامر : إنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَغَيْرِهِ . [٣٣]
وقد أنشدتِهما بعضُ البَغْدَادِيِّينَ بِمِصْرَ لِنَفْسِهِ . وهُمَا عِنْدِي على ظَهْرِ
كِتَابٍ بِحِطَّةٍ . فقال لهُ المنصور : أَرْنِيهِ . فخرَجَ ابنُ العَرِيفِ وَرَكِيباً
وجعل يَحُثُّ حَتَّى أَتَى مَجَالِسَ ابنِ بَدْرٍ . وكان أَحْسَنَ أَهْلِ
وَقْتِهِ بِدِيهَةٍ . فوصفَ له ما جرى فقال :

عشوتُ إلى قصرِ عَبَّاسَةٍ وقد جَدَلَّ النَوْمُ حُرَّاسَهَا
فَأَلْفَيْتُهَا وهي في خِدْرِهَا وقد صرَّحَ السِّكْرُ أَنْفَاسَهَا
فَقَالَتْ : أسارِ على هَجْعَةٍ ؟ فقلتُ : بلَى ، فرَمَتْ كَاسَهَا
ومدَّتْ يَدَيْهَا إلى وَرْدَةٍ يُحَاكِي لَكَ الطَّيْبُ أَنْفَاسَهَا
كَعَدْرَاءِ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فغَطَّتْ بِأَكَامِهَا رَاسَهَا
وقالت : خفَ اللهُ لَا تَقْتَضِحَنَّ في ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا
فولَّيْتُ عَنْهَا على عِفَّةٍ وما خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

فطارَ ابنُ العَرِيفِ بِهَا ، وعلَّقَهَا على ظَهْرِ كِتَابٍ بِحِطِّ مِصْرِي ٢ ،

١ الخبر في جذوة المقتبس : ١٨٢ - ١٨٣ ونفح الطيب ٣ : ٧٩ وبدائع البدائع : ٢٩٩
والريحان والريمان ١ : ١٥٤ / والشريشي ١ : ١١٨ - ١٢٠ .
٢ بدائع : مشرقى .

وورثى وتحبيل بمداد أشقر . ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتد غيظاً على صاعيد وقال : غداً أمتحنه . فإن فضحه الامتحان . لم يبق في موضع لي فيه سلطان . فلما أصبح وجهه عنه بمجلس حقل . وقد أعد طبخاً فيه سقائيف من ضروب النواوير ، وصنع على السقائيف جوارى ياسمين ، وتحت السقائيف بركة ماء حصاها اللؤلؤ . وكان في البركة حية تسبح . فلما دخل صاعيد مثل الطبق بين يديه ، فقال له المنصور : إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا ، وإما بالضد عندنا ، لأنه قد زعم قم أن كل ما تأتي به دعوى . وقد وقعت من ذلك على حقيقة . وهذا طبق ما توهمت أنه مثل بين يدي مالك قبلي في شكاه . فصيفه بجميع ما فيه . فقال صاعيد بديهته :

أبا عامر هل غير جدواك واكيف	وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل عجيبة	وأعجب ما يلقاه عندك واصيف
وشائع نور صاغها هامر الحيات	عليها فمنها عبقر ورفاف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت	عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الطباء المستكنة كنساً	تظللها بالياسمين السقائيف
وأعجب منها أنتهن نواظير	إلى بركة ضمت إليها الظرائف
حصاها الآلي ، سابح في عبايها	من الرقش مسحوم اللعابين زاحف ^٢
ترى ما تشاء العين في جنباتها	من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهية ، وكتبها المنصور بخطه . وكان إلى

١ كذا في ص ، ولعلها « ووض » كما في النسخ .

٢ ص : راجف .

ناحية سقيفة فيها جارية^١ تجذف^١ بمجاذف ذهب لم يرها صاعدا .
فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية . فقال :

وأعجب منها غادة^٢ في سفينة
إذا راعها موج من الماء تتقي
متى كانت الحسناء ربان^٣ مركب
فلم تر عيني في البلاد حديقة^٤
ولا غرو أن شاققت معاليك روضة^٥
فأنت امرؤ لو رمت نقل متاليع^٥
إذا قلت قولاً أو بدت^٥ بديهته

مكلمة^٢ تصبو إليها المهائف^٢
بسكائبها ما أنذرت^٢ العواصف^٢
تصرف^٣ في يمني يديها^٣ المجاذف^٣
تسقلها في الراحتين المتناصف^٤
زهتها أزاهير الربى والزخارف^٤
ورضوى ذرتها من سطاك العواصف^٤
فكلمي لها إنني لمجدك واصيف

. فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب . ما بين غلائل وطيقان
وعمام . وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين ديناراً ، وألحق في
ديوان الندماء مع زيادة الله بن مضر الطيني وابن العريف وابن التياني^٦
وغيرهم . والحسد متوروث ، وقديم لا حديث ، وليس في الحيوان ،
أخبث في ذاته من الإنسان .

١ ص : تقذف .

٢ النفع : المهاتف .

٣ بدائع : تصرف في الكفين منها .

٤ النفع : الوصائف .

٥ بدائع : طلبت .

٦ قد مر الحديث عن بني الطيني في القسم الأول من الذخيرة : ٣٥٥ وأما ابن التياني فقد يكون هو
تمام بن غالب أبو غالب المرسي القوي (الجذوة : ١٧٢ وأعاد الحميدي ذكر ابن
التياني : ٣٨٠) .

وأذكر بفعلة ابن العريف في صاعدٍ بعض ما مُنيتُ أنا به في خبر
هذا التصنيف مع غير واحدٍ من أهلِ وقتي ، إذ سردتُ في بعضِ قصصه
كلامَ ابنِ حيانٍهيم ، وكان على ما تقدّم وصفه متكلمهم أوانهم ، فلما
أعوّزني لفظه في بعض ما سئمت ، ولم أجده في كلّ حديث نسقت .
رجعتُ إلى تحيزتي ، واستمطرتُ غريزتي . وماؤها جامد ، ورماؤها
هاميد ، كما قال سابق :

أخلقتُ جِدَّتِي وبانَ شَبَابِي واستراحتُ عَوَاذِي من عِتَابِي

وأنا يومئذ ياشيلية ، أتصرفُ مضطراً في بعض الأعمال السلطانية .
والكلامُ إذا لم يحككه قلبُ فارغ . ولم يسبكه لُب من ظلماء الشغل
بازغ^١ . لم يترق تطريزه . ولم يتفق لبريزه . وعلى ذلك لما اندرجت
لي فيه كلمات رائقات ، في أوصافٍ مختلفات ، وبلغت فيه أمد المراد ،
بالفاظ أعيان ومعان أفراد . انثالَ عليّ فيها الكلام . انثيال الغمام ،
قالوا : نعم ما صنّف ابنُ بسّام وأتقن . لو لم يستعين : وما أحسن
ما قصص ، لو لم يتأنصص . والله درهم [٣٤] فالدماء لا يزيد من القرّي^٢ .
وذكاء لا تُضيء من الدرّي . بل درّ درّ أبي الطيّب من شاعرٍ نطق
بالبدّي ، وجري على عيش جده الكندي ، فسبق : واستولى على الأمد
بقوله إذ صدق^٣ :

أتيتُ بمنطقِ العربِ الأصيلِ وكان بقدرٍ ما أحسبتُ قيلي

١ ص : فارغ .

٢ الدماء : البحر ، والقرّي مجرى الماء في الحوض .

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٤ .

٤ الديوان : عاينت .

فعارضه كلام كان منه
وليس يصح في الأوهام شيء
بمنزلة النساء من البعول
إذا احتاج النهار إلى دليل

وجع :

وخرج المنصور مع صاعد يوماً إلى رياض الزاهرة ، فمدّ يده إلى
شيء من الترنجان فعبث به ورماه إليه معرضاً أن يصفه فقال^١ :

لم أدر قبل ترنجان عبثت به
من طبيبه سرق الأثرج نكهته
كأنما الحاجب المنصور علمه
من ليس يقعده من سودد قدم
أن الزمرد قصبان^٢ وأوراق
يا قوم حتمى من الأشجار سراق
فجعل الحميل فطابت منه أخلاق
ولا تقوم له في سواة ساق

وله في الخيري^٣ :

بعثت إليك من خيري داري
توكل بالعزوف عن التصابي
محرمة كأوراق العتيق
وتصطاد الخليع من الطريق

وصاعد القائل^٤ :

لي من سير بني العبة
شهاد المتجد عليه
فإذا جالسته لثم
اس خيل جليس
أنه العليق النفيس
تدبر من منّا الجليس

١ النفع ٣ : ٩٥ والبيان المغرب ٣ : ١٩ والشريشي ١ : ١٢١ .

٢ النفع : أغصان .

٣ النفع ٣ : ٩٧ والشريشي ١ : ١٢١ .

٤ الشريشي ٣ : ٤٣ .

وهذا كقول ابن زُرارة^١ :

لي صديقٌ . غَلِطْتُ ، بل لي مَوَلِي
يُتَلَقَّتِي التَّقَاءَ رُوحَ بَرُوحٍ
ليسَ في الأَرْضِ مَنْ يُمَيِّزُ مِنَّا
مَنْ لِيثْلِي بَأَنْ يَكُونَ صَدِيقِي !
بِضُرُوبِ التَّقْبِيلِ والتَّعْنِيقِ
عَاشِقًا فِي التَّقَاءِ مِنْ مَعشُوقِ

وقال^٢ :

قلتُ له والرَّقِيبُ يُعْجِجُهُ
فمَدَّ كَفًّا إِلَى تَرَائِبِهِ
مُودِعًا لِلْفِرَاقِ : أينَ أَنَا ؟
وَقَالَ سِيرٌ وَاذِعًا فَأَنْتَ هُنَا

وأُشْدَ المَنْصُورُ يَوْمًا قَصِيدَةَ أَبِي نُؤَاسٍ « أَجَارَةَ بَيْتِنَا أَبُوكَ غِيورُ »
فَعَرَّضَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَارِضَهُ . فَأَبَى صَاعِدٌ مِنْ ذَلِكَ لِجَلَالِ لِأَبِي نُؤَاسٍ .
فَعَزَمَ عَلَيْهِ المَنْصُورُ فَأَنْشَدَهُ مُتَمَثِّلًا^٣ :

إِنِّي لِمُسْتَحِيٍّ عُسْلًا لَكَ مِنْ ارْتِجَالِ القَوْلِ فِيهِ
مَنْ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالرَّوِيَةِ كَيْفَ يُدْرِكُ بِالْبَدِيَةِ

فَلَمْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَهُ . وَمَكَثَ فِيهِ بِقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ . وَجَاءَهُ مِنَ العَهْدِ
فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

خِيْدَالِ البُرَى^٤ إِنِّي بَكْنٌ بَصِيرٌ طَوْتُكُنَّ عَنِي خُلُوسَةً وَقَتِيرٌ

[وَمِنْهَا] :

٢ النفع ٣ : ٩٧ والشريشي ٥ : ٣٧٨ .

١ الشريشي ٣ : ٤٣ .

٣ المصدر السابق .

٤ ص : جذال الشري .

وباتت كما باتت مهأة خميعة لها جؤذر عند الصرأة عقيب
وقد أكلت أشلاؤه فكأنتها مفسمة عند القيداح جزور
كما بغمت^٢ من شجوها أم واحد أنيح لها مثل الزجاج طربسر
لذن غدوة حتى صغت^٣ شمس يومها وفي أهرينها رنة وزفير
تسوف تراهُ عن مشق إهابه كأن أسابي الدماء عتير^٤

قال ابن بسام : وصاعد^٥ على تنايعه في الكذب ، وبالحاجة بين
الامتهان وسوء الأدب ، قد أخذ بطرف من الترفيق ، وخلا بجانب من
لقسم الطريق ؛ ألا تراه كيف صرح بالياس ، عن شق غبار أبي نواس ؟
ولكن ابن أبي عامر حملته على العتر . وعرضه لسوء الخبر ، ولعله
ذهب إلى قول أبي الطيب^٦ :

بلغت بسيف الدولة النور رتبسة أنرت بها ما بين غرب ومشرق
إذا شاء أن يلهو بلحية أحمت^٧ أراه غباري ثم قال له : الحق

وذكرت بهذا الخبر ما وُصِفَ عن أبي عبد الله بن شرف ، وذلك أنه
قال يوماً للمأمون بن ذي النون أيام خدمته إياه ، واستشفاه صبابة عمره

١ ص : فكأنه .

٢ ص : نعمت .

٣ صغت : مالت ؛ ص : صفت .

٤ أسابي الدماء : طرائقها ؛ والعيرة : أول ما ينتج ، كانت تقدم قرباناً لأصنامهم .

٥ التنايع : التمادي في اللجاجة .

٦ ديوان المتنبي : ٣٣٨ .

في ذراه . وقد أجزوا ذكرَ أبي الطيب . فذهبوا في تأيينه كلَّ مذهب :
 إن رأى المأمون - لا فارقَ العِزَّةَ والعِلاءَ - أن يُشيرَ إلى أيِّ قصيدةٍ شاء .
 من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدةٍ تُنسي اسمه . وتُعقِّي رسمه .
 فتناقلَ ابنُ ذي النون عن جوابه . علماً بضيقِ جنابه . وإشفاقاً من فضيحتِه
 وانتشابه . وألحَّ أبو عبدِ اللهِ حتى أحرَجَ ابنَ ذي النون وأغراه ؛ فقال له :
 دونكَ قوله : « لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقي » . فخلا بها ابنُ شرفٍ
 أيتاماً فوجدَ مركبها وعراً . ومريرتها شزراً . ولكنه أبلى عُدرا . وأرهقَ
 نفسه من أمرها عُسرا . فما قام ولا قعد . ولا حلَّ ولا عقَّد . وسُئل
 ابنُ ذي النون بَعْدُ : أيُّ شيءٍ أقصدَه إلى تلكِ القصيدةِ [٣٥]؟ فقال : لأنَّ
 أبا الطيبِ يقولُ فيها : « بلغتُ بسيفِ الدولةِ النورَ » وأنشدَ البيتين . وهذه
 غريبةٌ ولو صدرتْ عن أبي العباسِ المأمون . فضلاً عن مُتتزعٍ لقبه
 يحيى بن ذي النون . وقيدماً كبا الحَمُوح . وذهبت بالباطل الريح ؛ ولم
 يندم من بنى على أسسه . ولا هلك من عرف قدرَ نفسه .

وقد حدثتُ أيضاً أنَّ أبا علي بن رشيقي ناجى نفسه بمعارضةِ أبي
 الطيبِ في بعض أشعاره . وراطنَ شيطانَه بالدخولِ في مِضمارِه . فأطال
 الفِكرَةَ . وأعملَ النظرةَ بعدَ النظرة . فاخترارَ من شعره ما لم يتطرَّ ذكرُه
 ولا لحظاً قدره . فأداهُ جهدهُ . وذهبَ به نقدُه . إلى مُعارضةِ
 قوله : « أمينَ ازدياركِ في الدُّجى الرُّقبا » ٢ . فبثَّ عيونَه . واستمد
 ملائكتَه وشياطينَه . ولم يدعُ نيةً إلاَّ طلعتها . ولا خبيثةً إلاَّ أطلعها ،

١ ص : المحط .

٢ ديوان المتنبي : ١١٤ ، وعجز البيت : « إذ حيث أنت من الظلام ضياء » .

ولا رويّةٌ إلاّ اتّسع لها فوسعها ؛ ثم صنع قصيدةً - فيما بلغني - رأى
أنتها مادةً طَبَعَهُ . ومُنْتَهَى طاقتهِ وَسَعِيهِ ؛ ثم حكّمَ نَقْدَهُ . ورضي
بما عِنْدَهُ ، فرأى أنْ قد قَصُرَتْ يداه . وقصّرَ مداه . وعَلِمَ أنْ
الإحسانَ كَنزٌ لا يوجد بالطلب . ومَيِّدانٌ لا يَسْتَوِي عليه التَّعَصُّبُ .
وصانَ نفسه عن أن يُسَحدثَ عنه بأن تكونَ المِرَّةُ أَحْزَمَ منه .

وقد ذُكِرَ عن صاعد . أنه افْتَضَّحَ في سرقةِ شِعْرِ غير واحد من
أهلِ تلك الآفاق ، من شعراءِ الشام والعراق ؛ إذ كان وردَ بها وهي
بغُبارِ السّفَرِ ، فاشتَهَرَ بها في غير ما شعرَ وخَبَرَ . منها قولُهُ يَصِفُ إِبْرِيْقاً
قد مَلَأَ منه كأسٌ وبقيتْ في فَمِهِ نَقْطَةٌ لم تسقط ¹ :

وقهوةٍ في فمِ الإبريقِ صافيةٍ كدمعِ منجوعةٍ بالإلفِ مِعْبَارِ
كأنَّ إبريقنا والراحُ في فَمِهِ طيرٌ تناوَلَ ياقوتاً بمنقارِ

فكانوا يولعونَ بهذا التشبيهِ ، كما قاله - زعمَ - علي البديه ، وإنما
نقلَ لفظَ أبي البركاتِ العَلَوِي ممثلاً أنشدَهُ الثعالبي ² :

كأنّما إبريقنا طائرٌ يحملُ ياقوتاً بمنقارِ

أو قولَ أبي الفرجِ البَيْهَقِيِّ من أرجوزةٍ خاطبَ بها الصابي ³ :

كأنّما الحبّةُ في مِناقِرِها حَبَابَةٌ تطفو على عُقَارِها

١ نفع الطيب ٣ : ٩٦ وبدائع البدائع : ٣٠٢ .

٢ اليتيمة ٤ : ٤٢٠ .

٣ اليتيمة ١ : ٢٧٠ .

وكان صاعداً مع ما قدّمته من صفته بديع الجواب حاضره . طيبَ المعاشره . فكبه المجالسة . مُمتعاً مُحسناً للسؤال . حاذقاً في استخراج الأموال . دخل^١ على المنصور يوم أنس وقد تقدّم واتخذ قميصاً من رِقاع الخرائط التي وصلت إليه فيها^٢ صلاته ولبسته تحت ثيابه . فلمّا خلا المجلس ورأى فُرصةً لما أراد . تجرّد وبقي في القميص المخيط من الخرائط . فقال له : ما هذا؟ قال : هذه رِقاعُ صلاتِ مولانا اتخذتها شعيراً . وبكى ، وأتبع ذلك من الشكر بما استوفاه . فأعجب به المنصور وقال له : عندي مزيد .

وحكي عنه^٣ أنه لم يتحصّر بعد موت المنصور مجلس أنس لأحدٍ ممن وكّى بعده . وادّعى وجعاً لتحقّق ساقته .

وكان صاعداً كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرقِ بمجلس المنصور، ويُباهي بأخبارها، ووصفَ أشربتها وأديارها ، فكتب الوزير أبو مروان عبدُ الملك ابنُ شهيد^٥ إلى المنصور في يوم قرّر بهذه الأبيات :

أما ترى بردَ يومينا هذا - صيّرنا للكُمون أفذاذا
قد فطرتُ صحةَ الكبودِ به - حتى لكادت تعودُ أفلاذا

١ القصة في انباء الرواة ٢ : ٨٦ بإيجاز .

٢ ص : فيه .

٣ انباء الرواة ٢ : ٨٧ .

٤ نفع الطيب ٣ : ٢٦٠ وبدائع البدائنه : ٣٥٤ .

٥ هو الوزير عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ابن شهيد والد الشاعر أبي عامر وأحد شيوخ الوزراء في الدولة العامرية (الخدوة : ٢٦١) .

فادعُ بنا للشمولِ مُصطلياً نُغِذُ سيراً إليك إغذاذا
 وادعُ المسمَى بها وصاحبَه تدعُ نَبِيلاً وتدعُ أستاذا
 لو مَعْبداً أو غريضةً لحقا لكان عن ذا وذاك أختاذا
 ولا تُبالِ أبا العلاءِ زها بخمرِ قَطْرُبُلٍ وكَلواذا
 ما دام من أرمِلاطٍ مَشْرِبُنَا من ٢ دَيْرِ عمّا وطيزنا باذا ١؟

وكان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالعيال. فأمر بإحضار
 الأصحاب . وأحضر الوزير أبا مروان . وأخذوا في شأنهم . فمر لهم
 يوم من الطيب لم يشهد . وألونة من اللهولم تُعهد . وطما الأمر وسما
 حتى تصايح القوم وتزافنوا . ودار الدور . ثم انتهى إلى الوزير ابن
 شهيد . وكان لا يُطبق القيام لينقرس كان يلازمه . فأقامه الوزير
 أبو عبد الله بن عياش ، فارتجل الشيخ أبياتاً جعل يقود بها وينشد :

.....

١ ص : به ؛ والضمير عائد إلى « الشمول » يريد ادع من سمي بهذا الاسم ، وهو من اسمه
 « شمول » كما يتضح من البيت التالي .

٢ النفع : دع .

٣ أرملاط : (Guadimellato) ، يتردد ذكرها في عدة مواطن من البيان المغرب ؛ ولم
 يذكر دير عمى عند ياقوت والبكري والشابثي والروض المعطار . وذكر ياقوت دير عمان
 (ومعناه دير الجماعة) بنواحي حلب ، والتسمية مشبهة أيضاً لدير عمى ، فإن كان في الاسم
 تحريف فلعله « دير قتي » ؛ وطيز ناباذ : منزلة للهول بين الكوفة والقادسية يتردد ذكرها
 في شعر أبي نواس مع قطربل وكلواذي .

٤ الترافن : الرقص .

٥ النفع ٣ : ٢٦١ وبدائع البدائيه : ٣٥٥ واسم الوزير الذي أنهض ابن شهيد : « أبو عبد
 الله بن عباس » وانظر القسم الأول : ٢١٠ .

هالك شيخ قاده عذره لكا^١ قام في رقصته مستهليكا
 لم يطيق يترقصها مستثبنا^٢ فانثى يرقصها مستمسكا
 عاقه من هزها معتدلا^٣ نقرس^٤ أنحى عليه فاتكا
 طرب اللهو وقد حق له^٥ طرباً أرمضه^٥ حتى اشتكى [٣٦]
 من وزير فيهم رقاصه^٥ قام من طيب^٥ يناغي مليكا
 أنا لو كنت كما تعرفني قمت لإجلال^٥ على رأسي لكا
 قهقهة الإبريق مني ضحكاً ورأى رعشة رجلي فبكي

وكان أيضاً في أصحاب ابن شهيد رجل بَغدادِي يُعرف بالكك^٥ .
 له نوادر تُضحك . فحضر معه في بعض مجلس الأنس . وقد ألح عليه
 وجع النقرس فجعل يصلي الصلوات كلما حانت واحدة بعد أخرى
 جالساً ، وكان عنده ذلك اليوم أحد أصحاب المنصور ممن يعز عليه
 ويكرم لديه . فلما حَمِيَ الوطيس . وأنس الخليس . وطاب المجلس .
 ودارت الأكؤس . ونُسِيَت أوجاع النقرس . وقام ذلك الصاحبُ
 الخليسُ يترقص . ودار الدور حتى انتهى إلى ابن شهيد . فقام يترقص
 معتمداً على عادته . فقال له البغدادي : لله درك يا وزير ! تُصلي بالقاعدة
 وترقص بالقائمة ! فطاب المجلس بهذا الكلام ، وتمَّ حسنه أكمل تمام ،

١ ص : له .

٢ النفع والبدايع : منفرداً .

٣ ص : أمرضه .

٤ النفع والبدايع : قام للسكر .

٥ النفع : بالفكيك .

وخلع ابن شهيد على الكك ، وانتهى الخبر إلى المنصور ، فذهب به كل مذهب الضحك .

وكان ابن أبي عامر كثيراً ما يرتاح إليه ، ويوالي الإحسان عليه ؛ انصرف مرة من غزوة تخلف عنها ابن شهيد لعذره ، فكتب إليه من جملة أبيات^١ :

أنا شيخٌ والشيخُ يهوى الصبايا فبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسولُ الإله أسهَمَ في الفبي لمن لم يَحْثُ فيه المطايا

فأجابه ابن أبي عامر :

قد بعثنا بها كشمسِ النهارِ في ثلاثٍ من المَهَا أباكِرِ
وامتحننا بعذرةِ الغيدِ إن كُنْ تَ توخى^٢ بوادِرِ الاعذارِ
فاتنِّدْ واجتهد^٣ فإنَّك شيخٌ قد جلا الليل عن بياضِ النهارِ^٤
صانك الله من كلالِكَ فيها فمن العارِ كاتَّةُ الميسمارِ

فافتضهن الشيخ من ليلته ، وكتب إليه بكرة :

-
- ١ الحلة ١ : ٢٧٦ والنفح ١ : ٤٠٠ ٥٨٥٠٠ والبيان المغرب ٢ : ٣٠٠ وتحفة العروس : ٨٤ (عن اللخيرة) .
٢ النفح : ترجمي .
٣ النفح : فاجتهد وابتدر .
٤ الحلة : خفي الليل عن بياض النهار .

قد فضّضنا خيتامَ ذلك السوار^١ واصطبغنا من النجيع البحاري
وصبونا في ظيلٍ أطيبٍ عيش^٢ ولعينا بالدُرِّ أو بالدَّراري
وقضى الشيخُ ما قضى بحُسامٍ ذي مضاءٍ غضبِ الظُّبا بتار
فاصطنعته فليس يَجْزِيكَ كُفْرًا واتَّخِذْهُ فحلا على الكفار

وأهدى له ابنُ أبي عامرٍ محففةَ خيزرانٍ إذ نُقِرْسَ ، فقال :

للهِ نفسُكَ فتهيّ أزمكي الأنفُسِ عقلت علاها بالجواري الكُنُسِ
عُنيتُ بجالي كأنها حتى لقد عُنيتُ مكارمُها بعلمةٍ نِقْرَسِ
فتخيرتُ لي إذ شككتُ قدمي الواني عليها مطيئةً رحلةٍ لم تُحْبِسِ
لا في العيتاق ولا الشِّواحيجِ تنتهي نَسباً ولا هي بالأُمون العيرُوسِ
إن أهملتُ لم تنبعتُ أو أجهدتُ لم تعتذِرْ أو أخرجتُ لم تُشمِسِ
محبوكةٌ من خيزرانٍ مائسٍ لَدنٍ مهزنته كَرِيمِ المَغْرَسِ
ويتحفني فيها إذا استمطيتُها بيضُ الرُّجوه هباتُ أروعِ أشوسِ

ودخلَ صاعداً يوماً على المنصورِ فلما وصلَ إليه ، وجدَ عوداً بين
يَدَيْهِ . فقال له المنصورُ : قد تواترَ الخبرُ ، وتحدّثَ عنك البشّرُ ، أنكَ
فتردُّ في علمِ الموسيقى . وقد أردتُ غيرَ مرّةٍ الانبساطَ معك سرّاً في ذلك .
فشقَّ الأمرُ على صاعدي هُنالك . ولم يتَّجِدْ من مَحِيدٍ عن أخذِ العودِ ،

١ هكذا في الأصل والمصادر . وقد تكون قراءته « العوار » وهو وعاء المسك ، كما قدر
ذلك محققو الطبعة المصرية .

٢ النفع : وصبونا على دفاعٍ وحربٍ ؛ الحلة : ونمينا في ظل أنعم ليل .

فتناولته وجسّ أوتاره وسوّى تسويةً أطربت ابنَ أبي عامر ، ثم اندفع
يُنشده بيّتي مجنونِ بني عامر^١ :

أبي القلبُ إلاّ حبتها عامريّةٌ لها كُنيةٌ عمرو وليس لها عمرو
تكادُ يديّ تندي إذا ما لمسّتها وينتبتُ في أطرافها^٢ الورقُ الخضرُ

فغضبَ ابنُ أبي عامرٍ وتسوّر . لتوهّمه أنه عرّضَ بخبرٍ . وقال له :
يا أبا العلاء . أبالإخوة عرّضت أم بالأبناء ؟ وهذه إشارة رئيس أنف
من أنّ يجاوبه . على مغزى ما خاطبه . فأخرج الجواب على التذكير ،
همّةً لإمامٍ غيور .

وذكرتُ بهذا الحديث ما ذكره بعضُ الرواةِ عن المعتصم أنّه قال
يوماً للقاضي ابن أبي دواد : أتعلمُ أنّ أبا دُلف^٣ من المغتّنين الأفراد . وإن
كان من الشجعان الأتجاد ؟ قال القاضي : فكيف بسماعه ؟ فأحضره المعتصم .
وخبأ ابنَ أبي دواد . وعزمَ عليه في الغنماء . فلما اندفع يُغني هتكت
الستارةُ . فحجّل أبو دُلف وقال : أجبروني أعزّ الله القاضي . قال له
ابن أبي دواد : يا ماجنُ ، هبّهم أجبروك على أن تُغني فمّن أجبرك على
الإحسان ، فقال أبو دُلف : ويريبني منك أيّها القاضي معرّفتك بمحاسنِ
الألحانِ وتآلفِ الأوزانِ ! !

١ ديوان المجنون : ١٣٠ ويرد البيتان في قصيدة أبي الصخر الهذلي (الأمازي : ١ : ١٤٨) وورد
الثاني وحده لأبي الصخر في شعر الهذليين ٢ : ٩٥٧ .
٢ ص : أوراقها .

٣ هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي ، وانظر عن شهرته في الشعر والغناء زهر الآداب :
١٠٦٧ والأغاني ٨ : ٢٤٦ والحكاية فيه ص : ٢٤٩ بالمعنى دون اللفظ .

وكان صاعداً [كثيراً] ما تُستغربُ له الألفاظُ ويُسألُ عنها فيُجيبُ عن ذلك أسرعَ جَوابٍ . على نحوِ ما يُحكى عن أبي عمر الزاهد . ولولا أنه كان كثيرَ المزاحِ لما [٣٧] حُمِلَ إلاَّ على الصّدق . دَخَلَ^٢ يوماً على المنصور وبيده كِتابٌ وردَّ عليه من عاملٍ له اسمه مَيْدَمَان^٣ بن يزيد من أهل يابرة ، يذكرُ فيه القلبَ والتزبيل^٤ ، وما عندهم من مُعانةِ الأرضِ قبل زرعها^٥ ، فقال له : يا أبا العلاء . وقعَ إليّ من الكتبِ كتابُ القوالبِ والزوالبِ لميدمان بن يزيد . قال : نعم رأيتُه في نُسخةِ أبي بكرِ بن دُرَيْدٍ بخطِّ كأكرُحِ النملِ . في جوانبها علاماتُ الوُضّاعِ^٦ . فقال له : أما تَسْتَحِي مِينَ هذا الكذبِ ! ! هذا كتابُ عامِلينا ببلدِ يابرةَ ، يُعلمُ بالذي تقدّمَ ذكرُه من صِفَةِ الأرضِ ، وإنما صنعتُ هذا تجرّبةً لك . فجعلَ يحليفُ أنه ما كذَبَ وأنه أمرٌ وافق .

وقال^٧ له المنصور يوماً : ما الخنِشارُ في اللُغةِ ؟ قال : حَشِيشةٌ يُعقدُ بها اللبَنُ بباديةِ الأعرابِ . وفي ذلك يقول شاعرهم :

.....

١ ص : أبو عامر ؛ أبو عمر الزاهد هو محمد بن عبد الواحد اللغوي غلام ثعلب (- ٣٤٥) وكان جماعة يكذبونه في أكثر رواياته ، وكان العالمة يسألونه أسئلة مصنوعة ملفقة كتلك التي امتحن بها صاعد (انظر انباء الرواة ٣ : ١٧١ - ١٧٧ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) .

٢ القصة في الجذوة : ٢٢٤ والنفع ٣ : ٩٨ .

٣ الجذوة والنفع : مبرمان .

٤ ص : والتزبيل .

٥ ص : زراعها .

٦ زاد في الجذوة : هكذا ، هكذا .

٧ نفع الطيب ٣ : ٨١ .

لقد عَقِدَتُ محبتها بقلبي كما عَقِدَ الحليبُ بخنْشَارٍ
وقال له مرةً "وقد قُدِّمَ طبقٌ فيه تمرٌ : ما التَمَرَ كلُّ في كلامِ العرب؟
[فقال] : يُقالُ تَمَرَ كلَّ الرجلُ تَمَرَ كُلاًّ إذا التَمَّ في كسائه .

وكان مع ذلك عالماً ؛ حدث العاصميّ النحويّ قال ٢ : لما سأله مراراً
عن مسائلٍ من النحوِ بحضرةِ المنصورِ فقصرَ فيها ، قال ابن أبي عامرٍ :
فإنّه من طبقتي في النحوِ أنا أناظره . ثمَّ سألتنا صاعداً يوماً فقال : ما معنَى
قولِ امرئ القيسِ :

كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بَنَحْرِهِ عَصَارَةُ حَنْتَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَلٍ

فقلنا هذا واضح ، وإنّما وصف فرساً أشهبَ عَقُرت عليه الوحشُ
فتطايَرَ دَمُها إلى صدره فجاء هكذا . فقال صاعداً : سبحان الله ! أنسىتم
قوله قبلَ هذا في صِفته :

كَمَيْتَ يَزِلُّ اللَّيْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّبْوَاءُ بِالْمَتَنَزَلِ

قال فبهتتا وكأنا لم نقرأ البيتَ قط : وقد اضطررنا إلى سؤاله ،
فقال : إنّما عنى أحدَ وجهين : إمّا أنّه نَضَحَ صدره بالعَرَقِ وعرقُ الخيلِ
أبيضٌ ، فجاء مع الدم كالشَّيبِ ، وإمّا أشياء كانت العربُ تصنعها وذلك

.....

١ الجذوة : ٢٢٥ والنفع ٣ : ٨٢ .

٢ الجذوة : ٢٢٥ .

٣ فانت هذه الملاحظة شراح المعلقة ، فقد قال ابن الأنباري (الصبع الطوال : ٩٢) أراد أنه يلحقها فيعلمها فتصيب دماؤها نحره ، وقوله : يشيب مرجل : معناه يشيب قد غسل عنه الحناء فرجل .

أنها كانت تسمُّ باللبنِ الحارِّ في صدرِ الخيَلِ فَيَتَمَعَطُ ذلك الشعرُ ،
ويَنبِتُ كأنه شعرٌ أبيضُ ، فأبنا ما عني من أحدِ الوَجْهين فالوصفِ مستقيم .

وكان^١ لابن أبي عامرٍ فتيٌّ يُسَمَّى فائناً أوحدٌ لا نظيرَ له في علمِ كلامِ
العربِ ، وكلُّ ما يتعلقُ بالأدبِ ، فناظرَ صاعداً بين يديه ، فظَهَرَ عليه ،
وبكثته حتى أسكتته ، فازداد المنصورُ به عجباً ؛ وكان فائناً حَسَنَ الخطِّ ،
واسعَ المعرفةِ ، فصحيحَ اللسانِ ، حاضرَ الجوابِ ، إلى عفافِ طُعمتهِ ،
ونزاهةِ نَفْسِ ، وجمالِ صُورةِ . وكان ممن تُباهي الملوكُ بخدمتهِ ،
وتستريح إلى حِلمِهِ . وتُوفِّي هذا الفتيُّ فائناً سنةً اثنتين وأربعمئةً ، وبيعت
في تركتهِ قطعةٌ دفاترَ أدبيَّةٍ حسنةِ الضبطِ دلَّت على جودَةِ عنايةِ . وكان
منقاداً لما نزلَ به من المُشكلةِ ، فلم يتخذ النساءِ ولا كَشْفَنَ له عورةِ .

وكان في ذلك الزمانِ بقرطبةَ جُملةٌ من الفِتيانِ المجابيبِ ، ممن أخذوا
من الأدبِ بأوفرِ نصيبِ . ورأيتُ تأليفاً لرجلٍ منهم يدعى بحبيبٍ مُترجماً
؛ « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكرَ فضائل الصقالبة » وذكرَ فيه
جُملةٌ من أشعارهم ونوادِر أخبارهم . منهم عمارةُ الصَّقَلبي الفتي
الكبيرِ ، والصَّقَلبي مَيْسُور ، ، ونَجْمُ الوصيفِ ، وغيرهم ممن يشتملُ
عليه ذلك التصنيفُ ، وشعرهم خارجٌ من شَرَطِينا ، وليس من جنسِنا .

ومن^٢ عجائبِ الدنيا الغريبةِ الوقوعِ ، العجيبةِ المسموعِ ، أن صاعداً
أهدى إلى المنصورِ يوماً إيتلاً وكتب معه بأبياتٍ يقول فيها :

١ نفع الطيب ٣ : ٨٢ .

٢ الجذوة : ٢٢٦ والنفع ٣ : ٨٢ والأبيات أيضاً في انباه الرواة ٢ : ٨٨ والمعجب : ٨٢
والريحان والريمان ١ : ١٥٤ ب .

يا حِرْزَ كُلِّ مَخْوْفٍ وَأَمَانَ كُلِّ مُشْرَدٍ وَمُعِزَّ كُلِّ مُذَلَّلٍ
عَبْدٌ جَذَبَتْ بِضَبْعِهِ وَرَفَعَتْ مِينُ مِقْدَارِهِ أَهْدَى إِلَيْكَ بِإِيْتَلِ
سَمِيئْتُهُ غَرَسِيَّةٌ وَبِعَثْتُهُ فِي حَبْلِهِ لِيُتَاحَ فِيهِ تَفَاؤُلِي

فَقُضِيَ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَّرَهُ أَنْ غَرَسِيَّةَ بَنِ شَانِجُهُ مِنْ مَلُوكِ
الرُّومِ . وَهُوَ أَمْنَعُ مِنَ النَّجُومِ . أَسْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعَيْنَهُ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ صَاعِدٌ
بِالْإِيْتَلِ وَسَمَّاهُ غَرَسِيَّةً عَلَى التَّفَاؤُلِ بِأَسْرِهِ . وَكَانَ أَسْرُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ٢
سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَهَكَذَا يَكُونُ الْجَدُّ لِلصَّاحِبِ وَالْمَصْحُوبِ .

وَدَخَلَ ٣ يَوْمًا صَاعِدٌ عَلَى الْمَنْصُورِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ جُدُدٌ
وَخُفٌّ طَرِيٌّ ، فَمَشَى عَلَى حَاشِيَةِ الصَّهْرِيحِ لِازْدِحَامِ مَنْ حَضَرَ فَتَلَقَى
وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ ، فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ . وَكَادَ الْبَرْدُ بِأَنِي عَلَيْهِ .
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ [٣٨] أَمَرَ بِإِخْلَاعِ ثِيَابِهِ لَهُ ، وَأَدْنَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا
العلاء هل قلتَ في سَقَطَتِكَ شَيْئًا ؟ فَأَطْرَقَ ثُمَّ قَالَ :

شَيْئَانِ كَانَا فِي الزَّمَانِ غَرِيبَةً ضَرَطُ ابْنِ وَهْبٍ ثُمَّ زَلْنَقَةُ صَاعِدٍ

فَاسْتَبْرَدَ مَا أَتَى بِهِ ؛ وَكَانَ الْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ الْجَزِيرِيَّ حَاضِرًا ، فَقَالَ
لَهُ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ هَلَّا قُلْتَ :

١ المعجب والجدوة : نشلت بضيمه وغرسته في نعمة .

٢ الجدوة : ربيع الآخر .

٣ نفع الطيب ٣ : ٥٩ والمغرب ١ : ٣٢٢ .

٤ النفع : رقعة .

سُروري بغيرتك المشرقة^١ ودائمة راحتك المغدقة^٢
ثنائي نشوان حتى هويت^٣ في لجة البركة المطبقة^٤
لئن ظلَّ عبدك فيها الغريقَ فجودك من قبلِ ذا أغرقه

فقال له المنصور : لله ذلك يا أبا مروان ، قيسناك بأهلِ العِراقِ
فمغصلتهم فبمن تُقاس بعد ! فأهيضَ الجزيريُّ للشرطة .

وقد فرق^١ حدائقُ النظيرِ بينَ البديةِ والارتجالِ ، فجعلوا الارتجالَ
ما كان على طريقِ الانهمارِ والتدفقِ لا يتوقفُ فيه قائلُهُ ، كالذي وقع
للفرزديقِ إذ أمره سليمانُ بن عبد الملكِ بضربِ عنقِ أسيرِ روميِّ ،
ودسَّ إليه بعضُ بني عبسٍ سيفاً كهاماً فنبأ حينَ ضربَ به . وضحكك
سليمانُ . فقال الفرزدق^٢ :

فإن يكُ سيفُ خانٍ أو قَدَرُ أبي
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به
كذلكَ سيوفُ الهندِ تنبو ظبائِها
ولو شئتُ قطعاً السيفُ ما بينَ أنفيهِ
لتأخيرِ نفسِ حبيئِها^٣ غيرُ شاهدِ
نبأ بيدي وراقه^٤ عن رأسِ خالدِ
ويقطعنَ أحياناً مساطَ القلائدِ
إلى علقِ دونَ الشراسيفِ جاسيدِ

ثم جلس وهو يقول^٥ :

.....

١ متابع للعمدة ١ : ١٨٩ .

٢ انظر إلى جانب العمدة : طبقات ابن سلام : ٤٠٠ والنقائض : ٣٨٤ .

٣ ابن سلام : حنتها .

٤ هو وراقه بن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب فلم تؤثر فيه الضربة .

٥ النقائض : ٣٨٣ وابن سلام : ٤٠٢ .

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكّهم إذا أفلّ الأعناقَ حملُ المغارمِ .

ومن غريبِ البديهةِ خبّرُ حبيب ، مع الكِنديّ يتعقّب ، وقد
أنشد أحمد ابن المعتصم^٢ قوله :

إقدامُ عمروٍ في سماحةِ خالدٍ في حِلْمِ أحنفٍ في ذكاءِ إياسِ

فقال له الكندي : ما صنعتَ شيئاً فإنَّ الأميرَ أفضلُ ممّن ذكرت ،
وما هؤلاءِ وقدرهم ؟ فأطرقَ ثم قال :

لا تُنكروا ضمّري له من دُونه مثلاً شرّوداً في النديّ والباسِ
فالله قد ضربَ الأقلَ لنوره مثلاً من المشكاةِ والنّبراسِ

فتعجّب من بديهيته يومئذٍ لأنّه كان رجلاً مُصنّعاً لا يجبُ أن
يكونَ هذا في طبيعته . وقد قيل إنَّ الكندي لما خرج حبيب قال : أرى
هذا الفتى يموتُ شاباً لأنَّ ذكاءه يُنحِتُ عمّره كما يأكلُ السيفُ الصقيلُ
غِمنده . فكان ذلك كذلك ، ماتَ وقد نيّف على الثلاثين . وكان أبو الطيب
كثيرَ البديهةِ إلاّ أنَّ شعّره نازلٌ فيه . وأهلُ الشعرِ في ذلك في سعةٍ من
العُدُر . إذ هو كما قال ابن الرومي^٣ :

نارُ الرّويّةِ نارٌ جيّدٌ مُنضِجَةٌ وللبديهةِ نارٌ ذاتُ تساويعِ
وقد يُفضّلها قومٌ لسرعتها لكنّها سرّعةٌ تمضي مع الرّيحِ

١ الممدّة ١ : ١٩٢ وانظر أخبار أبي تمام : ٢٢٠ - ٢٣٢ .

٢ ص : المأمون .

٣ الممدّة ١ : ١٩٣ وديوان ابن الرومي : ٥٦٧ وبدائع البداهة : ٩ والشريشي ١ : ١٢٢ .

وقال ابن المعتز^١ :

والقولُ بعدَ الفكرِ يُؤمنُ زبغُهُ شتَتانَ بينَ رويّةٍ وبديهِ

ومن الشعراء^٢ من شعره فيهما وعند الأمن والخوف سواء . بمقدارِ
قُدرةِ كلِّ أحدٍ ، وسُكونِ جأشه . وقوةِ غريزته . كهُدُبةِ بن
الخشرم ، وطرفةِ بن العبد ، ومرةِ بن مَحَنَّكَانَ السعدي ، إذ يقولُ
وقد أمرَ مُصعَّبُ بنُ الزُّبيرِ بقتله^٣ :

بني أسدٍ إنْ تَقْتلوني تُحارِبوا تَمِيمًا إذا الحَرَبُ العَوانِ اشْمَعَلتِ
ولستُ وإنْ كَانتْ إليَّ حَبِيبَةً بِبِسَاكٍ على الدُّنيا إذا ما تَوَلَّتِ

وكعبدٍ يغوثٌ إذ أعطى في نفسه لبني تميم ألفَ ناقةٍ فأبوا إلا
قتله ، وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء ، فعاهدهم فأطلقوه ليروح
على نفسه . فقال القصيدة التي أولها^٤ :

أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ أمعشرَ تميمٍ أطلقوا عن لساني
فيا راكباً إمّا عرّضتَ فبانتخنُ نداماي مبن نجرانَ ألا تلاقيا
وتميم بن جميل السدوسي^٥ وكان قامَ بشاطئ الفرات ، واجتمع

١ العمدة : ١٩٣ وبدائع البدائنه : ٩

٢ لا يزال متابعا للعمدة ١ : ١٩٣ .

٣ الكامل ١ : ١٩٩ .

٤ هي المفضلية رقم : ٣٠ وانظر النقائض ١ : ١٧٣ والبيت الذي أورده ليس مطلقاً لها .

٥ مع أن الإشارة إلى الخبر والأبيات قد وردت في العمدة ١ : ١٩٤ - ١٩٥ إلا أن المؤلف

هنا يتابع زهر الآداب : ٨٧٤ .

إليه الأعرابُ وغلظَ أمرُه ، فظُفِرَ به وحُمِلَ إلى بابِ المعتصم ، فلما
 مثَّلَ بين يديه ، وكانَ وسيماً جميلاً ، فأحبَّ المعتصم أن يَعْلَمَ ابنَ
 المنظرُ مِن المخبرِ ، قال له : تكلمْ ، فقال بعد أن حَمِدَ الله ودعا للمعتصم :
 إنَّ الذُّنوبَ تُخْرِسُ الألسنةَ ، وتُعَمِّي الأفتدةَ . ولقد عظمتَ الجريرةَ
 وانقطعت الحُجَّةُ وساءَ الظنُّ ، ولم يبقَ إلاَّ العفو أو الانتقام ، وأرجو أن
 يكونَ أقربُهُمَا مِنِّي وأسرعُهُمَا إليَّ أشبهَهُمَا بك ، وأولاهُمَا بكرَمِكَ .
 ثم قال وقد كان قُدَمَ [٣٩] السيفِ والنِيطعِ لقتله :

أرى الموتَ بين السيفِ والنِيطعِ كامناً
 وأكبرُ ظني أنكَ اليومَ قاتلي
 وأيُّ امرئٍ يبدُّ لي بعدُ رِ وَحُجَّةً
 يعزِزُ على الأوسِ بن تغلبِ موقِفُ
 فما حزني أيُّ أموتٍ ١ وإنتي
 ولكنَّ خلفي صبيبةٌ قد تَرَكتُهُم
 كأنِّي أراهم حين أنعمي إليهم
 فإن عشتَ عاشوا خافضين ٢ بنعمة
 فكم قائلٍ لا أبعده اللهُ داره
 يلاحِظُني مِن حَيْثُما أتفتتُ
 وأيُّ امرئٍ ممَّا قضَى اللهُ يُفلتُ
 وسيُفُ المنايا بين عينيهِ مُصَلَّت
 يهزُّ عليَّ السيفُ فيه واسكت
 لأعلمُ أن الموتَ شيءٌ موقت
 وأكبادُهُم من حَسرةٍ تفتتُ
 وقد خمتشوا تلك الوجوه وصوتوا
 أذودُ الردى عنهم وإن ميتٌ موتوا
 وآخرَ جندٍ لانٍ يسرُّ ويشمتُ ٣

فعفا عنه المعتصم ، وأحسنَ إليه وقادتهُ عملاً . وعلي بن الجهم الذي
 قال ارتجالاً وقد صُلِبَ عُرْيَاناً ٣ :

١ زهر الآداب : وما جزى من أن أموت .
 ٢ زهر الآداب . سالمين .
 ٣ العمدة ١ : ١٩٥ وديوان علي بن الجهم : ١٧١ (وفيه تحريج المصادر) .

لم يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الِإِثْنَيْنِ مَقْلُولًا وَلَا مَجْهُولًا
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِيلَءَ عِيُونِهِمْ حُسْنًا وَمِيلَءَ قُلُوبِهِمْ تَبَهُّجِيًا
مَا ضَرَّهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ غِطَاؤُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يَبْرَى مَسْلُولًا

إلى غير ذلك من غرائب أهل المشرق .

فأمّا ما جاء في هذا الباب لأهل عصرنا بهذا الأفق . فكالذي وقع
لأبي عامر بن شهيد القرطبي مع لُمة من أصحابه . فأنه حكى أنهم
قالوا له : يا أبا عامر إنك آت بالعجائب . وجاذب بدوائب الغرائب ،
ولكنك شديد الإعجاب بما يأتي منك لعطف الزهو عند النادرة تتاح
لك ، ولكن نريد أن تصف لنا مجلسنا هذا . وكان الذي طلبوه منه
يَوْمئذٍ زُبْدَةُ التَّعْنِيتِ ، وَمُحَدَّةُ بَيْضَةِ التَّبَكِيتِ ، لأنَّ المعنى الجلف إذا
لم يتطب على النفس ، وتناولته المنحسِنُ أساء فيه . وكانت هيئة ذلك
المجلس وصِفَتُهُ مما يقتل لبرده . وهيئة لا يستمكن فيها كلام ولا
يتركب عليها معنى : باب غريب معرّض في المجلس ، ولبند أحمر
مبسوط على أرضه ، وصدور أخفافهم على حاشيته . وذكر أبوابه وانضمامها
على أرجله فقال :

وفتية كالنجوم حُسْنًا كلهم شاعر نبيل
مُتَقَدِّمُ الجَانِبَيْنِ ماض كأنه الصارم الصقيل
راموا انصرافي عن المعالي والغرب من دونها فليل^٢

١ نقله المقرئ في النفع ٣ : ٢٤٥ وابن ظافر في بدائع البدائع : ٣٠٤ وانظر ديوان ابن

شهيد : ١٢٧ . والشريشي ٤ : ١٧٠ .

٢ النفع والبدائع : والغرب من دونها كليل .

فاشْتَدَّ في إثرها مِسْحٌ^١ كلُّ كثيرٍ بها قليل
 في مجلسٍ شابه^٢ التصابي وطارَدَتْ وصفه العُقُول
 كأنَّما بابه^٣ أسيرٌ قد عرَضَتْ وَسَطَه نَصُول^٤
 يُرادُ مِنْه المقالُ قَسْرًا وهو على ذلك لا يقول
 يَنْظُرُ مِنْ لَيْسِدِهِ لَدَيْنَا بِحَرِّ دَمٍ تَحْتَمَهُ يَسِيل
 كأنَّ أَحْفَافَنَا عَلَيَّهِ مَرَاكِبٌ ما لها دليل
 ضَاعَتْ فَلَمْ تَدْرِ أينَ تَجْرِي فهِبِ على شَطْبِهِ تَقِيل

واتفق^٤ أن يخرج من عندهم فاجتازَ بجائزَتِ بعضِ معارفِهِ مِنْ
 الطرائقِ فِيئِينَ^٥ وبينَ يديه رامِشَةٌ جميلةٌ في زَنْبِيلِ مَلَانٍ حَرِّشَفًا ، فجعل
 يَدَهُ في لِحْجَامِ دَابَّةِ ابنِ شُهَيْدٍ وقال له : صف هذا أبا عامرٍ ،
 فإنَّ صاعِدًا رامَ وصفَ ذلك لابنِ أبي عامرٍ فلم يأتِ بشيءٍ غيرَ ذِكْرِ
 الحَرِّشَفِ . فقال ابنُ شُهَيْدٍ وهو على ظَهْرِ دابَّتِهِ :

هَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ يا خَلِيلِي قَتْنَا فِئْدًا تَباعُ في زَنْبِيلِ
 مِنْ حَرِّشَفٍ مُعْتَمِدٍ جَلِيلِ ذِي إِبْرٍ تَنْفُذُ جِئْدَ الْفَيْلِ
 كأنَّها أُنْيَابُ بِنْتِ العُقُولِ لو نَخَسْتَ في اسْتِ امْرئٍ ثَقِيلِ
 لَقَفَّزْتَهُ نَحْوَ أَرْضِ النِّيلِ لَيْسَتْ تُرَى طَيِّ حَشَا مِنْدِيلِ

١ في البدائع وأصول النفع : فالشد في أمرها فسيح .

٢ البدائع والنفع : زانه .

٣ البدائع والنفع : تعرض من دونه النصول .

٤ بدائع البدائه : ٣٠٤ ونفع الطيب ٣ : ٢٤٦ وديوان ابن شهيد : ١٤٠ .

٥ ص : الطرائق ٥ ؛ البدائع : الطوافين .

لثقلُ السخيفِ المائقِ الجهولِ وأكلُ قومٍ نازحيِ العقولِ
أقسيمُ لا أطعمتُها أكيلي ولا طعمتُها علتى شَمُولِ

وكان^٢ يوماً مع جماعةٍ من أهلِ الأدبِ ، بمجلسِ ابنِ ذَكْوَانَ ،
فجَّيءَ بباكورِ باقلى ، فقالوا : لا يَنفِردُ بها إلاَّ مَنْ وَصَفَها^٣ ، فقال ابنُ
شُهَيْدٍ :

إنَّ لآلِيكَ أحدثتِ صلتفا فاتخذتِ من زُمُردٍ صدفا
تَسْكُنُ ضَرَآتها البُحورَ وذى تَسْكُنُ للحُسنِ رَوْضَةَ أنفا
هامتِ بلُحفِ الجِنانِ فاتخذتِ مِن سُنْدُسٍ فى جِنانِها لُحفا
نثبها^٤ بالشغورِ مِن لطفِ حَسْبُكَ مِنا فى بِرِّ مَنْ لطفنا
جازا ابنُ ذَكْوَانَ فى مكارِمِهِ حُدُودَ كَعَبٍ وما بِهِ وصفا
قدَّمَ دُرَّ الرِياضِ مُنتخباً مِنه لأفراسِ مَدحِهِ عاتفا
أكلُ ظَريفٍ وطُعمُ ذى أدبٍ والقُولُ يَهواهُ كلُّ مَنْ ظرُفا
رَخِصَ فيه شَيْخٌ له قَدَرٌ^٥ فكانَ حَسْبِي مِنَ المُنَى وَكَفى [٤٠]

١ اللفظة غير معجمة في ص ؛ وقد وردت كما أثبتته في البدائع والنفح .

٢ بدائع : ٣٠٣ والنفح ٣ : ٢٤٤ وديوان ابن شهيد : ١٢٧ .

٣ ص : وصفه .

٤ ص : دراتها ، وأثبت ما في البدائع والنفح .

٥ البدائع والنفح : شبهتها ؛ ص : بتقبها .

٦ ص والبدائع : حاز .

٧ البدائع : حسب .

وخرج سعدان المؤدب^١ من قرطبة إلى الحجاز وشيعه جماعة ،
وكان قد باع داره وشدّ جهاز طريقه تحته في خُرجه . فقال فيه يومئذ
مؤمن بن سعيد^٢ :

قد بيعت دارك فارحل غير محتقِبٍ زادَ التقي عن بني الدنيا إلى سقر
لما رأيت أذى الأمطارِ مُتصِلاً حصّنت دارك في خُرَجٍ عن المطر
فلمست تخشني على حيطانها زللاً من وكيف يهديمُ البنيان منهجر
زودتُك اللعنَ مخصوصاً به أبداً لَمّا غَدوتَ بلا زادٍ على سقر
فاغربُ إلى حيثُ لا ماءٌ ولا شجر كما غنيتَ بلا ماءٍ ولا شجر

وساير^٣ ابنُ عَمّارٍ في بعضِ الأسفارِ غُلامينِ وسيمينِ من بني جهورِ ،
أحدُهما أشقرٌ والآخرُ بعذارٍ أخضرَ : فكان يميلُ بحديثه من ظهرِ دابتهِ
إلى الذي وصفه منهما حيثُ قال ارتجالاً :

تعمّلتُهُ جهورِيَّ النجارِ حلّو اللثي ، جهورِيَّ الثنايا

١ المشهور بهذا الاسم سعدان بن معاوية القرطبي (- ٣٢٧) وقد رحل حاجاً فوافق دخوله
مكة إتيان القرامطة (سنة ٣١٨) فأصيب بضربة شقت خده وعينه (ابن الفرضي ١ : ٢١٤)
ولا يمكن أن يكون هو المقصود هنا لأن مؤمن بن سعيد توفي سنة ٢٦٧ إلا أن يكون
الشعر قد نسب لمؤمن خطأ .

٢ مؤمن بن سعيد (- ٢٦٧) ترجمته في الجذوة : ٣٣٠ والمغرب ١ : ١٣٢ واليتيمة ١ :
٣٧١ وانظر مزيداً من المصادر في دراسة كتبها عنه (تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة
قرطبة : ١٧٠ ط / ١٩٧٣) .

٣ وردت القصة والأبيات في الذخيرة (القسم الثاني : ٣٨٩) وبدائع البدائ : ٣٦٩ - ٣٧٠
ونفح الطيب ٣ : ٣٢٥ - ٣٢٦ .

٤ البدائع والنفح والذخيرة : اللوى .

مِنَ النَّفْتَرِ الْبَيْضِ جُرُوبًا الزَّمانَ رِقَاقَ الْحَوَاشِي كَرَامَ السَّعَايَا
 وَلَا غَرَوًا أَنْ تَغْرُبَ الشَّارِقَاتُ وَتَبْقَى مَحَاسِنَهَا بِالْعَشَايَا
 وَلَا وَصَلَ إِلَّا جُمَانَ الْحَدِيثِ نَسَاقِطُهُ مِنْ ظُهُورِ الْمَطَايَا
 شَنِتُّ الْمَثَلِثَ لِلزَّعْفَرَانِ وَمِلَّتْ إِلَى خُضْرَةٍ فِي التَّفَايَا^٢

قال ابن بسّام^٣ : وكان الأستاذ أبو الوليد بن ضابط^٤ قد بدأ عليه
 بالقراءة الوزير أبو محمد بن عبدون وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة ،
 وكان ابن ضابط المذكور متكسباً بالشعر . فضجرت يوماً وقال : « الشعترُ
 خُطَّةٌ خَسَفَ » فقال له ابن عبدون :

لكلِّ طالبٍ عُرْفٍ
 للشيخِ عَيْبَةٌ عَيْبٍ وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٍ

والبدية والارتجال في هذه الأشعار الأندلسية وإن لم تلتحق بالأشعار
 المشرقية . ولا فيها كبير طائيل ، ولا تقرب مما ألصقته إليها من
 أشعار الأوائل ، فهي تحوي في هذا المجموع الذي انتحيت . وطالقي

١ البدائع : جرد ؛ النفع : أسد .

٢ التفايا من بسائط الأطلمة عند الأندلسيين ، وهي أنواع منها التفايا البيضاء وتحضر من لحم الضأن
 الفتي في قطع صغار ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة وقليل من ماء بصلصة مدقوقة
 ومغرفة من الزيت العذب . . . ويجعل فيها بندق ولوز مقشر مقسوم . فإذا أردتها خضراء
 أضفت إليها ماء الكزبرة الرطبة (انظر كتاب الطببخ ٨٥ - ٨٨ ، ١١٨ - ١١٩) .

٣ انظر نفع الطيب ٣ : ٣٩٧ ، ٦٠٩ (وفي الموضوع الثاني ذكر أن صانع القسم الأول هو
 المتوكل بن الألفس) وبدائع البدائه : ٨٠ والتكملة : ٤٠٧ .

٤ هو محمد بن علي بن يمش بن داود سمع من أبوي مروان : الطيني وابن سراج سنة ٤٥٤ .
 وسكن بطليوس وقعد فيها لتعليم الآداب واللفات (التكملة : ٤٠٧) .

الذي إليه جريتُ ، ولذلك ما أثبتُّ مُذالَّتها ومَصونها ، وكتبتُ غُشَّها وسَمينها ،
والأدبُ طريقُ يسْلُكُها الصَّحيحُ والجربُ ، وسوقُ يَنْفُتُ فيها الدرُّ
والمخسَلَبُ ، ولأخرُجَ من جدِّ إلى هزل ، وأنتَقِلَ من حزنٍ إلى سهل .

رجعتُ إلى ما قَطَعْتُ من أخبارِ صاعِدٍ ، وما يَتعلَّقُ بها ويذكُرُ بسببها
من الفوائد .

إيجاز الخبر عن أسر غرسية الذي ذكرنا

قال ابنُ حَيَّان : لما قَتَلَ ابنُ أبي عامرٍ سنةَ أربعٍ وثمانينَ عن بلد
غرسيةَ صاحبَ قشتيلةَ ، حشَرَ عدوُّ اللهِ جُموعَه لَغزْوِ بلادِ الإسلامِ ،
فاغتمَ المنصورُ لذلك . فبينما هو يُحاولُ بعضَ الأمرِ هنالك إذ ورد عليه
كتابُ قنندِ الوزيرِ صاحبِ مدينةِ سالمٍ يذكُرُ أَنه أسرى في نُخبةِ أهلِ
نغره إلى بلدِ غرسيةَ فقتلَ وغنمَ ، ثم انكَمَشَ فتبِعَه غرسيةَ في قطعةِ
حسنةٍ من نُخبةِ حُماته ، فثبَّتَ اللهُ أقدامَ الإسلامِ ، وأجَلتِ الحربُ على
أسرِ غرسيةَ جريحاً ، وسيقَ إلى مدينةِ سالمٍ ، وأقامَ بيدِ قنندِ يعالجه مِن
جُرْحِه فهلكَ في يده ، وحزَّ رأسَه وجعلَه في تابوتٍ ، وأنفَذَه إلى حضرةِ
قُرطبةَ ، واختزِنَ جسدُه إلى أن دُفِعَ مع رأسِه إلى والدِه شانجِه عند عقْدِ
السَّلْمِ بعدَ مُدةٍ .

١ قارن بما أورده ليفي بروثسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية ٢ : ٢٤٤ .
٢ ذكره الفقيه أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة وقال : إنه كان صاحب الثمر الأعلى أيام المنصور
ابن أبي عامر وكانت ابنته عاتكة على غاية من الجمال ، وقد تزوجها أبو بكر أخو الفقيه .

مقتل أبي مروان البخزيري^١

وكان أبو مروان عبدُ الملكِ البخزيري أحدَ شعراءِ الأندلسِ المجيدين وقتَه
وممن اجتمعَ له بهذا الإقليمِ نوعا البلاغةِ في المنثورِ والمنظومِ . وتقدّمُ
عصره منعي من ذكره ؛ وفي خبرٍ مقتله طُول . لكنّ نُلَمعُ منه بلُمة ،
بعدَ أن تقدّمَ من نوعي كلامه قطعة .

فمن ذلك أن المنصورَ بن أبي عامرٍ صنعَ صنيعاً في ذلك الأوان . لتطهير
ابنه عبدِ الرحمن ، وكان عامَ قحطٍ فارتفعَ السعرُ بقرطبةَ . وبلغَ رُبُعُ
الدقيقِ إلى دينارين . فجلا الناسُ . فلما كان يومُ ذلك الصنيعِ ، نشأت في
السماءِ سحابةٌ عمّت الأفقَ ، ثم أتى المطرُ الوابلُ فاستبشر الناسُ وسُرَّ
ابن أبي عامر ، فقال البخزيري بديهة^٢ :

أمّا الغمامُ فشاهدٌ لك أنته لاشكّ صنوكَ بل أخوك الأوثقُ
وافى الصنيعَ فحينَ تمّ تمامه في النحوِ أنشأ ودقه يتدفقُ [٤١]
وأظنه يحكيكَ جوداً إذ رأى في اليومِ بحركَ زاحراً يتفهقُ

ومنها :

١ لعبد الملك بن إدريس البخزيري ترجمة في الجذوة : ٢٦١ (البيمة رقم : ١٠٥٨) والمطبخ
١٣ والصلة : ٣٥٠ ، واحتاب الكتاب : ١٩٣ والمغرب ١ : ٣٢١ والنسخ ٢ : ١١٩
وله أشعار في البيمة ٢ : ١٠٢ وقطعة في تشبيهات ابن الكثاني رقم : ١٥٦ ومقطعات في
البيدع (انظر الفهرست) وانظر الذخيرة ١ : ١٠٣ .
٢ نفع الطيب ١ : ٥٣٠ .

وتوسّطتها بلجة في قعرها
تنساب من فكتي هزبر إن يكن
صاغوه من ندد وخلق صفحي
للياسمين تطلع في عرشه
ونضائد من نرجس وبنفسج
ترنو بسجود عيونها وتكاد من
وعلى يمينك سوسنات أطلعت
نكأتما هي في اختلاف رقومها
في مجلس جمع السرور لأهله
حازت بدولته المغرب عيزة

وعبّ عليه المنصور وسجنه في مطبق الزاهرة ، واستعطفه برسائل
وأشعار عدة ، فلم يسمع منه ، ثم صفتح بعد عنه ، فكتب إليه الجزيري :

عجبت من عفو أبي عامر لا بد أن تتبعه منته
كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

فسر المنصور بذلك ، وصرفته إلى حاله . وردّ عليه ما كان اعتقل
من ماله .

ومن شعره أيضاً ، مما اندرج له في أثناء نثره الذي ملّح فيه ، مخاطبته
على السنة أسماء كرائمه بزهور رياضه . من ذلك عن بهار العامرية
قصيدة أولها :

١ نفع الطيب ٤ : ٦٦ ووردا (في ١ : ٤١٩) غير منسوبين له . وانظر المغرب ١ : ٣٢١ .

٢ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبديع : ٩٩ والشريشي : ١٠٦ .

حَدَقُ الحِسانِ تُقِرَّ لي وتغارُ وتَضِلُّ في صَفِي النِّهْيِ وتَحَارُ
 طلعتْ على قُضْبِي عيونُ كئامِي مثلَ العيونِ تحفَّها الأشْفارُ
 وأخصُّ شِيءَ بي إذا شَبِهتَنِي دُرٌّ تَنطَقَ سِلكَها دينارُ
 أهدي له قُضْبُ الزُّمُرِدِ ساقَه وحبَّاه أنفَسَ عطرِه العِطارُ
 أنا نرجِسٌ حقاً بهرتُ عقولَهم ببديعِ تَركِيبِي فقيلَ بهارُ

ومِن أُخرى على لسانِ نرجسِ العامريَّة ١ :

حيثُك يا قمرَ العِلا والمِجالِسِ أزكى تحيَّتها عيونُ النرجِسِ
 زهراً تُريكَ بحُسنِها وبلونِها زهُرَ النجومِ الجارِياتِ الكُنُوسِ
 يملِكنَ أفئدةَ الندامى كلِّما دارتُ بمِجالِسِهِم مَدارَ الأَكُوسِ
 مِثلُك الهمامِ العامريِّ محمدِ للمِكرُماتِ وللنُهْيِ والأنفَسِ

ومِن أُخرى عن بَنَفْسِجِ العامريَّة ٢ :

إذا تَدافَعَتِ الخِصومُ - أَيْدِ اللهُ مولانا المَنصُورَ - في مَناهِبِها ،
 وتَنافَرتُ في مَناخِرِها ، فالِيبه ٣ مَفزَعُها ، وهو المَقنَعُ في فَصْلِ القَضِيَّةِ
 بَينِها ، لاسِئِلائِها على المَقاخِرِ بِأسرِها ، وعِلمِها بِسَرِّها وجَهرِها . وقد ذَهَبَ
 البَهارُ والنرجِسُ في وَصْفِ مَحاسِنِها . والفِخْرُ بِمِشابِها كِلَ مَذهبِ .
 وما مِنِها إلاَّ ذُو فَضيلَةٍ ، غيرَ أنَّ فَضليَ عَلِيبِها أَوْضَحُ مِنَ الشَّمسِ التي

١ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبديع : ١١٥ - ١١٦ .

٢ نفع الطيب ١ : ٥٣١ والبديع : ٧٨ - ٧٩ .

٣ بئى الأسلوب في البديع على الخطاب : فاليك . . . وأنت . . . لاسئلائك . . . الخ .

تعلونا، وأعذب^١ من الغمام الذي يسقينا . فإن كانا قد تشبَّهنا في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض ومصابيح السماء ، وهي من الموات الصامت ، فإنني أتشبهه بأحسن ما زرين الله به الإنسان وهو الحيوان الناطق^٢ . مع أنني أعطر^٣ منهما عيطرا ، وأحمد^٤ خبيرا ، وأكرم^٥ إمتاعاً شاهداً وغائباً . ويانعا وذابلاً . وكلاهما لا يُمتنع^٦ إلا^٧ ريثما يمتنع^٨ . ثم إذا ذبلت تستكبره الأنوف شمته ، وتستدفع^٩ الأكف ضمته ، وأنا أمتنع^{١٠} رطباً ويابساً ، وتدخرني الملوك في خزائنها وسائر الأطباء ، وأصرف^{١١} في منافع الأعضاء^{١٢} . فإن فخرنا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساقى ، فلا غرو^{١٣} إن الوشي^{١٤} ضعيف ، والهواء لطيف^{١٥} ، والمسك خفيف^{١٦}

« وليس المجد يُندرِكُ بالصراع »

وقد أودعتُ - أيد الله مولانا - فتوافي الشعر من وصف مشاهبي ما أودعاه ، وحضرتُ بنفسى لثلاً أغيبَ عن حضرتهما ؛ فقد يماً فُضِّلَ الحاضر وإن كان مفضولاً ، ولهذا قالوا الذُّ الطعام ما حضر لوقته ، وأشعرُ الناسِ مَنْ أنت في شعره ؛ فلمولانا أتمَّ الفضل في أن يفصل بحكمه العدل . وأقول :

شَهِدْتُ لِنُورِ الْبِنْتَفْسِحِ أَلْسِنٌ
مِنْ لَوْنِهِ الْأَحْوَى وَمِنْ لِبْنَانِهِ

١ البديع : وأعرف .

٢ زاد في البديع : من أدوات خلقه وأنفس ما ركب فيه من مواد حياته .

٣ البديع : وكلاهما لا يمتنع إلا ريثما يبدو للميون ويسلم من الذبول .

٤ تصرف ابن بسام في العبارة هنا ، بحيث ابتعدت كثيراً عما في البديع .

لمشابه الشعر الأثيث أعاره ال
ولربما جمّد النّجيج من الطّلي
فحكاهُ غيرَ مُخالف في لونه
ملكٌ جهيلنا قبله سبيل الهدى
في سيفيه قيصرٌ لطول نجاده
ذو همّة كالبرق في إسراعه
تلقي الزمان له مطيعاً سامعاً

قمر المنير الطلق^١ نور شعاعه
في صارم المنصور يوم قذراع
لا في روائحه وطيب طيباعه
حتى وضحن بتنهجيه وشراعيه
وتمام ساعده وفسحة باعیه
وصريمة كالحين في إيقساعيه
وترى الملوك الشّم من أتباعه [٤٢]

قال ابن حبان: وكان عبدُ الملك بعد أبيه قد فوّض إلى عيسى بن سعيد القطّاع وزيره أمره ، فصار عيسى قيّمَ الدولة ؛ فحسده رجال العامريّة ، وحملوا طرفة فتي عبد الملك على منأواته ؛ فسمنت نفسُ طرفة ذلك لفضلِ همّة كانت له ، وحظ أدبٍ ميّزه عن طبقته . فاستخلص من أعداء عيسى لئمة^٢ ، منهم عبدُ الملك الجزيريّ وأبو العباس بن ذكوان^٣ ، فزيّن له التقدّم عليه . وعرفه الجزيريّ ما تهيباً لكافور الأسود مولى محمد بن طنجج صاحب مصر من الملوك باسم مولاة تلك المدّة الطويلة ، وأنّ محلّه فوق محلّ ذلك بابيضاض النفس والجلبد ، واكتمال الفضل والمعرفة . فأصغى له طرفة وتدبّر برأيه ، وحمل مولاة على أن قدّم عبد الملك الجزيريّ إلى خطّة الوزارة . فعارض عيسى في كلّ أمرٍ حتى كاد يسقطه لولا استخداؤه^٣ عيسى له . ثمّ اعتلّ عبدُ الملك

١ البديع : الصلت .

٢ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، انظر دراسة لي عنه وعن أسرة بني ذكوان في كتاب دراسات في الأدب الأندلسي ص : ٣٥ - ٨٣ .

٣ ص : استخدام .

المظفر ، فانفردَ طرفةُ بخدمته . وكشّرَ الإرجافُ به ، فجمّلَ له ابن
الجزيري بغيه وسوء رأيه : وجسّره على أن يضبطَ الأمرَ لنفسه باسمِ الطفلِ
مولاه . على رسمِ كافورِ الذي ذكرناه .

ثم رأى المظفرُ أن يُخرجَ عسكرياً إلى شرقيّ الأندلسِ لإنفاذ^٢ ما فيه
من الأطمعة . فهشّسَ فتاهُ طرفةً لذلك ، وسألَ مولاه أن يُخرجَ معه
عيسى الوزيرَ وقد أسرَّ الإيقاعَ به ، فأجابه مولاه لذلك : فأخذَ في التجهيزِ
وأسرفَ فيما أتاه ، ولم يُبقِ من وجوهِ القوادِ وصنوفِ العُدَدِ والحلّي
وكرائمِ النجائبِ عندَ مولاه إلاّ ما لا قدرَ له حتى صارَ في أبهةِ الملوكِ . وأخذَ
الوزيرَ عيسى في الخروجِ معه ، فتناقلَ له ، وأحسَّ بالشرِّ في صحبته
ورامَ الانفرادَ بالمظفرِ في ذلك ، فلمْ يُمكنه لضبطِ طرفةَ بابَ مولاه ؛
فألقيَ عيسى بنفسه إلى مفرّجِ صاحبِ مدينةِ الزاهرةِ ثقةِ المظفرِ واستغاثه
لمحنته . فوصلَ له رقعةً إلى المظفرِ شرحَ فيها مُرادَ طرفةَ . عند
ذلك أتى [طرفةُ] من مأمنيه واستعفى الخروجَ جملةً^٣ ، فلمْ يساعفه مولاه .
فستدّ لطيبته ، والعُجبُ يقوده والحسينُ يسوقه . وخلا وجهُ المظفرِ
لعيسى بعده ، وذكرَ له أشياءَ حثّيقَ بها على طرفةَ . وتعجّلَ المظفرُ
الخروجَ إلى غزواته إثرَ طرفةَ ، فخرجَ معه وزيره عيسى ، والجزيري
يغالطه في القدحِ في طرفةَ ، وفي قلبه من عيسى النارُ المتضرمّةُ ، وعيسى
أعلمُ الناسُ بنفاقه ، وأحبّهم في سفكِ دمِهِ . فلما صارَ عبدُ الملِكِ إلى
بعضِ الطريقِ دبّرَ عيسى على ابنِ الجزيري أن ينصرفَ إلى الحضرةِ ليحصلَ

١ ص : فحمله .

٢ ص : لانفاق .

٣ ص : معه .

قبض بقايا الخراج والنفقات ، ولم يحس بما دُبّرَ عليه وعلى صاحبيه . فلما وصل المظفرُ سرقسطةَ ، وطرفه مُرتقبٌ قدومَ مولاةِ علي مقربةٍ منها ، دخل في أبتتهِ وتعبثهٍ وصارَ إلى قصرِ مولاةِ مُدلاً بمنزلتهِ ، فعُدلَ به عن مجلسه ولم تقعْ عينُ المظفرِ عليه ، وقُيّدَ لوقتِه ، وأُخرجَ إلى الجزائرِ الشرقيةِ . فلم يكنْ بين دُخوله سرقسطةَ أميراً وخروجهِ عنها أسيراً إلاَّ ساعةً . واتخذَ الناسُ حديثه عَجَبًا . ثم أنفذَ المظفرُ إلى الحضرةِ بضمَّ عبدِ الملكِ الجزيريِّ إلى المطبقِ بالزاهرةِ . وكتبَ عيسى الوزيرُ إلى مُفرِّجِ العامريِّ وإلى عبدِ الملكِ بنِ مسلمةَ ، وكانا من أعداءِ ابنِ الجزيريِّ ، وحرَّضَهُمَا على إبادتهِ ؛ فأدخلَ عليه في مُطبِّقهِ قومٌ^١ من السودانِ وخنقوه ، وأُشيعَ موتهُ . وأُخرجَ ميتاً بعد أيام . وأسلمَ إلى أهليه ولا أثرَ به ، ودُفِنَ في شوالِ سنةِ أربعٍ وتسعين . فصُرِعَ منه - رحمه اللهُ - يومئذٍ فارسٌ نثرٌ ونظام ، ومُزَّقَ بقتلهِ وشي الكلام . وكانَ يُشبهُ في ذكائه وأدبه مع عتقبيَّةِ الطبعِ ، وكثرةِ الضرِّ وقلةِ النفعِ ، محمدَ بنَ الزيتاتِ في ذلك الصِّقعِ . أخبرني أبي خلفُ بنُ حسينٍ قال : سألتُ الذي تولى قتلَ ابنِ الجزيريِّ في محبسه فجعلَ يصفُ لي سهولةَ ما عاناه منه لقصافتهِ وضُعمفِ أسرهِ ويقول : ما كان الشقي إلاَّ كالفرُّوجِ في يدي ، دقَّتْ رقبته بركبتي فما زادَ أنْ نفتحَ في وجهي . فعمجتُ من جهلِ هذا الأسودِ .

١ ص : قوماً .

رجع ما انقطع

وكان صاعداً قد طُولِسِبَ في أخرياتِ تلكِ الدَّولةِ ، وانتهتْ به الحال ، إلى أن أُغْرِمَ في خبرِ طويلٍ مائةَ مثقالٍ ، فاستغاثَ عليٌّ بنَ وداعةٍ^١ أحدَ الفُرسانِ الأبطالِ ونُبِّهَاءِ الدَّولةِ - كان - في ذلكِ الأوانِ ، وكتبَ إليه رقعةً قال فيها :

إني على وهني ، وما أخذهُ الدهرُ مني ، ونَحْتَهُ من قِيدِ حِي ، لأربأَ بالفضلِ أن ينحطَّ إلّا في مَصَابِهِ ، ويُحِلَّ رَجْلَهُ في غيرِ مَعَانِيهِ . فلم أَحومْ على أحدٍ طيِّراً رجائي ، ولا رَمَقْتُ بأُملي إلّا من نَوْهَةِ اللَّهِ بِاسْمِهِ ، وناسَبَ بين أحواله ، وشابتهِ بين خِلاله ؛ فسُبْحانَ من جعلَ سِنانَكَ عِدْلَ لسانِكَ ، وبيانَكَ كَفءَ طِعْمَانِكَ ، فالألسنُ تُتَنادِمُ على وَصْفِيكَ ، والقلوبُ تُعاقِرُ خُمْرَةَ حَبْتِكَ ، خَبِيثَةٌ أذاعَهَا اللهُ مِنْكَ ، وذخيرةٌ أبرزها الدهرُ بك . وما زلتُ في الأيامِ التي تعرفُها منقِيباً عن محاسنِكَ ، بَحَثاً لآثارِكَ بالعدوةِ وذواتِها ، ومُتقارِعَتِكَ الأهوالِ ، ومُماصَعَتِكَ الأبطالِ ، عاركاً بجَنبِيكَ شوكةَ [٤٣] الأسنَةِ ، ومُناجياً أطرافَ الأعنةِ ، فأذكُرُ بك صِعاليكَ العربِ وذُؤبانَتِها ، وشُعراءَ الفُرسانِ وغِربانِها ، كعنتِرةِ وزيندِ الخيلِ ، وأنتَ بهمةٍ^٢ السريّةِ وقرنُ الكتيبةِ ؛ وغارةِ قومِكَ من سُلَيْمِ على فِزارَةِ ونذيرُها يهتِفُ : أتيتمُ يا فِزارَةَ ! هذه سُلَيْمٌ والموتُ ! وأنا ابنُ عمِّكَ من ربيعةَ ، إذْ هي وسُلَيْمٌ أحلافُ ، فالعدنانيّةُ تلفننا ،

١ أبو الحسن السلمي ، علي بن وداعة ، وصف إلى جانب البطولة بالأدب البارِع والشعر الرائع ، انظر الجلدة : ٢٩٧ وترجم له ابن الأبار في الحلة ١ : ٢٨٢ ونقل بعض ما جاء هنا في الذخيرة .

٢ ص : يمين .

والنسبُ يضمُّ شعبنا . وفي البلدِ من وترني فاستقادَ منه لساني ، وظلمني
فانتصر لي حُماة كلماتي ١ . فأرسلتها فيه شعُثاً قباحاً ، موروثةً في الأعقابِ
خالدةً على الأحقابِ ، أشردَ من نعامه ، وألزمَ له من طوقِ الحمامة ،
فهو يبغيني الغوائل ، ويبثُّ لي الحبال .

ومن شعره فيه :

أبا حسنِ ربيعةُ مِينِ سُلَيْمِ	سنانُ زانَ عاليةَ الرماحِ
وإني عائدٌ بكَ مِينِ هِنَاتِ	نَحْتَنِ دَعَائِمِي نَحْتِ القِداحِ
فكثُرَ على ابنِ عمِّكَ وانتشلتُهُ	فليسَ حميَ ابنِ عمِّكَ بالمباحِ
فإنَّ الجارَ عندكَ بينَ جنبي	عُقَابِ الدَّجْنِ كاسِرَةِ الجِناحِ

ومنها في المدح :

تُصَدُّ الخيلُ باسمِكَ في غَدِيرِ	على ظمِئِ عنِ الماءِ القَمَاحِ
تظنُّكَ طالِعاً بيني سُلَيْمِ	عليها عندَ مُفْتَضِّحِ الصَّباحِ
إذا ساورتَ قيرَنتَكَ في مَكْرَمِ	جعلتَ له ذِرَاعَكَ كَالوِشاحِ

فما انتفع بعلي بن وداعة . ولا كانت له فيه شفاعة .

وكان مخاطباً أيضاً هشامَ بنَ الحَكَمِ الخليفةَ في تلافِي خالِهِ . فما
أصغى له لزهده فيه وفي أمثاله . وعوجلَ عليُّ بنُ وداعةٍ وقُتيلَ في خبرِ

١ ص : كمتي .

٢ ص : وعولج .

طويل . فانسدتْ بابُ الفهمِ بقرطبة يومئذٍ وطَمَسَتْ العبيدِي العاقبونَ له رسمته . وأيسَ ذوو الأحسابِ منهم . فتنفروا شذَر مذرًا ، ولم يبق بها منهم مَنْ له خطَر . وتناصرتْ خِلالُ المكروهِ فيما بعدُ على صاعدٍ بارتجاجِ الفتنةِ . غلاءَ سِعْرٍ ورخصَ شعْرٍ ، حتى اختلَّ وعجزَ عن سترِ ولده وأهله . وبخلِ هشامٍ على ذلكِ كَلِّه بتسريحه والإذن له في الانطلاقِ عن الأندلسِ فترَقاً من خُبثِ لسانه . فخرجَ مُستخفياً وجازَ بشكطِيشَ على يدِ أبي زيدِ البكريِّ رئيسِها سنةَ ثلاثٍ وأربعمائةٍ ، فاتصلَ بصاحبِ صقليةٍ ، وفارقَ البؤسَ وراجعَ النعمةَ . ثم رجعَ إلى الأندلسِ إثرَ غلبَةِ سليمانَ والبرابرِ على قرطبةَ مُستخرجاً لمن تخلفَ بها من أهلهِ وولده . وتعرَّضَ أيضاً لمديحِ سليمانَ فما أُنجحَ معه ولا أفلحَ . وقد كانَ استطرفَ أوَّلَ دولتهِ ، فترثمه رثمانُ العلوقِ ١ ولم يتقره قرصاً لاستحالة عن فعلِ الجميلِ جُملة . ثم عجلَ الانكفاءَ إلى صقليةٍ ، وماتَ بها رحمه الله سنةَ عشرٍ وأربعمائةٍ .

قوله : « جعلت له ذراعك كالوشاح » أخذه من قول أسر يزيد بن الصَّعق ٢ :

١ العلوق : هي التي ترأم بأنفها وتمنع درتها ؛ أو هي لا ترأم الولد جملة ؛ وفي المثل : حاملنا
معاملة العلوق ترأم فتشم ، وقال أفنون التغلبي :

أم كيف ينفع ما تأتي العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالبن

٢ البيتان لقيس بن زهير العبسي ، انظر حماسة الخالدين ١ : ٩١ وورداً دون نسبة في البيان

٣ : ٢٤٦ والحيوان ٦ : ٤٢٥ وشرح ديوان زهير : ٥٤ ونقد الشعر : ٩١ والثاني

في العمدة ١ : ٣٠٢ . وانظر الذخيرة ٣ : ٣٨١

تركتُ الركابَ لأربابها^١ وأكرهتُ نفسي على ابنِ الصَّعقِ^٢
جعلتُ يَدَيَّ وشاحاً له وبعضُ الفوارس لا يُعْتَنَقُ^٣

ونُعقِبُ أخبارَ صاعدٍ بمصادرٍ ومواردٍ من أخبارِ ابنِ أبي عامرٍ ،
مسنوقةَ الأوائلِ والأواخرِ . مقيدةَ العيونِ والنوادرِ . ونُلَمَعُ بشيٍ من
من الأسبابِ التي ذكَّرتُ له الصَّعابِ . وأخضعتُ له الرقابِ . وإنما نعتمد
من الأخبارِ أشهرها بسوقاً . وأخصرها طريقاً . وأمستها بالأدبِ رَحِيماً ،
وأشبهها بغرَضٍ هذا الكتابِ أرضاً وسماً . وبحسبنا من دولةِ ابنِ أبي عامرٍ
أن ننقلَ نصَّ ابنِ حبانٍ : كيف طلعتْ نجومُها ، ومن أين نشأتْ غيومُها ،
ونُتلي ذلك كيف مالَ ظِلُّها واضطربَ حبالُها ، إذ أكثرُ ما يقال للحاضرِ
من أين طلَعَ ، وللغابرِ الدابرِ ما صنَع . ونهايةُ المُرادِ . علمُ الكونِ والفسادِ .

تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر من الأول إلى الآخر^٢

هو أبو عامر^٣ محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عامرِ بنِ أبي عامرٍ محمدِ بنِ الوليدِ
ابنِ يزيدِ بنِ عبدِ الملكِ المَعافِرِيِّ . وعبدُ الملكِ جَدُّهُ هو الداخلُ بالأندلسِ
مع طارقِ مولى موسى بنِ نُصَيرِ في أولِ الداخلينِ من المَغْرِبِ . وهو في
قومِهِ وَسَيْطُ .

١ حماسة الخالدين : النهاب لأربابه .

٢ مصادر ترجمته متعددة : نشير منها إل المعجب وأعمال الأعلام وابن عذاري ونفع الطيب
والجذوة : ٧٣ والحلة ١ : ٢٦٨ - ٢٧٧ وكتب التاريخ العامة كابن الأثير وابن خلدون... الخ

٣ انظر البيان المغرب ٢ : ٢٥٦ وما بعدها .

ونقلتُ من خطِّ ابنِ حيانَ قال^١ : انتهت خِلافةُ بني مروانَ إلى الحَكَمِ تاسعِ الأئمةِ فيها . فتناهتُ في السُّرورِ والحِلالَةِ والكمالِ والأبتهِ ؛ ونظمتُ رِوَاةُ الأَخْبَارِ وحَمَلَةُ الأَثَارِ من مناقِبِهِ ما طارَ كلُّ مَطَارٍ في جميعِ الأقطارِ ، إلاَّ أَنَّهُ - تَعَمَّدَ اللهُ خُطَايَاهُ - مع ما وُصِفَ من رِجَاحَتِهِ ، كان ممن استهواه حُبُّ الوَلَدِ وأُفْرَطَ فِيهِ ، وخالفَ الحِزْمَ في توريثِهِ المُلْكَ بَعْدَهُ في سنِّ الصِّبَا ، دونَ مَشِيخَةِ الإخوةِ وفِيتْيَانِ العَشِيرَةِ [٤٤] ومن يكْمَلُ للإمامَةِ بلا محاباةٍ ، فَرَطَ هَوَى ووهلةً انتقدَها الناسُ على الحَكَمِ وِجْدًا وها الجَنايَةَ على دَوْلَتِهِ . وقد كان يعيَّبُها على ولدِ العباسِ قبْلَهُ . فَأَتَاهَا هو مَخْتارًا ولا مردًّا لأمرِ اللهِ . وذلك أَنَّهُ نَفَسَ بِسُلْطَانِهِ على ثلاثةِ رجالٍ من إِخْوَتِهِ وولدِ الناصرِ : عبدِ العزیزِ شقيقِهِ والأصْبَحِ والمغيرةِ . مع جماعةٍ من ولدِ الخلفاءِ كهولٍ وشبانٍ ، ما فيهِمُ إلاَّ مضطربٌ للأمرِ قوياً عليه . فتخطى جماعتَهُمُ إلى ابنِهِ هشامٍ وهو في الوقتِ طفلٌ ما بلغَ الحُلُمَ .

قال ابنِ بسام^٢ : وحُدِّثتُ عن أحمدَ بنِ زيادٍ عن محمدِ بنِ وضَّاحٍ عن رجلٍ يتكلمُ في الحيدُثانِ أَنَّهُ قال : لا يزالُ ملكُ بني أميةَ بالأندلسِ في إقبالٍ ودوامٍ ما توارثتهُ الأبناءُ عن الآباءِ . فإذا انتقلَ إلى الإخوةِ وتوارثوه بينهم فقد أدبرَ وانصرفَ . فلعلَّ الحَكَمَ بهذا الخبيرِ توهمَ ، فجاذبتهُ عن إِخْوَتِهِ ؛ وإن كان ذُوو اللَّبِّ والنظرُ ، لا يلتفتونَ إلى مثلِ هذا الخبيرِ .

١ نقل المقرئ جانباً منه في نفع الطيب ٣ : ٨٥ .

٢ انظر المصدر السابق ٣ : ٨٦ .

رجع الخبر إلى ابن حبان^١ : وكان جوذراً وفائقاً فتتيا الحكم قد أخفيا موته . ودبراً على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة . وكان قال له فائق : " إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي . فقال له جوذر : ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ دولة مولانا ؟ ! قال له : هو والله ما أقول لك . ثم بعثا إلى المصحفي ونعياً إليه الحكم . وعرفاه برأيهما في المغيرة ، فقال لهما المصحفي : وهل أنا إلا تتبعكما وأنتما صاحبا القصر ومدبراً الأمر . ولكما الرأي فيما قبلتماه ؛ فأخذنا في تدبير ما رأياه . وخرج المصحفي وجمع حاشيته وجنده . ونعى إليهم الحكم وعرفهم مذهب جوذر وفائق في المغيرة ، وقال : إن بتقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا . وإن بدلنا استبدل بنا . فقالوا : الرأي رأيك . فبادر المصحفي ببعثه محمد بن [أبي] عامر مع طائفة من الجند وقتته إلى دار المغيرة لقتله . قال ابن أبي عامر : فألفيت المغيرة مطمئناً لا خبر عنده . فنعت إليه أخاه الحكم فجزع . وعرفته جلوس ابنه هشام في الخلافة . فقال : أنا سامع مطيع . فكتبت إلى جعفر بحاله وبالصورة التي ألفتته عليها من السلامة . فراجعني جعفر المصحفي وهو يقول : غررتنا ، اقض عليه وإلا وجهت غيرك من يقتله ! فقتل رحمه الله خنقاً . وكانت علة الحكم الفالسيح : وكان تقدمه عبد العزيز أخوه بمديدة . وتعطل أخوه الأصمغ ببطالة أزالته عنه الرهبة . فذهبت عن جعفر بن عثمان فيهما الحزة^٢ ، وتوفرت اهتمامه بعدهما بالمغيرة . وكان فتى القوم كراماً ورؤسلاً . وممن أشير نحوه بالأمر بأسباب باطنة ، فأخذ له أهيته ؛ فلما قضى الحكم نحبته ليلة

١ قارن بما أورده ابن عذاري ٢ : ٢٦٠ وما بعدها ، وما جاء في النفع .

٢ لعل الصواب : الحرة ، إشارة إلى الفيظ على سبيل المجاز .

الأحد الثالثة من صفر سنة ست وستين . بادر بالمغيرة على الصفة المذكورة .

وافتح المصحفي أمره بعد بإيثار النصفه . واطراح الكبر . وكان أول ما أتاه من ذلك صدر تقلده حجابة هشام - وقد رفع فيرأشه فوق فراش الوزراء أصحابه . وأبدل بالكتان الديباج على سالف العادة - أن قال : إني أستحي من أصحابي أن أتمهد أفضل من فرشهم . مع عجزني عن درك شأوهم . غير أننا نسلّم لأمير المؤمنين اختياره ، فإما يساوي بيننا في فرش كرامته . وإما أقرنا على الأمر الأول ولا كُفران لنعتمه . فأفرش للجميع . منذ زال فرش الديباج ، فرش الكتان ، فجرى عليهم الرسم إلى آخر الزمان . واستحسن فعل جعفر يومئذ وعند من [بُعد] غوره . وعول جعفر في سائر أوقات دولته على هذا النوع من السياسة . فلزم التواضع للناس . وأطلق لهم البشور والآن كنفه ووطناً خلّقه . ورأى أنهم بذلك يصلحون له . دون البذل لذات اليد والمواساة في النعمة ؛ فاستأثر بالأعمال . واحتجج الأموال ولم ينسبهم . وبني المنازل وهدمهم . وشج بالنسب وسخا بهم . وعارضه من محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرفي نقيض : بالبخل جوداً ، وبالاستبداد أثره . [و] باقتناء الضياع اصطناع الرجال . حتى غلبه عمّا قليل . وتحركت حال ابن أبي عامر لأول الدولة . وشارك في التدبير بحق الوزارة ، وتقوى على أمره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صُبْح أم هشام . وكانت حاله عند جميع الحرم أرفع الأحوال . بتقديم الاتصال . وحسن الخدمة . والتصدي لمواقع الإرادة ، وطلاقة اليد في باب الإلطاف والهدية . فأخرج له أمر الخليفة هشام إلى حاجبه جعفر في الاستعانة به

في التدبير والمشورة له في الأمور ، والاختصاص به على الجمهور . وكان جعفرٌ لمحمدٍ على بعض ما أريد منه ثقةً به وسكوناً إلى جهته ، فامتثل ما أمر به في ابن أبي عامر لغفلته ، وتزويد في برّه . وأشركه في سرّه وجهره . وانهمك^١ [٤٥] ابن أبي عامر في مغالطة جعفر ، وأراه أنه صاحبه الخاطئ لخاليه ؛ وعول جعفر على رأي محمد ، ووصل يده بيده ، واستراح إلى كفايته ، وابن أبي عامر يكثرُ به ويُضرب بين حسدته ، ويناقضه في أكثر ما يعاملُ به الناس ، ويُجعلُ إليهم بالبدل وقضاء الخوايج ، ويتقدمُ من المعالي إلى ما يُحججُ جعفرُ عنه ؛ يستضمُّ الرجالَ وجعفرُ يتدفعُهم . ويزيدُهم وجعفرُ ينقصُهم ، يظنُّ أنه كلَّ يجمله عنه ، فيا لك من جامعٍ لمحمدٍ ومُفرقٍ عن جعفرٍ ! إلى أن هوى نجمه وزال أمره .

وكان أولَ اتصالِ ابنِ أبي عامر بالحكم أَنه وُصفَ له فاستخلفَ على قضاءِ كورةِ ريبه . ثم تصرفَ في وكالةِ صُبْحِ أمِّ هشام . فاضطلع بكلِّ ما قلَّند ، استهوى هذه المرأةَ بحسنِ الخِدمةِ - وهي الغالبةُ على الحكم - فأزلفتَه . ووليَ الشرطَةَ والسكَّةَ والمواريثَ ؛ والسكَّةُ يومئذٍ أعلى الخُططِ في الإفادةِ . وقُرنَ له بهذا كلَّه القضاءُ باشييلية . فعلتْ حاله وعرضَ جاهه . وعمَّرَ بابُه في حياةِ الحكم . وهمتهُ ترتمي به وراء ما يناله من الدنيا أبعَدَ مرمى ، وهو في كلِّ ذلك يغدو إلى بابِ جعفرٍ ويروح . ويختص به ويتحققُ نصيحته . إلى أن أحظاه الخلدُ وساعده القضاء ؛ فأسقط جعفرًا . فلمَّا انفردَ بشأنه وتمكَّنَ من ساطانه ،

١ ص : وانتهك .

٢ ص : ويستعمل .

توثقَ لِنَفْسِهِ وَحَصَّنَ سِجَالَهُ ، وَرَمَى إِلَى الْغَرَضِ الْأَقْصَى مِنْ ضَبْطِ الْمَلِكِ وَالْحَجْرِ عَلَيْهِ وَالِاسْتِدَادِ دُونَهُ . وَامْتَثَلَ رَسْمَ الْمُسْتَغْلِبِينَ عَلَى سُلْطَانِ وَكَلْدِ الْعَبَّاسِ بِالْمَشْرِقِ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّيْلَمِ فِي عَصْرِهِ ، فَنَالَ بَغْيَتَهُ ، وَتَهَنَأَ مَعِيشَتَهُ ، وَأُورِثَهُ عَقِبَتَهُ بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ اقْتِدَارٍ عَلَيْهِ بِمَجْدٍ خَاصٍّ وَلَا صِيَالٍ بِعَشِيرَةٍ ، وَلَا مُكَائِرَةٍ بِمَالٍ وَلَا عِدَّةٍ ، بَلْ رَمَى الدَّوْلَةَ مِنْ كِنَانَتِهَا ، وَعَدَا عَلَيْهَا بِأَعْضَادِهَا ، وَانْتَضَلَّهَا بِمَشَاقِصِهَا ، وَأَنْفَقَ عَلَى ضَبْطِهَا أَمْوَالَهَا وَعُدَدَهَا ، حَتَّى حَوَّطَهَا إِلَيْهِ ، وَسَبَّكَهَا فِي قَالِبِهِ ، وَسَلَخَ رِجَالَهَا بِرِجَالِهِ ، وَعَفَى رُسُومَهَا بِمَا أَوْضَحَ مِنْ رُسُومِهِ ، وَأَسْقَطَ رِجَالَ الْحَكَمِ مِنْ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ : الْكُتَّابَ وَالْعُمَّالَ وَالْقُضَاةَ وَالْحُكَّامَ وَأَصْحَابَ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَمَزَقَهُمْ ، وَأَقَامَ بِلِزَائِهِمْ مِنْ تَخْرِيجهِ وَأَصْطِنَاعِهِ رِجَالًا سَدُّوا مَكَانَهُمْ ، وَمَحَّوْا ذِكْرَهُمْ ، أَعَانُوهُ عَلَى أَمْرِهِ .

وَأَوَّلُ أَعْرُورَةٍ فَتَضَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ مِنْ عُرَى الْمَلِكِ جَمَاعَةَ الصَّقَلْبِ ، اسْتَخْرَجَ مِنْهُمْ بِأَسْبَابِ الْمُضَادَرَةِ أَمْوَالًا جَمَّةً اسْتَأْنَرَ بِأَكْثَرِهَا ، وَتَتَبَعَ لِذَلِكَ كُتُبَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ وَقَتًا بَعْدَ آخَرَ ، وَتَقَسَّمَتْهُمْ أَيْدِي الْقَدَرِ نَفِيًّا وَقِتْلًا ، صَبْرًا وَغَلْبَةً ، سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، حَتَّى هَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ . وَاخْتَلَفَتْ مَقَاتِلُهُمْ بِحَسَبِ اسْتِيفَاتِهِمْ مُدَدَ أَعْمَارِهِمْ ، فَلَمْ يَنْصَحْ لِي تَارِيخُ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَتِهِ . فَكَانَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ أَوَّلَ مَنْ ظَهَرَ انْتِقَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِابْنِ أَبِي عَامِرٍ مِنْهَا ؛ فَكَانُوا جَبَّارِينَ قَاسِطِينَ فِي بِلَادِهِ ، مُتَمَرِّدِينَ عَلَى عِبَادِهِ ، فَأَرْسَلَهُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى هَذَا النَّمَطِ مِنْ خَلْقِهِ فَأَبَادَهُمْ ، وَنَجَّى أَهْلَ السَّلَامَةِ مِنْ سَوْرَتِهِ ، وَتِلْكَ عَادَتُهُ تَعَالَى فِي مَنْ نَكَبَ عَنْ سَبِيلِهِ .

١ قارن باین عذارى ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٢ - ٢٦٤ .

ذكر دفاع ابن ابي عامر العدو صدر الدولة وقيامه بالجهاد
دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك

قال ابن حبان^١ : وجاشت النصرانية بموت الحكم ، وخسرجوا
على أهل الثغور ، فجاء صرأخهم إلى باب قرطبة فلم يسجدوا عند جعفر
غناه ولا نصرة . وكان مما غرّب به بلجنيته وعظيم أفنته أن أمر أهل قلعة
رباح بقطع سدّ نهرهم آنة لغمقه وسوء دجلته ، يلتمس بذلك دفاع
العدوّ عن حوزته ؛ لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك مع وفور جيش السلطان
يومئذ وجُموم أمواله . فكانت من سقطات جعفر المأثورة ، فأنيف
ابن أبي عامر من تلك الدنيّة . وأشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد .
وخوفه سوء العاقبة في تركه ، وأجمع الوزراء على ذلك إلا جماعة
خاموا عنه ، فبادر ابن أبي عامر إليه ووعدّ من نفسه الاستقلال به على
أن يختار الرجال ، ويجهز لغزوته مائة ألف مشقال . فنهر بالجيش ودخل
على الثغر الحوفي إلى جليقية . فنازل حصن الحامة من أعمال رُدْمير .
فدخل ربضه وأفشى النكابة وغمم . وقتل ووصل الحضرة بالسبي
إلى اثنين وخمسين يوماً . فعظّم السرور وخلص الجند له ، واستهلكوا
في طاعته لما رأوه من كرمه .

حدثني أبي خلف بن حسين قال^٢ : تذاكرنا جُود ابن أبي عامر [٤٦] يوماً ،

١ انظر نفع الطيب ٣ : ٨٧ .

٢ يتابع المقرئ النقل في النفع ٣ : ٨٨ .

وبالحضرة محمد بن أفلاح غلام الحكم . فقال : عندي من جوده غريبة .
 أنكحت بنتي على عهد مولانا الحكم والحال بنا ضيقة . فاضطرت لما
 أصليح به حال الجارية إلى بيع لجام محلى ثقيل الوزن رديء العيار ،
 وكان عندي لزينتي أيام المراكب ، وتقاعد فيه التجار فانقطع بي أملي ؛
 فوقع في نفسي قصد ابن أبي عامر صاحب السكة للذائع من كرمه ،
 وأعظم رغبتي أن يضرب لي في السكة دراهم ، فقصده وعرفته رغبتي ،
 فسارع بأطلق وجه وقال : سير إليّ بدار الضرب ؛ فجئت وأوصلني
 إلى نفسه والدرهم المطبوع بين يديه . وأوماً إليّ فأخرجت اللجام وأنا
 خائف من صرفه لسقوط عياره . فوالله ما نظر إليه ولا عايره . وراطني
 والله باللجام بحدائده وسيره . فأخذت ما لم يتدر في وهمي أنني أظفر
 بمثله . وعظم ابن أبي عامر في عيني . وقمت عنه وحجرتي ملآن ولا
 أصدق بما حصلت عليه ؛ فجهزت بنتي وفضل لي شيء يكفيني ؛ وقل
 مولاي الحكم في عيني وأحبت ابن أبي عامر . حتى لو دعاني إلى معصية
 الحكم - وهو مالِك رقتي وإمامي - لما قعدت عنه .

مظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد بن أبي عامر
 ومظاهرته على المصحفي إلى أن أسقطه ومات في سجنه

قال ابن خيَّان^٢ : وكان بين المصحفي وغالب صاحب مدينة سالم

١ ص : جل ؛ وأثبت ما في النسخ .

٢ قارن بما في النسخ ٣ : ٨٨ .

شيخِ الموالي وفارسِ الأندلسِ غيرَ مُدافعٍ أشدُّ ما كان بين اثنين من
 العداوةِ والتقاطعِ . فأهمَّ المصحفيَّ شأنُهُ . وناظرَ الوزراءِ في ما بدا من
 ثقافتهِ في الذَّبِّ عن الثغرِ . فأشاروا باستصلاحه . وبادرَ بذلك ابنُ
 أبي عامرٍ لما أَراده من مُظاهرتِهِ . فلم يزلْ يقومُ بشأنِهِ ويخدمُهُ داخلِ
 الدارِ من قِبَلِ الحُرْمِ كعادتِهِ حتى تمَّ على إرادتِهِ . وخرجَ الإذنُ أنْ
 يُنهبَ غالبُ إلى ثنينا الوزارةِ ويُدبِّرَ جيشَ الثغرِ . وابنُ أبي عامرٍ
 جيشَ الحضرةِ . ثم خرجَ ابنُ أبي عامرٍ إلى غزواتِهِ الثانيةِ . واجتمعَ به
 وتعاقدوا على الإيقاعِ بجعفرٍ . وقفلَ ابنُ أبي عامرٍ غانماً ، وبعُدَ صيتهُ .
 فخرجَ أمرُ الخليفةِ هشامٍ بصرفِ المصحفيِّ عن المدينةِ ، وكانت في يدهِ
 يومئذٍ ، فخلَّفَ عليها ابنَهُ . فخرجَ ابنُ أبي عامرٍ نحوَ كُرسيةِها في ذلك اليومِ
 والخيلُ عليه . ولا خبَرَ عند جعفرٍ . وإنَّ ابنَهُ لجالسٌ مَجلسَها في
 أبتهتِهِ ، حتى صَعِدَ ابنُ أبي عامرٍ نحوهَ ، فوَلَّى ولدُ المصحفيِّ الدُّبُرَ ناكصاً
 على عقبيه ، وأتسعَ بدابتهِ ، وعاد إلى دارِهِ . ومَلَكَ محمدُ بنُ أبي عامرٍ
 البابَ بولايتهِ الشرطيةَ ، وأخذَ على جعفرٍ وجوهَ الحيلةِ ، وخلاه وليس
 بيدهِ من الأمرِ إلا أقلُّه . وكان ذلك - زعموا - بتدبيرِ غالبٍ معه عند اجتماعهما
 بالثغرِ ، وقال له : سيطيرُ لك ذِكْرٌ بهذا الفتحِ ويشغَلُ السرورُ أهلَهُ عن
 الخوضِ فيما تحدُّهُ من قيصَةِ ، فإيَّاكَ أن تَخْرَجَ عن الدارِ حتى يُعزَلَ
 جعفرٌ عن المدينةِ وتقلدَها ، ويزولَ أمرُهُ على البابِ والدارِ ويتمَّ عليه
 التدبيرُ حتى يُزالَ عن الحجابةِ . ففعلَ ذلك وضبطَ المدينةَ ضبطاً أنسى
 به أهلَ الحضرةِ مَنْ سلفَ قبلُ من الكُفافةِ أولي السياسةِ .

١ كذا ولعل صوابه « مثنى » كما هو الشائع عند الأندلسيين .

وانهمكَّ ابنُ أبي عامر في صحبةِ غالب ؛ ففطنَ جعفرٌ لتدبيرِ ابنِ أبي عامر عليه بعدُ من وهلتيه ، فكاتبَ غالباً يستصلحه وخطبَ أسماء بنته لابنه عثمان ، فأجابهُ غالبٌ لذلك . وكادت تتمُّ مصاهرته له . وبلغ ابنُ أبي عامر فقامت قيامتهُ ، وكاتبَ غالباً يخوفُهُ الخيلةَ ويهيجُ منه الخقدَ . وألقى عليه أهلَ الدار وكاتبوه فصرفوا غالباً ، ورجعَ إلى محمد بنِ أبي عامر وأنكحَ ابنته أسماء منه ، وتمَّ العقدُ له في محرمِ سنةِ سبعٍ وستين ، وأدخلَ السلطانُ تلكَ الإبنةَ إلى قصره وجهزَها إلى محمد بنِ أبي عامر من قبيلته ؛ فظَهَرَ كلُّ الظَّهور ، واستوثقَ له التدبير ، وصار عنده جعفرٌ لا شيء . إلاَّ أنه غالبتهُ زمنه إلى أن أحكمَ أسبابَ صبرِفه . واستقدمَ السلطانُ غالباً وقلدهُ خُطَّةَ الحجابةِ مُشترَكاً مع جعفر . ودخلَ ابنُ أبي عامر بأسماء بنته ليلةِ نيروز العامِ المؤرَّخ ، وكانت أعظمَ ليلةِ عُرْسٍ بالأندلس . وبلغ جعفر في ذلك رسالةً إلى السلطانِ حَسَّنةً في بابها تملِّقٌ فيها وتصنُّعٌ ، وهو قد أيقنَ بالنكبةِ ؛ وكفَّ عن اعتراضِ ابنِ أبي عامر في شيء من التدبير . وابنُ أبي عامر يُداهنه ولا يكاشفه ، وجعفر يشكُّ في أمره ، قد استولى عليه الإدبارُ والخيرةُ . فلم يصبَّ له رأيٌ ولا رويَّةٌ ؛ وانقبضَ الناسُ عنه ، وانثالوا على ابنِ أبي عامر ، إلى أن صار يغدو [٤٧] إلى قصرِ قُرطبةَ ويروحُ وحدهُ وليس في يده من الحجابةِ سوى اسمها ، وابنُ أبي عامر قائمٌ بشروطها ، ينصبُ الحبائِلَ لسقوطِ جعفر ، والأقدارُ السماويَّةُ تنجدُه . وكانت لله عندَ جعفر في إشارهِ هشاماً بخلافته ، واتَّباعه شهوةٌ نفسه وحفظُ دنياه ، وتسرعُه إلى قتلِ المغيرةِ لأوَّلِ وهلةٍ دونِ قِصاصِ جريرةٍ استدركتُه دونَ إملاء ، فسلطَ عليه من كانَ قدَرَّ أنَّهُ يتسلطُ على الناسِ باسمِهِ .

ولما اتفقت على جعفر هذه الأسباب ، جدَّ المقدارُ به وسخِطَ السلطانُ عليه وعلى ولديه وأنسابه وعلى أخيه هشامٍ وسائر طبقتيه ، وطولبوا بالأموال وأخذوا برفع حساب تصرفوا فيه لأول الزمان . وأخذهم ابنُ أبي عامر بالخروج عنها ، وتوصل بذلك إلى استئصال أموالهم وانتهاك حرمتهم وأبشارهم ، واجتثاث أصولهم . وكان هشام ابن أخي جعفر قد بلغ من حسادته لابن أبي عامر أن سرَّق له في غزاته الثالثة في طريقه رؤوساً للنصارى كانت تُساقُ للحضرة ، فنسَفِه فيها وأمر غلمانَه فصبَّوها في النهر ، فقامت قيامةُ ابن أبي عامر لذلك ، وكاشف آل عثمان من ذلك اليوم ؛ وتجردَ لإبادتهم فاستبليغ في مكروه هشام وعاجله بالقتل في المطبق قبل عمته جعفر ، فلما [قتل] استقصى ابن عامر مال جعفر حتى باع داره بالرُّصافة ، وكانت من أعظم قصور قرطبة . واستمرت النكبةُ عليه سنين ، مرة يُحبَسُ ومرة يُخلَى ويُقرُّ بالحضرة وتارة يسيَّر عنها ، ولا يُراح في الحالتين من المطالبة والأذى . إذا ستَّهم ابنُ أبي عامر إعناته وكنهه إلى غالب صهره فيتولى كِبْرَه ، ويُضعفُ عدايته . والأخبار عنهما في ذلك كثيرة . فلما بانَ عجزُ جعفر وضعفه أقرَّ في المطبق بالزهراء إلى أن وافاه^٢ هنالك حِمَامُه وأسلمَ مميئاً إلى أهله ؛ وما ترك الناسُ بعدُ أن عدَّوه في قتلى ابن أبي عامر ، وزعموا أنَّه دسَّ له شربةً سمَّ قُضت عليه . والله أعلم .

أخبرني محمد بن إسماعيل كاتبُ ابن أبي عامر قال^٣ : سِرتُ مع محمد ابن مسلمة ثقة ابن أبي عامر إلى الزهراء لنسليم جسد جعفر بن عثمان

٢ ص : وفاه .

١ النفع : ولا يراح له .

٣ يستمر النص في نفع الطيب ٣ : ٩٠ . وقارن صياغة ابن خاقان لهذا الخبر في المطبع : ٦

إلى أهله وننظر^١ إلى عَيْتِهِ . و سرنا إلى منزله وما غطى جسده إلا كساء
 خَلَقَ لبعض البوابين ألقاه على سريرهِ . ودعا له محمد بن مسلمة بغاسلٍ
 يغسِله على فردٍ بابٍ اختلَع من ناحية الدار . وخرجنا بنعشه وواريناه ،
 وما جَسَرَ أحدٌ شهودَه معنا سوى إمام مسجده المُستدعى للصلاة عليه
 ومن حضره من ولده . فعمِجتُ من عُدوان الزمان بعد تصريحه له . وإنَّ
 لي بالاعتبار بشأنه في الحالتين مع قُرب المدَّة لموعظة : وقفتُ له في طريقه
 من داره وقتَ علةِ الحكم . وقد تناهى أمرُه في الجلالة أرومُ أن أناولَه
 قِصَةً . فوالله ما تمكَّنتُ من الدُّنُو إليه لكثافة موكبه ، وأخذ الناس الطرُقَ
 عليه مسلمين وسائلين ، فانشيتُ حَسيراً مبهوتاً . فلم تطلِ المدَّة حتى سلبه
 ابنُ أبي عامر حاله وقبض عليه ، وجعل يحمله في الغزواتِ معه . وسرت
 في صحبةِ ابنِ أبي عامر فاتفقَ لي أن نزلتُ في بعض المنازلِ بجَلِيَّةٍ إلى
 جنبِ خِباتِهِ . وفي ليلةٍ نهى ابنُ أبي عامر عن وقودِ النار ليخفى على
 العدوِّ مكانه . فرأيتُ واللهِ عثمانَ بنَ جعفرِ يَسْقِي أباه جعفرأ دقيقاً قد
 خلطه بالماء يُقيمُ أودَه . والشيخُ يحسوه ويحرصُ عليه ، ضَعَفَ حالُ
 وعُدَمَ زادُ ، فلا أنسى تلك الموعظة . وما يغرُّ بالأيام إلاَّ ضعيفُ العقل .

وكان مهلكُ جعفر فيما أخبرني به أبي خلفُ بنُ حسين سنة اثنتين
 وسبعين .

ومما طُوبَ به جعفر مالُ الصقلبي جعفر . كان الحكمُ وقفه
 قبيل خالد بن هشامٍ وتورَّع عنه وأوصى أن يوزَّع في الكُور التي كانت

١ ص : والنظر .

إليه وقته : تَحَلُّلاً من مظالم أهلها . فأرجأه عند خالدٍ مُدَّةً إلى أن احتجَّ إليه فقبضه سرّاً . واندفع إلى جعفر وأخذ خالد بن هشام براءته منه ، فسئِل جعفرُ عنه . فقال : كنتُ خادم الرجل وصاحب سره فعمِلتُ برسمه : وإن رُجع في الاستدلال إلى زِمَامه الماضي الذي كنتُ أقيمتُ فيه الأموالَ الباطنةَ وُجدَ فيه ثبته . فجيء في ذلك اليوم بذلك الزمَامِ وقد قُطِعَ منه الدرَجُ الذي فيه ذكُرُ المالِ الباطنِ ووُصِلَ ما انقطع بذلك من الكلام بما بعده . وأرشد جعفر إلى هذه الوهلة : وحسبَ أن مع وجودها لا تلزمه الحجة . فعدلوا به إلى بيداء مُضَلَّة .

قال ابن حبان : ولما أمر بضمه إلى المُطَبَّقِ بالزهراء ودَّعَ أهله وولده وداعَ الفرقة . وقال : لستم تروني بعدها حيّاً . فقد أتى وقتُ إجابة الدعوة وأنا أرتقبه منذ أربعين سنة . وذلك أني أسرفتُ على فلان - رجل [٤٨] سَجَنَ بعهدِ الناصر - وما أطلقتُه إلا برؤيا . قيل لي : أطلِق فلاناً فقد أُجيبَتُ فيك دعوتُه ، فأطلقتُه وأحضرتُه وسألته : فقال : نعم . دعوتُ على مَنْ شارك في أمري أن يُحميته اللهُ في أضيقِ السَّجونِ . فعلمتُ أنها قد أُجيبَتُ . وندمتُ بحيثُ لا تُغني الندامة . فأطلقتُ الرجل . قالوا : فما لبثَ في محبسه إلا قليلاً وأُخرج ميتاً : فسُلِّمَ إلى أهله في أقبحِ صورة . وما زلتُ أسمعُ أنه قُتِلَ خنقاً ، واللهُ أعلمُ بالحقيقة . المُغضِي على مُحالٍ هذه الخليفة . انتهى ما لخصته من كلام ابن حبان في شأن جعفر بن عثمان .

وكان أحد من اجتمع له في ذلك الوقت نوعا البلاغة في النظم والنثر : وهو القائل في نكبته :

١ ص : المقضي على مجال .

لا تأمنن من الزمان تقلباً
ولقد أراني والليوث تخافني
حسبُ الكريم^٢ مدكّةً وتقيصة
وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها
إنّ الزمان بأهله يتقلب^١
وأخافني من بعد ذلك الثعلب
الآن يزال إلى لتيمم يطلّب
فالدهر يأتي بالذي هو أعجب

وحدث غير واحد أنه استعطف المنصور بهذه الأبيات^٣ :

هيني أسأت فأين الفضل والكرم
يا خير من مدت الأيدي إليه أما
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر
إذ قاذني نحوك الإذعان والندم
تترني لشيخ نعاه عندك القاسم
إنّ الملوك إذا ما استرحموا رحموا

فأجابه بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الخزيري^٤ :

الآن يا جاهلاً زلت بك القدام
ندمت إذ لم تفز منّا بطائفة
تبغي التكرم لما فاتك التكرم
وقدما ينفخ الإذعان والندم

ومنها :

نفسى إذا جمحت ليست براجعة^٥ ولو تشفع فيك العرب والعجم

١ الأبيات في النسخ ١ : ٤٢١ والمطمح : ٧ والحلة ١ : ٢٦٧ .

٢ ص : اللثيم ٥ وهو سهو .

٣ الأبيات في النسخ ١ : ٤٠٧ . ٦٠١ . ٦٠١ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ والحلة ١ : ٢٦٥ وقال

ابن الأبار : «هذه الأبيات متنازعة ينسبها إلى المصحفي جماعة ، وقد وجدتها منسوبة إلى ابن

دراج القسطلي . وذكر الرقيق أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب » (وانظر البيان

المغرب ١ : ١٣١) .

٤ نفع الطيب ١ : ٤٠٨ . ٦٠١ . ٦٠١ والحلة ١ : ٢٦٧ والبيان المغرب ٢ : ٢٨٦ .

٥ الحلة : إذا سخطت ليست براضية

وأخبرت أن المصحفي لما بلغ إليه هذا الجواب قال ١ :
لي مُدَّةٌ لا بدَّ أبلغُها فإذا انقضت أيتامُها مُتُّ
لو قابلتني الأسدُ ضاريةً والموتُ لم يتدنُّ ٢ . لما خيفتُ
فانظروا إليّ وكنْ على حدِّري فبمثلِ حالِكِ أمسٍ قد كنتُ

قال ابن بسّام : ومما يُروى للجعفر المصحفي عند ظهورِ ابنِ أبي
عامر عليه ، وانتزاعه ما كان من الحِجَابَةِ في يديه . وإفضائه به إلى هذه
الحالِ . من الهضم والاعتقال . قوله ٣ :

تندمت والمغرور من قد تندما وهل ينفع الإنسان أن يتندما
غرست قضيبياً خلته عود كرامة وكنت عليه في الحوادث قسيما
أكرمه دهرى فيزداد خيسة ولو كان من عودٍ كريمٍ تكرما

جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية .

قال ابن حبان : أول ذلك الوحشةُ الحادثةُ بين ابن أبي عامر والخليفة
هشام ووالدته صبح . والذي أثارها أسبابُ الحسد ودواعي المُنَافَسَةِ بين

- ١ النفع ١ : ٦٠٣ والحلة ١ : ٢٦٧ .
- ٢ الحلة : لم يقدر ؛ النفع : لم يقرب .
- ٣ منها بيتان في النفع ١ : ٦٠٣ .
- ٤ النفع . فيزداد خيشه .
- ٥ نقله المقرئ بإيجاز وتلخيص ٣ : ٩١ .

أهل القصر الهشامي والعامري ؛ وأشاعوا عنه أنه يريد أن يستبد بالأمر ،
فقام ابن أبي عامر في ركائبه لحدم حدثته . وعلم أنه أتى من حاشية
القصر ، وكان به عِدَّةٌ من الخدم ففرقهم ومزقهم . ولم يدع في خدمة
القصر إلا من استشعر له رهبة وهيبة . وأذكى العيون مع ذلك عليهم حتى
ملك نفوسهم . ثم نظر في شدّ الأموال المختزنة فيه منذ عهد الخلفاء .
ووصف أن أيدي الحرم تنبسط عليها .

قال ابن حيان : أخبرني ولد الخال من بعض ما كانت تفعله السيدة
صُبح مع أخيها رائق أنها أخرجت عند تمكن الوحشة بينهما وبين ابن
أبي عامر مائة كوز على أعناق الخدم الصقالية محتومة . قد صيرت
أشطارها مالا عيناً ذهباً وفضة . وموتت على ذلك كله بالمري والشهد
وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة المتخذة بقصر الحليفة . وكتبت على
رؤوس الكيزان أسماء ذلك . ومرت بصاحب المدينة فحسبها كما كتبت
عليها . وكان في تلك الكيزان ثمانون ألف دينار . فأحضر ابن أبي عامر
جماعة وأعلمهم أن الخليفة مشغول عن حفظها بانهاكها بالعبادة ،
وأن في تضييعها على المسلمين وعلى الدولة أعظم الآفة . فرأت الجماعة
أن كون الأموال بيد المنصور أسلم . وهو على حفظها أقدر وأقوم .
ثم نالته على ذلك بقبيلة عيلة طاولته فأرجفوا به . فانتقل ابنه عبد

١ ص : أرق .

٢ المري (muria) : أنواع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة منها المري النقيع والطيب
ومري الخبز ومري الحوت وبعض أنواعه يصنع من عصير العنب بالأفاويه دون خبز محرق
(انظر صفحات متفرقة من كتاب الطبخ ومفردات ابن البيطار ٤ : ١٤٩ وقاموس دوزي
مادة « مري » والحاشية ٤ ص ٩٢ من النسخ ج ٣) .

الملك إليه بالزاهرة ليُسفدَ الأمورَ عنه. فكشف أعداؤه وجوههم عند
 استحكام الإرجاف به. وراسلوا حاشية الخليفة هشام سرّاً. وجهزوا للقيام
 عليه. فلم يكن فيهم فضلٌ لذهاب أعيانهم [٤٩]. واشتدّ [ذلك] على ابن
 أبي عامر. فتقدّم إلى ابنه عبد الملك أن يعترض ألفي فارس من المُصطنعين
 للدولة والغلمان العامرين. وأن يسيّئوا معه بالزاهرة لإنفاذ العزيمة
 فيما رآه من حمل الأموال إليه. وأحكّم الأمر مع الفقهاء والوزراء.
 فركب ذلك الجيش من بين يديه يوم الثلاثاء الثالث من جمادى
 الأولى سنة ست وثمانين. فأتى قصر الخلافة بقربة. وأذن لمن وافى
 من الفقهاء والوزراء بالوصول إلى مجلسه. وشافهم في ذلك. فاعترف
 الملأ بفضل أبيه المنصور. فقال لهم عبد الملك: إن قوماً ميسرّ يتصلّ
 بأسباب الخليفة هشام يؤثرو الفتنة ويكرهو الدعوة. فأنكرت الجماعة
 ذلك. وأحبّ عبد الملك الوصول بهم إلى مجلس هشام ليشافهوه بهذه
 الكروب العظام. فكتره هشام ذلك وامتنع منه وتبرأ منه أعداء ابن أبي
 عامر: وانصدع جمعهم على انتقال المال. فنقل في ثلاثة أيام حتى
 استنفد جميع ما ظهر عليه من بيت المال، وتعذر ما كان بجوف القصر
 من بيت مال الخاصة: ودافع عنه أهل الدار لقيام السيدة أم هشام
 دونه. أخبرني أبي بعظيم ما شاهدته من صرامة تلك المرأة لابن أبي عامر
 وولده ورميها لهما بكل عزيمة. وعبد الملك يومئذ ساكت يتجرّع
 غضبه. لا يرد كلمة. فبلغ عبد الملك رغبته، وانكفأ إلى أبيه بالزاهرة.
 بعد أن ثقّف القصر. فسكن جاش ابن أبي عامر بإحراز تلك الأموال.

١ ص : ورميه .

وكان جُملةُ ما حُمِّلَ - زعموا - من الورقِ خَمسةَ آلافِ دينارٍ
دراهمٍ قاسِميةٍ . ومن الذهبِ سبعمائةِ ألفِ جعفريةٍ .

ثم استبَلَّ المنصورُ ، ووَصَلَ إلى مجلسِ الخليفةِ هشامٍ مع ابنِهِ عبدِ
الملكِ وسائرِ عُظماءِ الدولةِ ، فخلا هشامٌ مع ابنِ أبي عامرٍ واعترفَ له
بالفضلِ والاضطلاعِ بالدولةِ ، فخرَّستُ ألسنةُ الحسدةِ . وعلمَ
المنصورُ ما في نفوسِ الناسِ لظهورِ هشامٍ ورؤيتهم له ، إذ كان مِنْهُمْ
من لم يره قطُّ ، فأبرزه للناسِ وركبَ ركبتهُ المشهورةَ ، وقد برزوا
له في خلقٍ عظيمٍ لا يحصيهم إلا مَنْ أَحصى آجالهم ، في بهجةٍ ولبوسٍ
وهيئةٍ . مُعتمداً على الطويلةِ ، سادلاً للذُّؤابةِ ، والقضيبُ في يدهِ ،
زِيَّ الخلافةِ ، وإلى جانبه المنصورُ راكباً يسايرُهُ ، وقد آماه الحاجبُ عبدُ
الملِكِ راجلاً يمشي . ويسيرُ الجيشُ أمامه ، ومِنَ المواكبِ وطوائفُ
الجنودِ والغلمانِ والفتيانِ القَصَصِيِّينَ والعامريينَ ما عَجِبَ من كثرتهم .

وفاة المنصور بن أبي عامر

قال ابنُ حيان^١ : وخرجَ المنصورُ إلى الغزاةِ ، وقد وقعَ في مرضِهِ
الذي ماتَ منه في صفر سنةِ اثنتين وتسعينَ وثلاثمائةٍ . واقتحمَ أرضَ
جَلَيْقِيَّةَ مِن تِلْقامِ مدينةِ طُلَيْطَلَةَ . ومرضُهُ يُخَفُّ وقتاً ويثقلُ
وقتاً . ونفذَ على عَمَلِ بني غومَسَ إلى أرضِ قَشْتِيَاةَ ، بلدِ شَانْجِه

١ قارن بالفح ٣ : ٩٣ .

بن غرسية . وهو كان مطلوبه الذي ألب عليه الجماعة . فأحل الغارات بأقطاره فقويت عليه العلة هنالك . فاتخذ له سرير خشب ودع عليه أعضائه ، وسوي مهاده متطاول الشكل يمكنه الاضطجاع عليه متى خارت قواه . وكان يحمل سريره على أعناق الرجال . وسجفهُ منسدل عليه ، وعساكره تحف به وتطيع أمره . وكان يحمل بين يديه شراع خفيف منصوب ينقل على الأيدي ، فإذا حركته الخلفة أنزل سريره إلى جنب الشراع ليقتضي ما به من حاجة ؛ وتناول وضوءه جاريتان من قواميه كان حملتهما في غزاته ، فكانتا تسيران وسط الفتيان . وما كان بين نزوله واستقلاله إلا الفترة لقوة الخلفة . بذلك قطع أربعة عشر يوماً حتى وصل إلى مدينة سالم . وكان هجر الأطباء في علية تلك لاختلافهم فيها . واقتصروا على أوصاف كاتبه البخيري عبد الملك . وأيقن هنالك بالموت ، وكان يقول : إن زمامي يشتميل على عشرين ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالاً مني ؛ وددت أن أقال زلتني وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريري . وكان تحمل سريره السودان الرقاصة ليلين مشيهم ، وكان يتأذى بصنان ربحهم مع ما كان حوله من الطيب . فاشتغل ذهنه يومئذ بقربطية وهو بمدينة سالم وقد أيقن بالوفاة . فأمر ابنه عبد الملك بالنفوذ لشدها في طائفة من ثقات غلمانيه بعد أن أوصى كلهم أشتاتاً وجماعة . ثم خلا بولده عبد الملك يوصيه ويودعه ويقبض على يده . وكلما ذهب عنه استردته مستدركا بوصيته . وعبد الملك يسكي فيسكر ذلك عليه ويقول : هذا

١ ص : الحلية ؛ والخلفة : الهیضة ، وهي فساد المعدة من الطعام يقال : أخذته خلقة إذا كثرترده إلى المتوضأ للرب معدته من الهیضة .

أولُ العجزِ والفشلِ : إلى أن قضى وطرهُ مما بينهُ وبين عبد الملك .
وأمرهُ أن يستخلفَ أخاه عبد الرحمنَ على العسكرِ إلى أن يُنفذَ حُكْمَهُ
فيه . وخرج عبدُ الملكِ إلى قُرطُبةَ ومعه القاضي ابنُ [٥٠] ذكوانَ فدخِلها
في صدرِ شوال من العامِ . فسكّنَ الإرجافَ بموتِ والديه . وعرفَ
الخليفةَ كيف ترَكتهُ .

قال ابنُ حيان ١ : قال لي أبي خلفُ بن حسين : ووجدَ المنصورُ
بعضَ الراحةِ . وأمرَ أن تدخُلَ عليه جماعةُ فدخِلتُ في جُمُلتِهِم ودنوتُ
منهُ وهو كانَ خيالَ لا يُسِينُ كلاماً . وأكثرُ عملِهِ بالإشارةِ كالمسلمِ
المودعِ . وخرجنا فكانَ آخرَ العهدِ به . وماتَ ليلةَ الإثنينِ لثلاثِ بقينِ
لرمضانَ من العامِ المورخِ ، وعلينا في العسكرِ عبدُ الرحمنِ ابنُهُ فعزَّيناهُ ؛
وكان أوصى أن يدفنَ حيثُ يُقبَضُ ولا يُنقلُ تابوتُهُ . فدُفِنَ في
قصرِهِ بمدينةِ سالمٍ . ورأوا أنه اختارَ اللهُ له . إذ كانت من أطيبِ ما
بناه رحمه الله .

وتلوّمَ ابنُهُ عبدُ الرحمنَ بالعسكرِ مدّةَ الأسبوعِ وهو ينتظرُ
رأيَ أخيه عبدِ الملكِ في القُفولِ ، والغلمانُ يضطربونَ عليه وطَمِعوا
في ردِّ الدولةِ . فقال لهم عبدُ الرحمنِ : اصبروا . فكشَفوا ما في أنفسهم
له . وقالوا : ولانتما نحن في حِجْرِ آلِ أبي عامرِ الدهرَ الداهِرِ؟ ! نلحقُ
بابِ مولانا الخليفةِ هشامٍ ولا نندبُ إلا بأمرِهِ . فتقدّمتُ إلى قرطبةَ منهم
نحو سبعمائةٍ منهم عبيدُ الله بن بدرٍ . ثم جاءه بعدُ إذنُ أخيه . فقدمَ
هو بسائرِ العسكرِ . وتجددَ يومَ وردِ قرطبةَ من الحُزنِ بابنِ أبي عامرٍ ،

وحركته خدامته ، وقبائه قد ألبست المسوح والأكسية بعد الوشي
والحبر ، ما لا شيء فوقه .

أخبرني أبي قال : سمعتُ محمد بن أبي عامر يوصي ابنه عبد الملك في
مرضته تلك ويقولُ في جملة كلامه : يا بني . لست تجدُ أنصح لك
مني فلا تُعدن مشورتي : قد جردتُ لك رأبي ورويتي على حين اجتماع
من ذهني ، فاجعلها مثلاً بين يديك . قد وطأتُ لك مهاد الدولة ،
وعدلتُ لك طبقات أوليائها . وغايرتُ لك بين دخل المملكة وخرجها .
واستكثرتُ لك من أطعمتها وعددها . وخلصتُ جبايةً تزيد على ما
ينوبك بالحيشك ونفقتك : فلا تُطلسق يدك في الإنفاق . ولا تقيدض
لظلمة العمال . فيختل أمرك سريعاً . فكلُ سرف راجع إلى اختلال
لا محالة . فاقصد في أمرك جهداً . واستثبت فيما يرفع أهل السعاية
إليك . والرعيّة قد استقصيتُ لك تقويمها . وأعظمُ منها أن تأمن البادرة
وتسكن إلى لين الجنبه . وصاحبُ القصر قد علمتُ مذهبه . وأنه لا
يأتيك من قبيله شيءٌ تكرهه . والآفة ممّن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه .
فلا تنم عن هذه الطائفة جملة . ولا ترفع عنها سوء ظنٍّ وتهمة . وعاجل
بها من خيفته على أقل بادرة . مع قيامك بأسباب صاحب القصر على أمم
وجه : فليس لك ولا لأصحابك شيءٌ يقيمكم الحينث في يمين البيعة إلا
ما تُقيمه لوليها من هذه النفقة . فأما الانفراد بالتدبير دونه مع ما بلوته
من جهاه وعجزه عنه . فإني أرجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب
والسنة . والمالُ المخزون عند الدتلك هو ذخيرة مملكيتك . وعدة
لحاجة تنزل بك . فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبدلها
إلا عند الشدة تخاف منها على سائر جسدك . ومادة الخراج غير منقطعة

عنك بالحالة المعتدلة . وأخوك عبدُ الرحمنِ قد صيرتُ إليه في حياتي ما رجوتُ أني قد خرجتُ له فيه . عن حقه من ميراثي ، وأخرجته عن ولايةِ الثغرِ لثلاثِ يجدِ العدوِّ مَسَاغاً بينكما في خلافِ وصييتي فيُسرع ذلك في نَقْضِ أمري ، ويَسْجِلِبَ الفاقرةَ على دولتي . وقد كَفَيْتُكَ الخيرة فيه فاكفه الخيفَ منك . وكذلك سائرُ أهليكَ فيما صنعتُ فيهم بحسبِ ما قدرتُ به خلاصي من مالِ الله الذي في يدي . وخيلافتُكَ بعدي أجدي عليهم ممثلاً صرفته ؛ فلا تُضَيِّعْ أمرَ جميعهم . والحظُّ بهم بعيني . فإنك أبوهم بعدي . فخرِّجْ ذكورهم باستخدامِكَ ، والخيفُ لأنهم جناحتك ، جبرَ الله جماعتهم ، وأحسنَ الخلافةَ عليكم . فإن انقادتْ لك الأمورُ بالخضرةِ فهذا وجهُ العملِ ، وسبيلُ السيرةِ ، وإن اعتاصتْ عليك فلا تلقينَ بيدك إلقاءَ الأمةِ ، ولا تطيبكِ ، وأصحابك السلامَةُ فتنسوا ما لكم في نفوسِ بني أميةٍ وشيعتهم بقرطبة . فإن قاومتَ من توثبَ عليك منهم فلا تذهلِ عن الحزمِ فيهم . وإن خيفتَ الضعفَ فانتبذِ بخاصتك وغلمانك إلى بعضِ الأطرافِ التي حصنتها لك . واختبرْ غدك إن أنكرتَ يومك . وإياك أن تضعَ يدك في يدمرواني ما طاوعتكَ بناتك ، فلني أعرفِ ذنبي إليهم .

قال : وسمعتُه يقول لِعِلمانيه عند هذه الوصية : تنبّهوا لأمركم . واحفظوا نعمةَ الله عليكم : في طاعةِ عبدِ الملكِ أخيكُم ومولاكم . ولا تغرّنكم بوارقُ بني أمية ، ومواعيدُ مَنْ يطلبُ منهم شتاتكم . وقدروا ما في قلوبهم وقلوبِ شيعتهم بقرطبة من الحقدِ عليكم . فليس يرأسُكم

١ ص : تنظر بك .

بعدي أشفقُ عليكم من ولدي. وميلاكُ أمرِكُم [٥١] أن تنسوا الأحقادَ وأن تكونَ جماعتُكم كرجلٍ واحدٍ . فإنه لا يُفعلُ فيكم . وما زال يُكرّر هذا وشبهه لطائفةٍ بعد أخرى حتى ضَعُفَ وشُغِلَ بنفسِه .

قيام عبد الملك ابنه بالدولة

ولما وردَ النباُ بموتِه ركبَ عبدُ الملكُ إلى هشامٍ ونعى إليه المنصورَ أباه ، فأظهرَ الإشفاقَ . وعرفه بما اضطربَ من أمرِ الفتيانِ وعصيانهم : فخرجَ هشامٌ وأمره بتدبيرِ أمرِهِم بحسبِ ما يستقيمُ به أمرُ الدولةِ . وحذره مُواجمةَ الدماءِ وتلقيحِ الفِتنَةِ . وخلعَ عليه ، وأخرجَ معه كتابَه بولايةِ الحِجَابَةِ مكانَ أبيه ، وقُرِئَ على الكافّةِ . وأنشئ به الكُتُبُ إلى الأقطارِ . وعاقبَ بعضَ الفِتيانِ العاصينَ . وأخرجَ بعضهم إلى سبْتَةِ . فما قَتَلُوا عنها إلاَّ عندَ وثوبِ المهنديِّ بنِ عبدِ الجبَّارِ على الدولةِ العامريّةِ . ثم وافى العسكرُ الكبيرُ مع أخيه عبدِ الرحمنِ . واجتمعَ الشملُ ، وتمكّنتِ الطاعةُ . وأيسسَ الأعداءُ من دولةِ بني عامرٍ . وعلموا أنّها وراثَةٌ .

وأسقطَ عبدُ الملكِ سُدُسَ الحِجَابَةِ لأوّلِ ولايتهِ في جميعِ أقطارِ الأندلسِ عن الرعيّةِ . فراقَتُ أيّامُه ، وأحبّه الناسُ سرّاً وعلانيةً . وانصبَّ الإقبالُ والتأييدُ عليه انصباباً لم يُسمعَ بمثلهِ . وسكنَ الناسُ منه إلى عَفَافٍ ونزاهةٍ نفسٍ . فباحوا بالنعمةِ . وأخذوا في المكاسبِ والزينةِ من المراكبِ والملابسِ والقيانِ . حتى سمّتُ أثمانُ هذه الأشياءِ في مُدَّتِه . وبلغتِ الأندلسُ في أيّامِه إلى نهايةِ الجَمالِ والكمالِ وسعةِ

الحال . في كَتَفِ مَلِكٍ مُقْتَبِلِ السَّعْدِ . مَيِّمُونَ الطَّائِرِ ، غَافِلٍ عَنِ
 الْآيَاتِ . مَسْرُورٍ بِمَا تَسْنَفُ فِيهِ رَعِيَّتُهُ مِنْ زُخْرَفِ دُنْيَاهَا . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ
 عَلَى حُبِّهِ . وَنَجَا مِنَ الْفَيْتِنِ . وَأَخْبَارُهُ فِي ذَلِكَ مَأْثُورَةٌ . وَكَانَ عَلَى أَهْلِ
 الْأَنْدَلُسِ أَسْعَدَ مَوْلُودٍ وَوَلِيدٍ . بَلَغَنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ فَارَسِ الْبَصْرِيِّ الْمُنْجَمِ
 زَعِيمِ الصَّنَاعَةِ بِهَا عَلَى عَهْدِ الْحَكَمِ أَنَّهُ نَظَرَ فِي مَوْلِدِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا
 وَهُوَ طِفْلٌ فَأَشَارَ مِنْ بَعْدِ سَعَادَتِهِ إِلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ لَمْ يُدْرِكْهُ هُوَ آخِرُهُ .
 فَعَجِبَ مِنْ شَاهِدَةٍ مِنْ جَوْدَةِ إِصَابَتِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يُؤَلِّدْ قَطُّ
 بِالْأَنْدَلُسِ مَوْلُودٌ أَسْعَدُ مِنْهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى نَفْسِهِ وَحَاشِيَّتِهِ . نَعَمَ . وَعَلَى
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ طُرّاً . وَعَلَى أَرْضِهَا فَضْلاً عَنْ نَاسِهَا . وَأَنْتَ لَا تَزَالُ
 بَخِيرَ حَيَاتِهِ . وَإِذَا هَلَكَ مَا أَرَاهَا إِلَّا بِالضَّدِّ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : سَمِعْتُ
 هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ابْنِ فَارَسٍ مِنْ غَيْرِ مَا طَرِيقٍ . فَكَانَ كَمَا قَالَ . لَقَدْ حَدَّثَ
 بِالْأَنْدَلُسِ إِثْرَ مَهْلِكِهِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنْ أَحْيَا النَّاسِ . فَإِذَا كَانَتْ الْحَرْبُ عُمُومًا مِنْهُ
 الْأَسَدُ الْمُحَرَّبُ فِي بَرَائِنِهِ حَظْمًا وَشِدَّةً . مِنْ رَجُلٍ عَدِيمِ الْفَهْمِ
 وَالْمَعْرِفَةِ جُمْلَةً . صِفْرٍ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّعَالِيمِ . حَتَّى مَا كَانَ يُسَايِرُهُ وَيُنَادِمُهُ
 إِلَّا الْعَجْمُ مِنَ الْجَلَالِيَّةِ وَالْبَرَابِرَةِ مِمَّنْ لَا يَنْهَشُ لِسَمَاعٍ . وَلَا يَطْرُبُ
 لِإِيْقَاعٍ . فَارْتَفَعَتْ بِذَلِكَ عَنْ مَجَالِسِ لَهْوِهِ طَبَقَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَقَوَّضَ عَنْهَا
 كُلُّ فَاضِلٍ وَعَالِمٍ . وَاعْتَاضَ مِنْهُمْ بِجُفَاءِ الْبَرَابِرِ وَالْأَعَاجِمِ . إِلَّا أَنَّهُ
 مَعَ زُهْدِهِ فِي الْأَدَبِ تَمَسَّكَ بِمَنْ كَانَ اسْتَخْلَصَهُ أَبُوهُ مِنْ طَبَقَاتِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ
 مِنْ خَطِيبٍ وَشَاعِرٍ ، وَتَدَبَّرَ وَشِطْرَ نَجِيٍّ . وَمُعَدَّلٍ وَتَارِيخِيٍّ وَغَيْرِهِمْ ،

١ ص : لم يدرك هو وأخوه ، والتصويب عن الحلة ١ : ٢٧٠ .

حفظاً لصنائع والده وقياماً برُسوميه^١ . فقررهم على مراتبهم . ولم ينقصهم سوى الفوز بخصوصيته . وكانت تُرفع إليه بطائق أهل الشعر ويصلهم على تساهلهم في مديحه لأمانهم من نظره فيها . وأحرز لهم مع الفائدة عفو القريحة . وذلك بين لمن تأملته في أشعار مادحيه لفتورها .

ثم أغرق عبد الملك النزع في دولته ، وانهمك في طلب الآلات الملوكية حتى جلب إليه من ذلك كل عائق خطير ، وتأنق في مراكبه هو وأصحابه بالحلية التامة بخالص التجين . عهدي به يوم فصوله لغزوته سنة ثمان وتسعين التي احتفل فيها لشائجه بن غرسية . واستكثر فيها من العدة والعدد ، فبرز على جواد من مقرباته^٢ المنسوبة ، بأفخم تلك المراكب المسلسلة . وللبوس درع فضية مطرزة بالذهب . وعلى رأسه خوذة^٣ مئمنة الشكل . محددة الرأس . مرصعة الطرُق بدر فاخر ، واسطته حجر ياقوت أحمر مرتفع القيمة . قد لزم وسط الجيش ، وطرح الشعاع على سنية وجهه . فما رأى الناس بعده ملكاً يعدلته في البهاء والبهجة .

وكانت مما راقت به دولته في الجمال ما تلاحق فيها [٥٢] [من] غلمان أبيه العامريين الناشئين في دولة المنصور ، وكان قد وفتر عنايته بهم . وجد في تدريبهم ، ووقف حذائق المناققين^٥ على تخريجهم . فأثمر

١ ص : لرسومه .

٢ ص : مفرياته .

٣ ص : حزرة .

٤ ص : الناسين .

٥ المناقون : الذين لديهم مهارة في المناجزة بالسيوف .

غرسهم ، وأمكن جناتهم . وراقت جملتهم في الفروسية والرمية ،
وبلغوا ألفي غلام .

وانهمك أيضاً في اصطناع البرابرة العُدويين ، ودعا القبائل منهم إلى
الدخول إليه والخدمة له . وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري
ابن سَناد الصنهاجي عم أبي المعز بن باديس بن منصور صاحب إفريقية وصاحب
الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته . وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له
بالدخول إلى الأندلس حذراً من دهبه ومكره وبعده صيته في المغرب . فأضرب
عبد الملك عن الفكر في شأنه^١ وطلب السمعة باستخدام مثله ، فأدخله بمن
معه من إخوته ، وهم من سعة النعمة وبعده الهميم واستصغار الرغائب فيما يكون
عليه أشباههم من أبناء الملوك . فاستقلوا ما وصلهم به عبد الملك على كثرته ،
وما استقر^٢ [وا] الدار إلا على قلعة . ولا [. . .] معروفهم^٣ ، ولا ليسوا
أعالي المراتب السلطانية إلا على ابتدالٍ ومحقرة . ولا قَطَعُوا أمدَ المُقامِ
بالأندلس إلا بذكر الرخلة والتماس التسريح بكرة وعشية . جهلاً
وقرط أنفة ، والأقدار موكَّبة^٤ بثني عزم عبد الملك عن إسعافهم
بسراحيهم لئلا كان قدره - عز وجهه - من الفيتنة وتفريق شمل
الأندلس بأشباههم . فلم يخرجوا عنها إلى أن قاموا على الجماعة ، وشغبوا
عليها بعد عبد الملك . وكان شيخهم زاوي أول دخوله الأندلس يُظهر
[من] أنواع البير والبشير للناس ما لا شيء فوقه . وكان شأنه في الدهني

١ ص : في الفكر عن شأنه .

٢ الجملة ناقصة ولعلها أن تكون في الأصل : ولا قبلوا معروفهم إلا على نية الرجعة ، أو
شيئاً شبيهاً بذلك .

والمكر والحلافة عجباً . وكان يرجعُ في إقامة ما اعتاده من سعة إنفاقه إلى ما جاء به من بلده من عقودٍ وذخائر . فيبيعُ من ذلك النفيسَ والخطير . وربما اشترى من ذلك عبدُ الملك فيزيد في حسرته . وكان عبدُ الملك [رأغباً] في رفعة منزلته . وولاه^٢ الوزارة أرفعَ خططِ أصحابِ السلطان بالأندلس . ووصل إليه الرسولُ بالصَّكِّ في ذلك وطلب أن يصله عليه . فقال : لو جيئتنا بمالٍ لأسهمناك ، وإنما [خطبتنا الامارة]^٣ لا الوزارة ، وأقلامنا الرماحُ . وصحائفنا الأجسادُ^٤ . ولم يمتنع عبد الملك مع غطرسة زاوي هذا من إقامة الحدِّ على من وجبَ عليه من أهله : عدا ابنُ أخيه على مولى لهم فقتله فأقاده عبد الملك حينه ، وأسلمه أهله السيفَ فضربت عنقه على قتيله ذلك . بمقبرة كلاعٍ بمشهدٍ عظيمٍ من الناس ، وأسلمت جثته إلى أهله . ونسبَ الأندلس بعدُ بأخي زيري أبيه فقوض عنها أول المقوضين من صنهاجة بسراجٍ من عبد الملك .

قال ابنُ حبان : وانبسطت حاشية الخليفة هشامٍ على عبد الملك طول مدته في جميع أحوالها ، فحملهم على مرادهم . وانهمك هشامٌ طول أيامه فلم يظهر وقتاً فيها ، ولا شهد صلاةً ، واحتجب في نزهه الباطنة على رسمه في أيام أبيه المنصور . وبلغه منها عبد الملك بغيتته ، وجعل يخرج به

١ ص : إل .

٢ ورد جانب من هذا النص في مخطوطة الرباط (رقم : ١٢٧٥) ص : ١٥٤ .

٣ ما بين معقوفين زيادة من مخطوطة الرباط .

٤ زاد في المخطوطة : أحمل قرطاسك لا حاجة لي به ، فبلغ ذلك المظفر فحقدما له ، وقطع عنه البراية ، فأخرج من ذخائره أعلقاً نفيسة وذخائر عظيمة القدر فباعها وأنفقها على قومه صنهاجة ، وربما اشترى منها المظفر في خفية .

منها مع حُرْمه مستخفياً بعد طرد الناس عن طريقه . فيضربُ به إلى كلِّ ناحيةٍ . ثم يعود إلى قصره . ونال في مدَّة هذا الانهماكِ والدَّعة أهلُ الاحتيال من الناس عندهم الرغائب النفيسة ، بما ازدلقوا به من أثرِ كريمٍ ، أو زخرفوه من كذبٍ صريحٍ . حتى لقد اجتمع عند نساء القصر ثمانيةُ حوافرٍ عُرِّيَ جميعها إلى حِمَارِ عُرِّيِّيرِ المُسْتَحْيِي بِالآيَةِ الباهرة ، واجتمع عندهنَّ من خشبِ سفينةِ نوح عليه السلام وألواحها قطعة ، وظنَّفِرَن من نَسْلِ غَنَمِ شُعَيْبٍ عليه السلامُ بثلاث . وكَلِيفَنَ من هذا ومثله لعَفْتَهَنَ زُهْدِ صاحِبهنَّ بأشياء توجَّهتْ على أموالهنَّ من قبلها أعظم حيلة ، ولتَهَجَنَ مع ذلك بطلبِ ذوي الأسماء الغريبةِ من الناس . الموافقةُ أسماؤهم لمن اجتباهُ اللهُ من خَلْقِهِ . مثل عبدِ النور وعبدِ السميع وعبدِ اللطيف وعبدِ المؤمن وحزبِ الله ونصرِ الله وفضلِ الله . ومثل ياسينَ واليسعَ ومَن جَانَسَهُ . يَصِيرُ الرجل من هؤلاء في الحاشية ، ويُسْتَعْمَلُ على وكالةٍ جهةٍ ، ولا يَبْعَدُ أن يتموَّلَ في أقربِ مدَّةٍ ، وإن اتَّفَقَ مع ذلك أن يكون ذا لحيَةٍ عثولِيَّةٍ^١ . وصاحبَ سِيَالٍ وهامةٍ . فقد تَمَّتْ له السعادة ، ولا سيما إن كانت لحيته حمراء قانية . فإنَّها أجدى عليه من دارِ البَطِيخِ غَلَّةٍ ، ثم لا يُسألُ عمَّا وراء روائه من أصل ولا فضيلةٍ ، ولو كان مُرَدِّدًا في بني اللخناء^٢ ، وعارياً من جميع الخصال ، والأخبار في مثل هذا عنهن كثيرةٌ [٥٣] مأثورة . فباهتُ حُرْمُ هِشَامٍ بِمِثْلِ^٣ هذه المعاني الشاذَّة ، وبذلنَّ [من] الأموال في التماسيها بما لم يُسْمَعْ مثلها . ولم تزل الدولة

١ ص : عثولية ؛ ولحية عثولة : ضخمة ، والعتول : الكثير شعر الجسد والرأس .

٢ من قول الشاعر : « مررد في بني اللخناء ترديدا » .

٣ ص : من مثل .

تزدادُ انهماكاً إلى أن ماتَ عبدُ الملك ، وكتبَتُ كَبُورَةً لم تَسْتَقْبَلِهَا
آخرَ الدهرِ :

قال ابنُ حَيَّانَ : وكانت ولايةُ عبد الملك و فِرَقُ النصرانية بأسرها
منتقِضَةً ، وعهدُها قريبٌ بالاجتماعِ على المسلمين . وأطماعها بموت
حتفِئِها المنصور ثابتة . وكانت الأفرنجيةُ في آخر وقت المنصور قد تمسكتُ
بالمُسالمة ، فلمَّا سمِعَتُ بموته طمِعتُ . واحتاج عبد الملك إلى التناقلِ عنهم
توطيداً للحضرة ، إلى أن اعتدلت فيهما الدولة . وأخبار الثغور توافيه كلَّ
وقت بما لا يوافقُه . وكان أهمُّ جُمُوعِ طوائف الطواغيت عليه يومئذٍ
أميراً شيطانُهم الرجيم . ومُغويهم الزعيم . شانجُه بن غرسيه بن فرّذ لسند
صاحبُ قَسْتِيلَةَ . وكان يليه في النكاية مَنندس [بن] غُنْدَشَلِبُ أقومس
غليسية . وكافلُ ملكهم أذفونش بن برمندا . وسائرُ القواميس عندهما
سَقَطُ وحاشية . فقدم عبد الملك الحذرَ منهما ، فألقى مولاه واضحاً
الفتى صاحبَ مدينةِ سالم على شانجِه ، فصالحه واضحُ سنة ثلاثٍ وتسعين
ولاطفه إلى أن تمهدت قواعد الدولة . وجرّد عبد الملك يومئذٍ إلى ثَغْرِ
قُلُوعِ قاصيةِ الثغر الجُوفِ المواجه لأرض غليسية جيشاً كثيفاً . وبقي
في وجه مَنندس بن غُنْدَشَلِبُ . وصمدُ عبد الملك بلدَ الإفرنجة إذ لم
تَزَلْ عند ولاة الأندلس مبدأ كلِّ علة . فاستعدَّ لقصدِهم . واقتحم
أرضهم في جموعه وأوغل في بسيط برشالونة . وحطّم غير ما مدينة ،

١ ص : أمير .

٢ Menendo Gonzalez .

٣ Leon Alphonse V .

٤ ص : صمد .

وعاد قافلاً سالماً غانماً . فهابته الإفريقية وأذعنت إلى السلم ، وجاء رسولها إلى قرطبة ، وقد أعدَّ عبدُ الملك لوروده أكملَ العُدَّةِ من ترتيب الجنود ، فكان يوم دخلَ ذلك الرسولُ بقرطبة آخر أيام الزينة ، إذ انتقض الملك على أثره سريعاً ووقعت الفتنة .

قال ابنُ حبان : سمعتُ بعضَ المشايخ يومئذٍ يقول : إنَّه ما كان بالأندلس مثل ذلك في أمد الدولة ، بما اجتمع له من كثرة الجمع والزينة والعزة السلطانية . وأما التجار الغرباء فدخلوا يومئذٍ إلى موضع هيئة التجافيف والأعلام المصورة وسائر القِطَع العجمية والقنا الهندية ، وموقف خيل الركاب بالسروج الثقال ، والتّراسِ المذهبة والمفضّضة ، معها بيغالُ الركاب الرائقةُ في زيّتها المشهور ، وما اتصل بذلك من عُدَّةٍ غريبة . وتوصل أولئك التجار إلى ذلك المكان قبل إباحته للنظارة بإذن التمسوه من عبد الملك ، فلم يختلفوا في استيساع ما عاينوه ، واتفقوا - وكانوا جملة عراقيين ومصريين وغيرهم - على أنه ما شاهدوا لأحدٍ من ملوكهم مثله .

ولما أحكم عبدُ الملك الشدَّ لفتنِ الفرنجة دبّرَ قصداً شائجاً ، فخرج نحوه صائفةً سنة أربعٍ وتسعين ، وأوغلَ في أرضه وخامَ عنه شائجُهُ ولم يَظْهَر له . وقفلَ عبدُ الملك إلى قرطبة . فاضطرَّ شائجُهُ إلى السلم ووفد بنفسه إلى قرطبة . فأعظمَ عبدُ الملك مَورده ، وضمن أن يغزو معه قومه . فخرج مع عبد الملك سنة خمسٍ وتسعين . فاقتحم جليقية وغادر أعمال بني غومس مُصطلمة^١ . وهدى المسلمين شائجُهُ إلى عورات قومه . وانتهى بهم إلى مدينة ليونه وهي من أمنع المعاقل ، ولم يكن المنصور بلغها لصعوبتها ،

١ ص : مصممة ؛ وفيها معنى اليبس ، وصوبتها اجتهداً .

وطمع عبد الملك فيها ونازلها فأعيت عليه . وقفل إلى قرطبة . وبقي شانجه في مسالته ثلاثة أعوام يستعدُّ لحربه . فأحسَّ عبدُ الملكِ بغيره . فسابقه بالغزو سنة ستَّ بعدَها . وضحتى عبدُ الملكِ يومئذٍ بمدينة سالم . ووافاه هنالك رسول الروم من القسطنطينية بكتابه إليه . يسأله المواصلة على سبيل سكتفه مع ملوك المروانية . وساق له هدية وعدة من أسارى الأندلس طير^١ عليهم بأطراف جزائره البحرية ، فسُرَّ عبدُ الملكِ بذلك ، وإذا كتابه مكتوبٌ بالذهب على رسم ملوك الروم الذي فات الصنعة . وذكر صاعدٌ ورودَ ذلك الرسول في شعر قال فيه :

زلزلت بالمرهفات صاحب قسطنطين حتى اتقاك بالكُتُبِ
 يَطْلُبُ فيها رضاك مُجْتَهِدًا من قبل أن يَتَّقِيكَ بِالْحَرْبِ
 فليس بالفاتِ البعيد مع الله إذا [ما] هممت بالطلبِ

وتمادى استعدادُ شانجه سراً لغزو عبد الملك فسابقه [٥٤] سنة سبعٍ وتسعين . وظهر المسلمون عليهم . ثمَّ قفلَ إلى قرطبة آخرَ ذي الحجة منها . ثمَّ غزا سنة ثمانٍ غزوته الأخيرة في شوال . فاعتلَّ في مدينة سالم . ورجع إلى قرطبة محرَّم سنة تسعٍ وتسعين . فكانت آخر غزاة نفذت إلى بلاد الحرب لوشت كان موته في صفر منها . وضبط أخوه عبد الرحمن الأمرَ بعسدهُ لنفسه .

١ ضحى : شهد عيد الأضحى .

٢ طير : لعله يعني أنه افتك أولئك الأسرى عن طريق المراسلة السريعة .

فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي^١ ،
وإثبات جملة من أشعاره مع ما يتشبهت بها من طريف أخباره

بلغني أنه خرج من بغداد إذ مات أبوه . وأساء عشرته أخوه . وسينته
دون العشرين . فلاحق بالأمير محمود^٢ . وشهد حروبه بأرض الهند .
وله فيه غير ما قصيد . إلى أن توفي فولي أكبر ولدته بعده^٣ ، فبقي أبو
الفضل على حاله عنده . إلى أن خرج بعض إخوته عليه . فنهضَ لخربه .
فدبره وزاراه في طريقه الفتك به ، وشاوروا أبا الفضل في القضية ، فأبى
من تلك الدنيّة . وأودعَ أذنَ الأمير . ذلك التدبير . فخاف وزاراه
أن يُفتضحوا . وعاجلوه قبل أن يُصبحوا . وقتلوه قبل أن يتقدمَ أخوه ،
فسبقهم أبو الفضل إليه ، ونصَّ ما فعلوه بأخيه عليه . فشكر له وفاءه لصاحبه .
وقال : الوفاء حليّةُ الأحرار . والغدرُ ثوبُ الأشرار . ووصلَ القومُ
بعدُ بأخيه . ففلكَ عن أغلاله ، وحبسه عند بعض عمّاله . وضربَ أعناقَ
الغدرّة . وقربَ أبا الفضل واستوزره . إلى أن خرج عنه في خبر طويل

١ محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (٣٨٨ - ٤٥٤ أو ٤٥٥) ؛ له
ترجمة في الجذوة : ٦٨ (البغية رقم : ٢٠٩) ونفح الطيب ٣ : ١١١ - ١١٦ وله ذكر
عارض في المغرب ٢ : ١٢ وانظر بدائع البدائنه : ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٣٦٤ وتنمة اليتيمة
١ : ٦٤ والوافي ٤ : ٦٧ .

٢ يعني محموداً الغزنوي (- ٤٢١) .

٣ هو جلال الدولة محمد بن محمود . وقد ثار عليه أخوه مسعود وسمل عينيه وانتزع السلطة
من يده . وفي هذا ما يخالف كلام ابن بسام فيما يني .

٤ ص : فدبروا .

ولحق بشروان شاه^١ . وصحبه إلى أن توفي أيضاً وولتوا أخاه . فكاتب أبو الفضل الخليفة أبا جعفر^٢ القائم ببغداد في الوصول إليه . فاتفق وروى كتابه إثر وفود رسول المعز بن باديس عليه . فطلب الخليفة رجلاً يسافر بينهما ، فأرشد إلى أبي الفضل . فوجته عنه وورد . فجهزه وخرج مستتراً من بلد إلى بلد حتى وصل حلب ، فاشتهر خبره وطلب . فمدح معز الدولة بقصيدته التي أولها : « عهود الصبا من بعد عهدك أمس » فأمر له بشباب سرية ، وحمله على فرس عربية . ثم انفصل عنه واجتاز بمرعة النعمان . وبها المعري أحمد بن سليمان . فوصل إليه . وأنشده قصيدته اللامية . فقبل المعري بين عينيه . وقال له : بأبي أنت من ناظم ! ما أراك إلا الرسول إلى المغرب . فوصل مصر ووزيرها يومئذ صدقة ابن يوسف بن علي الملقب بالفلاح^٣ . فقصده مجلس قاضي القضاة بها . وأثبت عقداً على رجل مشهور . كان يومئذ ببلاد المغرب بشهادات زور . ولما ثبت ذلك من الطومار . خرج من مصر في زى التجار . يؤم بلاد إفريقية ، فوقع على خبره صاحب الإسكندرية . وطلبه فأعجزه . وبلغ

١ ليس هناك ملك بهذا الاسم ، وإنما هذا لقب لحكام شروان ؛ ولعل المقصود هنا هو منوهر ابن يزيد أو علي بن يزيد أو قباذ بن يزيد (٤١٨ - ٤٤١) .
٢ ص : أبا .

٣ تولى القائم أبو جعفر الخلافة سنة ٤٢٢ وثار عليه البساميري سنة ٤٥٠ ثم أعاده السلاجقة وبقي حتى توفي ٤٦٧ .

٤ هو شمال بن صالح المرادسي ولي قلعة حلب أول مرة سنة ٤٢٠ ثم أقصي عنها وعاد إليها سنة ٤٢٩ فلم تطل مدته . وأقصي مرة أخرى ثم عاد إليها سنة ٤٣٤ واعتزل أخيراً سنة ٤٤٩ .
٥ تولى صدقة الوزارة سنة ٤٣٦ وبقي قبيها إلى أن اعتقل وقتل سنة ٤٣٩ (الإشارة إلى من نال الوزارة : ٣٧ - ٣٨) .

طرابُلسَ المغربِ أوَّلَ عملِ المعزِّ . فأفشيَ أمره ، وفُضحَ سرُّه ، فأمرَ المعزُّ بإشخاصه . فلما وصل سُمعيَ به عنده وأراد قتله ، فقال له : تأنَّ في . واستقصِ عليَّ . فإنَّ صدقتُ وإلاَّ قُتلتُ . فمشى أبو الفضل بالقيروان مرقباً عليه ، إلى أن ورد كتابُ القائم بصدقه ، فاعتذر إليه ، ورفع منزلته وأكرمه . وبسط يده في مطالبيه وحكِّمه^١ . فحملهم أبو الفضل إلى منزله ، وأحسن إليهم . وخلع عليهم . فعجب المعزُّ من كرمه . وقاله تدبير حشِّمه . وكان ورود أبي الفضل بلد القيروان سنة تسع وثلاثين . حكى ذلك أبو عليَّ بنُ رشيق وقال : انه أول من أدخل كتاب اليتيمة للشعالبي عندهم . وشهيدَ حصار القيروان معهم . فلما كان عامُ ستَّة وأربعين صرف المعزُّ خطبته إلى صاحب مصر ، ونبذ العباسية^٢ . فخرج أبو الفضل إلى سُوسة . فتطاول عليه أهلها . فخرج عنهم بعد أن أوقع الفتنة بينهم ، وتركهم فرقتين : قيسيةً ويمينيةً . وأوقع في نفوسهم أنَّ الحرب قائمةٌ بين هاتين القبيلتين إلى يوم القيامة . فاقتتلَّ الفريقان إلى أن تغالب عليهم تميم بنُ المعزِّ . وتردَّد أبو الفضل هنالك عدَّة سنين ، وشهد الحروب مع بلُقيين^٣ . ثمَّ انتبذ من تلك الناحية . وركب البحر فنزل بدانية ، فبعث إليه أميرها ابنُ مجاهد بالحجم وأرباعٍ دقيقٍ أولَ نزوله . فصرفها في وجه رسوله . وتعجَّل الارتحالَ نعه إلى بلنسية فلقمى بيراً . واستجلبه المأمون ابنُ ذي النون فحسُنَ بطليطلةَ مئواه [٥٥] وأجزلَ قيراه . وتوسَّع له ولعبيده في البير . وأجرى له ستين مثقالاً في الشهر . وكان دخوله طليطلة

١ أي جعل له الحكم في الذين سموا به إلى السلطان .

٢ يبدو أن ابن بسام ينفرد بهذا الخبر .

٣ هو بلقيين بن محمد بن حماد من الحماديين أصحاب القلعة ، تولى سنة ٤٤٧ هـ (أعمال الأعلام ٣: ٨٧)

يوم الجمعة لثلاث بقينَ بحمادى الأولى سنة أربعٍ وخمسين . وتوفيتي بها
رحمه الله منتصفَ شوال سنة خمسٍ وخمسين .

ومن غريب وفاء المأمون له - زعموا - أنه استمرت جيرايتُهُ على
حاشيته، وتجاقتي عن ميراثه وجعله وصيةً له إذ لم يُوصَ لفجأة وفاته .
ورثاهُ الحكيمُ أبو محمد بن خَلَيْفَةَ بشعرٍ يقول فيه :

سَقَى اللهُ قَبْرًا حَلَّ فِيهِ أَبُو الْفَضْلِ سَحَابًا يَسْحُ الْمُنْزَنَ وَبَلَاءَ عَلَى وَبَلٍ
وَكَيفَ يُسْقَى الْمُنْزَنُ قَبْرًا يَحْلَهُ وَفِي طَيْبِهِ بَحْرُ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ
وَبَدْرُ تَمَامٍ مِنْ تَمِيمٍ نِجَارُهُ مَلُوكٌ لَهُمْ قَامَ الْمَلُوكُ عَلَى رِجْلِ
ومنها :

وما الدهرُ إلاَّ آكلٌ من نفوسنا ونحنُ لذيهِ في الحقيقةِ كالأكلِ
وهذا كقول المعري^١ :

وما الأرضُ إلاَّ مثلنا الرزقَ تبتغي وتأكلُ من هذا الأنامِ وتَشْرَبُ
وقد كرّر المعري هذا المعنى في مواضع^٢ :

فشمٌ صارمًا واركزُ قناةً فللردى يدٌ هي أدرى بالطعانِ وأدربُ
أفضُّ ليهاماتٍ وأرمتى بأسههم وأطعنُ في قلبِ الخميسِ وأضربُ

١ اللزوميات ١ : ٦٣ .

٢ اللزوميات ١ : ٥٦ .

ووزير مصر الملقب بالفلاحى المتقدم الذكر . والده كان يوسف
ابن عليّ الذي هجاه الواسانيّ بالقصيدة التي أوّلا^١ :

يا أهلَ جَيْرُونِ هل لسا مِرْكم^٢ إذ استقلتُ كواكبُ الحَمَلِ

وهو يومئذ مشرفٌ على دمشق في أيام الحاكم . وهي قصيدة في معناها
فريدة^٣ . وقال الحاكم يوماً : أريد سماع هذه القصيدة من رجلٍ حسن
النشيد . فقيل له صوت الذي قيلت فيه ، لا أحد يُجاريه . فأحضِر واستعفى
من نشيدها فلم يُعذر : وأنشد إلى أن انتهى إلى قول الواساني فيها :

كنتُ على بابِ مَنْزلي سَحَرًا أنتظرُ الشاكري^٣ يُسْرَجُ لي
وطال ليلى بِحاجةٍ عَرَضَتْ باكرتُها والنجومُ لم تَمِيلِ
فَسَرَّ بي [في الظلامِ] أَسْوَدُ كَالِ فبيلِ عريضِ الأكتافِ ذوعَضَلِ
مُشَقَّقُ الكَعْبِ أَدْعُ اليدِ والِ رَجُلِ طویلِ السَّاقينِ في سَمَلِ
فأهدتِ الریحُ منه لي أَرْجًا مثل جنى الروضِ في الندى الخصلِ
فصِحتُ من خلفِهِ رُويدَكَ يا أَسْوَدُ مالي بالعدوِ من قِبَلِ
فكترَ نَحوي عَجْبانَ يَعْرُ في مِرْطِ كسامِ مِبْرغِ قَمِيلِ
وقد مَدَى فالمدى يَقَطُرُ منْ غُرْمولِهِ في الذبولِ كالوشلِ
وظنَّ أنِّي صَيِّدٌ فَأَبْرَزَ لي

١ البيتمة ١ : ٣٦٥ .

٢ ص : لساكنكم .

٣ الشاكري : الخادم أو الأجير .

وقال : لَيْسَ دَارِكُمْ لِأَوْلِيَّيْنِهَا
فَطَالَمَا أَسْهَلْتُ طَبِيعَةَ مَنْ
فَانظَرُوا إِلَيْهَا فَإِنْ رَأَيْتَ لَهَا
وَخِذْ عَمُودًا غَلَاظُهُ شَرَجٌ
قُلْتُ لَهُ : وَالَّذِي يَمُدُّ لَكَ
مَا شَقَّ دُبْرِي مُدًّا قُطَّ فَيَسْشَاةٌ
وَلَا لِهَذَا [دُعَيْتَ] فَاطْلُبْ لِعُزْرَةٍ
وَهَاتِ قَوْلِي لِي بِاللَّهِ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ
فَقَالَ لِي بَيْتٌ عِنْدَ عَامِلِكُمْ
فَصَاكَ بِي طَيْبُهُ وَصَاكَ بِهِ
تَرَكْتُهُ فِي النَّهَارِ أَخْفَشَ لَا
قُلْتُ تَرَدَّيْتُ ٣ وَاعْتَدَيْتُ عَلَى
لِعَلَّامَةٍ غَيْرُهُ ٤ فَصَفَّيْتُ فَمَا
فَقَالَ : يَا سَيِّدِي عَجَلْتَنِي بِمَكَ
هَذَا الَّذِي بَيْتٌ عِنْدَهُ نَصَفٌ
أَدْرُ رِخْوُ الْعِجْبَانِ مُنْحَرِفٌ إِلَى

فِيكَ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَبِيلُ فَبِيلُ
لَيْسَ بِأَمْثَالِهَا بِمُحْتَمِلِ
شَبِيهَا فَلَا تَدْعُنِي أَبَا الْجُعَلِ
لَمْ يُمْتَهَنُ سَاعَةً وَلَمْ يُدَلَّ
عُدْمَتَهُ وَيُعْطِيكَ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَلَا انْتِخَابُ الْأَيُّورِ مِنْ عَمَلِي
مُسُولِيكَ ٢ مَنْ يَسْتَلِدُّهُ بَدَلِي
تَ وَدَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْعَيْلِ
هَذَا أَبِي الْفَضْلِ يَوْسُفَ بْنَ عَلِيٍّ
مَنْ صَنَانٌ فِي حِدَّةِ الْبَصَلِ
يَنْظُرُ فِي خِدْمَةٍ وَلَا عَمَلٍ
شَيْخٍ نَبِيلٍ يُنْعَمُ إِلَى نَبِيلٍ
تَخْدَعُ مِثْلِي بِهَذِهِ الْحَيْلِ
رَوْحِي وَكَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
دُونَ مُسِينٍ وَفَوْقَ مُكْتَمَلٍ
سَبْعَرِ النُّحَى مُهَيَّجِ السَّفَلِ

١ ص : العجل .

٢ اليتيمة : لميلوذك .

٣ اليتيمة : تزويد .

٤ اليتيمة : لعل ذا غيره .

أنتنُ مِـنَ كلِّ ما يُقالُ إذا بالنع في النتنِ ضاربُ المثلِ
 نَعَم . وفي بابِ سُرمه وَصَحُّ أبيتُ ليلى منه عـلى وَجـلِ
 أخافُ يـُعـدي أيرى بـبـرصـتـه فأغتـدي مُـلـةً مِـنَ المـثـلِ
 فقلتُ : هـذي صـفاتـه ولقد شغلتَ قـلـبي بـذلكَ الرـجـلِ

ومنها في التعريض بمنشا بن ابراهيم :

فقلت قل لي من أين تعرفه فقال ذرني^١ من هذه العقل
 كنتُ أجيراً بيد^٢ مَعصِرةٍ كانت قديماً^٣ لكاتبِ البَجَلِ ؛
 فنمتُ يوماً وكنتُ من سَهَرِ الـ لَيْلِ وقينداً كالشَّارِبِ الثَّمَلِ
 فاجتازَ للحَيْنِ والقَضَاءِ الذي مَ منشأً في مَوَكِبِ زَجَلِ
 وكان منه التفاتةٌ فرأى ذيلَ قَمِيصِي قَدَ قُدَّ من قُبُلِ
 فاشتدَّ تَحَدِيقُهُ إليَّ كما حَدَقَ ذئبٌ طاورٍ إلى حَمَلِ [٥٦]
 ولم أبيتُ لَيْلِي وَعَيْشِيكَ يا مولاي حَتَّى رُفِعْتُ بالرُّسُلِ
 فَجِئْتُهُ خائفاً كما يَلَسِجُ الـ مَصْفُورُ مُسْتَكْرَهاً على الوَرَلِ
 فارتعتُ لما رأيتُ لِحِيَّتَهُ وكدتُ أُخْرِى من شِدَّةِ الوَجَلِ

١ ص : زدني ، والتصويب عن اليتيمة .

٢ الهد : موضع عصر الزيت في ديار الشام ؛ ص : بيد ، اليتيمة : بيدي .

٣ اليتيمة : بصور كانت (أي كانت بمدينة صور) .

٤ كذا وردت هذه اللفظة أيضاً في اليتيمة ولا أستطيع أن أجزم بما تمنيه فقد تعني بني بجيلة (أو بجلة) وقد تعني جماعة الأعيان ، وقد تكون لفظة شامية محلية .

٥ اليتيمة : دعيت .

وَظَنَّ أَنِّي اسْتَحْيَيْتُهُ فَعَمِدَا .
 وَقَالَ إِنَّ كُنْتَ مُكْرَمِي ثُلٌّ قَدْ
 لِنْتَيْفٍ سِبَالِي وَاصْفَعُ قَفَايَ وَلَا
 وَلَمْ يَنْزَلْ دَائِبًا يُشْمِرُ شَا
 فَحِينَ أَدَلَيْتُ كَالْحِمَارِ بَدَا
 وَخَرَّ لِلْوَجْهِ وَالْجَبِينِ وَقَدْ
 طَعَمْتُهُ طَعْمَةً بِصَدَقِ الْأَنَا
 ثُمَّ رَمَى صَفْحِي بِلِحْيَتِهِ
 فَقَالَ أَخْطَأْتُ إِذْ أَسَلْتُ دَمِي
 أَيْنَ النَّجِيعُ الْقَانِي فَدَيْتُكَ مِنْ
 فَقَالَ أَيْرٌ أَرَى بِهِ هَوَجًا
 يَا سَيْدِي مَا اسْمُهُ فَقُلْتُ أَبُو الْ

يَبْسُطُنِي^١ بِالْمُزَاحِ وَالغَسَزَلِ
 رِي فَبَعْضُ الْهُوَانِ أَرْفَعُ لِي^١
 تَنْظُرُ إِلَى قُدْرَتِي وَلَا خَوْلِي
 قَوْلِي وَيَحْتَالُ لِي عَلَى مَهَلٍ
 يَرْفَعُ أَثْوَابَهُ عَلَى^٢ الْكَتْفِ
 رَطَّبَ حَوْلَتِي خُصِيصِيهِ بِالْبَلْبَلِ
 بَيْبِ أَصَمِّ الْكُعُوبِ مُعْتَدِلِ
 فَقُلْتُ إِذَا^٣ السَّرْمِ مِنْ بَنِي ثَعْلِ
 فَقُلْتُ كَلًّا وَاللَّهِ لَمْ يَسِيلِ
 لَطِخَ رَجِيعِ كَالْوَرَسِ مُسْجَلِ
 قَدْ جَازَ^٤ حَدَّ الْجَنُونِ وَالْحَبَلِ
 أَسْوَدٍ يُكْنَى وَلَيْسَ بِالذُّؤْلِي

وهي طويلة ، فلما فرغ قال له الحاكم : ليمَ ليمَ تقطعُ لسانه ؟ والله
 لا عملتَ لي عملاً بعدُ ، فصرفه .

١ رواية اليتيمة :

إِنَّ كُنْتَ أَكْرَمْتَنِي لَتَرْفَعْ مِنْ قُدْرِي فَبَعْضُ الْهُوَانِ أَرْفَعُ لِي

٢ اليتيمة : اجلاله عن .

٣ اليتيمة : فقلت يا سيدي ويا أملي ، أظن . . .

٤ اليتيمة : وخاض جسمي أير به هوج يجوز .

جملة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى
النسيب وما يناسبه

كان يوماً مع المعز بن باديس في مجلس أنس . وغلامٌ وسيمٌ
يدورُ بالكأسِ فقال فيه ١ :

ومُعذِرٍ نقشَ الجمالِ بمسكِهِ خدّ آله بدمِ القلوبِ مُضَرَّجَا
لمنا تيقنَ أنّ سيفَ جُفونِهِ مین نرجسِ جعلَ النجادَ بنفسِجَا

وكان له هوىٌ بغلامٍ في مدينةِ السلامِ فإذا رآه أنكرَ حبّه . والغلامُ
يعرفُ شدّةَ وجدِهِ وكلّفِهِ ، فدَمَعَتْ عينا أبي الفضلِ . فقال الغلامُ :
دمعك شاهدٌ عليك . فقال ٢ :

وهبني قد أنكرتُ حبّكَ جملةً وآليتُ أني لا أرومُ محطّها ٣
فمن أين لي في الحبِّ جرحُ شهادةٍ سقامي أملاها ودمعي خطّها

ودخل يوماً على قينةٍ وهي تتبخّرُ بالنّدِ ، ودُخانُهُ قد علا وجهها فقال ٤ :

١ بدائع البدائنه : ٣٠٩ والنفع ٣ : ١١٤ وابن خلكان ١ : ١١٠ وتردد في نسبتها .

٢ النفع ٣ : ١١٧ وبدائع البدائنه : ٣٦٤ .

٣ بدائع : وهونت من نفدي المزيّزة سخطها .

٤ النفع ٣ : ١١٤ والثريشي ٢ : ٨٧ .

وَمَحْطُوطَةٌ الْمَتِينِينَ مَهْضُومَةٌ الْحِشَا
إِذَا مَا دَخَانُ النَّدَى مِنْ جَيْبِهَا [علا]

وهو القائل ٢ :

يَغْرَسُ ٣ وِرْدَا نَاضِرًا نَاطِرِي
فَلَمْ مَسْنَعَمْ شَقْتِي قَطْفَه

وقال ٤ :

وَمُبْلَبِلٍ مِنْ صُدْغِهِ الْعَطِيرِ الَّذِي
وَحْيَاةٌ مَا غَرَسَ الْحَيَاءُ بَجْدَه
لَأَغْرَرَنَ بِمُهْجَتِي فِي حُبِّه
وَلَشَنْ تَعَزَّزَ إِنَّ عِنْدِي ذِلَّةً

وقال ٦ :

يَا لَيْلُ هَلَّا انْجَلَيْتَ عَنْ فَلَاقِي
جَفَّتْ جَفُونِي الْآمَاقَ فَيْكَ فَمَا

١ ص : من جيبها .

٢ النفع ٣ : ١١٢ .

٣ النفع : يزرع .

٤ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٤ .

٥ النفع : الأعداء .

٦ سرور النفس : ٢٨ والنفع ٣ : ١١٢ .

٧ النفع : جفت لحاظي التغميض فيك فما تطبق أجفانها .

كأنتي صورةٌ مُشْتَلِسةٌ ناظِرُها الدهرُ غيرُ مُنْطَبِقِ

وإنما أشار في هذا إلى قول بشار^١ :

جَفَّتْ عَيْني عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جَفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

فنقل لفظه ومعناه ، وقصّر عنه كما تراه . وقد أخذ أيضاً العتّابي هذا المعنى . واجتناه أرباباً ، فردّه شريباً ، بقوله^٢ :

فِي مَاقِيٍّ انْقِبَاضٌ عَنِ جَفُونِهَا وَفِي الْجَفُونِ عَنِ الْآمَاقِ تَقْصِيرُ

وقال أبو الفضل :

بَدْرُ تَيْمٍ عَلِيٍّ لَيْسَ يَلِينُ خَابَ فِيمَا رَجَوْتُ فِيهِ الظَّنُونُ
طَالِبًا لِلخِلَافِ إِنْ لَمْ أَكُنْ كَا ن وَإِنْ كُنْتُ حَاضِرًا لَا يَكُونُ
فَعَلِذَا مَا نَلْتَمِي قَطُّ حَتَّى يَتَلَاقِي المُنْضَافُ وَالتَّنْوِينُ

وقال :

وظنبي أراني غرةً من جبينه
تجرعتُ بالإسعافِ جرعةَ ظلمه
وكم أمكنتني فرسةٌ فتركتها
ولو كنتُ في ثوبِ الشيبيةِ رافلاً
تزيدُ ضياءً بينَ أصداغِهِ الدُّهْمِ
لأني رأيتُ الظُّلمَ يَدْرَأُ بِالظُّلْمِ
حياءً من الشيبِ الموقرِ بالحليمِ
لصبحَ على إتيانِ زلتها عزمي

١ ديوانه ٣ : ٧ وزهر الآداب : ٧٤٧ والمختار : ٧ - ٨ والزهرة ١ : ٢٩٠ .

٢ زهر الآداب : ٧٤٧ وابن بسام يتابعه في الحكم على البيت ، والمختار : ٢٣ .

وهذا كقول الآخر^١ :

دَعْتَنِي عَيْنَاكَ نَحْوَ الصَّبَا دُعَاءَ تَكَرَّرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
فَدُلُّوا وَحَقَّقْكَ عُدْرُ الْمَشِيبِ لَقُلْتُ لِعَيْنَيْكَ سَمْعًا وَطَاعَةً

وهذا مثل قول جرير : [٥٧]

[يقول العاذلات علاك شيب^٢ أهذا الشيب يمنعني مراحي] ^٢

ومنه أنشد^٣ : [٥٧]

لولا الحياءُ وأنتني مشهورُ والعيبُ يلحقُ بالكبيرِ كبيرُ
لحلمتُ منزلتك الذي تحتلته ولكان منزلنا هو المهجورُ

وابن الرقاع هو القائل^٤ :

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ

وقال بعضُ أهلِ عصرنا :

فلولا حياءُ المحيِّا وما عراني لفقدِ الصِّبا من مُصابِ

١ أوردهما صاحب النفع ٣ : ١١٥ ونسبهما لأبي الفضل ، وانظر المسلك السهل : ٥٠٠ وهما

في زهر الآداب : ٨٢٧ للصاحب أبي القاسم .

٢ ليس في الأصل بياض ؛ وزدت بيت جرير إذ البيتان التاليان ليسا له قطعاً .

٣ وردا في زهر الآداب : ٢٧ لمنصور الفقيه ، وقال المؤلف ان أكثر الناس يرونها لإبراهيم ابن المهدي .

٤ المختار : ٢٧٠ وأمالى المرتضى ١ : ٥١١ واللكلي : ٥٢١ والحمامة البصرية ٢ : ٨٥ .

لمرغتُ خَدَيَّ وَأَلْفَتُ^١ بَيْنَ هَشِيمِ الْمَشِيبِ وَرَوْضِ الشَّبَابِ

وقال محمد بن هاني^٢ :

والله لولا أن يُسْفَهني الهوى ويقولَ بعضُ القائلينَ تصابي
لَكَسَّسْتُ دُمُجُجَهَا بِضَيْقِ عِناقِها ولثمتُ من فيها البرودَ رُضابا
بنتمُ فلولا أن أُغَيَّرَ لِمَتِّي عِشْبًا وَأَلقاكمُ عليَّ غِضابا
لحَطَطْتُ شِيبًا في عِذارِي كاذبًا ومَحَوْتُ مَحَوَّ النِّقَسِ عَنه شِبابا
وخلَعتهُ خَلَعَ النِّجَادِ مُدَمِّمًا واعتَضْتُ من جِلبابِيه جِلبابا
وَحَضَبْتُ مُسودَّ الحِدادِ عَلَيتُكمُ لو أَنِّي أَجدُ البِياضَ خِضابا

وسأله أبو منصور الثعالبي^٣ أن يصف غلاماً صغيراً كان بديع الحسنِ
ليُثبتَ ذلكَ في كتابه المترجمِ بألفِ غلام ، فقال^٤ :

لأنِّي عَشِيقُ صَغِيرًا قد دَبَّ فيهِ الجِمالُ
وكادَ يُفْشِي حَدِيثَ الـ فُضُولِ مِنْهُ الدَّلَالُ
لو مرَّ في طُرُقِ الهِجْجِ رِ لاعتراهُ ضلالُ
وتاهَ فيهِ اغْتِراءُ لو لم يُغَيِّثهُ الوِصالُ
يُريكَ بدرًا تمامًا في الحُسْنِ وهو هلالُ

وسأله أيضاً أن يصف غلاماً كاتباً كانَ حَسَنَ الخَطِّينِ خَطَّ اليَدِ
وخطَّ الوجهِ ، فقال^٤ :

١ ص : وألقت .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٨ وزهر الآداب : ٩٠٣ .

٣ هذه القطعة والقلمتان التاليتان في النفع ٣ : ١١٦ وانظر الشريشي ٥ : ٢٥٢ .

٤ الشريشي ٥ : ٢٢١

وكاتبٍ أهديتُ نفسي له فوهيَ من السوءِ فِداً نفسهِ
سلطَ خدينهَ على مُهجتي فاستأصلاها وهي من غرسه
كأنما خطَّ على خدهِ مثلَ الذي قد خطَّ في طيرسه
فلستُ أدري بعدَ ما حلَّ بي بمسكِهِ أتلِفُ أمْ نِقْسِهِ

وقال فيه ١ :

وشادنٍ أسرفَ في صدّه وزادَ في التيهِ على عبدهِ
الحسنُ قد بثَّ على خدهِ بنفسجاً يرنو إلى وردهِ
رأيتُه يكتبُ في طيرسهِ خطباً يفضاهي الدرَّ في عقدهِ
فخلتُ ما [قد] خطّه كفتهِ للحسنِ قد خطَّ على خدهِ

والمَّ أبو الفضل في هذا بقولِ بعضِ الكتَّابِ ٢ :

ما أخطأتُ نوناتُه من صدغِهِ شيئاً ولا أليفاتُه من قدّه
وكأنما أنفاسُه من شعره وكأنما قيرطاسُه من جيلدهِ

وينظر إلى هذا من طرفٍ خفي ، قولُ [ابن] أبي سمرة الدارمي ٣ قال :

سرابُ الفَيّافي صادقٌ عندَ وعدِها وسمُّ الأفاعي مِبْرِيءٌ عندَ صدّها
رمتني ولم أسعدْ بأيامٍ وصلِها بعينتي مهارةً أنحسني ببعدِها

١ الشريشي ٥ : ٢٢٢

٢ ينسيان للصنوبري ، انظر تهذيب ابن عساكر ١ : ٤٥٨ ورفع الحجب ١ : ٨٨ والعمدة

٢ : ٣٥ ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٩ وديوانه : ٤٧٤ وابن بسام يتابع زهر الآداب : ٦٧٦ .

٣ اسمه أحمد بن أبي سمرة ، وانظر أبياته في زهر الآداب : ٦٧٦ .

تعلّقها قلبي كما قد تعلقتُ صوالجُ صُدغَ غيها^١ بتفاحِ خدّها
فقلبي لَمّا أضعفتُه كخصرِها ودمعي لَمّا نظمتُه كمقدّها

وقال أبو الفضل^٢ :

قلت للملكي على الخدين من وردٍ خيمارا
والذي سلّ على العُشاقِ باللحظِ شيمارا
أسبَل الصُدغُ على خدّك من مسكٍ عذارا
أم أعانَ الليلَ حتى قهرَ الليلُ النهارا ؟
قال مَيدانٌ جرى الحُسُ نُ عليه فاستدارا
ركضتُ فيه عيونُ فأثارتهُ غُبارا

وقال يتشوقُ إلى بلدِه^٣ :

أهيمُ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائماً
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبّةً
إذا خطرت ذِكرهمُ في خَواطري
ولم أنسَ مَنْ ودّعتُ بالشطِّ سُحرةً
أليفانِ هذا سائرٌ نحو غُربةٍ
وما بي شَرَقٌ للبلادِ ولا غربُ
فَنَقَدْتُ مَتَى أَذْكَرُ عَهودهمُ أصبُ
تَنائِرَ من أجفاني اللؤلؤُ الرطبِ
وقد غرّدتُ الحادونَ واستعجلَ الركبِ
وهذا مقيمٌ سارَ عن صدرِه القلبِ

وقال في مثله^٤ :

١ ص : خديها .

٢ النفع ٣ : ١١٦ والشريشي ٤ : ٢٩٠ - ٢٩١ .

٣ ستأتي منسوبة لعبد الوهاب المالكي ؛ وقد اضطربت نسبة بعض المقطوعات بينه وبين أبي الفضل .

٤ النفع ٣ : ١١٥ .

تذكَرَ نَجْدًا وَالْحَيْمَى فَبَكَى وَجَدَا
وَحَيْثَهُ أَنْفَاسُ الْخُرَامَى عَشِيَّةً
فَأَظْهَرَ سُلُوانًا وَأَضْمَرَ لَوَاعَةً
وَلَوْ أَنَّهُ أَعْطَى الصَّبَابَةَ حُكْمَهَا
وَلَمْ أَنْسَهُ وَالسُّكْرُ يَفْتِيلُ قَدَّهُ

وقال :

وَقَالَ سَقَى اللهُ الْحَيْمَى وَسَقَى نَجْدَا
فَهَاجَتْ إِلَى الْوَجْدِ الْقَدِيمِ لَهُ وَجْدَا
إِذَا طُمُئِنْتُ نِيرَانُهَا وَقَدَدَتْ وَقَدَا
لِأَبْدَى الَّذِي أَخْفَى وَأَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
إِذَا مَا تَشَى كَدْتُ أَعْقِدُهُ عَقْدَا

وَمُخْمَرِ الْجُفُونِ بِلَا خُمَارٍ
فَمَا زَالَتْ بِهِ حَيْبَلِي إِلَى أَنْ
وَجَادَ بِقَسْبَةٍ فَشَمِمْتُ مِسْكَاً
فَكَانَ السُّكْرُ لِي سَبَباً سَقَانِي
فِيَا شِرْباً وَرَدْتُ فَكَانَ عَدَباً

وقال :

حَكَمِي بَدْرَ الدُّجَى حُسْنًا وَبُعْدَا
دَنَا وَرَأَى لَدَيْ الْعَمَى رَشْدَا
وَذَقْتُ مُدَامَةً وَقَطَّقْتُ وَرَدَا
عَلَى ظَمْرٍ الْهَوَى الْعُنْدَرِيَّ بَرْدَا [٥٨]
وَيَا نَجْمًا لَحِظْتُ فَكَانَ سَعْدَا

قَالُوا تَبَدَّى شَعْرُهُ فَأَجَبْتَهُمْ
وَالْبَدْرُ أَهْرُ مَا يَكُونُ ضِيَاؤُهُ

وقال ١ :

لَا بَدَّ مِنْ عَلَمٍ عَلَى الدِّيْبَاجِ
إِذْ كَانَ مَلْتَحِفًا بِلَيْلٍ دَاجِ

ظَبِيٌّ إِذَا حَرَّكَ أَصْدَاغَهُ
غَنَى بِشَعْرِي مُنْشِدًا لَيْتَنِي الـ

١ النفع ٣ : ١١٧ والشريشي ٥ : ٢٣٨ .

فكَلَّمَا كَرَّرَ إِنْشَادَهُ قَبْلَتَهُ فِيهِ وَلَمْ يَدْرِ
وقال ١ :

يا ذا الذي خطأ الجمالُ بوجهه
سَطْرَيْنِ هاجا لوعةً وبلا بلا
ما صحَّ عندي أن لحظتك صارمٌ
حتَّى ليستَ بعارضيكَ حمائلًا
وهذا كقولِ ابنِ رَشِيْقٍ ٢ :

وهل [على] عارضيه إلاَّ حمائلٌ قُلِّدْتُ حُسَامَا
وقال أبو الفضلِ في بعضِ غِلْمَانِهِ وكان له به هوى :

عليُّ لا تصلُ وبينِ
غَضِبْتَ فزِدْ ودُمُ غَضِبًا
فقلبي غيرُ مُرْتَهِنِ
أتُخْفِي بِغَضَبِي سِرًّا
فإني عن رضاك غَتِي
لقد غرتك في مَيِّلي
وتُبدِي الحبَّ في العَلَنِ؟
أتَطْمَعُ أن أزيدَ هوى
وودُّكَ لي على دَخْنِ؟
إذا فسدتَ يدٌ قُطِعَتْ
ليسلمَ سائرُ البدَنِ

فأجابهُ الغلامُ :

غلامُكَ غيرُ مُرْتَهِنِ
وتَطْلُبُ عَتْبَهُ ظُلْمًا
تُخَوِّتُهُ ولم يَخُنِ
على غَضَبٍ ولم يَكُنِ

١ الشريشي ٤ : ٢٩٠ وينسيان لابن عبد ربه ، انظر نفع الطيب ٧ : ٥١ والمطمح : ٥٢ وابن

خلكان ١ : ١١٠ .

٢ ديوان ابن رشيقي : ١٦٩ وابن خلكان ٢ : ٣٦٧ .

وتُوقِعُهُ بما قد قسـه
فقلْ لي كلَّ طَرْفُوكَ أمْ
تَ في بَحْرِ من المَحْنِ
خِلا طَرْفِي من الفِتنِ ؟

وقال أبو الفضل ٢ :

وحبيب [قد ضنَّ] بالوصلِ نبيها
أنا أخشى إن دامَ ذا المجرُّ أن يُسندُ
فأريحَ الفؤادَ ممّا اعتراهُ
هل تَضِنُّ البدورُ بالإسراقِ
شِطّاً من حَبته عِقالَ وثاقِي
وأردّ الهوى على العُشّاقِ

وقال :

سمحتُ بنفسِي غداةَ الرحيلِ
وبتُّ أفضُّ ختامَ الجفونِ
ومن عجبِ العشقِ أنَّ القَتيلَ
غراماً على القمرِ الآفلِ
وأبكي على الجسدِ الناحلِ
يَحِينُ ويصبو إلى القاتلِ !

وقال :

يا حاديّاً وجِمالُ الحَيِّ سائمةٌ
كلفتَه السَّيرَ من جسمي ففارقته
رفقاً فقد هيجتَ شوقاً ما استعدّ له
ماذا تريدُ بقلبي أيّتها الحادي ؟
وهل يسيرُ أسيرٌ ما له فادٍ ؟
فكيف يسرحلُ مشتاقٌ بلا زادٍ ؟

وقال :

١ ص : الفتن .

٢ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٧ .

أيا بَصْرِي عَزَّ عَلِيَّ وَيَا سَمْعِي وَيَا مُسْرِفًا عِنْدَ التَضَرُّعِ فِي مَسْعِي
 إِذَا كُنْتَ مَطْبُوعًا عَلَى الْمَجْرِي وَالْخَفَا فَمَنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَجْعَلْهُ طَبْعِي ؟ ١
 سَلِّ الْمَطْرَ الْغَمْرَ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ أَجَاءَ بِمَقْدَارِ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْعِي ؟

ما أخرجته من شعره في سائر الأوصاف

كان ليلةً مع بعض إخوانه وبين أيديهم شمعة ، فأفضى حديثهم
 إلى وصفها . فجعل من حضر يريض نفسه ، ويعمل في ذلك حسبه ،
 فقال أبو الفضل ١ :

ذَهَبْنَا فَأَذْهَبْنَا الْمَمُومَ بِشَمْعَةٍ غَنِينَا بِهَا عَنِ طَلْعَةِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
 أَقُولُ وَجَسْمِي ذَائِبٌ مِثْلَ جَسْمِهَا وَدَمْعُهَا تَجْرِي كَمَا دَمْعِي تَجْرِي
 كَلَانَا لَعَمْرِي ذَوْبَانٌ ٢ مِنَ الْهَوَى فَنَارُكَ مِنْ جَمْرٍ وَنَارِي مِنْ هَجْرٍ
 وَأَنْتِ عَلَيَّ مَا قَدْ تُقَاسِمِينَ مِنْ أَدَى فَصَدْرُكَ فِي نَارٍ وَنَارِي فِي صَدْرِي

وله في وصف طريف :

حكى فرسي الليل في لونه فقابلته البدر عند اضطرار
 فكان له غيرة في التمام وتعملاً لحافيره في السرار

١ بدائع البدائع : ٣٦٤ والنفع ٣ : ١١٧ وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٧٨٣ حيث جمع
 بين عجز البيت الثالث وعجز البيت الرابع .
 ٢ البدائع : ذوب نار ؛ النفع : ذائبان .

وقال :

رُبَّ لَيْلٍ أَبْطَأَ عَلَيَّ فَلَمَّتَا مَسَدَ ضَاغِي دُجَاهِ مَا اسْتَبْطَانِي
جَثْتُ أَسْعَى إِلَيْهِ سَعْيَ زُلَالِ الْ مَاءِ يَسْتَنْ فِي حِشَا الظَّمَانِ
ظَلِمْتُ أُسْرِي بِمِثْلِهِ فِيهِ حَتَّى خِيَلْتُنِي قَدْ أَحَاطَ بِي لَيْلَانِ
فَهُوَ طَرَفٌ لَهُ خَضَابِي سَوَادٌ أَنَا فِيهِ كَهَيْئَةِ الْإِنْسَانِ

وأرى السلاميَّ قد نسبته على هذا التشبيه ، وإن كان أبو الفضل قد زاد فيه ، وكان السلاميُّ قد ركب زورقاً بدجلة فقال^١ :

وميدان تجولُ به خيولُ تقودُ الدارعينَ وما تُقَادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طيرُفأً له جيسمٌ وليس له فؤادُ
جرتُ فظننتُ أن الأرضَ وجهُ ودجلةَ ناظرٌ وهو السوادُ

وقال عبد الجليل للمعتمد بن عبادٍ من شعرٍ قد تقدم لإنشاده في صفة جوازِ البحر^٢ :

فسرتُ فوقَ دِفاعِ الله تَهْصِرُهُ براحةِ الدينِ والتَّقوى فينْهَصِرُ
كَأَنَّمَا كَانَ عَيْنًا أَنْتَ نَاطِرُهَا وَكَلُّ شَطَطِ بِأَشْخَاصِ الْوَرَى شُفْرُ

وقال أبو الفضل في زامرٍ أسود^٣ : [٥٩]

١ البيتجة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ والشريشي ٣ : ٤٥ - ٤٦ .

٢ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٥٠٥ .

٣ الشريشي ٢ : ٣١٠ - ٣١١ .

وحالكِ اللونِ كالليلِ البهيمِ له
تنوب عن نطقه ريحٌ مؤثرةٌ
تخالُ مجلسنا وجهاً به حسنا
كأنما كفه من زمرة سلبت
تراه يحفظُ ما يُوحى إليه به
يحدو بأنفاسه الأوتارَ مجتهداً
أهدى الشبابُ إليه حُسنَ بهجته
وقال :

هاتِ اسقني فالعيشُ شاكٍ جرأةً
من قهوةٍ تدعُ الفتى مستحسناً
مع ناعسِ الأخطأِ تُخبِرُ أنه
والثلجُ يحكي في اكتنانٍ سقوطه
والدهرُ نكَّسَ عن ليقاءٍ أعزلاً
من غفلةٍ في شُربيه أن يسجها
ما قال فيما ريمٍ منه قطُّ لا
وضئيلٍ جثته دقيماً غريباً
ويا بعداً ما بين هذا وبين قولِ بعضِ أهلِ عصرنا وهو :

[^١] والشمسُ طالعةٌ ولما تغربِ
خِلتَ الرّذاذَ برادةً من فيضةٍ
قد غُرِبتْ من فوقِ نبطِ مُذهبِ
ولأبي الفضلِ في الشيبِ^٢ :

١ ص : فتسبغهم .

٢ بياض في ص .

٣ الشريشي ٢٩٧:٤ .

طاقةً نغصت^١ عليّ شياي
فأقامت عند المكان ونابت
قلتُ ماذا لهذا لعمرُ التصابي
قال^٢ قد جرى من الرسم للسل
وان ازددت في الجفاء فلا تُن
فتمدّت نتفمها غيرَ وان
عند نتفمي من غيرها طاقتان
لشياي وجدّتي محنتان
طان أخذ البراة قبيلَ الجان
كبرٌ قدومي عليك مع أعوان

الم في البيت الأخير بقول [الآخر] :

[وزائرة للشيب لاحت بعارضي فبادرتها بالقطف خوفاً من الختف]^٣
[فقالت علي ضعفي استطلت ووحدي] رويدك حتى يلكحق الجيش من ختلفي

وفي البيت الثاني والثالث بقول كشاجم^٤ :

أخي قُسمُ فعاوني على شيبةٍ بنغت
إذا ما مضى المنقاشُ يأتي بها أبت
كجانٍ على السلطانٍ يجزى بذنبه
تعاثق بالجيران من شدة الرعب

وقال أبو الفضل من طردية :

أنعتُ كلباً لم يُنصبْ مثاله
مثلَ الهزبرِ سلبتُ أشباله
يُطمِعهُ من حِرصه خياله
أو كالظالمِ ضلّ عنه راله

٢ ص : قالت .

١ ص : نقضت .

٣ . زيادة من الشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٤ زهر الآداب : ٨٩٨ والشريشي ٤ : ٢٧٩ .

٥ ص : يطممه . . . خباله .

يسأمُ من مطاليهِ مطالهُ وفي ودِيقِ فَمه جريالهُ
فكائننا من صيدِهِ عيالهُ

وله من قصيدٍ طويلٍ^١ :

كأئما الفَحْمُ والنيرانُ تُلْهِبُهُ
أو الزُّنُودُ براها السيفُ في رَهَجِ
مدَّ الرمادُ عليه بعدَ رَقْدَتِهِ
أقولُ للنارِ والأحزانُ نائِرَةٌ
إيتاكِ أن تَمقرِبي ناراً مؤجَّجَةٌ
أظنُّ أنكِ ما لاقيتِ ما لَقِيتِ
ولا مُنِيتِ بتوديعِ وقد جعلوا
ولا فُجِعتِ بغزلانِ ألفتهمُ
سطا الفِراقُ عليهم غفلةً فغدوا
فسرتُ شِرقاً وأشواقي مُعْرَبَةٌ
لولا تَداركُ دَمعي يومَ كاظِمَةٍ
ياسارقُ القلبَ جَهراً غيرَ مُكْتَرِثِ
ارمُتُ بعينِ الرضا تَنعِيشِ بعاطفَةٍ

هَمَامٌ مِنَ الزَّيْجِ فِي ثَوْبٍ مِنَ السَّرَقِ
مِنَ الْهُنُودِ عَلَيْهَا شَطْبَةُ الْعَسَقِ
عَيْنًا لَهُ حَسَسَكَ مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
وَالْقَلْبُ فِي غَمْرَاتِ الْحَبِّ لَمْ يُفِيقِ
بِلا عَيْسَجِ الشُّوقِ فِي قَلْبِي فَتَحْتَرِقِ
قُلُوبُ أَهْلِ الْهَوَى مِنْ جَاحِمِ الْفَلَقِ
بِيضَ السَّوَاعِدِ أَطْوَأَقًا عَلَى الْعُنُقِ
سَارُوا بِقَلْبِكَ إِذْ سَارُوا مَعَ الرُّفُقِ
مِنْ جَوْرِهِ فِرْقًا مِنْ شِدَّةِ الْفِرْقِ
يَا بَعْدَ مَا نَزَحْتَ مِنْ طُرُقِهِمْ طُرُقِي
لَأَحْرَقَ الرِّكْبَ مَا أَبْدَيْتُ مِنْ حَرِّقِ
أَمَنْتِ فِي الْحَبِّ مَنَ بَعْدِي^٢ عَلَى السَّرَقِ
قَبْلَ الْمَنِيَةِ مَا أَوْهَيْتَ^٣ مِزْنَ رَمَقِ

١ . منها أبيات في نفع الطيب ٣ : ١١٥ .
٢ ص : يمدي ؛ النفع : أن يمدي .
٣ النفع : أبقيت .

لم يبقَ مني سوى لفظٍ يَبوحُ بما ألقى فيا عجباً لللفظِ كيف بقي
صاني إذ اشئت أوفاهنجيرُ عَلائيةً فكلُّ ذلكَ محمودٌ على الحدقِ

ومنها في وصف الطبل والنور :

كأنَّ قَطْرَاتِهِ من بعدِ ما جَمَدت لآلئُ فوقَ أصدافِ من الورقِ
فالنَّورُ قَد رَمَدتْ بالثلجِ أعينهُ فليس يترنو بجفنٍ غيرِ مُنطبقِ
والغصنُ قد ضُربَتْ أيدي الضريبِ على أوراقِهِ فتراه مائلَ العُنُقِ

قوله : « بيض السواعدِ أطواقاً على العُنُقِ » معنى مشهور ، ومنه قول القائل وهي أبياتٌ يتداولها القوالون^١ :

مشتاقهُ طَرَقَتْ بالليلِ مُشتاقاً أهلاً بمن لم يتخُنْ عهداً وميثاقاً
يا زائرأ زار من قُربِ على بُعدِ آنستَ مُستوحشاً لا ذُقتَ ما ذاقاً
يا ليلُ عرّسْ على خيَّتينِ قد جعلاً بيضَ السواعدِ للأعناقِ أطواقاً

ومن قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به من الصفات ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها

قال من قصيدة في معز الدولة صاحب حلب :

وقفت على رسم الديار مسائلاً وهل يشتفي^٢ من لوعة الحب سؤالٌ؟

.....

٢ ص : يشفي .

١ الشريشي ٤ : ٣٠ .

فألوى رُسومَ الصبرِ رسمٌ من اللوى
يُحيي بها صوبُ الحياءِ معلماً
فما روّضت أرضُ الميهادِ ملاحيفاً
ورقاءَ تستملي حنيني بنوحها
وإني إذا ما ازورّ عني منزلٌ
أقيمُ إذا ما العزّ وطندَ مفرشي
أنا ابنُ السرى إن ملّني متنٌ سابقٍ
كأن الفلاظير^٣ لها الليل حجلة
تُفوزُ في قطعِ المفاويزِ جرّاتي
إذا البدرُ جلىّ وجهةَ البرّ نورهُ
سقى حلباً والحىّ من آلِ عامرٍ
فكسّم^٤ أثمرت فيه القنا من مناقيفٍ
إذا خطبوا العلياءَ يومَ كريمةٍ
بيّضنِ معزّ الدولةِ انكشفت لنا
تجافى محيياً المالِ حتى كأنما

وطلّ دموعي بالسّيبَةِ اطلالُ [٦٠]
خلتعنّ عليهنّ المحاسينَ أنوال
وزهرُ رُباهَا الحسليّ والنورُ خلخال
كيلانا على عهدِ الأحبةِ هدّال
رمى الحلّ في قُطربنه شدّ وترحال
وأنبو إذا ما أعقبُ العزّ إذلال
تسلّمني شخّنتُ الجزارةَ مِرقال
تحنّ إليها من ركابيّ أطفال
إذا كاعَ عن قطعِ المجاهلِ جهّال^٥
فممدّةُ ظليّ فوق وجنته خال
هزيمٌ توالى من نشاصك^٥ مهطال
وكم أتعبت فيه الصوارمَ أبطال
فأسيافهم فيها مهوورٌ وأجعال
من الدهرِ أحوالٌ مرّتهنّ أحوال
يُقابلُه منه وُشاةٌ وعُدّال

١ ص : بالست ، والتصويب تقدير ي .

٢ ص : أعقت .

٣ ص : طير .

٤ ص : طاع . . . جاهل ؛ وكاع لغة في كع أي أحجم .

٥ النشاص : السحاب .

كأنَّ الوغى طرفٌ له الجبيلُ أمحجرٌ له النقعُ أكحالٌ له الزانُ ٢ أميال
وأسمَرَ عَسَمالٍ إذا احتدمَ الوغى تصدَّقَ منه الزادُ أطلسُ عَسَمال

وله من أخرى في ابنِ ذي النون المأمون :

لا يشربُ الماءَ ما لم يُحُفِّفْ حافَتَهُ ٣ حتى إذا قَطَّرَتْ أرماحُهُ شرباً
ولا يردُّ المَحِيَّاءَ الطلوقُ بَغْرَتَهُ ٤ كالقيرنِ عَنَّ بَرقِ خُلُوبِ خُلُبِيا
ما بالُ بَالي إذا سَكَنَتْهُ نَفَرَتُ عِشارُهُ وإذا كَفَمَكَفَمَتُهُ انسربا
ألتبرمِ بالدنيا وزينتِها أم البعيدُ من الآمالِ قد قَرَّبا
بهِمَّةِ المَلِكِ المأمونِ حينَ غدا إفضالُها لِيَتَناهي هِمَّتِي سَبِّبا
الواهبِ الألفِ لا عَيْناً ولا وَرِقاً ولا عِشاراً ولكنْ أنعماً قُشْبِبا
في جَحْفَلِ كسوادِ الليلِ مُرْتَكِمِ ٥ لكنْ أَسَنَّتُهُ صارتُ له شُهْبِبا
كأنَّما نَهَجُ أنبوبِ الرماحِ به ما قد ورثتَ من العلياءِ أباً فأبا
قَتومٌ إذا رَكَبوا سداً والفضاءِ وإنْ [حَلَّوا] توهَمَتهم في البيدِ رَجُلَ دبا
قد صَيَّرُوا الحربَ كأساً والدماءِ بها

وله فيه من أخرى :

١ الجبل : الساحة ، يعني هنا ساحة الوغى .

٢ ص : الران .

٣ كذا هو ولم أستطع توجيهاه .

٤ البقرة : قوة الماء أو الدفعة الشديدة من المطر ، وقد يكون معناها هنا : الشرب دون ارتواء .

٥ ص : حوُفت .

ولم يفهموا ما تكتبُ البيضُ في الوغى
تسرع حتى خيلتُ كلَّ مُقتَصِرٍ
وحتى توهمنا النجومَ أسِنَّةً
ولا السمرُ حتى أعجمنا بالخوافِرِ
مِن الخيلِ محمولاً على ظَهْر طائرٍ
ونحيلنا الهلالَ بينها لِشَرِّ حافرٍ

وله من مرثية في الملك شروان شاه :

يا موضِعاً^١ عن مَلِكِهِ وَسَرِيرِهِ
طَلَّتْ^٢ رزيتُهُ دَمِي إنْ لم أَدَعِ
يا تاركاً رُسُلَ الملوِكِ ببابِهِ
أرَحَلْتُ ثم تركتنا ولتَقَبَلْ ذَا
أُتْرَى دليِلِكَ في السرايا غرَّةُ
صيرنا نُقَبَلُ قَبْرَهُ ولطالمسا
جَدَّتْ غَدَا جَفْنَا لأبْصِرِ ناظِرٍ^٣
يا قَبْرُ لم نَعْرِفْ تَشْتَتَ شَمَلِنَا^٤
ظَلْنَا نَشَقُّ جِوِينَا من بعد أنْ
ونعُبُ كاساتِ الدُموعِ كأننا
عُدَلِ البكاءِ فظلَّ يَنْشِدُ نَفْسَهُ^٥

ماذا أضرك لو لبثت قليلا ؟
دَمَ مُقَلِّي في لِحْدِهِ مَطْلولا
مَنْ ذا يَرُدُّ عليهمُ التَّجْمِلا ؟
كنا نَحْفُ^٣ إذا أردتَ رَحِلا
خَطَأُ^٤ فسارَ إلى الحِمَامِ دليلا ؟
كنا نُبَيِّحُ بِسِاطِهِ التَّقْبِلا
أَمسى وأصبحَ بالرَّدى مَكحولاً
حتى غَمَدَتِ الصَّارِمَ المصقولاً
كنا نُجَرُّ في ذِراهُ ذُيولا
في أنسِ مَجَلِسِهِ نَعْبُ شَمولا
بيتاً يُمَهِّدُ عُدْرَهُ المقبولا

- ١ ص : برصعاً ، ولعل الصواب « مزماً » .
٢ ص : طلب .
٣ نحف : لعله يعني نحيط بركابك ، والا فاقراً « نحف » .
٤ ص : لانصر ناصر .
٥ ص : تعرف . . . بعمالنا .

رَدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
مَا لِلرَّمَاحِ قَصُورُنَ عَنِ دَرَكِ المَدَى
وَلتَقْبَلُ كُنَّ إِذَا رَأَيْتُكَ عَازِمًا
لِئْسَ الحَدَادَ حَمِيدُهُنَّ فَمَا نَرَى
تَبْكِيكَ أَقْلَامَ [زَهَتْ] مِنْ عَظْمٍ مَا
وَبِحُورٍ شَعْرٍ غَاصَ ٢ مَدْحُكَ فَاثْتَقَى

وله من أخرى في بعض عبيده :

أَعْبَدْتِي قَدْ أَسَارْتَمَا [فِي] جَوَانِحِي
أَسَاتِمَ وَلِلْحَبِّ المَبْرَحِ حُجَّةٌ
لِئِنْ بَزَنِي دَهْرِي بِبَغْدَادَ ثُرُونِي
فِيَا لِيَتْنِي لَمْ آتِ بِبَغْدَادِ نَابِيهَا
فَلَوْ كُنْتُ فِيهَا لَمْ تُحَصِّصْ قَوَادِمِي
فَمَزَقْتُ أَثْوَابَ الفَلَا بِسَوَابِقِي
إِذَا [مَا] أَمَّالْتَنِي بِهَا نَشْوَةُ الكَرَى
وَإِن أَنَا طَلَقْتُ النِّهَارَ بِجَوَازِمَا
وَمَنْ طَلَبَ الغَايَاتِ جَرَّعَ نَفْسَهُ

مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ سَيِّلَا
وَرَأَيْتَ حَمَلًا نُصُوبُهُنَّ فُضُولَا؟
عَايَنَ طُوبَىكَ فَاسْتَفْدَنَ الطُّوَلَا
إِلَّا سِنَانًا مِنْ صَدَاهُ كَلِيلَا
كَتَبْتَ فُتُوْحَكَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلَا
مِنْهُنَّ دُرًّا فِي النِّتْظَامِ جَزِيلَا

مِنْ الوَجْدِ دَاءٌ مُسْتَكِينًا وَبَادِيَا
تُحَسِّنُ فِي عَيْنِي تِلْكَ المَسَاوِيَا
فَمَا زِلْتُ مِنْ كَسْبِ المَحَامِدِ كَاسِيَا
وَأَصْبَحْتُ فِي أَكْنَافِ شِرْوَانِ عَارِيَا
وَلَا أَحْفَتِ الأَشْوَاقُ مِنْهَا الخَوَافِيَا
تَنْظِلُ بِهَا الأَنْضَاءُ تَفْطِي الفِيَا فِيَا
تَسْرِنَحَ فِي كَفِّي المَهْنَدُ صَافِيَا
خَطَبْتُ خُدَارِيًّا ٣ مِنْ اللَّيْلِ دَاجِيَا
سَلَافِ السَّرَى وَاسْتَنْهَضَ النِّجْمَ سَاقِيَا [٦١]

١ ص : عن .

٢ ص : عام .

٣ ص : حواريًا .

ما أخرجته من مقطوعاته الإخوانيات وغيرها
في أوصاف مختلفات

له من قصيدة في وصف القيروان وقت فتنة العامة بها يقول فيها :

حالت عليّ القيروانُ بِحَالِهَا عمّا عهدتُ العيشَ فهو منقُصُ
فخرابُها في كلِّ يومٍ زائدُ وصُبابَةُ المعمورِ فيها تنقُصُ

ومنها :

إن كان أرخصني الزمانُ فَإِنَّهُ أسدى إليّ بضائعاً لا ترخُصُ
أو كانَ غيّرَ من طِبَاعِي موضعي فالحمرُ إنْ تَرَكَتْ وعَاها تَقْرُصُ
كيف الرجوعُ وطِرفُ حالي عاثرُ وجناحُ آمالي الكسيرُ مُقْصَصُ

وله من أخرى :

ولمّا أنْ كساني الشيبُ ثوباً ولم يكُ وقتَ تغيّرِ الشيبِ
أتاني غفلةٌ والنفسُ فيها بقايا من عقابيلِ التصابي
وغُصنُ شيبتي غُصنُ نضيرِ به ظمأٌ إلى ماءِ الشبابِ
ورامَ الناسُ مِنِّي ما يُضاهي مَشِيبِي فِي فِعَالِي أو حِطَابِي
ولم أقدمْ على وصلِ التصابي مَخَافَةَ أنْ أدنسه بعابِ
فنداومتُ المندامَ فما أبالي ببالي إنْ تَخَطَّتْ عَن صوابِ
فإنْ ظهرَ التصابي في يوماً أحلتُ به على فِعْلِ الشرابِ

١ ص : ضياعي .

وهذا من قول حسّان^١ .

نولّيتها الملامة إن ألممتنا

إذا ما كان مغمّثاً أو لحاءً

وقال أبو الفضل :

ومُعْتَبَفٍ لي في المُقَامِ ضَرُورَةٌ
ألقى الهوانَ بها وكم مِن عِزَّةٍ
جَهَلُوا على الإحسانِ فيها مَوْضِعِي
فكأنتي القرآنُ عندَ مُعْطَلٍ
ما الدرّ يَنْقُصُ فَضائِهِ في بَحْرِهِ
كلاّ وليسَ المِسْكُ يَبْطُلُ عَرْفُهُ
ما عَيْبُ ضَوْءِ الشَّمْسِ عندَ بَرْوِغِهَا
والليثُ لا يَنْسَى اسْتِطالَةَ بَأْسِهِ
أو ما ترى الدنيا بِفقدِ مَلِيكِهَا

بالقيروانِ وما بها سُلْطانُ
قد ساقها نحوَ الرجالِ هَوَانُ
لو كان يَنْفَعُ عِنْدَهُمُ إِحْسانُ
أو في بلادِ هِرا بَدِ رَمَضانُ
أن ليسَ تَعْرِفُ قَدْرَهُ الحِيتانُ
إن ضَيَّعْتَهُ بِجَهْلِهَا الغِزْلانُ
أن ليسَ يُدْرِكُ نورَها العُمَيانُ
إن ضَمَمَهُ في خَيْبِئِهِ خَفَيانُ
طَرَفًا وَلَكِنْ ما له إنسانُ ؟

وله من أخرى :

وأعْظَمُ من مُصِيباتِ اللَّيالي
يَقابِلُني بُوْدٌ مُسْتَمِيلٍ
إذا عاتَبْتُهُ أبدي مجوناً
ومن جعل السّمومَ له دَواءً

عَلَيَّ وصَرَفِيها خيلٌ خَوْونُ
وبينَ ضلوعِهِ داءٌ دفينُ
وعِلَّةُ ذلك العَتَبِ المَجونِ
فيوشكُ أن يَفْجِئَهُ المنونُ

١ ديوان حسان : ١٧ .

أهْمُ بَأْنُ أَجَازِيَتِهِ فَيَسْأَلُنِي
أَرَى هَذَا رَأْيَ الْكَلَامِ الْمَحْضِ غَثًّا
وَلَمْ يُزْعِجْ زَيْبُ الْأَسَدِ حِلْمِي
أَبْطَمَعُ أَنْ يَشُقَّ غُبَارَ مُهْرِي
سَلِّ السَّمَرَ الذَّوَابِلَ مَا غَنَائِي
أَلَمْ أَجْعَلْ مُثَارَ النَّقْعِ بِحَرًّا
عَلِيَّ الْأَصْلُ وَالْعِرْضُ الْمَصُونُ
فَيُرْدِعُنِي عَنِ الْغَثِّ السَّمِينِ
أَبْزَعَجُهُ مِيزَانُ الْبَقِّ الطَّنِينِ ؟
ذَلِيلٌ تَحْتَهُ عَيْبَرٌ حَتْرُونُ ؟
إِذَا اشْتَجَرْتُ بِهَا الْحَرْبُ الزَّبُونُ
عَلَى أَنْ الْبَلِيَادَ لَهُ سَفِينُ ؟

وله من أخرى في صاحب الخيل ابن أذين من قصيدة طويلة ، منها
قوله :

وَأَعْدَبُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعُدَيْبِ
وَلَسْتُ بِمَنْ يَطَّيْبِيهِ الْغَنِي
وَمَنْ عَيْبَشَتْ نَفْسُهُ بِالْغَنِي
وَكَمْ طَسَّسَ الدَّهْرُ مِنْ جِبَابِي
وَكُنْتُ إِذَا مَا رَمَانِي الزَّمَانُ
عَلَّقْتُ أبا الْحَسَنِ الْمُتَرَجِّي
فَتَى لَوْ رَأَى الْبُخْلُ فِي نَوْمِهِ
وَلَوْ كَانَ طَيْفًا وَكَانَ الْكُرَى
فَمَا لِي أَرَى عِقْدَ إِحْسَانِهِ
وَلَمْ ذَمَّنِي عِنْدَهُ حَاسِدُ
سَلَامَتُنَا الْيَوْمَ مِنْ ذِي سَلَمٍ
وَيَسْرُودُ طَيْفًا لَهُ أَنْ يُلَمِّمُ
تَسَاوَى الْغَنَى عِنْدَهُ وَالْعَدَمُ
فَرْدًا نَضَارَةَ مَا قَدْ طَسَّمُ
أَوْ كَادَ أَوْ هَمَّ بِي أَوْ عَزَمُ
فَأَمْسَيْتُ مِنْ صَرْفِهِ فِي حَرَمُ
أَوْ ابْلَجَنَ خُلُقًا لَهُ لَمْ يَنْسَمُ
طَرَوْقًا لَغَيْرِ الْعَلَا مَا أَلَمُ
تَبَدَّدَ مِنْ سِيْلِكِهِ مَا نَطَّمُ ؟
كَأَنَّ بِهِ جِنَّةً أَوْ لَسَمَمُ

بدا وجهه فاشتبهت العمى
وقد كنت تُرضعُ درَّ الصفا
كذا الطفلُ يرضعُ حتى إذا
يسألني الناسُ عما تقولُ

[وله] :

وكلمني فاستزرتُ الصمم
وإدادي فما ليودادي فطم؟
ترعرع غيبب عنه الحلم
وما قلت لي قط إلا نعم

قالوا مدحت أناساً لا خلاق لهم
فقلت لا تعدلوني إنني رجل

وقال :

ما إن أرى قُربكمُ صائباً
وما جلوسي عندكم أنتي
لكنني أجلسُ [ما] بينكمُ

وأنتم لي غيببُ أجناس
أعدكم من بعض جلاسي [٦٢]
تعلتلاً من عدم الناس

وقال في رجل يعرف بابن كثير :

وما الخير مما يرتجى في ابن واحد

فكيف نرجيه من ابن كثير؟

وقال :

وكيف نرجو السحاب الجود من رجل
أصبحتُ أحلبُ تيساً لا مدر له

لا يطمعُ الطيرُ فيه وهو مصلوبُ
والتيسُ من ظن أن التيسَ محلوبُ

وقال :

١ ص : مالي إن .

يا لائماً عمرانَ لا تُنشدنَ عمرو بنَ كلثومٍ «الاهبي»
طمعتَ في كلبٍ فداريتَهُ والكلبُ من يطمعُ في كلبٍ

فصلٌ في ذكر طائفة من الشعراء المقلتين الطارئين على هذا الأفق من بلاد
المشرق ، مع ما يتصل بذكرهم من المعارف المفيدة

منهم :

سليمان بن محمد الصقلي^١ : كان - فيما بلغني - من أهل العلم والأدب
والشعر ، ووفد على هذا القطر سنة أربعين وأربعمائة ، وقصد بمديحه
عدة من الرؤساء . وتقدم بفضل أدبه عند الكبراء . ومما أنشدته له
في عدول قبيح قوله^٢ :

رأى وجه من أهوى عدولي فقال لي أجلك عن وجه أراه كريها
فقلت له بل وجه حبي مראה^٣ وأنت ترى [تمثال] وجهك فيها
ومن شعره^٤ :

١ لسليمان بن محمد الصقلي ترجمة في الجذوة : ٢٠٦ (بغية الملتبس رقم : ٧٦٤) وفي الخريدة
(٩٤ : ١) ترجمة لسليمان بن محمد الطرابلسي (اقرأ : الطرابلسي أبي من طرابلس بصقلية)
وذكر انه دخل افريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها واتخذها لمخالطة ملوكها سكنا ،
وليس من المقطوع به أن يكون هو نفسه المترجم به عند ابن بسام ، وانظر مسالك الأبهصار
١١ : ٤٥٤ والمكتبة الصقلية : ٥٧٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٥ .

٢ الجذوة : ٢٠٨ والثريشي ٤ : ٧٨ .

٣ زيادة من جذوة المقتبس .

٤ الجذوة : ٢٠٨ .

تَقَلَّبَ دهرنا فالصقرُ فيهِ
على الدنيا العفاءُ فقد تناهى
وما النعماءُ للمفضولِ إلاّ
ذريتي أجعلِ الترحالَ سبيكاً
يُطالبُ فضلَ أرزاقِ الحمامِ
تسرُّعها إلى أيدي النمامِ
كمِثْلِ الحَلَمي للسيفِ الكَهامِ
أنظّمُ فيهِ ساحاتِ المَوامي
فإني كالزُّلالِ العَذْبِ يُؤذِي
صفاهُ وطعمته طولُ المُقامِ

وهذا المعنى مشهور . وقد مرّ منه في تصاعيفِ هذا التصنيفِ كثير ،
كقولِ بعضِ أهلِ عصرنا^١ :

ماتتُ حِمصَـ وماتتني فلو نطقتُ
كما نطقتُ تلاحينا على قنَدَرِ
وسوّلتُ ليَ نفسي أن أفارقها
والماء في المِزنِ أصفى منه في الغنْدُرِ
وكذلك قوله : « بَلْ وَجْهٌ حَبِيبِي مِرْءاةٌ » معنى متداول . منه قول
يوسف بن هارون الرمادي^٢ :

ولذا أرادَ تَنزُّهاً في رَوْضَةٍ
أخذَ المرآةَ بكفِّه فأدارها
وقال الآخر^٣ :

أنا كالمرآةِ ألقى
كلَّ وجهٍ بمثاليه^٤
وقال العباسُ بنُ الأحنفِ^٤ :

١ هو الأعمى التليلي ، انظر ديوانه : ٤٥ .

٢ الشريشي ٤ : ٨٧ .

٣ لابن الرومي في تشبيهات ابن أبي عون : ٢٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٢٨٠ والشريشي ١ : ٣٠ .

همتت بآتياننا حتى إذا نظرتُ إلى المِراةِ نَهاها وجهُها الحسَنُ

ولبعضِ المصريين^١ في غُلامٍ كان يَهواه ، مما ينتَظَرُفُ معناه^٢ :

يجري النسيمُ على غِلالَةٍ^٣ وجههٍ وأرقُّ منهُ ما يمرُّ عليهِ
ناولتُهُ المِراةَ يَنتَظِرُ وجههَ فَعَكَستُ فتنةَ ناظرِيه إلىه

ورأى أبو الحسن السَّلامي في يَدِ غلامٍ يَحمِلُ إليه مِراةً فقال^٤ :

رأيتُهُ والمرأةُ في يَدِهِ كأنَّها شَمْسٌ على مَدِيكِ
فقلتُ للصورةِ التي احتَجَبَتْ من غيرِ زُهدٍ فيها ولا نُسُكِ
يا أشبَهَ الناسِ بالحبيبِ ألا تُخبرنا عنكَ غيرَ مؤتَمِكِ
قال أنا البدرُ زرتُ بدرَكمُ وهذهِ قطعةٌ مِن الفسَلِكِ
قلتُ فلإني أرى بها صَدَأً فقال هذي بَقِيَّةُ الحُبِّكِ

١ ص : أهل المصريين ، وقد صوبته اعتماداً على ما يرد في الحاشية التالية .

٢ البيتان لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى (وجده يونس ابن عبد الأعلى صاحب الفقيه المصري عبد الله بن وهب) وكان عالماً بالنجوم (انظر القفطي : ٢٣٠ وحسن المحاضرة ١ : ٥٣٩) وقد ذكره صاحب زهر الآداب وقال : وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن وطبع صحيح وحوك مليح (٦١٣) وأورد نماذج من شعره وفيها البيتان (٦١٤) وعند التوطئة لذكره قال : وقال بعض أهل العصر ، ويبدو أن ابن بسام اضطرب في النقل ، فالشاعر بعض أهل العصر بالنسبة للحصري صاحب زهر الآداب ، لا بالنسبة لابن بسام ، وبمد أن أدرك ذلك رمج على « أهل » وحول لفظة العصر إلى « المصر » يين ، ولا وجه يسوغ أن يقال أهل المصريين ، وانظر الشريشي : ٧٨ .

٣ زهر الآداب : غلائل .

٤ اليتيمة ٢ : ٣٩٧ .

وذكرتُ بذكره المرأة قولَ القراطيسي الكوفي^١ . وهي أبياتٌ يتداولها
القوالون :

ما تنقضي من عجبٍ فكرتي في خصلةٍ فرطَ فيها الولاهُ
تركِ المحبين بلا حاكمٍ لم يُقعدوا للعاشقين القضاءُ
وقد أتاني خبرٌ ساعني مقالها في السرِّ : واسوأناه .
أمثلُ هذا يبتغي وصلنا أما يرى ذا وجهته في المراه !

قال القراطيسي^٢ : وقلتُ يوماً للعباس بن الأحنف : هل ألمت بهذا
المعنى ؟ فأنشدني لنفسه :

جاريةٌ أعجبها حسنها ومشاؤها في الناس لم يُخلقِ
خبرتها أني محبٌ لها فأقبلت تضحك من منطقي
والتفتت نحو فتاة لها كالرشد الوسنان في قرطقي
قالت لها قولي لهذا الفتى أنظروا لي وجهك ثم اعشقي

وحدثني الفقيه أبو بكر بن الوزير الفقيه [أبي محمد ابن] العربي^٣ ؛
قال : حدثت عن الفقيه أبي عبد الله الحُمَيْدِيِّ عن سليمان بن محمد

.....

١ هو اسماعيل بن معمر القراطيسي الكوفي وكان يصاحب أبا نواس وأبا العتاهية (انظر ترجمته
في الورقة : ١٩١ - ١٠٢ والأغاني ٢٣ : ٧٢ والأبيات التي ذكرها ابن بسام وردت في
المصدرين المذكورين والشريشي ٤ : ٧٧) .

٢ انظر المصدرين السابقين ، وديوان العباس : ٢٠٣ والشريشي ٤ : ٧٨ .

٣ وردت القصة في الجذوة : ٢٠٦ مع اختلافات يسيرة في العبارة وبدائع البدائنه : ٣٤٨ .

الصقلي . قال : كان بسوسة إفريقية رجل " أديب " ظريف يهوى غلاماً جميلاً من غلمانها . واشتد كلفه به . فتجنى الغلام عليه : فبئسناه ذات ليلة يشربُ مُنفرداً وقد غلبَ عليه السكرُ خطرَ بيابه [٦٣] أن يأخذَ قَبَسَ نارٍ فيحرقَ به داره . ففعلَ وجعله عند بابِ الغلام فاشتعل ناراً ، فاتفق أنْ رآه بعضُ الجيرانِ فأطفأه . فلما أصبحَ حُمِّلَ إلى القاضي فسأله لمَ فعلَ ذلك : فأنشأ يقول :

لما تمادى على بعادي وأضرمَ النارَ في فؤادي
ولم أجيدُ من هواهُ بدءاً ولا مُعيناً على السهادِ .
حملتُ نفسي على وقوفي بيابه حملةَ الجوادِ
وطارَ من بعضِ نارٍ قلبي أقلُّ في الوصفِ من زنادِ
فاحترقَ البابُ دونَ علمي ولم يكنْ ذلكَ من مُرادِ

فاستظرفه قاضي البلد . وتحملَ عنه ما أفسد .

قال الحميدي^١ : وكنتُ أظنُّ أن هذا المعنى ممماً تفردَّ به هذا القائل حتى أخبرتُ أن نصرَ بنَ أحمد الخبزُرزي^٢ دخلَ على أبي الحسن^٣ ابنِ المثنى في إثرِ حريقِ المرَبَد ، فقال له : هل قلتَ في هذا شيئاً؟ فقال : ما قلتُ ، ولكن أنشيدك ارتجالاً ، وجعلَ ينشيدُ هذه الأبيات :

١ انظر الجذوة : ٢٠٧ ، والأبيات في بدائع البداهة : ٣٤٨ .
٢ كان الخبزُرزي (- ٣٢٧) شاعراً أمياً يجيزُ خبزَ الأرزِ بمربدِ البصرة في دكان ، وينشد أشعاره فيحتشد الناسُ حوله لسماعها (ابن خلكان ٥ : ٣٧٦ وفي الحاشية مصادر أخرى) .
٣ الجذوة : الحسين .

أَتَتَكُمُ شُهُودُ الْوَرَى تَشْهَدُ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَجْحَدُوا
فِيَا مِرْبِدِيُونَ نَاشِدُتُكُمْ عَلَيَّ أَنْيَ مِنْكُمْ مُكَمِّدُ^١
جَرَى نَفْسِي صَعْدًا نَحْوَكُمْ فَمِنْ حَرَّةِ احْتِرَقَ الْمِرْبِدُ
وَهَاجَتِ رِيَّاحُ حَنِينِي لَكُمْ فَظَلَّاتْ بِهَا نَارُكُمْ تُوَقَّدُ
وَلَوْلَا دُمُوعِي جَرَّتْ لَمْ يَكُنْ حَرِيقُكُمْ أَبَدًا يَخْمَدُ

فصل^٢ في ذكر الأديب أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني

من جُملة مَنْ وفد أيضاً على البلدِ في ذلك الأوان . وكان الغالبَ على أدواته علمُ اللسان . وحفظُ الغريبِ والشعرِ الجاهليِّ والإسلامي ، إلى المشاركةِ في أنواعِ المتعالمِ . والتصرفِ في حملِ السلاحِ ، والحديثِ بالآلاتِ الجُنْدِيَّةِ . والنفاذِ في معاني الفروسية ؛ فكان الكاملَ في خلالِ جملةِ طرأ

١ الجذوة : مجهد .

٢ لثابت الجرجاني ترجمة في الجذوة : ١٧٣ (بغية الملتبس رقم : ٦٠٢) والصلة : ١٢٥ والاحاطة ١ : ٤٦٢ (وفيه نقل عن الذخيرة) . وبغية الوعاة : ٢١٠ ومجمع الأدباء ٧ : ١٤٥ ؛ ولد ثابت سنة ٣٥٠ ودرس ببغداد على عبد السلام البصري والربيعي وابن جني ، لقي أوطما ببغداد سنة ٣٧٨ . ثم هجر إلى الأندلس . وأخذ عنه الأندلسيون شرحه بحمل الزجاجي (فهرست ابن خير : ٣١٥) ودرس عليه بعضهم حماسة أبي تمام (٣٨٧) ؛ وقد كانت صلة ابن حزم به وثيقة إلا أنه يشير إليه في الفصل (١ : ١٧) باسم « أحد الملحدين » ولعله أثر في ابن حرم بمعرفة المنطقية واثقائه للتعالم ؛ غير أنه حين التحق بباديس بن حبوس تورط في شؤون السياسة ولحقته تهمة التدبير ضد باديس مع ابن عمه يدور فقتل سنة ٤٣١ وفي الاحاطة تفصيل واف بمحنه وخبر مقتله نقلا عن كتاب المتين لابن حبان .

على الجانب منذُ صدرِ الفِتنَةِ للدائعِ من كرمه ، فأكرمَ نُزُلته ، ورفعَ من شأنه ، وأصحابه ابنه المرشحَ - كان - لسلطانه . فلم يزلْ له بها المكانُ المكينُ إلى أن تَغَيَّرَ عليه يحيى بتغَيُّرِ الزمان ، وتقلَّبَ الليالي والأيام بالإنسان ، ففارقه ولحقَ في غرناطة بعسكرِ البرابرة ، فحالتْ به من أميرهم باديس الفاقِرة .

ووجدتُ بخطَّ الفقيهِ أبي محمد بن حزم ، قال ٢ : إن أولَ مَنْ لَتَقِيَ مِين ملوكِ الأندلسِ مجاهدُ العامريِّ المتقدمُ الذكر ، فأكرمَ نُزُلته وأنيسَ به ، وسأله يوماً عن رفيقٍ له رآه معه ، فقال الجرجاني :

رفيقانِ شتى ألفتَ الدهرُ بيننا وقد يلتقي الشتى فيأتلفانِ

قال أبو محمد بن حزم : ثم لقيتُ بعدَ ذلك أبا الفتوحِ فأخبرني عن بعض شيوخه أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلين يتحدَّثان ، فقال لأحدهما من أين أنت؟ قال من اسببجاب ، وسأل الآخر فقال : من الأندلس ، فمعب ابنُ الأعرابي من ذلك وأنشد البيت المتقدم .

ثم أنشدني هذه المقطوعة ٣ :

- ١ الاحاطة : الحاجب ، والسياق يشير إلى أنه طرأ على علي بن حمود الحسني ، ولم يكن علي حاجباً ، بل خليفة ؛ ثم اتصل بعمه بابنه يحيى .
- ٢ انظر الجذوة ومجمع الأدباء .
- ٣ لم يرد في ص منها إلا بيتان هما الأول ، والشطر الأول من الثاني والشطر الثاني من الرابع ، وهذا الاضطراب يستدعي تصحيحها ، كما أن قوله « مقطوعة » يعني أنه أورد ما يزيد على بيتين .

نَزَلْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ يَمَنِّيَّةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانٍ
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَهَا [لَايَةٌ أَرْضٍ أَمٍ مِنَ الرَّجْلَانِ
فَقُلْتُ لَهَا أَمَا رَفِيقِي فَقَوْمَهُ تَحْمِيمٍ وَأَمَا أُسْرَتِي فِيمَانِ
رَفِيقَانِ شَتَى أَلْفَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا] وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَى فَيَأْتِلِفَانِ

قال ابن حزم^١ : وأخبرني أبو الفتوح الجرجاني ، قال : أخبرني
علي بن حمزة [ان القصيدة التي أولها « هذي برزت لنا فهجرت رسيسا »
قالها المتنبي في محمد بن زريق] وكيل زوامل^٢ ابن الزييات صاحب طرسوس^٣
وأنه وصله عليها بعشرة دراهم ، فقيل له إن شعرة حسن ، قال : ما أدري
أحسن هو أم قبيح ، ولكني أزيدُه عشرة أخرى ؛ فكانت صلاته عليها
عشرين درهماً .

فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي أحد أضياف بن ذي النون

قال ابن بسّام : ولم يقع لي من شعر هذا الرجل إلا قصيدة من جملة
قصائد غير واحد ، أنشيدت للمأمون يحيى بن ذي النون ، سنة خمس
وخمسين في صنع احتفل فيه لإعداد حفيده حسب ما أضيفه . وقصيدة
السوسي في ذلك طويلاً ، منها قوله :

١ الجذوة ومعجم الأدباء .

٢ الجذوة : الناظر في زوامل .

٣ ص : طرسوس .

لمّا بنيت مین المکارمِ والعُلا ما جاوزَ الجوزاءِ في الإجلالِ
 أعملتَ رأيتك في بناء مُكترَمٍ ما دارَ قطّ لآمِلٍ في بال
 لو زاره كسرتى أنو شروانَ لم يتصرفْ إلى الإيوانِ لحظّ مبالاً
 يا ساقِي الصهباءِ أينَ كبارها قد لذتْ وِرْدُ القهوةِ السلسالِ
 إعدارُ يحيى أبهجَ الدنيا وبيتنَ عُدْرنا في نخوةِ المُختالِ
 حشدَ السرورِ لنا طهورُ مُطهرٍ مِن عائِرِ الجُبْناءِ والبُختالِ
 عرّضُ مین الآلامِ يجلبُ صحّةً وطنْفيفُ نَقْصٍ فيه كلُّ كمالِ

انتهى ما كتبتُه منها .

ونذكر بعقبها ما تعلق بسببها فصلاً لابن حيان في وصف ذلك
 الصنيعِ الدنويّ. دلّ به على [٦٤] براعته، وأعرب به عن موضعه من
 صناعته . وسيمرّ أثناءه ذكرُ شعراء من هذه الطائفة الطارئة وسواها ،
 لانتظام كلامِ ابن حيانِ إياها . فمنهم من ذكرتُ في هذا الموضعِ بارِعَ
 أشعاره ؛ وجرّدتُ فصلاً من كتابي في مُستطرفِ أخباره . ومنهم من
 فاتَ درّكي . ولم يعلّقْ بشركي . فاقترعتُ في هذا الفصلِ على ذكره ،
 وأثبتُها هنا ما وقعَ ليّ من شعره . وكان غيرُ السوسي منهم أحقّ
 بالتقديمِ كمحمدِ بنِ شَرَفٍ وسائرِ طبّقتيه . ممّن هو أعصفُ^٢ في البيانِ
 ربحاً ؛ وأكثرُ عن الإحسانِ تنصريحاً ، ولكنّ وصلنا هذا الفصلَ بجزءِ هذا
 الرجلِ إذ لم يكن له في سواه آيةٌ تُتلى ؛ ولا حسنةٌ تُجنتلى .

١ ص : موال .

٢ ص : أعطف .

قال ابنُ حَيَّان : كتبَ ليَّ الأديبُ ابنُ جابر . قال : احتفلَ المأمونُ ابنُ ذي النُّونِ في مَدْعَاةٍ إِعْذَارِ حَفِيدِهِ يَحْيَى فحشدَ أمراءَ البلادِ ، وجُمِلَةَ الوُزراءِ والقُوَّادِ ، فأقبلوا إليها كَالقَطَا القَارِبِ أرسالا ، وقد رسمَ لخدمَتِهِ في تَوْسيعِ مَشَارِبِ هذا الإِعْذَارِ ، وإرغادِ مَوَائِدِهِ . وتكميلِ وظائِفِهِ . وإذكَاءِ مطابِحِهِ ، رُسوماً انتهوا فيها إلى حَدِّهِ . وشَقَّقَ عليها جُيُوبَ أكياسِهِ ، وأمرَ بالاستكثارِ مِنَ الطَّهَاءِ والإِتاقِ للقُدُورِ ، والإِتراعِ للجفانِ ، والصلَّةِ لأيامِ الطَّعامِ ، والمشاكلةِ بينِ مقاديرِ الأخبازِ والآدامِ . والإِغرابِ في صَنَعَةِ ألوانِها مع شِيَابٍ^١ أباريقِها بالطَّيُوبِ الزكِيَّةِ ، والقيرانِ فيها بينِ الأضدادِ المُخالِفَةِ ما بينِ حارٍّ وباردٍ . وحُلُوِّ وحامضٍ ؛ والمماثلةِ بينِ رائقِ أشخاصِها وبينِ ما تُودَعُ فيه منِ نَفائِسِ صِحافِها ؛ والاستكثارِ لها منِ أنواعِ الحلِواءِ المَجِيرةِ^٢ للمِيعَدِ منِ داءِ الإِنخامِ ، وتجاوزِ عَسَلِيتِها إلى السُّكَّرِ . فجاءوا في ذلكِ كلِّهِ بأمرِ كُتُبِ أَيْدَتِ لمطابِحِهِ أَمَمَ مِنَ الأنعامِ ، جمعَ فيه بينَ المَشَاءِ^٣ والطَّيِّارِ والعَوَّامِ . وانتُسِفَتِ لمخابِرِهِ أهراءِ مِنَ الطَّعامِ ، وأنْفِقتْ على مجاميرِهِ ومعاطرِهِ جُمُلتُ مِنَ الأموالِ الجِسامِ ، فاغتندى جماعاً؛ لمداعي أهلِ الإسلامِ العِظامِ .

وشرَّفَ المأمونُ بالاشتراكِ معَ تطهيرِ حَفِيدِهِ يَحْيَى صبياناً منِ بني أصحابِهِ ، وبدأ بحَفِيدِهِ قَبْلَهُمْ ، فكانَ أسكَنَ مَنَ حُنِفَ مَعَهُ جاشاً ، وأقلَّتَهُم

١ ص : شباب .

٢ ص : المجيرة .

٣ ص : الشا .

٤ قد تكون صورة اللفظة أقرب إلى « جماداً » .

زماً^١ ، وإنه مشى - زعموا - إلى الحديد مشياً البطل النجيد . ومكّن الخائن من عضوه فأعانه على إحكام صنعه . وسوى خيانه . وخفف آلامه . وأوشك إفراقه^٢ ، فخلص من محنته هذه الشرعية ، خلوصاً صادر السهم المصمى للرمية ، فسراً ابنُ ذي النونِ وشامَ بَرَقَ الأمانة : فعند ذلك أذكى نيرانه . وأنضجَ أطعمته ونصبَ موائده ، ودعا الجفلى إليها . ولم يُفسِّحْ لأحدٍ التخلفَ عنها . فاكتملت الأظعمة ، وفتحت الأبواب . وسهّلَ الحِجابَ . ورُفعتِ الستور . وجلبتِ المقاصير . وزينتِ القصور ، وأقيمتِ المراتب . ووكلتِ بكلِّ قسمٍ منها كبير من وجوه الخدمة ضمَّ إليه فريق من الأعوان والوزعة . يتصرفون بأمره . ويقفون عند حده . قد أخذوا بخفض الأصوات مع سرعة الحركات وحث الأقدام . فصار من بديع ذلك الصنيع الفخيم أن لم يعمل فيه صوت ، ولا تُشككي منه فوت^٣ : فطال العجب من استوائه في مثل ذلك المشهد .

قال ابنُ حبان : ولما بكرت أفواجُ عيليةِ الناس إلى باب القصر مُستبقيين ، وغشيتهُ زمرهم وزرافاتهم مُبتدرين . أنزلوا عن دوابهم عند باب المنصب الأول ، فأذن لهم بالدخول على مراتبهم . فمشوا وقد حَقَّهم سراةُ الصقَلبِ الحصيان ، وخَوَّاصُ الحشَمِ والغلمان ، فأجلسوا في الدار الأولى ذات الحائر الريان . فلما اكتملوا أدخلوا إلى المجلس الكبير . فلما استقرَّ فيه جمعهم خرجت تسمية من الأمير المأمون بإدخالِ القضاة

١ حنف : في هذا الموضع بمعنى ختن ؛ وانزع : القلق والجزع .

٢ ص : اقرافه ؛ والافراق : البرء ؛ وكل طليل أفاق من علته فقد أفرق .

٣ ص : قوت (ولها وجه إذا أغفلنا السمع الدقيق) .

والفئة هاء والعدول ومن يليهم من كبار الناس . دعاهم لذلك ذو الوزارتين أبو [عامر بن] الفرّج^١ : فقاموا والسكينة عليهم . يقدمهم قاضي القضاة أبو زيد بن عيسى القرطبي^٢ . فأدخلوا بتكريم على تؤدة ورفق . وجيء بهم إلى الدار الكبرى الثانية ذات الساحة الواسعة الزاهرة ، ثم وصلوا إلى مجلس قد فرش بالديباج التستري المرقوم بالذهب . وسُدت فوق حناياه ستور من جنسه تكاد تلتمع الأبصار بنصاعة ألوانها وإشراق عقيانها . وقد جلس لهم الأمير المأمون في جانب منه ، وحفيده في جانب آخر ، فأكبّ الناس عليه يهتونه ، ويلشمون أطرافه ، ويتناغون فيما قد روّوا وابتدوها ، وهو يشملهم بإقبال طرفه ، ويعمّتهم بإجمال رده ، فيبتشون منه إلى حفيده [٦٥] يتدعون له . ثم عدل بهم إلى مكان الأظعمة في المجلس الأول - على ذات اليسار من تلك الدار - الواسع القطر الرَّحْبِ الأبواب ، وقد فرش بالوطاء التستري ، وعُلِّقت على أبوابه وحناياه ستور الطميم^٣ المثقلة ذات الصور المقيّدة للألحاظ . وقد مُدَّت فيه صنوف الطعام . فأمنت هذه الطائفة في الأكل ازدقاً وسرطاً ، واختضاماً وقصماً ، وانتهالاً وعلاً .

١ ص : أبي الفرّج ؛ وقد كان أبو عامر بن الفرّج وزيراً للمأمون بن ذي النون ثم لابنه القادر (المغرب ٢ : ٣٠٣) وترجم له ابن بسام في الذخيرة ٣ : ١٠٣ ؛ وذكر في المطمح : ١٥-١٦ باسم «أبو الفرّج» ، وانتقل هذا الخطأ إلى نفح الطيب ٣ : ٥٤٢-٥٤٣ . واستمر الخطأ في الفهرسة كذلك .

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن عيسى أبو زيد بن الحشا القرطبي الأصل ، استقضى المأمون ابن يحيى بن ذي النون بطليطلة بعد أبي الوليد بن صاعد في الخمسين والأربعمائة ، وحمده أهل طليطلة في أحكامه وحسن سيرته ، ثم صرف عنها في سنة ستين وصار إلى طرطوشة واستقضى بها ثم صرف واستقضى بدانية وتوفي فيها سنة ٤٧٣ (الصلة : ٣٢٥) .

٣ الطميم : الثقيل (massif) في معجم دوزي ، ولعل المراد هنا أن يكون نوعاً من القماش الثقيل .

وُصَفَاءِ المَوَائِدِ الخَافَتُونَ من حَوْلِهِمْ يَطْرُدُونَ الأَذْبَةَ عن مَجْلِسِهِمْ بِطَوَالِ
المَذَابِ البَدِيعَةِ الصَّنْعَةِ ، المُقَمَّعَةِ الأَطْرَافِ بِفَاخِرِ الحِلَابِيَةِ . ولَمَّا مَضَى لَهُمْ
صَدْرٌ من أَكْلِهِمْ ، نَجَّمَ لَهُمُ الأَمِيرُ المَأْمُونُ قَائِمًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ . مُتَهَمِّمًا
بشأنِهِمْ ، مُبَالِغًا فِي تَكْرِيمِهِمْ . قَدِ حَفَّ بِهِ أَذْوَاءُ الوِزَارَةِ وَأَهْلُ الخِدْمَةِ
وَأَكَابِرُ الفَتَيَانِ وَأَعَاظِمُ القُوَادِ قَائِمِينَ بِقِيَامِهِ . ولَمَّا قَضَى وَطَرًا من القِيَامِ
بِمُكَارَمَتِهِمْ صَدَرَ رَاجِعًا إِلَى مَرْتَبَتِهِ .

ولَمَّا فَرَّغَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ جِيءَ بِهِمْ إِلَى المَجْلِسِ المَرْسُومِ لَوْضُوئِهِمْ .
وَقَدِ فُرِشَ أَيْضًا بِوِطَاءِ الوَشِيِّ المَرْقُومِ بِالأُذْهِبِ ، وَعُلِّقَتْ فِيهِ سِتُورٌ مُثَقَّلَةٌ
مِمَّاثِلَةٌ^١ ، فَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْهُ ، وَنَاوَلَهُمُ الوُصَفَاءُ الطَّائِفُونَ بِهِمْ رَفِيعَ النِّقَاطِيَّاتِ^٢
وَالذَّرَائِرِ المُطَيَّبَاتِ فِي الأَقْدَاحِ والأَشْنَانِدَانَاتِ^٣ الفِضِّيَّاتِ المُحْكَمَةِ
الصَّنَاعَاتِ ، كَادَتْ تُغْنِيهِمْ بِطَيِّبِهَا عَنِ العَسَلِ . ثُمَّ أَدْنَى لِيَدِيهِمْ لِئِنَّ ذَلِكَ
الْوَضُوءَ فِي أَبَارِيقِ الفِضَّةِ المُحْكَمَةِ الصَّنْعَةِ ، يَتَصَبَّوْنَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي طُسُوسِ
الفِضَّةِ المُمَاثِلَةِ لِأَبَارِيقِهَا فِي الحَسَنِ وَالجَلَالَةِ . فَاسْتَوْعَبُوا الوَضُوءَ وَأَدْنَيْتِ
مِنْ أَيْدِيهِمْ مَنَادِيلٌ يَتَضَاعَلُ لَهَا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سِنِّي الكُوسَةِ . ثُمَّ نُقِلُوا إِلَى
مَجْلِسِ التَّطْيِيبِ أَفْخَمِ تِلْكَ المَجَالِسِ ، وَهُوَ المَجْلِسُ المُطَّلِ عَلَى النُّهْرِ العَالِيِ
البِنَاءِ ، السَّامِيِّ السَّنَاءِ ، فَشُرِعَ فِي تَطْيِيبِهِمْ فِي مَجَامِرِ الفِضَّةِ البَدِيعَةِ بِفَلَقِ
العُودِ الهِنْدِيِّ ، المُشَوَّبَةِ بِقَطْعِ العَنْبَرِ الفُسْتَقِيِّ ، بَعْدَ أَنْ نُذِّبَتْ أَعْرَاضُ

١ إعجاب هذه اللفظة مضطرب في ص ؛ والسياق يدل على أنواع من الأدوات التي تتخذ لفسل
الأيدي كالصابون وغيره . وعند دوزي أن « نقاي » تعني منشقة ولكن يبدو أنها ليست من
استعمال الاندلسيين .

٢ ص : والأشنان ، وهو مادة مطيبة لفسل الأيدي بعد الطعام ، ولكن المقصود هنا هو الأرومية
التي تحتوي الأشنان وهي الأشناندانات .

فياهم بشأبيب ماء الورد البلوري ، يُصَبُّ فوق رؤوسهم من أواني الزجاج
المجلود^١ ، وفيأشاش^٢ البلّور المحفور ، ثم أدنى إليهم قوارير المها^٣
المحكّمة الصنعة ، الرائقة الهيثة ، قد أترعت بالغوالي الذكيّة ، النامّة
بسرّها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التبيّتي ، ومحض العنبر
المغربّي ، لاعم بينها رشح البانِ البرمكي^٤ ، فتناولوا من ذلك حتى لأقطرت
سبأهم ذوبآنا ، وأعادت شيبهم شبنآنا . فلما استمّ هؤلاء الخاتّة نعيم
يومهم ، من طعمهم وطيبهم ، أقيموا للدخولِ على المأمون ، فسلموا
عليه ، ودعّوا له . فأقبل عليهم أحسن قبول ، وردّ أجمل ردّ ، وأمر
بإدخالهم إلى سيّد مجالسه المسمّى المُكرّم ، نتيج همته ، وبديع حكمتته ،
السائر خبره ، الطائر ذكره ، المعدوم نظره^٥ ، ليستمعوا أبصارهم بالشزّه ،
ولم يكن أكثرهم رآه^٦ إلى يومهم ذلك مع علوق^٧ وصفه بخواطرهم ، فلما
رآوه صغّر عندهم ما كانوا يستكبرونه من وصفه ، ورجعوا أبصارهم
فيه ، ونبتة بعضهم بعضاً على دقائق معانيه .

قال ابن حيان ، قال ابن جابر : وكنت ممن أذهلته فتنة ذلك

١ من معاني « المجلود » : المقطوع (فلعله يعني زجاجاً مخروطاً على أشكال) أو زجاجاً ملوناً
لأن فيه جدداً (طرائق) من الألوان .

٢ الفياشات (في الأندلس والمغرب) : جمع فياشة وهي القنينة *bouteille, flacon* ، قاله دوزي .
٣ المها : البلور .

٤ عند دوزي : البخور البرمكي ، ولكنه لم يملل هذه التسمية ، وعند ابن الحشاه (١٧)
بان : شجر معروف بالمشرق ويحلب ثمره ودهنه . ولعل وصفه بأنه برمكي مبالغة في
تقدير جودته .

٥ ص : ذكره ؛ والنظر والنظير بمعنى .

٦ ص : علو .

المجلس ، وأغرب ما قيّدَ لِحظي من بهيّ زُخرفه الذي كاد يحبس عيني عن الترقى عنه إلى ما فوقه إزاره الرائعُ الدائرُ بأسه حيثُ دار ، وهو مُتخذٌ من رفيعِ المرمرِ الأبيضِ المسنون ، الزّاريةِ صفحاته بالعاج في صدقِ الملاسةِ ونصاعةِ التلوين ، قد خُصّمتُ في جُثمانه صورٌ لبهائمِ وأطيّارِ وأشجارِ ذاتِ ثمار ، وقد تعلّقَ كثيرٌ من تلكِ التماثيلِ المصوّرةِ بما يليها من أفنانِ أشجارِ وأشكالِ الثمر ما بين جانِ وعابث ، وعلمتُ بعضها بعضاً بين مَلّاعِبِ ومُثاقِفِ ، تَرنو إلى مَن تأمّلها بالحظِ عاطف ، كأنها مُقبِلَةٌ عليه ، أو مُشيرةٌ إليه : وكلُّ صورةٍ منها مُنفردةٌ عن صاحبها ، مُتميّزةٌ [من] شِكْلِها ، تكادُ تُقيّدُ البصرَ عن التعالّي إلى ما فوقها . قد فَصّلَ هذا الإزارَ عمّا فوقه كِتابُ نقشِ عريضِ التقدير ، مُخرّمٌ مَحفور ، دائرٌ بالمجلسِ الخليلِ من داخله ، قد خطّه المنتقارُ أبينَ مِن خطِّ التزوير ، قائمٌ الحروفِ بديعُ الشكْلِ ، مُستبينٌ على البُعدِ ، مرقومٌ كَلته بأشعارِ حِسان ، قد تُخيّرتُ في أماديحِ مُخترعِهِ المأمون . وفوقَ هذا الكتابِ الفاصلِ في هذا المجلسِ بُحورٌ مُنتظمةٌ من الزجاجِ الملونِ المُلبّسِ بالذهبِ الإبريز ، وقد أُجريت فيه أشكالُ حيوانِ وأطيّار ، وصورُ أنعامٍ وأشجار ، يُندهلُ^٢ الألبابُ [٦٦] ويُقيّدُ الأبصار . وأرضُ هذه البحارِ مَدحوةٌ من أوراقِ الذهبِ الإبريز ، مُصوّرةٌ بأمثالِ تلكِ التصاويرِ من الحيوانِ والأشجارِ بأنقنِ تصويرٍ وأبداعِ تقدير .

قال : ولهذه الدارُ بُحيرتان ، قد نُصّبتَ على أركانِهِما^٣ صورُ أسودٍ

١ ص : ذلك .

٢ ص : يذل .

٣ ص : أركانها .

متصوغته من الذهب الإبريز أحكم صياغة . تتخيّل لتأملها كالحة الوجوه
فاغرة الشدوق ، ينساب من أفواهها نحو البُحيرتين الماء هوناً كرتشيش
القطر أو سُحالة اللّجين . وقد وُضع في قعر كلّ بحيرةٍ منهما حوضٌ
رُخام يُسمّى المذبح ، محفورٌ من رفيع المرمر ، كبيرُ الجرم ، غريبُ
الشكل ، بديعُ النقش ؛ قد أبرزت في جنباتِه صورُ حيوانٍ وأطيّارٍ وأشجار ،
ويُحصَرُ ماؤهما^١ في شجرتي فيضةٍ عاليتي الأصلين ، غريبتَي الشكل ،
مُحكمتي الصنعة ، قد غرزت كل شجرةٍ منها وسط كلّ مذبحٍ بأدقّ
صناعة ، يترقى فيهما الماء من المذبحين فينصب من أعالي أفنانيهما انصبابٌ
رذاذ المطر أو رشاش التندية ، فتحدث لمخرجه نغمات تُصبي النفوس ،
ويترتفعُ بلدروتها عمودٌ مأمٍ ضخم مُنضغط الاندفاع ، ينساب
من أفواهها ويبللُ أشخاصَ أطيّارها^٢ وثمارها ، بالسنّة كالمبارد الصقيئة ،
يُقيّد حسنها الألاحظ الثاقبة ، ويدع الأذهان الحادة كسيلة .

قال ابن حيتان : إلى هذا المكان انتهى تلخيصي ووصفي ، وهو
جائلٌ عند قرانيه بموضوفاته . ووُثِلٌ عند إضافته إلى مغموضاته^٣ .
وأبرأ من عهدة التّفصير فيه . وأنهيجه لمن تعاطى الاقتدار على الإبداع
في وصفه :

قال : وتوالى إطعامُ أفواج الناس في ذلك الإعذار ، مجلساً بعد آخر ،

١ يعني ماء حوضي المذبحين ، وفي ص : منها .

٢ ص : أشخاصها طيارها .

٣ كذا في ص ، ولعل مغموضاته هنا تعني أسرارها فيكون كلامه وشلا بالنسبة إلى أسرار ذلك
الصرح العظيم .

أياماً متوالية . حتى استدعيت له من بقايا أصناف الناس وأدونهم حتى
الجفلى ، وأزعجوا إلى النعيم الذي لا عهد لهم به . دخلوا على التطبيق ،
وحفظوا من ضنك المضييق ، وأوسعت ماكلهم من غليظ ورقيق ،
فالتهموا وازدرموا^١ ، ونهلوا وعلتوا ، ووضئوا وطببوا .

مجلس الأانس

قال ابن حيان : وذهب المأمون إلى تميم تكريم زواره من رجال
الأمراء الذين استحضروهم يومئذ لشهود فرحتهم ، بمشاهدة مجلس خلوتهم ،
وتنعيم أسماعهم بلذات أغانيه ، وقد علم أن فيهم من يرخص في
التبذير ولا يسوغ له نعيم دونه ، فاحتمل حرج ذلك مبالغة في تأنيبهم ،
فاحتفل لهم في مجلس قد نُضد ، وأحضِرَ فيه جميع آلات الأانس . فلما
استوى بالقوم مجلسهم ، وشرأبوا إلى الأخذ في شأنهم ، قرب إليهم
أطعمة طيوريتة^٢ جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص^٣ والأشربة
والطباهج^٤ ، موائد مترعة اتخذوها بسطاً لنيبهم . ثم انشوا إلى الشراب
ونفوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الغناء لأهل الحجاب ، ونظمت
نوبة المغنين زمرأ ، فهاجوا الأطراب ، واستخفوا الألباب ، ونقلوا
الطباج فجاءوا بأمر عجاب ، بدتهم فيه سابق حلتبتهم ، المحسند من

١ ازدرموا : ابتلعوا ، وفي اللسان الازدرام : الابتلاع (إلا أنه جاء في مادة : زردم) .
٢ ص : طنورية ، واستبعد أن تكون لغة في « تنورية » إلا أن يكون ذلك وهماً من النسخ .
ثم إن الأطعمة التنورية لا تكون جوامد أو باردة ، ولعلها أن تقرأ « طيفورية » أي
موضوعة في أطباق غير مسطحة .

٣ المصوص : طعام قيل إنه لحم ينقع في الخل ويطبخ .

٤ الطباهج : أنواع من الطعام أساسها اللحم المقلو (انظر كتاب الطبيخ : ١٢٢) .

جماعتهم ، الإسرائيليّ ذيّ ، الزائدُ إحسانه على إبراهيم الموصليّ ،
 صديقُ إبليس ، الظريفُ في ١ فيتنته ، وتخابله بالماخوريّ المكنون ٢ ، الذي
 اغتلى في باطله نسيجَ وحده ، يزدهي العيدانَ جسسه ، ويُخرسُ الأطيّارَ
 شجوه . قاتله اللهُ من أخذٍ بالقلوب ! فطربوا وطربَ المأمونُ ليلتشد
 على وفورِ حيلمه . وكان الذي غنّاه فيها ذيّ صوتاً شجياً ، لحنه من خفيف
 الرّمْل ، مُطلقٌ بالحنّصر ، في مقطوعةٍ نظّمها عبدُ الله بنُ الخليفة
 الملقبُ بالمصري ، وهي :

باكيرُ ليكرِ الدنانِ إنَّ هيداءَ العروسِ في السحرِ
 واشربُ عقاراً ٣ نخالُ حُمرتها تحرقُ أيدي السقاةِ بالشريرِ
 فإنَّ يحيي أحياءِ بدولتهِ ما قد محاهُ تصرّفُ القدرِ
 مالكُ هو الدهرُ في عزيمتهِ يطلُعُ فينا بطلنعةِ القمرِ

فطمح با بنِ ذي النونِ الإطراب ، حتى حنَّ حنينَ النَّاب ، وخلعَ
 لوقتِه عليه ثوباً من التستري الأخضرِ مُطرزاً بالذهب ، ووصلته بمائتي
 دينار ذهباً ، ثم فصّ الصلاتِ والخلعِ في سائر الطبقات .

هذا آخرُ خطابِ ابنِ جابرٍ إليّ بوصفِ ذلك الإعدار ، وجحمته التي
 بسطتها من إدماجه ، وسبكتها من بقنده . خلا أنه سامني ذكرَ مقطوعاتٍ

١ ص : من .

٢ ص : ومجاهه بالماحور في المكنون ؛ والماخوري لون من النعم ، وتمد الأنعام الماخوريات
 من خفائف الثقليل الثاني .

٣ ص : صارا .

حشا بها كتابه إلي^١ ، من صنعة صديقه عبد الله بن خليفة المصري^١ ،
تعاور المغنون في تلك الليلة الغناء بها . وجميعها عندي في نهاية من الضعف [٦٧]
والتخالف والتبرؤ من صنعة الشعر . ينبغي بها توشيح هذا المشهد
الجليل الذي قيلت فيه^٢ ، ينظمها في عقده . فلم أسعده على ذلك ترفيعاً
به عن هجنتها ، وتبرئة لنقدي على استجادة سببها ، ومدممة لزم
غفل أقحم قائلها في زمرة الشعراء ، وجسره على إنشاد جلية الأمراء .
وطالما عتاني هذا الرجل بذكر ابن خليفة هذا وإيمانه إلى النسبة المصرية ،
وعزوه له إلى المعارف الحكيمة ، وأنا أحسبه مصري التربة ، مستطرح
الغربة ، مستطيراً على بُعد النجعة ، مرهف الحد ، مُحْتَنَك التجربة ،
أرتاح لذكره وأودُّ لقياه والأخذ عنه . فأبرزه الفحص لي قُرطبي التربة ،
محلي الحومة ، سوقي الحيرفة ؛ ابن جار لي من تجار الخفافين يُسمى
خليفة ، عجمي نَبَز الأب بـ «المورته»^٣ مفعول الميتة^٣ منذ سنوات قليلة .
لم أعهد ابنه هذا يترسم بأدب ، ولا يسمى لطالب ، إلى أن رمت به النوى
قريباً إلى بلاد العُدوة؛ لا بتغاء المعيشة ، فأطال بها الشواء ، ولقي الفُهماء ، وتَقَبَّل
الجُسر ، فكَرَّر إلينا على زعمه مصرياً صليبية^٤ . وأديباً باقراً^٥ ، وشاعراً
باقراً ، وحكيماً نطيساً ، وظريفاً مُمتعاً . كل ذلك من غير طول رياضة ،
ولا تقدمة معرفة . وما إن يُستنكر لقاسم الفضائل بين خلائقه أن يجمع
منها لواحد ما فترق في جماعة ، له القدرة البالغة والحكمة القاهرة .

١ سترجم له ابن بسام في ما يلي (الورقة : ١٢٠) .

٢ ص : قوبلت به .

٣ ص : مفعول الميتة : والمعنى أن ميتته أدركته فجأة (منذ سنوات قليلة) .

٤ سيذكر ابن بسام في ترجمته أنه رحل إلى مصر ثم عاد إلى الأندلس « وقد نشأ خلقاً جديداً » .

٥ ص : باقراً .

وفي فصل له في ذكر الشعراء

قال ابن حبان : وصار من متاكيد ذلك الصنيع الملحقة به عيب التقصير عدمه لحذاق من الشعراء يُجيدون القول فيه ، ويُحسنون وصفه ، فيوفون المبدع له حقه . إذ ألوى بقاياهم الزمن العصف المطول للفتنة ، وجاء بأشبه له من شعراء متكلفين مثل الخازباز المضروب مثله^١ ، يهينون بما لا ودق له من سماتهم^٢ ، ويفرغون في قواليب تضيق عن إفراغهم ، ويسجدون في حشو قوافيهم دون إرهاف للفظ ولا استنباط لمعنى ، فلا يسرون ناقيداً ، ولا يهزون ممتري^٣ ، ولا ينشطون راويا . وأشق ما على الحائز لهم غلظتهم في أنفسهم ، واستقصارهم لمن امتدحوه في إخلاله وقعوده بهم ، وهي لو عقلوا أقعدوا وأضيقوا وأقصر وأعكس . فيأويحهم ماذا عليهم في الإنصاف من أنفسهم والاعتراف بتقصيرهم ، أليس ذلك كان أولى بهم ؟ فما أحسن قول « لا أدري » بمن يتدري فضلاً بمن هو بضدّها تصاب مقاتلته . فلو قلّدوا الزمن دؤولهم ، وولّوه نقصهم ، واعترفوا ليلواه ، لكان أعدر لهم . فجلس لهم المأمون مستخيداً تلك المدعاة الفخمة في مرتبته ببرطيل^٤ المجلس الموصوف في أبهة

١ يشير إلى قول المتنبي :

ومن الناس من يجوز عليه شعراء كانوا الخازباز

والخازباز : حكاية صوت الذباب .

٢ ص : ورق . . أسمائهم .

٣ ص : ممترياً ، وقد تقرأ « ممتدحاً » .

٤ المشهور في الاستعمال « برطل = Portal » .

فخمة ورُتبة^١ كاملة مع كبار أهل مملكته من أذواء الوزارات المشية^٢ والمُفردة ، ومن أصحاب الخطط العليات ، وأذن لتلك الحلبية من شعراء [الخصرة]^٣ من طارئ وقاطن ، وهم نفرٌ غيرٌ منوّه بهم ولا بأسمائهم ، ولا تجانس^٤ برؤاتهم ، فدخّأوا إليه على هيئتهم بتقديمهم شيخهم المُقدّم من جماعتهم ذلك اليوم ، محمد بن شرف القيرواني القريب عهدُه بالهجرة ، بعد خبطه سمرات ملوك الأندلس بمحجّنه ، واعتصارهم بقصعته ، فأذن لهم بالأنشاد بحسب تطبيقهم ، فتقدّمهم ابن شرف فأنشد قصيدة أولها : « يريني الهوى أن الهوى ليس سهلٌ » ، ما إن هي لأحقّة^٥ بعيون شعره ، أطال فيها التشبيب فخلص إلى التهينة ، وقد استفرغ القريحة وطولَ فما أتى بطائل . ثم تقدّم بعده البائس عبدُ الله بن خليفة الأندلسي المتمصّر بزعمه ، فباؤسى لسابقٍ صلّى بعده ! فأنشد قصيدة ملفّقة ، ذات طنينٍ وقعقة ، كثرَ أبياتها ، وقللَ أقواتها ، أولها : « أرى أثلاث الجزع بالوصلِ تورقُ » تركه المأمون أيضاً يتصرفُ بها ، ما إن هزت منه عطفاً ، ولا أبدت له بسماً . وقام بعده محمد بن زكي الأشبوني ، فأنشده شعراً أوله : « اليوم أبهيج منبرٌ وسريرٌ » ركبَ فيها ستّن من قبله . ولحق ابن ذي النون سامة من كلّف يومه ، فأمر بأخذ بطائق جميع من حضّره من الشعراء ، وأسلمها إلى

-
- ١ لها وجه مقبول ، ويمكن أن تقرأ « وزينة » .
 - ٢ الأصوب أن يقال : المشاة .
 - ٣ بياض في الأصل ، وما بين معقنين زيادة تقديرية .
 - ٤ اللفظة غير معجمة في ص .
 - ٥ ص : همت .

وزيره الأثير يومئذ عبد الرحمن بن مثنى^١ كي يتصفحتها بفضل أدبه ،
ويطَبِّقَ قائلها بحسب معرفته ، فيأمرهم بما يجده . فبدأ على [٦٨] الشعر
يومئذ انكسار ، ولحق^٢ أحفاته انهيار ، وأصمَّ به الناعي مُسمِعاً يندُبُ
شجوة^٣ بـابن اليماني ، مُنادياً يُنادي : يا إدريساه ، ولا إدريس^٣ يومئذٍ
للقوافي ، وكلُّ شيءٍ له حتفٌ مُوافي .

قال ابن حيان : وأكثبُ إثرَ هذا الفصلِ بعضَ ما اخترته من قصائدِ
هؤلاء الشعراءِ على ما خيَّلتُ لثلاثي نحو جيدُ التأليفِ من مخشَّابها .

فمن قصيدةِ ابن شرفٍ في ذكرِ وطنه وحنينه قوله :

تذكرتُها واليمُ^٤ بيئتي وبيئتها وموصولة^٥ فيحٍ ومهجورة^٦ عُفْلُ
ومن دونها حربُ عوان^٧ وفارض^٨ ولود^٩ لها من نفسها أبدأ^{١٠} بَعْلُ

ومنها في ذكر قصيدته :

يُقرامرو القيسِ بن حُجْرٍ لفضائلها ويُظهرُ عنها العَجْزَ عَلقمةُ الفَحْلُ
فلو وصَلتِ عَمْرِي الليالي لوقتِه لقاتل [له] الأشعارُ ما قالت النملُ^{١١}

١ وردت ترجمة أبي المطرف بن مثنى في القسم الثالث : ٤٠٩ ، يضاف إلى مصادر ترجمته
هنالك إعجاب الكتاب : ٢١٥ وفيه أن أبا المطرف كتب أولاً للمنصور أبي الحسن عبد العزيز
ابن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بلنسية ثم انفصل عنه إلى طليطلة فاستوزره المأمون
ابن ذي النون وألقى عليه بأمره كلها .

٢ ص : ولحقت .

٣ قد مرت ترجمة إدريس بن اليماني في القسم الثالث : ٣٣٦ .

٤ وقع البيت قبل سابقه في ص ، ويعني أن علقمة لو أدرك زمانه لقاتل له الأشعار « يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم » .

قال ابن بسّام : وأثبت ابن حيان في كتابه لتلك الطائفة المنشيدة يومئذ عدة قصائد ، ولم يتسلك فيها سبيل ناقد . قال : وأما المتكاتف المصري فُسْكُلُ الحَلْبَةِ ، فكان أبطأهم جراءً وأناهم عن الغاية ، لما اجتهد في المتح فجاؤ بقليل ماء ، فوق ظمأه بخمسين بيتاً سُدَى ، لفقها قصيدة متخاذلة لم يفتق فيها معنى حسناً ، ولا قافية حرّة ، بل ما زاد على أن صرف النسيب في سبت من الخلات مُسَمِّيَات ، فضّل فيهنّ لإمام المُحدّثين أبا تمام بزيادة اثنتين ^٢ ، ثم قطع ^٣ المديح توسعاً مع ما وجدته هناك من آجرٍ وجيص ، فهدف منها فيما لم يُعنه عليه طبع ، ولا أسعدته صنعة ، فكان الذي أبدى كبرُ نفخه ^٤ من خالص سبكه قوله ^٥ :

وقد كان لي [في] مصرَ دارُ كرامة ولكنّ إلى المأمونِ كنتُ أشوقُ
حلبتُ عليه والمكارمُ جمةٌ وسُحبُ العطايا برقتها يتألقُ

انتهى ما لخصته من كلام ابن حيان .

١ لم يظهر منها في ض إلا « كل » .

٢ يريد أن ابن خليفة تغزل في قصيدته بست نساء ففاق أبا تمام الذي تغزل بأربع في قوله :

لسلمى سلامان وعمره عامر وهند بني هند وسعدى بني سعد

٣ ص : قطيع .

٤ ص : كبير نفحة .

٥ البيتان في المغرب ١ : ١٢٩ .

٦ المغرب : كان التشوق .

جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم

قال ابنُ بسام : وندلو هذا الفصلَ بنسبِها لهذا الموضعِ موقِع ، من أخبارِ طُلَيْطِلَةَ البائِثَةِ ، وشَرَحِ الحَالِ التي أَبَادَتْ مَصَانِعَهَا ، وَطَيَّرَتْ واقِعَهَا ، وما آلَ لِإِيهِ أمرُ المملِكةِ القابِضَةِ للأَنامِ ، المبنِيَةِ على هَدَمِ دَعَائِمِ الإِسلامِ ، المَجْموعَةِ من افتِراقِ الجِماعَةِ ، المَغْلُوبِ عَلَيْهَا أُمَّةٌ السَّمْعِ والطَّاعَةِ . وَنَذَكَرُ طَرَفًا من حَدِيثِ مآلِ أميرِها المَشْرُفِ المَسْرُوفِ ، المَلْتَقِبِ - كانَ - من الألقابِ السُلْطانيَةِ بالقادرِ باللهِ ، جَهلاً مِنْهُ بِحَقِيقَتِهِ ، وَتَهاوَنًا بِاللَّهِ وَخَبايِقَتِهِ . خُطْبَةٌ زادَهُ المَقْدارُ عَن مُسْتَقَرِّها ، وَدَعَوَى دَفْعَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ في صَدْرِها . وَنَأْتِي أَوَّلًا بِفِصْلِ جِوَدِهِ ابنِ حَيَّانِ في ذَكَرِ جَدِّهِ إِسْماعيلَ المَلْتَقِبِ - كانَ - بِالظَّافِرِ ، رَئيسِ الخِلافِ ، وَرَأْسِ الانْحِرافِ ، وَجَمهورِ الجُورِ وَالإِسْرافِ .

قال ابنُ حَيان : وَكانتُ أَوْلِيَّةً نِباهاةً بِنِي ذِي النُّونِ مِنْ جَدِّهِمْ ذِي النُّونِ ، في أَيامِ الأَميرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَقدِ اعْتَلَّ لَهُ خِصْيٌ في طَرِيقِ قَفولِهِ مِنَ الشَّغْرِ فَتَرَكَهُ عِنْدَهُ بِحِصْنِ أَقْلِيَشَ يَنْمِرُضُهُ ، فَلَمَّا أَفاقَ لِحَقِّ بِالْحَضْرَةِ مَعَ الخِصْيِ ، فَأَخَذَ لَهُ تَوْقيفًا بِتَقْدِيمِهِ عَلى حِصْنِهِ . ثُمَّ تَدارَلَ تِلْكَ الخِطْبَةُ وَوَلَدَهُ إِلى أَيامِ الحِكمِ . فَلَمَّا اضْطَلَعَ بِالدَوْلَةِ ابنُ أَبِي عَامِرٍ ، تَعَلَّقَ بِهِ المَضْرَاسُ بْنُ ذِي النُّونِ وَإِسْماعيلُ ابْنُهُ مَعَهُ . فَلَمَّا انْقَرَضَتِ الدَوْلَةُ العَامِرِيَّةُ لِحَقِّ بِالشَّغْرِ وَجَمَعَ لِإِيهِ بَنِي عَمَّتِهِ ، وَخَطَبَ مِنْ سُنْليمانَ وَلايَةَ أَقْلِيَشَ فَوَلَّاهُ إِياها ، ثُمَّ تَهَيَّأَتْ لَهُ قَلْعَةٌ كَوْنُوكِهِ ، وَكانتُ بَيْدَ واضِحِ العَامِرِيِّ ، فَامْتَا ماتَ ضَبَطَها إِسْماعيلُ مُنتظِرًا بَزْعَمِهِ

مَنْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَحْتَ ذَيْلِهِ مِنْ غُلُولٍ وَاضِحٍ كَثِيرٍ ، حِينَ لَمْ يَتْرِكْ إِلَّا أَطْفَالَ وَأُمَّهَمُ حُرَّتِهِ . أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَيْهِ : مُعْتَنِقَةً بِأَمَانِهِ ، فَحَصَلَ لِإِسْمَاعِيلَ الْبَلَدُ . وَسَطًا عَلَى مُجَاوِرِيهِ مِنْ قَبُورِ الثُّغُورِ ، فَاسْتَقَامَتْ لَهُ الْأُمُورُ . وَوُثِنَى لَهُ الْوِزَارَةُ سُلَيْمَانُ وَسَمَّاهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةَ . فَاسْتَقَلَّ ذَلِكَ كَلْتَهُ ، وَآثَرَ الْفُرْقَةَ ، وَاقْتَطَعَ جَانِبَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ الثُّوَارِ لِمَفَارِقَةِ الْجَمَاعَةِ ، وَفَرَطَهُمْ فِي نَقْضِ الطَّاعَةِ . ثُمَّ اتَّفَقَتْ لَهُ أُمُورٌ اتَّسَعَ بِهَا عَمَلُهُ ، وَكَثُرَتْ جِبَابِيَتُهُ وَجَمَعَهُ . وَكَانَ مِنَ الْبُخْلِ بِالْمَالِ ، وَالْكَتْفِ بِالْإِمْسَاكِ ، وَالتَّقْتِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ ، بِمَنْزِلَةِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ عَصْرِهِ . لَمْ يَرْغَبْ فِي صَنْعَةٍ ، وَلَا سَارَعَ إِلَى حَسَنَةٍ ، وَلَا جَادَ بِمَعْرُوفٍ ، فَمَا أَعْمَلَتْ إِلَيْهِ مَطِيَّةٌ . وَلَا حَمَلَتْ أَحَدًا نَحْوَهُ نَاقَةً ، وَلَا عَرَّجَ عَلَيْهِ أَدِيبٌ وَلَا شَاعِرٌ ، وَلَا امْتَدَحَهُ نَازِمٌ وَلَا نَاقِرٌ ، وَلَا اسْتَخْرَجَ مِنْ يَدِهِ دِرْهَمٌ فِي حَقِّ وَلَا بَاطِلٍ ، وَلَا حَظِيَّ أَحَدٌ مِنْهُ بِطَائِلٍ : وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعِيدَ الْجِدِّ ، تَنْقَادَ إِلَيْهِ دُنْيَاهُ . وَتَصَحَّبَهُ سَعَادَتُهُ فَيُنَالُ صِيَابَ الْأُمُورِ بِأَهْوَنِ سَمِيهِ . وَهُوَ كَانَ فَرَطَ الْمُلُوكِ فِي إِثَارِ [٦٩] الْفُرْقَةِ ؛ فَاقْتَدَى بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، وَأَمَّوْا فِي الْخِلَافِ نَهْجَهُ . فَصَارَ جُرْثُومَةُ النِّفَاقِ ، وَأَوَّلَ مَنْ اسْتَنَّ سُنَّةَ الْعِصْيَانِ وَالشُّتَاقِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الْفِتَنِ وَالْمِحْنِ . فَتَبَارَكَ مَنْ أَمَلَى لَهُ ، وَلَمْ يَرْضَ لَهُ عُقُوبَةَ الدُّنْيَا مَثُوبَةً .

فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ حَفِظُوا عَنْهُ كَلِمَاتٍ فِي سَبِيلِ ذِكْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ زِيَادَةً إِلَى مَسَاوِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ نُوْظِرَ فِي شَأْنِ التَّأْمِيرِ لِبَنِي أُمِيَّةٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ نَازَعَنِي سُلْطَانِي هَذَا الصَّدِيقُ لِقَاتَلْتُهُ وَلَمَّا سَلِمْتُ لَهُ ، فَكَيْفَ أَسْلَمْتُ سُلْطَانًا ، لَوْ دُعِيَ إِلَيْهِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ ، مِمَّنْ لَا يُوجِبُ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ ، عِتْرَةَ

مروان خييط باطل^١ ، الذين لم يسبق لهم صُحبة ، ولا أدخلهم السلف
في شُورى الإمامة ؟

قال ابنُ حبان : ومن أشهرِ حكاياته في ذلك ، ما أخبرَ عنه أبو
أبو العباسِ السكريُّ الإسكندرانيُّ - رجلٌ مُتمتع الحديثِ طيبُ المجالسة -
وحضرَ مجلسَ ابنِ حمّودٍ بمالقة ، فسألته إسماعيلُ بنُ ذي النونِ عن
مجلسه معه ، فأثنى عليه ، فقال أثنى عليّ أدياء ؟ فعلَ الله بهم وصنع ،
فبهتَ الإسكندرانيُّ وقالَ : معذرةٌ إليك أيُّدك الله ، فإني جهلتُ
رأيتك في هذا الرجلِ معَ أني ألزمتُ نفسي ألاّ أذمَّ ذا سلطانِ البيّنة ،
وأنتَ غيرُ منازعٍ في أئمتك المروانية ، وهمُ أهلُ ذلك منك ، أقاديمُ
الملوك ، وذوو العدلِ والسّياسة . [ومضى] ^٢ الإسكندرانيُّ في إطرائهم
ظناً أنّه يسرّه ، إذ كان يقولُ بيدعوتهم في ذلك الوقت . فقطعَ
عليه ابنُ ذي النونِ بأسوأ من قطعِهِ على الهاشميين ، وأنجى عليّ ذمَّ
بني أمية فلم يُبق ، ووصلَ كلامه بأن قال : توارثوا هذه الإمارةَ مخزقةً
وضّعها قريشٌ لاستعمال^٣ الناسِ ، والناسُ لأبٍ وأمٍّ ، والفخارُ باطلٌ ،
أحقّهم بالملكِ من استقلَّ به . والله ما أولي غيرَ نفسي ، ولا أقومُ إلاّ
بسُلطاني ، ولو نازعنيهِ فلانٌ وفلانٌ - وذكرَ السلفَ الصالحَ الذينَ كرمَ ،

١ في المثل : أدق من خييط باطل ، قيل هو الهباء وقيل هو الذي يخرج من فم العنكبوت ، وسمي
مروان خييط باطل لطوله واضطرابه (اللسان : خييط ، وجمهرة السكري ١ : ٥٤ ؛ تحقيق
أبو الفضل والميداني ١ : ١٨٣)

٢ موضعها بياض في ص .

٣ ص : لاستكمال .

٤ ص : كرمهم .

اللهُ ذِكْرَهُمْ - لَمْ يَضْرِبْتَهُمْ دُونَهُ بِسَيْفِي مَا اسْتَمْسَكَ بِيَدِي . فقام عنه
الإسكندراني مبهوراً وأفشاهُ في غير أرضيه . وأخباره في ميشل هذا كثيرة .

انتهى كلام ابن حيان .

فقلتُ أنا : ولَيْتَ إِسْمَاعِيلَ هَذَا بَقِي وَوُقِي ، على فظاظَةِ جَانِبِهِ ،
واختلافِ مذاهبه . ، وطولِ إعراضِهِ عن عَوَاقِبِهِ ، فلقد كانتُ عليه
وقته قَلِيلٌ رِقْبَةً ، وعِنْدَهُ بعضُ أهْبَةِ ، لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِأَيَّامِ الجُمَاعَةِ ،
واستشعارِهِ عَوْدَةَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ . ولوفورِ مَنْ كان قَبِيلَهُ يَوْمئِذٍ من
مَشَيْخَةِ ذَوِي المِهْيَاطِ ، وزُعماءِ سَائِرِ الطَّبَقَاتِ . ولقد أساءَ مَنْ جاءَ بعده ،
ذَهَاباً في الكِبَرِ ، وتهاوُناً بالأمرِ ، وقعوداً عن النَّصْرِ ، واستظهاراً بأحزابِ
الكُفْرِ ، سَلَمَهُ بَاطِلٌ وبِطَالَةٌ ، وحرَّبه غَوَايَةَ وجَهَالَةَ ، في المَشْرُوكِينَ
نُجُومَهُ وديَمَهُ ، ولتَهُمْ موَاقِفُهُ وذِمَمُهُ ، وفي المسلمِينَ هُمُومُهُ وهِمَمُهُ ،
وعندهم بَوائِقُهُ ونِقَمُهُ .

بلغني أَنَّهُ لَمَّا ماتَ الظَّافِرُ إِسْمَاعِيلَ ، كان حَمَلَةُ دولتِهِ ورؤوسُ
جملته ، الحاجُّ ابنَ مَحْقُورِ وابنَ لَسْبُونِ وابنَ سَعِيدِ بنِ الفَرَجِ . وكان
أَكْدَ ما عَهْدَهُ إِلى ابنِهِ يحيى المثلَقَبِ بعده بالمأمونِ الاقتداءُ بهدْيِهِمْ ،
والانتهاءُ إِلى رأيِهِمْ . قال بعضهم : فدخَلنا عليه لِأَيَّامِ يَسِيرَةٍ مِنْ مَهَالِكِ
أبيه ، وهو [في] إِيوانِ كَبِيرٍ قد مَلَأَهُ بِنَقَرِ الفِضَّةِ حَتَّى لا فَضْلَ فِيهِ
عَمَّنْ جَلِيسِهِ ، فأمرنا بالدُّنُورِ ، فبعدَ لَأيِّ ما خَلَصْنَا إِليه ، لكثرةِ ما كان
مِنَ ذلكِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وقد امتلأتْ صُدُورنا عَجَباً ، وتقيَّدتْ أَلْحاظُنا
فما تَجِدُ مُتَقَلِّباً ، لهذا الاتِّفَاقِ كَيْفَ وَقَعَ ، ولهذا السَّحْتِ مِنْ أَيْنِ

جُمِيع . فَأَخَذَ يُفَيِّمِل رَأْيِ أَبِيهِ فِي اخْتِرَانِهِ ، وَيُعَرِّضُ بِمَجُودٍ كَانَ فِي بِنَانِهِ ، وَنَحْنُ نَقُولُ : لَعَلَّهُ قَدْ أَنْفَى الضِّيَاعِ تُغُورِهِ ، وَتَشَعَّثِ أُمُورِهِ ، وَانْتِشَارِ الشَّرْكِ بِإِزَائِهِ وَظُهُورِهِ . وَكَأَنَّهُ فَتَهِيمٌ مَا نُحْيِرُ ، وَعَلَيْمٌ إِلَى أَيْنِ نُشِيرُ ، فَأُظْلِمَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، وَازُورًا إِزْوَارَةً أَنْكُرْنَا بِهَا أَثْرَهُ وَعَيْنَهُ ، [وَقَالَ :] مِنْ حَقِّ مِثْلٍ هَذَا أَنْ يُصْرَفَ فِي مِثْلِ ضُرُوبِ الْحَلِيَةِ الرَّائِقَةِ ، وَأَنْوَاعِ الْآثِيَةِ الْمُوَانِقَةِ ٢ . وَأَيُّ مَعْنَى فِي كَوْنِهَا نُقِرُ ؟ مَا أَعْجَبَ هَذَا وَمَا أَنْكَرَ ! هَذِهِ بِالْحِجَارَةِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِآلَاتِ الْإِمَارَةِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ مُحَقِّقٍ ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ جِرَاءَةً ، وَأَثْقَلَهُمْ وَطْأَةً ، لِعِزَّةِ رُكْنِهِ ، وَإِدْلَالِهِ بِفَضْلِ سِنَتِهِ : إِنَّ هَذِهِ - أَيْتُكَ اللَّهُ - إِذَا كَانَتْ نَقْرًا بَقِيَتْ ذَخِيرَةً زَمَانٍ ، وَعِدَّةً لِحَدَثٍ إِنْ كَانَ ، وَلَا تُحَوَّلُ آلَاتٌ إِلَّا بَعْدَ نَفَقَةٍ ، وَتَحْيِيفٍ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تُنْصَبُ عَيْنٌ مِنْ يَسْرِدٍ مِنْ رَسُولٍ ، وَيَنْتَابُ مِنْ ابْنِ سَبِيلٍ ، وَيَسْمِي خَبْرُهَا إِلَى الطَّاعِيَةِ فَرِذْلَتِنْدَ فَتَدْعُو السِّيَاسَةَ إِلَى أَنْ يَخْصَّ مِنْهَا بِقِسْمٍ ، وَيُنْضَرَبَ لَهُ فِي أَنْفْسِهَا بِسَهْمٍ . فَزَوَى عَنْهُمْ وَجْهَهُ ، وَلَمْ يَأْمَنُوا نَجْمَتَهُ ، وَثَقَلُوا بَعْدُ عَلَيْهِ ، وَيَتَمَسَّوْا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَلَاحِ يَسْجُرِي عَلَى يَدَيْهِ . وَخَالَفَهُمْ إِلَى مَا أَرَادَ ، فَأَبْدَى فِيهِ وَأَعَادَ ، وَآلَتْ حَالَهُ إِلَى مَا قَالَ الشَّيْخُ : مَا لَمَقَّصَ وَلَا زَادَ [٧٠] .

١ ص : مجمود .

٢ ص : الرائقة .

ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون
من تشييد البنيان بقصور طليطلة

قال ابن بسام : ثم أخذ المأمونُ في بناءِ مجلسِهِ الكبيرِ المكرَّمِ بناءً باءَ ياءِ يائمه . وخلا سريعاً من اسمِهِ ، لم يُخَلِّدْهُ في عَتَبِ ، ولا قضى من لذته به كبيرُ أرب . وكان الذي تولى له رَصَفَ بدائِعِهِ ، وإحكامَ مَصانِعِهِ ، رجلٌ من مَهْرَةِ الفَعَلَةِ ، أكثرُ خَلْقِ اللَّهِ صَلَفاً ، وأشدُّهم تَتَابُعاً وسَرَفاً . وكان المأمونُ لِعَدَمِ نَظِيرِهِ ، بِحَتْمِ لُ من اعتدائه وتغريبه ، وتهاوُّنِهِ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ ، ما لا مزيدَ عليه ، ولا انتهاءَ لأحدٍ إليه . واتفقَ له مع ذلك الصانعُ أنْ وَعَدَهُ بِتَمَامِ مَجْلِسِهِ المَشِيدِ قبلَ إطلالِ العيدِ ، فرشحَ ابنُ ذي النونِ للجُلُوسِ في صَدْرِهِ ، والاستظهارِ على زِينَةِ عِيدِهِ بالفراغِ مِنْ أَمْرِهِ : وتقدَّمَ إلى من كان بِحَضْرَتِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، على قِلْبَتِهِمْ بِيَابِهِ ، وَنِيفَارِهِمْ عَن جَنَابِهِ ، لِقَلَّةِ نَائِلِيهِ ، وَتَفَاهَةِ طَائِلِيهِ ، فِي وَصْفِ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ وَتَقْرِيطِ مَبَانِيهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَى مُخْتَرَعِهِ وَبَانِيهِ . ثمَّ إنَّ ذَلِكَ الصَّانِعَ اسْتَمَرَ عَلَى دِيدَتِهِ مِنَ الخِلافِ ، وَعَمِلَ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِنَ التَّهَؤُنِ وَالإِخْلَافِ . وَاتَّفَقَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ أَنَّ ضَرَبَتِ خَيْلُ الطَّاعِيَةِ فَرْدَلُنْدَ عَلَى بِلَادِ المَظْفَرِ بْنِ الأَفْطَسِ ؛ وَطِئَتْهَا وَطَاءَةً مَحَجَّتْ رَسُومَهَا ، وَاسْتَبَاحَتْ حَرِيمَهَا ، وَاجْتَا حَتْ حَدِيثَهَا وَقَدِيمَهَا ، وَأَنْسَتْ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ جَبِّ الدَّرْوَةِ ، وَانْصَدَاعِ المَرْوَةِ ، وَأَيَّاسَتْ مِنَ البَقَاءِ ، وَآذَنْتْ

١ ص : تتابعاً .

بشُمولِ البلاءِ . فأخبرتُ عن وزيره أبي المطرف بن مُشَنَّى أَنَّهُ كان يومئذٍ
بمَنزِلَةٍ بين الوجومِ والإطراقِ ، وعلى نهايةِ الخدرِ والإشفاقِ ، إذ وردتْ
رُسلُ المأمونِ عنه تتسرى ، وهَجَمَتْ عليه زُمرَةٌ بعد أخرى . فدخل
عليه فوجده قد استشاطَ حَنَقًا ، حتَّى كادَ يَتَمَيِّزُ شِقَقًا . فظنَّ أنَّ
ذلك الضَّجَرُ ، لما كان وردَ به الخبرُ مِن ضَرْبِ الخيلِ على بلدِ المظفرِ ،
وإخفارِ الذَّمِّ ، وزلَّةِ القَدَمِ ، وانتهاكِ الحَرَمِ . فَطَلَّقَ ابنُ مُشَنَّى يَبْسُطَهُ
ويَقْبِضُهُ ، تارةً يُسَالِيهِ وتارةً يجرُّهُ ، وطوراً يقولُ له : فيك الخلفُ
مما فاتَ ، ومرةً يقولُ : قد آن لك أن تُنكِرَ على الطاغيةِ هذا الافتياتِ .
فلما فَهَمَّ مَنحَى ابنُ مُشَنَّى مِنه ، أعرَضَ^١ عنه ، وقال له : ألا ترى
هذا الضَّالِعَ^٢ الفاعليَّ الصَّانِعَ - يعني عريفَ بُنيانِه - صَبَرْتُ له وأغضيتُ ،
وفعلتُ به كَيْتَ وكَيْتَ . فما زاد إلاَّ تَغْيِصًا لِدَيْتِي ، واستخفافاً بِإمرتي ،
وتصغيراً لِشاني ، واجترأَ على سُلْطاني . وهَبَّتْ رِيحُ العَقِيمِ ، تُقَعِّدُ
في غيرِ شيءٍ وتُقيمُ ، فَسَقَطَ في يَدِ ابنِ مُشَنَّى وانكسرَ انكسارَةً تَبَيَّنَتْهَا
ابنُ ذي النونِ فيه . ولم يَجِدْ بدأً من أن قال له : هونَ عليك ، والكلُّ
طَوَعَ يَدَيْكَ ، وناهيك ، وأنا أكفيك ؛ وخَرَجَ ومَثَلَ بين يدي ذلك
الصَّانِعِ يَعِيدُهُ ويمنِّيهِ ، ويُدَاوِرُهُ^٣ ويُدَارِيهِ ؛ والصَّانِعُ مُقْبِلٌ على شَأْنِهِ ،
ما أمرَهُ بِالجلوسِ ، ولا زادَهُ على التَّجَهُّمِ^٤ والعبوسِ : فَبَعْدَ لَأْيٍ
ما ضَرَبَ له مَثَلَ العامَّةِ وهو قولُهُم : ما أفرَسَ الجاليسِ . ثم قال :

١ ص : وأعرض .

٢ الضالِع : الجائر ؛ ص : الصانع .

٣ ص : وبدأهيه .

٤ ص : التهجيم .

وبالبحريّ والله أن يتمّ إلى عيدٍ آخر ، فليجهدْ جهده ، وليأتِ بكلِّ ما عنده . فرجع ابنُ مثنى إلى ابنِ ذي النونِ وهونَ عليه الشأن ، وخفّفَ لديه ما كان . ونخرج لا يدري من أيّ الثلاثة يَعْجَبُ : أمن اغترارِ [ابن] ذي النونِ وجهليه ، أم إفضاءِ الضرورةِ بنفسه إلى خِدمةِ مثليه ، أم من جرأةِ ذلك الصانعِ القصيرِ اليدِ ، النزيرِ العَدَدِ ، على ذلِّ [ابن] ذي النونِ وذُلِّته .

قال ابنُ بسّام : فتبارك من أحاط بالأشياء ، ولم يخفِ^١ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السّماء ، ومن جعلَ اليومَ ذلك القصرَ العجيبَ بنيانه^٢ . الهادِمَ - كان - للدينِ والدُّنيا شأنه^٣ ، مَرَبِطاً للأفراسِ ، ومَتاعاً للأعلاجِ الأرجاسِ ، مِينِ رجالِ الطنّاغيةِ أذفونشَ بنِ فرذلنُد ، بددَ الله شيعته .

ذِكْرُ الْخَبْرِ عَنِ مَالِ حَفِيدِهِ الْمُتَلَقَّبِ بِالْقَادِرِ مَعَ (مَا) يَتَشَبَّهُ بِهِ مِنْ خَبَرِ نَادِرٍ

قد ذكرتُ في القسمِ الثاني^٤ مِينِ هَذَا الْمَجْمُوعِ مُلْكَ جَدِّهِ الْمَأْمُونِ بِقَرطَبَةِ ، وَيَعُودُ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى مَا بَدَأْتُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ حَفِيدِهِ الْمُتَخَدِّ لِه

١ ص : يختلف .

٢ ص : ببنيانه .

٣ ص : بنيانه .

٤ انظر القسم الثاني : ٢٦٢

ذلك الصنيعُ المعدودُ على الأيَّامِ ذَنْبُهُ ، الباقي في صفحةِ الإسلامِ نَدْبُهُ .
وقد ذكرتُ أيضاً في القسمِ الثالثِ ١ منه مَهْلِكِ حَفِيدِهِ بِلانْسِيَةِ ، وأوضَحْتُ
صُبْحَهُ ، واستوفيتُ شَرْحَهُ . وأجرَدَها هنا القولَ في أخذِ ظَلِيظِلَةٍ مِنْ
يَدَيْهِ ، ودَوْرانِ الدائرةِ السُّومِ بها على المسلمينِ وعليه ، وما تعلَّقَ
بأذيالِ ذلكِ مِنْ غَرِيبَةٍ ، وانخرطَ في سَلِكِهِ من أعجوبةِ .

كان يحيى حفيدُ ابنِ ذي النونِ رَكِيبَ المجلسِ ، ثريَّ المغرِسِ ،
حلَّوِ الحوارِ ، ليَسِنَ التصرفِ بينَ الإيرادِ والإصدارِ ، مَلِيحَ شِبا الخَطِّ [٧١]
هذهِ كانتِ فَضائِلُهُ فَتَقَطَّ . لم يَتَكُنْ لَهُ وَلِيسَلِفِهِ قَبْلَهُ باعٌ في الطَّلَبِ .
ولا حَظٌّ في الأَدبِ ؛ وكانَ — زعموا — آيةَ في قُربِ غُورِهِ . وسُكُونِ
فُورِهِ ٢ ، والخورِ بعدِ كُورِهِ ٣ ، إمعةٌ إمرةٌ ٤ ، أجبنَ مِنْ قُبيرةٍ ٥ : إنْ
حزَمَ لم يَعزِمَ ، وإن سَدَى لم يُلحِمِ ، إلى ما كانَ يَغْرِضُهُ من غَرَضٍ ٦ ،
ويتلزمُهُ أكثرَ مدتهِ من مَرَضٍ ، مِنْ ذَرَبٍ لازمٍ — زعموا — كانَ لمُعِدَّتِهِ ،
واستحرارِ حاسمِ لمرَّتِهِ ٧ ، وقد كانَ جدُّهُ المأمونُ قَسَمَ الخُضرةَ قِسمينِ ،

١ انظر القسم الثالث : ٩٢ - ٩٦ .

٢ ص : قوده .

٣ انظر في هذا المثل : « الخور بعد الكور » فصل المقال : ١٧٥ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٤١٣
وهو يعني النقصان بعد الزيادة .

٤ رجل إمعة إمرة : ضعيف لا رأي له .

٥ لم يورده حمزة في الدرر الفاخرة . وأقرب الأمثلة إليه « أجبن من صافر » وهو يشمل القبرة .

٦ يورده : يحرص له من ضجر وقلق .

٧ صر - لعدته . . . لمدته .

وأدار سياستها على رجلين . فَجَعَلَ تَدْبِيرَ الْأَجْنَادِ . والنظرَ في طبقاتِ القُوَادِ . إلى سائرِ الشُّعُونِ السُّلْطَانِيَّةِ ، والأعمالِ الدِّيوانِيَّةِ إلى ابنِ الفَرَجِ ، وبقِيَّةِ الإصْدَارِ والإِيرَادِ ، والنظرَ لِحَمَاهِيرِ النَّاسِ وَكَوَافِ الْبِلَادِ ، والرأيِ والمشورةِ . والصغيرةِ والكبيرةِ . إلى الفقيهِ أَبِي بَكْرٍ بنِ الحديدي^١ ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ قَدَمٌ وَإِقْدَامٌ ؛ وَعِنْدَهُ نَفْضٌ وَإِبْرَامٌ ؛ وَكَانَ قَدْ عَسَّهَدَ لِحَفِيدِهِ هَذَا الْمُرْتَشِحَ لِأَمْرِهِ مَتَى وَرِثَ سُلْطَانَتَهُ ، وَتَبَوَّأَ مَكَانَهُ ، أَنْ يَشُدَّ عَلَى ابْنِ الْحَدِيدِيِّ كَلِمَاتَا يَدِينُهُ . وَلَا يَفْتَاتُ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ . وَأَخَذَ الْمُوثِقُ الْغَلِيظَةَ عَلَى ابْنِ الْحَدِيدِيِّ لِيَسْبِلْنَ كُلَّ مَبْلَغٍ فِي شِدَّةِ أَرْزِهِ ، وَتَثْبِيتِ أَمْرِهِ عِلْمًا بِاسْتِقْلَالِهِ ، وَاسْتِنَامَةً إِلَى يَمَنِ مَنَاقِبِهِ وَخِلَالِيهِ ؛ وَحِفْظًا لِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ يَدِهِ فِي إِقَامَةِ أَوْدِهِ . وَمِمَّا لَاتِهِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ . وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ فِيمَا سَلَفَ تَفَرُّوا عَنْهُ ، وَهَمَّتُوا بِالِاسْتِبْدَالِ مِنْهُ . فَنَكَثَ^٢ أَبُو بَكْرٍ هَذَا قُوَى مَكْرِهِمْ . وَخَاطَبَ الْمَأْمُونَ يَوْمَئِذٍ إِلَى بَلَنْسِيَّةِ بِجَلِيَّةِ أَمْرِهِمْ ، خَوْفًا مِنَ الْفِتْنَةِ . وَتَفَادِيًا مِنَ الْمُحَنَّةِ . فَانْكَدَرَ الْمَأْمُونُ مِنْ حِينِهِ إِلَى طُلَيْطِلَةَ وَقَدْ ضَاقَ ذِرَاعًا . وَكَادَتْ تَنْفُسُهُ تَذْهَبُ شِعَاعًا . وَأَدَارَ الْحَيْلَةَ عَلَى مَشِيخَتِهِ طُلَيْطِلَةَ فِي خَبْرِ طَوِيلٍ حَتَّى سَجَنَ عَامَتَهُمْ بِمَطْبَقِ حِصْنِ [وَبَدَّة] ^٣ ، أُخْرَى قِيْلَ عَلَيْهِ الْمُنْبَعَةُ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى شَابَ الشَّبَابُ ، وَبَسَلَتْ الْأَحْقَابُ ، وَتَلَّكَ الْيَدَ كَانَ الْمَأْمُونُ يِرَاعِي لِابْنِ الْحَدِيدِيِّ ، فَوَضَعَ فِي حَيَاتِهِ زِمَامَهُ بِيَدِهِ . وَاسْتَخْلَفَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَى بَلَدِهِ وَوَلَدِهِ .

١ هو تاجر من أهل بلخ ، كان من أهل طليطلة ، كان متقناً فصيحاً فطناً

٢ منكر من كنى ، انظر المغرب ٢ : ١٣ .

٣ من بلاد بلخ .

٤ زبدة ، أي ما سلب

مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديد

فلما هلك المأمون بقرطبة ونُعي بطليطلة وماج بعضها في بعضها ، وانطبقت سماؤها على أرضها . احتوشت إلى حفيده . اللابس لبروده . جملة ممن كان يتعلق بسببه . ويُنسب إلى وطء عقبه . وطفقوا يُغرونه بأبي بكره ، جماع أمره ، ومظنة تأييده ونصره ، لما كانوا يُدبرون من التقلب عليه . ويتوهمون من ضعفه على ما في يديه . وخوفه غوائل ختله . وزعموا أن سلطانه لا يتم إلا بعد الفراغ من قتله . وقد كان أثيره أبو سعيد بن الفرج ينهاه عن إحقاق الدمام . ويخوفه سوء عواقب الأيتام . فركب هواه . وخالف ناصحته وعصاه . وجرّد قطعة من جنده ، وأمرها باستقبال تابوت جده في طريقهم من قرطبة ، وأنهى إليهم سرّاً قتل ابن الحديد المستقل بحمليه ، الناظم لأشتات قنائه . وقال لهم : إذا التقيتموه فكونوا حوله ، وعظّموا قوله ، فإذا أمكنتمكم^١ غيرته . وبدأت لكم ثغرتُه ، فاقتلوه كيف أمكن ، وعلى ما ظهر وبطن . ونما الخبر إلى ابن الحديد فكفّر بطاغوتهم . ونفض يديه من تابوتهم . ونكّس إلى بعض ضياعه . في لئمة من شيعته وأتباعه . فاضطربت الصدور . وبطل ذلك التدبير . ثم وافى البلد ليلة وقد استوحش من أنسه . وأوجس خيفة في نفسه . أصبح في المدينة خائفاً يترقب . ونادماً يتتبع ويتعقب ، يعرض يديه .

١ ص : أمكنتم .

ويحسب كل صيحة عليه : وطهيق أصحاب ابن ذي النون بزعميه يقولون :
 قد حذرَكَ ، وتيقنَ خبَرَكَ ، ولا يتصلحُ لك أبداً ، ولا يتردُّ عن
 مكروهيك بدا . ومشتت بينهما الرسل ، وأعميت في اجتماعهما الخيل :
 فركبَ إليه ذات يوم ، وقد أخذ حذرَه ، وحشدَ عُرْفَه ونُكْرَه ، واستبطنَ
 من كان تبيعه يومئذ من الدهماء ، وتعلقَ بركابيه لمشهد أمره من
 الغوغاء . فعلاوا أفنية القصر أسرع من الماء إلى الصبب ، وأهل من
 النار في الخطب : فحين ارتفعت الأصوات ، وغصت بهم العرصات ،
 ارتاع ابنُ ذي النون ، فأمر ابنَ الحديدَ بالخروج ، فخرج والدولة
 متعلقة بأذياليه ، وطبقات أعيانها عن يمينه وشماله ، والعامَّة بين يديه
 ومن خلفه ، يتمسحون بأثاره ، ويرفلون في غباره ، وهو يشكر
 سنيعهم . ويحتمُّ بالشناء جميعهم . وكان عندما أذكى عيونَه ، وحشرَ
 شياطينه . قد أوقع شهوته على شيوخين من شيوخ الخدمة يُدعيان
 أملاً وابن صرور . فأغرى العامَّة باستئصالهما ، وتجبب إليهم [٧٢]
 شهوة أموالهما ، ففكرن الفتنه ، وباكورة الميحنة .

وقد حدثت أن أراه أشار عليه يومئذ بالفراغ من شيعه ابن ذي
 النون فميتل رأيه ، وبسرسر سعيه ، وبود طليطاة البائسة لو أنه
 فعل . ولو أمضاها ما اختلف بها اثنان ، ولا انتطح فيها عتران .

وريت هذا الحيزب المذموم بشتره ، من شيعه ابن ذي النون المغلوب
 عن أمره ، لصاحبهم اللجج ذي غدره ، والتمادي على غلواء مكبره .

سنة : أباع .

وأرتهُ أن ذلك من سعيها لا يستوي على سؤقيه ، ولا يتخلو بسوا^١ طريقه ، إلا^٢ [بإطلاق] تلك الطائفة المغتربة بمطبق وبندة ، المحترقة أفلاذ أكبادهم ، بنيران دمهيم وأحقادهم : داء^٣ دفين ، وشراً مضمون . وسولوا له أنه إذا فك أغلالهم ، ووصل بحبل الحياة حبالهم ، غسل جوارحهم ، وتألف نصائحهم ، وشاركهم في ذوات صدورهم ، واعتد عليهم منة نشورهم ، والبعثة من قبورهم . فأثار منهم مدى وشفارا ، [أعد^٤] بهم لخراب ملكه أعواناً وأنصاراً . فأدخلتهم البتة سراً من بعض مداخيل الخفية ، وقد سترهم باللثم ، وأوهم أنهم بعض الحرم ، حتى وصلوا إليه ، ومثلوا بين يديه ، وذلك اليوم يوم الجمعة لعشر خلت لمحرّم سنة ثمان وستين .

وكان الذي مالاً ابن ذي النون على ذلك ، وسهل له — زعموا — تلك المناهج الخبيثة والمسالك ، الفقيه ابن المشاط^٥ متولّي القضاء كان يومئذ بقونكة . وكان أبو بكر بن الحديد [يألفه] ويتسكن إليه قديماً ، فاستدرجه بالأمان ، واستفزه إلى مصرعه يومئذ بمزورات الأيمن ، حتى جرّعه رداه ، وأسلمه إلى عباده . ودخل ابن الحديد يومئذ القصر ، والمقدار يزعه ، والخائن الغدار ابن المشاط يستدرجه : فلما أفضى إلى مجلس ابن ذي النون رأى وجوهاً قد أمينتها ممّا تخوفها .

١ ص : بسره .

٢ بياض في ص .

٣ بياض في ص بقدر كلمة .

٤ بياض بقدر كلمة .

٥ ص : السقاط .

وأنكرها من طول ما عترفها ، فأيقنَ بالشرِّ لا خلاص : ولاتَ حينَ
 مناص . ثمَّ وطنَ لمحنِّته ، وانتكأَ ففضلَ مُنتنِه ، فجاذبهم أطرافَ الحِصام ،
 وطلَّعَ عليهم من ثنايا النفض والإبرام . فقامَ ابنُ ذي النونِ مِن موضعيه
 وابنُ الحديدِ مُتعلِّقٌ بأذياليه ، مُستجيرٌ به من أفتاليه . فشغَبوا عليه
 وشغَبواه : وأحاطوا به حتى قتَلوه . ففُضِيَ الأمرُ ، وانقضى العَجْزُ
 والصِّدْرُ : ولما أحستَ العامَّةُ بقتلِه ، وهمتْ بسِلاحِها مِن أجلِه ،
 ثارَ أولئك المُخرجون في وجوههم : أطلالٌ في أسمال . فأخذ كلُّ واحدٍ
 مِنهم بطرفٍ من الطريق : وذَهَبَ ممَّن كان هنالك مِن العامَّةِ بفريقٍ ،
 بينَ صديقٍ لهم يُسرِّ ، وعدوِّ يفتيرٍ . وتشاغَلوا بنهبِ دورِ بيتي الحديدِ
 حينَ عجزوا عن نُصرتِه : وعالموا أن لا سبيلَ إلى كرتِه . ولمْ يكن
 إلا ك « لا » حتى أصبحتُ حَبلاً رثماً ، وهباءً مُنبثاً .

وطنَ ابنُ ذي النونِ [أنه] قد راعَ أحشاء^١ الأيامِ بفتكةِ برأضيته ،
 وهتكَ أستارَ الخطوبِ عن حيلةِ عمريته . ولعمري لقد راعَ ولكن
 أمينَ سيربِه ، ولقد هتكَ ولكن حجابَ قلبِه . أخلى وجهه لشرارِ
 أعمار . لم تكن لهم أحلامٌ تحجرهم . ولا حلومٌ توقرهم : أذية^٢
 شهوات ، وفراشِ ضلالات ، أغضى الزمان لهم هنيئةً فظننوا أنهم
 قد أعجزوه وانتهزوه ، فوجدتهم مُغترين ليس لهم سلاحٌ إلا مقاتليهم .
 ولا بهم حويلٌ إلا تدابُرهم وتخاذلهم . ونفستَ على نفسه مِن أولئك

١ ص : خيلا .

٢ ص : أحشاع .

٣ ص : أدبه .

المُخْرَجِينَ شَرَارَ زِنَادٍ ، وَأَسْرَارَ غَدَاوَاتٍ وَأَحْقَادٍ ، أَحْلَاسِ السَّجُونِ^١
وَالْأَهْوَالِ ، وَبَقَايَا الْقَيْوُودِ وَالْأَغْلَالِ . فَلَمْ يَتَرَدُّ بِمَوْتِ ابْنِ الْحَدِيدِيِّ
وَحَيَاتِهِمْ عَلَى أَنْ كَانَ الشَّرُّ سَبَبًا فَأَصْبَحَ أَسْبَابًا ، وَالنَّاسُ حِزْبًا فَتَفَرَّقُوا
أَحْزَابًا . وَانْتَبَذَ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِتِلْكَ الْوَهْدَةِ بَبَلَنْسِيَّةَ مِنْ جَمَاعَتِهِ ،
وَخَلَعَ يَدَهُ مِنْ طَاعَتِهِ . إِلَّا هُدْنَةَ عَلَى دَخْنٍ ، يَتَطَارَدُ لَهُ بِصَيْدِهَا ،
وَيُنْشِدُهُ عَنْ كَيْدِهَا :

أَحْبَبْتُ فِي الْبَتُولِ وَفِي أَبِيهَا وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ^٢

وَفَتَرَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونِشُ بْنُ فَرْدَلَنْتَدُ فَمَتَهُ عَلَى تُغُورِهِ الْمَشْغُورَةِ ، فَجَعَلَ
وَقْتَهُ يَطْوِيهَا طَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ . وَيَنْهَضُ فِيهَا نَهْضَةُ الشَّيْبِ فِي
شَبَابٍ . وَابْنُ ذِي النُّونِ يُلْقِمُهُ أَفْلَازَ كَبِدِهِ ، وَيَتَرَجِمُهُ بِسَبْمَدِهِ وَلِبَدِهِ ،
أَذْفُونِشُ لَعَنَهُ اللَّهُ لَا يَقْنَعُ مِنْهُ بِصَيْدِ الْعَمَقَاءِ ، وَلَا بَبِيضِ الْأَنْوَقِ ، بَلْ
كَتَفَهُ^٣ إِحْضَارَ الْأَبْلَقِ الْعَمُوقِ ، وَيَسُومُهُ دَرَكَ الشَّمْسِ . وَيَطْلُبُهُ بَرْدَ أَمْسٍ^٤ ،
حَتَّى أَكَلَ الْإِنْفَاقُ تَبِيحَ^٥ مَالِهِ . وَأَخَذَ الْإِنْفَاقُ بِكُظْمِ احْتِيَالِهِ ، وَأَحْسَ^٦
بِدَوِّ الْمَشَاقِّ بِذَلِكَ مِنْ حَالِيهِ . سَمَا إِلَى مَسَاقِلِهِ الْمُنِيَعَةِ . وَذُرَى أَمْلَاكِهِ
بِفَيْعَةٍ ، عُدَدِ الْأَنْامِ ، وَدُرُوبِ الْإِسْلَامِ ، فَانْتَهَتْ مِنْهَا عَلَيْهِ غَمَلِيْقُ ،
مَا رَامَ أَخْذَهُ مِنْ يَدَيْهِ لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى مَسَّرَ [٧٣] .

١ ص : خلاص السجون .

٢ أورده العميدي في الإبانة : ١٢٥ وذكر أنه لصاحب التلويق النسي بغيرستان .

٣ ص : يكله .

٤ ص : أنس .

٥ ص : تبج .

فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل

وانجرت الحالُ بينه وبين أولئك الشيوخ المُخرَجين من المُتطبق بمقدار^١ ما رَقَعوا خروقتهم ، وجمعوا فريقهم ؛ فلما استوثق أمرهم ، وثاب إليهم شرهم ، دَلَقُوا لِحزبه الذُّنُوبِيَّ البَسِيسَ^٢ ، تحت إحدى ليالي جَدِيدِيسَ ، أرغمت عليهم سُنُوبُ السماء ، وتمخضت لهم بالداهيةِ الدَّهْيَاءُ ، ورؤوسهم بأيدي الولدانِ لُعباً . وأتى ابنَ ذي النون صريحُهم تلك الليلة فصادفَ منه رأياً مغلوباً ، وقلباً مَنخوباً ، طارَ به الذُّعْرُ ففَرَّ ودونَه من عبيده أسدُ الشَّرَى ، والأسوارُ شاحنةِ الذُّرَى ، كأنما ناجتَه القتالَ أضغاثُ حلمه ، أو رأى وجوه الأقتالِ في وجوه حُرْمه ، تجفَلَ الظلِيمَ ، لا يَحْفِلُ بالعارِ المُتَقِيمِ ، ولا يُصَيِّخُ إلى الصديقِ الحَمِيمِ . حدثت أن زوجته بنتَ المظفَرِ بنِ أبي عامر ، طريدِ جدّه — كان — من بلنسية ، وابنته منها تَبِعَتاه يومئذٍ راجِلَتَيْنِ نَيِّفًا على فرسَختين ، حتى أدركتا بمركوب ، وقد أخذ الجهدُ منهما بأوفر نصيب . واجتمع مشيخةُ طُلَيْطَلَةَ بفناء القصر ، مرتبكين بين اللِّجَاجِ والذُّعْرِ ، عامتُهم تتطاول بزعمها إليه ، وخاصتُهم تتحيّلُ المثلَ بين يديه ، وهم يظنّونه بحيثُ يرى ويسمع ، ويتوهّمون أنه سيفعل ويصنع . فوجدوه قد أذعن للذنيّة ، وخرج من بعض تلك

١ ص : بمقدام .

٢ من معاني البسيس : المختلط . ولعلها : « البسيس » .

المخارج الخفية ، ومشى القهقري ، قبلَ عَيْرٍ وما جرى^١ ، فاستأمدت
كلابهم لأكل لحمٍ ليس له ناصر ، وهزج ذُبابُهم أثناء روضٍ ليس [له] ^٢
واردٌ ولا صادر . ولقوا يومئذٍ في سؤرِ الطاغية أذفونش من تلك الجواهر
المكنونة ، والذخائر المصونة .

وتلاحق بابتن ذي النون بقية سيربته المنفر ، وفل^٣ عسكره المدبر ،
بحصنٍ من حصونه . وأقام أهلُ طُلبيلة بعده أيتاماً ولا كالسائمة المهمله
نام راعيها ، وأكبشت^٤ مراعيها ، يتهايدون لحماً بين قديدي ومُججل ،
ويرتمون بشحمٍ كهُدَّابِ الدَّمِقسِ المفتل^٣ ، في هياطٍ وميياط ، ولتجب
واختلاط ، ليس عليهم أمير ، ولا فيهم إلى الصواب مُشير . وتشاوروا
في أيّ ملوكِ الطوائفِ يُحكّمونه فيهم ، ويُلنقونَ إليه بأيديهم ، فطار
طائرُهم ، واختلقت بواطنُهم وظواهرُهم ، واشرابٌ من كان يتليهم
منهم لمملكةٍ لم يُحكّموا إليها أسبابا ، وغنيمهٍ لم يُوجفوا عليها خيلا
ولا ركابا^٤ .

وكان عندهم يومئذٍ أبو محمد يوسف بن القلاس البطلانيوسي أحدُ

١ من قول الشاعر : « وتعدو القبسى قبل غير وما جرى » وهو للشماخ (اللسان : غير ومجالس
ثعلب ٢٠٧ وفصل المقال : ٣٠٠) والدير هنا فيما يقال هو المثال الذي في حدقة العين ،
يريدون قبل أن يطرف الإنسان عينه يعني بأقصى سرعة .
٢ أكبشت : كثر فيها الكبث ، وهو الناضج من ثمر الأراك .
٣ من قول امرئ القيس :

فظل العذاري يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

٤ ص : ركباناً .

عَفَارِيَتِ الضَّلَالِ ، وَأَكَلَةِ الْأَمْوَالِ ، مِینَ رَجُلٍ أُجْرًا خَلَقَ اللهُ عَلَى دَمٍ وَهُوَ أَجْبَنُ مِینَ صَافِرٍ ١ . وَأَجْسِرِهِمْ عَلَى رُكُوبِ نَبْتِجٍ ٢ مُحَرَّمٍ وَهُوَ أضعفُ مِینَ لَحْظِ فَاتِرٍ . نَبَّهَتْ ٣ تِلْكَ الْفِتْنَةُ عَلَى قَدْرِهِ ، وَرَفَعَ عُدْمُ الرِّجَالِ صَوْتَهُ بِدِكْرِهِ ، فَهَبَّتْ رِيحُهُ شِمَالًا وَصَبَا ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عَجَبًا ٤ ، فَعَرَّضَ عَلَيْهِمِ بِصَاحِبِهِ الْمُتَوَكِّلِ عُمَرَ بْنِ الْمُظَفَّرِ ابْنَ الْأَفْطَسِ ، وَأَعْرَبَ لَهُمْ عَنِّ لَيْنٍ مَكْسِرِهِ . وَضَبِقَ مَسَافَةَ نَظَرِهِ ، وَاشْتَغَالِيهِ بِاللَّدَاتِ عَنِّ أَكْثَرِهِ ، فَقَالُوا: بَرْدٌ كَبُرْدٌ . مَا أَشْبَهَ سَعْدًا بِسَعْدٍ ٥ فَأَتَاهُ سَفِيرُهُمْ . وَخَفَّ إِلَيْهِ عِيْرُهُمْ وَنَقِيرُهُمْ . فَجَاءَهُمْ يَنْظَرُ مِینَ خَفَاءٍ ، وَيَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ٦ . كَدُودًا سَامُوهُ خُطَّةَ سَبَاقٍ ، وَحُبَيْبِيْنَةَ أَقَامُوهَا عَلَى سَاقٍ . فَدَخَلَ طَلِيْطَلَةُ عَقِيْبَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ . وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ نَحْوًا مِینَ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ . أَضَلَّ مَن يَدِي فِي رَحْمِي ، وَأَذَلَّ مَن لَحْمِي عَلَى وَضْعِي ٧ .

[و] قَدْ كَانَ ابْنُ ذِي النُّونِ حِينَ انْفَلَتَ مِنْ يَدِ الْمُقْتَنَصِ ، انْفِيْلَاتِ الْحَمَامَةِ مِینَ الْقَمَقَصِ . تَهِيًّا لَهُ دُخُولُ كُدُونِكَةِ فِي خَبْرِ طَوِيلٍ ، فَثَابَ إِلَيْهِ حِسَّةً . وَرَجَعَتْ قَلِيْلًا نَفْسُهُ ، وَرَاسَلَ الطَّاعِيَةَ أَذْفُونُنْشَ ، وَهُوَ بِحَيْثُ يَنْتَهَزُ الْفَرَسَةَ ٧ ، وَيَسْمَعُ الْقِصَّةَ . فَذَكَرَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ سَالِفًا

١ انظر الدرّة الفاخرة : ١١١ وفصل المقال : ٤٩٩ والميداني : ١ : ١٢٤ والمسكرى : ٢١٧

٢ ص : تيج .

٣ ص : بهت .

٤ ناظر إلى الآية : ٦٣ من سورة الكهف .

٥ ناظر إلى الآية : ٢٥ من سورة القصص .

٦ هذان مثلان ، انظر الدرّة الفاخرة ١ : ٢٨٢ ، ٢٠٣ .

٧ كذا ولعلها : « الفرصة » .

عَهْدِهِ . وشهدَ عنده أنعمَ جدّه . فبالزناد الذنونيّة - زعموا - ورّيت
نارُهُ . ومِن التّلاع المأمونيّة اتّدفقَ تميّارُهُ . أيامَ كان اسمُ هذا الطاغيةِ
محمولاً^٢ . وصعّبُهُ ذلّولاً . بتغلّبِ أخوينه شأنجُهُ وغرسيّةِ عليه .
وأخذَهما طرْفِي سِلْكِيهِ مِن يديهِ . فأواهُ المأمونُ ابنُ ذي النّونِ ونصّره ،
واستقلَّ بسُلطانِ طاغوتيهِ حتّى أظهره^٣ . وعند الله جزاءُ موفورٍ ، وإليه
مُنقَابٌ ومَصيرٌ . فلبّى دعواه ، وسمعَ شكواه ، وأظهرَ الارتماضَ لما
عزّه وعتراه . وأقبلَ معه إلى طُلَيْطَلَةِ يَرْدُ ماءَ بَما^٤ . ويُسيرُ حَسَنًا
في ارتقاء^٥ ، يُورِدُ وِرْدًا إليه صَدْرُهُ ، ويحلبُ حَلَبًا له أَكثَرُهُ ، والمتوكِّلُ
بها طليحُ جِفانٍ ، طرِيحُ أَكوابِ ودِنانٍ ، مُكَبِّأٌ على قَمَشٍ ما نَحْتُهُ^٦
المِحْنَةُ ، وتجاقت عن انتهابه الفِئْتَةُ . مِن فَرَشٍ فَخْمٍ . وسُرّادِقِ
ضَخْمٍ ، وآنيةِ وكتبٍ ، وصعدَ من آلةِ المُلْكِ وصَبَّبَ ، حتّى اجتمعَ عنده
مِن خَبَبَتِ زُبُرَتِها ، وغُثاءِ غَمَرَتِها ، معَ ما أذابوا له صَدْرَ مَقْدَمِها
من شَحْمِ سَنامِها ، وأفاضوا من بردِها وسلامِها ، جُمَلَةٌ عَلِمْتُهُ الجُلوسَ
في الصّدْرِ ، وأرته الفرقَ بينَ الخُلِّ [٧٤] والخمرِ ، وأهلَ طُلَيْطَلَةِ الممتَحِنونَ ،
في غَمَرَتِهم ساهونَ ، وعلى أعقابِهِم يَنكُصونَ ، يَخوضونَ ويلعبونَ ،
ويُخربونَ بيوتَهُم بأيديهِم وأيدي المؤمنين^٧ .

١ ص : المأمونة .

٢ ص : محمولا ، وربما قرئت « مجهولا » .

٣ ص : أظهر .

٤ من قولهم : « ان ترد الماء بماء أوفق » وهو علامة على الخيلة والحذر .

٥ انظر المثل في فصل المقال : ٧٦ والميداني ٢ : ٢٥١ .

٦ ص : بحتة .

٧ ناظر إلى الآية : ٢ من سورة الحشر .

خروج المتوكل من طليطلة ، ورجوع ابن ذي النون إليها

فلما تمكن المتوكل من الري والشَّيع ، تذكَّرَ عواقبَ الطمع ، ورأى أَنَّهُ إنْ زاد على ملءِ بطنِهِ . كان كالسراجِ المنغمسِ في دُهْنِهِ ؛ فكأيدَهُم بفرارِهِ ، وأجلى مُبادراً إلى بَطليوس دارِ قَراره ، يُنشدُ :

إنَّ اللهَ يُرجِعُنِي مِنَ الغَزْوِ لا أرى وإنَّ قِلَّ مالي طالباً ما وراثياً

ومن غريبِ تأويلِ الأحلام ، أنَّ رجلاً رأى المتوكلَ قبلَ دُخوله طليطلةَ بأعوام . كأنه يأكلُ فيها طعاماً فيه سَلْتَقٌ مع رجلٍ يُسمى يوسف ، ففسَّرَها الأديبُ أبو عمرَ ففتحَ المعروفُ بابنِ برلوصه^٢ ، وقال : إنَّ المتوكلَ سيُدخِلُها على يَمَدِ رجلٍ يُسمى يوسف ، ويَتَّالان مِن مالها^٣ وذخائرها ، لكنهما يُسَلقان بالألسنةِ فيها : ويقبُح الحديثَ عنهما ، فخرجتِ الرؤيا كما فسَّرَ .

ولما دخلها وحصل إليه منها ما حصلَ فترَّ وتركهم كالسفينةِ خانقَتِها الرِّيحَ ، والجسدِ بانَ عنه الرُّوحُ ، بين نابِ الطاغيةِ أذفونش وظُفْرِهِ ،

.....

١ البيت للملك بن الريب التميمي ، انظر ذيل أمالي القالي : ١٣٦ .

٢ ترجم له ابن بسام في القسم الثاني : ٨٠٥ وانظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ ، وقد ورد اسمه في هذا الموطن من الذخيرة « برلوصة » بالضاد المعجمة ؛ وفي الأصل أيضاً أبو عمر ابن فتح .

٣ ص : عمالها .

يَتَّقِدْحُ لَهُمْ نَارَ الْفِتْنَةِ عَنْ حَجَّجِرِهِ . وَيُرِيهِمُ الْمَوْتَ فِي أَهْوَالِ صُورِهِ ،
مُقْسِمًا لَا يَبْرَحُ الْعَرَصَةَ حَتَّى يَبْقِيَ لِابْنِ ذِي النُّونِ بِضَمَانِهِ ، وَيُكَافِئُهُ
عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِهِ . وَكَانَ عَاقِدَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ أَنَّهُ إِذَا ضَرَحَ قَدَاهَا ،
وَأَمَطَ أَذَاهَا ، وَاقْتَضَى دَيْئَتَهَا . خَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . هَذَا [مَا] أَضْعَرَ ،
فَأَمَّا الَّذِي أَظْهَرَ ، فَإِنَّهُ وَعْدَهُ آدَاءَ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَالِ ، لَا تَقْبَلُ بِهِ مُدَّةُ الْإِقْبَالِ .
وَلَا إِرْخَاءُ الْحَالِ ، رَاهِنَهُ بِهَا أَبْنَاءُ الْأَمْجَادِ ، وَبَقَايَا مَعَاqِلِهِ الْأَفْرَادِ ، وَأَلْقَى
أَهْلُ طَلَيْطَلَةَ بِأَيْدِي الصَّغَارِ ، عَلَى حِينِ أَيْقَنُوا بِالْبَيَّوَارِ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
أَنْشُوطَةُ الْحِصَارِ . فَجَاءَ ابْنُ ذِي النُّونِ يَتَّقِدُّهُ أَذْفُونِشٌ ، وَهُوَ يُظْهِرُ
مِنَ التَّزَامِ بَيْرَهُ ، وَإِعْزَازِ نَعْصِرِهِ ، مَا بَهَّرَ الْعُقُولَ ، وَكَثَّرَ الْقَالَ وَالْقَيْلَ ،
حَتَّى زَعَمُوا أَنَّهُ رَفَعَ صَوْتَهُ يَدْعُو لِإِلَيْهِ ، وَتَرَجَّلَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَارَ
أَعْجَبَ مِنْ تَوَرُّطِ فِي حَبَائِلِ كَيْئِدِهِ ، وَجَعَلَ الضَّرْغَامَ بَازًا لِيَصِيدَهُ^١ .
وَكَمِ رَامَ أَهْلُ طَلَيْطَلَةَ قَتْلَ ابْنِ ذِي النُّونِ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْوَشَلَاتِ^٢ مِرَارًا ،
وَلَكِنَّهُ بَلَغَ مَدَاهُ ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَأَبْقَاهُ ، وَكَانَتْ لَلَّهِ فِيهِ مَشِيئَةٌ أَمْضَاهَا ،
وَقَضِيَّةٌ أَنْظَرَ بِهِ إِنْهَا^٣ ، لِذَلِكَ مَا خَبَّأَتْهُ صُرُوفُ الْأَيَّامِ ، وَسَلِّمَ مِنْ
الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^٤ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النُّحْرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، نَهَدُوا لَهُ

١ من قول المتنبي :

ومن جعل الضرغام بازاً لصيده تصيده الضرغام في من تصيدا

وفي ص : الضرغم بازياً .

٢ ص : الوشلات ، والوشلات : حالات الضعف .

٣ ناظر إلى الآية الكريمة « إلى طعام غير ناظرين إناءه » (الأحزاب) .

٤ من قول المتنبي أيضاً :

وان أسلم فما أبقي ولكن سلبت من الحمام إلى الحمام

في عَدَدِهِمْ وَعَدِيدِهِمْ . وَزَحَفُوا إِلَيْهِ بِحَدِّهِمْ وَحَدَّيْدِهِمْ ، فَتَجَاوَلُوا عَامَّةَ
يَوْمِيهِمْ فِي شَوَارِعِهَا ، يَتَرَامَتُونَ بِدَوَامِغِ الْخِتَوفِ وَقَدَوَارِعِهَا ؛ فَأَجَلَّتْ
الْحَرْبُ عَنْهُمْ قَدْ شَرِقُوا بِغُصَّتِهَا ، وَخَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَرَصَتِهَا . وَتَسَاقَطُوا
عَلَى أَذْفُونَشٍ يَتَشَكُّونَ ابْنَ ذِي النَّوْنِ إِلَيْهِ وَيَسْتَصْرِخُونَهُ عَلَيْهِ . فَرَمَاهُمْ
بِحَجَرٍ ، وَلَتَيْسَ لَهُمْ جَلْدَةٌ نَمِيرٌ . فَتَفَرَّقُوا بِكُلِّ سَبِيلٍ ، وَطَارُوا عَلَى
كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ ، حَتَّى مَاتَ ابْنُ مُغِيثٍ كَبِيرُهُم الَّذِي عَلِمَهُمُ السَّحَرُ ،
وَطَاغُوتُهُمُ الَّذِي شَرَعَ لَهُمُ الْكُفْرَ ، بِشِمْتِوْرٍ مِنْ أَرْضِ قَشْشِيلَةَ بَيْنَ
الدَّنَانِ وَالصُّلَيْبَانِ ، فَسَارَ وَإِلَى اللَّهِ إِيَابُهُ ، وَعَلَيْهِ حِسَابُهُ . وَرَجَعَ بَنُوهُ
أَخِيرًا فَانْتَشَرُوا بِمَدِينَةِ مَجْرِيْطٍ ، وَانْحَشَرَ إِلَيْهِمْ ذُؤْبَانُ الْوَقَائِعِ ، وَأَذْبَتُ
الْمَطَامِيعِ ، فَكَانَتْ بَيْنَ ابْنِ ذِي النَّوْنِ وَبَيْنَهُمْ أَيَّامٌ عَدَّتْ لَهُمْ لَهُ عَدَاً ،
وَسَاقَتَهُمْ إِلَيْهِ وَرَدَا ، حَتَّى بَادَ جُمْهُورُهُمْ ، وَتَلَاحَقَتْ أَعْجَازُهُمْ وَصُدُّورُهُمْ ؛
وَبَلَغَ ابْنَ ذِي النَّوْنِ مِنْ هَدْمِ رُبُوعِهِمْ ، وَصَلَبِهِمْ عَلَى جَدْوَعِهِمْ ،
مَا يُبْرِدُ صَدْرَ الْمَوْتُورِ ، وَيُضْحِكُ سِنَّ الْمَوْتِ الْمُبِيرِ .

بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة
وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ، وما انطوى في ذلك
من خبر ، والتف به من قبيح أثر

قال ابن بسّام : وأخذ ابنُ ذِي النَّوْنِ أَهْلَ طَلِيْطَلَةَ لِجَبِيْنِ اسْتِقْرَارِهِ
فِيهَا بِفَيْكٍ تَلِكِ الْمَعَاقِلِ ، وَأَدَاءِ مَا كَانَ ضَمَنَ لِأَذْفُونَشٍ مِنَ الْأَمْوَالِ

١ التاء غير معجمة في ص .

الجلال ؛ فضرب مُدبِرَهُم بِمُتَقَبِلِهِم ، وولّى آخِرَهُم كِبِيرَ أَوْلِهِم ، حتى طَمِعَ فقيرُهُم في غنيتهم ، واجترأ ضعيفُهُم على قويتهم ، وأصبح الرجل منهم يترتاعُ مِن ظِلِّهِ ، ويَلْتَمِسُ وإِنَّمَا هو بين أهليه : وانكدرَ أذْفُونش على طُلَيْطَلَةَ يَتَتَسِفُ مَرَّافِقَهَا ، ويَقْعُدُ لِحَالِيَةِ أَهْلِهَا ثَنَابَاها وَمَضَابِقَهَا ، يَأْسِرُ وَيَقْتُلُ ، ويحرقُ وَيُحْمِلُ : وسما السَّعْر ، وتفاقمَ الأمر ، وأنكبرت الموارِدُ والمصادر ، وبلَغَتِ القلوبُ الحناجر .

وكان من غريبِ ما اتَّفَقَ [٧٥] وعجيبِ ما انتظَمَ مِن ذلك واتسق ، أن البُرَّ كان على زعمهم يَكُتُّ عندهم أكثرَ مِن خمسينَ سنةً لا يؤثّر فيه طولُ القَدَم ، ولا يُخَافُ عليه آفةُ العَدَم ، ولم يُرْفَعْ مُدَّةُ الفِتْنَةِ مِن البيادرِ - على تَعَذُّرِ بَدْرِهِ ، وضيقِ الحيلةِ عن محاولةِ شيءٍ من أمرِهِ - إلاّ وقد بدا البلى عليه ، وأسْرَعَتِ الآفةُ إليه ، أمرٌ مِن الله لم يكنْ له مَرَدٌ ، ولا منه بُدٌّ . ولَمَّا شَمَلَ البلاءُ ، وفَدَحَتِ البأساءُ ، وأتى على أكثرِ أهلِ طُلَيْطَلَةَ القتلُ والجلَاءُ ، وقضى الطاغيةُ أذْفُونش - قَصَمَهُ الله - قضاءه من استباحةِ الحَرِيمِ ، واستئصالِ الرَّاحِلِ والمُتَقِيمِ ، وإتلافِ الموجودِ والمعدومِ . أسرى تحتَ الليلِ ، في قطعةٍ غَيبِرِ وافرةٍ من الخيلِ ، فنزلَ المُنِيَّةَ المصوَّرةَ التي كان المأمونُ يُحْسِنُ إليها كلَّ حُسْنٍ ، ويُسَاهِي بها جَنَّةَ عَدْنٍ ، ويُنْقَلِبُ الخَوِيرَ في جَيْدِ بِنْيَانِها ، والإشادةِ بِشَانِها ، ظَهْرًا لِبَطْنِ ، فاتخذَ عروشَها مَرَابِطَ لأفراسه ، ولإيواناتها مَلَاعِبَ لأرادلتهِ وأرجاسه . وهَجَمَ الشَتَاءُ فَمَنَعَهُ مِن مِيرَةٍ تَأْتِيهِ ،

١ ص : الجور .

٢ ص : وإيوانتها .

أومدّد يوافية ، فأقام نتيئفاً على شهريّن لا يسبغ الشّراب ، ولا يملكُ
المجيء ولا الدّهاب ، ليس له شؤوسكة إلاّ ظلّ لوائه . ولا ممدّد إلاّ
ضعف من كان بإزائه . ولولا اهتبالُ مأوك الطوائف بإقامة مرافقه ،
وإصغائهم إلى هدير شقاشقه ، لطار شعاعاً ، وذهب ضياعاً . وطفق
أهل طليطلة يستصرخون من حولهم ، ويحملون في ذلك فعلتهم وقوتهم ،
فيعكفون على طلل بائد ، ويضربون في حديد بارد . فلما نأى الشّاءُ
بجانبه ، وختلى بين كلّ ذاهب ومداهبه . سالّ بأهل طليطلة سيّبل
لا يقوم له سهّل ولا وعر ، وطالع عليهم لينل لا يلوّح لهم فيه صبّح
ولا فجر . واضطرّ من أخطأته الحوادث ، وتخطّته تلك الخطوب الكوارث ،
من أشدها ضيق الحصار ، وكتاب البوار ، وإبطاء المرافق والأنصار -
إلى مُداخلة الطاغية أذفونش ، فشرعوا في ذلك غير مظهرين للاستسلام ،
ولا متبرّتين من الصّبر على ضنك ذلك المقيم . طمّعا في أن يغروه ولو
باغلاء سؤم ، ويتخدعه على أذماء نفوسهم ولو ببياض يوم ، إشارة
الغريق إلى الساحل . واستراحة المحتصر إلى الطبيب الجاهل ؛ فأبى أذفونش
إلاّ عرصة الدار . وأمّ الأوطار ، وبلجأ بين التّماذي والاستمرار ،
لعلمه أين ينتهي طلقهم . وتقديره لما عسى أن يتمي به رمقهم . فخرج
من أعيانهم جُسلّة إلى مَضرب أذفونش في بعض تلك الأيام . وقد ضاق
المجال ، وتكتمّظت الآجال . وأقبلت الحتوفُ تحتال^٢ . فقام الحُجابُ
دونّه ، وقالوا : هو نائم فكيف توقظونه ؟ فمدلوا إلى مضرب ششّند ،

١ ص : من ائلهما .

٢ ص : تحتل .

شره العتيد ، وشيطانه المرید . وهامانه الذي أوقد له على الطين ،
وعلمه الدفح بالشك في صدر اليقين ، أحد ألاج ابن عبّاد - كان -
من رجل متوقد جمره الذكاء ، بعيد المذهب بين الخراة والتكراء ،
سفر بين المعتضد والطاغة فترذلتند ، فعقد وحل ، ونهض بما حمل
من ذلك واستقل . ثم خاف المعتضد على نفسه ، فنزع به عرق
الدوم ، إلى المقر المذموم . واستقرت قدمه بحليقية ، فاضطاع بالدروب
والشغور . وغلب على سائر السياسة والتدبير . وصار بعد قصارى
ملوك الطوائف بالخزيرة نظرة من اهتاله ، وأدنى خطرة من باله .
فأدخل على أذونش يومئذ منهم جماعة فوجدوه يمسخ الكرى من عينيه ،
ثائر الرأس . خبيث النفس . وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة
رأسه . فما نسوا دفر أطماره . ودرن أظفاره . ثم أقبل عليهم بوجه
كربه ، ولحظ لا يشكون أن الشر فيه ، وقال لهم : إلى متى تتخذعون ،
وبأي شيء تطمعون ؟ قالوا : بنا بغية . [ولنا] في فلان وفلان أمية ،
وسموا له بعض ملوك الطوائف . فصفت بيديه . وتهاقت حتى فحص
برجليه . ثم قال : أين رسل ابن عبّاد ؟ فجاء بهم يرفاون في ثياب
الخناعة ، وينسبون بالسنة السمع والطاعة . فقال لهم : منذ كنتم تحومون
علي . وترومون الوصول إلي ؟ ومتى عهدكم بفلان ، وأين ما جيشتم
به لا كنتم ولا كان ؟ فجاجوا بجملة ميرة . وأحضروا بين يديه كل
ذخيرة خطيرة . ثم ما زاد على أن ركل ذلك برجليه . وأمر بانتهابه
كائه : ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رأسه ،
وكانت حاله حال من كان قبله . وجعل ألاجيه يدفون في ظهورهم ،
وأهل طائفة يعجبون من ذلك مقامهم ومصيرهم ، فخرج مشيخةها
من عينه وقد سقط في أيديهم . وطمع كل شيء فيهم . وخلصوا بينه

وبين البلد ، لثلاثة أيامٍ من ذلك المشهد . ودخل طليطلة على حكمه ، وأثبت في عرصتها قدام ظلمه . حكمم من الله [٧٦] سببق به القدر ، فلم يكن منه وزر .

وخرج ابنُ ذي النون خائباً مما تمنّاه ، شرقاً ببعقيّ ما جناهُ ، والأرضُ تَصيغُ من مقامه ، وتستأذنُ في انتقامه . والسّماءُ تودُّ لو لم تُطلعْ نَجْماً إلاّ كدرتْهُ عليه حَتفاً مُبيداً ، ولم تُنشِءْ عارضاً إلاّ مطرتهُ عذاباً فيه شديداً . واستقرَّ بمحكمةِ أذفونش مخفورِ الدّمّةِ ، مُذالِ الحرمةِ ، ليس دونهُ باب ، ولا دونَ حرّمه سِتْرٌ ولا حِجاب . حدّثني مَنْ رآه يومئذٍ بتلك الحالِ وبیدهِ اصطرلابٌ يرصدُ فيه أي وقتٍ يرحلُ ، وعلى أيّ شيءٍ يعوّلُ ، وأيّ سبيلٍ يتمثّلُ ، وقد أطافَ به النَّصارى والمسلمون ، أولئك يضحكونَ من فعله ، وهؤلاء يتعجبونَ من جهله .

وعتّاً الطاغيةُ أذفونش - قصمه الله - حين استقراره بطليطلة واستكبر ، وأخلَّ بملوك الطوائفِ في الجزيرةِ وقصّرَ ، وأخذَ يتجنّى ويتعتّب . وطفقَ يتشوّفُ إلى انتزاعِ سُلطانهم والفراغِ من شأنهم ويتسبّب . ورأى أنهم قد وقفوا دونَ مداه ، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه .

وولّى شيشنند المذكور تدبير طليطلة ، فهوّنَ عليهم الرزية ، وحبّبَ ليهيم إعطاءَ الدنيّةِ ، بما أراهم من سهولةِ مراميه . وبسَطَ فيهم من عدلِ أحكامه . حتى استمال قلوبَ أعلامها ، وحبّبَ التنصراً إلى عامةِ طغامها ، وفجأ المسلمين من اختلافِ أهوائهم . وتنصّرَ سفهائهم . ما ضاقتْ عنه صدورُ الأيامِ . واضطربتْ له قواعدُ الإسلامِ . وقد كان من رأي شيشنند الإبقاءُ على أهلِ طليطلة : وقال لأذفونش : لست

تجدُّ بمنّ تَعْمُرُها ، ولا تَظْفَرُ بِعاملٍ أطوعَ مِن ابنِ ذي النُّونِ يدبّرُها ، فأبى أذفونش إلاّ لجأ في سَفْهِهِ . وانحطاطاً في حَبَلِ شَرِّهِ . فلمّا تهيّأ له مُلْكُها . وانتثرَ في يديه سِلْكُها . قال له شيشنند : اخفِضْ جناحَكَ لأهلِها . واستجلبْ جاليتها بما تمدُّ من ظلالها . ولا تُسَلِّحْ على ملوك الجزيرة فلست تستغني عنهم ، ولا تجدُ عَسالاً أطوعَ منهم ، فإنك إن أبيت إلاّ الإلحاحَ عليهم ، والتسرُّعَ بالمكروهِ إليهم ، نفرتهم عن ذراك ، وأحوجتهم إلى مداخلةِ سواك . فكان من صنْعِ اللهِ أن اتهمَ أذفونش يومئذٍ منحاه ، وخالفه إلى ركوبِ هواه ، وشَرَعَ لوقتِهِ في تغييرِ المسجدِ الجامعِ بها ، خاتمةَ النوائبِ ، ونكبةَ الشاهيدِ والغائبِ . فقال له شيشنند : إنك إن فعلتَ أوغرتَ الصدورَ ، وأبطلتَ التدبيرَ ، وسكنتَ من نشط . وقبضتَ من انبسط ، فشتمتَ أذفونش - لعنه الله - بأنفه ، وثنى من عطفه ، وأصغى إلى طنانةِ جنونه وسخفه . وأمرَ بتغييرِ المسجدِ الجامعِ يوم [. . . .] لربيعِ الأولِ سنةِ ثمانٍ وسبعين وأربعمائة . وحدثني من شهيدٍ طواعيته تبتدره ، في يومِ أعمى البصائرَ والأبصارَ منظره ، وليس فيه إلاّ الشيخُ الأستاذُ المغمي آخرٌ من صدرِ عنه ، واعتمده في ذلك اليومِ ليمزودَ منه . وقد أطافَ به مردهُ عفاريتِهِ ، وسرّعانُ طواعيته ، وبين يديه أحدُ التلامذةِ يقرأ ، فكلاماً قالوا له عجل ، أشارَ هو إلى تسليمِده بأنْ أكملْ ، ثم قام ما طاشَ ولا تهيّب ، فسجدَ به واقرب ، وبكى عليه متلياً وانتحب ، والنصارى يعظمونَ شأنه ، ويهابونَ مكانه ، لم تمتدْ إليه يد ، ولا عرضَ له بمكروهٍ أحد .

وقد حدثتُ أن شيعةَ أذفونش - لعنه الله وبدّها - أشاروا عليه يومئذٍ بلبسِ التاج ، وزيّنوا له زيّ من سلّفِ بالجزيرة قبلَ فتحِ المسلمين

١ ص : وسلكت .

إيّاها من أعلّاج . فقال : لا . حتى أطأ ذرّوة المئلك . وأخذَ قُرْطُبيتهِمَ
 واسِطةَ السِّلَكِ . وكانَ أعدىَ لمسجديها الجامع - حمى الله ساحته مِن
 الخطوبِ الروائع - ناقوساً تأنق في إبداعه . وتجاوزَ الحدَّ في استنباطه
 واختراعِهِ . فالحمد لله مُوهِن أيدِهِ ، ومُبطِل كيدِهِ ، وجزى الله أميرَ
 المسلمين ، وناصرَ الدِّينِ . أبا يعقوبَ يوسفَ بنَ تاشفينَ ، أفضلَ جزاءِ
 المحسنينَ . بما بلَّ من رماقٍ . ونفّسَ مِن خِناقٍ . ووَصَلَ هذه الجزيرةَ
 من حبّيلٍ ، وتجمَّعَ إلى تلبيةِ دعائها واستنقاذِ ما بها من حزنٍ وسَهْلٍ ،
 حتى [ثلّ] عروشَ المُشركينَ . وظهَرَ أمرُ اللهِ وهُم كارهونَ ،
 والحمدُ لله ربّ العالمينَ .

فصلٌ في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف^١ وسياقةُ جملةِ وافرةٍ من نظمه ونثره

قال ابن بسّام : كان أبو عبدِ اللهِ بن شرفٍ بالقَـيـروانِ . مِن فرسانِ

١ له ترجمة في الصلة : ٥٤٥ والمطرب : ٦٦ ومعالم الإيمان ٣ : ٣٩ والخريدة (قسم المغرب)
 ٢ : ٢٢٤ ومعجم الأديباء ١٩ : ٣٧ والوافي ٣ : ٩٧ والفوات ٣ : ٣٥٩ والزرکشي :
 ٢٧٨ ومسالك الأبصار ١١ : ٢٣٨ وبغية الوعاة : ٤٧ وصفحات متفرقة في ج ٣ ، ٤
 من نفع الطيب ، وعنوان الأريب ١ : ٥٦ وقد جمع الأستاذ الميمني بعض شعره في « التنف من
 شعر ابن رشيق وابن شرف » (القاهرة : ١٣٤٣) ونشرت له رساله بعنوان اعلام الكلام
 (الرسائل النادرة - القاهرة ١٩٢٦) وهي نفسها بعنوان مسائل الانتقاد في رسائل البلغاء
 مع مقدمة ابن شرف : ٣٠٢ - ٣٤٣ (القاهرة : ١٩٤٦) وقد نشرها الأستاذ شارل
 بلا ومعها ترجمة فرنسية (الجزائر : ١٩٥٣) وذكر ابن دحية (المطرب : ٩٦)
 أن شعره في خمس مجلدات ، وانظر القسم الأول من الذخيرة : ٩١ (الحاشية : ٣)
 حيث أشير إلى بعض مصادر ترجمته .

هذا الشأن ، وأحد من نَظَمَ قلائدَ الآداب ، وجمَعَ أشتات الصواب ، وتلاعبَ بالمنظومِ والموزون . [تلاعبَ] ١ الرياحِ بأعطافِ الغصون ، وبينه وبين أبي علي ابن رشيح ماجَ بحرُ البراعةِ ودَامَ ، ورجَعَ نجمُ هذه الصناعةِ واستقام ، وذُهِبَا من المناقضةِ مذهباً تنازعاها شراً طويلاً ، وخالفناه ذكراً محمولاً ، واحتملاه - إن لم يتسمح الله - وزراً ثقيلاً . وكان أبو عليٍّ أوسعهما نفساً ، وأقربهما ملتصقاً ، ولابن شرف أصالةٌ منزعيةٌ ، وجلالةُ [٧٧] مقطعيه ، ومثانةُ لفظيه ، وسعةُ حيفيه ، فتسمع بشعره ملآنٌ من وعوَةٍ وجعجعةٍ ، ولكن ما أبعد ما يرومه وأبدعه ! وسال سَيْلُ فتنةِ القيروان ، اللاعبُ بأحرارها ، المُعَفِّي على آثارها ، فتردد على ملوك الطوائف بالأندلس ، بعد مقارعة أهوال ، ومباشرةِ خطوبِ طوال ، وقد نبتت شفرته ، وطُفِئت جمرته . وقد قلتُ فيما تقدم إنه انتحى منحى القسطلي^٢ في شكوى الزمن ، والحديث عن الفيتن . كان معه كمن تصدى الرياح^٣ بجناح ، وقابل الصباح بمصباح . واستقر أخيراً عند المأمون بن ذي النون ، فعليه ختم آخر لبوسيه ، ونثر بقيته كبيسه .

وكانت لعباد هيمته في اصطحاب الأحرار ، واستجلاب ذوي الأخطار ، يتصيبُ لذلك الجبائل ، ويُعمِلُ فيه الحقَّ والباطل ، حتى إذا عشوا إلى سُرجه ، واغترُّوا بزبرجه ، سامتهم ردَّ أبي قُبَيْسٍ^٤ على أبيه ، وأخذهم

١ زيادة من المسالك .

٢ يعني ابن دراج ، انظر القسم الأول : ٥٩

٣ المسالك : للرياح .

٤ كذلك هو أيضاً في المسالك ، والأصوب أن يكون بحذف « أبي » .

بالسعاية بين الفرقتين وأخيه . فمَن أعياء منهم ركوب الصَّعاب ، وعَضَّة
 التثَقُّل بين المضايق والرحاب ، عَزَّة في الخطاب : وأطاع به سُلطان
 الارتياب . ﴿ أَيُؤَسِّبُكَ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ (النحل: ٥٩)
 وقد ذكرت في أخبار ابن عبد البرِّ الكاتب^١ أنه انسلَّ مِن يدِ عبَّادِ
 انسِلالِ الطَّيِّفِ . ونَجَّاهُ مِنْهُ واسأله كَتِيفٌ : وكان ابنُ شَرَفٍ هذا ممَّن
 فَهَمَّ مَنَحاه . وصمَّ عن رُقاہ : فلم يَجْتَمِعْ مع عبَّادِ في صعيدِ ،
 ولا أهدى له السلام^٢ إلاَّ مِن بَعِيدِ . وستأتي أخبارُه معه ومع سواه ،
 مُحَرَّرَةَ النِّقْدِ . مُقَدَّرَةَ السَّرْدِ .

ولأبي عبد الله عِدَّةُ تَوَالِيْفٍ^٣ أفاضها بحارا ، وأطلعها شمساً وأقماراً ،
 منها كِتَابُهُ الموسوم بـ « اعلام الكلام » وكتاب « أبكار الأفكار » وقلَّبت
 له هذه الترجمة بإشيلية بعضُ الوزراء الكُتَّابِ ، فجاءَ في ذلك بالعَجَبِ
 العُجَابِ . وقد أثبتُ في هذا الفصلِ مِن كلامِ ابنِ شرفِ ما يشهدُ بذكائه ،
 ويُغني عن إطرائه .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

بلغني أنه استنهض صاحبه ابنَ رَشِيْقٍ^٤ — مع منافرةٍ كانت بينهما

١ انظر القسم الثالث : ١٢٥ وما بعدها .

٢ المسالك : ولا سلم عليه .

٣ يستفاد من كلام ياقوت (١٩ : ٤٣) أن أبكار الأفكار يحتوي مختارات من شعر ابنِ
 شرفِ مع أن بسام سيورد قول ابنِ شرفِ (ص : ١٧٩) إنه يحتوي على مائة نوع من
 مواعظ وأمثال وحكايات قصار وطوال . وأن أعلام الكلام فيه فوائد لطائف وملح متخبة ،
 وأن رسالة الانتقاد مقامة نقدية . وذكرت له المصادر مؤلفات أخرى منها : رسالة ساجور
 الكلب ورسالة نبح الطلب ورسالة قطع الأنفاس وغير ذلك (انظر الروائي والفوات) .

٤ ص : ابن شريق .

— في أن يجتمع العدوَّان بالطريق ، ويجوزا معاً إلى الأندلس. فأنشده ابن رُشيق^١ :

مما يبعثني في أرضِ أندلسِ سَماعُ مُقتدرٍ فيها ومُعْتَصِدِ
ألقابُ مملِكةٍ في غيرِ موضعها كاهراً يَحكي انتفاخاً صورةَ الأسدِ

فأنشد ابنُ شرف :

إن ترميكَ الغربيةُ في معشَرِ قد جُبِلَ الطبعُ على بُغْضِهِمْ
فقدارِهِمْ ما دُمْتَ في دارِهِمْ وأرضِهِمْ ما دُمْتَ في أرضِهِمْ

وتصَرَّفَ ابنُ شرفٍ في هذا المعنى فقال^٢ :

يا خائفاً مِنْ مَعشَرِ لا يُصْطَلَى بنا رِهيمُ
[إن تُبيلَ من شرارِهِمْ على يَدَيِ شيرارِهِمْ^٣]
أو تُزَمَّ من أحجارِهِمْ وأنتَ في أحجارِهِمْ
فما بقيتَ جارَهُمْ ففي هَواهُم جارِهِمْ
وأرضِهِمْ في أرضِهِمْ ودارِهِمْ في دارِهِمْ

وكان أوَّلَ ما بعثَ إلى المعتضِدِ بإشبيلية خمسَ قصائدَ من شعرِهِ مع
رقعةٍ خاطبَ بها وزيرَهُ أبا الوليدِ بن زيدون ، يقول في فصلٍ منها :

١ مجمع الأدباء ١٩ : ٣٨ وبيتا ابن شرف في المطرب والخريدة وانظر التنف : ١٠٣ والشريشي

٢ : ٢٥٨ ونسباً في الخريدة ١ : ٢٨٩ لملي بن فضال وفي الوافي (١ : ١٢٥) لأبي نصر

محمد بن محمد الرامشي وانظر الريحان والريمان : ١٤١

٢ منها ثلاثة في الخريدة وخمسة عند الصفدي ، وانظر التنف : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ بياض بالأصل وزدته اعتماداً على المصادر .

الآدابُ - أعزك الله - لأربابها ، كالمحارمِ لدوي أنسابها ، تبدي
 البينتُ زينتها لأبيها ، وتريف الأختُ لأخيها ، ولمن كان له في المحترمِ
 شبيها ، وكذلك حُكْمُ ذوي الآدابِ فيها ، يترفعون بينهم حُجَبَ التحفظِ
 بيد الاسترسال ، ويدفعون سترَ التقبضِ بأكفِ البِشْرِ والإقبالِ . وقد
 رفعتُ إلى حضرة الرفيعة حَمَسَ أبكارِ عُرْبٍ ، تخدمهنَّ وليدةٌ ذاتُ
 حُسنٍ وأدبٍ ، خصصتُ بالحمسِ القرائضَ خيرَ الملوكِ ، وبالوليدةِ
 برَّ الحرِّ المملوكِ . وهنَّ وإن زدنَ على أربعِ الشَّرعِ واحدة ، فليست
 في دينِ الشَّعْرِ بزائدة ؛ ولما جازَ أكثرُ من أربعٍ لخيرِ الأنامِ ، اقتدينا بذلك
 في خيرِ الكرامِ .

ولما كنتُ - أعزك الله - حَسَّانه المقَدِّمَ ، رأينا ما رآه صلى الله عليه في
 سيرين^١ . وقد كانت النية ، لو تمتْ الأمنية ، حُضوري بدائي ، لزفافي
 بُنياتي ، فمتَّع من المنراد مانع ، ودفعَ بيدِ الأقدارِ دافع . ولما صار
 الفعلُ الماضي مُستقبلاً ، وبقيتُ للحاق مؤملاً ، وكلتُ بهنَّ ذا مَحْرَمِيهنَّ ،
 واثمنتُ عليهنَّ ابن [. .]^٢ وهو الشيخ أبو فلان . فللوزيرِ الأجلِّ
 علوُ الرأي في قبُولِ ما عَرْضَه وليته المدلُّ على إكرامه ومكارمِ أخلاقه ،
 بما ينمُّ عليه من طيبِ أعراقه ، ويتقومُ بعُدري إن وهيت ؛ وبشكري
 إن فهيمت . فهو بدري إذا لَيْلي عَسَعَسَ ، وشمسي إذا صبحي تنفَسَ .
 وأنا وإن بعثتُ بالأقمارِ في الأظمارِ ، وبالشَّهوسِ في خَشَنِ الملبوسِ ،
 فهو برْفَقِهِ ودقيقِ حَدْقِهِ يُلَطِّفُ الهجنَ ، ويحسِّنُ الحسنِ ، ويقدمُ

١ يشير إلى أن الرسول (ص) أعطى الجارية سيرين لسان بن ثابت .

٢ بياض بقدر كلمة .

في الغيبة ، ما يُنعين عند اللقاءِ على الهيبةِ ، بقويّ مُنتبهٍ ، وعظيم
مبتننه ، إن شاء الله .

فأجيب ابنُ شرفٍ برقعةٍ من إنشاءِ الوزيرِ الكاتبِ أبي محمد بن
عبدِ البرّ قال فيها : [٧٨]

رُبَّ أُمْنِيَةٍ شَطَطَتْ ، قَدِ اتَّاحَتْهَا قَدْرٌ ، وَنَجِيَّةٌ فَرَطَتْ ، قَدِ أَرَا حَهَا ظَنَفَرَتْ .
وَقَدِ تَقَرَّبَ الْأَمَانِي مَا يَنْظَنَّهُ الْمَرْءُ ١ نَازِحاً بَعِيداً ، كَمَا تُفِيْتُ مَا يَبْعَثُهُ
حَاضِرًا عَتِيدًا . وَكَانَتْ أَخْبَارُكَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - تَرُدُّ عَلَيْنَا أَرْجِيَّةَ النَّسِيمِ ،
عَطْرَةَ الشَّمِيمِ ، شَهِيَّةَ الْمَسْمُوعِ ، رَفِيعَةَ الْمَحْمُولِ وَالْمَوْضُوعِ ؛ وَأَشْعَارُكَ
تَزْفُؤُ إِلَيْنَا عَرَائِسَ الْأَلْبَابِ ، وَنَقَائِسَ الْأَدَابِ . فَتُنْفِدُكَ عَلَى الْبُعْدِ بِالْأَنْفُسِ
وَالْأَقْرَابِ ، وَتَسْتَدْنِيكَ بِالْأَمَانِي وَنَحْسَبُهَا مِنَ الْكَوَاذِبِ ؛ حَتَّى أَسْمَعَ
الْخَبْرُ بِأَغْتِرَابِكَ ، وَطَلَعَ الْبَشِيرُ بَارْتِقَابِكَ ٢ ، وَوَأَفَتْ وَرَّادَ خِطَابِكَ ، وَقَهَقَهُ
مُجْجَلْجَلُ سَحَابِكَ ، وَتَصَدَّتْ بِحَارُ الطَّلِبِ لِسُقْيَاكَ ، وَنَمَّتْ رِيَاضُ
الْأَدَبِ بِرِيَاكَ ، وَهَزَّ الْكَرَمُ عِطْفَهُ لِقِيَاكَ ، وَوَصَلَ الْمَجْدُ الْأَطْرَفَ طَرْفَهُ
بِرِعْيَاكَ ، وَجَلَّتْ عَلَيْكَ ٣ عَرَائِسُ الْحَالِيَةِ فِي مَعَارِضِ الشَّدْوِ وَالْإِنْشَادِ ،
فَسَمِعِيدَتْ مِنْ أَكْرَمِ الْأَكْفَاءِ بِالْقَبُولِ وَالْوِدَادِ ؛ وَحَتَّظَيْتْ عِنْدَهُ بِالتَّرْفِيعِ
وَالْإِعْزَازِ . وَوُضِعَ ثَوْبُهَا الْأَنْفُسُ فِي يَدَيْهِ بِزَّازٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ مَعَكَ
فِي اسْمِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ مُفَضَّلِيكَ - أَيُّدُهُ اللَّهُ - مَدَّهًا مِنْ مَذَاهِبِ رُؤَاةِ
الْحَدِيثِ يُسَمُّونَهُ بِالتَّدْلِيْسِ ، وَيَكَادُ يُنْسَبُ إِلَى الْإِشْكَالِ وَالتَّلْبِيْسِ ،

١ ص : الأمر .

٢ ص : بارتعابك .

٣ ص : عليه .

للعيلم^١ المحيط أن الكرم من أسمائه وصفاته، والمجد من ألقابه وسِماته: وسترد، فتستقصيرُ وصفي بما تجيد. فاقصد قصده، تحل بباطل الإفادة، وأمه وحده، تحظ بنائل الرفادة: ولا تبسغ في سوق الكساد فالنفاق^٢ أمامك، ولا تسم ببضاعتك فالسوق قد أمك. واذكر ما أنكره ابن الزيات على حبيب، وأنت المكتفي بحالك عن الضمير، وبما خولك الله عن المشير. فذاتك أنفع شفعائك، وأدواتك أرجح سفرائك. وقد خاطبك مستقداً، وجد معتزماً، ووجه نحوك شيئاً يكون من زادك إليه، ويعين على مؤنة طريقتك في قدومك عليه، وذلك ثلاثون مثقالاً من ضرب السكة قبله، ولم يرد بها غير ما أعلمك، حتى توافي إن شاء الله فتستوفي. وعسى أن يكون وصولك إسفار الفجر الذي صدعته إلينا، وحلولك نهار الصبح الذي أطلعتته علينا: وكان من البر أن أراجع عن الشعر، لكن لا أخطو في ميدانك ولو كنت جريراً، ولا أرجح في ميزانك ولو احتضنت ثبيراً.

قال ابن بسام: والذي ذكر ابن عبد البر مما أنكّر ابن الزيات على أبي تمام لما مدحه بقصيدته التي أولها^٣:

• هان علينا أن نقول وتفعلاً •

١ ص: لعلم.

٢ ص: فالنفاق.

٣ ديوان أبي تمام ٣: ٩٨ وعجز البيت؛ «ولذكر بعض الفضل منك وتفضلا» وانظر أخبار أبي تمام: ١١٩ وابن بسام يتابع زهر الآداب: ٣٣٦ - ٣٣٧.

وهي من أحسن شعره ، وقّع له على ظهرها ١ :

رَأَيْتَكَ سَهْلَ الْبَيْعِ سَمِحاً وَإِنَّمَا يُنْغَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بِأَيْعُهُ
فَأَمَّا إِذَا هَانَتْ بِضَائِعُ بَيْعِهِ فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بِضَائِعُهُ
هُوَ الْمَاءُ إِنْ أَجْمَمْتَهُ طَابَ وَرَدُّهُ وَيُفْسِدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ شَرَائِعُهُ

فاعتذرَ لآلِيه أبو تمام في قصيدته التي يقول فيها ٢ :

أَمَّا الْقَوَافِي فَقَدْ حَصَّنْتَ غَرْتَهَا ٣ فَلَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلَا سَلَابُ
وَلَوْ عَضَلْتِ عَنْ الْأَكْفَاءِ أَيْمَهُمَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي أَطْهَارِهَا أَرْبُ
كَانَتْ بِنَاتٍ نُصِيبُ حِينَ ضَنَّ بِهَا عَلَى الْمَوَالِي وَلَمْ تَحْفَلِ بِهَا الْعَرَبُ

وقد قيلَ إنَّ أبا تمام أجابه بقوله :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِراً فَجَعْفَرٍ كُنْتُ قَبْلِي شَاعِراً تَاجِراً بِهِ
فَقَدْتُ كُنْتُ قَبْلِي شَاعِراً تَاجِراً بِهِ فَصَرْتُ وَزَيْرًا وَالْوَزَارَةَ مَكْرَعًا
وَكَمُّ مِنْ وَزَيْرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسَلِّطًا فَعَادَ وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ
وَلِلَّهِ قَوْسٌ لَا تَطْبِيشُ سِيَاهُهَا وَلِلَّهِ سَيْفٌ لَا تُفْلُ مَقَاتِلُهُ

١ أخبار أبي تمام : ١٢٠ وزهر الآداب (حتى نهاية الخبر) .

٢ انظر الديوان ١ : ٢٥٨ .

٣ هذه الرواية ثابتة في الديوان وزهر الآداب ؛ ويروى أيضاً « عذرتها » .

٤ كان لنصيب - وهو شاعر أسود - بنات فكان يشح بهن على الموالي وتكره العرب أن

تزوجهن (شرح ديوان أبي تمام ١ : ٢٥٩ والمضائف والمنسوب : ٢٢٢) .

٥ ص : سوق .

وقيل إن هذه الأبيات منحوّلةٌ لحبيب . وقيل قالها ولم تظهر إلا
بعد موته .

رجع

فتوقف ابنُ شرفٍ عن القُدومِ بِقَدَمِهِ ، وكَلَّفَ ذلكَ سِنَ قَلَمِهِ .
وطرَّرَ تَأليفَه « أبكارُ الأفكارِ » باسمِ عبَّادٍ ، وبعثَ به إليه على البِعَادِ . وقد
كانَ وَسَمَهَ قَبْلُ باسمِ باديسِ بنِ حَبِيسٍ في خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ قالَ فيها : ما
ظَنَنْتُ الْإِبْتِدَاعَ إِلَّا بَلِغَ ، ولا حَسِبْتُ الْإِخْتِرَاعَ إِلَّا فَبَرَّغَ ، حتَّى إذا اسْتَأْثَرْتُ
بُنَيَّاتُ صَدْرِي ، ولطائِفُ فِكْرِي ، ببيتِ واحدِ الجَنَسِيَّةِ ، ومعنى غَرِيبِ
الأبْنِيَّةِ ، قلتُ لِنَفْسِي : هَيْهَاتَ ! لاشكُ أَنَّكَ سَبِقْتَ إلى هذه الغَايَةِ ، وعَلِمْتُكَ
قَبْلَةَ الرِّوَايَةِ . وكَثُرَ سُبُاقُ الرُّوَادِ ، وفُرَاطُ الوُرَادِ ، فما تَرَكَوا للمُتَأَخِّرِينَ
من الرِّياضِ زَهْرَةَ ، ولا مِنِ الحِيَاضِ قَطْرَةَ ؛ كما أَنَّ جَيْشَ الكَرَمِ
قد انْهَزَمَ ، وزائِرَ الشَّرَفِ قد انصَرَفَ ، ومِرْكَوبَ المَجْدِ قد نَدَّ فَعِيشَتُ
أظُنُّ هَذَا الظَّنَّ ، حتَّى سافَرْتُ إلينا رِفاقُ الْأَخْبَارِ بِشَهَادَاتِ زَكَاتِهَا
مُرُورُ الْأَيَّامِ ، ودُؤُوبُ الدَّوَامِ ، تشهَدُ بِسُودِدِ بَانَ عَنِ السُّودِدِ العِصَامِي ،
وحَزَمِ فاقِ الحَزَمِ الهِشَامِي ، وجُودِ جاوزَ الجُودِ الكَعْبِي . وبأسِ أنسَى
البأسِ المِصْعَبِي . ثم سَفَرَ لي الدهرُ عن سَفَرٍ إلى مَغْرِبِ [٧٩] الدُّنْيَا
ومَشْرِقِ العَلَسِيَا ، والبُقْعَةِ المِبارَكَةِ البادِيسِيَّةِ ، والدُّوَلَةِ المُظَفَّرِيَّةِ ،
والمَمْلَكَةِ الشاخِضَةِ الحَمِيرِيَّةِ ، والحَضْرَةِ الشَرِيفَةِ المَنِيفَةِ الغَرْنَاطِيَّةِ ؛
فَعَايَنْتُ عَالِمًا في عَالَمٍ . قد شَرَكُوهُ في النِّسْبَةِ إلى آدَمَ ، وانفَرَدَ مِن
مُناسِبَتِهِمْ ، وشَدَّ عَن مُجَانَسَتِهِمْ ، بِجَمِيلِ طَرائِقِ ، وحَمِيدِ خِطائِقِ ،

١ طرز : (بالمهمله) أي جعل اسمه طرة، وقد يمكن أن تقرأ « وطرز » .

انفردت انفراداً سهيلاً ، وجمعت في المرأى والمسموع ما زاد على زيّد الخيّل . مغرّى بالأدب المهجور بل المطرود ، ساليماً عن المال المعشوق بل المعبود ، منفيقاً للحميد الدفين^١ المرسوس إلى صنوف من الفضائل ، وأنواع من الجلائل ، لا يحيط بها الوصف ، ولا يجمّعها الرصف ، يغني النقل الكافي والتواتر الإجتماعي عن تأنيتها على السنة الأعلام إلى أفهام الأنام . وقد قدحت زند الفكر فأورى شرراً ، وامتحنت^٢ قلب القلب فأجرى نهراً ، فرقت في هذا المجموع من الكلام المشور المسجع الأوساط والأطراف ، والمنظوم المسكّل بتيجان القوافي ، ما استنبطه من ذوات صدري ، واستنتجته من بنات فيكري : فيقرأ ابتدعتها وسجعتها ، ومعاني حكايات اخترعتها ، تطرّزها الأعلام ، وترقم بها أردية الكلام ، وأنا استغني بقراءة القارئ أصنافها ، عن أن أقدم أوصافها . وهي بنات مؤلفها ، وأسجاع مصنفها ، وليست كالأسجاع المنسوبة لابن أبي الزلازل^٣ ، وهي بنات شتى قبائل ، لم يزد على أن يترححكاياتها ، وطمس معالم آياتها . ليصح له ما شرط في السجع من الأعداد ، فأضاع ما يراد لصون ما لا يراد . وقد تجمل بغير ثيابه ، وأنفتق من غير اكتسابه ، وأنا أنشد قول أبي النجم^٤ :

١ ص : الدقيق .

٢ ص : وامتحنت .

٣ هو الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد الكلبي أبو عبد الله (- ٣٥٤) كان كاتباً شاعراً وله مصنفات منها « أنواع الأسجاع » ابتداء بتأليفه في دمشق سنة ٣٤٣ وروى فيه عن شيوخه وغيرهم (معجم الأدباء ١٠ : ١١٨ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦) .

٤ هو أبو النجم العجلي الراجز واسمه الفضل بن قدامة (انظر ترجمته في الأغاني ١٠ : ١٥٧ -

• أنا أبو النجم وشعيري وشعيري •

وعلى أي حال كان مجموعنا هذا ، فَيَشْرَفُهُ شَرَفُ مَنْ لَهُ يُجْمَعُ ،
 وإلى يَدِهِ الْعَلِيَّةُ يَنْرَفَعُ ، فَمَسَّسَتْهُ يُمْنَاهُ ، وَلَحَظَّتْهُ عَيْنَاهُ . فلو كان
 صَمْنَصَامٌ عَمْرُو لِسِوَاهُ ، مَا انْتَهَى مِنْ الذِّكْرِ مُنْتَهَاهُ ؛ وَلَوْلَا حَاجِبُ
 ابْنِ زُرَّارَةَ مَا ذُكِرَتْ قَوْنُسُهُ ، وَلَوْلَا حَبِيبُ مَا عُرِفَ أَوْسُهُ ، وَإِنَّمَا عُرِفَ
 الطُّورُ بِالْكَاسِمِ ، وَشَرَفَ الْمَقَامُ بِإِبْرَاهِيمِ .

ومِن كَلَامِهِ فِي صَدْرِ كِتَابِهِ الْمُتْرَجِمِ : « أَعْلَامُ الْكَلَامِ » فَصَّلُ
 يَقُولُ فِيهِ : قَدْ أَطَلْتُ الْوَقُوفَ بِالْمُكُوفِ ، عَلَى غَيْرِ مَا تَصْنِيفُ : فِي شَتَّى
 الْأَنْوَاعِ ، فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا وَلِدَاءً عَنِ الْوَالِدِ ، وَطَارِفًا عَنِ النَّادِ ، فَلَا تَكَادُ تُرِيكَ
 غَرِيبَةً وَلَا شَارِدَةً إِلَّا مَتَقُولَةً : « حَدَّثَنِي فُلَانٌ ، وَسَمِعْتُ عَنْ فُلَانٍ » ،
 وَالْمَوْلُوفُونَ قُصَاصٌ بِأَقْلَامِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتَقَصُّوا بِكَلَامِهِمْ ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ
 تَوَالِيهِمْ عَلَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَالْمُسْكِرُّ مَمْلُولٌ بِالْإِجْمَاعِ ، وَالنَّفْسُ
 صَبَابَةٌ بِالْغَرَائِبِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْأَطْيَابِ ، لَانْفِرَادِهَا عَمَّا سَمَّيْتَهُ الْقُلُوبَ ،
 وَتَجَافَتْ بِهِ الْجُنُوبُ ؛ إِلَّا أَنْ الْإِبْتِدَاعَ وَالْإِخْتِرَاعَ عَلَيْهِمَا [بَابٌ ، بَيْنَهُ] وَبَيْنَ
 الْإِسْتِطَاعَةِ حِجَابٌ . وَقَدْ كُنْتُ حَاوَلْتُ مِنْهُ مَا لَمْ أَسْبِقْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ أَجْعَلْ
 سِوَى نَظَرِي مُعَيَّنِي عَلَيْهِ ، فَصَنَّفْتُ الْكِتَابَ الْمُسَلِّقَ بِ « أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ » ،
 يَشْتَمِلُ عَلَى مَائَةِ نَوْعٍ مِنْ مَوَاعِظَ وَأَمْثَالٍ ، وَحِكَايَاتِ قِصَارٍ وَطِوَالٍ ، مِمَّا
 عَزَوْتُهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَحْكُمِهَا ، وَأَضْفَيْتُ نَسْجَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَحْكُمِهَا ، قَدْ طُرِّزَتْ

= والخزانة ١ : ٤٨ والشعر والشعراء : ٥٠٢ ومعجم المرزباني : ٣١٠ والسط : ٣٢٧ ،

وانظر هذا الشطر في الأغاني ٢١ : ٣٧١) .

١ ص : أطلب .

يُلَمِّحُ الجِدَّةَ والهَزْلَ ، وَحُسْنَتْ بِمُتَقَابِلَةِ الضَّدِّ لِلْمِثْلِ ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ [رَوَايَةٌ] رَوَيْتُهَا عَنْ قَدِيمٍ وَلَا جَدِيدٍ ، وَلَا حُدُثَتْ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ . وَقَدْ رَفَعْتُ إِلَيْهِ الْبِكْرَ ، ابْنَةَ الْفَيْكُرِ ، فِي هُوْدَجِيهَا الْفَرَجِ ، وَجِلْبَابِيهَا الْأَرْجِ ، وَأَنْتَ الْكُفْرُ الْكَرِيمُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ الْحَرِيمُ ، الَّذِي لَا يَشُوبُهُ التَّحْرِيمُ ، وَعَلَى كَرَمِكَ الْقَبُولُ ، وَمَا أَهْدَاهُ الْوُدُّ فَمَسْقُوبٌ : فَلَمَّا وَضَعْتُ الْكِتَابَ وَالْحِطَابَ إِلَى الْمُعْتَصِدِ لَمْ يَتَّعِدْ بِنَدَاءٍ مِنْ إِنْفَازِ صِدْقَتِهِ إِلَيْهِ عَلَى الْبُعْدِ ، وَرَاجَعَ ابْنَ شَرْفٍ بِرُقْعَةٍ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضًا ، قَالَ فِيهَا : وَرَدَّ كِتَابُكَ الْأَثِيرَ ، فَاقْتَضَبْتَ مِنَ النَّثْرِ الْبَدِيعَ ، وَالنَّظْمَ الرَّفِيعَ ، مَا يَهْزُ أَعْطَافَ الضَّمَامِ ، وَيَسْرِي فِي حَوَاشِي الْخَوَاطِرِ ، وَتَتَلَقَّاهُ النَّفُوسُ تَلَقِّيَ ارْتِيَاحٍ إِلَى بَدَائِعِهِ ، وَفَتْنَةً بِمَبَادِيهِ وَمَقَاطِعِهِ ، وَلَا غَرُوبَ ، فَإِنَّكَ عَالِمُ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَسْجُرُ قَسْبَ السَّبْقِ فِي مَبَادِيهِ ، وَيُهْدِي الْبَانِعَ الْغَضِّ مِنَ رِيَاحِيهِ . وَقَدْ كَانَ لِي نَزَاعٌ إِلَيْكَ ، وَحِرْصٌ عَلَيْكَ ، وَتَصَوُّرٌ لِلْأُنْسِ بِكَ ، لَوْلَا مَنْ جَلَا لَكَ الْغَيْشُ فِي بَعْضِ النَّصِيحَةِ إِذْ حَسَدٌ ، وَلَمْ يَشْكُ فِيمَا تَرَدُّ عَلَيْهِ مِنْ صِلَاحِ الْحَالِ فَلَمْ يَأَلُ أَنْ أَسْتَدَّ . وَلَا بَدَأَ لِعَقَارِبِ الْحَسَدِ مِنْ دَبِيبٍ « وَمَا كُلُّ مَنْوُتٍ نُصِّحَهُ بِإِتْبَابٍ »^١ وَلَكِنْ — مَعَ تَوَقُّفِكَ ، وَأَنِّي سَأَلْتُكَ بِكَ مَقَاصِدُ تَصَرُّفِكَ — لَدَيْ الْمَحَلِّ الْكَرِيمِ ، فَذِكْرُكَ فِي نَفْسِي الشَّاهِدُ الْمُقِيمُ .

وَتَأْدَى مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ التَّأْلِيفُ الرَّائِقُ ، وَالتَّصْنِيفُ الْفَائِقُ ، فَاجَلَّتْ نَظْرِي مِنْهُ فِي سِحْرِ إِلَّا أَنَّهُ حَلَالٌ ، وَفَتَمَّتْ بِهِ ثَبَّحَ بِحَرِّ إِلَّا

١ عجز بيت لأبي الأسود، ديوانه: ٣٣ (ط / ١٩٧٤ تحقيق آل ياسين) والعقد ٥ : ٤٤٤ (وانظر تخرجه في الديوان) وصدوره : فما كل ذي لب (أو : نصح) بمؤتيك نصحه .

أنه زُلال . ورأيتُ كيف تَزحَم في العائِم بالمنكِبِ العَمَم ، وتأخذُ^١ من البلاغةِ في المَدَهَبِ الأَمَم . فما شِئتَ مِن مَثَلِ سائر ، وبِئسَ [٨٠] نادِر ، وفِقِرَ مَحْدُودَةٌ^٢ بأمثالِها ، ونُكِنْتَهُ غَرِيبَةً مُضَافَةً إلى أَشْكالِها ، ممّا اتصَلتْ به يَدُ الإحاطَةِ بِصِحَّةِ البِراَعَةِ ، وتَزِينتْ دِيبَاجَةَ الطبعِ بِرَقَمِ الصنَاعَةِ ، فهو مُؤنِسِي ، وشُغِلُ مَجَالِسِي . وقد وَجَّهتُ إليك مع الوزيرِ المُتقدِّمِ الذِّكْر ، ما أَحِبُّ أنْ تَضَعُ عليه يَدَ السُّتْرِ ، مكانَ لسانِ الشُّكْرِ ، فإني أعلمُ أنه عَدَدٌ يَقصرُ عن قَدْرِكَ ، وَيَقِلُّ في جَنبِ اللَازِمِ لك ، وذلكَ مائةٌ مِثقالٍ من ضَرْبِ السِّكَّةِ قِيسِي . فَتَفَضَّلْ بِقبولِها ، والإعلامِ بِوصفِها .

قال ابن بَسَّام : ومع وصولِ هذه الصِّلةِ إلى ابنِ شَرْف ، لم يَزَلْ على مَأوَكِ الطوائِفِ يَوْمئِذٍ يَتَطَوَّفُ وَيَتَنَقَّلُ في الدُّولِ مِن مَنزِلٍ إلى مَنزِلٍ ، ومن بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ، إلاَّ حَضْرَةَ المُعْتَمِدِ ، فإنه كان يُخاطِبُهُ وَيُنشِدُهُ :

أحبك في البَتُولِ وفي أبيها ولكني أحبك من بعيدٍ^٣

وتوهم جملةً أنَّ بوادي إشبيلية تَمساحاً من تَماسيحِ النيل . وجعل هِجِيراهُ بَيْتِي أبي نَواسٍ حيث يقولُ^٤ :

١ ص : تزدهم . . . ويؤخذ .

٢ ص : محدودة .

٣ قد مر تخريجه في هذا القسم ص : ١٥٦ .

٤ ديوان أبي نَواس ٢ : ٩٩ (تحقيق فاجر) .

أضمرت للنيل هيجراناً ومقليةً إذ قيل لي إنما التمساح بالنيل
فمن رأى النيل رأى العين من كئيبٍ فلا أرى النيل إلا في البواقيل^١

وقد حدثت أيضاً أنه خاطب المعتضد بهذه الأبيات^٢ :

أن تصيدت غيري صيد طائفة أو سمعتها الحب حتى ضمنها القفص
حسيتني فرصة أخرى ظفرت بها هيهات ما كل حين تمكين الفرص
وظاهر حسن أيضاً لقصتها لكن لها باطن في طيئه قيصص
لك الموائد للقصاد مترعة تروي وتشيع لكن بعدها غصص
ولست أعجب من قوم بها انتشوا لكنما عجبني من معشر خلتصوا
ولم يطيب قط لي من يلد ولا سألوى إذا كان في عقباهما مغمص

قال هذا لتواتر الخبر عن المعتضد بازورار ركنه ، وخشونة
حزنيه ، فأضرب عن ضربه ، ولم يستعرض للنشبة في حباتل نمشبه .
خوفاً أن يورطه الهوى في هوان ، ويسقط العشاء به على سرحان^٣ ،
ويطيح في جملة من طاح على يديه من الخسطاء والندمان^٤ .

١ البواقيل : الجرار بلغة القبط ، واحدها باقلة (الديوان) ؛ وفي شفاء الغليل « براقيل »
- بالراء - ونقل عن الصولي أن البراقيل سفن صغار ؛ قال : وقال علم الهدى في الدرر
(أمالي المرتضى ١ : ٥٩٦) إنما هو جمع براقيل وهو كوز من الزجاج وما ذكره الصولي
وهم منه ؛ قلت : وفي أمالي المرتضى : بواقيل - بالواو - ومفردا « بوقال » وتعريفه « آلة
على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره » . وعلى هذا فإن وروده بالراء المهملة
في شفاء الغليل تصحيف . وعند دوزي « Cruche » وهي جرة ذات عروة ، واللفظة
مأخوذة من الاغريقية « Baucalis » ؛ وانظر الشريشي ٢ : ٣٨٤ .

٢ ورد منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٢٣٩ .

٣ قد مر هذا المثل كثيراً في الأقسام السابقة ، انظر مثلاً ١ : ٤٩٠ ، ٣ : ١٢٥ .

٤ ص : والندماء .

فصول من نثره في أوصاف شتى

فصل : جَرَى بِكَوْدَيْهِ إِلَى غَايَةِ تَتَبَاطَأَ عَنْهَا السَّوَابِقُ ، وَتَتَطَّأُ عَنْ سُمُوتِهَا السَّوَابِقُ . فَلَمْ يُحِطْ بِوَصْفِهَا^١ ابْنُ صَفْوَانَ ، وَلَا مَسْحَبَ فِيهَا لِلسَّانَةِ^٢ سَحْبَانَ . وَأَيْنَ لِسَانُ بَاقِلٍ ، مِمَّنْ سَحْبَانَ وَأَيْلٍ ؟ فَالْفُصْحَاءُ فِي الْعَجَزِ عَنْهَا مَعْدُورُونَ ، فَكَيْفَ الْمُعْدَرُونَ؟

فصل : كَمْ حَاوَلَ دَفْنَ الشَّمْسِ فِي الرَّمَيْسِ ، وَرَدَّ الْأَمْسَ بِالْخَمْسِ ، وَنَيْلَ النُّجْمِ بِاللَّمْسِ .

فصل : أَوْضِحْ مِمَّنْ جِبَالُ تِهَامَةَ . لِعَيْنِي زُرْقَاءُ الْيَمَامَةِ . أَشْهُرُ مِمَّنِ النَّارِ عَلَى الْمَنَارِ ، وَاللَّيْلُ كَالْقَمَارِ . أُبَيِّنُ مِمَّنِ الْكَعْبَةِ لِلطَّائِفِينَ . وَمِمَّنِ الْمَسَاجِدِ لِلْعَاكِفِينَ . أَشْهُرُ مِمَّنِ الزَّبْرِقَانِ عِنْدَ جَرَوَلٍ . وَمِمَّنِ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ عِنْدَ السَّمْوَالِ . أَظْهَرُ فِي الْعَيْنَيْنِ مِمَّنِ الْهَرَمِينَ . أَشْهُرُ فِي الْعَطَاءِ مِنَ الطَّائِي ، وَفِي الْإِيَادِي مِمَّنِ الْإِيَادِي . أَشْهُرُ مِنَ الْآسِ فِي الْأَعْرَاسِ . أَوْضِحْ مِمَّنِ النُّجُومِ لِبَطْلِيمُوسَ ، وَالطَّبَّ بِالْحَالِينُوسِ ، وَالْعَاجِ فِي الْآبْنُوسِ .

فصل في ضده : هُوَ أَخْفَى مِمَّنِ نَقْطَةِ الْجَلِيمِ . وَمِمَّنِ بِيَاضِ الْمِيمِ . أَخْفَى مِمَّنِ الْأَسْرَارِ عِنْدَ الْأَحْرَارِ . أَخْفَى مِنَ السَّمْهَى ، وَمِمَّنِ دِيلِ الرَّهَى - الرَّهَى مَدِينَةٌ

١ م : بصفوها .

٢ م : لسان .

بالشام وكان أهلُ الإنجيلِ يخفون هذا المنديلَ في كَتَيْسَتِهَا وَيَزَعُمُونَ أَنَّهُ
مِينْدِيلُ عَيْسَى ثُمَّ سُرِقَ وَاشْتُرِيَ فَعُدِمَتْ بَرَكَتُهُ . أَخْفَى مِنْ نَهْتَسِ
الْجَبَّانِ [إِذَا التَّقَتْ] ١ حَلَقَتْنَا الْبَيْطَانَ . أَخْفَى مِنْ بَيْضَتِي الْخَائِفِ ، وَقَدْ
أَحْسَنَ بِالطَّائِفِ . أَخْفَى مِنْ تَفْسِيرِ شَيْعَرِ لَبِيدِ ، عَلَى فَهْمِ الْبَلِيدِ : أَخْفَى
مِنْ عُنْطَارِدِ عَلَى الْمُطَارِدِ . أَخْفَى مِنَ السُّوسَةِ فِي الْعُودِ ، وَمِنْ السَّرِّ فِي
الرُّعُودِ .

فصل : قِيدْنُهُ ٢ مُجَلِّي ، وَسَيْفُهُ مُجَلِّي ، وَرِيَاضُهُ أَرْجَتُهُ ، وَحُلَلُهُ
مَدْبُجَةٌ ، وَطِبَاعُهُ مُهَذَّبَةٌ ، وَخِلَاتُهُ مُؤَدَّبَةٌ ، وَعُقْدُهُ مُؤَرَّبَةٌ ، وَأَرْضُهُ
مُعْشِيَّةٌ ، وَالْفَاظُهُ رَائِقَةٌ مُعْجِبَةٌ . لَا يَسْمَأُهُ جَلْبَيْسُهُ ، وَلَا يَجْفُوهُ أُنَيْسُهُ .
عَقْبَانُهُ أَحْنَفِيٌّ ، وَعِلْمُهُ سُرِّيحِيٌّ ، وَذَكَوْهُ لِأَسِيٍّ ، وَأَدْبُهُ خَلِيلِيٌّ .

فصل : يُقَدِّمُ الْحَزْمَ ، وَيُسْتَشِي بِالْعَزْمِ . يُوَاكِبُ الْكِنَوَاكِبَ ، وَيَتَعَقَّبُ
الْعَوَاقِبَ ، يُشَاوِرُ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، عَلَى أَنَّ رَأْيَهُ لِسَبَابِ ، يَشِيبُ وَثُوبَ
اللَّيْثِ ، وَيَتَلَفَّتُقُ دُفُوقَ ٣ الْغَيْثِ ، وَيُرَاوِحُ بَيْنَ الْعَجَلِ وَالرَّيْثِ :
نَوْمُهُ غَيْرَارٌ وَاضْطِرَارٌ ، وَحَاجَاتُهُ سِرَارٌ ثُمَّ اقْتِدَارٌ . لَا تُشْبِطُهُ الظُّلُمُ وَلَا
الظُّلَالُ ، وَلَا تَطْبِيهِهِ الْكِبَالُ وَلَا يَشْنِيهِ الْكَلَالُ . عَزَمَاتُهُ شِهَابِيَّةٌ ، وَإِضْبَابَاتُهُ
عُقَابِيَّةٌ . رَأْيُهُ قَبَسُهُ ، وَعَزْمُهُ فَرَسُهُ . بَصِيرَتُهُ بَصْرُهُ . وَصَدْرُهُ وَرْدُهُ
وَصَدْرُهُ .

١ بياض في ص .

٢ ص : قد حمل .

٣ ص : ويتوقف وقوف .

٤ ص : ويراث .

فصل : هَرَمُ الجود ، على العِلاَّتِ والوجود . كَفَنَهُ غَيْثٌ . لا يَبَالِي من حَيْثُ . مالهُ أَكْثَرُ جودِهِ . على جُنودِهِ . أغنى جيشه ^١ . لذَّاتِهِ في الإكثار والإيثار . والأخذِ بالثَّار . يزيحُ الأغلal . ويبالِغُ الآمال . يحدثُ بمكارمِهِ الرِّكَب . ويُنسى بِفِرطِ سَماحِهِ حاتمٌ وكعب .

فصل [٨١] : أسدٌ وحده ، ودَعَجُ جنده . قَلَبَهُ بِجَرَجِهِ عن القَلْبِ ، وضرائمه تقنادهُ إلى مكانِ الطَّعْنِ والضَّرْبِ . يَحْمَلُ إذا مالوا ، ويثبَتُ إذا جالوا . تارةٌ هو للمَيْسرةِ يمين ، وتارةٌ للمَيْمنةِ كمين . وتارةٌ للقَلْبِ حِصْنٌ حَصِينٌ . تستأسدُ به الذُّوبانُ ، ويشجعُ بقربه الجلبانُ . عيونُ عسكِرِهِ ، إلى مِغْفِرِهِ ، تُعَلِّي السَّهَامَ . عَسِيٌّ الإقدامُ ، بسطامي المِرباعُ ، عامِري الطَّباعُ ، عِصاميُّ السِّيادةُ ، مُصْعَبِي الجِلادَةِ .

فصل : عادلٌ ولا مجادلٌ ، مُنْصَفٌ مُنْصَفٌ . سُلْطَانُهُ رَحْمَةٌ ، وسِيرتُهُ نِعْمَةٌ . يأخذُ الحَقَّ ويُعْطِيهِ ، ويرمي الغَرَضَ فلا يَحْطِيهِ . يُنْصَفُ المملوكُ من المملوكِ ، ويأخذُ للرئيسِ من الصَّعْلوكِ . مرفوعُ الحِجابِ ، منزوعُ رداءِ الإعجابِ . يُقِيمُ الحَقَّ على شقيقه ، ويَحْكُمُ بالعدلِ لعدوه على صدِّيقِهِ ، سواءٌ عنده البعيدُ والداني . والقحطانيُّ والعدنانيُّ ، سِيبَتانُ عنده القُرْشِيُّ في الحَقِّ والعُكْلِيُّ ، والعنسيُّ والسَّلُولِيُّ ؛ لا فرقَ عنده بين مُضْرَ في الحَقِّ . وحِمْيَرٌ وسائرُ الخلقِ . الغُرْبَةُ عنده قربةٌ قَرِيبَةٌ . ما لم تصحِّبها رِيبةٌ . لا يغلوا في الهاشميَّةِ . ولا يعلدو على الأمويَّةِ ، ولا يَکْتَفَتُ

١ كذا وردت هذه العبارة ولعلها : ملك : أكثر جوده ، على جنوده ، أغنى جيشه [وملك عيشه] .

إلى الأهاجي الباهليّة . (سلول وعنّس وعنكل وباهليّة الأم قبائل العرب .
وقيل إنّ سبب ذلك أنّ الشعراء هجّتها ولم يكن لهم شعراء يذّبون
عنها فتأبسهم الدم وأكلهم الهجاء .)

فصل : أمير يأمره حيلمه فيطيع ، ويحمّله ما لا يُستطاع فيستطيع :
كم أعطي الظفّر فغفّر ، وجرع الصبر فصبر . له حيلمٌ معاوية ، على
الأعداء العادية . له ثباتٌ يلمّسّم ، وتحنّكُ الجذعِ الأزلّم ١ . قلبه
قليبٌ واسع ، وغوره بعيدٌ شاسع .

فصل : وزيرٌ يُنمّمُ أميره ، مستوطناً سريّره . متحرّكٌ وهو قارّ ،
ويُرى جالساً وهو مارّ ، كالنجمِ يرى وهو ساكن . وقد تحرّكت به أماكن .

فصل : كاتبٌ ، فضله راتبٌ ، وحقّه واجبٌ . أقلامه رِماحٌ ، ورسائله
صفاحٌ ، وألفاظه فيصاحٌ ، وأخلاقه فيساح . إن قرطسَ أصاب ، وإن سئل
أصاب . وأصابَ عينَ الصّواب . لسانه لسانُ المُلكِ ، ومكانه واسطةُ السّلكِ .

فصل : قائدٌ عليه عبءُ التّعويل ، في أوّلِ الرّعيّل ، إذا الصبرُ عيّل ،
لا يبلّغ ما حتمى ، ولا يُشوي إذا رمى . عتودٌ إذا زحف . وطودٌ إذا
وقف ، وسبيلٌ إذا حمل ، وكتيبةٌ إذا اعتزل . حسامه إمامٌ ٢ ، يهدي
في ظلمةِ القَتام ، ويهتدي إلى مسالكِ الحمام . لا تردّعه لامعةُ السيّوف ،
ولا تُفزعُه مُصارعةُ الختوف . رِماحُه نجومٌ ظلامِ القَتام . ونجومُه

١ ص : الا لازم .

٢ ص : أمامه .

رُجُومُ شياطين الأنام . لا تُردُّ حاجات مواضيه . ولا تمطلُهُ عند تَمَاضِيهِ ،
المغافرُ المتينة ، ولا الدرُّوعُ الموضونة .

فصل : قاضٍ يشهدُ له عدلُهُ ، أنَّ غِيْلَتَهُ سَرِيْعٌ حَلَّتَهُ . يَتَقَسَّمُ نَفْسَهُ
بِالْقِسْطِ . بين جميع الناس . حَفِظَتْ رِسَالَةَ عُمَرَ ، وَعَمَلَتْ فِيهَا بِمَا نَهَى
وَأَمَرَ . لا يَبِيعُ الْقَضَايَا بِالْهَدَايَا . به عَشَا ، عن الرُّشَا . يَنَامُ الْخَصْمَانُ ،
وَهُوَ يَتَقَنُّظَانُ . إنَّ عَجِيلٌ فَعِنَ اسْتِدْلَالُ ، وإنَّ عَجِزٌ فَلَئِمَاتٌ مَلِّ إِشْكَالُ .
سُرِّيحِي الإِجَابَةِ . عِمْرَانِي الإِصَابَةِ .

فصل : زُهَادٌ تَرَكَوا العَرَضَ ، وَأَصَابُوا الغَيْرَضَ . اقْتَرَحُوا الغِنَا .
وَاطْرَحُوا الغِنَى . رَفِضُوا المُنْزِيلَ ، وَطَلَبُوا الطَّائِلَ ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا
يَبِيدُ ، وَأَقْبَلُوا عَلَى مَا يُبْقِدُ^٢ . لَمْ يُزَاحِمُوا عَلَى البَحِيثِ ، وَلا اسْتَعْدَمُوا
بُطُونَهُمْ فِي تَعْمِيرِ الكُنُفِ . تَرَكَوا ذَلِكَ لِيَمَنَ تَرَكَوا ، وَقَتَنَعُوا بِأَقْلٍ^٣
مَا مَلَكَوا ، وَجَعَلُوا الزَّادَ إِلَى الجَنَّةِ ، الأَنَّةَ بَعْدَ الأَنَّةِ ، وَظَمًا لِهَيَّوَجِرِ ،
فِي شَهْرِ نَاجِرِ . فَتَكْتَرُوا فَبِكَتَرُوا . عَلِمُوا فَتَسَلِمُوا مِنَ العِقَالِ ، وَتَرَكَوا
الأَعْنَاقَ^٤ لِجَمَلِ الأَثْقَالِ . رَجَوْا فَتَنَجَّوْا . وَبَيَّتُوا فَعَمَلُوا ، وَمَهَّدُوا
فَتَرَقَّدُوا ، وَعَمَلُوا فَبَوَّجَّوْا .

وذكرتُ بهذا النصل حديثَ أبي هريرةَ قال . قال لي رسولُ اللهِ
عليه السلام : « يا أبا هريرة الأُرَيْكُ الدُّنْيَا جَمْعُ مَاءٍ بِمَا فِيهَا ؟ قُلْتُ : بلى

١ ص : ان عجز . . . وان صجل .

٢ ص : يميد .

٣ ص : اعناق .

٤ الشريشي ٥ : ١٦ .

يا رسول الله : فأخذ بيدي ، وأتى وادي يمين أودية المدينة ، فإذا مزابلية فيها رؤوس وعذيرات في خيرق وعظام ، ثم قال : يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرّص كحريصكم ، وتأمل آمالكم ، ثم هي اليوم عظام بلا جيلد ، ثم هي صائرة رماداً . وهذه العذيرات ألوان أطمعتهم اكتسبوا من حيث اكتسبوا ، ثم قذفوها من بطونهم ، فأضحّت والناس يتحامونها . وهذه الخرق البالية كانت رياستهم ولباسهم ، أصبحت والرياح تُصنّفها . وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد . فمن كان باكياً على الدنيا فليتبك . قال : فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا .

ووقف سقراط على كساح وقد خرج من الحش بكساحة فقال : يا أهل أثينا ، هذا الذي كنتم تغلقون عليه الأبواب ، وتقيمون لحفظه الخزان ، وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في إعداده ؛ واليوم نفوسكم آنية منه [٨٢] وطباعكم نافية عنه .

فصول له في الدم ونقض ما تقدم

فصل : فلان غوره أقرب قريبي ، وقالبه مؤرود القلب ؛ فسراؤه مكشوفة ، ودخيلته معروفة ، كتمانته إخبار ، وتدابيره إخبار ، رأيه وراء ، وساحته عراء . حسسه هامد ، وفهمنه جامد : لا يعرف

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيْبِ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ التَّفْقِيلِ وَالْكَيْبِ . طَلَّلَ بِال ، لَا يَخْطُرُ
عَلَى بِال . الشَّمْسُ عِنْدَهُ سَهْمِي ، وَالْحُمُقُ نُهْي . لَا يَعْلَمُ رَأْسُهُ ، مِ
أَيْنَ أَنْفَاسُهُ ، وَلَا يَتَدْرِي دِمَاغُهُ ، أَيْنَ أَصْدَاغُهُ .

فصل : هَمَّةٌ جَوَّازٌ يَوْمِيهِ ، وَحَلَاوَةٌ نَوْمِيهِ . أَعْلَى هِمَّتِيهِ ، لِرِجَالِ
جُمْتِيهِ ، وَاعْتِدَالُ عِمَّتِيهِ ؛ وَأَسْرٌ سُرُورِهِ ، تَنَاهِي قُدُورِهِ ^١ ، وَتَرَوِيْقُ
خُمُورِهِ . أَعْدَاؤُهُ سِمَانٌ ، فِي أَمَانٍ ، وَأَوْلِيَاؤُهُ فِي هُزَالٍ . وَانْتِظَارِ
النِّكَالِ . حَسَنُ الظَّنِّ بِالزَّمَانِ ، وَضُرُوبِ الحِمْدَانِ . رَائِحُ القَرَائِحِ ،
سَاكِنُ الجَوَارِحِ ، مَسْرُورٌ مَغْرُورٌ ، ثَانِي العِطْفِ عَنِ النَّاصِحِ ، مُتَعَامٍ
عَنِ الأَمْرِ الوَاضِحِ . مُسْتَعْنٍ بِعَبِيدِهِ ، عَنِ جُنْدِهِ . مُتَشَاغِلٌ بِالأَنْبَابِ
الطَّاحِنَةِ فِي فِتْمِهِ ، عَنِ الأَنْبَابِ الوَالِغَةِ فِي دَمِهِ . يَنَامُ عَنِ مُنْسَهِرَاتِ
الأَنَامِ ، وَعَنِ جَنَبِ الغَارِبِ وَالسَّنَامِ . فَيَكْرَهُ سَاهِيَةَ ، وَخِيَاطِرَهُ لَاهِيَةَ ،
وَقَوَاعِدُهُ وَاهِيَةَ ، حَتَّى تَبْغِيَهُ الدَّاهِيَةَ .

فصل : يَجُودُ الجَلْمُودُ ، وَلَا يَجُودُ ، وَيَعُودُ إِلَى إِثْمَارِهِ يَابِسُ العُودُ ،
وَهُوَ لَا يَبْدِي وَلَا يُعِيدُ . كَيْسُهُ مُغْلِقٌ ^٢ ، وَبِنَائِهِ مُطْبِقٌ ، وَدَارُهُ سَمَلِقٌ ،
وَجَيْشُهُ مُمَلِقٌ ، وَمِيزَانُهُ حَبِيسٌ ^٣ لَا يُنْطَلِقُ . كِفَّتَاهُ ^٣ كَكْفِيَّتِهِ لَا
تُنْدِيهِمَا النارُ ، وَلَا يَعْرِفَانِ الدَّرْهَمَ وَلَا الدِّيْنَارَ . وَأَكْيَاسُهُ كَالنَّقْدِ ،
قَدْ خَنَقَتْهَا العُقْدُ . يَدُهُ حَافِرٌ وَقِيَّاحٌ ، وَقَفْلُهُ لَيْسَ لَهُ مِفْتَاحٌ . تَعَر

١ ص : قُدُورِهِ .

٢ ص : مَلِقٌ .

٣ ص : كَفْتِيهِ .

٤ ص : تَدْيِيهَا .

الأيتام . ولا يُشتمُّ له طعام . لو مَدَّكَ طوفانُ نوح ، لم يَسْمَعْ منه بشربةٍ
لظمانٍ مَجْرُوح .

فصل : هو يومَ المُطاعنة ، وكندُ الملاعنَةِ . لا حَسَبَ يُقاتِلُ عنه ،
ولا نَسَبَ يَسْتَحْيِي منه . براعةٌ تَرَعِدُ ، وتقوم وتَقْعُدُ . إذا الحَرْبُ
دَعَتْ أبطالها ، وزُلزِلَتِ الأحشاءُ زلزالها ، نَحَبَ ما بينَ جَنبَيْهِ ، وغاب
السوادُ^١ من عَيْسِيَّهِ : مَهْزَمَةٌ بِلِخْوَودِهِ ، ومَهْدَةٌ لِعُدَّتِهِ وَعَدِيدِهِ : يوسِعُ
أعدارَ الفِرارِ ، ولا يَبْرِي على الجُبْتاءِ مِن عار . بَيْتَانُهُ في أوَّلِ الرَّعِيلِ
ضاربٍ^٢ ، إذا به وراءَ الساقَةِ هارِبٍ . يَزْحَفُ عندَ الزَّحْفِ ، إلى
خِمْفٍ ، وَيَرُوغُهُ الواحدُ وهو في ألف . لو كان سُورَ مدينةٍ لَسارَ ،
ولو رُبِطَ إليه الطُّورُ لطار . إنَّ هذا في الحربِ من بَنِي العَنْبِرِ ، وأَدْهَشُ
من مُسْتَطْعِمِ الماءِ على المِنْبِرِ . إذا ثارَ القِتامُ ، سَقَطَ من كَفِّهِ الحِسامُ .

وخبِرُ بَنِي العَنْبِرِ ، أشهرُ مِن أنْ يُذَكَرَ ، وقُرَيْنُطُ منهم ، ولَمَّا
اسْتَنْجَدَهُمْ فلم يَنْجِدُوهُ قال^٣ :

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِن الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِن ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةٌ وَمِن إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا
كَأَنَّ رَبَّنَا لَمْ يَخْلُقْ لِيخْشِيَّتِيهِ سِوَاهُمْ مِن جَمِيعِ النَّاسِ لِإِنْسَانَا

ومُسْتَطْعِمُ الماءِ على المِنْبِرِ خالدُ القَسْرِيُّ عامِلُ هِشامِ بنِ عبد

١ ص : السودان .

٢ ص : يضرب .

٣ هو قريظ بن أنيف ، وقصيدته هي الأولى في ديران الحماسة .

الملك على العراق . دَهِيْسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي حَرْبِ الْخَوَارِجِ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ : أَطْعِمُونِي مَاءً^١ ! فَقَبِلَ فِيهِ :

هَتَفْتِ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ثُمَّ بُلْتِ عَلَى السَّرِيرِ

فصل : أضرتُّها على الأنام . على قديم الأيتام : العصبية في الجاهلية والإسلام . فما لهذا السلطان ، وخراب الأوطان ؟ والعصية تُفسد بين الأولياء ، وتكثر في الأعداء . وأبو نُوَاسٍ كان أشدَّهم فيها قولاً ، وهو قَيْنٌ مَوَالِيٌّ ، تَعَصَّبَ لِلْيَمَنِ عَلَى مُضَرَ لِكَوْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ مِنَ الْيَمَنِ وَهُمْ مِمَّنْ مَوَالِيهِ ، فَهَجَا قِبَائِلَ مُضَرَ ، وَغَضَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، هَذَا وَهُوَ مَوَالِيٌّ مُلْتَصِقٌ ، وَلَيْسَتْ سَعْدُ الْعَشِيرَةِ لَهُ بَعَشِيرَةٌ ، بَلْ لَهَا مِنْهُ الْجَهْرَةُ .

سُلْطَانٌ يَشْتَرِي بَدِينَهُ وَدَمِيهِ ، رَضِيَ ابْنُ عَمَتِهِ . خَاسِرُ التَّجْرِ ، مَحْرُومٌ الْأَجْرِ ، لَا يُسَاوِي بَيْنَ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَهُمْ سَوَاءٌ ، وَلَا يَتَّكِفُ أَعْنَدَهُ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ عِنْدَ [اللَّهِ] ^٢ أَكْفَاءٌ . وَجِبِلَّةُ التَّنْفَاوَاتِ أَفَاتَتْ جِبِلَّةَ الرَّشْدِ . وَحَمِيَّتُهُ أَحْمَمَتْ عَايَةَ دَارِ الْخُلْدِ . تَعَصَّبُ جَاشَتْ لَهُ صُدُورُ الْجَيْشِ ، وَتَكَدَّرَ بِهِ صَفَاءُ الْعَيْشِ . وَالْمُسَاعَدَةُ فِي الْعَصَبِيَّةِ طَارَتْ الرُّؤُوسُ وَالسَّوَاعِدُ ، وَتَهَدَّمَتِ الذُّرَى وَالْقَوَاعِدُ : وَحَالَفَتْ رَبِيعَةُ الْأَبَاعِدُ .

فصل : قَدِيمَةٌ سَمِيَتْ بوزيرٍ ، مَن شَغَلَهُ الْبِسْمُ وَالزَّرِيرُ . يُعْجِبُهُ النَّهْوُ ،

١ الأغانى ٢٢ : ٢٠ .

٢ ص : وهم عنده .

ويغلبه السهو . دمارُ مَنْ [أوى] إليه ، وبوارُ مَنْ عَوَّلَ عليه . إن
دبّرَ أدبَر . وإن تركَ هَلَكَكَ . خيدُنُ لَوَاعِبٍ ، وزيرُ كَوَاعِبٍ .
لَيْلُهُ نَاعِيسٌ ، ونهارُهُ بِالِيسِ . لم يَعْطَقْ به مِينَ الوَزَارَةِ ، إلاَّ حُسْنُ
الشَّارَةِ ، وركوبُ المَهَالِيجِ ٢ المِيسَارَةِ ، وشِدَّةُ الإِعْجَابِ ، والدخولُ
على سُلْطَانِهِ بلا حِجَابٍ ، والأكلُ بِمِلْمٍ فِيهِ ، هذا جَمِيعُ مَا فِيهِ ، حتى
إذا طرقتِ السَّرَايَا [٨٣] وسِيقَتِ السَّبَايَا ، ونَفَرَ النَّافِرُ ، ووضِعَ البَادِي والحَاضِرُ ،
ونزَعَ ثِقَاتُ ٣ الأَجْنَادِ ، فَتَفَرَّقُوا فِي البِلَادِ ، فَنَزَعَ إِلَى الوَازِرِ ، فِي وَجْهِ
التَّدْبِيرِ ، فَكَانَ جَوَابُهُ دُمُوعَهُ ، وَصَوَابُهُ هُلُوعَهُ ، فَحِينَئِذٍ دَارَتِ
الدَّائِرَةُ ، وَاضْطَرَمَّتِ النَّائِرَةُ ، وَانصَرَمَّتِ الدُّوَلُ ، وَتَبَدَّلَتِ الحَالُ .

فصل : كَاتِبٌ مَا عَرَفَ قَطَّ ، كَيْفَ البَرِّيَّةُ والقَطَّ ، وَلَا نَسَخَ
قَطُّ سَطْرًا ، إِلَّا مَسَخَ مِنْهُ شَطْرًا . أَلْفَاظُهُ مَلْحُونَةٌ ، وَمَعَانِيهِ مَلْقُونَةٌ ،
وَمَقَاصِدُهُ خَفِيَّةٌ مَكُونَةٌ ، وَحُرُوفُهُ مَطْمُونَةٌ . إِنَّ تَهَجُّجِي هَجَا ،
وإن تَكَلَّمْ شَجَّ وَشَجِي . أَلِفَاتُهُ سَجُودٌ ، وَلامَاتُهُ رِقُودٌ ، وَمِيمَاتُهُ
عُقْدٌ لَا عُقُودٌ ، وَقَافَاتُهُ وَاوَاتٌ ، وَنُونَاتُهُ رَاعَاتٌ . يَرْفَعُ بِالنَّوْاصِبِ ،
وَيُكْثِرُ [مِنْ] النَّقْطِ الكَوَازِبِ ، وَيُحْمِي عَيْنَ المَعْنَى الجَلِّيَّ ، وَيُخَاطِبُ
العَدُوَّ مُخَاطَبَةَ الوَلِيِّ . وَتُقَرَّرُ كُتُبُهُ بِمَا فِيهَا مِنَ الفَسَادِ ، بِأَنَّهُ قُرَّةُ
عُيُونِ الأَعْدَاءِ والحُسُودِ .

١ ص : إل .

٢ ص : المهاليج .

٣ ص : ثقات .

٤ كذا ولعل صوابها : « مضمونة » أي مصابة بالضمانة ؛ أو مطبونة أي مدفونة .

فصل : ولايتهُ القضاء ، مین سوء القضاء . جائزٌ حائر : إن جاراً
فَعَنَ تَعَمُّدٌ ، وإن حاراً فَعِنَ قَبِيَّةٌ تَعَهَّدَ . لَيْسَ مُنْتَشِئٌ ، ونهارةُ
مُرْتَشِئٌ . تَعَجُّبُهُ الْعَيْنُ فِي النَّقَابِ ، ولا يُفَكِّرُ فِي الْعِقَابِ . إذا رأى
الأمردَ تَمَرَّدَ على خَصَمِهِ ، ومال عليه بِحُكْمِهِ ، يُزْرِي باختيارِ
سُلْطَانِهِ ، وَيَسْتَخِفُّ بِفُقْهَاءِ زَمَانِهِ . يَجُورُ فِي نَظَرِهِ الْمَقْسُومُ ، وَيَبْصُقُ
فِي وَجْهِ الْخُصُومِ ، وَيَرُكُّهُمْ بِرِجْلِهِ ، وَيَبْلُطِمُهُمْ بِنَعْلِهِ .

فصل : إخوانٌ أخونٌ مین السراب للعَيْنِ ، ومين أهلِ الكُوفَةِ
للحُسَيْنِ ، وأشدُّ مین طالبِ دَيْنِ ، على صِفْرِ اليَدَيْنِ : ليس فيهم
نفع ولا دَفْعٌ ، إن استنصرتهم خذلوك ، وإن سئوا إسلامك بذلوك .

فصل : تَبَسَّمَ للعَدُوِّ العَابِسِ ، وَلَيْنٌ لِيَتَخَلَّقَ اليَابِسِ . عامِلٌ
ظَالِمٌ بالصَّبْرِ ، واجعلُ صَدْرَكَ له كَالْقَبْرِ ، لا يدري ما فيه رَحْمَةٌ
أم نِقْمَةٌ ، وبلاءٌ أم نِعْمَةٌ ، حتى تُمَكِّنَكَ الوَقْبَةُ عليه ، فَتَسْلَمَهُ
لِحِينِهِ وَيَدَّيْنِهِ .

ومن ترسيله

فصل له من رقعة خاطب بها المظفر بن الأفطس : كتبتُ وشوقُ
إلى شَرَفِ لُقْيَاهُ ، وشبمِ سُقْيَاهُ ، شوقُ القارظينِ ٢ إلى سكونِ

١ ص : خان .

٢ القارظان كلاهما من عنزة - في رأي ابن الكلبي - فالأكبر منهما يذكر بن عنزة والأصغر
رهم بن عامر بن عنزة ، كل منهما خرج يطلب القرظ ولم يمد ، وفيهما يفرح المثل « حتى
يؤوب القارظان » قال أبو ذؤيب الهذلي :

وحق يؤوب القارظان كلاهما ويشير في الموق كليب لوائل

وسكنى ، والقَيْسِيَيْنِ إِلَى لَيْلَى وَلُئبَى ، واعتلاقي بِذِكْرِهِ اعتلاقُ
 مالكٍ بِعَقِيلٍ^١ ، وَقَيْفَا نَبِيكَ بِالْمَلِكِ الضَّلِيلِ ، وبلالٌ بِشامةٍ
 وطفيلٍ^٢ ، واللهُ بِبُلُوغِ الأَمَلِ خَيْرٌ كَقَفِيلٍ . وحالُ وَلِيَّتِهِ بِالنَّاحِيَةِ
 الَّتِي اسْتَقْدَرْتُهَا حَالُ مَنْ ذَهَبَتْ مِنْهُ التَّلَادُذَةُ . والفَتَاءُ ، وَالشَّيْخُ
 يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ^٣ . وقد رأيتُ طُوفَانَ قُرْطَبَةَ يُقِيمُ دَهْرًا ، وَإِنَّمَا أَقَامَ
 طُوفَانُ نُوحٍ شَهْرًا . وَأَمَّا صَيْفُهَا فَكَمَا قَالَ :

لَمْ أَسْتَتِمَّ عِنَاقَهُ لِقُدُومِهِ حَتَّى ابْتَدَأْتُ عِنَاقَهُ لِيُودَاعِيهِ

وله من أخرى :

لِي رَغْبَةٌ إِلَى مَفَاخِرِهِ ، وَتَطَارُحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَآثِرِهِ ، وَإِدْلَالٌ عَلَى
 سَمَاحَةِ سَجَايَاهُ ، وَتَحَامُلٌ عَلَى إِحْتِمَالِ عُلْيَاهُ . وَذَلِكَ أَنَّ شَيْخًا يَفِنَّا
 قَصْدَ فَنَائِي^٤ ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ بِفَضْلِ دُمُوعِهِ رِدَائِي ، وَمَنْعَهُ الشُّوقِ
 بِشَجَاهِ ، مِنْ الكَلَامِ عَلَى مَا ارْتَجَاهُ . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ كَاسِبُ نُسَبَاتِ ،
 وَأَبُو بَنِينَ وَبَنِيَّاتِ ، فَنَسَبْتُهُ فَقَالَ : أَنَا أَبُو جَعْدَةَ نَهَشَلِ ، وَذَكَرَ

١ مالك وعقيل نديما جديمة ، وفيهما يقول أبو خراش :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٢ عندما هاجر المسلمون إلى المدينة كان بلال يحن إلى معاهد مكة فاذا أخذته الحمى تمنى :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفق وسولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جبلان (معجم البكري مادة : هرشي) .

٣ حجز بيت من الشعر وصدرة : إذا جاء الشتاء فزملوني فان الشيخ . . .

٤ ص : قبائي .

مولانا المظفر فوصف خيراً كثيراً هو أكثر منه ، ودعا بخير أجابه الله عنه ، ووصف أن بغاة بغوه ، وجسدة آذوه ، وتنصل من ذنوب قرفوه بها ، ومولاي أعلم بصدقها من كذبها . ولم يظهر حرصاً إلا في الميتة الأهلية والتربة الوطنية . فبكى - علم الله - مع باك ، وشكا مني إلى شاك ، وذو الشكوى يرحم الشكوى ، لعلمه بمرارة البلوى . ولا شك أنه سيلغنه تفضل المظفر بالالتفات إلى ذكري ، والعناية ببعض أمري ؛ فلا يظن أن ذلك باستحقاقي ، وإن رقتاني من الشرف هذه المراقي . ومن يسمع يخل^١ ، وما كل ذي سلاح بطل . وقد تلطفت له بإذن الله في القول ، وبرئت لآليه تعالى من القوة والحول . ووقفت على رأي المظفر الموفق ، وحكمه العدل المحقق . وبودّي لو تكفّلت^٢ بآماله ، وجمعت بينه وبين أطفاله ، فهو في قعد^٣ لئيد ، وهامة اليوم أو الغد ؛ إلا أني - أيده الله - لا أوتر مرادي على مراده ، ولا أشاركه في العلم بأهل بلاده ، إلا أن يتفضل بالأحسن الأجل ، عليّ وعلى أبي جمعة نهشل ، فيعود - أيده الله - بفضيلة الإيثار ، ويكسني في الناس أطيب الأخبار والآثار . ولقد هجمت في العناية بما لا أعلم ثقة بما أعلم ، وهو المتطول إن شفع ، والمعدور إن دفع . والجواب على هذه السطور المحتوية على هذه الأمور ، بالأقوال والأفعال ، من كمال الإحسان والإفضال .

١ معناه أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، انظر جمهرة المسكري ٢ : ٢٦٣ (أبو الفهول) واللسان (خيل) وفصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ .
٢ ص : تكلفت .
٣ ص : عقد ؛ والقعد : القريب النسب من الجد الأكبر ، يريد أنه يكاد يكون من لدات لبد وهو آخر نسور لقمان .

فأجابته المظفر برقعة من إنشاء الوزير أبي مروان بن قزمان ، قال فيها :
ورد كتابك المبتدأ خطابه من الشعر بما هو السحر الحلال ، والمُصدّر
من القريض بما شهد لك بالحلال . لو قصّد الطائيان قصده لأجلا ،
أو حذا الحمتادان حلوه لأدبرا فيه وما أقبلا . لم تدع فيه فتناً من الحكمة
إلا أهديته [٨٤] ولا معنى لطيفاً إلا أهديته ، ولا نوعاً من الأدب إلا جلتته ؛
ولا غريباً من المثل إلا ضربتته : فله بلادٌ غذاك هواؤها ، ورؤساءُ
تطابقت عليك هواؤها . لقد بان فضلهم على أهل الزمان ، كما ظهر
تبريزك في هذا الميدان . ومن انتحل الأبيات ، فبمثل شعرك فليات ،
وهيهات ، ما أبعد الأرض من السموات !

ورأيتك قد شفعت القريض بشفاعه ، وقرنته برغبة أعطتك مقاليد
البلاغة والبراعة . وأسعفتك في الشيخ اليفن ، والأشيب البدن ، نهشل .
فليسرغ بالإقبال إلى بئته ، وليتلحق بأهليه وولديه ، وليأت إليهم ذالاناً^٢ ،
وليشكرنا سراً وإعلاناً . والله المان بك برده إلى وطنه وأهليه^٣ . يبلغك
ما ترجمه ، ويعيدُ حالك إلى عهدهما ، والجمع بينك وبين الطبقة التي
كنت واسطة عقدها :

ولابن شرف مقامات عارض بها البديع في بابه^٣ ، وصب فيها على
قالبه ، منها مقامة فيها بعض طول ، لكنّه غير مملول ، آخذة بطرف

١ ص : الساء .

٢ الذالان : العدر المقارب أو السرعة .

٣ ص : وأهله .

٤ ص : باله .

مُسْتَطَرَفٍ مِنْ أَخْبَارِ الْأَدْبَاءِ ، وَذَكَرِ الشُّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ ، قَالَ ١ :

جَارِيَتْ أبا الرِّبَّانِ فِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّظْمِ ، وَمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ،
فَقَالَ ٢ : عَدَدُ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الْإِحْصَاءِ ، وَأَشْعَارُهُمْ أَعْدُ مِنْ شِقَّةِ الْإِسْتِقْصَاءِ .
قَلْتُ : لَا أَعْنَيْتُكَ بِأَكْثَرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ مِثْلِ الضَّالِّيلِ وَالْقَتِيلِ ، وَلِيَبِيدِ
وَعَبِيدِ ، وَالنَّبَاغِ وَالْعُشِيِّ ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَمْفَرٍ ٣ وَمَنْ سِوَاهُ مِنَ الْعُمِيِّ ٤ ،
وَإِبْنِ الصَّمَّةِ دُرَيْدِ ، وَالرَّاعِي عُسَيْدِ ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَعَامِرِ بْنِ الطَّنْفِيلِ ،
وَالْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ ، وَجَمِيلِ وَكَثِيرِ ، وَابْنِ جَنْدَلِ وَابْنِ مُقْبِلِ ، وَجَرَوَالِ
وَالْأَخْطَلِ ، وَحَسَّانِ فِي أَهْجِيهِ ٥ وَمِدْحَةَ ، وَغَيْلَانَ فِي مَيْتِهِ وَصَيْدِيحَةَ ،
وَالْهَذَلِيَّ أَبِي ذُوَيْبِ ، وَسُحَيْمِ وَنُصَيْبِ ، وَابْنَ حِلَازَةَ الْوَاهِلِيَّ ، وَابْنَ
الرَّقَاجِ الْعَامِلِيَّ ، وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ ، وَزَهْرَةَ الْمَرْيَمِ ، وَشُعْرَاءَ فِزَارَةَ ، وَمُفْلِقِي
بَنِي زُرَّارَةَ ، وَشُعْرَاءَ تَغْلِبَ وَيَثْرِبَ ، وَأَمْثَالَ هَذَا النَّمَطِ الْأَوْسَطِ ،
كَالرَّمَّاحِ وَالطَّرْمَاحِ ، وَالطَّثَرِيِّ وَالْدُّمَيْنِيِّ ، وَالْكُؤَيْمِيَّةِ الْأَسَدِيِّ ، وَصَرِيحِ
الْأَنْصَارِيِّ ، وَدَعْبَلِ الْخَزَاعِيِّ ، وَابْنِ الْجَهْمِ الْقُرَشِيِّ ، وَحَبِيبِ الطَّائِيِّ ،

١ قد أشرت إلى أنها نشرت بعنوانين مختلفين ، وهي في حقيقتها رسائل الانتقاد (أو
جزء منها) وسأعارضها بالنص الموجود في رسائل البلغاء ؛ (ورمزها : ل) ويبدو أن
ابن بسام يوجز في النقل .

٢ ل : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم واستكشفتها عن
مذهبهم فيهم ، ومذهب طبقتهم في قديمهم وحديثهم فقال . . . الخ .

٣ ص : يعفور .

٤ ل : والاسود بن يمفر وصخر النفي .

٥ ل : هجائه .

٦ زاد في ل : وحميد الهلالي وبشار العقيلي وابن أبي حفصة الأموي والبة الأسدي وابن جبلة
الحملي وأبي نواس الحكمي .

والوليد البُحترِّي ، وابنِ المعتزِّ العباسيِّ ، وأبي نواسِ وابنِ الرُّوميِّ^١ .

ومن الطبقة المتأخرة في الزمان : المتقدمة في الإحسان . كأبي فراس
ابن حَمَدان ، والمتنبِّي بنِ عَيدان^٢ ، وابنِ جدار^٣ المصريِّ ، وابنِ الأحنفِ
الحنفيِّ ، وكُشاجمِ الفارسيِّ ، والصنوبريِّ الحلبيِّ ، ونصيرِ الخبزُرُزيِّ .
وابنِ عبدِ ربِّه القُسطيِّ . وابنِ هانيءِ الأندلسيِّ ، وعليِّ بنِ العباسِ الإياديِّ
التونسيِّ ، والقسطليِّ .

قال أبو الريان : لقد سميت المشاهير . وأبقيت الكثير : قلت : بل
ولكن ما عندك فيمن ذكرت ؟

قال : الضليلُ مؤسس الأساس . وبُشَيانُه عليه الناس . كانوا يقولون
« أسيلة الخلد » حتى قال « أسيلة مجرى الدمع » . وكانوا يقولون : « تامّة
القامة وطويلة القامة . وجيِّداء . وتامّة العنق » . حتى قال « بعيدة مهوى
القُسط » . وكانوا يقولون في الفرس السابق « يلحقُ الغزال والظليم »
وشبّهه . حتى قال « قييد الأوابد » . ولم يكن قبيله من فطِن هذه الإشارات
والاستعارات غيره فامثلوه بعده . وكانت الأشعار قبل سواذج . فبقيت
هذه جلداء وتلك نواهج ؛ وكلُّ شعريِّ بعد ما خيلاها فغيرُ رائقِ التسيح ،
وان كان مُستقيمَ النهج .

وأما طرفة فلو طالَ عمرُه ، لطالَ شعيره ، وعلا ذِكْرُه . ولقد خُصَّ

١ زاد في ل : وابنِ رغبانِ الحمصيِّ .

٢ ص : عيدان .

٣ ص : جدار .

بأوفر نصيب من الشعر . على أيسر نصيب من العُمر . فملاً أرجاء ذلك
النصيب بصنوف من الحكمة . وأوصاف من علو المهمة . والطبع معلم
صادق . وجواد سابق .

وأما الشيخ أبو عَمِيل فشعره ينطقُ بلسانِ الجزالة . عن جنانِ
الأصالة . فلا تسمع له إلاً كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيناً صريحاً ؛ وإن كان
الشَيْخُ والوقار ، والشرفُ والفتحُ . هاديات في شعره . وهي دلائله ،
قبل أن يُعلمَ قائله .

وأما العبي فتمجيدٌ في أشعاره . ولا كعلقته . فقد انفرد بها
انفراد سهيل . وغبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة ،
وزقة الغزل وغلظة البسالة . وأطال واستطال . وأمن السامة والكلال .

وأما زهير : فأبي زهرٍ بين لهوات زهير . حيكتم فارس . ومقامات
الفوارس . ومواعظ الزهاد . ومعتبرات العباد . ومدح تكسب الفخار ،
وتبقى بقاء الأعصار . ومعاتبات مرة تحسن . ومرة تخشش . وتارة
تكون هجواً* . وطوراً تكادُ تعودُ شكوى .

وأما ابنُ حلزة : فسهيل الخزون . قام خطيباً بالموزون . والعادة
أن يسهيل شرح الشعر بالنثر . وهذا سهيل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضواءُ
مين منادٍ ومين مجيبٍ ومين نصيرٍ هالٍ خيلٍ خلالَ ذاك رغاء

فلو اجتمع [٨٥] كلُّ خطيبٍ نائرٍ، مین أولٍ وآخرٍ . يصفون سَفراً نهضوا

بالأسحار ، وعسكراً تنادى بالتهوؤسِ إلى طلبِ النار ، ما زادوا على هذا إن لم يَنْقُصُوا منه . ولم يُقْصِرُوا عنه . وسائر قصيدته في هذا السِّلْك : شكايته^١ وطِلابُ نصفه ، وعِتابٌ في عزّةٍ وأنفة ، وهو مِين شعراء وائل ، وأحدُ أسنّة هاتيك القبائل .

وأما ابن كلثوم : فصاحبٍ واحيدة ، فلا زائدة^١ ، أنطَقَه بها عزُّ الظفر ، وهزّه^٢ فيها جن الأشر ، قَعَقَتْ رعوده في أرجائها ، وجمَعَتْ رحاه في أثنائها ، وجعلتها تغلبُ قبيلتها التي تُصلي إليها ، وميلتها التي تعتمدُ عليها ، فلم يتركوا إعادتها ، ولا خلَعوا عبادتها : إلاّ بعد قولِ القائل :

ألمى بني تغلب عن كلِّ مكرمةٍ قصيدةً قالها عمرو بن كلثومِ

على أنها من القصائد المحققات : وإحدى المعلّقات .

وأما النابغةُ زياد : فأشعاره الجياد لم تُخرُج عن نارِ جوانحه حتى تنامى نُضجها ، ولا قُطعت من مِناولِ خواطره حتى تكاثفَ نسجُها ، لم تُهَلِّهْلِها مِيعَةُ الشَّبَاب ، ولا وهي الأسباب ، ولا لؤمُ الاكتساب ، فَشِعْرُه وسائطُ سُلوك ، وتيجانُ ملوك .

وأما النابغةُ الجعدي : فَتَنَّقِي الكلام ، شاعر الجاهليّةِ والإسلام ، واستحسنَ شعره أفصحُ الناطقين ، ودعا له أصدقُ الصادقين ؛ وكان شاعراً

١ ل : بلا زيادة .

٢ ص : وهذه .

في الافتخارِ والثناء ، قصير الباع لشرفه عن تناولِ المهجاء . وكان مغلوباً
فيه في الجاهليّة . وطريد ليلي الأخياليّة .

وأما العُشي بأجمعهم : فكلّهم شاعرٌ ، ولا كميون بن قيس ،
شاعر المدحِ والمهجاء ، والبأس والرّخاء ، والتصرفِ في الفنون ، والسّمي
في السّهول والحزون . نفّق مدحُه بناتِ المحلّق ، وكان في فقراً ابنِ
المذلق^٢ ، وأبكي هجوه علقمة^٣ ، كما تبيكي الأمة .

وأما الأسود بن يعفر : فأشعرُ الناسِ إذا ندبَ دولةً زالت ، أو بكى
حالةً حالت ، أو وصفَ رعباً خلا بعد عُمرانِ ، أو داراً درست بعد سكّانِ ،
فإذا سلّك [غيرَ] هذه السبيل . فهو من حشوي هذا القبيل ، كعمرو
وزيد ، وسعدٍ وسعيد^٤ :

وأما حسّان ، فقد اجتثّ بواكرَ غسّان ، ثم جاء الإسلام ، وانكشف
الإظلام ، فجاحشَ عن الدّين ، وناضلَ عن خاتمِ النّبیین ، فشعرَ وزاد ،
وحسّن وأجاد ، إلاّ أن الفضلَ في ذلك لربّ العالمين ، وتسديدِ الروحِ الأمين .

وأما دريد بن الصمّة : فصمّةٌ صميم ، وشاعرٌ جشّم ، وغزل

.....

١ ص : فقراء .

٢ ابن المذلق من عبد شمس ، يضرب به المثل في الفقر والافلاس (الميداني ٢ : ٢٠ وجمهرة
المسكوي ٢ : ١٠٧ / أبو الفضل) .

٣ يعني علقمة بن علاثة ، وقد أبكاه قول الأعشى :

تبيتون في المشقّ ملاء بطونكم وجاراتكم غرقى يبتن خمائصا

٤ ص ، وسعيد وسعد .

هَرَم ١ ، وأوّلُ من تنزّلَ في رثاء ، وهزّل في حزنٍ وبكاء ، فقال في
معبدٍ أخيه ، قصيدته المشهورة يرثيه :

• أرثُ جديدُ الجبلِ من أمّ معبدٍ •

وهي من شاجيات النّوائج ، وباقيات المدائح .

وأما الراعي عبّيد : فحجّبلَ علي وصفِ الإبل ، فصار بالراعي
يُعرف ، ونُسي ما له من الشرف .

وأما زيدُ الخليل : فحطّيب سِجاعة ، وفارس شجاعة ، مشغولٌ
بذلك ، عما سواه من المسالك .

وأما عامرُ بنُ الطفيل : فشاعرهُم في الفخار ، وفي حمايةِ الجار ،
وأوصفهم لكريمة ، وأنعتهم لحميدٍ شيمية .

وأما ابنُ مُقبل ٢ : فقَدِيمُ شعْرهُ ، وصَلِيبُ نَجْرهُ ، ومُعَلَّى مَدْحُهُ ،
ومُعَلَّى قِدْحُهُ .

وأما جرّولٌ : فخبِيثٌ هجاؤهُ . شَرِيفٌ ثناؤهُ ، صحيحٌ بناؤهُ ، رفَعَ
شعرهُ من الشرى ، وحطَّ من الشريّتا . وأعادَ بلطافةٍ فكرهُ ، ومتانةً
شعرهُ ، قَبِيحَ الألقابِ ، فخرّاً يبقَى على الأحقاب ، ويُسْتَوَارثُ في الأعقاب .

١ ص : وعزل ؛ ل : وغزل عزم .

٢ ص : أبو .

وأما أبو ذؤيب : فشديدُ أسْرِ الشعرِ حَكِيمُهُ ، شغله فيه التجريب
حديثُهُ وقديمُهُ . وله المراثيةُ النقيّةُ السبِك . المتينةُ الحبْلُك ، بكى فيها
بنيه^١ السبعة . ووصفَ الحمارَ فطول . وهي التي أولها :

• أمِنَ المنونِ ورِيبه . تتوجعُ •

وأما الأخطلُ : فسعدٌ من سُعودِ بني مروان ، صفّتْ لهم مرآة
فِكْرِه ، وظفروا بالبديعِ من شِعْره ، وكان باقِعةً من حاجاه ، وصاعِقةً
مَن حاجاه .

وأما الدارميُّ هَمَّامُ : فجوهرُ كلامِهِ ، وأغراضُ سِيهامِهِ ، إذا
افتخر بمالكِ بنِ حنظلةً ، ودارمٍ في شرفِ المنزلة ، وأطولُ ما يكون
مدى إذا تطاولَ اختيالُ جريرٍ عليه بقليلِهِ على كثيرِهِ . وبصغيرِهِ على كبيرِهِ ،
فإنه يُصادمُهُ حينئذٍ ببحرٍ مادّ ، ويُقاومُهُ بسيفٍ حادّ .

وأما ابنُ الخطمي : فزهديٌّ في غَزَل ، وحجّجٌ في جدل ، يسبِّحُ
أولاً في ماءٍ عذب ، ويَطِيحُ^٣ آخراً في صَخْرٍ صلب . كاسبٌ مُنابِحةً ،
وكبشٌ مُنَاطِحةً ، لا تفلُ غربَ لسانِهِ مُطاولَةً الكفاحِ ، ولا تُدمي
هامته^٤ مُداومةَ النِّطاح ، جارى السَّوابقِ بمطيّة ، وفاخرَ غالباً بعطيّة ،

١ ص : بنوه .

٢ ص ل : اختيار .

٣ ل : يطيح .

٤ ص : هاد .

وَبَلَغَتْهُ بِلَاغَتُهُ إِلَى الْمَسَاوَاةِ ، وَحَمَلَتْهُ جِرَاتُهُ عَلَى الْمَجَارَاةِ ١ . وَالنَّاسُ فِيهِمَا
فَتْرِيْقَانِ ، وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ قَوْمِ فُتْرَقَانَ .

وَأَمَّا الْقَيْسَانِ وَطَبَقْتُهُمَا : فَطَبَقَةُ عَشَقَةٍ تَوْقَةٍ ، اسْتَحْوَذَتْ الصَّبَابَةَ
عَلَى أَفْكَارِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَتْ دَوَاعِيَ الْحُبِّ مَعَانِي أَشْعَارِهِمْ ، فَكَلَّمَتْهُمْ
[٨٦] مَشْغُولٌ بِهَوَاهِ ، لَا يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهِ .

وَأَمَّا كَثِيرٌ : فَحَسَنُ النَّسِيبِ فَصِيحُهُ ، لَطِيفٌ ٢ الْعَتَابِ مَلِيحُهُ ،
شَجِيءٌ الْإِغْتِرَابِ قَرِيحُهُ ، جَامِعٌ إِلَى ذَلِكَ رِقَائِقُ الظَّرْفَاءِ ، وَجَزَالَةٌ مَدْحِ الْخَلْفَاءِ .

وَأَمَّا الْكُؤِمِيَّةُ وَالرَّمَّاحُ ، وَنَصِيبٌ وَالظَّرْمَاحُ ، فَشِعْرَاءُ مُعَاَصِرَةٍ ،
وَمُنَاقِضَاتٍ وَمُنْفَاخِرَةٍ ، فَنُصِيبٌ أَمْدَحُ الْقَوْمِ ، وَالظَّرْمَاحُ أَهْجَاهُمْ ؛ وَالرَّمَّاحُ
أَنْسَبُهُمْ نَسِيبًا ، وَالْكَؤِمِيَّةُ أَشَبَّهُهُمْ تَشْبِيهًا .

وَأَمَّا بِشَّارُ بْنُ بُرْدٍ : فَأَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ؛ وَآخِرُ ٣ الْمُخْضَرِّمِينَ ؛ وَمَمْسَنُ
لِخَقِ الدَّوْلَتَيْنِ ، عَاشِقٌ سَمِعَ ، وَشَاعِرٌ جَمَعَ ، شِعْرُهُ يَنْتَفِقُ عِنْدَ رَبَّاتِ
الْحِجَالِ ، وَعِنْدَ فُحُولِ الرِّجَالِ ، فَهُوَ يَلِينُ سَخَى يَسْتَعْطِفُ ، وَيَقْوَى حَتَّى
يَسْتَنْكِفُ ٤ ، وَقَدْ طَالَ عَمْرُهُ ، وَكَثُرَ شِعْرُهُ ، وَطَمَا بِحَرُّهُ ، وَثَقَبَ فِي
الْبِلَادِ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ ، فَمِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَمَمْسَنُ حِظِي بِالنَّمْعَتَيْنِ ،

١ ص : المِجَار .

٢ ل : نَظِيفٌ .

٣ ص : وَأَحَدٌ .

٤ ص : يَنْكَسِفُ .

ووصل إلى الغنى بالصّلتين ، وكان دَرِبَ المعول ، ذَرِبَ المقنول ، والدَّ
شُعراء ، ومنجِبَ فصحاء .

وأما أبو نواس ، فأوّل الناسِ في حرْمِ القياس ، وذلك أنه تركَ السّيرةَ
الأولى ، وتكسّبَ عن الطّريقةِ المثلى ، وجعلَ الجِدَّ هزلًا ، والصّعِبَ سهلاً ،
فهتلَهك المسرّد ، وبلبلَ المنضد ، وختلختل المنجد ، وتركَ الدّعائم ، وبنى
على الطامي والعائم^١ ، وصادفَ الأفهامَ قد تكلت ، وأسبابَ العربيةِ قد
تخلختت وانحلت ، والفصاحات الصحيحة قد سئمت ومئت ، فمال
الناسُ إلى ما عرفوه ، وعليقت نفوسهم بما أليفوه ، فتهدأوا شِعْرَهُ ،
وأغلوأ سِعْرَهُ ، وشخّفوا بأسخّفه ، وكليّفوا بأضعفهِ . وكان ساعده أقوى ،
وسيراجه أضوى ، لكنه عرضَ الأنفقَ ، وأهدى الأوفقَ ، وخالفت
فتشهرَ وعريفَ ، وأغربَ فدُكرَ واستطرف . والعوام تختارُ هذه الأغلاق ،
وأسواقهم أوسعَ الأسواق ، فشعرُ أبي نواس ، نافقٌ عند هذه الأجناس ،
كاسدٌ عند أنقد الناس . وقد فطن إلى استضعافه ، وخاف من استخفافه ،
فاستدركَ بفصيح طرده ، طرفاً [من] احدّ اللسان وجدّه^٢ ، وهو مجدود^٣
في كثرةِ المتظاهر ، على من غضّ منه بالحقّ الظاهر ، ليس إلاّ نخفة روح
المجون ، وسهولة الكلامِ الضّعيفِ الملحون ، على جمهورِ العوام ، لا
على خصائصِ الأنام .

وأما صريع : فكلامه مُرْصِع ، ونظامه مُصنّع ؛ وجُملةُ شِعْرِهِ

١ ص : والقائم .

٢ ل : طرفاً حد اللسان وحدوده .

٣ ص ل : محدود .

صحيحةُ الأصول ، مُصنَّعةُ الفُصول ، قليلةُ الفضول .

وأما العباسُ بن الأحنف فمعتزل بهواه ، وبمعتزلٍ عمّا سواه : رَفَعَ نفسه عن المدحِ والمهجاء ، ووضَعَهَا بين يَدَي هَوَاهِ مِنَ النِّسَاءِ . قد رَفَقَ الشَّعْفُ كَلَامَهُ ، وثَقَّنَتْ قُوَّةُ الطَّبَعِ نِظَامَهُ ، فَلَهُ رِقَّةُ العِشَاقِ ، وَحَوْكُ الحُذَّاقِ .

وأما دِعْبِلُ : فمُدْبِرٌ مُقْبِلٌ ، اليومَ مَدْحٌ ، وغَدًا قَدْحٌ ، يُجِيدُ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ ، وَيُسِيءُ فِي الخَلِيقَتَيْنِ . وله أشعارٌ فِي العَصَبِيَّةِ . وكان شاعرًا عُلَمَاءَ ، وعَالِمَ شِعْرَاءَ .

وأما علي بن الجهم : فمَرَشِيقُ الفَهْمِ ، راشِقُ السَّهْمِ ، استَوَصَلَ شِعْرَهُ الشُّرْفَاءَ ، وَنَادَمَ الخُلَفَاءَ ، وله فِي الغَزَلِ الرُّصَافِيَّةُ ٢ ، وَفِي العِتَابِ الدَّالِيَّةُ ٣ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لَهُ سَوَاهِمَا ، لَكَانَ أشْعَرَ النَّاسِ بِهِمَا .

وأما الطَّنَائِي حَبِيبٌ : فمُسْتَكَلِّفٌ إِلَّا أَنَّهُ يُصِيبُ ، وَمُنْتَعِبٌ لَكِنْ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ نَصِيبٌ . وَسُخِّلَتْهُ المُنْطَابِقَةُ وَالتَّجْنِيسُ ، جِيدٌ ذَلِكَ أَوْ بَيْسٌ ، جَزَلٌ المَعَانِي ، مَرْصُوصٌ المِتَابِي ٥ . مَدْنَحُهُ وَرِثَاؤُهُ ، لَا غَزْلُهُ

١ ل : وجوده .

٢ يعني قصيدته « عيون المها بين الرصافة والجر » .

٣ الدالية :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبيبي وأي مهند لا يفند

٤ ل : وحيدا .

٥ س : الهائي ؛ ل : المغاني .

وهجاؤه ، طَرَفًا نَقِيض ، وخطبتنا^١ سماءٍ وخصيفض . وفي شعره
علمٌ جَمَّ مِينَ النَّسَب ، وجُملة وافرةٌ من أيتام العَرَب . وطارت
له أمثال ، وحُفِظَتْ له أقوال ، وديوانه مَقْرُوءٌ ، وشعره مَتَلُوءٌ .

قال ابن بَسَّام : أما صِفَتُهُ هذه لأبي تمام ، فصِفَةٌ لم يَتَّخِذْ عِطْفَهَا
حَمِيَّةً ، ولا تَعَانَقَتْ بِذَيْلِهَا عَصَبِيَّةً ، حتى لو سَمِعَهَا حَبِيبٌ
لَا تَخَذَهَا قَبِيلَةٌ ، واعْتَمَدَهَا مِلَّةٌ . فما آتَمَّ^٢ مِن أدبٍ وإن أوجَعَ ،
ولا سَبَّ مِن صدقٍ وإن أقدَحَ :

رجع :

وأما البُحْرِيّ : فَلَمَّا نَظَّهُ ماءً فَجَاج ، ودُرُّ رَجْرَاج ، ومعناه
سِرَاجٌ وَهَاج ، على أهلى مِناهَج . يَسْبِقُهُ شِعْرُهُ ، إلى ما يَتَجَشَّأُ به
صَدْرُهُ ، يُسَرُّ مُرَاد ، ولين قِيَاد . إن شَرِبْتَهُ أرواك ، وإن قَدَحْتَهُ
أوراك . طَبَعٌ لَا تَكَلِّفُ يَغْثِيهِ^٣ ، ولا العِنَادُ يَتْنِيهِ ، لا يُحْمَلُ كَثِيرُهُ ،
ولا يُسْتَكْفَى غَزِيرُهُ ، لم يَهْتَفُ أيتامَ الحُلُم ، ولم يَصِفْ زَمَنَ الهَرَم .

وأما ابنُ المُعْتَزِّ : فمَلِكُ النِّظَام ، كما هو مَلِكُ الأَنَام ، له التَّشْبِهُاتُ
المَثَلِيَّةُ ، والاستعاراتُ الشَّكْلِيَّةُ ، والإشاراتُ السَّحْرِيَّةُ ، والعبارةُ
البحرِيَّةُ ، والتَّصَارِيفُ الصُّنُوفِيَّةُ ، والطرائقُ الفُنُونِيَّةُ ، والافتخاراتُ

١ ص : وخطبا ؛ ل : وخطب .

٢ ص : ألام ؛ ل : لام .

٣ ص : يمتيه .

المُلوكِيَّة ، والهِيَمَاتُ العُلويَّة ؛ والعَزَلُ الرَّائِقُ ، والغِيَتَابُ الشَّائِقُ ، ووَصَفُ
الحُسْنِ الفَائِقِ :

وخَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً^١ وشرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ العَبِيدُ^٢

وأما ابنُ الرُّومي : فَشَجَرَةٌ [٨٧] الاِخْتِرَاعُ ، وَثَمَرَةٌ الاِبْتِدَاعُ .
وله في الهِجَاءِ ، ما ليس له في الإِطْرَاءِ ، فَتَحَ فِيهِ أَبْوَاباً ، وَوَصَلَ فِيهِ أَسْبَاباً ،
وَخَلَعَ مِنْهُ أَثْوَاباً ، وَطَوَّقَ فِيهِ رِقَاباً ، تَبَقَى^٢ أَعْمَاراً وَأَحْقَاباً ، يَطُولُ
عَلَيْهَا حِسَابُهُ ، وَيُمنَحَقُّ بِهَا ثَوَابُهُ . وَلَقَدْ كَانَ واسِعَ العَطْفِ ، لِطَيْفِ
النَّيْطِنِ ، إِلاَّ أَنَّ الغَالِبَ عَلَيْهِ ضَعْفُ المَرِيرَةِ وَقُوَّةُ المِرَّةِ .

وأما كُشَاجِمِمْ : فَحَكِيمٌ شَاعِرٌ ، وَكَاتِبٌ مَاهِرٌ ، لَهُ فِي التَّشْبِيهِاتِ
غَرَائِبٌ ، وَفِي التَّأْلِيفَاتِ عَجَائِبٌ ، يُجِيدُ الوَصْفَ وَيُحَقِّقُهُ ، وَيَسْسِيكُ
المَعْنَى فَيُرَقِّقُهُ وَيُرَوِّقُهُ .

وأما الصَّنَوْبَرِيُّ : فَتَفْصِيحُ الكَلَامِ غَرِيبُهُ ، مَدْلِيحُ التَّشْبِيهِ عَجِيبُهُ ،
مُسْتَعْمِلُ لَشَوَاذِ القَوَايِمِ ، يَغْتَسِلُ كُنُودَ رَتَمِها بِمِيَاهِ فَتَهْمِيهِ الصَّوْافِي ،
فِي سَجِلٍ وَيَبْدِقُ ، وَيَعْدُبُ وَيَرْقُ . وَهُوَ وَحِيدٌ جِنْسِيهِ فِي صِفَةِ
الأَزْهَارِ ، وَأَنْوَاعِ الأَنْوَارِ . وَكَانَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ يَتَخَالَعُ ، وَفِي بَعْضِهَا
يَتَشَاجِعُ : وَقَدْ مَدَّحَ وَهَجَا ، وَسَرَّ وَشَجَا ، وَأَعْجَبَ شِعْرُهُ وَأَطْرَبَ ،

١ البيت لفرزدق في هجاء نصيب ، انظر زهر الآداب : ٣٣٦ .

٢ ل : يبقين .

وشَرِّقَ وَغَرَّبَ . وَمَدَحَ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةِ أَمِيرَ الزَّابِ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ ١ ،
مُسْتَفْتَقَ سِلْعِ الْأَدَبِ ، فَوْصَلَتَهُ بِالْفِ دِينَارٍ ٢ .

وَأَمَّا الْخُبَيْرُورِيُّ : فَخَلِيعُ الشُّعْرِ مَاجِيئُهُ ، رَاقِقُ اللَّفْظِ بَائِنُهُ ،
كَثِيرَةٌ مَحَاسِنُهُ ، صَحِيحَةٌ أَصُولُهُ وَمَعَادِنُهُ . رَائِقَةُ الْبِزَّةِ ، [مَائِلَةٌ] ٣
إِلَى الْعِزَّةِ ، تُسَلِّيهِ عَنِ الْحَبِّ الْخِيَانَةَ ، وَيُرَبِّقُهُ ٤ الْوَفَاءَ وَالصِّيَانَةَ . وَلَهُ
عَلَى خُشُونَةٍ خَلِيقُهُ ، وَصُعُوبَةٍ خُلُقُهُ ، اخْتِرَاعَاتٌ لَطِيفَةٌ ، وَابْتِدَاعَاتٌ
طَرِيفَةٌ ، فِي الْأَفَاطِ كَثِيفَةٌ ، وَفُصُولٌ قَلِيلَةٌ الْفُضُولِ نَظِيفَةٌ . حَتَّى إِنْ
بَعْضَ كُبْرَاءِ الشُّعْرَاءِ ٥ اِهْتَدَمَ أَشْيَاءٌ مِنْ مَبَانِيهِ ، وَاهْتَضَمَ تَطَرُّفًا مِنْ
مَعَانِيهِ ، وَهُوَ مِنْ مُعَاَصِرِيهِ ، فَقَلَّ مَنْ فَطِنَ لِحِرَامِيهِ .

وَأَمَّا أَبُو فِرَاسِ بْنِ خَمْدَانَ : فَفَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ . إِنْ شِئْتَ ضَرَبْنَا
وَطَعْنَا ، أَوْ لَفْظًا وَمَعْنَى ، مَلَكَ زَمَانًا ، وَمُلِكَ أَوَانًا ، أَشْعَرَ النَّاسِ
فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَأَشْعَرُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَلَكَةِ ٦ . وَلَهُ الْفَخْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُعَارِضُ ،
وَالْأَسْرِيَّاتُ الَّتِي لَا تُسَاهِضُ .

١ انظر ديوان الصنوبري : ٢٨ وجعفر بن علي هو ممدوح ابن هانيه أيضاً ، إذ كان موالياً
للمبيديين ثم تحول إلى موالاة أموي الأندلس (انظر أخباره في المقتبس لابن حبان تحقيق الدكتور
عبدالرحمن الحجبي ، ط . بيروت) .

٢ زاد في ل : بمثلها إليه مع ثقات التجار .

٣ زيادة من ل .

٤ ص : ويريقه ؛ ل : ويروقه .

٥ يعني المتنبي ، وهذه تهمة ساقها نقاد المشاركة مثل ابن وكيع وغيره .

٦ ص : الملك .

وأما المُتَنَبِّيّ : فقد شُغِلَتْ به الألسُن ، وسَهِيَرَتْ في أشعارِهِ الأعيُن . وكَثُرَ النَّاسِيخُ لِشِعْرِهِ ، وَالْأَخِيذُ لِذِكْرِهِ ، وَالغَائِيصُ فِي بَحْرِهِ ، وَالْمُفْتَتَشُ فِي قَعْرِهِ ، عَن جُمَانِهِ وَدُرِّهِ . وَقَدْ طَالَ فِيهِ الْخُلُوفُ ، وَكَثُرَ عَنهُ الْكَشْفُ ، وَلَهُ شِيعَةٌ تَغْلُو فِي مَدْحِهِ ، وَعَلَيْهِ خِيَوَارِجٌ تَتَعَايَا فِي جَرَحِهِ : وَالَّذِي أَقُولُ إِنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ ، وَحَسَنَاتُهُ أَكْثَرُ عَدَا . وَأَقْوَى مَدَا . وَغَرَائِبُهُ طَائِرَةٌ ، وَأَمْثَالُهُ سَائِرَةٌ ، وَعِلْمُهُ فَسِيحٌ . وَمَيِّزُهُ صَحِيحٌ ، يَرُومُ فِيَتَقْدِرُ ، وَيَبْدُرِي مَا يُورِدُ وَيُبْصِرُ ١ .

وأما ابنُ عَبِيدِ رَبِّهِ الْقُرْطُبِيّ : وَإِنَّ بَعُدَتْ عَنَّا دِيَارُهُ ، فَقَدْ صَاقِبَتْنَا أَشْعَارُهُ . وَوَقَّفْنَا عَلَى أَشْعَارِ صَبَوْتِهِ الْأَثِيْقَةِ ، وَمُكْفَرَاتِ ٢ تَوْبَتِهِ الصَّدُوقَةِ ، وَمَدَائِحِهِ المَرْوَانِيَّةِ ، وَمَطَاعِينِهِ فِي العَبَّاسِيَّةِ . وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَارِسٌ مُحَارِسٌ ، وَطَاعِنٌ مُدَاعِيسٌ . وَاطَّلَعْنَا فِي شِعْرِهِ عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ ، وَمَادَةٍ فَهْمٍ مُضِيءٍ نَاصِعٍ . وَمِنَ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ نَظْمَ عَيْقُدِهِ ، وَتَرَكَهُ لِمَنْ تَجَمَّلَ بَعْدَهُ .

وأما ابنُ هَانِيءِ مُحَمَّدِ الأَنْدَلُسِيِّ وَوِلَادَةُ ، الْقَيْرَوَانِيُّ وَوَادَةُ ، فَرَعْدِيُّ الْكَلَامِ ، سَرْدِيُّ النِّظَامِ ٣ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مَعَانِيهِ ، فِي جَزَائِلِ مَبَانِيهِ ، رَمَى عَن مَتَجَتِيْقٍ ، يُؤَثِّرُ فِي النَّثِيْقِ . وَلَهُ غَزَلٌ قَفْرِيٌّ لَا عُنْدَرِيٌّ ،

١ زاد هنا في ل ما ينبغي أن أبا الريان انتهى من تقييم شعراء المشرق .

٢ ص : وتكفرات ، ل : وتكفيرات .

٣ زاد في ل : متين المباني ، غير مكين المشائي ، تجفو بمعناها عن الاوهام ، حتى تكون كنقطة النظام .

لا يقنَعُ فيه بالطَّيِّفِ ، ولا يشفعُ بغيرِ السَّيْفِ . وقد نوه به مَلِكُ الزَّابِ .
وعظَّم شأته بأجزلِ الثَّوابِ . وكان سيف دولته ، في إعلاء منزليته ،
من رجلٍ يَسْتَعِينُ على صلاحِ دنياه بفسادٍ أخراه ، لرداءةِ عتقلته ، ووقتهِ
دينه ، وَضَعْفُ يقينِهِ ، ولو عقل لم تضيقْ عليه معاني الشعر ، حتى يستعين
عليها بالكُفْرِ .

وأما القَسْطَلَتِيُّ : فشاعرٌ ماهرٌ عالمٌ بما يقول ، تشهدُ له العُقُولُ ، بأنَّه
المؤخَّرُ بالعصرِ ، المتقدِّمُ في الشَّعرِ . حاذقٌ بوضعِ الكلامِ في موضعيهِ ،
لا سيما إذا ذكَّرَ ما أصابه في الفتنة ، وشكا ما دهاه في أيامِ المحنة : وبالحملةِ
فهو أشعرُ أهلِ مَغْرِبِهِ ، في أبعَدِ الزَّمانِ وأقربِهِ .

وأما عليُّ التُّونِسِيُّ : فشِعْرُهُ المورِدُ العَدْبُ ، ولفظه اللؤلؤُ الرَّطْبُ ،
وهو بجحريِّ الغَرْبِ ، يَصِفُ الحمامَ ، فيروقُ الأَنامَ ، وَيُشَبِّبُ ، فيُعَشِّقُ
ويُحَبِّبُ ، ويمدحُ ، فيمنحُ^٢ أكثرَ مما يُمنَحُ .

هذا ما عندي في المتقدِّمين والمتأخِّرين ، على احتقارِ المعاصِرِ ، واستصغارِ
المجاورِ ، فحاشَ لَهِ من الانصافِ ، بقلةِ الإنصافِ ، للبعيدِ والقريبِ ، والعدوِّ
والحبيبِ .

قلتُ يا أبا الرِّبَّانِ ، وُقِيَتْ مُرورَ الحَدَثانِ ، فلقد سُبِّكَتَ فهما ،
وحُشِيَتْ عِلْمًا .

١ ص : المورود .

٢ ص : فتمنح .

مقامة له أخرى

جدتني الجرجاني قال : كان فقيِّ بجرجان من أبناء الأقيال ، قد جمع إلى النهاية في المالِ الغاية في الجمال . وكان مألُفاً للأدباء^١ ، ومأوى للغرباء ، وورزقاً للفقراء ، فلا يخلو منزله من أهل الإعدام . فلإني لتعندة في بعض الليالي إذ استؤذِنَ عليه لضرب فقيرٍ فأمر بإكرامه وإطعامه . فلما فترغ من شأنه ، استدعاه إلى إيوانه ، فدخل علينا رجلٌ شيخٌ وافرُ السبَال [٨٨] ، قد عمته البياضُ بالكمال ، مطموسُ العينين ، مسترخي الحاجبين ، قد صلعت هامته ، وركعت قامته ، وقصرت مسافة خطاه ، وثقل جسمه على عصاه ، فسلم بصوت ضئيل ، ودعا بلسانٍ ثقيل . وأقبل يذكرُ شبابه ، ويتذكرُ أحبابه ، وينوحُ على سالفِ زمانه ، ويندُبُ ثقات إخوانه . فرق له الفتى فآدناه ، حتى أجلسه على يمينه ، وصبره وسلاة . ثم سمرنا إلى وقت النوم ، فرقد سائرُ القوم ، ونام الفتى في مكانه ، مُراعاةً لحق ضيفانيه .

وكنت أدنى من الفتى مرقدًا ، كما كنت أدنى منه مقعدًا ، ولي عين أخف العيون هجعة ، وأقربها إلى الانتباه رجعة . فأيقظني نبرة لم أكن عهدت من الفتى مثلها ، ولا أجزاها مع ضيف قبلها . فعجبت من خرق العادة ، وأصغيت ألتمس [استزادة] : فسمعت الأعمى

١ ص : لأدباء .

يقول : يا سيدي أنا صرورة ، وثم ضرورة ، وقد طالت الغربة ، واضطرتني العزبة . فقال الفتي له : فما وجدت لضرورتك سيواي ، ولا لعزبتك جاشاي ؟ قال له : فإن أبيت إلا أن تمنع ، فدئتني على ما أصنع . قال له الفتي : أرى لك أن تتسرى . قال : ومن للصملوك بللملوك ؟ قال : فتتزوج . قال : والمحنوج كيف يتزوج ؟ قال له الفتي : فإنك لو خضخضت ، لكان أشبه مما إليه تعرّضت . قال الأعمى : والله يا مولاي لا يتسعه خفتي ، فكيف كفيتي ؟ فصاح الفتي : السلاح السلاح : « ألا أيتها النوامُ ويحكم هبوا » قال الجرجاني فقلت : « فللشيخ زُبّ ليس يُشبهه زُبُّ » . فقال الفتي : أسمعت العجب العجيب ؟ قلت : نعم ، وحفظت العتاب : وجعلت أقول : ما سألك الشيخ في عسير ، ولا حملك على خطير . فهلاً قضيتته فأرضيته ؟ قال : فحسب الأعمى كلامي ردّاً ، وظنّه جيداً ، فقال : فديتك أيتها الناصير ، حين خذتني الأواصير ، واحتققتني المعاصير ، ثم تنهد وقال : آه واهرماه ! بيقينا حتى شقينا ، آه . طاح أهل البدل والسماح ، وبقي أهل البخل والجحاح . انظر أي أجناس : بعد أي ناس ، لكن الفقير حقير : قتل المال ، وذهب الرجال . سمعنا فطمعنا ، يا فتي . أخبرنا عنك خبراً ، ما رأينا له أثراً ، وربّ منسوب إلى حال ، مترجوعها إلى محال : أين الكرم الذي ذُكر ، والخلق الذي سُكِر ؟ هب ما سألك يشق . أين الحق الذي يحق ؟ كذب رائدنا . وقلبت فتوائدنا . فقال له الفتي : ويحك ! اتق الله خالقك ، فقد آن أن تترك خلافتك .

١ كذا في ص ، ولعلها « واحتقرتني » .

فقال : يا مولاي ، لو تركتني الشهوة لتركك ، لكن حرمتني
فتحررت . إني وإن سبقني جمهور الأتراب إلى التراب ، فلي قلباً للهبي ،
وجسم ذهبي ، لا يغيرهما إدمان الزمان ، ولا يؤودهما حديث الحدثنان .
ولو عادت إلي ساعة من أيامي ، أو حصلت في يدي إبرة من حسامي ،
لسبقت كلومي فيكم كلامي . وسأجهدُ بهذه العصا ، فأجاهدُ من
عصا . ثم اهتز كأنه نسر متفصوص ، أو حمار مرهوص ، فقمنا
وتركنا جانبته ، وجعل يتضرب بعصاه ما قاربته . فتركانه وشانته ، وأدمننا
عيانته ، نصعدُ فيه ونصوب ، ونعجب ونعجب . فلم تنزل شقيقته
تهدير ، وعصاه تتكسر ، حتى كالت ينداه ، وانحلت قواه . ولاح
وجه الصباح . وجئنا إليه بالمصباح ، فإذا هو كالجدار المهذوم ، والحيدر
المهشوم ، قد فارق النفس التمرودية ، ومات الميتة الجاهلية . فدفنته
الفتى في أطماره ، وسألنا كتمان أخباره ، وأفن لعمري أي أفن ، أن
يُطمع الخبير هذا في دفن ، بل هو منشور ، إلى يوم النشور .

ما أخرجته من شعر ابن شرف في أوصاف شتى
النسيب وما يناسبه

[قال] ٢:

قد كنت في وعد العذار فأنجزا وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا

١ ص : فلبني .

٢ هي في الشريشي ٢ : ٢٦٥ (٥ : ٢٤٠) وانظر التنف : ١٠٢ .

وافى لنصرِ الحُسنِ إلا أنه
عطفُ تعامٍ منك عطفك عطفه
لم يتكف وجهك حسنه وبهاؤه
سبحان من أعطاك حسناً ثانياً

وقال :

تصعدتُ نفسٍ لا صعودُ تنفسٍ
فلا القربُ يحييني ولا البعدُ قاتلي
وأصبحتُ ذا ضرٍّ ولُقياك مبرىءٌ
وترديدُ روحٍ في حُشاشةٍ مكروب

ولا الهجرُ يسليني ولا الصبرُ يلوي بي
لضُرِّي ولكن أين عيسى من أيوب؟

وقال :

بين أجفانك سحرٌ
جردتُ عينك سيفي
فعلى خدك من نة
ومن الكُثبانِ شطرٌ
وسواءٌ قلتُ دُرٌّ
وبماذا أصيفُ الخصة
بك شغلي واشتغالي

وعلى غُصنك بدرٌ
ن لذا أمرك أمر
رِ دَمِ العشاقِ أثر
لك والأغصانِ شطرٌ
ما أرى أو قلتُ ثغرٌ

روما إن لك خَصْر [٨٩]

ومضى زَيْدٌ وعمرو

١ ص : رعل الأغصان .

وقال :

وَشَمْسٍ تَرَاخَتْ أَنْ تَغِيبَ لِقِبْلَتِي كَمَا أَمْسَكَتْ فِيمَا مَضَى شَمْسُ يَوْشَعٍ
فِيَا قَاطِعاً وَصَلِي وَيَا وَاصِلاً غَدِي بَأَمْسِي وَيَوْمِي فِي الْعَذَابِ الْمُنْتَمِعِ
صَرَفَتْ رَجَائِي عَنْ لَعْلٍ وَعَنْ عَسَى وَأَبْعَدْتَنِي بِالْيَأْسِ مِنْ كُلِّ مَلَمَعِ
أَعْنَتِي بِإِطْمَاعِ الْوَصَالِ عَلَى النَّوَى إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشَجَعِ
لَدَيْكَ فَوَادٌ مَا لَهَ مِنْ مُطَالِبِ أَطْلُبُ فِي بَعْضِي وَقَد بَانَ أَجْمَعِي ؟
وَدَيْعَةٌ مَيِّتٌ أَنْتَ فِيهَا مُحَكَّمٌ وَإِنْ شِئْتَ فَاحْفَظْهَا وَإِنْ شِئْتَ ضَمِّعِ
أَرَى مُهْجَاتٍ فِي يَدَيْكَ فَمَا تَرَى بَمَنْ شِئْتَ أَوْقَعُ أَوْ بَمَا شِئْتَ وَقَعِ

قوله : « إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جَبَانَ فُشَجَعِ » مثلٌ من أمثالهم ، وإليه
شار أبو نُوَاس بقوله ١ :

فَكَأَنِّي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا قَمَعَدِي يُزِينُ التَّحْكِيمَا

وقال ٢ :

وَأَذْكُرُ لِيَالِيكَ الَّتِي ذَهَبَتْ لَنَا نَهْمًا وَعَيْشًا كَانَ كَالْتَهْوِيمِ
يُسْعِدُكَ وَأَبْلُ أَدْمَعٍ فِي الرُّؤْيِ سَرِيحًا مِيَاهَ الدَّمْعِ شُرْبَ الْهَيْمِ
أَيَّامَ شَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ ضَمِيمِ فِيهَا وَبَدْرُ الْمَغْرِبَيْنِ نَدِيمِ
وَنَجُومٍ كَأَسَاتِي طَوَالِ الْعُيُونِ وَالسَّعْدُ يَسْتَسْتَفِينِي عَنِ التَّقْوِيمِ

١ ديوان أبي نواس : ٣٢٥ .

٢ البيت الرابع منها في التنف : ٢ . ولم يذكر مصدره ، وقد ورد في القسم الأول : ٤٧٧ .

محمودٌ عَيْشٍ جادٍ لي دَهْرِي به ثمَّ استردَّ فكان فيه خصيمي
ولتي وخلتي جَمْرَةٌ مَشْبُوبَةٌ تُذْهِمِي على الأحشاءِ نارَ سَمومِ
فإذا رأيتَ لهيبتها وسلامتي فاذكُرْ بذلكَ نارَ إبراهيمِ.

يَنْظُرُ مَعْنَى الْبَيْتِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ ١ :

تُرَى لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجُمُ

ولأبي [الحسن] أحمد البصري^٢ من أناشيد الثعالي :

كنتُ إذا ما سِرْتُ في حاجَةٍ أطالِبعُ^٣ التقويمَ والزَّيْجَا
فصار لي الزَّيْجُ كَتَصْحِيفِهِ وعاد لي^٤ التقويمُ تعويجا

وقال بعضُ أهلِ عَصْرِنَا وهو أبو بكرٍ الدَّانِي ٥ :

وبمُهْجَتِي نَجْمٌ لَهُ فِي مُهْجَتِي مَسْرَى ولي في نُورِهِ تَعْدِيلُ
حوَلْتُ عَهْدَ مَنَاخِهِ بِمَنَاخِهِ ففَضِي بِتَحْوِيلِي لَهُ التَّحْوِيلُ

- ١ ديوان المتنبي : ٢٩٢ ، واستشهد به ابن بسام أيضاً في القسم الأول : ٤٧٦ .
- ٢ هو أحمد بن أيوب البصري ، أبو الحسن المعروف بالنامي ، انظر اليتيمة ٤ : ٣٨٣ - ٣٨٤ وقد ورد البيتان في ترجمته .
- ٣ اليتيمة : استعمل .
- ٤ اليتيمة : فأصبح .
- ٥ اليتيمة : وأصبح .
- ٦ شعر ابن اللبانة : ٨٣ والذخيرة ٣ : ٩٦٠ .

وقوله : « محمودُ عيش جادَ لي دهري به » من مُتداولاتِ المعاني ،
منها قولُ محمد بن هاني ١ :

وهبَ الدهرُ نفيساً فاستردَّ ربُّما جادَ لثيمٌ فحَسَدُ

وأخذه بعضُ أهلِ عصري فقال :

يهبُ القليلَ وقد يرى استرجاعه بهيبةُ اللثيمِ أقلُّ منه وأنزُرُ

ومن قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به

من سائر الأوصاف

قال في المنصور حفيدِ ابن أبي عامر :

مرَّ بي غُصنٌ عليه قَمَرٌ
هزَّ عِطْفِيهِ فقلُّنا إنَّه
ورأيتُ الناسَ صرعى حوله
تلك أخبارُ زمانٍ قد مضى
زَمَنُ المنصورِ قَوِيٌّ مِنِّي
وسرورُ النفسِ مِن بعد الصبَا
فاستطِيبَ العيشُ في بِلدَتِه
وكانَ الشمسَ مِن بهجتِها
مُتَجَلِّ نوره لا يَسْجَلِي
ذو الفِئَمَارِ اهْتَزَّ في كَفِّ علي
فكانَ اليومَ يومُ الحملِ
وأموْرٌ في السنينِ الأوَّلِ
وسرى هَمَمِي وأحيا جَدَلِي
ناشِرٌ عَصْرَ الصبَا والغَزَلِ
فكانَ الناسَ في قُنطَرُبَلِ
أبدأَ فيها بِيَرْجِ الحَمَلِ

١ ديوان ابن هاني : ٣٦٧ .

وله من أخرى في عبّاد :

فما جشأت نفسي عشيّة مشرف
ولا ليغرابي دمنة الدار ظلتُ ذا
مقامُ زمانٍ مات عروّة حَسرةً
فلو نال حظاً منه غيلاً لالتقتُ
ولا احتلبت عينيّ حزوي وفبفاء^١
سؤالٍ وما عند الغرابين أبناءُ
عليه وظلّت تسفح الدمع عَفراءُ^٢
له صيدح فيه وميّ ودهنائه

ومنها في ذكرِ طفيلين له :

أجشتمهم ليميل القيفار وظلمة الـ
ولي منهما سهمان هذا ابنُ أربعٍ
أضمتها والليلُ داجٍ كأنّما
فطوراً يُخشّيهيم على ذكرك الكرى
وطوراً يمجّون الدجى ومِطالته
فتضجرُ منهم أنفسٌ ربّما بكتُ
بيحارٍ وكم ريعوا والسيد إرخاءُ
وهذا ابنُ ستٍ كلّما كان إغفاءُ
هُما نقطتا ياءٍ وجسمي هو الياء
فتصبح أضواءٌ عليهم ولألاء
وما كان للغاياتِ مطلقٌ وإرجاء
بكاً هو للصمّ الجلاميدِ إِبكاءُ

ومنها :

فإن أفحمتنا هيبةً عُمريّةً
بذلت انبساطاتٍ لنا عكّويّةً
لديك لها في الشعرِ^٣ كسرٌ وإقواءُ
لها بعدَ موماتٍ المهاميه أفياءُ

١ يشير إلى قول ذي الرمة (غيلان) :

لقد جشأت نفسي عشيّة مشرف

٢ فيه إشارة إلى قول قيس لبيّ ، وسيوضّحه ابن بسام فيما يلي .

٣ ص : العشر .

صَبَدْحُ الَّتِي ذَكَرَهَا نَاقَةُ غَيْلَانَ ، وَالذَّهْنَاءُ وَطَنَهُ ، وَمِيَّ صَاحِبَتُهُ ، وَكَانَ
ذُو الرِّمَّةِ يَلْهَجُ بِذِكْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي شِعْرِهِ . وَقَوْلُهُ [٩٠] « وَلَا لَغْرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ »
... البَيْت ، أَشَارَ إِلَى قَوْلِ عُرْوَةَ بِنِ حِزَامِ الْعُدْرِيِّ فِي عَتَفَاءَ بِنْتِ مَالِكِ
الْعُدْرِيِّ ، وَتُنَشِدُ الْآيَاتُ لِحُسْنِهَا ، وَلِكُونَ الْمَعْنَى فِرْعَاءَ مِنْ غُنْصِنِهَا :

أَلَا يَا غْرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ خَبِيرَا أَبَاهُجْرٍ مِنْ عَتَفَاءَ تَنْتَحِبَانِ ؟
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولَانِ فَاثْمَضَا بِلِحْمِي إِلَى وَكَرَيْكَمَا فَكُلَاثِي
وَلَا يَبْلَعَنَّ النَّاسُ مَا كَانَ مِيتِي وَلَا يَأْكُلَنَّ الطَّيْرُ مَا تَدَّرَانِ
جَعَلْتَ لِعِرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعِرَافِ حَجْرٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَنَا بِمَا ضَمَنْتَ مِنْكَ الضَّمْلُوعُ يَدَانِ

وَضَرَبَ الْمَثَلُ بِهَيْبَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِهَا ، وَبِانْبِسَاطِ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي ابْنِ طَاهِرٍ^٢ أَمِيرٍ مَرْسِيَّةً وَقَتْبَهُ :

وَعَاجُوا عَلَى عُسْفَانَ وَاللَّيْلُ أَلَيْلٌ وَمَرَّوًا^٣ بِذَاتِ الْبَيْنِ وَالصَّبِيحُ مُسْفَرٌ
وَحَازَتْهُمْ حَزْوَى ضُحَى وَتَرَوَّحُوا بِمَنْعِجٍ وَاسْتَعَلُّوا أَبَانًا فَنَوَّرُوا
وَلَمَّا تَوَاقَفْنَا بِذِي سَسَاثِمٍ بَدَا سَلَامٌ لِسَلَامِي ظِلٌّ يَخْفَى وَيَطْهَرُ
شَعَرْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ حَيْرَانٌ غَافِلٌ وَمَا شَاعِرٌ أَمْرًا كَمَنْ لَيْسَ يَشْعُرُ

١ ديوان عروة : ١٦ ، ١٤ .

٢ يعني أبا عبد الرحمن بن طاهر ، وقد وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٤ - ٩٢ .

٣ ص : وهزوا .

رأت ظبيةَ الرَّعساءِ عيني فهِتجتُ
سأبكي طُلولاً كنتُ فيها مِطْلَبةً
تَصَرَّمَ ذاكَ العيشُ إلاَّ إدكاره
فتى طاهريُّ طاهرُ الثَّوبِ ذكْرُه
لها ذكْرهم والشَّيءُ بالشَّيءِ يُدْكَرُ
عليها وكلَّ اللَّيْلِ تَحْتَكِ مُقَمَّر
وإلاَّ كذوباً في المنامِ تُزَوِّرُ
من المسكِ أذكى أو من الماءِ أَطْهَرُ

وله من أخرى في المعتضد^١ :

لولا همُّ لحججتُ أوَّلَ حِجَّةٍ
ولزرتُ حمصَ الغَرْبِ أغْرَبَ زائِرٍ
وزحمتُ واديها بمثلِ عُبَّابه
وأريتسه بجرأٍ يفساخِرُ قعره
حَرَمَ الكرامِ وطال فيه طوافي
بغرائبِ كالحلَّةِ الأفوافِ
من سلسبيلٍ في القلوبِ سُلُوفِ
بلا كلِّ فيهِ بلا أصدافِ

ومنها في مدحه :

يا حاسديهِ على علاّ خُطَّتْ له
يخلي الدِّيارَ من الجسومِ ويحتني
فكأنما الأجسامُ بعدَ رُؤوسِها
سَبَقَ القضا بالنونِ^٢ بعدَ الكافِ
ثمَّ الرُّوسِ وطرفَةَ الأطرافِ
أبياتُ شعرٍ ما هنَّ قوافِ

قال ابن بسّام : أظنُّ ابنَ شَرْفٍ . فيما وصفَ ، شبهَ الأجسامَ دون
رُؤوسِها بأبياتِ شعره في هذه القصيدة ، فليست لها مبادئ ولا قوافي ،

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ ، كما أن الأخير منها ورد في القسم الأول : ٢٨٣ .

٢ ص : القضاء النون .

وما أمتري أن الغربة فلت غرب طبعه ، وغسلت عن جوانحه ،
وأطفأت نار قرائحه .

ومن أشبه مدائحه قوله في علي بن أبي الرجال^١ بعض أمراء القيروان
من قصيدة^٢ :

جاورُ علياً ولا تحفل بحادثةٍ إذا ادّرت فلا تسأل عن الأسئلِ
إسمٌ حكاها المسمى في الفعّالِ فقد حازَ العليّين من قولٍ ومن عمّلِ
فالماجدُ السيّدُ الحرُّ الكريمُ له كالنّعتِ والعطفِ والتوكيدِ والبدلِ
زانَ العُلا وسواهُ شاهاً وكذا للشمسِ حالان في الميزانِ والجمّلِ
وربما عابه ما يفتخرون به يشننا من الخصرِ ما يهوى من الكفّلِ
سأل عنه وانطق به وانظر إليه تتجيدُ ملء المسامع والأفواه والمثّلِ

واه من أخرى^٣ :

ما لي كذا كل ما طابته عسيرٌ وقد أخذتُ بحبّ المطلب العسيرِ ؟
مالي أجازبُ ذي الدنيا مؤلّيةٌ فكلُّ ثوبٍ عليها قد من دُبرِ

١ ص : الرجال ؛ وعلي بن أبي الرجال عالم شاعر كان راعي الأدب والأدباء في القيروان أيام
المعز بن باديس ، وباسمه طرز ابن رشيق كتاب العمدة ، وهو مؤلف كتاب البارح في أحكام
النجوم وفي ترجمة ابنه محمود قال ابن الأبار (اعتاب الكتاب : ٢١٤) انه كان هو وأبوه
وأهل بيته برامكة افريقية . (وانظر الفصل الخامس من كتابي : ملامح يونانية في الأدب
العربي : ٧٥ - ٧٩) .

٢ وردت أبيات منها في ياقوت والصفدي والفوات والمسالك واعتاب الكتاب . وانظر السف
١٠٨ - ١١٠ والشريشي ٤ : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٣ منها بيتان في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتنف : ١٠١ - ١٠٢ .

ومنها :

يُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ التَّنْوِيلِ مُعْتَدِرًا وَرَبِّ مُعْطِي قَلِيلٍ غَيْرِ مُعْتَدِرٍ
أَنِي الزَّمَانُ عَلَى يَأْسٍ بِهِ لِبَنِي الدُّ نَبَا كِبَشْرَى بِمَوْلُودٍ عَلَى الْكَبِيرِ
إِنِّي وَجَدَكَ صَيَّرْتُ الْوَرَى نَهْرًا وَقَلْتُ مَا قَالَه طَالُوتُ فِي النَّهْرِ
فَأَنْتَ عِنْدِي مِنْهُمْ غَرْفَةٌ بِيَدِي حَاسَتْ وَحَرَّمَ بَاقِي النَّهْرِ فِي الزُّبُرِ

ومعنى البيت الرابع من هذه كقول أبي تمام، ونقص فيه عن التمام^١ :

بُشْرَى الْغَنِيَّ أَيْ الْبِنَاتِ تَتَابَعْتُ بِشْرَاوَهُ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ

وذكرت بقوله : « فكلُّ ثوبٍ عليها قدَّ من دُبُرٍ » قول القائل :

قَمِيصُ يَوْسُفَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ كَانَتْ بَرَاءَتُهُ فِيهَا مِنَ الْكُذْبِ
وَفِي قَمِيصِكَ لَمَّا قَدَّ مِنْ دُبُرٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْفَحْشَاءِ وَالرِّيْبِ

وفي الحسن بن وهب يقول القائل :

إِذَا لَقِيتَ بَنِي وَهْبٍ بِمَنْزِلَةٍ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْأَنْثَى مِنَ الذَّكْرِ
مُؤَدَّبُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ مِنْ صِغِيرٍ مَدْرَبُونَ عَلَى النَّكْرَاءِ فِي الْكَبِيرِ
يَحْتَكُونَ وَلَمْ تَقْطَعْ سَرَائِرَهُمْ بَيْنَ الْحَوَاضِينَ وَالْدَايَاتِ بِالْكَسْرِ
قَمِيصُ أَنْشَاهُمْ يُنَشَقُّ مِنْ قُبُلٍ وَقَمِيصُ ذَكَرَانِهِمْ تَنْقُدُ مِنْ دُبُرٍ [٩١]

١ انظر الآية : ٢٤٩ من سورة البقرة .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٤ .

سائر مقطوعات له في أوصاف شتى

قال ١ :

لعل الله يفتكُ المعنى الـ
وإن أرجو التخلصَ من عظيمٍ
لقد أنفذتُ من جلتدي دروعاً
وصبراً لو نجسَمَ لي مِجناً
وأفقدتُ ما طَلَّبتُ فلم أجدهُ
فأصبح وهو للعنقاءِ ثانٍ
صَحبتُ بهذهِ الدنيا أناساً
ولم أصحابهمُ ودأ ولكن
أسيرَ فيغْتدي وهو الطليقُ
فقد ينجو من اللججِ الغريقِ
زرينَ على الذي نَسَجتُ سَلوقِ
كفاني ما رَمتهُ المنجنيقِ
رفيقٌ في صحابتهِ رفيقِ
وثاوي حيثُ فرختِ الأتوقِ
إذا غدروا فغدروهمُ وثيقِ
كما جمَعَ العدوِينِ الطريقِ

لعلته ذهب في هذا إلى قول أبي الطيب ٢ :

ومينٌ تكسدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى
عدوآ له ما مين صدقاتيه بدُ

وقال :

بعيشك نادِ أيامي وقُلْ هلْ
لديكِ إلى مَرَدٍ من سبيلِ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٢٣٩ - ٢٤٠

٢ ديوان المتنبي : ١٨٤ .

أراك كما يرى المحتاجُ مالا . وقد مَلَكَتْ عليه يدُ البخيلِ
أراحِلَة وما أبقيت مني سوى لحظٍ يترجيمُ عن عقيلِ
وقد عاقبتِ بالعبرَاتِ عيني بلا ذنبٍ وما ذنبُ الرسولِ
وجدتُ الناسَ كلَّهُمُ طُلُولا فلمْ أطيلِ الوقوفَ على الطلُولِ
وتسمعُ منهمُ ما لا تراهُ كسامعِ ضربةِ السيفِ الصَّقيلِ
فمنْ بسواك باعك فاعنْ عنه كما استغنى علي عن عقيلِ

عقيلٌ أخو عليّ بن أبي طالب كان وُلدَ معه توأماً . ولذلك قال :
زوحمتُ حتى في الرَّحمِ . ولما كان يومُ صفينَ هرب إلى معاوية وفارق
أخاه علياً .

وقوله : « أراك كما يرى المحتاجُ مالا » . . . البيت . أراه توارد فيه
مع لِدته وابن بلدته أبي عليّ بنِ رشيق حيثُ يقول^١ :
والصبحُ قد مَطَّلَ الليلُ العيونَ به كأنه حاجة في كفِّ^٢ ضنينِ
وقال ابنُ شرف^٣ :

وما بلوغُ الأمانِ في متواعدها إلا كأشعبَ يَرجو وعندَ عنقوبِ
وقد يخالفُ مكتوبُ القضاءِ يدي فكيف [لي] بقضاءٍ غيرِ مكتوبٍ؟

١ ديوان ابن رشيق : ٢٢١ (عن الذخيرة) .

٢ ص : يد ؛ وصروته بما يفني عن ارتكاب الضرورة .

٣ البيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٣ ، والشريشي ٣ : ٣١٦ .

٤ ص : يقضا .

وقال ١ :

سَلَّ عَنْ رِضَايَ عَنِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ كَرِضَى الْفُرُزْدَقِ عَنِ بَنِي يَرْبُوعِ
لِلَّهِ حَالٌ قَدْ تَنَقَّلَ عَهْدُهَا بِخِلَافِ نَقْلِ الدَّهْرِ حَالِ صَرِيحِ
دَارَتْ دَرَارِيُّ الْخَطُوبِ قَوَاصِدًا حَتَّى نَظَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ تَرْتِيبِ
كَانَ صَرِيحُ الْعَوَانِي خَامِلًا فَوَلَاهُ بَنُو سَهْلٍ جُنْرَجَانَ فَشَرُفَ .

وقال :

أَهْلَ الصَّفَاءِ نَأَيْتُمْ بَعْدَ قُرْبَيْكُمْ فَمَا انْتَفَعْتُ بِعَيْشٍ بَعْدَكُمْ صَافٍ
وَقَدْ قَصِدْتَ نَدَى مَنْ لَا يُوَافِقُنِي فَكَانَ سَهْمِي عَنْهُ الطَّائِشَ الْهَافِي
أَرَدْتُ عَمْرًا وَشَاءَ اللَّهُ خَارِجَةً أَمَا كَفَى الدَّهْرَ مَنْ خُلْفِي وَإِخْلَافِي ؟

وقال ٢ :

يَقُولُونَ سَادَ الْأَرْدَلُونَ بَعْصِرْنَا وَصَارَ لَهُمْ قَدْرٌ وَخَيْلٌ سَوَابِقُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَلِيَ الزَّمَانُ وَلَمْ تَنْزَلْ تَنْفَرَزِينَ فِي أُخْرَى الْبَيْوتِ الْبِيَادِقُ

وقال ٣ :

قَالُوا تَصَاهَلْتَ الْحَمِي رُ فَقُلْتُ إِذْ عُدِمَ السَّوَابِقُ
خَلَّتِ الْبَيْوتُ مِنَ الرَّخَا خِ فَتَفَرَزْتَ فِيهَا الْبِيَادِقُ

١ الأبيات في الشريشي ٢ : ١٠٠ (٤ : ٨٨) والتنف : ١٠٤ .

٢ ورد البيتان في كتاب المقترح في جوامع الملح - باب الأسماء - (مخطوطة جامعة برنستون)
وكتاب الآداب : ١٠٤ .

٣ البيتان في ياقوت والصفدي والفوات والتنف : ١٠٦ والفيث ٢ : ١٢ .

وقال :

شَكَوتُ حُزْنِي وَبَيْتِي إِلَى الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ
فَكَانَ عَقْبَايَ عَقْبِي نَسْبِيَتَهُ يَعْقُوبُ

وقال ١ :

لَكَ مَنْزِلٌ ٢ كَمَلَّتْ سِتَارَتُهُ لَنَا
غَنَّتِي الذُّبَابُ وَظَلَمَ يَزْمُرُ حَوْلَهُ
لَيْلَهُمْ لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثٌ
فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَسْرُقُصُ الْبِرْعَاثُ

وهذا كقول السَّمِيسِرِ ٣ :

ضَاقَتْ بِلِنْسِيَةِ بِي وَذَادَ عَنِي غَمُوضِي
رَقَصُ الْبِرَاعِيثِ فِيهَا عَلَى غَنَاءِ الْبَعُوضِ

ما أخرجته من مراثيه لأهل القيروان بلده

قال من قصيدة وصف فيها إذلال أهل سومسة جالية القيروان ،
وهي طويلة قطفتُ عيونها :

أَهَ لِلْقَيْرَوَانِ أَنَّةَ شَجَسُو
عَنْ فَوَادٍ بِجَاحِمِ الْحَنْزُنِ يَصَلِي
حِينَ عَادَتْ بِهِ الدِّيَارُ قُبُوراً
بَلَّ أَقْوَلُ الدِّيَارُ مِنْهُنَّ أَجْلِي

١ البيتان في ياقوت والمطرب والنفع ٣ : ٣٢٩ وبدائع البداهة : ٣٩٤ (ونسباً فيه لابن

رشيق) والتنف : ٩٤ .

٢ البدائع والمطرب : لك مجلس .

٣ وردا غير منسوبين في القسم الأول : ٨٨٨ وهما الحصري في بدائع البداهة : ٣٩٣ .

ثم لا شمتعة سوى أنجم تخ
 بعد زهر الشماع توقد وقدأ
 والوجوه الحيسان أشرق منهن م
 لو رأيت الذين كان لهم سته
 طو على أفقيها نواعيس كسلى
 وميتان الذبال تفتل فتلا
 ويفضلنهن معنى وشكلا
 لك وعمراً قد صبروا الوعر سهلا

ومنها :

بعد يوم كأنما حشير الخلد
 ولهم زحمة هنالك تحكي
 وعجيج وضجة كضجيج ال
 من أيامى وراءهم ١ يتامى
 وثكالى أراملاً حاملات
 وحصان كأنها الشمس حسنا
 فات كرسيتها الجلاء فأضححت
 جار فيهم زمانهم وأولو الأمة
 تتركوا الربيع والأثاث ٤ ومآ ية
 لبسوا الباليات من نحشين الصو
 ق حفاة به عوارى رجلى
 زحمة الحشير والصحائف تئلى
 خلتق يبيكون والسرائر تئلى
 ملثوا حسرة وشجوا وثكلا [٩٢]
 طفلة تحمى الرضاع وطفلا
 كفتتها الأطمار نجلاء كحلا
 في ثياب ٢ الجلاء للناس تجلى
 رفة روايرجون في الأرض عدلا
 قتل لا حامل من الناس ثقلا
 ف ليغلو النبيه في الناس غفلا ٥

١ ص : وراءهم ، ولعلها « وراءهم ويتامى » .

٢ ص : ثياب .

٣ الذخيرة ١ : ٩١ .

٤ ص : والاثاث .

٥ ص : لعدوا البنيه . . . عقلا .

نادبات ، عَفْرَاءُ تُسْعِدُ سَعْدِي
 ليس منهنَّ مَنْ يُودَعُ جَاراً
 كلهنَّ اعتدى الفراقُ عليه
 فإذا القَفْرُ ضمَّهم فوق الدَّهْ
 مِن ثَعَابِينَ حَامِلِينَ نِيوياً^٢
 وشياطينَ راحينَ يُلاقو
 فترى للظهور^٣ تُعْتَلُ عَتِلاً
 فإذا مَطْمَعٌ أصابوه في أحد
 فإذا نَجَّتِ^٥ المقاديرُ منهم
 لَتَقِيَّ الهونَ في المذلَّةِ أنْتِي
 ليس يلقي إلا امرءاً مُسْتَطِيلاً
 فترى أشرفَ البريةِ نَفْساً
 فهمُ كلِّما نَبَتَ بهمُ أُرْ
 مُزَقُوا في البلادِ شَرْقاً وغَرْباً
 لا يلاقي النسيبُ منهم نسيباً
 ليت شعري هل عَوْدَةٌ لي في الغنيمِ

وسُعادٌ تُجيبُ بالنَّوحِ جُملاً
 لا ولا حُرْمَةً تُشِيَعُ أهلاً
 فاقنحمنَ الجلاءَ حَقِلاً فَمَحْفَلاً
 رُطُومٌ غيرَ ذلك النَّسْبِ لِنَبِلاً
 عَصُلاً : ذابلاً ونَبِلاً ونَصِلاً
 نَ بجونِ الفلا مساكينَ عَزُلاً
 وتُشَقُّ البطونُ تُغسلُ غسلاً
 شاءَ قَدَومٍ ، عَمَّوا بذلك كُتلاً
 راحيلاً بالخلاصِ يَحْمِلُ رَحِلاً
 كان مِن سائرِ البلادِ وحتلاً
 طالباً عندهُ حَقُوداً وذَحلاً
 ناكساً رأسَهُ يُلاطِفُ نَذلاً
 ضُ مطايا الفِراقِ خَيْتِلاً ورجلاً
 يَسْكُبُونَ الدَّمْعَ هَطِلاً ووَئِلاً
 يَتَعَزَّى بهِ ولا الخيلُ خِلاً
 بَ إلى ما أطال شَجَوي أم لا ؟

١ ص : فرق .

٢ ص : ليونياً .

٣ ص : الظهور .

٤ ص : أحشأ قد .

٥ ص : خبث .

قوله « حين عادتُ به الديارُ قبوراً » يشبه من وجهِ قولِ أبي تمام^١ :
وما القَفْرُ بالبيدِ القواءِ بلِ التي نَبَتَ بي وفيها ساكنوها هي القَفْرُ
وأخذَه بعضُ أهلِ عصري وزاد فقال :
ثاوٍ بِحِمْنِصَ كَأَنَّمَا هي قَبْرُهُ لو لم يقاسِ بها صروفَ زَمَانِهِ
وقوله « ثم لا شَمْعَةٌ سوى أنجم » يَتنظرُ إلى قولِ محمد بن هانيء
الأندلسي^٢ :
وبات لنا ساقٍ يَقومُ على الدُّجَى بشمعةٍ صُبْحٍ لا تُقَطِّطُ ولا تُطْفَأُ
ويُروى « بشمعةٍ ليلٍ » ، وإنما أخذَه من قولِ أبي الحسنِ سُلَيْمانِ
ابنِ حَسَّانِ النَّصِيبِيِّ^٣ :
وإنَّ يَكُ لَيَلِنَا فِيهِ نَهَاراً فشمعةٌ بَدَدِرِهِ لَيْسَتْ تُقَطِّطُ
وربما توارَدَ مَعَهُ لِأَنَّهُ كَانَ مُعَاصِرَهُ ، لِأَنَّ أَبْنَ هَانِيءَ أَقْدَمَ مَوْتاً ،
حكى أبو عليّ في رسالة « قَرَاظَةِ الذَّهَبِ »^٤ أنه ماتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةَ .-

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٧٠ .

٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٨ .

٣ سليمان بن حسان النصيبى : أحد شعراء البيتية (١ : ٤٢٥) وهذا البيت لم يرد هناك .

٤ لم أجد هذا في قراضة الذهب ، فلعل ابن بسام وهم أولعل ما بين أيدينا من قراضة الذهب ناقص ؛ على أن كل المصادر التي ترجمت لابن هانيء جعلت وفاته سنة ٣٦٢ .

وقال ابنُ شَرَفٍ من قصيدةٍ وَصَفَ ما كان من صِيانَةِ الحَرِيمِ في
أوطانها ، ثم ما صارت إليه من الانكشافِ في الحيلِ والترحالِ ، ورُكوبِ
ظهورِ الخُطوبِ والأهوالِ ، يقول فيها^١ :

بعدَ خُطوبٍ خَطَبَتْ مُنْهَجِي	وكانَ وَشَكُّ البَيْنِ إِمهارَها
ذا كَبِيدِ أَفلاذُها حَوَلَتِها	قَسَمَتِ الغُرْبَةَ أَعشارَها
أَطافِلٌ ما سَمِعَتِ بالفِلا	قَطُّ فَعابَتِ الفِلا دارَها
ولا رَأَتْ أَبصارَها شاطِئاً	ثُمَّ جَلَّتْ باللَجِّ أَبصارَها
وكانتِ الأَسْطارُ آفاقَها	فَعادَتِ الآفاقُ أَسْطارَها
ولم تَكُنْ تَعَلو سَريراً عَلا	إِلاَّ إذا وافَقَ مِقْدارَها
ثُمَّ عَلَّتْ كُلَّ عَمُورِ الخُطَا	يَترَمي بِها الأَرْضُ وأحْجارَها
ولم تَكُنْ تَلحِظُها مُقَلَّةٌ	لو كَتَحَلَّتْ بالشمسِ أَشْفارَها
فأَصْبَحَتْ لا تَتَقى لِحَظَّةً	إِلاَّ بأنْ تَجْمَعَ أَطْمارَها

قوله « وكانت الأستارُ آفاقها » من الكلامِ الفَصيحِ ، والقلبُ المَليحِ .
ويُشبهه مَنحاه ، وإن لم يَكُنْ في معناه ، قَدَوَلِ الأَوَّلِ^٢ :

١ هي في التنف : ٩٩ نقلا عن معالم الإيمان .
٢ البيت لعبد الله بن الزبير الأسدي في الحماسة (شرح المروزي : ٩٤١) وزهر الآداب :
٤٠٥ ونسب في أمالي القالي ٣ : ١١٥ للكعبي بن معروف ، وانظر اللسان (سعد) والعموني
٢ : ٤١٧ كما نسب في أنساب الأشراف (٤ / أ : ١٣٤) لأيمن بن خريم (وفي ص :
60 من المصدر الأخير تخريجات كثيرة أخرى يتضح منها أنه ينسب في بعض المصادر
لفضالة بن شريك) .

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدَا

وكقول الآخر :

نديمي جارية ساقية^١ ونزهي ساقية^٢ جاريته

وله من أخرى^٣ :

كأني وأفراخي إذا الليلُ جَنَّتْنَا وبات الكرى يتجفوناً ويطرُقُ
حمامُ أضللتنَ الكورَ فضمَّتها تعجانسها حتى تراعى المفرق
إذا أفزعتهم^٢ نبوة^١ زاحموا لها ضلوعي حتى ودَّهم لو تفتتقُ
ويتصغرُ جسمي عن جميع احتضانهم فيثبَّتُ ذا فيه وذا عنه يزهدقُ
كأنهم لم يتسكنوا ظيلَ نعمةٍ لها بهجة^٣ ميلُ العيونِ ورونقُ
إلى أن غدوا قميءَ الفياضِ فتارةً تباعُ وفي بعض الأحياءِ تعتقُ
وطوراً على موجِ البحارِ كأننا قدئى قد وثقنا أننا ليس نغترقُ [٩٣]
ونحن نفوسُ تسعة^٤ ليس بيننا

نظم هذا من قول الفيلسوف^٣ وقد ركب سقمينة^١ فقال للملاح :
كَمْ غِلْظُ لَوْحِ سَقْمِينَتِكَ ؟ قال : إصبعان . قال فلنما بيميننا وبين الموت
إصبعان .

١ الأبيات في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

٢ المسالك : قرعتهم .

٣ ينسب هذا القول إلى أناخرسيس في صوان الحكمة : ٢٤٧ (ط . طهران) .

وقوله « إذا أفزعتهم نبوة » . ن . البيهقي ، بناءً على قول امرئ القيس ،
إلا أن الوجدَ لَدَعَهُ لَدَعَةً أنطقته بالحال ، وقولته السححر الحلال ،
فعلته كيف يفتت الأكباد ، ويفت في الأعضاء . وهو قوله ١ :

إذا أخذتها هزة الروح أمسكت
بمئسكيب مقدم على الهول أروعا

وقال من أخرى ٢ :

يا قيروانٌ ودِدْتُ أُنِي طائرٌ
أهاً وأيةُ آهةٍ تشنفي جوى
أبدتْ مفايحُ الخطوبِ عجائباً
زعموا ابن آوى فيك يعوي والصدى
يا بيدَ روضةٍ ٣ والشوارعُ حولها
يا أربعي في القُطبِ منها كيف لي
يا لوشهدتِ . إذا رأيتك في الكرى
لا كثرةُ الإحسان تنسي حسرةً
وإذا تجددتْ لي أخٌ ومُنادمٌ
« لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدهم
فأراكِ رؤيةَ باحثٍ متأملٍ
قلبِ بنيرانِ الصبابةِ مُصْطلي
كانت كوامين تحت غيبٍ مُقفلٍ
بندراكِ بصرخُ كالحزينِ المشكّلِ
معمورةٌ أبدأُ تغص وتتملي
بمعادِ يومٍ فيك لي ومن أين لي ؟
كيف ارتجاع صباي بعد تكهّلِ
هيهات تذهبُ علةٌ بتعلّلِ
جددتُ ذكر إخاءِ نخلٍ أوّلِ
يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعَلِ »

١ ديوان امرئ القيس : ٢٤٢ .

٢ منها خمسة أبيات في التنف : ١١٠ عن معالم الإيمان .

٣ روضة بالأندلس ، والشاعر يندب معاهده بالقيروان ، فلعل فيه تصحيحاً .

وهذا البيتُ بلحرير ؛ وإنما تضمّنه . وبعده قولُ جرير ١ :
لو كنتُ أحدَ رَ وشكَ بينَ عاجِلٍ لَقَمَنتُ أو لسألتُ ما لم يُسألِ
وقولُهُ « واذا تجددَ لي أخٌ ومُنَادِمٌ » من قول أبي تمام :
نقلُ فُوادكَ حيثَ شئتَ من الهوى ما القلبُ إلاّ للحييبِ الأوّلِ
وقال أبو الحسنِ الرضي ٢ :

ما ساعدتني الليالي بعدَ بيئِنِكُمُ
إلاّ ذكرتُ ليالينا بذِي سَلَمِ
وقال ابن شرفٍ من قصيدة ٣ :

كأنّ الديارَ الخالياتِ عرائسُ
وتُنكِرُ بُقياها الأسيرةُ حُسراً
إذا أقبلَ الليلُ البهيمُ تمكّنتُ
ولا سُرجٌ إلاّ النجومُ وربّما
يمرُّ عليها المورُ يسحبُ لُحفه
ويمتدّ عمرُ الصّوتِ فيها وربّما
فلو نطقتُ ما كان أكثرُ نطقِها
ألا قَمَرٌ إلاّ المقتنَعُ في الدجى
كواسدٌ قد أزلتُ بهنّ الضمائرُ
عواطيلَ لا تفشى هنّ السرائرُ
بها وحشةٌ منها القلوبُ نوافرُ
تغَطَّتْ فسدّتْ جانبيها الدّياجرُ
ولا كانسٌ إلاّ الرياحُ الغدائرُ
تجودُ مراراً بالكلامِ المقابرُ
سوى قولها أين انطليطُ المعاشرُ؟
فأين اللواتي ليلهنّ المعاجيرُ؟

١ ديوان جرير : ٩٤٠ .

٢ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ .

٣ منها ثلاثة أبيات في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وأحد عشر بيتاً في التنف : ٩٨ عن معالم الإيمان .

ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مخالطٌ ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مجاورٌ ؟
تُرى سيئاتِ القيروانِ تعاطمتُ ألم تكُ قدماً في البلادِ الكباثرُ ؟

ضجراً أبو عبد الله - عفا الله عنه ؛ وفيها يقول :

ترحلّ عنها قاطنوها فلا ترى سوى سائري أو قاطنٍ وهو سائري
تكشفتِ الأستارُ عنهم وربما^١ أقيمتُ ستورٌ دونهم وستائر
إذا جاذبتُ أستارها تبتغي بها لأقداميها سترأ تبتدتُ غدائر
تبيتُ على فُرشِ الحصى وغِطاؤها دوارسُ أسمالٍ زوّارٍ^٢ حقاير
فيا ليتَ شعرَ القيروانِ موطني أعائدةٌ فيها الليالي القصائر ؟
ويا روحتي بالقيروانِ وبكرتي أراجيعٌ روحاتها^٣ والبواكر ؟
كأن لم تكنْ أيماناً فيكِ طَلْقَةً^٤ وأوجهُ أيامِ السُرورِ سوافر
كأن لم يكنْ كلٌّ ولا كان بعضُهُ سيمضي به عصرٌ ويمضي المعاصير^٥

قوله « كأنّ الديار الخاليات » ينظرُ من وجهٍ إلى قولِ أبي تمام :

وكذاك لم تُفْرِطْ كآبةً عاطلٍ حتّى يُجاورَها الزمانُ بحالي

وقال ابن شرفٍ من أخرى :

١ يا قوت : من أهلها وكم .

٢ التفت : عليها

٣ التفت : روحاتها .

٤ التفت : وتمضي العاصير .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ١٣٢

سقى القصرَ فالمدانَ أخلافهُ مزنةً
على أنه مرميٌ ١ نبتت عنه أسهمي
أناديه والبحرُ المحيطُ مجاوبي
وقرطبةً ضمت إليها جوانحي
فزلنا [بها] لا نبتغي السّوقَ عندها
وأحيا ابنُ يحيى ميّتاتِ خواطري
أبا حسنٍ أحسنتَ بدءاً وعودةً
فلم يرَ بؤسٌ إذ وليتَ أمرَها
وكم لقيت حربَ الأزارقِ منهمُ
وراحت على الروحاءِ منها أفابقيُ
فلا حَزَّ لي في الأفقِ منه ولا فوق
ودوني خليجٌ منه أفيجُ مخروق
كما ضمَّ من عفراءِ عروّةٍ تعنيق
فما كان بدءاً أن أقيمت لنا سوق
وفسّحَ آمالي وكان بها ضيق
وللفصنِ إثمارٌ إذا كان توريق
ولا كسدت سوقٌ إذا التفتت السّوق
وكم زرقت في جانبيها المزاريق

قال ابن بسّام : وكثيراً ما يذكرُ ابنُ شرفٍ في شعره أحياءَ الأعرابِ
التي أخرجتهم من القبروان كبنِي هلالٍ [٩٤] وقرّة وزُغَبَة وهم الذين تولّوا
حرب بلده في التاريخ المتقدّم الذكر ؛ فمن ذلك قصيدةٌ أوّلها ٣ :

جُسومٌ على حُكْمِ العيونِ صحاحُ وفي طيِّ أحناءِ الضلوعِ جراحُ

يقول فيها :

إذا كان للأحبابِ رسلٌ فرُسلنا بروقٌ إلى أحبّابنا ورياح
ومن دونِ تلك الرُّسلِ أخضرٌ زآخرٌ أجاجٌ ومهجورٌ الفجاجِ فَيَياح

١ ص : مرعى .

٢ ص : إلا

٣ منها بيتان في معجم الأدباء ١٩ : ٤٢ وثلاثة في التنف عن معالم الإيمان .

وللسهمِ دون القبروانِ تسهّمٌ
 وقرّةٌ قد قرّتْ هناكَ عيونُها
 كأن لم يكنْ لي أمسٍ في عرصاتها
 يخيّلها زورُ الكرى لي في الدُّجى
 كُسيّتْ قناعَ الشيبِ قَبْلَ أوّانه
 ويا ربّ وجهٍ فيه للعينِ منزّهٌ
 وأهجره وهو اقتراحي من الورى
 وهذا مصراعُ بيتِ المعريّ ١ :

* والعذبُ يهجرُ للإفراطِ في الخصرِ *

وقوله : « يخيّلها زورُ الكرى » ألمّ فيه ابنُ شرف بقولِ العباسِ ابنِ
 الأحنف ٢ :

حتى أقول إذا استيقظتُ من أسفٍ يا ليتني كنتُ دهري راقداً أبداً
 وله من أخرى يمدحُ الأمينَ ابنَ السّقاء :

فيا أخويّ من أسدٍ وسعدٍ أحيّ حيّ زغبّةَ أم دفينُ
 فلا اشتملتُ مساكنها بشملٍ ولا هدأ القرارَ به سُكون

١ شروح السقط : ١٢٠ وصدّره: لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ؛ وقد كرر ابن بسام
 الاستشهاد به في مواطن .
 ٢ لم يرد في ديوان العباس .

ولا سَرَتِ الرِّياحُ على رِياحٍ ِ لو اِقْبَحَ مَزِنَةٌ اَنْتَى تَكُونُ
 فَقَدْ دَارَتْ عَليْنَا من رِحاها طَحَّحُونَ" كَلِما لاقَتْ زَبونُ
 فلا وِطَنٌ لَنَا اِلاَّ المِطايَا وِلاَّ المِاءُ طوراَ والسَّفِينِ
 لَعَلَّكَ اَياها البرقُ الِيمانِي اِذا كَشَفْتَ عَن خَبرِ تَبِينِ
 اَنِي وِكانَها عَقبانُ قومِ كَعَمَهدِي اَمُ خَلَّاتِ مِنْها الوُكُونِ
 وِبينَ قِبابِ صَبْرَةٍ والمِصَلِيِّ نُهِيََ ومَهاَ وِاسادُ وَعِينِ
 وِاجبالُ تَمورُ بِها المِداكِي وِاقمارُ تَميسُ بِها الغِصونِ
 وِقرطُبةُ اَعيدَتِ قِبرواناَ لَنَا لِمَنا دَهَتِ تَلِكُ الفِتونِ
 وِكيفِ يَضِيعُ مِثلي في مِكانِ يَكُونُ بِه اَبو الحِسنِ الِامِينِ
 اَيامِنُ اَنْ تَكُونِ النونُ راءَ وَقَدْ وَجِبَتْ لَه راءُ ونونِ

انتهى ما أخرجه من أخبار ابن شرف ، وتلوا ذلك بطرف من أخبار
 ابن السقاء مدبر الدولة الجمهورية بقرطبة ، ونشير إلى مقتله ، ونلمح
 بذكر أوله ، وكيف ارتقى من الخضيض ، إلى ذروة الجاه العريض ،
 حتى زاحم نجوم الأفلاك ، وملا صدور الأملاك ، وسارت عنه في السياسة
 أخبار ، مَحَتَّ أضواء الأسحار ، وعَطَّرَتْ أنفاس الأزهار .

جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي ، مدبر الملك الجمهوري

قال ابن حبان : كان أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف
 بابن السقاء قد كابد من شظف المعيشة في فتاة سنه ما لا شيء فوقه ، إذ

كان يعالجُ السَّقَطَ بسُوَيْقَةَ ابنِ أَبِي سُنْفِيَانَ فِي قَرْطَبَةَ بِبِضَاعَةِ نَزْرَةَ ، وَأَعْلَى مَا انْتَقَلَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِكْدَامِ تِلْكَ الْحَرْفَةِ الْإِسْتِخْرَاجُ فِي جِهَةِ الْأَحْبَاسِ ، وَرِثَاةٍ عَنِ وَالِدِهِ مُحَمَّدِ السَّقَّاءِ ، وَبِأَسْبَابِهَا خَدَمَ الْقِضَاةَ وَتَمَرَّنَ مَعَ الْفُقَهَاءِ ، وَهُوَ يَقْتَاتُ مَعِيشَتَهُ مِياوِمَةً ، وَيَأْوِي لَيْلَهُ إِلَى بَيْتٍ فِي دَوِيرَةِ وَالِدِهِ مُحَمَّدٍ بِجُوفَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، يَحَاضِرُ فِيهِ جَمَاعَةٌ لِإِخْوَةٍ لَا يَجِدُ بَيْنَهُمْ إِلَى مَدَى مَنَاقِبِهِ سَبِيلًا . وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ حَمَلَ الْأَمَانَةَ عَلَى كَاهِلِهِ ، فَوَضَعَهَا أَسْفَلَ رِجْلِهِ ، وَتَذَكَّرَ عَضَّ الْكِلَابِ لِعَصَاهُ ، فَتَحَوَّلَ جُرْدًا لِلسَّرْقِ وَالخِيَانَةِ ، وَابْتَنَى الْقُصُورَ الْمُنِيْعَةَ ، وَاقْتَنَى الضِّيَاعَ الْمُغْلِبَةَ ، إِلَى أَمْلَاكٍ لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

قال ابن بسّام : وقد رأيتُ ابنَ حَيَّانَ مَدَحَ ابنِ السَّقَّاءِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ، فَقَالَ فِيهِ فِي فَصْلِ :

وَصَارَ مِنْ الْمُنَاجِحِ لِلدَّوْلَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ أَنْ اسْتَعَانَ فِيهَا الْوَزِيرُ الرَّئِيسُ أَبُو الْوَلِيدِ جَهْوَرٌ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَمِينِ أَبِي الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، مُتَوَلِي النَّظَرِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ عَلَى قَدِيمِ الْأَيْتَامِ . خَادِمِهِ الْكَافِي الْمُنْقَطِعَ إِلَيْهِ ، وَتَصْبِيحَهُ الْمُتَهَالِكِ ٢ فِي طَاعَتِهِ . فَتَفَرَّسَ فِيهِ فِرَاسَةً مِثْلِيهِ ، فَقَلَبَهُ الْقِيَامَ بِأَعْيَابِ دَوْلَتِهِ ، فَأَصَابَ نَقَافًا يَخْدُمُ ٣ ، وَنَقَلَهُ فِيمَا يُرِيدُ عَنْهُ كَالسَّنَانِ اللَّسْتِمِ ، لِجُودَةِ اسْتِقْلَالِهِ ، وَرَجَاحَةِ وَزْنِهِ .

ثم ذكره بعد مقتله فقال : وهذه عَصْفَةٌ مِنْ عَصَفَاتِ الدَّهْرِ الْخَفُورِ ، الَّذِي هُوَ لِمَنْ أَصْفَى إِلَيْهِ أَنْصَحُ الْوَاعِظِينَ [٩٥] . قَصَفَتْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ

١ ص : وارثه .

٢ ص ، وتصبغه التهاك .

٣ ص : يحدث .

الظالم - كان - لنفسيه، الغاشم المصطنع، سرحة نواراة أطلال الباطل ممرعها
 من غيراسٍ أودع خضراء ديمنة : فتموه على أهل وقته بليانة كانت
 فيه سوقية ، وخلافة اجبيلية ، عصدتها جدد صاعيد رقاها من الخضيض
 إلى السها ، وحرسته إلى مددة اجتذبتته عند توفيتها أعرافه اللثيمة ،
 فتولتي ذمياً لسوء أفعاليه ، فلا سماؤه بتكت عليه ولا أرضه . وقد كنت
 كتبت من وصف ظاهر محاسنه أو ان اعتلاقيه بقهرمة أميرنا محمد بن
 جهنور ، وعددت من حسان خصاله ما لم يتعد عن الصدق عنه ،
 لأخذنا بظاهر ما تموه في العيون وقت بنائه لنفسه ، وتنفيقه لكساده ،
 من طأة الخلق ، وحسن الاحتمال ، ولين الحجاب ، وخيفة المواطاة ،
 وجودة الوساطة ، معرضين فيه عن ذكر ما لم يمكن لنا النفث عنه مما في
 باطنه من ندالة الخبيم ، ونطف الصحبة ، وثهمة الخلوة . وإذا به
 متخلت ليسمو إلى مراد أناله المقدار إياه ، فتنه من الله . فلم يلبث
 أن أدركه عيرق السوء ، واجتذبه إلى نصير طباعه ، فاستحال وتغير ،
 وعتا واستكبر ، وخان وغدر ، فاستخف المظالم ، واستهان الكبار ،
 واطرح الفروض ، واحتقر الخقوق ، واغترى بدوي الهيئات ، وحملة
 المروات ، فأذال صوتهم ، وأغرى غاشيته من سفلة الناس وأوغادهم
 بهم ، فأضرع جلودهم ، وحط أقدارهم ، وأشعر الأعرزة الذلثة ،
 وألصق أنوفها بالرغام ، وأصمتهما عن الكلام . فارتفع الأمر بالمعروف
 جملة ، ووسع أهل السلامة الدخول تحت التقيية . فصيرنا ممن
 أخذ بذلك في ذكره ، فيما كتبنا له من ظاهر أخباره مددة ستر الله
 عليه ، إلى أن ارتفعت بزوال سلطانه ، وأمان عدوانه ، ففارقنا

الحزْمُ! في ذكره ، ولتَزِمْنَا العُدْرُ عَنَّهُ بالنَّقْضِ لما أسلفناه مِن تَقْرِيطِهِ .

قال ابن حَيَّان : ولَمَّا رآه ولدُ ابنِ جَهْورٍ آخذاً بِحُطْطِ المُلْكِ أَجمَعِها ، ومَرَاتِبِ الرِّئاسَةِ بِكَلِيبَتِها ، وتَرَكْتَهُم أَعْطالاً ، وبَسَّطَ يَدَهُ إلى مالِ الخِراجِ واحتوى عليه ، يأخُذُه كيف شاء ، وَيُسْفِكُهُ فيما يُريدُ ، واصطنَعَ الرِّجالَ ، واتَّخَذَ الأصحابَ والغِلْمانَ ، فخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ ، وَسَمَّتْ لِيهِ الأمالُ . فَتَوَقَّلَ ذِرْوَةَ الإِمارةِ حالاً حالاً ، حتى ثَبَتِي الجُنْدَ والرعيَّةَ لِنَفْسِهِ ، وصَدَّتْهُم عَن لِقائِ أميرِهِم ابنِ جَهْورٍ . ولم يَسْتَحِ مِنَ اللَّهِ ولا مِنَ عبادِهِ في خَوْنِ أمانتِهِ ، ولا تَسْتَرَّ عَنِ الإِعلانِ بِغُلُولِ وديعَتِهِ ، وقد تَوَلَّى أمرَ السُّلطانِ وهو فقيرٌ فلم يَسْتَرَّ في الاكْتسابِ ، بل جاهرَ في التَّحاملِ على الجيرةِ والإِكراهِ للمستضعفينَ ممن يُصاقِبُهُ مِن ذوي خُطَّةٍ أو سُهْمَةٍ . له في كلِّ ذلك أمورٌ لا تُحصى كثرةٌ . ثم خَلَطَ لأوَّلِ ترقِيهِ في الرِّئاسةِ بأن أَخَذَ لِنَفْسِهِ جُنْدَ سَوءٍ ، مال به طَبَعُهُ الرَّذلُ إلى الاستظهارِ بِهِم على أَقدامِ الجُنْدِ بِقُرْطبةٍ ممن مَرَّ على الاستقامةِ ، فتخيَّرَ هو مِن أراذِلِ الطبقاتِ ومُنْصَاصِ شِرارِ الناسِ ، وانتقاهُمُ من أصنافِ الدَّعْرَةِ والدائِرَةِ والأسودِ والرَّقاصَةِ ، نَحَلَ مِنَ كلِّ طَبقةٍ مرفوضةٍ ما بعَثَ على الناسِ مِنْهُم ذِئاباً عادِيَةً ، وأعدَّهم ليومِ الكَريمَةِ فلم يُغْنُوا عَنْهُ شيئاً لَمَّا حاقَ بِهِ قضاؤُهُ . وكان قد أَقْفَرَ دارَ الخِدمَةِ بِقُرْطبةٍ وَنَقَلَهَا إلى دارِهِ ، فجعلتِ المَواكِبُ تَزْدحيمُ على بابِهِ ، ولم

١ كذا في ص .

٢ لم يأت جواب « لما » .

يوفقه الله لاختيارِ حاجبٍ لتبيبِ يعلوا^١ جماعةَ حجّابيه ، فيحميلُ له وجوهَ الناسِ ويرتبُ قعودهم بدليليه فيطعمهم بخروجيه أو يعتذرُ إليهم عنه بما يؤيسهم منه ، فيذهبون لسبيلهم مُعافين من سوءِ غلمانيه ؛ وما كانوا يلقونه إلاّ [في] [فصيلٍ فيه أقدام^٢ الرجال لسوءِ أدبِ حجّيته في حميلهم على الناس بعنفِ الردّ . ولربّما دقّوا الأنوفَ ونفّوا الشوّاربَ غيرَ مميّزينَ لطبقةِ الناس ؛ فحقّدوا عليه ، إلى اشتات^٣ من المساوىء نظّمها ، وأنواع من المخازي جمّعها . وألقى له على قلوبِ الناسِ رهبةً مع أضغان^٤ شَبّوا بها أصبغةَ مساويه^٥ ، والأقدارُ تدفعُ عنه ، إلى أن حاقت به فكبا لفيه . ولم يزل يرجع^٦ في مراتعِ الباطل ، ويلتبسُ على الناسِ أمرهم ، وصدّهم عن أميرهم ، وأخذَ اللهُ بسَمْعِهم وبصيرهم ، وتمثّل لهم بالحسدُ المُلقى على كرسيِّ سلیمان ، فعارتُ ألبابهم فيه ، وتاهت منه ، مِن وزيرٍ في قعودِ أمير ، وقاضٍ في مسلّاحِ جندي ، وفقهٍ على دينٍ يُحیی بالقول ويقتل بالفعل . فسُبّحانَ من سَوّاه من الأم^٧ طيّنةٍ فأمهله مُدّة . مِن رجلٍ عهبرِ الخلوّةِ لزُدهِ في النساءِ وكلفه بالغلّمانِ . واتخذَ داراً آخِرَ مُدَّتِهِ للخلوةِ بهم ، فكان لا

١ ص : يفلوا

٢ ص : أقدام .

٣ ص : الا اشتاتاً .

٤ ص : اضطغان .

٥ قد يفهم المعنى مجازاً ، بأن مساويه كانت مخضوبة فشبّتها أضغانهم أي أظهرتها بقوة التفضاد .

٦ يرجع : يتردد ، وقد تقرأ : « يرتع » .

٧ ص : ألم .

يَسْخِمْ فِيهَا [٩٦] وَلَا يَحْفُفُ بِهِ غَيْرُ خَاصَّةٍ غِلْمَانِهِ ، وَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ بِالِدُخُولِ إِلَيْهِ فِيهَا . فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَسَمَّوْهَا « دَارَ اللَّذَّةِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَسْجِيئُهَا فِي أَكْثَرِ النَّهَارِ عِنْدَ فِرَاقِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ فَيَقْضِي بِهَا رَاحَتَهُ . فَلِذَا جَاءَ اللَّيْلُ عَادَ إِلَى دَارِ سُكْنَاهِ الَّتِي فِيهَا أَهْلُهُ . وَمِنْ تَمَامِ الْعَجَبِ فِي شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمْ يَبْكَشْفُهُ وَلَا نَبَّشَ صَدَاهُ إِلَّا تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنْ بِيْطَانَتِهِ الَّتِي اخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الطَّبَقَاتِ ، وَذَلِكَ مَعَ هُودٍ فِي أَمْثَالِهِمْ : فَالصَّنِيعَةُ لَا تَزْكَو إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ :

قال ابن حبان : فلما قَطَعَ أموالَ الناسِ جُملةً عَن بَنِي جَهْورٍ ، وَأَخْلَى أَبُو بَتِّيمٍ مِنْ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، وَلَمْ يَدَعْ لِابْنِ جَهْورٍ مِنْ سُلْطَانِيهِ غَيْرَ التَّوْقِيعِ وَحَدِّهِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِيهِ وَحُجَّابِيهِ أَنْ يُنْذِعِي بِالسُّلْطَانِ ، فَكَانَ إِذَا رَكِبَ إِلَى دَارِ أَمِيرِهِ ابْنِ جَهْورٍ سَأَلَ سَائِلًا : أَيْنَ يَكُونُ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ حُجَّابُهُ : فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَيَجِئُونَ بِمَعْكَوسٍ مِنْ الْقَوْلِ يَمَجِّجُهُ السَّمْعُ ، دَانَ لَهُ النَّاسُ بِذَلِكَ عَنُودًا ، وَخَاطَبُوهُ بِالتَّهْمِ وَبِإِلِّ دَعَاءٍ وَمُكَاتَبَةٍ ، إِلَّا قَلِيلًا تَمَسَّكُوا بِالْمَرْوَةِ فَاسْتَبَوْا لَدَيْهِ مَقْتًا ١ : فَظَلَّ يَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ اسْتِكْبَارًا ، وَيُسَبِّطِينَ تَدْبِيرًا ، وَيُسَيِّئُ تَفْكِيرًا ٢ . أَخْبَرْتُ أَنَّهُ قَالَ [لَهُ] يَوْمًا بَعْضُ بِيْطَانَتِهِ عِنْدَمَا رَأَاهُ يَسْرُكِبُ مِنَ الْفَوَاحِشِ : خَفِّضْ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَيْنَا ؟ وَاللَّهِ مَا بِهَا كَتَلْبُ يَتَبَحُّ فَيُجْتَمَعُ إِلَيْهِ : وَمَا عَلِمَ الْحَائِثُ ٣ الشَّقِيُّ أَنَّ هُنَاكَ شَيْبَلَ أَسَدِ جَهْورِيٍّ قَدْ لَبَّدَ لِبَطْشِ

١ ص : معنى .

٢ ص : تفتيرا .

٣ ص : الحائن .

به وهو عبدُ الملكِ الأصغرِ من إخوتِهِ ، لم يَسْتَشِيرِ في الفَتَكِ به غيرَ نفسه ١ .
فلَمَّا كان في يومِ السَّبْتِ لسبْعِ بَقِيْنَ لرمضانَ سنةَ خمسٍ وخمسينَ أعدَّ
له رَجَالَةً في فصيلِ أبيه ، وأقام هو يَنْتَظِرُهُ ، وأرسل عنه رسولاً كان
أبوه يوجِّهه عنه . فلَمَّا وصل إلى بابِ ابنِ جَهْوَورٍ ومعه من أصحابه
الناشِبِينَ معه نَزَرُ يَسِيرٍ ، وأراد النزولَ على حَجَرٍ لاصِقٍ بالبابِ ، وإذا
بعبدُ الملكِ قد قام عليه بخنجرٍ أعدَّه له فضرَّبه ثمَّ خرج عليه الرَجَالَةُ المُعَدُّونَ
له وابتدروهُ كالصُّقُورَةِ بالسِّيُوفِ وحزوا رأسَهُ . وركب من حينه
عبدُ الملكِ وجعل رأسَهُ على رُحْمِهِ وطيفَ به البلدُ كُلَّهُ حتى انتهى إلى دارِهِ
« دارِ اللذَّةِ » ورمى رأسَهُ للعامةِ ، فعائتَ فيه ، وكسروا أنيابه وفتفوا
ليحيته ، فأصبح شأنُهُ عَجَبًا . واحتوى عبدُ الملكِ على تلك الدارِ وحازها
بما فيها ، وعلى أصاغيرِ غلمانِهِ : واجتاز على السَّجَنِ وأطلقَ مَنْ فيه .
وسمع أبوه محمدُ بنُ جَهْوَورٍ خبرَ الواقعةِ فخرجَ دهيشاً ، ورآهُ مُجَدَّلاً
فارتاحَ وتلهتَفَ ، وانتهر ابنَهُ وهو يُحاوِلُ تطويفَ الرأسِ ولم يَتَقَيَّفِ على
أبيه . وأمرَ ابنُ جَهْوَورٍ بسَتْرِ جَسَدِهِ في دِهليزِ الإصْطِطِلِ . وتقدَّمَ بإصلاحِ
أبوابِ المدينةِ ، وركبَ إلى المسجدِ الجامعِ وقد دخلَ الناسُ في السِّلَاحِ
وجاشوا جَيْشاً عَظِيماً ، وأبدوا بقتلِ ابنِ السَّقَماءِ سُروراً عَظِيماً ،
وأعلنوا بالشَّماتِ به وإقْداحِ القَوْلِ فيه .

وقعد ابنُ جَهْوَورٍ بالمسجدِ الجامعِ على كُرْسِيِّ المُصْحَفِ ، وبادر
المجِيءُ إليه لأوَّلِ الهَيْبَةِ الوَازِرُ الزَّمِينُ ، بقيةُ وزراءِ الفتنَةِ ، أبو إسحاقَ

١ من قول الشاعر :

فلم يستشر في أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً

ابن حمام عدو ابن السقاء كأنما أنشيط من عقال . وقتل ذلك اليوم
من حاشيته نحو مئتين وعشرين رجلاً . واعتصم أخوه بمنار المسجد
الجامع فنجا . وانطلقت أيدي الناس على [أتباعه] ^١ فنهبت دورهم .
ثم أمر ابن جهور بسوق رأسه وضّم إلى جسده ، ووُري في أخدود
خُدّ له بباب مسجد ابن السقاء في أطماره ، وهيل عليه التراب هيلًا .
وسلبت كسوة المسجد وثرياته ، وعُطلت فيه الصلاة ، فصار
ثوبًا ^٢ للثاوي .

فصل في ذكر الأديب الأستاذ أبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحُصري ^٣ واجتلابُ جملة من نظمه ونثره

وأبو الحسن هذا ممن لَحِقَتْهُ أيضاً بَعْمري ، وأنشدني شِعْرُه
غَيْرُ واحدٍ من أهلِ عَصري . وكان بَحْرَ بَراعة ، ورأسُ صناعة ، وزَعيم

١ بياض في ص .

٢ ص : ثاويًا ؛ والثوي : البيت .

٣ للحصري ترجمة في الجذوة : ٢٩٦ (بغية الملتبس رقم ١٢٢٩) والصلوة : ٤١٠ والسلفي
٦٣ ، ١١٠ ، ١١١ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومعجم الأدباء ١٤ : ٣٩ والوفيات ٣ : ٢٣١
رغاية النهاية ١ : ٥٥٠ ونكت الهميان : ٢١٣ وعبر الذهبية ٣ : ٣٢١ والشدرات ٣ :
٣٨٥ وقد ترجم له في المسالك ثلاث مرات ١١ : ٣٧٥ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ (والأخيرة منها
خطأ باسم علي بن عبد العزيز) ولم يأت في ترجماته بشيء ، وله شعر في نفع الطيب والمطرب
والحلة ٢ : ٥٤ وذكر خبره في الحلة ٢ : ٦٧ مع المعتمد وهو ينقل عن اللخيرة - وقد =

جماعة . طراً على جزيرة الأندلس مُنتَصَفَ المائَةِ الحامِيسَةِ من الهجرة^١
 بعد خرابِ وطنه بالقَيرِوان . والأدبُ يومئذٍ بأفئقنا نافقُ السُّوقِ . مَعَمُورُ
 الطريقِ . فَتَهَادَتَهُ مُلُوكُ طَوَائِفِهَا تَهَادِيَ الرِياضِ النِّسِيمِ ، وتنافسوا
 فيه تنافُسَ الدِّيارِ في الأَنسِ المُتَقِيمِ ، على أَنَّهُ كانَ فيمَا بَلَغَنِي ضَيِّقَ [٩٧]
 العَطَنِ ، مشهورَ التَّلَسَّنِ . يَتَلَفَّتُ إلى الهِجاءِ تَلَفَّتَ الظَّمآنُ إلى الماءِ .
 ولكنهُ طُويَ على غَرَّة^٢ ، واحتمِلَ^٣ بينَ زمانتهِ وبُعْدِ قُطْرِهِ . ولَمَّا خُلِّعَ
 مُلُوكُ الطَوَائِفِ بأفئقنا — حسبما شَرَحْتُ فيمَا تَقَدَّمَ من هَذَا المَجْمُوعِ
 وأوضَحْتُ — وأخوتُ تلكَ النجومِ . وطُؤِمِستُ من الشَّعْرِ الرُّسُومِ .
 اشتملتُ عليه مَدِينَةُ طَنْجَةَ ، وقد ضاقَ ذَرَعُهُ ، وتراجَعَ طَبَعُهُ .
 وله على ذلكَ سَجْعٌ ، يَتَمِجُ أَكثَرَهُ السَّمْعُ ، لم يَسْمَعْ نَقْدِي أن أكتبته .
 ولا رأيتني أن أرويته^٤ . وما أراه يَسْئَلُكَ^٥ إلاَّ سبيلَ المَعْرِي فيمَا انتحاه .
 وكان هو وإيتاه كما وصفَ العباسُ^٦ بنَ الأحنفِ :

= تقدم - . وتكرر هذا الخبر في المعجب : ٢٠٥ ، وكانت وفاة الحصري سنة ٤٨٨ (ووقع خطأ
 في غاية النهاية إذ كتب ٤٦٨) ومن الغريب أن ابن عسكرا حين ترجم له (ادباء مالقة :
 ١٥٧) عده من أهل سبتة . وقد قام الاستاذان محمد المرزوقي والحيلاني بن الحاج يحيى بدراسة
 عنه مرفقة بما وجد من رسائله وأشعاره وديوانه المعثرات واقترح القرينج (تونس : ١٩٦٣)
 ١ ذكر الحميدي أن الحصري دخل الأندلس بعد ٤٥٠ هـ .

٢ ص : عره . والتصويب عن ابن خلكان ؛ وطويت فلاناً على غره أي لبسته على ذحل .

٣ ص : واحتفل . والتصويب عن ابن خلكان .

٤ ص : ولا . . . أن أدربه .

٥ ص : أن يسلك .

٦ ديوان العباس : ٢٢١ ورجل الآداب : ١٠٣٣ .

هي الشمس مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزُّ - الْفُوَادِ عِزَاءً جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النَّزُولَ
أَوْ كَمَا قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ ١ :

دَعَا الْأَسَدَ [تَرَبُّصٌ] فِي غَابِهَا وَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَ أَنْيَابِهَا
وَمِهَاتٍ فِي قُدْرَةِ الْعَمَى ، أَنْ يَتَّجِعَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَلَا
بِتَقَارُبِ الصِّفَاتِ . تَتَقْتَرِنُ مَنَازِلُ الْمُوصُوفَاتِ :
أَكَلُ أَبِي ذُوئَيْبٍ مِثْلَ هُنْدَيْلٍ وَكُلُّ أَبِي دَوَادِرٍ مِنْ لِيَادِرٍ ؟

جملة ما أخرجته من نثر الحصري المكفوف ٢

فصل له من رقعة : السلام عليك أيها القاسب الثاني : والبعيد الداني ،
الراقي في سماء المعالي ، الواقى من دام الليالي . أول من عتدت ،
وأفضل من أعددت . ومن لا زال التنسيم في البكر والعشيات ،
يهدى إليه طيب التحيات . ومن جعلت وقاه . ولا عتدت لبقاه ،
فإذا كان الكريم سالما . كان الزمان مسلما .

١ ديوان ابن الرومي ١ : ٣٥٢ (عن الذخيرة) .
٢ أدرج الأستاذان المرزوقي والجيلاني هذه الرسائل عن الذخيرة في كتابهما : ٩٣ - ٩٩ ولم
يعتمدا أصلا آخر . ولذلك اكتفي بهذه الإشارة إليها .

وله من أخرى : وصل كتابك أبهى من الحلي والحلّل ، وأشهى
من القبول والقابل . وشي مرقوم ، ودُرّ منظوم ، وأنفاس عراقية^١ ،
ومياه دجيلية لا زعاقية :

فلو أني استطعتُ من ارتياحٍ لَطَرْتُ ببعضِ أجنحةِ الرياحِ
وكنتُ أطيّرُ لولا قصُ ريشي وكيف يطير مقصوصُ الجناحِ

كتابٌ كأخلاقِك لولا سوادهُ ، الهدبُ حروفُه والحدقُ ميدادهُ .
فاستقبلتُ منه قبيلةَ الحسنِ ، وقبلتهُ تقييلَ الركنِ ، وقلتُ لصحبي : اقرأوه
عليّ . فلما نظروه عجبوا من خطه ، وتعجبتُ أنا من لفظه وضبطه .
فتمنّوه بالنواظر ، ونزّهوني بالسمعِ والخواطر ، فكنتُ الأظفر ، وكان حظي
الأوفر ، إذُ بصرتُ بما لم يبصروا به ، من فنونِ العلمِ وضروبه .

قولتهُ : « فتمنّوه بالنواظر ، وتمنّهتُ بالسمعِ والخواطر » معنى
مُتداولٌ منقول ، وكأنته محلولٌ من قول الرّضي حيثُ يقول^٢ :

فاتني أن أرى الديارَ بعيني فلهلي أرى الديارَ بسمعي

وله فصلٌ من أخرى : والعيلمُ منهاج ، وسراجٌ وهّاج ، ما صديّ من
سقاءه صوبَ صفائه ، ولا عريّ من كسائه ثوبَ عرائه . ولا حاف عن الحقّ
لسانٌ من يرويه ، ولا خاف من الخلقِ جنانٌ من يحويه . هو الجوهرُ

١ ظن الأستاذان المذكوران قبل أن هذه الرسالة (لذكر الانفاس العراقية) موجهة إلى صديق
عراقي ، وهو ظن مستبعد ، لضعف الدلالة .
٢ ديوان الرضي ١ : ٦٥٨ .

استخرجته^١ أفكار الليالي من بحورها ، فالتقطته أبقار المعالي لبحورها ،
وجميع العلوم كمال ، والأدب منها جمال ، هو لسان النبي العربي ، صلى الله
عليه : فقيه يَلْحَن ، حِمَارٌ يَطْحَن ، وكاتبٌ غيرٌ أديب ، أشبهه الحيوان
بذيّب ، وشاعرٌ غير معرب ، أشبهه من بانٍ بمخرب ، ربّ وزيرٍ يعجب
الناس وهو صامت ، فإذا نطقت فكلُّ حاسدٍ به شامت :

وله من رقعة طويلة خاطب بها أبا الحسين بن الطراوة^٢ ، وجرت
بينهما هينات^٣ . قال في أولها^٤ :

يموتُ من في البلادِ طُرّاً من طيبٍ كان أو خبيثِ
فَمُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرِاحٌ منه كذا جاء في الحديثِ

ما حياتي بين الحيات ، وثباتي في الجميع أو الثبات ، وقد حانت وفاة
الوفاء ، وحانت صفات الصفاء ، وأرداني الزمان بأردانيه ، وأعياني بتقلب

١ ص : استخرجته .

٢ هو سليمان بن محمد بن الطراوة المالقي النحوي درس على أبي الججاج الأعلم وأبي مروان بن
سراج وتجهّز في بلاد الأندلس معلماً ، وله كتاب « المقدمات على سيبويه » وكانت وفاته سنة
٥٢٨ (التكملة رقم : ١٩٧٩ والذيل والتكملة ٤ : ٧٩ - ٨١ وتحفة القادم : ١١ والمغرب
٢ : ١٠٨ وبغية الملتبس رقم : ٧٧٩ وبغية الوعاة : ٢٦٣ ونفح الطيب ، وله أخبار وشعر في
معجم السلفي : ١٧ ، ٤٦ ، ٦٣ وأدباء مالقة : ١٨٨ وعميون التواريخ ١٢ : ٢٨٤ .
٣ هنالك صورة من هذه الخصومة بين ابن الطراوة والحصري في كتاب السلفي : ٦٣ وروى
السلفي عن أحد المالقيين قوله : « كانت بينهما منافرة ومناقرة ويهجو كل منهما الآخر » .
وقال ابن عبد الملك : « وكانت بينه وبين الأستاذ أبي الحسن الحصري مخاطبات نال كل
واحد منهما فيها من صاحبه » .

٤ البيتان في التكملة : ٤١٩ والنفح ٢ : ١٥٤ .

أعيانه؟ الجاهلُ هو الحاذي ، والعالمُ مَبْخُوسُ الأَحَاطِي ، والغاوي مَتَقْبُولُ الدَّعَاوِي . وما أبعَدُ الخَيْرَ مِنَ العَبِيرِ ، والكَيْسَ مِنَ التَّيْسِ ، والفضْلَ مِنَ الفَسْلِ ! إذا كانَ الجَاهُ لِلْجَاهِلِ ، والبَاسُ عَلَى البَاسِلِ ، والمنَافِقُ هُوَ النَافِقُ ، وصَوَّحْتَ المِرَاعِي ، وقَتَلَ المَسَاعِدُ المِرَاعِي ، فَمَا دَهْرُ مَا أُسْهَكَ ، وَيَا مَوْتُ مَا أُشْهَكَ ، المَنِيَّةُ هِيَ الأَمْنِيَّةُ . فَالْبَرُّ بَائِرٌ ، وَالْحَرُّ حَائِرٌ . بَيْنَ أَخَوْنِ الإِخْوَانِ ، وَأَجُورِ جِيرَانِ ، إِنْ وَصَلَهُمْ صَرْمُوهُ ، أَوْ سَأَلَهُمْ حَرْمُوهُ . وَإِنْ أَجَابَ بِالصَّوَابِ :
قالوا أخطأ في الجواب [٩٨] .

ومِمَّا أَضْحَكُنِي مَلءُ فِيَّ ، وَأَطَاشُنِي وَلَيْسَ الطَّيْشُ فِيَّ ، هَذَا المُنْتَحَوِي المُنْتَحَوِي : سَقَطَ إِلَى دَانِيَّةٍ ، وَطَمَعَ فِي الأَجَادِلِ ، وَإِنْ كَانَ أضعِفَ مِنَ العِنَادِلِ ، فَعَادَ ذَمْرًا ، وَإِنْ كَانَ زَمْرًا ، وَبَعَثَ رَسُولَهُ لِي يَقُولَ : كَيْفَ تَكْتَفِ نَقْرِي^٢ ؟ فقلتُ : إِنْ كَانَ الجُنُونُ دَاءً فَالْكِي يُبْرِي . وَنَظَّمْتُ قَصِيدَةً سَمَّيْتُهَا سَهْمَ الشَّهْمِ ، وَضَمَمْتُهَا مَسَائِلَ لَا تَخْفَى عَلَى أُولِي الفَهْمِ :
فَمَا بَدَّغْتَهُ حَتَّى دَمَغْتَهُ ، وَأَلْقَاهَا كَأَنَّهَا حَيَّةٌ لَدَّغْتَهُ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَأَمَّا زَعَمْتُهُ أَنِّي لَمْ أَدْرِ اسْمَ سَيَبُويَه فَمِنْ مَضْحَكَاتِ الدَّهْرِ ، أَمَّا كَفَاهُ خَطَأَهُ فِي الآيَاتِ وَالآبِيَاتِ حَتَّى تَعَرَّضَ لِعَرْضِي غُرُورًا : ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ لِفُكِّ افْتِرَاهُ وَأَعَانَتِهِ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ (الفرقان : ٤) ، فَقَدْ جَاءُوا ظَلْمًا وَزُورًا . أَنَا الَّذِي سَبَقْتُ الشُّعْرَاءَ ، وَفَضَّحْتُ فِي المِحَافِلِ الوُزَرَاءَ . فَلَوْلَا ذِ بَسُورِ حَلْمِي لِحَمِيَّتِهِ ، وَلَوْ غَاذَ بِنُورِ عِلْمِي لِهَيْدِيَّتِهِ : أَيُّهَا المَمُوءُ بِجَهْلِهِ ، وَالمُدَّعِي العِلْمِ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ ، سَتَكُرْتُ فَصَّحُوكَ لَا يَجْدِيكَ^٣ .

٢ لم أعتد للمعنى هذه العبارة .

١ ص : أخوين .

٣ ص : يحومك .

اعترف بذنبك قبل صرَعك على جنبك ، فيدحض^١ حجاجك ، وتطمس
محتاجك ، إلام تلجأ فتاوي ، إذا نفذت فيك الفتاوي ؟ ! وكأني بمن ضمك
قد ضامك ، وبمن لملك قد لامك ، وبمن حلاك ، قد خللك ! الحقائق واضحة ،
والمخارق فاضحة . تشبّه بالحصي^٢ ، أما يُدرى الفحل من الحصي ؟ !
مثّل العالم والجاهل ، مثلُ الناهقِ والصاهل :

وليس يصح في الأفهام شيء^٣ إذا احتاج النهار إلى دليل^٤

وزعم هذا الأهوَجُ الأعوج أنه لم يعرف رسمي . ولا سمعَ باسمي ،
كأنّما ولدَ بالأمس ، أو بُعثَ من الرّمسِ ، أو عمي عن الشمس ، لو
علمَ قدرَ نفسه لم يتجهل العَلَم . ولو أراد السلامة لألقى السَلَم .

وفي فصل منها : يا مَهْموس ، أنا الطاء وأنت الهواء ، فلست من طباق ،
كم بين همسِك وإطباقي ! لو زرتَ نقران^٤ ونجران^٤ ، لألفيتَ ذكري
قد علا . وشِعري قد غلا . ما اغتابني في غيب ، إلاّ ذو عيبٍ وخيم ، مع
لؤمٍ معلوم^٥ . ولولا بدؤك بالنجّه ، لما كبّبتك على الوجه . وكنت فيما
تظن نوراً فكسفتك ، ومستوراً فكشفتك : وما استوعبتُ خطأك ولا اصتقصيته ،

.....

١ ص : فتدحض .

٢ ص : بالخاصي ؛ والحصي : الحصيف الشديد العقل .

٣ بيت للمتنبّي ، انظر شرح المكبري ٣ : ٩٢ .

٤ ص : نقدان ؛ ونقران في ديار بني تميم ؛ وإذا كانت نعوان فهي في ديار غطفان ، وإذا
كانت قران فهي في اليمامة (وأرجح الأخيرة لأنها أشهر) .

٥ ما اغتابني . . . معلوم : هذه العبارة وردت في إحكام صنعة الكلام : ٢٥٠ وكتبت هناك :

« ما اغتابني في عيب إلا ذو عيب وخيم مقيم مع لؤم معلوم » .

ولو رمتُ عدده ما أحصيته ، وهل شعركَ إلاّ كنعوكَ ؟ ! وما أبرَدَ الهواءَ
من نحرِكَ ، ألسنَ المنشدِ في الحجابِ أبي حَكَمٍ^١ :

أبا حَكَمٍ فُتَّ الملوكَ جلالَةً فكلتهم فاسَ المخافَةِ عالكُ

لو زدتَ الباءَ في فاسك ، لكان أشبه بأنفاسك ؟

وله من أخرى إلى الأديبِ غانمٍ^٢ بمالقَةِ : أبي صرفُ القضاء ، وشبيهه
لسانِك في المضاء ، ونظيرُ^٣ صدركَ ويديك ، في سعةِ المعروفِ والعلومِ
لديك ، أن أكونَ من زوَّارك ، فأقبسَ من أنوارك ، وأقطفَ من أنوارك ،
يا لبابَ أولي الألباب ، يا سلسبيلَ أبناءِ السبيل :

فارقتني وأنا والشوقُ إلفان فاسأل رسولك عني كيف ألفتاني
قبلتُ كتبك من فطرطِ الهوى قبلاً أقلهن إذا عددت ألفتان

ولما شققتني بفُركِ الأثيرِ ، ورقتني بدُركِ النثيرة ، ذممتُ عبدَ
الحميد ، ومحمدَ بنَ الحميد ، وأنشدت :

لقد فاتَ في نثره غانمٌ بديعَ الزمانِ وقابوسه
وروى الظمائمَ بماءِ النعيمِ فلا عيشَ إلاّ وقى بوسه

١ ورد البيت في القسم الأول : ٨٤٢ .

٢ هو غانم بن وليد المخزومي ، ترجم له ابن بسام في القسم الأول : ٨٥٣ وأورد له رسالة
إلى الحصري أيضاً ص : ٨٥٦ .

٣ ص : ويفير .

وكنْتُ - أبقاك الله منهلًا عذبًا لأودائك ، ومنصلاً عنضباً على
أعدائك - صنعتُ قصيداً يُحيي الطَّرب إذ كان [ميتاً] ، فيه تسعة^١
وتسعون بيتاً ، وكنْتُ كُتبتُهُ ، فلم أجدهُ إذ طلبتُهُ ، وفكرتُ الآن فيه ،
فلم أحفظُ غيرَ قوافيه ، وهذين البيتين :

تحيّتي وسلامي على الأديبِ البليغِ
المُرْتدي بالمعالي والحليمِ قبلَ البُلُوغِ

وأنا ربُّ القريضِ الجيّد ، لأني أقولُ في الأديبِ السيّد^١ :

مِن طينِ طُوبى خُلِقْتَ فَدَاً فَأنتِ في ذا الورى غريبُ
بُدَلتِ النونُ فيكَ باءً فالناسُ طينٌ وأنتِ طيبُ

وله من أخرى إلى أبي الفضل بن حسّداي^٢ شاكياً بصهره ابن عيَّاش^٣
اليهودي : سيّدي الذي حُتِمْتَ عليه المِنح ، فَخُتِمْتَ به المِدَح .
حَفِظَ اللهُ عَلاك حَفِظَ سَمائِه ، وأعاذك من العَينِ بِأَسَمائِه . بِحُسْنِ
أوصافك ، احكُمُ بإنصافك [٩٩] أترضى لِصِهْرِكَ المُشْرِفِ ، بأخلاقِ
البخيلِ المُشْرِفِ ؟ قصدتُ بالرّهانِ للسَلَفِ ، فعدتُ بالدّهانِ والصَلَفِ ،
وسألْتُ في الزّمانِ ، فأعطيتُ عطاءَ الزّمانِ ، وأنا شاعرُ الزّمانِ ، فأحطّ ،
فما رفعُ^٤ أو حَطّ^٥ ، ولا بدّ أنْ أنشدَه لأرشدَه :

١ ورد البيتان في إحكام صنعة الكلام : ٢٤٦ .

٢ وردت ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٧ .

٣ ص : عباس .

٤ ص : ختمت .

٥ ص : فارفع .

أيتها المشرفُ حاشا لأولي الرأي الخطاءُ
لا تنقلُ ما بيدي ما ل ولا عندي عطاءُ
ببيتُ أموالِكَ بحرٌ ما على البحرِ غِطاءُ
أحمدُ غيرُ عليّ حين يشندُ الوصاءُ
هل هما في الهمسِ والإطِ باقٍ إلاّ ما وطاءُ
وكذلك الخييلُ من هـنّ سراعٍ وبطاءُ

وصديقك إن لم يات ، فابسطُ عُدْرَه بهذه الأبيات :

عِرْفانُ عرفك شاقني فلو استطعتُ لساقني
ما بالُ صِهْرِكَ صدّني وإلى سنّاك أناقني
وأنا الرّحيقُ سقيتهُ فاسألُهُ كيف أراقني
ولقد حلوتُ وليتي ولقد كنتُ رَحْبَ الصّدْرِ حة
هو عَمَقَني وبَرَرْتَنِي هو عن لقائك عاقني
لاني أخفُ على [الوزي] ر [ولو ثَقُلْتُ لطاقني
نَفْسِي فِداؤك يا أبا ال مُضِلِ الذي قد راقني
أحببتهُ وأحبني فاشتقتهُ واشتاقني
من سال عنك أحبتهُ ما فَمَقْتُهُ بل فاقني

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى
النسيب وما يتشبه به

أغيدُ ريتانُ بماءِ النعيمِ ألبسني السقمَ بلحظِ سقيمِ
قد خَطَّ بالمسكِ على خدِّه ما الحُسنُ إلاَّ لأديمي أديم
يا عاذلاً يحسبني مثلهُ لا تحسبِ السالمَ مثلَ السليمِ

وقال :

وهبتُ قِوايَ للحدقِ الضعافِ وإن كانتِ بسفكِ دمي تكافي
فكان الضعفُ قوتها علينا وهل ذا الطبعُ إلاَّ في السلافِ ؟
شغلنا عن مُساعدةِ اللواحي بشاغلةِ الحجيجِ عنِ الطوافِ
خضبتُ الشيبَ أهدعها فقالت تشبَّهتِ الحمامةُ بالغدافِ
فقلتُ صدقتِ لمْ أنكرتِ مني وأنتِ عنيفةُ نبتِ العفافِ ؟
فقلتُ بيننا في الشيبِ خُلْفُ ويُفتينا بمسألةِ الخلافِ
ولمّا أيسعتُ رُماتِها ونادى الوصلُ حتّى على القِطافِ
تأذتُ فيهما بقمي فقالتُ شمائلُ عاشيقِ وفَعالِ جافِ

١ ص : سبت ؛ وقد تقرأ « نسب » .

قوله : « تَشَبَّهتِ الحِمامَةُ بالغِدافِ » كقول القائل ١ :

يا أيتها الرجلُ المُسَوِّدُ شَعْرَهُ ٢
أَقْصِرْ فلو سَوَّدتَ كلَّ حِمامَةٍ
كَيْما يُعَدُّ بِهِ مِنَ الشَّيْبَانِ
بِإِضْماءَ ما عُدَّتْ مِنَ الغِربانِ

وما أُمَاحَ قول أبي بكر الخالدي ٣ :

ما كان يَنْفَعُهُ لَدَيَّ شِبابُهُ
فَعِلامَ يَنْجَهِدُ نَفْسَهُ بِخِضابِهِ ٤

وقال الحصري :

مَنْ لي بِظِجْرِ جَناهُ مَعسُولُ
أَقْرَأُ في خَدِّهِ كِتابَ هَوَى
دَمِي بِدَمِي عَلَيهِ مَغسُولُ
أَنَّ دَمَ العاشِقِينَ مَطْلُولُ
حُسامُ عَيْنِكَ مِنَ فُتُورِهِما
كَأَنَّهُ مُخَمَدٌ وَمَسْئُولُ
أَغْمَدُ وَسَلُّ لَيْسَ لي وَزَرٌ
أنا على الحالَتَيْنِ مَقْتُولُ

وقال :

رُدِّي حُشاشَةَ عاشِقٍ مَهجورِ
لِلوَلِيِّ المَنْظومِ في فَمِكَ انبَرَّتْ
بَيْنَ المَلُومِ عَلِيكَ والمَعذُورِ
عَبَّراتُهُ كَالوَلِيِّ المَنْشُورِ

١ نسبا لابن الرومي في أمالي القاضي ٢ : ٢٨٢ والشريشي ٢ : ٣٤ وقال ابن رشيق في القراصة :

٤٦ - ٤٧ البيت الأول لابن الرومي والثاني لعبد الملك بن صالح ، ارتجل ابن الرومي بيته

واستجازه .

٢ القراصة : يا من يسود بالخضاب مشيبه .

٣ لم يرد البيت في ديوان الخالدين الذي جمعه سامي الدمان .

٤ ص : وزراً .

ذَكَرَ الفِرَاقَ فَمَاتَ إِلاَّ شوقَهُ
 ودَعَتْ مَنَ أهوى بلِ اسْتَوْدَعْتُهَا
 فبَكَتْ بِسُرْجِسْتَيْنِ خَفْتُ عَلِيهَما
 قالت : أترحلُ والأحبةُ هاهنا
 قالت : متى الرَّجعى فقلتُ : إذا انتهى
 وعسى مُفَرَّقنا سيجتمعُ بيننا
 ولئنُ أبى مِنُ تَعَلَمينَ فربُّما
 لا تَجزَعى من نَكبَةِ الدُّنيا وإنُ

وأولُّو الهوى مَوْتى بغيرِ قُبورِ
 قلبي وسيرٌ مَدَامعى وزَفيرِ
 نَفْسى فلم أَلَمُ بغيرِ ضَميرِ
 قلتُ : القضاء كما علمتِ ضرورى
 مَقْدورُ رَبّى ، مُقَدِرُ المَقْدورِ
 إنَّ العسيرَ عليه غيرُ عسيرِ
 حدثتُ أمورٌ لانتقاضِ أمورِ
 ساءتُ فربُّ مَسَاهةٍ لسرورِ

وله في غلام كان يُسمّى هارون ٢ :

يا غزالاً فَمَتَنَ النَّاسَ
 أنتَ هاروتُ ولكنُ
 سَ بعينيهِ فَمَتُونَا
 صَحَّفُوا تَامَكَ لُونَا

وقال ممّا ذَهَبَ به مَذْهَبَ أبى الفتح البُستى صاحب الطريقة الأنيقة
 في تجنيسِ القوافي :

أصبحتُ مَفْتُوناً بكمُ مُدُنْفَاً
 يا أَمَلِحَ النَّاسِ وَحَقَّ الهوى
 وإنما بُرئى لى فاتحى
 لو كان لي الحُكْمُ لما فاتحى

١ ص : مقدور من يقدر للمقدور .

٢ البيتان في المسالك ١١ : ٤٥٥ والمطرب : ٧٥ والخريدة ٢ : ١٨٦ ومختارات ابن الصيرني

وقال : [١٠٠]

رأبته عيلتي ضنني فأتاني عائدأ في يديه^١ [لي] ياسمين
فتفاهلنت أنه قد تهدي لهزالي فقال لي يا سمين

وقال^٢ :

رُبَّ ظنبي هويته يستمي للهوازنة
فلت ما أثقل الهوى قال ما للهوى زنة

وقال :

إن كتمت الهوى فقد صار سيري علانية
لستقام أذابني وشحوب علانية

وقال :

فكرت في خلق الوري فاستوي عندي عبيد وسلطين
أصل الفريقين - ومن أجل ذا قلبي عن الهم سلا - طين
وكان سأل بعض الملوك أن يكسوه ومطله ثم أعطاه قمحا مسوسا ،
فقال فيه :

يُريدُ سياسةً من لا يسمي وطبع فيه بأبي أن يسوسا
سألتُ كسبي فمتاني بقمح وأعطاني مكان القمح سوسا

١ البيت مضطرب في ص : رأبه على ضني فأني . . . يده ياسمين .

٢ هذه القطعة والتالية في الشريشي ٥ : ٢٤٠ .

وقال أول جوازه إلى الأندلس^١ :

في كل أرضٍ مَوطُنٌ يُعرَفُ فيهِ جاهُنَا
ولنمّا ألجأنا إلى هنا إلهنا

وقال :

يا مَنْ تكحلّ طَرَفُها بالسحرِ لا بالإميدِ
نفسِي كما عندَ بئسِها وقتلتها بالإمِ دِي

وأشدد يوماً بيتَ المعرّي :

ياقوتُ يا قوتِ روحي ياقوتِ روحي براحِ براحِ

وفيه ستُّ كلماتٍ مُتجانساتٍ على قِصرِ عرْوِضِهِ . وكُلِّفَ تديبته

فقال :

أوفاكِ أوفاكِ رِقِي بِطاحِ بِطاحِ

فقيل له لو ذبَلتَه ببيتٍ فيه ياء النداء ، كما في بيت أبي العلاء ، فقال :

يا زورُ يا زورُ فيها فيها نواحي نواحي

وقد قلتُ فيما تقدّم من تأخيصِ التعريفِ بنجرِ الحُصري إنّه اتبع
المعرّي في سلوكِ هذه المسالك ، فضلًا عنها هناك . على أنّه لا يتفق
لأحدٍ لضيقِ هذا الباب ، أكثر من الوزن والإعراب .

١ وردا في الريحان والريمان ١ : ١٤١ / أ السمتد وكذلك في النفع ٤ : ٢١٢ (مع اختلاف
في الرواية) وانظر الشريشي • : ٢٨٠ .

وله في المديح

قال :

ظَمِئْتُ وَمُنْهَيْتُ الْمَدَامِعِ مِنْهَلِي
عَلَى سَلْسَلٍ مِنْ ذِي غُرُوبٍ وَإِنْ غَدْتُ
فِيَا نَعْمُ وَاوَاكِ التَّعِيمِ فَأُنْعِمِي
مَحَلَّتْ لِرَبَاتِ الْخُدُورِ^٢ بِمَا جَنَّتِي
وَمَا صَامَ مِنْ خَصْرِ لَهْنٍ مُخَفِّفِ
وَمَا وَرَدَتْ مِنْ أَدْمُعِي بِمُورِدِ
وَمَا شَاقَنِي مِنْ شَقِّ جَيْبٍ وَمَدْمَعِ
لَأَنْتِنِ أَشْفَى لِلْسَّلِيمِ مِنَ الرَّقْمِي
وَإِنْ يَكُ دَهْرِي ضَمَّتِي ثُمَّ ضَامَنِي
هُمَامٌ إِذَا [مَا] هُمْ بِالْأَمْرِ فَاْمَتَطَى

وقال من أخرى :

عَلَى الْعُدْوَةِ الْقُصُورَى وَإِنْ عَفَتِ الدَّارُ
وَحَقُّ بُكَاءِ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مُسْعِدٌ
سَلَامٌ غَرِيبٍ لَا يَتَوَوَّبُ فَيَزْدَارُ
لَمَنْ بَاتَ مِثْلِي لَا حَبِيبٌ وَلَا جَارُ

١ ص : معالي القوافي .

٢ ص : الحدود .

أعادى على فضلي وأستصحبُ العدا
مدىحي هجاءً وابتسامي تجهتهم
ولم أرَ مثلي فاضلاً يتنقصونته
عزيزٌ علينا أن نُقيمَ بذلته
شفتى الله داءَ القيروانين بعدنا
وكيف غناء الطير في غير أبنكها
ولنتي لأولى بالبكاء لآنتهسا
ألا يا برؤوقاً لُحْن من نحو صبرة
عسى فيك من ماء الحنيتات^٢ شربة^١

ولي حسّيناتٌ عندهم هي^١ أوزار
وشكوايَ كفرٌ واعترافي إنكار
بلى قلتما يخلو من القرص دينار
فليت حشايانا الوطيفة أكوار
فقد مريضت للقيروانين أبصار
وقد بعدت منها فبراخ وأوكار ؟
تطير إذا اشتاقت وما أنا طيطار
وليس لها إلا دموعي أمطار
ولو مثل ما يوعي من الماء منقار

ومنها يعتذر ممّا كان قُرفَ به :

أصيبَ قَصِيدٌ فيه كُفْرٌ فنيطَ بي
ومن كلِّ كَفِّ قد رُميتُ بصخرةٍ

وله من أخرى في المعتمد :

أعَنَ الإغريضِ أمَ البَرَدِ
ضحكَ المتعجبُ من جددي

يقول فيها :

١ ص : وهي .

٢ ص : الحبيات .

يا هاروني الطرفِ تَرَى
فقطعت الأسدَ بلا أسلِ
رَشاً بصطادُ الأسدِ وكممُ
واهاً بلحديدِ منك وهى
رُضتُ الأيتامَ جِوامِحِها
وبلستُ الناسَ فليستُ أرى
القومُ بحسارٍ مسجورا
لم يعدمُ واردةً دُرّاً الـ
أبني عبادِ ما حسنتُ
نقدَ الكرماءِ الدهرُ معي
وقضى لكمُ بالفضلِ على
دانتُ بـغدادُ لقرطبةِ
سمِعُوا برشادِ فتى لخصمِ
قرأوا شعرَ اللخميِّ فلمُ
يا فترعَ المنذيرِ والتعما
طُفِشتُ أنوارُ أميةَ في
نافستَ بقصرهمُ إرمأ
مُرُ وافتتحُ باقيَ أندلسِ

نَمِشتُ [الحافظك] في العقدِ
عبثاً وقتلتَ بلا قودِ
رامتهُ الأسدُ فلمُ تصيدِ
وشبابِ بان فلمُ يتعدِ
وكففتُ اللدَّ عن اللدِّ
كئبي عبادِ مينِ أحدِ
ت^١ محفوفاتُ بالزبدِ
آدابِ ولا دُرّاً الصَّفدِ [١٠١]
إلا بكمُ الدنيا فقصدِ
فتخييركمُ في المنتقدِ
من في أدنى أو في البعدِ
وخلائفها للمعتدِ
فنفوا هارونَ عن الرشيدِ
يرضُ المعتزُ عن الوليدِ
نِ بلغتِ النجمَ فطلُ وزدِ
قصرِ الخلفاءِ فقلتُ قيدِ
فكانَ أميةَ لم تبشيدِ
ما في صبيبِ أو في صعدِ

١ ص : مسجورات الجود .

٢ اللخمي هو المعتد نفسه ، والشاعر هنا يشير إلى أنه أشعر من ابن المعتز العبّاسي .

عبد الرحمن^١ ولي خمسين وأنت تزيد على العددِ
 لو أن الأرضَ بلا جبلٍ وعليها حيلمك لم تميدِ
 بشارٌ أمك مُمْتَدِحاً فأنس بغرائبه الشرْدِ
 يَكْبُو عبودٌ في خببي فالعيرُ وراءَ المنجردِ^٢
 ولعلَّ بلادك لي وطنٌ فأحطَّ الرَّحْلَ عن الأجدِ
 وأقابلَ منك سنا قمرٍ لو قابلته الأعمى لهدي

وله من أخرى : وهي من أعلى حُجَجِه ، وأجلى سرجِه ، أنشدها
 أحمد بن سليمان بن هود المتلقب - كان - من الألقاب السلطانية
 بالمقتدر حين غلب علي بن مُجاهدٍ على دانية^٣ :

كذا تَقْتَضُ^٤ أبكارَ البلادِ ولا مَهْرٌ سوى البيضِ الحِدادِ
 هَدَيْتَ العسكرَ الجَرَّارَ ليلاً فأهديتَ الظِّبَاةَ إلى الهوادي
 ملأتَ به الفِضَاءَ فضاءَ ليلٍ حَتَّى فِيهِ الظِّبَا شِكلَ السَّوادِ

١ عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي بالأندلس ولي خمسين سنة (٣٠٠ - ٣٥٠) .
 ٢ عبود : قد يكون اسم فرس (وفي خيل العرب عبيد) والأرجح أنه اسم رجل ، والاندلسيون
 - كما يقول أبو حيان الخباني في الثغفار - يسمون عبد الله عبوداً كما يسمون محمداً «حموداً»
 (بغية الوعاة ١ : ١٤٧ تحقيق الأستاذ أبو الفضل إبراهيم) ، والحب ، نوع من السير ،
 كما أنه اسم البحر الذي استعمله الحصري في هذه القصيدة ، فهو يقول إن عبوداً لا يستطيع
 أن يجاريه في هذا البحر ، بل يقصر عنه كما يقصر العير (الحمار) عن الفرس العتيق (منجرد
 قيد الاوابد) .

٣ منها أربعة أبيات في أدباء مالقة : ١٥٨ .

٤ ص : يقتص ، والتصويب عن ابن صكر .

وما أقبلتَ إلاَّ بعدَ ما قد
وكان مرَامُ دانيةٍ عزيزاً
فأثرتَ العوالي في المعالي
كانَ سيوفك الأقدارُ تجري
ومثلك ممن جنى ثمرَ الأمانِ
تشاغلتِ الملوكُ بمن دهاها
بنك اللهُ للإسلامِ حصناً
وتنهضُ والثقلُ عليك خيفاً
وكيف يُنافسونك في المعالي
فتحتَ معاقلاً لو أبصروها
وفي سرِّ قسطةٍ لك دارُ مُلكٍ
ورأيتك في الإدارة لو رآه
لقد أربتُ سيوفك يومَ سألتهُ

سَقَيْتَ الثَّغْرَ مِنْ ثَغْرِ الْأَعَادِي
فَهَانَ عَلَى الْمُسَوِّمَةِ الْجِيَادِ
وَأَثَرْتَ الصَّلَادِمُ فِي الصَّلَادِ
بِمَا شَاءَ الْإِلَهُ عَلَى الْعِبَادِ
وَأَتَى حَقَّهُ يَوْمَ الْحَصَادِ
وَشُغِلْتُكَ فِي جِهَاتِكَ بِالْجِهَادِ
وَعَلِمَكَ التَّجَلُّدَ لِلْجِيَادِ
وَتَنْظُرُ وَالْخَفِيُّ إِلَيْكَ بَادِ
وَأَنْتَ سَبَقْتَهُمْ سَبَقَ الْجَوَادِ؟
لَقَالُوا أَنْتَ لِقَمَانُ [بْنُ] عَادِ
زَرَيْتَ بِهَا عَلَى ذَاتِ الْعِمَادِ
مُعَاوِيَةَ لِأَغْنِي عَنْ زِيَادِ
عَلَى قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي

١ ابن مسكر : شفيت .

٢ ص : رابت .

ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها يومئذ المقتدر

قال ابنُ بسّامٍ : قد قدّمتُ في أوّل القسم الثالث من هذا المجموع ذِكْرَ مُجاهدِ العامريّ المُستزري - كان وقته - على دانية ، وشرّح الأسباب التي أنشأت سحابه ، ورضتْ^١ على دانية وهداه وهضابته .

وغلبت الروم في بعض أيام سلطانه على جزيرة سردانية . التي كانت من فتوحه قبلُ . ففالتْ شباته ، ونهنتْ شداته . وأسرت ابنته عليّاً هذا^٢ ، فنشأ عليّاً مُتجهماً ، وأعجماً طمطيماً^٣ ، إلى أن افتكّه أحدُ آلِ حمّادِ أمراء بني منّاد ، فأسدى البيضاء فيه ، وخلع على عيظتيه برديه^٤ . فلمّا خفقَ علمه ، وتمكّن في مقام أبيه قدّمه ، ألقى السلمَ ، وأغمدَ السهفَ وشامَ القلّامَ : هيّمته كانت في خراجِ يّجبيه ، لا في معقيلِ يّجتيه ، وهمّه المتجرُّ يُنميه ، لا المتفخّرُ يّحميه . أصبَّ خَلقُ اللهِ بلبوس ومطعم . وأصباه إلى دينار ودرهم . حتى ولاّه البرُّ حَمْلَ^٥ عُنُقِهِ ،

- ١ كذا في ص ، ولعل صوابه « ورصت » أو « ريفت » بمعنى ألقى .
- ٢ انظر الخبر عن وقوع علي أسيراً في يد الألمانين ، وكيف بذل فيه والده عشرة آلاف فلم يقبل أسره الفدية في أعمال الاعلام : ٢١٩ (ثم تيسر فكاهه سنة ٤٢٣)
- ٣ عند عودة علي من الأسر عرض عليه والده الاسلام فقبله ، ثم أصبح عليه معوله في الأمور (أعمال الاعلام : ٢٢١) .
- ٤ ص : بردائه .
- ٥ ص : حلى .

ورماه البحر بأفلاذ كبيده : ورزق عدة بنات أحسن من الشموس ،
وأفتن من الطواويس ، فتبارى ملوك الطوائف بأفقينا في نكاحهن ،
وتنافسوا في غدوهم إليهم ورواحهن . واغتم هو ذلك منهم وأذكاهن
عليهم عيوناً ، وبناهن بينه وبينهم دُروباً وحُصوناً ، مُعتقداً أن الصَّهرَ
رَحِيمٌ لا تُجفسي ، وطريقٌ إلى رَعِي الدَّممِ لا تُخفي . فقتل ملكٌ
منهم إلاً وقد عاتق له به حبل ، واتصل بينه وبينه نسل . فسمما إليه
منهم ابنُ هُود المدكور سنة سبعٍ وستين يُريه أن الناسَ مأكولٌ وآكلٌ ،
وأن القياسَ أكثره باطل . من رجل لا يستظل إلاً أعلامه . ولا يرضى
[١٠٢] إلاً أحكامه . ولا يستشير إلاً حُسامه . فجرأ إليه الهضاب
كثاب ، ومأ عليه الشَّعاب مُرداً أحاجب ، وجرداً نجائب .

أخبرني غيرُ واحد أنه لم يبقَ ملكٌ من ملوك أفقينا سمع بمخرج ابن
هُود يومئذٍ إلاً توقعه وتوقاه ، وظنَّ أنه لا يريد سواه . وإنما كان
يُريدُه ، زعموا ، على قِلاعٍ كانت تتصلُّ ببلده ، ليضمتهَا إلى أميرِ
طرطوشة ، وقتته ، من ولده . فلم يرُع ابنُ مُجاهدٍ إلاً مجرى الجيادِ
بحيث يرى ويسمع ، ولا نبتته إلاً متجرُّ الصَّعاد ، بحيث لا يُعطي
ولا يمنج . فاستطيرَ فرقا ، وقام وقعدت تلداً^٢ ونزقا . وحين علم
المُراد ، وفهيمَ الجليمةَ أو كاد : أعطى فضلَ القياد ، وكتب إلى عماله
بإخلاء تلك البلاد .

فلما أخذ ابنُ هودٍ في إيباه ، وخلا ابنُ مُجاهدٍ بطوائفه وأحزابه ،

١ ص : وأكيل .

٢ ص : تلداً .

عَنَّفُوهُ بِمَا فَعَلَ ، وَزَيَّنُوا لَهُ الْغَدْرَ بِهِ وَقَدْ رَحَلَ . وَأَتَى ابْنَ هُودٍ ، وَقَدْ سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ . بِكُتُوبٍ طَيَّرَهَا ابْنُ مُجَاهِدٍ إِلَى عَمَّالِ تِلْكَ الْمَعَاقِلِ ، بِأَمْرِهِمْ بِالْتَّحْصُنِ وَالْإِحْتِيَالِ ، وَيَحْضُرُهُمْ عَلَى الْجِدِّ فِي الْقِتَالِ : فَكَّرَ الْمُقْتَدِرُ ، وَلَمْ يَرُغْ أَهْلَ دَانِيَّةَ إِلَّا تَنْصَهَالُ الْحَيْلِ ، وَقَدْ أَنْصَبَتْ عَلَيْهَا أَنْصَابَ السَّيْلِ بِاللَّيْلِ . وَاضْطَرَبَ^١ أَبْنِيَّتَهُ بِحَيْثُ يُسْمَعُ الْحَيَّوَارَ ، وَيُحْمَدُ الْحَيَّوَارَ ، فَاسْتَوْلَى الْجَزْعَ ، وَضَاقَ الْمَتَسِّعَ . وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ لِحِينَهُ ابْنَتَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ سَمَّاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ ، وَرَشَّحَهُ بِحَرْمٍ أَذْيَالِهَا^٢ ، وَعَلَّمَهُ مُمَابَلَّةَ ظِلَالِهَا : فَجَاءَ إِلَى ابْنِ هُودٍ مُدْلِلًا بِقَدِيمِ صِهْرِهِ ، عَائِرًا فِي إِدْبَارِ أَمْرِهِ وَانْقِطَاعِ ذِكْرِهِ ، مِنْ رَجُلٍ فَلَئِلِ الطَّيِّعِ ، ثَقِيلِ السَّمْعِ ، ضَيْقِ الدَّرْعِ ، قَدْ غُنِّيَ بِالرَّفِّ وَاللَّيْنِ ، وَنَشَأَ فِي الْحَلْبِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ^٣ . فَطَفِقَ ابْنُ هُودٍ يَتَقَرَّعُ لَهُ عَصَا الْوَعِيدِ ، وَيُرْمِي بِهِ مُضَلَّاتِ الْبَيْدِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّ عَمٍّ ، تَبْلُغُ رِضَاكَ ! وَمَتَى اخْتَلَفْنَا عَلَيْكَ أَوْ خَالَفْنَاكَ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُودٍ فِيمَا قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَرِيْمُ^٤ الْعَرَضَةَ حَتَّى يَسْهَلُ مَرَامُهَا ، وَيُخَالِسِي فِي يَدِي زِمَامُهَا — يَعْنِي تِلْكَ الْمَعَاقِلَ — فَقَالَ لَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْجَبَانَ الْجَاهِلِ ، وَظَنَنَهُ يَرِيدُ دَانِيَّةَ : أَيُّ عَمٍّ ! وَأَيْنَ تَنْقَلُبُنَا ، وَإِلَى مَنْ تَكَلِّمُنَا ؟ وَلَمْ يَنْفِطِنِ ابْنُ هُودٍ لِمَا قَمَّصَدَ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ وَزِيرُهُ ابْنُ أَحْمَدَ^٥ ، فَغَمَزَ يَدَهُ وَقَالَ لَهُ : غَيْرَةٌ فَاهْتَسَلَهَا ، وَعَثْرَةٌ فَلَا تُقْبَلُهَا ، قَدْ أَلْقَى

١ اضطرب هنا بمعنى ضرب .

٢ أذيالها يعني أذيال الدولة ، أي كان قد جعله ولي عهد .

٣ من الآية : أو من ينشأ في الحلبية وهو في الخصام غير مبين (الزخرف : ١٨) .

٤ ص : أديم .

٥ يعني أبا المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن مثنى .

الرجل بيده ، وختلى بيحك وبين بلده . فعمل ابن هود على ذلك ،
وأخذ في إحكام ما هنالك ، فما متع النهار إلا وأشرقت إياؤها ،
واهتزت في بطن يديه قناتها . ورجع بابن منجهد غنيمة باردة ،
وأمنية على الأيام شاردة^١ . تعالى من لا يروعه الزمان ، ولا يغير مسلماته
الحدثان .

مقطوعات للحصري في أوصاف شتى

قال^٢ :

كم من خليلٍ كان عندي شهدةً حتى بلوتُ المرَّ من أخلاقه
كالمليحِ يُحسبُ سُكَّرًا في لونهِ أو حجْمِه ويحول عند مذاقه

وقال :

نصبتُ الفخَّ ثمَّ قعدتُ عنه بعيداً كي أرى فيه فتاحاً
إذا قيردي مُقيمٌ عند رأسي يقولُ لمُقبِلاتِ الطيرِ حاحاً
واجتاز على قومٍ فسمعهم يتقدحون فيه وفي ابن خلكصة^٣ فقصده

١ قام ابن هود بنقل ابن مجاهد ومن معه إلى سرقسطة وأقطعه اقطاعاً يمونه (اعمال الاعلام :
٢٢٢) .

٢ مختارات ابن الصيرفي : ١٣١ والخريدة : ١٨٧ وكتاب الآداب : ٩١ .

٣ يعني محمد بن خلصة الشذوني النحوي وكنيته أبو عبد الله ، وقد وردت ترجمته في الدخيرة

٣ : ٣٢٢ وذكرت هناك مصادر ترجمته ، ويضاف إليها أيضاً : المحمدون : ٣٩٩

وانباه الرواة ٣ : ١٢٥ والوافي ٣ : ٤٢ .

وأنشدها :

يا أديباً ملكتني في يديهِ المتكرُماتُ
ليتَ قوماً دأبهم في (م) وفيك المتكرُ ماتوا

وقال ٢ :

خضبتُ يديها لونَ فاحمِها فما نَقَصَ البياضُ مَلاحَةً بل زادَا
ما بالُ شَمِيبِي تُنكَرِين ٣ خضابه وأراكِ صابغةَ البياضِ سوادَا
قالتُ ؛ نَجِيعُكَ في يديَّ وإنَّما بدَّلْتُهُ أسفاً عليك حِدادَا

ومن أحسن ما قيل في التطاير في السود قول ابن المعتز :

وكفَّ كأنَّ الشمسَ مدَّتْ بَنانَها إلى الليلِ تجلوهُ فقبلَها الليلُ

وله أيضاً في التطاير الخُمْرُ :

أشارتُ بأطرافِ رِطابِ كَأنتها أنابيبُ ذُرِّ قُمَعَتِ بعقيقِ

-
- ١ الشريشي ٥ : ٢٤٠ .
 - ٢ الأبيات في المطرب : ٧٩ .
 - ٣ ص : تنكرون .
 - ٤ ص : قال .
 - ٥ ديوان ابن المعتز ٤ : ١٠٨ .

ما أخرجته من مراثيه مع ما يتشبه بها

قال يرثي أباه وقد ودّع قبره وقتَ جوازه إلى الأندلس :

أبي نبيّرُ الأيتامِ بعدكَ أظلمًا وبُنَيانُ مَجدي يومَ مِيتَ نهدًا ما
وجِسمي الذي أبلاهَ فمَدكَ إن أكنُ رَحلتُ به فالقلبُ عندكَ خَيِّمًا
وقى الله عيني مَن تَعَمَدَ وَقِفَةً بقَبْرِكَ فاستسقى له وتَرَحَّمًا
وقال سلامٌ ، والثَّوابُ جِزَاءُ مَن ألمَّ على قَبْرِ الغريبِ فسَلَّمًا

وأخذ من ترايه فقال : [١٠٣]

رَحلتُ وها هنا مَثَوَى الحَبِيبِ فمَن يَبْكِيكَ يا قَبْرَ الغَريبِ ؟
سأحمِلُ مِينَ تُرابِكَ في رِحالي لكي أغنى به عن كلِّ طيبِ

وقال من سرّية له في المقتدر بن هود :

نَعُدُّ حُصُونًا كلَّ دِرْعٍ ومِغْفِرٍ^١ وتَعُدو المنايا في عرينِ الغَضَبِ
ولاحدى بَناتِ الدَّهْرِ تَنسِفُ أحَدَهُ^٢ وتَهْدِمُ بالتدميرِ بُنيانَ تَدْمُرِ
نَبأُ نابٍ^٣ عادٍ وهو كاللَّيْثِ عادِيًا وماتتْ مِني كسرى الملوِكِ وقِيسِرِ

١ ص : سقى الله عيناً .

٢ ص : ومقفر .

٣ ص : باب .

صُرُوفَ الرَّحَى الْجَارِي عَلَى كُلِّ قَسُورٍ
تُحَدِّثُنَا عَنْهُ الشَّقَاتُ فَنَمْتَرِي
فَقُلْ لِّلسَّانِ انْظِيمٌ وَلِلدَّمْعِ فَاثْنَرِي
وَعَزَّ مُعَزَّ الدَّوَلَةِ ابْنُ الْمَظْفَرِ
وَأَكْرَمَ مَنْ يُدْعَى لَهُ فَوْقَ مِنبَرِي
مَضِيَّتْ بِمَعْرُوفٍ وَجِئْتَ بِمُنْكَرِي
وَمَا لِسَمَاءِ الْمَجْدِ لَمْ تَنْفَطِرِي؟
وَإِنْ فَتَقَتْ رِيحَ الْغَزَاءِ بِعَنْبَرِي^٤

وَمَا دَرَأَتْ^١ عَنْ تَبَعٍ تَبَعٌ لَهُ
أَصْمٌ وَأَصْمَى تُغْرَةَ الشَّغْرِ حَادِثٌ
هُوَ الْبَحْرُ فِي ذَا الْخَطْبِ أَعْطَاكَ دُرَّةً^٢
أَجْدَاكَ بَزَّةً^٣ الدَّهْرُ شُهْبَ بَزَاتِهِ
أَعَزَّ مَنْ اقْتَادَ الْحَمِيسَ إِلَى الْوُضَى
تَلَّمْ حَيَاءٌ يَا زَمَانُ مِنَ الْعَلَا
مَضِيَّتْ فَمَا لِلْأَرْضِ بَعْدَكَ لَمْ تَمِيدُ
بَعَثْتُ بِهَا مَشْقُوقَةَ الْجَيْبِ ثَاكِيلًا

وله من أخرى :

مِنْ جَامِعِ الطَّيِّبَاتِ مُحْتَضِرَةً^٦
فَلَّ السِّيَوفِ الذُّكُورَ مِنْ ذِكْرَةٍ
ثَلَاثَةٌ فَلْيَعِشْ لَهُ عَشْرَةٌ
خَيْرٌ مِنَ الْفِرْقَانِ وَالزُّمَرِ
ضَوْءٌ بَلَّ اللَّهُ مُنْفِيذُ قُدْرَةٍ

فَاجَأَتْنَا وَالْمَنُونُ مُسْتَنْظِرَةٌ
أَصْمٌ سَمِعِي حَدِيثُ حَادِثَةٍ
مُتَوَجِّجٌ مِنْ جُدَامٍ مَاتَ لَهُ
ثَلَاثَةٌ لَا خِيْلَافَ أَنْتَهَسَمُ
مَا نَفَعَ الْمُشْتَرِي وَلَا زُحْلًا^٧

١ ص : دارت .

٢ ص : رده .

٣ ص : بر .

٤ فيه اعتماد على قول ابن هانيه : « فتقت لكم ريح الجلال بعنبر » .

٥ ص : حاتنا .

٦ ص : مختصرة .

٧ ص : زحل .

ومنها ، وهو من طريق الاستطرادِ للاستجداء ، وطلبِ الحياء ،
وكان الحُضريّ مشحُوذَ المُدِيّةِ ، في أبواب الكُندِيّة :

بَيَّضَ كُلَّ وَلَا بَيَّاضَ مَعِي إِلَّا بَيَّاضُ الْمَشِيْبِ وَالْبَشْرَةِ
فَغِيْبْتُ عَنْ مَجْلِسِ الْعِزَاءِ عَلَى رَعْمِي^١ وَإِنْ كَانَ مِقْوَلِي حَضْرَةَ
يَا أَهْلَ هُودٍ إِذَا الْوَرَى حُسِبُوا^٢ مِنْ صَدَفِ الْبَحْرِ كُنْتُمْ دُرَرَهُ
يَا كُرْمَاءَ الزَّمَانِ لَسْتُ أَرَى حُجُولَهُ غَيْرَ كُمْ وَلَا غُرْرَهُ

ومن قبيحِ استجداءِ الحُضريّ ما فَعَلَهُ بِالْمُعْتَمِدِ بْنِ عِبَادٍ ، تصدّى
له في طريقه بالعدوة على حاله من^٣ اعتقاله ، ولم ياقه باكيّاً على
خَلْعِهِ مِنْ مَلِكِيهِ ، وَلَا تَأْدَبَ مَعَهُ فِي وَصْفِ مَا انْتَثَرَ مِنْ سِلْسِكِهِ ، بَلْ
بِأَشْعَارٍ قَدِيمَةٍ لَهُ ، صَدْرُهَا فِي الرَّبَابِ وَفَرْتَنِي ، وَعَجْزُهَا فِي طَلَابِ
الْتَهَى . وَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَمَا يُنَاجِي بِالْمُعْتَمِدِ مِنَ الْبَلْبَالِ ، قَاسِمَةٌ^٤
فِي مَا كَانَ بِيَدِهِ مِمَّا كَانَ بِهِ زُودٌ ، حَسْبَمَا وَصَفْتُ لَهُ فِي أَخْبَارِهِ مِنْ
هَذَا الْمَجْمُوعِ^٥ .

وله من أخرى في المُقْتَدِرِ بْنِ هُودٍ :

نُفِرْتُ فِي الْعُمُرِ * الذَّاهِبِ وَنَغَرْتُ بِالْأَمَلِ الْكَاذِبِ

١ ص : زمي .

٢ ص : حبسوا .

٣ ص : على .

٤ انظر القسم الثاني : ٦٦ .

٥ ص : القمر .

يقول فيها :

تنزّه عن تبعات الملوكِ فخفّ على الملتكِ الكاتب
فقصدنا الربيعَ أبا جعفرٍ فلا درّ خليفٌ على حالبِ
لبستُ البياضَ ولولا الخلافُ لسودتُ ثوبِي كالرّاهبِ

ومنها :

نقدتَ القريضَ على ربّه وفصلَ الخطابِ على الخاطبِ
بتديعكَ أزرى بعد الحميدِ وبابنِ العميدِ وبالصاحبِ
ففضلتكَ منّ لي بإحصائه وفي بعضه عيلةُ الحاسبِ

وله في مَوْتِ المعتضدِ وولاية المعتمدِ ١ :

مات عبّادٌ ولكنّ بقيَ الفسحُ الكريمُ
فكأنّ الميتَ حسيّ غيرَ أنّ الضادَ ميمُ

ومات للحُصريّ ابنٌ بلغَ من جرّعه عليه النّهاية ، وتجاوز في ذلك
الغاية ، وصنع فيه مرثي على حُرُوفِ المُعْجَمِ ٢ ، منها ٣ :

-
- ١ انظر ياقوت ١٤ : ٤٠ والحريّة ٢ : ١٨٧ والنفع ٤ : ٢٤٦ ومختارات ابن الصيرفي :
١٣١ والغيث ٢ : ٢١٩ والوافي في نظم القوافي ، الورقة : ٤٣٦ .
٢ هذه هي القصائد التي تضمنها ديوانه اقتراح القريض واجترّاح الجريح وقد نشره الأستاذان
المرزوقي والجيلاني في كتابهما عن الحصري : ٢٤٣ - ٤٩٠ وسأشير إليه فيما يلي باسم
« اقتراح » .
٣ اقتراح : ٢٧٥ .

عرضت له تُفَاحَةٌ نَفَاحَةٌ
ولو استطاع القولَ قال مُشَافِهاً
فُزْ مَطْمِنٌ القَلْبِ لا مُستوفِراً
عبدَ الغنيَّ لكَ المُسرَّةُ غائباً
لما غَدُوا^١ بكَ جائِزِينَ كأنما
بعضُ الإماءِ فَرَدَتْ بالإيماءِ
تُفَاحُ جَنَنَاتِ الخُلُودِ شَفائي
طَلَّقْتَ دارَ مَشَقَّةٍ وشقاءِ
وليَ المِساءةُ مُصْبِحِي ومَسائي
يَمشونَ في ظُلُمٍ ليدفِنَ ضيَاءِ

وقال فيه ٢ :

لستُ أنسى مَقامَهُ ومقامي
أنفهُ يَنثُرُ العَقيقَ وَعَيني
وكِلانا مثلُ القَضيبِ قَضيباً^٣
تَنثُرُ الدَمعَ بالعَقيقِ مَشوباً

وقال فيه ٤ :

ذوي رِجائِي الأَرَجِ
ذَبِيحٌ طُلَّ مِمنهُ دَمٌ
رَأيتُ دِماءَهُ وِدِماً
تَرَفَّتْ يا سَتامُ بِهِ
صَدَعَتْ بما أَميرتَ وما
فأين غرارُ مِقُولِهِ
وضاقَ بِجِلِّيهِ الفَرَجُ
ولم يُقَطِعْ لَهُ وَدَجُ
عَيني كَيفَ تَمْتزِجُ
أبَعَدَ المُستوى عِوَجُ ؟
عَلَيْكَ مَعَ القِضا حَرَجُ
وأينَ حِجَناهُ والحُجَجُ ؟ [١٠٤]

١ ص : غدونا ؛ اقتراح : أدوا .

٢ اقتراح : ٢٧٨ .

٤ اقتراح : ٢٩٦ .

٥ اقتراح : محلي .

٣ اقتراح : مثل القليل خضيباً .

شأى ابن الأربعين وما اذ
عروقُ الناسِ كلَّهمُ
بنو الدنيا كأنَّهمُ
وَهَلْ هِيَ غَيْرُ دَارِ أَدَى
تَأْمَلُ كَيْفَ تَأْكُلُهُمْ
شَهَتْ عَشْرًا بِهِ الْحِجَجُ
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى تَشِيجُ^١
لِقِيلَةِ هَمِيمٍ هَمَجُ
إِذَا دَخَلُوا بِهَا خَرَجُوا
وَهُمْ وَآلِدٌ^٢ لَهَا نَتِجُ

وقال له^٣ :

على تَعْمِيرِ نُوحٍ مَاتَ نُوحُ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ أَمْ كَيْفَ التَّعَزُّيُ
فَنَائِحَةٌ لِأَمْرِ مَا تَنُوحُ
وَمِنْ عِرْنَيْنِهِ^٤ وَآلِدِي ذَبِيحُ

وقال فيه^٥ :

أنا فردٌ بلا خَلِي
أنا كالأورقِ اشْتَكِي
أنا كالزَّرْعِ وَالْعِيدَا
لِي وَلَا ابْنَ وَلَا أَخِي
بُعْدَ وَكِرٍ وَأَفْرُخِي
كَالْحِرَادِ الْمَسْخِي^٦

١ من قول امرئ القيس :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي
وقيل في تفسير عرق الثرى إنه إبراهيم .

٢ ص : ولدها

٣ اقتراح : ٣٠١ .

٤ ص : غريته .

٥ اقتراح : ٣٠٦ .

٦ اقتراح : فقد إلف .

٧ ص : المرخ ؛ اقتراح : المصوخ ؛ والمسوخ : الذي يبرز ذنبه في الأرض .

قُرَّةُ الْعَيْنِ ١ دُونَهُ
صَاحِبَ الصُّورِ أَنِفًا
عَلْتِي ٣ مِنْهُ أَشْتَفِي
كُلُّ عُمُرٍ مُوقَّتٌ
بِرَزْخٍ أَيُّ بَرَزْخٍ
حَضَرَ الْمَوْتَ ٢ فَاَنْفُخِ
بِالنَّسِيمِ
فِي كِتَابِ مُؤَرِّخِ
وَقَالَ ٤ :

تَنَافَرَتْ مِنْ مَدَامِي ذَرَّرَ
إِنَّ دِيَارًا حَلَلَتْهَا لَفْلًا
أَثَرِي بِهَا ، وَافْتَقَرْتُ ، مَنْ لَقَطَا
وَأَنَّ سِرْبًا بَكَى مَعِي لَقَطَا
وَقَالَ فِيهِ ٥ :

بِئْسَ نَفْسِي نَجْمٌ أَظْلَمَ الْأَفْقَ إِذْ هَوَى
أَحْيَى شَأَى مِنْ فَضْلِهِ كُلِّ سَابِقِ
وَهَزَّ قَنَاقَةَ الْقَصْدِ ٦ لِلطَّعْنِ فِي الْعِيدَا
رَمَتْهُ فَأَصْمَتَتْهُ السَّهَامِ وَإِنَّهُ
وَفِيهِ يَقُولُ ٧ :

-
- ١ ص : عين .
٢ اقتراح : الوقت (وهو أصوب) .
٣ ص : علي .
٤ اقتراح : ٣٤٤ .
٥ اقتراح : ٣٧٥ .
٦ اقتراح : وجر . . . النصر .
٧ يبدو أنهما لم يردا في اقتراح القريح .

عبدُ الغنى بُنيّتي كلاهُ بالحِفظِ ربُّهُ
يقولُ قلبي كلُّهُ واشربهُ ممّا أحببهُ

وه من قصيدة يتندّبُ وطنه بالقيروان ، ويتذكّرُ من كان هنالك
مِن الإخوان :

موتُ الكرامِ حياةٌ في مواطنهمُ
يا أهلَ ودّي لا واللهِ ما انتككتُ
لنّينَ بعدُ تُسمُ وحالَ البحرِ دونكمُ
ما نيمتُ إلاّ لكي ألقى خيالكمُ
إذا اعتلنا تعللنا بذكريكمُ
ماذا على الرّيحِ لو أهدتُ تحيتها
أصبحتُ في غربي لولا مكاتمي
كأنني لم أذُقُ بالقيروانِ جنيّ
ولم تشقني الخدودُ الحمرُ في بقتي
أبعدَ أيامنا البيضِ التي سلفتُ
أمرُ بالبحرِ مُرتاحاً إلى بلدي
وأسألُ السّفنَ عن أخباره طمّحاً
هل مِن رِسالةٍ حبّ أستعينُ بها
ألا سقّني الله أرضَ القيروانِ حياً
فإنّها ليدّةُ الجنّاتِ تُربّتها
إلاّ تكنُ في رباها روضةٌ أنثفُ

فإنّهمُ [همُ] اغتربوا ما تواروا ما تواروا
عندي عهدٍ ولا ضاقتُ مودّات
لبيّينَ أرواحينا في النومِ زورات
وأين من نازحِ الأوطانِ نوماتُ؟
لو أحسنتُ برّهُ عيلاتِ تعلّلات
إليكُمُ مثلَ ما تُهدّي التحياتُ؟
بكتني الأرضُ فيها والسّمواتُ
ولم أقلُ ها لأحبابي ولا هاتوا
ولا العميون الميراضُ الباطليّاتُ
تروقي غدّواتُ أو عشّياتُ؟
تَموتُ نفسي وفيها منه حاجاتُ
وأنتني وقلبي منه لوعّاتُ
على سقامي فقد تشفّني الرّسالاتُ؟
كانه عبّراتي المُستهلّاتُ
ميسكيّةٌ وحصّاهها جواهرياتُ
فإنّما أوجهُ الأحبابِ روضاتُ

أو لا يَسْكُنُ نَهْرٌ عَدْبٌ يَسِيلُ بِهَا
 أَرْضٌ أَرِيضَةٌ أَقْطَارٌ مُبَارَكَةٌ
 لَا يَسْمَعَتْنَ بِهَا الْأَعْدَاءُ إِنْ رُزِمَتْ
 وَلَمْ يَزَلْ قَابِضُ الدُّنْيَا وَبَاسِطُهَا
 هَلْ مَطْمَعٌ أَنْ تُرَدَّ الْقَيْرَوَانُ لَنَا
 مَا إِنْ سَجَا اللَّيْلُ إِلَّا زَادَنِي شَجَنًا
 وَلَا تَنَفَّسْتُ أَنْفَاسَ الرِّيَاضِ ضُحَى
 هَذَا وَلَمْ تَشْجُ قَلْبِي لِلرَّبَابِ رَبِّي
 وَكَمْ دُعَيْتُ لِبُسْتَانٍ فَجَدَّدَ لِي
 وَلَوْ تَرَانِي إِذَا غَنَّتْ بِتَلَابِيهِ
 أَنِّي لِأَظْمَأُ وَالْأَنْهَارُ جَارِيَةٌ
 وَمَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِأَسْطَأَ يَدَهُ

ومنها في المدح :

بَلِيغٌ أَحْبَبْتَنَا الْبَاكِينَ مِنْ جِيهَتِي
 مِنَ الضَّرَاعِيمِ إِلَّا أَنْ غَابَتْهُمْ
 فَمَنْ يَسْكُنُ فِيهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مُخْتَلَفٌ

١ ص : ابدا .

٢ ص : أن ترى أرض .

٣ ص : أنفا في .

٤ ص : تقصته .

ومن شعره مما خاطب به الفقيه القاهي أبا المطرف الشعبي^١ بمالقة
من جملة قصيدة :

سَرَّيْتُ وَخَلَّيْتُ السَّرِيَّ مُصَاحِبِي^٢ فهذا الهوى يُصِبي وهذا الهوى يُنْضِي^٣
فَتَوْبَتِكَ مَنِّي سُلَّ يَا أَسَدَ الشَّرِيَّ وطرفك عني يامهارة النقاغضي [١٠٥]
تَتَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَفِي غُرْبَتِي بِهَا فصاقت عليَّ الأرض في الطول والعرض
لَقَدْ شَعَبَ الشَّعْبِي قَلْبًا صَدَعَتْهُ كما تصدع المظلومة الخليل بالركض
نَهْوُضُ لِأَمْرِ أَمْرَتِهِ خَوَارِجُ^٤ نهوض بأعباء العلاء أيما نهوض
جَلَا عَدْلُهُ إِظْلَامَ كُلِّ ظُلَامَةٍ وحاط قناة الدين حفظاً من الخفض

١ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي (٤٠٢-٤٩٧) كان فقيه مالقة في عصره ، وعليه كانت الفتيا تدور ، وكان حافظاً من الحفاظ المشاهير ، يحفظ المدونة وغيرها ، أخذ عن شيوخ جلة كأبي أيوب (أبي العباس) أحمد بن أبي الربيع الليثي وعن أبي محمد قاسم بن محمد المأموني السبتي وغيرهما؛ وقال فيه الفقيه أبو العباس أصبغ بن أبي العباس : « عصره أهل العلم الرقيقة ، وهضبه العبقة البديعة ، بذ فيه الجموع والأفراد ، وأرْبَى نظره على النفاذ والنفاد . وبورك له فيما منح من الاستيلاء والاستحواذ . . . » (وقد جرى التعريف به في القسم الأول : ٨٤٨ الحاشية : ٢ اعتماداً على أدباء مالقة والصلة ، ولكنني زدت التعريف به هنا بياناً) .

٢ ص : لصاحبي .

٣ كذا ورد هذا البيت في ص ؛ ومعناه فيما أرى : أني سرّيت واتخذت الجمل السري (المختار) مصاحباً لي ، فهوأي يصِبي ، أما هوى الجمل فانه ينضِي ، أي يسبب له النحول .

٤ المظلومة : الأرض .

٥ كذا ؛ ولعله « نقوض لامر » أي أنه ينقض ما اجتمعت عليه الخوارج من رأي وكيد ؛ والامر - بكسر الهمزة - الأمر العظيم الشنيع .

كففت أكف الظلم عن كل مسلم
تنيم برية جنة الخلد رية^١
كانت منها مالك وهي طيبة
وإن أنشيدت في دار حكيم مدحتي
لثمت حصى مغناك لمتا وطئت
غذا عيسنا بالبيد شدو حداثنا
عرضن مال منه أو دم أو عرض
لئن قطف الأزهار من روضك الغض
فما جمع أهل العلم عنك بمنفض
لقد جليت بيكرأ على خير منفض
وقلت اللآلي كيف تظلم بالرض
بذ كرك فاستغنت عن الماء والحمض

وقدم من الشرق فأنزلته في داره وأكرمه ، فقال فيه من جملة قصيدة :

أمولى شرفت به أم صديق
تمسكتني ومنى ملكه^٢
سقاني وأخلاقه جنة
حلت وأحلت^٣ كريق الحبيب
وزاد على الزاد ما قاتني
يواصلني حين يجف الشقيق
فحسب معاليه أنا رقيق
فمنها الرياض ومنها الرقيق
فطاب الصبوح بها والغبوق
زماناً وإن طال ذاك الطريق

وخرج تميم^٤ عن مالقة معزولاً فقال :

١ رية هو الاسم القديم لمالقة .

٢ ص : ملك .

٣ ص : وحلت .

٤ هو تميم بن بلقين صاحب مالقة ، الملقب بالمستنصر وكان أحد الذين استنفرهم يوسف بن تاشفين في جوازه الثاني لحصار حصن لبيط ، ثم ان المرابطين نحوه وأخاه عبد الله بن بلقين وأرسلوهما إلى المدوة وأسكنا بأغنام (انظر الحلل الموشية : ٥٨ ومذكرات الأمير عبد الله) .

أهواكمُ جَدَّ مازِحُهُ وَالْحِمَى لم يَدُنْ فازِحُهُ؟
مارستُ مني العِدا رَجُلًا أَسْمَعَ الصمَاءَ صائِحُهُ
إنْ زَجرتُ الطيرَ في سَقَرِي عن يَميني مرَّ سائِحُهُ
عجبتُ أسماءَ من جاتِدي يومَ أصمى القلبَ جارِحُهُ

ومِنْهَا :

لا يَبْضُقُ مِنْ صَدْرِهِ حَرَجٌ^٢ شَيْخُنَا الشَّعْبِيُّ^١ شارِحُهُ
لِنَمَّا أَخلاقُهُ زَهْرٌ عَطَّرَ الآفاقَ فائِحُهُ
لِنَمَّا أَقلامُهُ أَسَلٌ هابها في الجوّ رامِحُهُ
قُبيلَ الشَّعْبِيِّ حينَ دعا فكبأ بالليثِ سائِحُهُ
بِتَمِيمٍ حينَ حانَ به الـحَسِينُ^٣ وانقادتُ جدّوامِحُهُ
ضَعُفَتْ مِنْهُ القُوَى فَغَدَتْ مِنْ قواريِرِ قواريِحُهُ
وَانجَلَتْ عن حُسْنِ مالِقَةَ بِفَسْقِيهِبِهَا^٣ قَبائِحُهُ
وصفا البَحْرانِ مِنْ كَدَرٍ فارتوى بالماءِ مائِحُهُ
ذِكْرُهُ غَنَتِي الزمانُ به وَأنا فيه أطارِحُهُ

١ ص : ان جر .

٢ ص : في صدره حرجاً .

٣ الفقيهان هما الشعبي وابن حنون .

وله من أخرى [يمدحه و] يمدحُ القاضيَ أبا مروانَ بنَ حسّون^١ :

سهلُ الأباطحِ من علاكِ يتفاحُ والنجمُ أنت وكفلكِ الميرباحُ
بل أنت شحسٌ لا تزالُ ولم [يتزل] في سائرِ الآفاقِ [منك] شعاعُ
مَن يسخّطُ كلُّ الورى في حُبّه فأبو المطرفِ حبه إجماعُ
شهِدَتْ عقولُ العالمينَ بفضليه فسواءُ الأعداءُ والأشباعُ
مِصباحُ مالقةٍ أرادَ خموده قَومٌ ليرتفعوا وهم أوضاعُ
فالعالمُ لم يكتملُ لعزّلتيه بها حتى عسّتْ يدهُ وطالَ الباعُ^٢
انظُرْ إليه [اليوم] كيف أصابهُ صرفُ الزمانِ وليس عنه دفاعُ
لولا إساءتُه إليك وظلمه لغدا وأنت له يدٌ وذراعُ
بين ابنِ حسّونٍ وشعبيّ الهندي مِن قندي خالصةِ الإخاءِ رِضاعُ

١ بنو حسون من الأسر المشهورة بمالقة ، وكان منهم أبو علي الحسن بن حسون قاضي مالقة في مدة المالقي بن يحيى بن حمود (المغرب ١ : ٤٣٠) وأبو الحكم ابن حسون الذي تولى أمر مالقة فترة من الزمن (النهاية : ١٠٤) وذكر ابن الأبار أبا عامر بن حسون (التحفة : ٩٦) وأنه كان والياً على مالقة ؛ أما أبو مروان هذا فهو عبيد الله بن عيسى (أو ابن حسين بن عيسى) الكلبي المالقي ، ولي قضاء مالقة وكان أبوه (الشهير بحسون) قد وليها ليبي حمود (انظر ما تقدم قبل قليل فلعله هو الذي ذكره ابن سعيد باسم الحسن ، وذكره ابن الأبار باسم الحسين) ، وتوفي يوم الاثنين لأربع خلون لربيع الآخر من سنة ٥٠٥ وقد كان ابنته محمد من الفقهاء المشاورين في بلده (أدباء مالقة : ١٥٢ - ١٥٣ والتكملة : ٩٢١ - ٩٢٢) .

٢ يبدو أن تميم بن بلقين كان قد عزل أبا المطرف الشعبي ، فلما عزل تميم عاد أبو المطرف إلى منصبه ، وهذا ما يفسره البيت التالي الذي يصور الشماتة بتميم ؛ وانظر القصيدة السابقة ففيها تصريح بسوء العلاقة بين تميم من ناحية والشعبي وابن حسون من ناحية أخرى .

حَسَّنَتْ وَجوهٌ مِنْهَا وَطِبَاعُ
تَلْتَذُهُ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ
تَخْضَرُّ مِنْهُ بِسَيْطَةٍ وَتِيْلَاعُ
تَبُو الطُّبَا وَكِلَاهِمَا قَطَاعُ

يَا مَا أَجَلْتَهُمَا وَأَشْبَهَهُ ذَا بَدَا
مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِحَسْنِهِمَا الَّذِي
خَلَقَنَا لِنَصْرِ الدِّينِ وَالْكَرَمِ الَّذِي
كَمَهْتَدِينَ مُجْرَدِينَ بَرِيَّةَ

وله فيهما من أخرى أولها :

بِهَا عَلَّمَا عِلْمًا وَأَعْدَلُ قَاضٍ
وَرَأَيْتُهُمَا فِي الْمَشْرِفِيَّةِ مَاضٍ
كَأَنَّ بِلَادَةَ اللَّهِ غَيْرُ عِرَاضٍ
وَيَسُودُ مِنْ فَوْدِي^٢ كُلُّ بَيَاضٍ
هِدَايَةَ عُمَيَانَ وَبُرءَ مِرَاضٍ
وَأَنْتِ ابْنَةُ فِي عِصْمِيَّةِ^٣ ابْنِ عِيَاضٍ

بَرِيَّةَ [رِيَا] رَوْضَةٍ وَرِيَاضٍ
مَعَالِيَهُمَا فَوْقَ النُّجُومِ مُنِيفَةً
سَمِعْتُ حَيَاتِي وَالْمَقَامَ بَطْنِ سَجَّةٍ
سَيُورِقُ عُوْدِي إِنْ سَكَنْتُ بَرِيَّةَ
لَدَى قَمَرِيَّتِهَا إِنْ فِي غُرَّتِيهِمَا
أَرِيَّةَ مَرَعَايَ الْمَرِيْعُ وَأَيْنُقِي

وقال :

كَلِيلُهَا الْيَوْمَ وَمَاضِيهَا
فَتَقِيهِهَا الشَّعْبِيُّ قَاضِيهَا
وَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ رَاضِيهَا
لَقَدْ مَتَّئْتُ عَنْ تَرَاضِيهَا
قَضَى لَنَا قَبْلَ تَقَاضِيهَا

يَا عَجِبًا لِلسَّيُوفِ اسْتَوَى
وَقَدْ رَأَيْتُ الْعَدْلَ فِي بَلَدَةِ
أَحْكَامِهِ بِالْحَقِّ مَرَضِيَّةَ
لَوْ شِوِورَتْ فِيهِ بَنُو هَاشِمٍ
كَمْ حُنْجَةً أَوْضَحَ ، كَمْ حَاجَةً

١ ص : فما .

٢ ص : فؤادي .

٣ ص : انبه في حفة .

ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني
واشتهرت معرفته بألفنا بالحُلواني^١
وسياقةُ جملةٍ من شعره

وله كلامٌ في التسيبِ رائقٌ ، ومتأخيراً سابقٌ ، ومتديحهُ أيضاً عليه
طُلاوةٌ ، وبالجملةِ ففي ألفاظِ الحُلواني حلاوةٌ . ومن خطّه نقلتُ ، جملةً
ما ها هنا له أخرجتُ .

النسيب وما يناسبه

قال^٢ :

ولمّا تَنادَوْا للرَّحيلِ وقُربتُ كرام^٣ المطايا والركابُ تَسيرُ

١ هناك اثنان يعرفان بابن فضال وكلاهما يكنى بأبي الحسن : علي بن فضال القيرواني المجاشعي
النحوي وقد شرق ، ومدح نظام الملك وزير الدولة السلجوقية (وله ترجمة في الخريدة ١ :
٢٨٧ والمنتظم ٩ : ٣٣ ومعجم الأديباء ١٤ : ٩٠ وانباء الرواة ٢ : ٢٩٩ وانظر مزيداً
من مصادر ترجمته في الخريدة ٣ : ٦٩٤ وكانت وفاته سنة ٤٧٩ هـ) ٤ والثاني هو عبد الكريم
ابن فضال القيرواني الحُلواني - وله ذكر في المطرب : ٧٥٠، ٥٩ ورايات المبرزين : ١٠٧
(غ) ومسالك الأبصار : ٤٥٦ والخريدة ٢ : ١٨٨ وهذا هو الذي غرب فدخل صقلية
والأندلس ، وقد مر ذكره في القسم الأول ١ : ٥٠٦ وأنشد له بيتين في لبس البياض وهو
شعار الحداد عند الأندلسيين .

٢ انظرها في المسالك والخريدة والمطرب ومختارات ابن الصيرفي : ١٣١ .

٣ في أكثر المصادر : عتاق .

جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ مَبَادِرًا فَقَالُوا مُحِبُّ الْعِنَاقِ يُشِيرُ
فَقُلْتُ وَمَنْ لِي بِالْعِنَاقِ وَإِنَّمَا تَدَارَكْتُ قَلْبِي حِينَ كَادَ يَطِيرُ

وقال الحلواني^١ :

قالوا التحى فامّحت بالشعرِ بهجتهُ فقلتُ لولا الدجى لم يحسنِ القمرُ
مَنْ كَانَ مُنْتَظِرًا لِلصَّبْرِ عَنْهُ بِهِ فَإِنِّي لَغَرَامِي كُنْتُ أَنْتَظِرُ
خَطَّتْ يَدُ الحُسْنِ مِنْهُ فَوْقَ وَجْتِهِ هَذِي مَحَاسِينُ يَا أَهْلَ الهوى أَخْرُ

ومعنى هذا البيت يتطرف قول ابن شرف^٢ :

سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ حُسْنًا ثَانِيًا وَبِئَالِثٍ مِنْ حُسْنٍ فِعْلِكَ عَزْرًا

وقال الحلواني^٣ :

لي حبيبٌ إِذَا سَكَوتُ إِليهِ فِي الهوى سَامِي عَذَابًا شَدِيدًا
لَسْتُ أَدْعُو عَلَيْهِ بِالشَّعْرِ [غَيْظًا] خَيفَةَ أَنْ يَكُونَ حُسْنًا جَدِيدًا
غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو بِقَلْبٍ قَرِيبٍ أَنْ أَرَاهُ مِثْلِي مُحِبًّا عَمِيدًا

كأنه عكس قول البُحْتَرِيِّ^٤ :

أَعِيدُكَ أَنْ تُمْنِي بِشَكْوَى صَبَابَةٍ وَإِنْ أَكْسَبْتَنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ
وَيَحْزُنُنِي أَنْ تَعْرِفِي الحُبَّ بِالْهَوَى وَإِنْ نَفَعْتَنَا فِيكَ مَعْرِفَةُ الحُبِّ

١ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٢ انظر التنف : ١٠٣ وما تقدم ص : ٢١٥ .

٣ الشريشي ١ : ٤١٤ .

٤ ديوان البُحْتَرِيِّ : ١٠٥ .

وقال ١ :

رُبَّ خَيْطَاطٍ فُتِنَتْ بِهِ فِتْنَةً أَفْنَتْ قُبُورِي جَسَدِي
لَاعِبٌ بِالْخَيْطِ يَفْتِنُهُ أَتْرَاهُ ظَنَّهُ جَسَدِي
لَيْتَ أَنِّي كُنْتُه فَأَرَى بَيْنَ ذَلِكَ الْوَرْدِ وَالْبَرْدِ
فَعَلْتُ بِالشُّوبِ إِبْرَتَهُ فِعْلَ سَهْمِ الشُّوقِ فِي خَسَدِي
وَجَرَى الْمِقْرَاضُ فِي يَدِهِ جَرَى عَيْنِيهِ عَلَى كَسَدِي

وذكرتُ بذكره الخيطاط قولَ أبي محمد عبدِ اللهِ بنِ القابلةِ السبتي^٢
في غلامٍ وسيمٍ يرفو في السوقِ ثوباً :

يا رافياً قَطَعَ كُلَّ ثُوبٍ ويا رشاً حُبَّهُ اعْتقادي
عسى بكفِّ الوصالِ تَرْفُو ما قَطَعَ [الهَجْرُ] من فؤادي

وهذا من اللفظِ الطيِّارِ الخفيفِ الرَّوحِ . ومن الكلامِ الفجِّ الشَّقيلِ ،
قولُ عبدِ الجليلِ :

بِسُوقِ الخِيَاطَةِ مُسْتَمِرِّدٌ تَوَدُّ لِمَنْ نَاكَهَ أَلْفَ خَمِيرِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْفَتَى صَانِعٌ لَطُوقِ عِجَانٍ عَلَى عُنُقِ أَيْرِ

وما أحلى لفظَ الحُلثواني هذا في غلامٍ وسيمٍ أراد النهوضَ إلى
الحجِّ ٣ :

١ الشريشي ١ : ٣١٧ .

٢ سيترجم له ابن بسام في هذا القسم ، وله ذكر في رايات المبرزين : ٩٩ - ١٠٠ وبيتاه في

الشريشي ١ : ٣١٧ .

٣ وردت في المسالك ١١ : ٤٥٦ والمسلک السهل : ٤٩٦ والشريشي ٤ : ١٨ .

يا طالبَ الحجِّ وهو ذو صِفَرٍ عَجِلْتَ فاستأنيهِ إلى الكيِّرِ
 إن كنتَ تبغني مَثُوبَةً فَعَسَى تَحْمِلُ لي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ
 وإن رميتَ الجِمَارَ فارمِ به كلَّ فؤادٍ عليك لم يطيرِ
 فقال دَعْنِي وزمزمًا فَعَسَى أغسِلُ من مُقلتي دَمَ البَشِيرِ

وعلى ذكرِ قَوْلِهِ «تَحْمِلُ لي قُبْلَةً إلى الحَجَرِ»، قال الحَسَنُ العُلامُ :
 رآه بالمَكْتَبِ ، فأشار لتقبيلِ يده ، فقَبَلَهُ ١ :

ظَفِرْتُ بِقُبْلَةٍ مِنْهُ على عَيْنِي مُعَلِّمِهِ
 أَشَرْتُ بِهَا إلى يده فوصلتها إلى فَمِهِ

وقال الحُلُوْاني :

تَعَرَّضْتُ مَنْ شَتَّنِي هَجْرُهُ بِيَدِهِ سَلَامٍ عَلَيْهِ شَفَاها
 وَقُلْتُ عَسَاهُ يَرُدُّ السَّلَامَ فَتَبَلَّغُ نَفْسِي مِنْهُ مَنَّاها
 فجاد عليَّ بتقبيلةِ وقد كان أعرضَ عني وتاها
 فكنتُ كعوسى أتي للضياءِ ليقبِسَ نارا فتاجي الإلها

وقال :

يا صاحِ خذها نصيحةً لبيكتهُ بالودِّ إن كنتَ فاتِكَ الفتكتهُ
 اسفِكْ دَمَ المُرْدِ إن وجدتهنمُ فليس يَلْقَى العذابَ مَنْ سَفَكه
 واتركْ هواهم إذا همُ تَرَكَوا قد يتركُ الحِبُّ حُبَّ مَنْ تَرَكَه

١ انظر البيهقي وأبيات الحلواني بعدها في الشريفي ٥ : ٢٥٣ .

وقُلْ لمن خان في محبته لي هيمّة عن هواك مُمتسيكته
كان بفرط الغرام يملكني فأصبح الدهر عازلاً ملكته
وكان ستر عليه من ملج لولا نبت بخده هتكته^١
والله لا صادني له شرك فمذ بدا الشعر قطع الشركه
أفلت من بعد نتف ذنبي ولست طيراً يعود للشركه

وذكره نتف ذنبيه من اللفظ الرث ، والمستهجج الغث :

وكان أبو محمد المهدوي المعروف بابن الطلاء أحد الشعراء [١٠٧]
الطائرين على الأندلس^٢ كثيراً ما يأتي بالاستعارة التي تُضحك كقوله :

ليحي جراباتي مستوفه ومتر دهر وهي لم تستف

وقد ألت بلُمع من هذا الباب، في أخبار ابن شماس من هذا الكتاب^٣.

وقال الحلواني^٤ :

قد حلّ في سوق الكساد منذ لاح في خدك السواد
كأنما الشعر فيه زرع والنتف منه له حصاد

وقال :

صدّ فما يُصغي لشاك إليه وراح والألباب في راحتينه

١ ص : فتكه .

٢ سجي . ترجمته في هذا القسم : ٣٦٠ .

٣ انظر القسم الأول : ٨٤٢ . ٤ نسبة لغيره في الشريشي ١ : ٤١٤ .

مُفَوِّقٌ! السهمِ إذا ما رمى
يَودُّ سيفُ الهندِ لو أنه
ذو وَفْرَةٍ زاد بها هَيِّبَةً
عندي له من خُدَعِي رُقِيَةً
لا يدعي السُّقْمَ بِالْحَاطِيهِ
انظر لحاليته فقد أقسما
انظر لحاليته ٢ فقد أقسما
رَبْحَانَةٌ تَمْنَعُ من شَمِّهَا
تاهَ بوجهٍ كاد من رُقِيَةٍ
رُقِيَهُ مِن فَرَطِي ظنَّ بهِ

وقال :

يا حامِلَ السُّكِينِ في وَسْطِهِ
هل يَحْمِلُ السُّكِينِ مَن لِحْظُهُ
ليس بهذا تُعْرَفُ العَيْنُ
في مُهَجِّ العِشَاقِ سَكِينِ؟!

وقال :

رَضَابُ تُغْمِرُكُ بِضُنْفِينِي وَيَشْنُفِينِي
وَسِحْرُ عَيْنَيْكَ بِغُؤُونِي وَيُغْرِينِي

١ ص : مفرق .

٢ ص : لحاليه ؛ وهذا الشطر يبدو تكراراً لما سبقه عن طريق السهر .

٣ ص : وغيره . . . مدرعيه .

٤ ص : الدم من خافضيه .

وفي تَشْتِيكَ معنى لا يقومُ به ما في الغُصُونِ من الإرهافِ واللينِ

وهذا كقول أبي الفرجِ الوأواءِ^١ :

مِنْ أَيْنَ اللَّبْدِرِ حُسْنُ صُورَتِهِ وَقَدَّهُ لِلْقَضِيبِ مِنْ أَيْنِ ؟

وما أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ أَهْلِ عَصْرِنَا :

مَا قَدَرُ نَعْمَانَ إِذَا مَا مَشَى وَمَا عَسَى تَبْلَغُهُ عَالِجٌ ؟

وفي هذه القصيدة يتقولُ الحلواني :

إذا وصفتكَ باللحظِ الفَتُورِ فَمَنْ
وإنْ نَعْتُكَ بِالغُصْنِ الرَطِيبِ فَمَا
جِسْمٌ مِنَ الْمَاءِ لَكِنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ
وما سَمِعْنَا بِغُصْنٍ مُثْمَرٍ قَمَرًا
الوردُ والآسُ والتَسْرِينُ مجتمعا
لم يَترَضَ عَنِّي فؤادي مِنْ ضِنَانَتِهِ
في حُبِّ مَنْ لورآني مِتُّ مِنْ عَطَشٍ
طَمِعْتُ فِيهِ وَغَرَّتْني لَوَاحِظُهُ
قلْ لابنِ عَشْرِ وَخَمْسِيهِمَا مِنْ آيِنِ جَرَتْ
ما حُجِجْتِي عِنْدَ مَنْ فِي الْحَبِّ يَعدُّ لُنِي

قَدَّ الْقُلُوبَ بِأَطْرَافِ السَّكَاكِينِ ؟
في الغُصْنِ ما فيكَ مِنْ كُلِّ الْأَفَانِينِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَمْ يُخْلِقْ مِنْ الطَّيْنِ
تَجَمَّعَتْ فِيهِ أَشْتَاتُ الرِّياحِينِ
فيه وفيه بَنِيَّاتُ الزَّرَّاجِينِ
حتَّى مَسَّحَتْ بِهِ فِي كَفِّ ضَنْبَيْنِ
والنَّيْلُ فِي يَدِهِ ما كان يَسْقِينِي
لأنَّ المَطامِعَ أسبابُ الشَّيْطَانِ
سِيَّاهُ عَيْنَيْكَ فِي قَلْبِ ابْنِ سَبْعِينِ ؟
وآيِي^٢ فِي نُبوَّاتِ المِجَانِينِ

١ ديوان الوأواء : ٢٢٢ .

٢ ص : وآيات .

إن كنت في الحب سلطاناً على كبدي فخف عتوبة سلطان السلاطين
أو كان عندك للمسكين مرحمة فإن عبدك مسكين المساكين

وأراه عارضاً بهذه قصيدة ابن رشيق ، فضل عن الطريق . هذا وقد
قلت إن له في النسب ، أوفر نصيب . فأما إذا وصف أو مدح ، فقلما
رأيت في ذلك نجاح ولا أفلاح .

ما أخرجته من قصائده المطولة في المدح
وما يتثبت به من الأوصاف

قال يمدح الشيخ صاحب الخمس أبا عبد الله محمد بن إبراهيم^١
الكناني الشامي بصقلية من قصيدة يقول فيها :

شدوا الحدوج وزروها على قمري في المحسن تنجاب عن أنواره الظلم
دُرَانِ مِنْ فَمِيهِ شَقَا مُحَدَّثُهُ للنشر والتنظم مسموعٌ ومُنْتَشَمٌ
فليت شعري لِمَنْ أَنْهِي ظَلَامَتَهُ وغيرُ مُنتَصِفٍ مَنْ خَصَمَهُ الْحَكَمُ
قد قلت لو قبيل الوعظ المبين له خف المهيمين فينا إننا نسَمُ
فقال من ضررتُ خدِّي نظرتُه فإنَّ سيفَ جفوني منه يستقمُ

ومنها :

١ أرجح أن يكون اسمه « إبراهيم بن محمد » ويسميه إبراهيم في غير موضع في قصائده ،
ويشير إليه أحياناً بابن محمد .

لقد مَنزِلَةٌ بالقيروانِ * معا
بشَقَّتْ جَيْبَ شِبابي بعدَ فُرُقَتِها
إنْ فُرُقَ الدهرُ عنها شَمَلتْنا فلنا

وله فيه أخرى ١ :

ليت شِعْري وليتَ حَرْفُ تَمَنُّ *
كيف يا قيروانُ حالِك لمتا
كنتِ أمَ البلادِ شَرْقاً وغَرْباً
نحنُ أبناؤُها ولكنْ غَنِينا
دِمَنٌ كانتِ البروجَ وكننا

ومنها :

وأنا قد أخذتُ إنْ عَبَيْتَ الدهرَ

وقال من أخرى ٢ :

نَطَقْتُ بِسِرِّ ضَميرِهِ عِبْرَاتُهُ *
بأبي وأمي بَدْرُ تيمِّم * تحته
بِمَشِي فَيَعْشُرُ في ذُبُولِ شِبابِهِ

ومنها :

أَيامَها البَيِّنُ لا الأيامُ والقِيدَمُ *
حُزناً عليها ولا شَيْبُ ولا هَرَمُ
بصاحبِ الخَمسِ إبراهيمَ معتمِم

ربمّا عَتَلَّ الفؤادَ السَّقِيما
نثرَ البينُ سِلكَكِ المنظوما
فمعا الدهرُ وشَيْبَكِ المَرَقوما
بعدَ أنْ لم نُنطِقْ بها أنْ نُقِيما
أَقْمُرًا في قِبابِها ونجوما

رُ ذِمَاماً من عند إبراهيمِما

وبَدَتْ بنارِ فؤادِهِ زَفَرَاتُهُ *
غُصْنٌ كَثُرْنَ لِشِقْوَتِي ثمراتُهُ
مَشِي النَّزيفِ وَخَمَرَةُ رَشَفَاتُهُ

٢ الشريشي ١ : ١٢٨ .

١ الشريشي ٣ : ٤٤٢ .

ولربَّ باكيةٍ رأْتُ في لِحمتي بعضُ العَشيبِ تَأَلَّقَتْ ضَحِكَانَه
[قالت]: أَغْصَنُكَ قَدِ عَلاهُ كَمَا أرى زَهْرُ الرِياضِ وما بَدَتْ رِقاَتُهُ
فَأَجَبْتُها : قارَعْتُ في جَنبِ الهوى صَرَفَ الزمانِ وَهذه نَكباتُهُ

ومن المديح :

شَيْخُ القِبيْلَةِ في الجَزيرةِ والذي سَبَقَتْ ظنونَ الحاسدينَ أَنانُهُ
ما تَفَعَّلُ الأيامُ غيرَ مُرادِهِ فكأَنما حَرَكَاتُها أدوائُهُ
هذا الثناءُ عليكَ يَبْعَثُ طيبُهُ يا ابنَ الكرامِ وحاسدوكَ روائُهُ

قولُهُ في الشَّيبِ « صَرَفَ الزمانِ وَهذه نَكباتُهُ » كقولِ ابنِ المَعزِّ ٢ :

قالتُ كَبيرَتَ وشيبتَ قَلتُ لها هذا غُبارُ وقائعِ الدَّهْرِ

وقال أحمدُ بنُ أبي طاهِرٍ ٣ :

قالتُ غُبارُ قَدِ عَسَلَا كَ فقلتُ بل غيرُ الغُبارِ
هذا الذي نَقَلَ المُلوكَ إلى القُبورِ مِنِ الدَّيارِ

وقال ابنُ لَينَكِكَ ٤ ، في مِثلِ هذا المِسلَكِ :

١ ص : بعد ٤ الشريشي : وخز .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٢١٠ .

٣ زهر الآداب : ٨٩٣ والمختار : ٣٣٦ والذخيرة ١ : ٩١٠ .

٤ هو محمد بن محمد بن جعفر البصري أبو الحسن ، أكثره شعره في شكوى الزمان وهجاء شعراء عصره كالمتنبي وغيره (اليتيمة ٢ : ٣٤٨ ومعجم الأدباء ١٩ : ٦) . وبيته هذا في

الشريشي ١ : ١٢٩ منسوب لابن الجلد .

وتَعَجَّبْتِ لِلشَّيْبِ ، لا تَتَعَجَّبِي هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الأَيَّامِ .

وقوله « حاسِدوك رُوأته » كقول البُحْثَرِي ١ :

لِيسَايِرَتِكَ ٢ رَكْنِبُ شِعْرِي سَائِرِي يَتْرُوهُ فِيكَ لِحُسْنِيهِ الأَعْدَاءُ

وأخذه من قول حبيب ٣ :

فإن أنا لم يَحْمَدَكَ عني صاغِراً عِدوكَ فاعلمْ أَنِّي غيرُ حَامِدٍ

وقال الحلواني من أخرى :

وإذا أردتَ ترى فضيلةَ صاحبٍ فانظُرْ بعَيْنِ البَحْثِ من نُدْمَانُهُ

فالمرءُ مَطْوِيٌّ على عِلَاتِهِ طيَّ الكتابِ وصَحْبُهُ عُنْوَانُهُ

وكذا دليلُ الجودِ في ابنِ مُحَمَّدٍ بادٍ بصفْحِ جِيبِنِهِ بِرُهَانُهُ

وترى اللياليَ فاعلاتِ امرءٍ حتى كأنَّ صروفَها أعوانُهُ

ومعنى البيتِ الأوَّلِ من هذه كقولِ الآخرِ :

• واعتبرِ الصَّاحِبَ بالصَّاحِبِ •

وقول الآخر ٤ :

١ ديوان البُحْثَرِي : ٢٢ .

٢ الديوان : ليواصلتك .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧٧ .

٤ من قصيدة تنسب لمدي بن زيد العبادي ، انظر ديوانه : ١٠٦ (وتخرجه ص : ٢٢٣)

عن المرء لا تسألُ وسلْ عن قَربنِهِ فكلُّ قَربنٍ بالمُقارنِ مُقتدٍ

ومعنى البيت الأخير لفظُ أبي الطيّب^١ :

وأراكَ دهرُك ما تحاولُ في العِدا [حتى] كأنَّ صروفه أنصارُ

وقال :

هل بعدَ [سنٌ] الأربعينَ تصابي هل يستفَعنك^٢ بعدَ شيبك في الهوى
ذهبَ الشَّبابُ ولاتَ حينَ شَبَابٍ توفيرُ مُكتسبٍ وحُسنُ ثيابٍ ؟
بِحُلِيٍّ غِمدٍ فوقه وقرابٍ مِهياتَ ما فخرُ المهندِ في الوغى

وهذا كقولِ المعري^٣ :

وإنَّ كانَ في لبسِ الفتي شرفٌ له فما السيفُ إلاَّ غِمدُهُ والحمايلُ

وقال^٤ :

أنت الذي قَسَمَ الزَّمانَ لِنفسيهِ أعطى لمرتبَةِ العلامِ نهاره
قَامَتِ على أسِّ الفِخارِ عِمادُها قَسَمينِ بينِ رِياسةٍ ومَنابٍ
منها وجُنُحُ اللَّيلِ للمِحرابِ وتزَيَّنَتْ بتأدِّبِ الحُجَّابِ
سهلَتْ مَدَاخِلُها لطالبِ حاجَةٍ فكانتَ بُنيَتُ بلا أبوابِ

١ ديوان المتنبي : ٢٦٨ .

٢ ص : ينفك .

٣ شروح السقط : ٥٢٦ .

٤ منها بيتان في الشريشي ٣ : ٣٥٦ .

ووجدتُ بخطه^١ ، وقد^٢ مدحَ هذا الشيخَ الكِنَانِيَّ رجلٌ من الأندلس
بشعرٍ اتهمه^٣ فيه وجرى في مجلسه بصقلية :

يا شاعِرَ العَصْرِ قد كَلَفْتَنِي شَطَطًا	فاصْرِفْ عَيْنَاكَ عَنَّا ، أوتَانٌ خطا
حَمَلْتَنِي ذَنْبَ غَيْرِي ظَالِمًا وَأَنَا	قد كنتُ أقسِطُ في إنصافٍ من قسِطًا
وما حَسَدْتُكَ في شِعْرِ أَيْتَ بِهِ	ومنْ يحاولُ لئسًا لستهي سقطا
يا فارسَ الشَّعْرِ إنْ كَلَّتْ فوارسه	يَوْمًا وسابِقُها ^٤ إنْ أعلمتْ مرطًا
إنْ ابنَ درَاجٍ كَم لَوْ قامَ مِن جَدَثٍ	وصِحتُ يَوْمًا بهِ من خلفِهِ ضرطًا
وليسَ يحسُدُ طَبَعِي أبجِيسَكُمُ ^٥	فكيفَ أنت . لقد جشمتني شططا
فخذُ « قفانِيبك » وانسُبها لنفسك ما	في الخلق من كاشفٍ بالبحثِ عنك غطا
ولا تظننَّ أنَّ الشَّعْرَ مَكْرُمَةٌ	فالحرُّ إنْ رامَ أنْ يعلو به هبطا

قلتُ أنا - صاحبَ الكِتابِ : - نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ يا أبا الحسنِ إلا ما
رَفَقْتَ بِأَسِيرَيْكَ^١ فأنتهما شَيْخَا العَشِيرَةِ ، وَلِسانا الجزيرة ؛ فإن كان
ولا بدَّ فالرَّماذي ؛ فإنه كان أقلَّ طَيْشًا ، وأودَعَ عَيْشًا ؛ وأما ابن
درَاجٍ فمَنخوبُ القلبِ ، مُشترِكُ اللبِّ ، يكفيك منه هَوَلُ الإتهامِ
والإنجاد ، وبِيعُ الشَّعْرِ في سوقِ الكساد :

وقال من أخرى^٥ : [١٠٩]

١ ص : حل

٢ يعنى اتهم ابن فضال .

٣ ص : ومنايها .

٤ أب جنيس : أبو جنيس وهي كنية الرمادي بمجمية الاندلس (جنيش = الرماد) .

٥ منها بيتان في المسالك .

طَرَقْتَهُمْ بِبَيْضِ الْهِنْدِ لَيْلًا فَعَادَ اللَّيْلُ عِنْدَهُمْ نَهَارًا
أَطْرَتْ فَوَادَهَا فِي الْجَوِّ ذُعْرًا لِبَرْقٍ فِي يَدَيْكَ قَدْ اسْتَطَارَا
بَنَيْتَ الْأَرْضَ فَوْقَهُمْ سَمَاءً وَقَدْ أَجْرَيْتَ مِنْ عَتَقٍ بِحَارَا
فَلَيْسَ تَرَكَ الْخَاطُ الدَّرَارِي وَأَنْتَ حَشَشْتَ أَعْيُنَهَا غَبَارَا

ومعنى هذا البيت والذي قبله كقول التهامي^١ :

فَدَحَّوْا فَوْقَ الْأَرْضِ أَرْضًا مِنْ دَمٍ ثُمَّ ابْتَنَوْا [دُونَ] السَّمَاءِ سَمَاءًا

وقال من أخرى في الوزير أبي بكر بن عبد العزيز^٢ بيتا نيسية :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّكَّ أَيْ حَالِمٌ وَمَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكُرَى كَيْفَ يَحْلُمُ

ومن المدح :

وقعتُ بها بين السَّمَاوَاتِ مُنْشَدًا كَمَا يَتَغْنَى الشَّارِبُ الْمَتْرَنَمُ
بِمَدْحِ أَمْرٍ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ عَفَاتِهِ يُخَيَّرُ فِيمَا عِنْدَهُ وَيُحْكَمُ
كَأَنَّ الَّذِي سَوَّاهُ قَالَ لِكَفِّهِ عَلَيْكَ هَذَا الْخَلْقِ رِزْقٌ مُقَسَّمُ
لَقَدْ عَلِمَ الْمَأْمُونُ^٣ أَنَّكَ صَارِمٌ بِيُحْنَاهُ لَا يَنْبُو وَلَا يَتَلَمُّ
يَقُولُونَ لِي إِنَّ الْمَلُوكَ كَثِيرَةٌ وَرَأَيْتُكَ أَمْضَى فِي الْبِلَادِ وَأَحْزَمُ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا كُلُّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ وَلَا كُلُّ مَصْقُولِ الصَّفِيحَةِ مَحْدَمُ

١ لم يرد البيت في ديوانه ، والقافية في (ص) : غبارا .

٢ مرت ترجمته في القسم الثالث : ٤٠ .

٣ ص : المأموم .

٤ ص : فقل .

وله من أخرى يستعطفه لأمرٍ وقع ، والكلام عليه رفيع :

أَتَسْمَعُ فِي مَقَالِ الوِشَاةِ وَإِنْ جِئْتُ بِالْعُذْرِ لَا تَسْمَعُ ؟
تَقْشَعُ غَيْمٌ بِكَفِّيِّ مِنْكَ وَصَوَّحَ فِي سَاحَتِي مُنْجِعُ
فَلَوْلَا اعْتِلَاقِي بِحَبْلِ الرَّجَاءِ لَمَا حَمَلْتُ قَلْبِي الْأَضْلَعُ
فَلِنْ كَانَ قَدَمَاتِ حِظِّي لَدَيْكَ وَحَاشَاكَ بَلْ أَنْتَ لِي أَرْفَعُ
فَدَعْنِي أَيْتَضُّ بِشَيْبِي عَلَيْكَ فَلْيُبْسِ الْمَشِيبَ لَهُ أَفْجَعُ

وقد كرر الخلواني هذا المعنى في شعرٍ قد تقدّم إنشاده .

وقال من أخرى ١ :

نَجْمٌ تَوَلَدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ وَأَيْنَ مِنْ أَبْوَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ؟
شَمْسُ الْعَفَافِ وَبَدْرُ الْمَجْدِ بَيْنَهُمَا تَوَلَدَ النُّورُ إِلَّا أَنَّهُ بَشَرُ

وهذا كقول ابن عمارة يهنيء المعتمد وقد وُلِدَ له مولودان :

أَهْنَا بِنَجَائِكَ مِنْ أُنْثَى وَمِنْ ذَكَرٍ لَا تَعْدَمُ الضُّوءَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

وهو من قول ابن الرومي ٢ :

شَمْسٌ وَبَدْرٌ وَوَلَدَا كَتُوكِبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أُجْمَبَا

وقد تقدّم إنشاده .

١ الشريشي ٤ : ٣١٤ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٢٣٢ وزهر الآداب : ٢٩٤ وهذه القصيدة في مدح أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن بشر المرثدي .

ومن قصيدة الحلواني :

لا أقتضيك مَواعيداً بدأتَ بها
ولا ألوِّمُكَ في تأخِيرِ عاجِلِها
أما ترى الله وهو اللهُ مَوْعِدُهُ
كما تنفَسُ مِن أكامِها الزَّهْرُ
من بعدِ عِلْمِي بما يجري به القدرُ
مُؤخَّرٌ بنعيمِ الخُلْدِ مُنتظَرُ ؟

وقال :

وما كنتُ أدري قبل لؤلؤِ ثَغْرِهِ
بأنَّ اللآلِي من نَباتِ المِباسِمِ

ومنها :

متناديةٌ أنسابُهُ حَميرِيةٌ
فما انبسطتْ إلاَّ بلُجُودِ أكفِّهِمْ
يجرونَ أطرافَ الرِّماحِ إلى الوغى
مُتَوَجِّةٌ بالمجدِ قبلَ العمائمِ
ولا انقبضتْ إلاَّ لضَبْطِ القوائمِ
كما جرتُ العِقبانُ سُودَ الأرقامِ

ومعنى البيتِ منها كقولِ الآخرِ :

وما خلقتُ كَفالكَ إلا لأربَعِ
لتَقْلِبِ^١ هِنديّ وإعطاءِ نائلِ
عِقالٍ لم تُخلِقتُ لهنَّ يدانِ
وتَقْبِيلِ أفواهِ وَقَبْضِ عنانِ

وقال الحلواني^٢ :

يا نفسُ ويحكِ في التغرُّبِ ذِلَّةٌ
وإذا نزلتَ بدارِ قومِ دارِهِمِ
فَتَجَرَّعِي كاسِيَّ أذى وهوانِ
فلهمُ عليكَ تعزُّزُ الأوطانِ

١ ص: لتقبيل .

٢ الشريشي ٢ : ٢٥٨ .

فالشَّمْسُ أَشْرَفُ مَا تَكُونُ بِكِبَرِهَا وَسُقُوطُهَا فِي كَيْفَةِ الْمِيزَانِ
وَصَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ الْأَخِيرِ كَقَوْلِ الْآخِرِ :

إِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهُوِ مُشْتَغِيلاً فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا غَدَا وَهُوَ بُرْجُ اللَّهُوِّ وَالطَّرَبِ؟

وَزَارَ بَعْضَ إِخْوَانِهِ فَحَجَبَهُ فَخَاطَبَهُ بِرُقْعَةٍ يَقُولُ فِي فَصْلِ مِنْهَا :

تَصَدَّقْتُ لِقَاءَ سَيِّدِي تَصَدَّقِي الْمَحَبَّ الْكَثِيبَ ، لِقَاءِ رَسُولِ الْحَبِيبِ ،
وَطُنْفُتُ بِبَابِهِ الْكَرِيمِ ، طَوَافَ الْحَجِيجِ بِالْبَيْتِ الْعَظِيمِ ، فَحَالِ عَثُورِ
الْحَدِّ ، عَنِ مُطَالَعَةِ الْقَمَرِ السَّعْدِ ، وَمَنْعِ سَوْءِ الْبَحْتِ ، عَنِ لِقَاءِ الْكَرِيمِ
الْبَحْتِ ، فَحَدَسْتُ أَنَّ سَيِّدِي - وَوَقْتَهُ - ظَفِيرَتُ يَدَاهِ بَيْنَ يَهْوَاهِ ، فَغَابَ مَغِيباً
الْقَمَرِ ، تَحْتَ غَمَامِ الظَّفَرِ ، وَتَعَاطِيَا بِكَأْسِ الْوِصَالِ ، مُدَامَتِي السَّرُورِ
وَالْجُرْيَالِ ، وَضَيْقِ بَضِيقِ الْعِناقِ ، مَجْرَى الْوِشَاحِ وَالْأَطْوَاقِ : هَتَأَهُ اللَّهُ
بِأَوْغِ أَمَانِيهِ ، وَهَتَأَنَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيهِ . فَحَيَاتُنَا بِسُرُورِهِ مُرْتَبِطَةٌ ، وَنَفُوسُنَا
بِمَا يَشْتَهِيهِ مُغْتَبِطَةٌ .

١ هو أبو الفتح البستي ، والبيتان في اليتيمة ٤ : ٣١٥ وزهر الآداب : ٣٩٧ .
٢ اليتيمة والزهر : برج نجم اللهو .

فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي^١

وكان لساناً بهذا الأفقِ عن العرب أعرب ، وكوكباً من المشرق غرب ،
ولم يقع ليّ عند إكمال هذا الديوان ، وإخراجه من الخبر [١١٩] إلى العيان ،
من شعره، إلاّ ما لا يكادُ يُعربُ عن قدره . ومن أشهر خبرٍ بلغني عنه^٢ أنه
حضر يوماً مجلسَ المعتمد وقد أدخل إليه جملةً وافرةً من ذنابير الفضة ،
فأمر له بخريطتين منها ، وبين يديه تصاوير عنبر من جملةتها صورة جمل
مرصع بنفيس الجوهر ، فقال له أبو العرب على البديهة معترضاً : ما يحمل
هذه الذنابير - أيديك الله - إلاّ جمل ، فتبسم المعتمد وأمر له به ، فقال
أبو العرب على البديهة :

- ١ مصعب بن محمد بن أبي الفرات بن زرارة القرشي العبدي ، أبو العرب : ولد بصقلية
سنة ٤٢٣ وخرج عنها لما تغلب الروم عليها سنة ٤٦٤ قاصداً المعتمد ، فدخل إشبيلية في شهر
ربيع الأول من السنة التالية (٤٦٥) وكان إلى شهرته بالشعر عالماً بالأدب، روى عنه بمض
الأندلسيين كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة ، وبعد أن سجن المعتمد لحق بناصر الدولة صاحب
ميورقة وبقي فيها إلى أن توفي . ويذكر ابن الأبار أنه توفي سنة ٥٠٦ إلا أن ابن الصيرفي
يقول : وبلغني في سنة سبع وخمسمائة أنه سمي بالأندلس ؛ وقبره وقبر ابن اللبانة بميورقة
كانا متجاورين ، وكان هو رجلاً طوالاً بينما كان ابن اللبانة دسداحاً (التكملة: ٤١١)
(انظر ترجمته في التكملة : ٧٠٣ والخريدة ٢ : ٢١٩ والسلفي : ٦٨ ، ١٣٨ والمسالك :
٤٥٦ وابن خلكان ٣ : ٣٣٤ وعيون التواريخ ١٢ : ١٦ (نقلاً عن الذخيرة)
ورايات المبرزين : ١١١ والمغرب (قسم صقلية) وله ذكر في النسخ وبدائع البداهة
والمنازل والديار : ١٢٨/أ ، وعنوان الأريب ١ : ١٢٣ وقد أشرت إلى بعض مصادر
ترجمته في القسم الأول : ٩٠ .
- ٢ وردت هذه القصة والأبيات في المسالك والرايات وبدائع البداهة : ٣٧٣ والنسخ ٣ : ٥٦٩
٤ : ٢٦٠ ، ٢٦١ وعيون التواريخ .

أَجْنَدَيْتَنِي أَجْمَلًا جَوْنًا^١ شَفَعْتَ بِهِ حَمَلًا مِنْ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَوْ حَمَلًا
 سَمَّاحٌ^٢ جُودِكَ فِي أَعْطَانِ مَكْرَمَةٍ لَا قِيدًا يَتَعَرَّفُ^٣ مِنْ مَنَعٍ وَلَا عَقْلًا
 فَاعْجَبْ لِسَانِي فَشَانِي كَلَّمَهُ عَجَبٌ رَفَهْتَنِي فَحَمَلْتُ الْحَمْلَ وَالْحَمَلًا
 فطارت يومئذٍ بهذا الخبر الركائب ، وتمهاته المشارق والمغارب ،
 وذكرته شعراء الوقت ، ورأيتُ في ذلك عدَّةَ قصائدٍ لغيرِ واحدٍ ، ولم
 أحفظُ منها إلا قولَ بعضهم ممن وفد أيضاً على المعتمد ، من جملة قصيدة
 استُبرِدَتْ بِجَمَلَتِهَا ، قال فيها :

يَا مَنْ بَجُودِ يَدَيْهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ وَمَنْ مَوَاهِبِ الْأَمْصَارِ وَالِدُوكُ
 بِحَدِّ جُودِكَ فِي جَنَسِ اللَّسَانِ أَبْدَأُ يَا خَاتَمَ الْجُودِ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
 عِنْدَ ابْنِ حَمَّادٍ فِي ذَالِ الْمَكَانِ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ وَالْأَخْبَارُ تَنْتَقِلُ
 جَرَى حَدِيثُ الصَّقْلِيِّ الثَّابِتِ عَلَى شَعْرِ فِصَارٍ إِلَيْهِ الْحَمْلُ وَالْحَمَلُ

ومن شعر أبي العرب في المعتمد قصيدة أولها :

لَوْلَا السَّرَى فِي ذِمَامِ الصَّارِمِ الذِّكْرُ لَمْ أُطْرُقِ الْحَيَّ فِي أَمْرِ عَلَى خَطَرِ
 مَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ مَرُودًا عَلَى ظِلِّ أَشْهَى إِلَى الصَّبِّ مِنْ وَصْلِ عَلَى حَذَرِ
 قَالَتْ تَجَشَّعَتْ فِي سَبِيلِ الْهَوَى غَرَّرًا قَلَّتِ الْمَتَيْمُ مَقْدَامٌ عَلَى الْغَرَرِ

١ النفع : أعطيتني ، أهديتني ؛ عيون : أهديتني .

٢ ص : أحورا .

٣ النفع والعيون : نتاج ؛ البدائع : يتناخ .

٤ النفع : تصرف .

٥ ص : غرر .

لا كالهَيُوبِ حَمَاهُ الخُوفُ بَغِيَّتَهُ
 نوقَ رَقِبَةَ أعداءِ عيُونِهِمْ
 قلتُ اليَماني حليفِي ما يُفارقني
 رضيتُهُ دونَ إخوانِ الصفاءِ أحمأ
 لاحَ السننَا فانبرتْ من ساعدي فَمَرَقاً
 صدتْ كَوَحْشِيَّةِ هُمُ الأَيسُ بها
 تكفُّ بالفرعِ من لألاءِ غُرَّتِهَا
 حشَّوا المطيَّ [. . .] إنَّ لَهَا
 حتى تُسَيِّحَ بربَّ المجدِ من يَمَنٍ
 تهيبَّ الوردَ حتى عاد بالصدْر
 أذكى من الزُّرقِ في الخَطِيئَةِ السَّمْرُ
 [إني] بغيرِ اليماني غيرُ منتصر
 ما غَيَّرَتْهُ صرُوفُ جمَّةِ الغير
 نجرُ ذيلًا بعفني شاهدَ الأثر
 إلاَّ التيفاتُ بجيدِ الخائفِ الحَسَدِ
 كي لا تمدَّ بياضَ الصبحِ بالقمر
 عقبى الإقالةِ من أينِ ومن ضمير
 في قُبَّةِ الملكِ ربَّ الشَّعرِ من مضر

ومنها في ذكر جواز المعتمد البحر :

ما كان عندك هولُ البحرِ تركبُهُ
 جوداً بنفسك إلاَّ جريةَ النَّهْرِ
 وله من أخرى^١ :

أحاديثنا هذا الربيعُ فخيمِ وأمنيةُ المرثادِ والمتوسمِ^٢
 وحطَّ بنا عن ناجياتِ كأنَّها قسي رمتُ بنا البلادَ بأسهمِ

وقد قدمت من هذا المعنى جملة في ما مرَّ من الكتاب^٣، ومنه قول الطنبي^٤

١ يقول ابن الصيرفي ان هذه القصيدة أول قصيدة أنشدها أبو العرب للمعتد ؛ ومنها في

الخريدة خمسة أبيات وستة في عيون التواريخ : ١٩ .

٢ الخريدة : والمتيم .

٣ الذخيرة ١ : ٨٩ - ٩٠ . ٤ ص : الطنبي .

شاعر الحكم ، مما أنشده ابن عبد الرؤوف^١ :

قد نَصَبْنَا مِنَ الرَّجِيفِ وَأَنْضَيْتُ نَا قِيْلَاصًا سِيَاطَهْنَ الْكَلَامُ
فَكَأَنَّ الرِّكَابَ وَالرِّكَابَ لِلضَّمِّ ر قَسِيٍّ مِنْ فَوْقَهْنَ سَهَامُ

وفي هذه القصيدة يقول :

وقد يبلغ التأويبُ أقصاهُ والسرى
وما طَلَبَتْ إِلَّا فِئَاءَ مُحَمَّدٍ
جعلتُ إليه همتي وعزيمتي
فقالَ ليَ الفالُ الصدوقُ مُبَشِّرًا
وأقبلتُ بابَ الإذنِ فاستأذِنَ الندى
فَرَفَعَ^٢ عَن ذَاكَ الْبَهَاءِ حِجَابُهُ
فقبِلتُ يَمِي رَاحَتِيهِ كَأَنِّي
نظرتُ إليه والمهابةُ دونَه
بلى ورأيتُ الشمسَ والبدرَ والعلا
فأغضيتُ عنه العينَ أوَّلَ نظرةٍ
كَأَن عِيَانِي كَانَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
فلا تَشْتَكِي عَيْنًا وَلَا تَتَنَظَّلَمِي^٣
وهل دونه للركبِ من مثلي ومِ
فناولتاهُ بَعْدَ حَوَلٍ مَجْرَمٍ
قدمتُ على التوفيقِ أَيْمَنَ مَتَقَدِّمٍ
على ملكِ واني الجلالِ معظمِ
وقيلَ استلمَ أُنْدَى بَنَانٍ وَسَلِّمٍ
أقبلُ رُكْنَ الْبَيْتِ سِيرَةَ مُحْرَمٍ
فقسمتُ لحظي بين بدرٍ وضيغمِ
مجسمةً في جوهرِ متجسمِ
ومن يرَ عينَ الشمسِ لا يتوسمِ
فلم ألقه إلا بعين التوهمِ

١ هو محمد بن عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الحميد الأزدي - مولا هم - أبو عبد الله ، كان

عالمًا باللغة والأخبار والتواريخ وألف كتابًا في شعراء الأندلس وتوفي سنة ٣٤٣ .

٢ ص : يشتكى عيناً . . . يتظلم .

٣ ص : ترفع .

وفي المعتمد أيضاً يقول من أخرى^١ :

وقد أزار . وللزوار حكمهم
وأفضلُ البرِّ برُّ يقتضي طرباً
والدَّجنُ يبعثُ همِّي من مكانه
والسُّحبُ للأرضِ بالسقيا مواصلةً
سحٌّ وهطلٌ وجودٌ صوبُ درهما
إني أعاطيك في الشكوى مفاكهةً
والنفسُ . ما انفردت بالجدِّ ، متعبة
بمرمتُ باثنين ضاقَ الصدرُ بينهما
وكلُّ ربعٍ وإن حلَّ الجميعُ به
وقد حللتُ كناساً لا أروعُ به
كالليثِ عاد كسيراً لا افتراس به

عندي من البرِّ والإيناسِ والأدبِ
وأعوزني أمُّ اللهُو والطربِ
والشمسُ ما أخلفتها الريح لم تغب
حتى ارتوت فاستكفمت أبيض السحبِ
فسحَّ أنت بها واهطلُ وجدُّ وصُب
كما تعاطتُ أكفُّ الشربِ بالنخبِ
حتى تراوحَ بين الجدِّ واللعبِ
فقدتُ المدامةِ واستيحاشُ مغتربِ
قفراً إذا لم تكنُ فيه ابنةُ العنبِ
حورَ الظباءِ وإن أعرضن من كئيبِ
يطوي على زفراتٍ نفسَ مكتئبِ

وقال في الزهد^٢ :

أرى الدنيا الدنيّة لا تواتي
ولا يتغرركَ منها حُسنُ بُردِ
فأوله رجاءٌ من سرابٍ
فعالج في التصرفِ والطلابِ
له عِلْمَانِ^٣ من ذهبِ الذهبِ
وآخره رداءٌ من ترابِ

١ منها سبعة أبيات في عيون التواريخ : ١٨ .

٢ منها بيتان في طراز المجالس : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٩٨ وهي في العيون : ١٩ .

٣ ص : بردان ، والتصويب عن الشريشي .

ولما نفذت الأقدار ، بالقبض على ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار ،
بشقورة ، على الصورة المذكورة . حسب ما شرحته في أخباره ^١ ، قال أبو
العرب للمعتمد من جملة قصيد ^٢ :

كأن بلادَ الله كفتكَ إن يسير^٣ بها هارب^٤ ؛ تجمع عليه الأناملا
فأين^٥ يفرُّ المرءَ عنكَ بجرمه . إذا كان يطوي في يديك المراحل

وهذا المعنى قد تداولته جماعة من الجاهليين والمخضرمين ، والمحدثين
والمولدين ، وأرى أن أولَ مَنْ أثاره ، ورفع مناره ، النابغة حيث يقول^٦ :

فانتك كالليل الذي هو مدركي . وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حجن^٧ في حبالٍ متينةٍ . تمدُّ بها أيدي إليكَ نوازع

وأخذه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله العلوي ، وقد بعث
إليه الرشيد من اغتاله بالمغرب ^٧ :

أتظنُّ يا إدريسُ أنتكَ مُفليتُ كيدَ الخلافةِ أو يقيكَ حذارُ
إنَّ السيوفَ إذا انتضاها عززَمةُ طالَتْ وتقصُرُ دونها الأعمار

١ انظر القسم الثاني : ١٥ ، وما بعدها .

٢ البيتان في الخريدة ٢ : ٢٢١ والريحان والريمان ١ : ١٥٦ ب والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

٣ الخريدة : كأن فجاج الأرض يملك .

٤ الخريدة : خائف .

٥ الخريدة : فأنى .

٦ ديوان النابغة : ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٣١ والمؤلف يتابعه ، والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

٧ زهر الآداب ، نفسه والشريشي ٣ : ١٧١ والعيون : ١٦ .

هيهاتَ إلاّ أن تكونَ ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهار
وقال البحرّي ١ :

سُلبوا وأشرفتِ الدماءُ عليهمُ
ولو أنهم ركبوا الكواكبَ لم يكن
محمرةً فكأنهم لم يسلبوا
ليجبرهم من حدّ ٢ بأسك مهرب
وقال عبيد الله بن طاهر ٣ :

ولاني وإن حدثتُ نفسي بأني
لأنك لي مثلُ المكانِ المحيطِ بي
أفوتك إن الرأي مني لعازبُ
من الأرضِ أنى استنهضتني المذاهبُ
وقال سعيد بن حميد ٤ :

يا باخلين علينا في حكومتهم
لسنا إلى غيركم منكم نفرًا إذا
والبحورُ أقيحُ ما يؤتى ويرتكبُ
جُرتم ولكن إليكم منكم الهرب
وقال المتنبي ٥ :

فإنك كالدنيا إليّ حبيبةٌ
فما منك لي إلاّ إليك ذهابُ
والذي هو أشبه وأقرب ، بقول أبي العرب ، ومنه أراه نقل ، وعليه

١ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعيون : ١٧ وديوان البحرّي : ٧٦ .
٢ الديوان : لمجدهم من أخذ .
٣ زهر الآداب : ١٠٣٢ والعمدة ٢ : ١٧٩ والعيون : ١٧ .
٤ عيون التواريخ : ١٧ .
٥ العمدة ٢ : ١٧٩ وديوان المتنبي : ٤٨٢ والعيون : ١٧ .

عول ، قول الأول ١ :

كانّ بلادَ الله وهي عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كفةٌ حابلٍ
تؤدي إليه أنّ كلّ ثنيّةٍ تيمّمها ترمي إليه بقاتل

واستقصاء المناسبة والملاحظة في كل معنى حبلٌ ممدود ، يحلّ لنا الشرط
المعقود ، من إيثار الاختصار ، وقد مرّ منه في تضاعيف هذا التأليف جملة وافرة .

في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله

محمد بن الصباح الصقلي ٢

أحد أدباءِ وقتِه المشاهير ، وكلامُه يُعرب له عن أدبٍ كثير ، وحفظُه غزير ،

فصل له من رقعة خاطب بها الأديب أبا حفص القعيني الأندلسي يعزّيه
في هرة نفقت له ، وجلس للعزاء عنها تماجناً ، قال فيه :

[الحياة] لبني الدنيا مراحل ، والمنايا بلجميعهم مناهل ، والأعمارُ كالأسفار ،
منها القريبُ الوصول ، العاجلُ الحلول ، ومنها البعيد الشقّة ، الشديد المشقّة ،

١ وردا في الأغاني ١٣ : ١٦٣ منسوبين لعبد الله بن حجاج وهما في الكامل ٣ : ١٣١ والحيران

٥ : ٢٤٠ - ٢٤١ وحماسة البحتري : ٢٦٠ ومجموعة المعاني : ١٣٨ وينسبان أحياناً

للقنابل الكلابي (انظر ديوانه : ٩٩) وحيون التواريخ : ١٧ .

٢ لعله هو محمد بن أحمد بن عبد الله الصباح الصقلي الذي وردت ترجمته في المحدثون : ٦٨

نقلا عن الدرّة الخطيرة لابن القطّاع .

أنفاسٌ معدودة ، وآجالٌ معدودة ، وليس بناجٍ من محتومها أحد ، ولا لمخلوقٍ منها مُلْتَحَدٌ ، وانتهى إلى^١ - سهل^١ الله الصبر الجميل سبيلك ، وأطفأ ببردِ السَّلوانِ غليلك - نبأً جَمَلٌ ، وخطبٌ مُعْضِلٌ ، وهو مصابك بشقيقة نفسك^٢ ، وموضعِ راحتك وأنسِك ، وربيبه حِجْرَكَ وحجرتك ، وآلة حَيْطَتِكَ^٣ على حنطتك ، وكالثة ذخائرك وقُنْيَتِكَ^٤ ، واستحواذ فجميعتها على لَبِّكَ ، وما عاجلتها به من ذرورٍ وحنوط ، وإشفاقك من تعجيل إسلامها إلى التراب ، وإبقائك لإياها طويلاً في المحراب . وأليمتك عليها لتدعون^٥ إلى [١١٢] جنازتها مَأْتَمًا يَشْقُقْنَ عليها جيوبَ المدارع ، ويُفْضِنَ من الوجدِ بها غروبَ المدامع ، ويُعْوِلْنَ عليها بالصراخ والنياح . ويُذَرِنَ لمصرعها شعورهن^٦ مع الرياح .

وفي فصل : ولستُ بناسٍ ذكر تلكَ المَلَحِ التي كتبتَ تصف من أخلاقها وآدابها ، والمدحِ التي^٣ تورد في أعراقها وأنسابها^٤ ، والغرائب التي تذكرُ عن قوتها وأيديها ، وحيلها وكيدها ، ومكرها بالفارِ وصيدها ، ولعمري ما أفرطت في نعتها بل فرطت ، وما صرّحت بجميع محاسنها بل لوّحت ، فلقد كانت لبؤةً إلا أنها تدعى هيرةً ، ونمرةً إلا أنها أكثرُ منها شيرةً ، ذات نابٍ مطلول ، وساعدٍ مفتول ، وخصرٍ مجدول ، ريانة الكاهل . ظمآنة الأسافل ، تطير من قوائمها بأسرع من الجناح . وتستضيء من عينيها بأنور من المصباح ، وتعتدُّ من مخالبتها بأمضى من السلاح ، وتسطو من

١ لعل الصواب : جمل .

٢ س : حمطتك .

٣ ص : الذي .

٤ ص : ونسبها .

جرأتها بمثلِ القدرِ المتاح ، لينةُ الوبرِ كالسَّمور . سوداءُ الشعرِ كالديجور .
مأمونة الجيب ، بظهِرِ الغيب ، عظيمةُ النفس ، لطيفةُ الحس . أمينةٌ على
اللحم الموضوع ، ولو شفتها فرطُ الجوع ، وما خانت قطُّ أمانة ، ولا رضيت
يوماً خيانة ، فهي عُوذة الدار ، من الفار ، وعهدُ الأمان . من الجرذان .

قال ابن بسام : وكانت للأديب القعيني هذا جاريةٌ سوداء كلفَ بها
ثم باعها ، وندم فحاول استرجاعها ، فزعم المبتاع أنها حامل – وللقعيني في
ذلك أشعارٌ كثيرة – فكتب أبو عبد الله هذا رقعةً قال فيها : كشف الله عن
قلبك أيها الأديب الحسيب زين الشهوة . ومحا من لبتاك شَيْنَ الهفوة . فعلى
رأيك يتعمد من اختلفت آراؤه . وبهديك يهتدي من أضلَّ القصد . وبه
يقتدي من عُدِم الرشد . ونقل إليَّ بعض من يعرفُ أحوالك ، ويشارفُ
فعالك . خبراً يُصمُّ السمع ، ويضيقُ الذرع . وذلك أنك نبذت من
يدك كُرتك المتكفشة ، فتلقاها من أحسنات صولحائه . وأخرجت عن
ملكك ضفدعتك المريعة ، فتناولها من استحسنت غدرانه ^١ . وبلغك من
إقبالها عليه ، وانصرافها بكليتها إليه ، ما أضرم قلبك شوقاً لا تخبو ناره .
وسلَّ الوجدُ بها عضباً لا ينبو غراره ، فأنشرت للناس من نفسك قيسَ
الأخيلية ^٢ . وأحييت لحم منك مجنون العامرية ، وعضضت على بيعتها
أناملك ، وأنضيت في طلبها زواملك ، وأطلت في وصفِ شوقك لها وأوجزت .
وقصدت في ذكر الأسف عليها ورجزت ^٣ ، وجمعت لها من المحاسن ما

١ ص : غدراته .

٢ حقه أن يقول : توبة الأخيلية .

٣ ص : وقصرت . . . وذخرت .

افترق ، وفتحت من البدائع فيها ما انغلق ، وجعلتها نبض^١ حياتك ، وموضع
شكّاتك ، وسُعة^٢ أوطارك ، وجونة عطارك :

ففيها عنبرُ الهندِ وفيها مسكُ دارينِ
وفيها قصبُ نَعَمَانِ وفيها كسبُ يبرينِ
وفيها قامتِ الحربُ كما كانتُ بصفينِ

فأصبحتَ والظنونُ بك مُرَجِّمة . والألسنةُ عنك مُتَرَجِّمة ، والأقوالُ
فيك كثيرة . والأيدي إليك مشيرة ؛ ويا عجباً منك كيف لم تُبصِّرْ بصيرتُكَ
هذا العوار وشهابها ثاقب ، ولم تعفْ نفسك الساميةُ هذه الأقدار وإباؤها
واجب . شدَّ ما ملكتك سورةُ الغرارةِ وأنت كهلٌ أمين ، وهتفت
بلبّك هتَفَوَاتُ الهوى وعندك عقلٌ رصين ؛ أفي الحقّ أن أستفرغَ قلبك
فلا يخاو ، وأنشدك فلا تسلو :

ندمتَ ندامةَ الكُسميِّ لما تَبَطَّنْها يباضعها سواكا
رأتُ ما سدَّ كعشها وأودى بِغُلَامِتها فَتَلَجَّتْ في جفانكا
فلا تذهبْ بلبّك طائشاتُ من الصَّبَّواتِ واسترجعْ لهاكا

ما لك وللتماذي في غلّوائك ، والزيادةِ في بُرحائك . منهيه قلبك ،
وراجع لبّك ، واذكر خَلْقَها وخُلُقَها ، وتأمّل وجهها وعُسُقَها ،
وانظر خَدَّها وقَدَّها ؛ وهل شيء مما يُسْتَمْلَحُ عندها ؛ والله ما رأيتُ

١ ص : بيض .

٢ ص : وحصنة ؛ والسعة : القرية ينبذ فيها ، وربما وضعت فيها المرأة غزلها وتطنها .

شخصها قطّ إلا تخيلتُ الشيطان ، ولا منقلبتُ مُقلنتها إلا ذكرتُ السرطان .
وأيةُ ضفدعةٍ ماء تعشقتَ ، وقرنبي بها تعلقتَ ، لقد وريَ زَنَدُ مَنْ
خرجت من يديه ، وتَعَسَّ جَدُّ من صارت إليه .

وفي فصل منها : فهنيئاً أبا حفص راحةُ بصرك من شخصها المقيت ،
وفراغُ قلبك من الكعبَدِ بِخَلْقِهَا المميت ، لو غَسَلْتَهَا بكلِّ ماءٍ في البحر ،
وطيبتها بكلِّ عنبرٍ في الشحر ، وضممتها بملابِ كلِّ عطّار ، وفتتَ عليها
من المسك ألفَ قنطار ، ما ازدادت مع الطيب [١١٣] إلا دَفَرًا ، ومع الغسل إلا
وَضْرًا ؛ وكأني بك قد أنشدت بيتَ ابنِ الروميِّ في من لا يشبهها الا في
سوادِ الجلد ، ولا يَشْرَكُهَا إلا في النسبةِ إلى الجدِّ ، يقول ١ :

أكسبها الحبَّ أنها صَبِيغَتُ صَبِيغَةَ حَبِّ القلوبِ والحدقِ

وقال الآخر :

مشبهاتُ الشبابِ والمسكِ تفديهنَّ نفسي من الردى والكروبِ
كيف يهوى الفتى الأديبُ وصالَ البيضِ والبيضُ مشبهاتُ المشيبِ

هيهات ! هنا يقال : ظُنُّ ٢ تَخِيْبُ ، واقلبُ تُصِيبُ ، ما كلُّ بيضاءٍ
شحمة ، ولا كلُّ سوداءٍ تمرّة . فأمسك عنها فقد سَلَتُ عنك ، وابراً منها
فقد بَرِئْتُ منك ، واستصغرت أَلْتِك ٣ ، واعتاضت منك بزعمها أكبر

١ زهر الآداب : ٢٣٠ وقد استشهد به ابن بسام من قبل في القسم الأول : ١٥٠ .

٢ ص : ظنون .

٣ ص : واستصغر إليك .

أيرا وأكثر خيرا : ووصفت عنه من نشاطِ العُدَّة ، وإفراطِ العِيدة ،
ما شُرِّحتَ به صدرا . وأوسعت عليه شِكْرًا .

وفي فصل منها : وأما قولك : ما الذي أعجبها من دمامته ، وقصيرِ
قامته ، وعِظَمِ هامته ، ووسخِ عمامته ، حتى شغفها حُبًّا ، وأصبحَ فؤادها
به صبيًا . فنعم :

أعجبها من خلتقه فمُدَّ عَجارمُ ضخمُ القذالِ نَهْدُ
ماملمُ الأقطارِ عِبَلُ جلدِ مثلُ ذراعِ البِكْرِ أو أشدُّ

ولو كنت ممن يُربِيعُ بالنهار ، وَيُشْبِيعُ بالليل ، كما حكى عنه ،
لما واجهتك بما لا تريد ، وباعت صُحْبَتِكَ في من يزيد^٢ . فانقضَّ غَزْلُ
حبك لها أنكائًا . وطلَّقَ علاقةَ قلبك بها ثلاثًا .

فراجعهُ القعيني برقعةٍ طويلةٍ انتصر فيها لنفسه هنالك ، وأقام حججًا
على صواب ذلك .

فأجابه الصقلي برقعةٍ أخرى يقول في فصل منها : زعمت أنك شديدُ
الغرام ، بشقيقةِ الظلام . وأني أخطأتُ في عَتَبِكَ على حبِّها ، وظلمتُ
في نهيك عن قربها ، وجعلتُ أشعارَكَ في النسيبِ بها حجةً لتمييزك . وإنكارَ
التأنيبِ عليها عذراً من تعجيزك ، وطفقتُ تنشُدُ رافعاً عقيرتك ، مستصغراً
كبيرتك :

١ ص : العدا

٢ ص : تريد .

أستودعُ اللهَ مولىً مملكتَهُ يدي ودعتُ إلا شجوني إذ أودعتهُ
 جسمٌ من المسكِ أقصته النوى فمضى وفي ذؤابته عندي تضيوعه
 وبدر تمّ تقاضاهُ الأفلوُ فيا ويلى طويلاً وعندي كان مطلعُه
 عديمتهُ ذهباً لوناً وفائدةً واذلّ من ليستِ الآدابُ ترفعه
 يا قطعةً من فؤادي جذّها قدرٌ حتّامَ تجفوه عدواناً وتقطعه
 أهوى الأصيلَ إليها من ملابسةٍ ثوباً بهياً ولكن ليس تخلعه

فجعلتها مسكاً فتيقاً ، وذهباً عتيقاً ، وقطعةً من فؤادك ، ومضينةً
 لودادك ، وسبباً لانقيادك ، وألبستها من الأصيلِ ثوباً لا يُخلع ، ودرعاً
 لا يُنزع ، وزعمت أنك اخترعت في هذا النسيب معنى لم يُسمع ، فانتصرت
 لمذهبك ، وحلتيت عاطلَ مركبك . وما أدري ما أقبلُ من شعيرتِك .
 ولا ما آخذ من قوليك ، أهذا الأولُ الذي زعمت أنك قلتَهُ في عنفوانِ
 الصبابة ، وإفراطِ الكتابة ، أم حين ٢ جلّى الله [عن] بصيرتك غيابتها ،
 وكشفت ٣ عنها عمايتها — حين قلت :

ياسوءَ ما اخترتها في الحبّ ضفدعةً جحوظَ عينٍ وقدأ مفرطَ القصرِ
 إذا أردتُ نكاحاً وهي مجمرةٌ عطرأُ أرت خلتق إبراهيم من قدرِ
 الحمدُ لله جلّى في الغرام بها بصيرتي فرأى أقدارها بصري

فمتى عادتِ الضفدعةُ غزالاً ، وصار هذا النقصُ كمالاً؟ ! وشدّ ما عميتُ

١ ص : وتبقى في .

٢ ص : جبل .

٣ ص : وكشفت .

٤ ص : مجهدة .

بصيرتُكَ بعد جلائها ، وتسامعتُ^١ سيادتك بعد إبانها ، وطمشت إلى سؤر
هذا البخازر . وهو من لبن حازر . أتراها بعد أن اختبرت عَرْدَه ، وبكَّنتُ
زَوْجَه وفردَه ، وذاقْتُ صابَه وشهدَه ، ورأتُ كلَّ ما يسرها عنده ،
تصبرُ على دِقَّةِ مِسْبارِكِ ، وترضى مَلَّةَ خُشْكارِكِ ، وهيهات ما سولتُ
لك الأحلام . والله لو عادتِ إلى ملكك ، ما ملتُ من فِرْكَكِ . ولا رجعت
عن تركك . ولو جعلتِ السندسَ لها بَسْطًا ، والثريما في أذنيها قرطا ، وصيرتَ
بني حام كلَّهم لها خَوَلا ، وحشرتَ عليها كلَّ شيءٍ قُبَيْلا ، ما كانت
لِتُقْبِلَ عليك ، ولا لتصرف وجه محبتها إليك .

وفي فصل : وأما ما ذكرت من خُلَيْدَة^٢ التي ادعت عشقتها عليّ ،
ونسبت حبَّها إليّ ، فقد أذكرتني الطعنَ وكنت ناسيا ، قد كنت رأيتها
في المعرض ، وعندني من الارتياحِ إلى الملاح ، ما عند الغصونِ لهيف الرياح ،
ومن الشغفِ^٣ في أمثالها إلى اللقيا، ما بالرياض إلى السقيا [١١٤] فرأيتُ لثامها قد
حُطَّ عن بدر كمال ، وإزارها قد غصَّ بردفِ رِيان ، وسرَّحت طرفي
منها في روضةِ حُسْنِ أريضة ، وحديقةِ جمالِ أنيقة ، وأعطيتُ مولاها
فيها السَّوْلَ ، وبلَّغْتُه في ثمنها المأمول ، وسألها بعض التجار ، عن الدار
وعن النَّجار ، فترجمتُ عن منصبها ، وأعربتُ عن نسبها ، بغرائبِ ألفاظ ،
عزيرِ سماعٍ مثليها بسوقِ عكاظ ، مسختِ القاف كافا^٤ ، وردت الأوصاف
« أوسافا » ، فقُبِّحتُ بذلك الكلام حُسْنَهَا ، ورجمت الأسماعَ بلغةِ كأنَّها :

١ ص : وتشاغت .

٢ ص : جليدة .

٣ ص : السفن .

٤ ص : الكاف قافا .

• بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مَتُونِ غَمَامٍ •

فَعَادَ مُبْرَمٌ حَبِي لَهَا سَحِيلًا ، وَلَمْ تَسْسُوْ عِنْدِي لَذِكْ فَتِيْلًا . وَمَا عَجِبْتُ
كَمَعَجَبِي مِنْ وَصْفِكُمْ بِقِصْرِ الْخَطَا ، وَتَشْبِيْهِكُمْ بِإِيْهَامِ الْقَطَا ، فَإِنْ كَانَ
نَقْدُكُمْ فِي الشُّعْرِ وَمِرَامِيهِ ، وَاقْتِضَابُكُمْ لَغَرِيْبِ مَعَانِيهِ ، بِهَذِهِ الْقَرِيْحَةِ الصَّافِيَةِ ،
وَالْبَصِيْرَةِ النَّافِذَةِ الْمُنْتَهِمَةِ ، فَقَدْ فُتَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ سَبْقًا ، وَبَرَزَتْ
عَلَى الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ صِدْقًا . كَيْفَ جَازَ عَلَيْكُمْ هَذَا الْغَلَطُ وَأَنْتَ صَيْرْفِيٌّ
الْكَلَامِ . مَعْنَوِيٌّ النِّظَامِ ، وَغَيْرُكُمْ بِذَلِكَ التَّشْبِيْهِ كَانَ أَلِيْقًا ، وَهُوَ بِهِ أَعْلَقَ ،
تِلْكَ بِيضَاءُ قَصِيْرَةٍ بِزَعْمِكَ ، وَهَذِهِ سُودَاءُ دَحْدَاحَةٍ بِزَعْمِكَ :

قَرِيْبَةُ الْأَقْطَارِ مَلْمُومَةٌ مَغْمُوسَةٌ فِي خُضْرَةِ جَوْنِ
لَا تَخْطِيءُ الْبَقَّةُ أَوْصَافَهَا فِي النَّتْنِ وَالْقَامَةِ وَاللَّوْنِ

وَأَمَّا مَا عَيْبْتَهُ مِنْ زُرْقَتِهَا - وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ، وَكَانَتْ الشَّهْلَاءُ فِي
نَعْتِكَ - فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

وَأَزْرَقِ الْعَيْنِ فَاتِرِ الْعَسَجِ زُرْقَةُ عَيْنِيهِ آفَةُ الْمَهْجِ
قَالُوا بِهِ زُرْقَةُ فَقُلْتُ لَهُمْ تَمَّ بِهَا حُسْنُ وَجْهِهِ الْبَهْجِ
مَا زُرْقَةُ الْعَيْنِ مِثْلُ كَحْلَتِهَا كَمْ بَيْنَ يَاقُوْتَةٍ إِلَى سَبْجِ

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَهِيَ هُنَا وَقَفْتُ وَأَمْسَكْتُ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْإِخْوَانِ
أَحْرَقَنِي بِنَارِ الْعِتَابِ ، وَأَخْرَجَنِي بِهَا عَنِ طَبَقَةِ الْكِتَابِ ، وَرَكِبَ فِي مَلَامَتِي
رَاسَهُ ، وَمَدَّ بِهَا إِلَيَّ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْنَبَ فِي اللَّوْمِ وَأَسْهَبَ . وَصَعِدَ فِيَّ

١ ص : فَأَيْنَ مِنْكَ مِنْ .

العتبِ و صوب ، يقول في فصل منها^١ : « وقفتُ على ما أدّك إليه كثرةُ
الفضول ، من إيرادك تلك الفصول ، التي مسّخت جواهرها خرفاً^٢ ،
ولآلتها صدفاً ، ورأيتُ تلك النصيحة ، التي صارت فضيحة ، والمحاسن
التي عادت قبيحة ، والألفاظ العذاب ، التي آضت سيّطاً عذاب ، وتأدب
من عاطيت ، وجواب من كاتب ، فتأوهتُ وتفجعتُ ، وحوّقتُ
واسترجعت ، وقلت : أما انتبه من سنّة غفلته ، وذكر بيّ حكمته ،
إذ يقول :

إذا ما هدّيت امرءاً مخطئاً أضلّ السبيلَ إلى قصدهِ
ولم تلتقتهُ سامعاً قابلاً فحسّن له المشيَ في ضدهِ

ولقد سررتُ بما أصابك ، وابتهجتُ بما نابك ، فمساك يوماً تعرفُ
أخلاقَ الناس ، وتزنُ أحلامهمُ بالقسطاس ، وتنتقدُ أحوالهم وأفعالهم ،
وتختبرُ ضرائبهمُ وأشكالهم ، فتميزُ الخبيثَ من الطيبِ ، وتجانفُ^٣ مین
بعدُ عن الدعابةِ في خطاب ، أو إجابةٍ بكتاب .

هذه شكيمهٌ كبتحتني بها هذا الصديقُ بعد أن جمحتُ ورحمتُ ،
وخطامٌ خطمني به بعد أن أرقلتُ وأوجفتُ ، ولولاه لعرضتُ أكثرَ من
هذا المتاع ، وكليتُ بأكبرَ من هذا الصاع .

١ ما يلي هو نص ما كتبه إليه صديقه حين لا مه .

٢ ص : خرفا .

٣ ص : وتجانب .

وله من رقعة إلى ابن الشامي صاحب الخمس . راغباً في أن يكلم له
الأمير صمصام الدولة^١ في أن يحرر له أرضاً كان اشتراها :

إذا الحاجاتُ عيَّ بها رجالٌ وكان قضاؤها صعبَ المرامِ
وقلتُ حيلةَ الشفعاء فيها فحاولُ نُجْحُها بيني الشامي
دراري العلاء حنفتُ ببدرٍ منيرٍ في سماءِ المجدِ سامِ

ويعلم - أدام الله تمكينه - مذهبي في التخفيف . وسحمل مؤنة التكليف .
إلا في ما تلجىء الضرورة إليه ، ويحملُ الاضطهاداً عليه ، وكنتُ من
ترفية النفس عن الامتهان ، والقناعة بما تسمحُ به نفسُ الزمان ، عن حالة
يعلم - حرس الله مجده - تقلّبي في أثنائها . ومقيلي في أفيائها ، حتى عرّض
لي من سوء القضاء ، ما أجار بالنار من الرضاء ، فسوّل لي الحرصُ الذي
ما شمتُ له قطُّ بارقاً ، والطمعُ الذي ما ركبتُ له قطُّ عاتقاً ، النظرُ في
إحداثِ بستانٍ في خرائبٍ أخربتُ مالي ، وشغلتي عن كثيرٍ من أشغالي ،
وصرتُ منفقاً ما جمعتُ في الغربة والوطن ، وكسبتُ في الإقامة والظعن ،
بين جدارٍ فيها أهدمه . وغارٍ أهدمه ، وأرضٍ أرفعُ مرّةً وهادها ، وأخفضُ
تارةً نجادها ، حتى استوت ساحاتها [١١٥] وتوطّئت ، وغابت مغاراتُها وتغطّيت ،
وانكشطت أسنمتُها والمحطّيتُ ، وفي بناء حائطٍ أحدق بأقطاره ، وآمنُ
به على ثماره ، وفي حفر بشر ينقعُ ماؤها صداه ، ويبلُّ إذا حمّيتي المهجيرُ

١ هو الصمصام بن يوسف ثقة الدولة ، تولى بعد أخيه الأكمل تأييد الدولة سنة ٤٢٧ ولم
تطل أيامه ، بل ثار عليه أهل بلرم وأخرجوه ، واستقل كل قائد في جزيرة صقلية
بمنطقته .

٢ كذا ، ويمكن أن تقرأ « الاضطرار » .

ثراه ، ما لو أقررتُ به بين يدي القاضي أو شهيدَ به عليّ لتوجهَ عليه فيما يلزمه من الفرض . ويحقُّ عليه في الإبرام والنقض ، أن يُثبتني على رأي الفقهاء ، في ديوانِ السفهاء ، إذ لا يُقدَّرُ على سقني دوحاته ، ولا يُتوصَّلُ إلى احياء مواته ، إلاّ بدولابٍ وجابية ، يأخذانِ الماءَ أخذةً رابية ، وعند الوصولِ إلى هذه الفصول ، والانتهاجِ إلى هذا المحصول ، قرعتُ سنّ النادم ، وانتبهتُ انتباهَ الحالم ، وكنتُ كتاجرِ البلتور ، في ابتياعِ السنور . ومسرحِ الدجاج . في مخزنِ الزجاج : أحدثَ هذا في ماله من البوار . ما لا يحدثه عابثُ الفار ، وجلبَ ذلك إلى بضاعته من الفساد . ما لا يحدثه وافدُ الكساد .

وفي فصل منها : ولا بدّ لفريق البحر أن يدرج فيخرج^١ ، وللتائه في القفر أن يضلّ فيهلك ، أو يُبدّل فيسلك ، وقد علم قلّة حاجاتِ وليّته إليه ، وإيثاره التخفيفَ عليه ؛ ومتى أعلمَ الأميرَ أنّ هذه الخرائبَ التي عانى وليّتهُ غيراسها ، لا يُرتجى لها عمارةٌ تعودُ بفائد ، ولا ينتفعُ الديوانُ منها بدرهمٍ واحد ، وساكنوها منذ أعوام ما أدّى واحدٌ منهم خراجاً ، ولا صنعَ لبيته باباً ولا رتاجاً ، فهم بين قومٍ يأكلون الشجر قبل الثمر ، ويترعون الأبّ قبل الحبّ ، وما آمن مع ما أحذقت به من الأسوار ، وخرجت في [النفقة] عن المقدار ، أن يوجفوا إليه بالحوالق ، وينقضوا فيها كالشوائق ، كما يفعلون في بستانِ فلان ، الذي أنفق فيه عمره وماله . وصرفَ إليه همته واهتباله ، فهو في الشتاء من علوجِ الزّبر والحفر ، وأصحابِ الغرّسِ والبدر ، فإذا بلغتْ ثمرته ، ووجبتْ غلّته ، حامّ

١ لعله : فيفرق أو يخرج .

عليه بنو حام ، ولم يمتنع منهم بحارسٍ ولا حام ، ﴿ وَأَحْيَيْتَ بِشَمْرِهِ
فَأَصْبَحَ يُقَالِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا ﴾ (الكهف : ٤٢) . وناهيك [بِدُرَّةٍ] ظَفِرَتْ يَدِي بِأَخْتِهَا ،
وَمَخْشَلَبَةٌ غَنِيَّتْ عَنْ ثِقْبِهَا وَنَحْتِهَا ، ومتى لم يلحظني مولاي بعينِ
رعايته ، ويمدَّ إليَّ [يَدًا] عناية ، في ما رغبتُ وسألتُ ، انقلبتُ بأملٍ
عاطلٍ ، وعملٍ باطلٍ .

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلّي^١

أحدُ مَنْ وفد أيضاً على المعتمد ، وهو من جُمْلَةِ مَنْ لقيته وشافهته ،
وأسمعتني شعره ، وهو شاعرٌ ماهرٌ بقرطسٍ أغراضَ المعاني البديعة ، ويعبّر
عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة ، ويتصرّف في التشبيه ويغوص في بحر الكلام
على درّ المعنى الغريب .

١ انظر الخريدة ٢ : ١٩٤ ورايات المبرزين : ١١٢ والمطرب : ٥٤ ومسالك الأبصار :
٢٨٨ والسلفي : ٨٦ وابن خلكان ٣ : ١٢١ وعيون التواريخ ١٢ : ٢٥٥ والمكتبة
الصقلية ونفح الطيب ، وقد كتبت عنه دراسات منها دراسة للأستاذين السقا والمنشاوي
(القاهرة ١٩٢٩) ودراسة بالإيطالية للأستاذ جبرائيل ، وقد كتبت عنه فصلا في كتابي
«العرب في صقلية» : ٢٣٥-٢٦٢ ودراسة جعلتها مقدمة على ديوانه الذي قمت بنشره سنة
١٩٦٠ ويبدو من المقارنة أن الذخيرة انفردت بقصائد لا نجد لها في أصول ديوانه ، ومعنى
ذلك - في الأرجح - أن هذه القصائد تمثل رواية - أو مجموعة - كانت له بالأندلس ، وبخاصة
وان ابن بسام لقيه وسمع شعره ، ولكن ابن حمديس عاش حتى سنة ٥٢٧ وكثر شعره ،
فالذخيرة تمثل حقاً المرحلة التي سبقت مغادرته للأندلس وبعض قصائده مما قاله في بني زيري
من بعد . وسأعارض شعره الوارد هنا بديوانه وحده لأنني قمت بتخريج شعره من المصادر
المتيسرة حين تحقيق الديوان نفسه .

فمن ذلك قصيدة أولها^١ :

لم نؤت ليلتنا الغراء من قِصرِ لولا وصالِ ذواتِ الدلِّ والخفِّرِ

يقول فيها :

لأنِّي امرؤٌ لا أرى خَلَعَ العذارِ على
فما فتنتُ بردفٍ غيرِ مُرتدِفٍ
وربَّ صفراءَ لم تتركِ بيسورتها
تزدادُ ضعفاً [قواها] كلما خَلَقَتْ^٤
لا يعرفُ الشُّربُ عيباً في مناقبها
يصافحُ الراحَ من كاساتها شِعْلُ^٥
إذا النديمُ حسَّاسها خَلِيتَ جريتها

من لا يقومُ عليه في الهوى عندُري
ولا حَتَنَتْ لخصرٍ^٢ غيرِ مختصرِ
ليصولةِ الهمِّ من عَيْنٍ ولا أثرِ^٣
بها اللياليِ حدودَ الضَّعفِ والكبرِ
إلاَّ دغاويَ بينَ المسكِ والزهرِ
ترمي مَخافَةَ لمسِ الماءِ بالشُّررِ
نجماً تصوبَّ حتى غابَ^٦ في قمرِ

ومنها :

١ ديوانه : ٢٠٤ .

٢ الديوان : ولا جنت بخصر .

٣ روايته في الديوان :

وشربة من دم العنقود لو عدت

أو لعله بيت آخر وقع مرقعه أو بعده .

٤ الديوان : بَلنت .

٥ روايته في الديوان :

لا يسمع الأنف من نجومى تارجها

٦ الديوان : غار .

بالله^١ يا سَمْرَاتِ الحَيِّ هل هَجَعْتِ
وهل يراجعُ وكرأً فيك مغتربُ
يفديك^٢ قلبي ولو أسطيعُ من وآلته^٣
في ظلِّ أغصانك الغزلانُ عن سحري^٤
عزّت جناحيه أشراكُ من القدر
طارَتْ إليكِ بجسمي لمحةُ البصر

ومن المدح^٥ :

بالرزقِ ما بين منهلٍ ومنهمر
عديلاً يؤلّفُ بين الشاءِ والتّمر
ها بوادِرُ لا تُبقي على البدر
الباسطُ الكفَّ بالحدوى التي وكفّت
والموسعُ الأرضُ إذ جارتُ أكابرها
كم آيةٍ لك في الإفضالِ معجزةٍ

قوله : « نجماً تصوّب حتى غاب في قمر » معنىً قد طوي ونُشر ،
ومنه قول الحسين بن الضحّاك^٤ :

كأنّما نصبُ كأسه قَمَرٌ
يكرعُ في بعضِ أنجمِ الفلكِ
وأخذه أبو نواس فقال^٥ :

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلته
يقبَلُ في داجٍ من الليلِ كوكبا [١١٦]
وقد أخذ بعض أهل عصرنا هذا المعنى ، وهو الأديب أبو محمد بن
صارة الشنتريني فقال :

١ الديوان : سهري ، وفي ص : سحر .

٢ الديوان : ففيك

٣ هذه الأبيات الثلاثة لم ترد في رواية الديوان واثبتها هنالك في الحاشية : ٢٠٨ .

٤ ديوانه : ٨٨ .

٥ ديوان أبي نواس : ٢٤٤ .

وافى بها صهباءَ من أوصافه فرأت نديماً منهما شمس الضحى
دقُّ الثنايا دونَ نيلِ مَرَامِها في الليلِ قابضةً على بهرامِها
وقال فيه أيضاً :

ورشاً خَدَّهُ حديقةُ وِردٍ خلتهُ حينَ عبَّ في الكاسِ بدرأ
حُمَيْتُ من عذارهِ بِحُبَابِ عبَّ من ذوبِ كوكبِ في عباب
وقال الصقلي من أخرى^١ :

باكرُ إلى اللذاتِ واركبُ لها من قبل أن ترشفَ شمسُ الضحى
سوابقَ اللهُوِ ذواتِ المراحِ ريقَ الغوادي من ثغورِ الأفاح
وله من قصيدة^٢ :

قد طيبَ الأفاقَ طيبُ ثنائيهِ حتى كأنَّ الشمسَ تُذكي المندلا
وكررَ هذا المعنى فقال^٣ :

وكانتِ شمسُ الظهيرةِ نارُهُ وكانتِ شجرةُ البسيطةِ عودُهُ
وله يستنجز المعتمد بن عباد وقد لزم باب قصره عاماً كاملاً^٤ :

١ ديوان ابن حديس : ٨٩ .

٢ ديوانه : ٥٥٩ (عن الذخيرة) .

٣ ديوانه : ٥٤٤ (عن الذخيرة) .

٤ ديوانه : ١١٠ .

أيا موليّ الصنّع الجميلِ إذا انتشى
وفي كلّ أرضٍ من بَداهُ حَديقَةَ
أأفردُ بالحرمانِ من كلّ عاطلٍ
أنتني على بُعدِ النوى منك دعوةً
فجاءك من أهلِ البديعِ مصرفٌ
وكان عليه الخلقُ ليلاً يجوبه
رفعتُ بأظعاني إلى ما تحدّه^٣
ويا مُسديّ النيّلِ الجزيلِ إذا صحا
تضوّعَ مسكاً فتورها وتفتحا
تطوّقَ من نعماك ثمّ توشحها
أثارت بناتِ السيرِ حولاً ولقحها^١
مهارَ القوافي^٢ في امتداحك قرّحاً
إليكَ فلمّا لاحَ وجهك أصبحها
علاك فوقعَ ممسكاً أو مسرّحاً

ثمّ تصرّفتِ الليالي والأيام ، اللاعبةُ بالأنام ، واقتضت بالمعتمد الحال ،
إلى الاعتقال ، بسجن أغمات ، وسمع الصقلتي هذا شعر المعتمد الذي قد
تقدم إنشاده حيث يقول فيه :

قضى الله في حمصِ الحمامِ وبعثرتُ
تراهُ عَسيراً أم يَسيراً نَنالُهُ
هناك عنا للشورِ قبورِ
إلاّ كل ما شاءَ الإلهُ يَسيرِ
فأجابه الصقلي أبو محمد بأبيات منها قوله * :

أتيأسُ من يومٍ يناقضُ أمسَهُ
ولما رحلتم بالتندى في أكفكم
وشهبُ الدراري في البروجِ تدورُ
وقلقليلَ رضوى منكم وثبيرِ

- ١ الديوان : قطعت لما بالعزم نجداً وصحصصا .
٢ الديوان : ويحتال من أهل القريظ . . . يهادي القوافي .
٣ الديوان : وأصحابي . . . تجده .
٤ القسم الثاني : ٧٥ وديوان ابن حمديس : ٢٦٧ .
٥ ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ - ٢٦٩ والذخيرة ٢ : ٧٦ .

رفعتُ لساني بالقيامَةِ قد دنتُ فهدى الجبالُ الراسياتُ تَسِير

وله من قصيدة في القاضي ابن القاسم بسلا ١ :

لكلِّ محبِّ نظرةٍ تَبَعَتْهُ الهَوَىٰ ولي نظرةٌ نحو القتولِ هي القتلُ
أترتدُ^٢ بالتكريهِ رسلِ نواظري ومن شِيَمِ الإنصافِ أن تكرمَ الرسل

ومنها :

ركبتُ نوَى جِوَابَةِ الأَرْضِ لم يعشُ لراكبها عيس^٣ تحبُّ ولا رحل
أسائلُ عن دارِ السَّماحِ وأهلِهِ ولا دارَ فيها للسَّماحِ ولا أهل
ولولا ذرى ابن القاسمِ الواهبِ الغنى لما حُطَّ منها عند ذي كرمِ رحل
تُخَفِّضُ أقدارُ اللثامِ بلؤمِهِم وقد رُءِيَ عليٌّ من مكارمِهِ يعلو
ففى لم يفارق كَفَّهُ عَقْدُ مِنتَةٍ ولا عِرضُهُ صَوْنٌ ولا مالُهُ بَدَل
له نِعَمٌ تَخَضَّرُ منها مواقعٌ ولا سيَّما إن غَيَّرَ الأفقَ المحل
ورحبُ جنابِ حين ينزلُ للقرى؛ وفصلُ خطابِ حين يجتمعُ الحفل
ووجهُ جَمِيلُ الوجهِ تحسبُ حُرَّةً حساماً له من لَحْظِ سائِلِهِ صَقْلُ
مروعةً أموالُهُ بِيَعْطائِهِ كأنَّ جنوناً مسَّها منه أو خَبْلُ
وأى أمانٍ أو قرارٍ لخائفٍ على رأسه من كَفِّ قاتله نصل

١ الديوان : ٥٥٧ (عن الذخيرة) ومنها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ص : تريد (دون اعجام للياء) .

٣ المسالك : عنس .

٤ لعل صوابه : حينما يبذل القرى أو : حين يستنزل القرى .

ومنها :

لقد بهرت شهب الدراري منيرة
ورثتم تراث المجد من كل سيد
فمن قمر يبقي على الأفق بعده
وأصبح منكم في سلا الجور أحرساً
ملكتم القوافي إذ توخيت مدحكهم
وما أذواد تملكها فحل

وله من أخرى في تميم أمير المهديّة ويتفجع على دخول الروم صقلية ،
أولها ٢ :

تدرعت صبري جنة للنواب
فإن لم تستلم يا زمان فحارب

يقول فيها :

بلاد جرى فوق البلاد ماؤها
فطمت بها عن كل كأس ولدّة
يبيت رئاس السيف في ثني ساعدي
وما ضاجع الهندي غير مثلهم
إذا كان لي في السيف أنس ألفته
وكنت وقدتي في الصبا مثل قدّه

١ كذا هو في ص ولعله : « بالهدى » أو ما أشبهه .

٢ ديوان ابن حمديس : ٢٨ .

فإن كان لي في المشرفي مآرب^١ بهمشك أيّ الفجعتين استربتها^٢ تغذّي باخلاقي قديماً^٣ ولم تكن^٤ ويا ربّ نبت تعتربه مرارة^٥ جهلت فجربت الذي أنا عالم^٣

فكم في عصا موسى له من مآرب
 خيانة دهرى أم خيانة صاحبي [١١٧]
 ضرائبه إلاّ خلاف ضرائبي
 وقد كان يُسقى عذب ماء السحاب
 وقد تُجهلُ الأشياءُ قبل التجارب

ومنها :

وكم عزمات كالسيوف صواقٍ في سماء الشرقِ مطلعُ كوكبٍ ألفتُ اغترابي عنه حتى تكاثرت متى تسمع الجوزاءُ في الجوّ منطقي لياليّ بالمهديتين كأنها الآ إذا شئت أن أرمي الهلال بلحظةٍ

تجرّدُها أيدي الأمانى الكواذبِ
 جلا من ضلوعي بين زهر الكواكبِ
 له عقْدُ الأيتامِ في كفّ حاسب
 تُصخّ من مقالي في ارتجالِ الغرائب
 لى من دنياك فوق ترائب
 لمحتُ تميمًا في سماء المناقبِ

ومنها :

ولو أنّ أرضي حرّةً لاتبعتها بعزمٍ يقدّم السير ضربةً لازب

١ الديوان : أنحسبني أنسى وما زلت ذاكرًا .

٢ الديوان : صغيراً .

٣ الديوان : علمت بتجريبي أموراً جهلتها .

٤ ص : حلا من ضلوعي بين زند الكواعب .

٥ له وجه من معنى ، وأحسبه « يمد » كما في الديوان .

ولكن^١ أرضي لا عدمتُ فكاكها^١
لئن ظفرتُ تلك الكلابُ بأكلها
أحينَ تَفانِي أهلها طوعَ فتنةٍ
وأضحتُ بها أهواؤهم وكأنما^٢
تخبُّ بهم قُبَّ يُطيلُ صهيلها
مؤتلة الآذانِ تحتَ [إلاهم]

من الأسرِ في أيدي العلوجِ الغواصب
فبعد سكونٍ للعروقِ الضوارب
يضرّمُ فيها نارهُ كلُّ حاطب
مذاهبهم فيها اختلافُ المذاهب
بأرضِ أعاديهم نياحِ النوادب^٣
كما حرّفتُ بالبري أقلامُ كاتب

وله من أخرى أولها^٤ :

شفاؤكَ في نوى تُنضي الركابا
فلا تَقنَع من الدُّنيا بِحِظِّ
فشرُّ ليوث [هذي الأرض] ليثٌ
سأسري تحتَ نجمٍ من سناني
وينجدني على الخلدانِ^٥ عَضْبٌ
ونُجْحُكَ عن سرّي تطوي اليبابا
إذا لم تحوهِ يدك اغتصابا
يُشاركُ في فريسته الذئبابا
إذا نجمٌ من الأنصارِ غابا^٥
يفلّلُ قمره النوبَ الصعابا

١ الديوان : كيف لي بفكاكها .

٢ ص : وكأنها .

٣ ما حذفه ابن بسام قبل هذا البيت يشوه السياق ، ففي ما قبله كان ابن حمديس ينعي على قومه شوبهم في فتنة قسمتهم وأرهنت قوتهم ، وفي هذا البيت وما يليه يشيد بما كان لهم من بطولات قبل تلك الفتنة .

٤ ديوانه : ١٤ ومطلعها مختلف ، وهو :

ألا كم تسمع الزمن المتابا تخاطبه ولا يدري الخطابا
والأبيات الثلاثة الأولى هنا ليست في رواية الديوان .

٥ الديوان : عن الأبصار .

٦ قراءة غير دقيقة لما في ص ، واقرب الصور المثبتة « الخدفا » .

يمانيّ إذا^١ استمطرتُ صوباً
كأنَّ شعاعَ عينِ الشمسِ فيهِ
به من عارضِ المُهجاتِ صابا
وإن كان الفرندُ به ضبابا
ومنها :

وكنّا في مواطننا كراماً
ونطلعُ في مطالعنا نُجوماً
نعافُ الضيمَ أنفسنا وتابى
نُعِدُّ لكلِّ شيطانٍ شهابا
صبرنا للخطوبِ على ضرُوبِ^٢
ولم تسلّمْ لنا إلاّ نفوسُ^٣
ولم تخلُ الكواكبُ من سقوطِ
ولكن لا يبلّغُها الترابا
ومن أخرى^٤ :

بلى جرّاً أذبالَ الصبّا فتصابتى
قصرتُ^٥ زماني بالشمولِ مُسِنَّةً
وأوجفَ خيّلاً في الهوى وركابا
وبالروضِ كتهلاً والفتاة كعابا
يقول فيها :

وأقصر أيتامِ الفتى يومُ الدقةِ
صفا ما صفا بالعيش منه فطابا^٦

١ الديوان : يمان كلما .

٢ الديوان : صروف .

٣ الديوان : نكرمها اكتسابا .

٤ الديوان : ٥٤ ، ٣٩ هـ (والثانية نقلا عن الذخيرة وهي تكاد تكون رواية مستقلة) .

٥ الديوان : قطعت (٥٤) .

٦ من هنا حتى آخر القصيدة مما تستقل به رواية الذخيرة .

لِيَا لِي لَا تَرْمِي الرَّمِيَّ وَإِنْ تُصِيبُ
 وَعَصْبَةٌ لَهُوَ غَادِرُوا الْهَمَّ جَانِبًا
 يَدِيرُونَهَا راحاً كأنَّ بكاسيها
 تنافرُ لمسِ الماءِ وهو يَرَوْضُهَا
 فأحِبُّ بِذَلِكَ الْعَيْشِ عَيْشًا ذَكَرْتُهُ
 وَلَيْلٍ تَخْوِضُ النِّيْرَاتُ ظِلَامَهُ
 سَرَيْتُ بِمَحْبُوكٍ مِنَ الْقَسْبِ كُلَّمَا
 مِنَ الْجَنِّ فَاسْمُ اللَّهِ إِمَامًا وَضَعْتَهُ
 تَرَى ضَحْكَ الْإِصْبَاحِ فَوْقَ جَبِينِهِ
 تَخَالُ الثُّرَيَّا رَأْسَهُ وَهُوَ مُلْجَمٌ
 يَحْرَفُ بِالتَّأْيِيلِ^٣ أَذْنًا كَأَنَّمَا
 سَمَا الدَّرُّ فِي أَرْسَافِهِ عَنِ زَبْرَجِدٍ
 هُوَ الطَّرْفُ فَارْكَبُ مِنْهُ فِي ظَهْرِ طَائِرٍ
 إِلَى قَمَرٍ تَسْرِي إِلَيْهِ كَأَنَّمَا
 كَأَنِّي سَرٌّ فِي حَشَا اللَّيْلِ دَاخِلٍ
 فَبْتُ مَرْوَى مِنْ مُجَاجَةٍ بَارِدٍ
 كَأَنَّ قِطَافَ اللَّثْمِ مِنْ فُغْرِ رَوْضِهِ

بسهمك نخوداً فالشبابُ أصابا
 فلم يألّفوا إلاَّ السرورَ جنابا
 إذا لبستُ درعَ الحَبَابِ حُبَابا
 تَفَرَّكُ كَالْبَكْرِ الْفَرُوقِ لِعَابا
 وبالعصرِ عصرًا والصحابِ صحابا
 كأوجهِ غَرْقَى يَغْتَرَفْنَ عِبَابا
 دعا شأوهُ وحيُّ العِينانِ أجبابا
 مكانَ قَطِيعِ طَارَ عَنْكَ وَغَابا
 وقِيَّضُ^١ من ليلِ المحاقِ إهابا
 إذا البخري^٢ لم يلبس طلاهُ سخابا
 يرى قلمًا منها يخطُّ كتابا
 يغادر بالوطءِ الصخورَ ترابا
 تَسْلُ كُلِّ ما أَعْيَا عَلَيْكَ طلابا
 عَلَيْهِ سَمَاءُ اللَّهِ تَغْلِقُ بَابَا
 عَلَى حَبْتَةِ الْقَلْبِ الْمُصُونِ حِجَابَا
 غزا ذكْرُهُ قَلْبَ الْغَيُورِ فِدَابَا
 تَكْسِبَ مِنْ طَلِّ الْغَمَامِ رَضَابَا

١ هكذا في ص ؛ وله وجه ، والأحسن ما أثبتته في الديوان « وقمص » .

٢ ص : الجو .

٣ ص : بالتأويل .

ومنها :

ولم أرَ كالدنيا خووناً لصاحبٍ
فقدتُ الصبأ فابيضَ مسودُّ لمتي
ولا كصابي بالشبابِ مصابا
كأنَّ الصبأ للشيبِ كان خيضابا

ومن أخرى ١ :

أمطتُك همتك العزيمةَ فاركبِ
ما بالُ ذي النظرِ الصحيحِ تقلبتِ
فاطوِ العجاجَ بكلِّ يعملةٍ لها
شرقٌ لتجلو عن ضيائك ظلمة ٢
والماءُ يأجنُ في القرارةِ راكداً
طالَ التغرُّبُ في بلادٍ خصُصتُ
فطويتُ أحشائي على الألمِ الذي
إنَّ الخطوبَ طرقتني في جنةٍ
لا تلقينَ عصاكَ دونَ المطلبِ
في عينيه الدنيا ولم يتقلبِ
عمومُ السفينةِ في سرابِ السببِ
فالشمسُ يمرضُ نورها بالمغربِ
فإذا علمتُك قذاته فتسرَّبِ
بوخامة المرعى وطرق المشربِ [١١٨]
لم يشفيه إلاَّ وجودُ المذهبِ
أخرجني منها خروج المذنبِ

ومنها :

من سالمَ الضعفاءِ راموا حربته
كلُّ لأشراكِ التحييلِ ناصبِ
من كلِّ مركومِ الجهالةِ مبهمِ
لا يكذبُ الإنسانَ رائدُ عقله ٣
فالبسُ لكلِّ الناسِ شكةَ محربِ
فاخليبِ بني دنياك إن لم تغليبِ
فكأنما هو قطعة من غيبِ
فامررُ تمجِّ وكنْ عدوياً تُشربِ

١ الديوان : ٥٣٧ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك ثمانية أبيات .

٢ ص ٥١٠

٣ فيه إشارة إلى قولهم : « إن الرائد لا يكذب أهله » .

ولربّ محتقِرٍ تركتُ جوابه
لا تحسبني في الرجال بغائّة
أصبحتُ مثلَ السيفِ أبلِ غمدَه
إنْ يَعْلَمُه صدأُ فكم من صفحةٍ
والليثُ يأنفُ عن جوابِ الثعلبِ
لاني لأعصُ كلَّ لقوةٍ مرّقبِ
طولُ اعتقالِ ١ نجادهِ بالمنكبِ
مصقولةٍ للماءِ تحت الطحالبِ

ومنها :

كم من قوافٍ كالشوارد صُرْتُها
ودقائقٍ بالفكرِ قد نظمتُها
وصلتُ يدي بالطبعِ فهو عقيدتها
نفتتُ البديعُ بسحره في مقولي
لو أننا طيرٌ لقليلٍ لخيرنا
وإذا اعتقدتَ العدلَ ثم وزنتني
لاني لأغمدُ من لساني مُنصلاً
عن مِثْلِ جَرَجِرَةِ الفَنَيْقِ المصعَبِ
ولو آمنٌ لآلئٌ لم تثقَبِ
فقليلٌ إيجازي كثيرُ المسهبِ
فنطقتُ بالجدّادِ والمتذهبِ ٢
غرّد وقيلَ لشرنا لا تنعبِ
رجحتُ حصاتي في القريضِ بكبكبِ
لو شئتُ صحتّم وهو دامي المضربِ

ومن أخرى ٣ :

تظنُّ مزاراً ٤ البدرِ عنها بعزّي
وبين رحيلي والإيابِ لحاجها
إذا غاب لم يبهده على عينٍ منبصيرِ
من الدهرِ ما يُنبلي رتيمةً خنصرِ

١ المسالك : اعتلاق .

٢ ص : فنقطت بالجارى وبالمتشلهب .

٣ الديوان : ٥٥٠ (عن الذخيرة) ومنها في المسالك أربعة أبيات .

٤ في ص صورة : من ان (دون إصمام) .

ولا بد من حملي على النفسِ خطئةً
وتطرحني بالعزمِ من غيرِ فترةٍ
وما هي إلا النفسُ تفنى حياتُها
أغرَكَ تلويحُ بجسمي وأني
وما هي إلا لفحة^٢ من هواجرٍ
وأنكرتُ إلامَ المشيبِ بلمتني
وما كان ذا حذرٍ غرابُ شيبتي
وأبقتُ؛ صروفُ الدهرِ مني بقيةً
وما ضعفتني للحوادثِ نكبةً

ومنها :

وحمراءَ لم تسمعَ بها نفسُ بائعٍ
أقامت مع الأحقابِ حتى كأنها
فلم يبق منها غيرُ جزءٍ كأنه
إذا قهقه الإبريق للكَاسِ نخلتهُ
وطافَ بها غمرُ الوشاحِ كأنما
قصرتُ بكلِّ كلِّ يومٍ لهونهُ

تعلتُ وِردي في اغترابي بمصدري
سفائنُ بيدٍ في سفائنِ أبحرٍ
مصرفةً في كلِّ سعيٍ مقدرٍ
لكالسيفِ تعلو منه غينا جواهر
تخالصتُ منها كالنضار المسجر^٣
وأني صباحٍ في دجىٍ غيرِ مسفرٍ
فلم طار [عن] شخصي لشخصٍ منفرٍ
مذكّرةً مثلَ الحسامِ المذكّرِ
ولان في أيدي الحوادثِ عنصري

لسومٍ ولم تظفرَ بها يدُ مشتري
خبيثةُ كسرى أو دفينةُ قيصرٍ
توهم معنى دقّ عن ذهنٍ مُفكرٍ
يرجعُ صوتاً من عقابٍ مصرصرٍ
يقلّبُ في أجفانه طرفَ جوذرٍ
ومهما يطبُّ يومٌ من العيشِ يقصر

١ ص : عين .

٢ ص : نفحة .

٣ ص : المشعر .

٤ المسالك : لأبقت .

ومن أخرى في المعتمد^١ :

أثُنْكَرُ ضعفاً أمراضَ الخدقِ النَّجْلا
وقد أَكثرتَ فينا لواحظها قتلا^٢

يقول فيها :

أقائدَها قَبَّ الأياطلِ لم تدعْ
حَمَيْتَ حَمِيّ الإسلامِ إذ ذدتَ دونه
لئنْ قُلتَ فيه صحَّ تأليفُ سُوددِ
له عندَ أعدامِ إغارتُه ذَحْلا
هزبراً ورشحتَ الرشيدَ له شبلا
فبارعُ نقلٍ من شمائلك استملى

ومنها في صفةِ القصرِ :

ويا حبذا دارٌ يدُ الله مستحتُ
مقدسةٌ لو أنَّ موسى كليمه
إذا فتحتْ أبوابها خلَّتْ أمها
وقد نَقَلْتِ صناعتُها من صفاته
فمن صدره رجباً ومن نوره سنأ
نسيتُ به إيوان كسرى لأنته
كانَ سليمانَ بنُ داودَ لم تُسبحْ
كانَ عيونَ السحرِ نافذةً له
عليها بتجديدِ البقاءِ فما تبلى
مشى قداماً في أرضها خلجَ النعلا
تقولُ بترحيبٍ لداخلها أهلا
[إليها] أفانيناً فأحسنَتِ النُقْلا
ومن صيته فرعاً^٣ ومن حلمه أصلا
أراني مثلاً ما رأيتُ له مثلاً
أوامرُه للجنِّ في شيدِه مَهْلا
عليهنَّ فصلاً من بدائعِه فصلاً^٤

١ الديوان : ٣٧٥ .

٢ ورد بدل هذا المطلع في الديوان :

أعمر الهوى كم ذا تقطعني عدلا قتلت الهوى ملماً أتقتلني جهلا

٣ ص : بدماً .

٤ الديوان : أراني له مولى من الفضل لا مثلاً .

٥ الديوان : حل كل بان غاية منه أو فصلاً .

فكانَ مكانَ القولِ يبعثُ^١ وصفتهُ
تري الشمسَ فيه [ليقة] تستمدُّها
تجوزُ^٢ له الأمواهُ بركةَ جدولِ
إذا اتخذتها الشمسُ مرآةً وجهها
وقد توجَّحَ البهو البهيُّ بقبَّةِ
تجمعتِ الأضدادُ فيها مصانعاً
وأغربُ ما أبصرتُ بعدَ مليكها
ولما عَشينا من توقدِ نورها
فيا دارُ أغضى الدهرُ عنكِ وأكثرِ

رقيقاً وأذنُ الدهرِ تسمعه جذلي
أكف أقامتُ من تصاويرها شكلا
تخالُ الصبَا منه مشطبةً نصلا
أجالتُ عليها من مداوسها^٣ صقلا
فقلُ في عروسِ في [جلابيبها] تجلي
ولم أرَ خلقاً قبلها جمَعَ الشمال
بها مُترعٌ يُعدي^٤ الشجاعةَ والبذلا
تخذنا سناه في نواظرنا^٥ كحلا
أسودكِ نسلاً فيكِ يختل^٦ النسلا

-
- ١ الديوان : فجاه . . . نبعث .
٢ الديوان : تجوز .
٣ ص : مدارسها .
٤ ص : منزع تعدي .
٥ ص : نواظرها .
٦ ص : تختل .

ومن شعره في أوصاف شتى

قال ١ : [١١٩]

نفوسنا بالرجاءِ مُمتَسِكَةٌ والموتُ للخلقِ ناصبٌ شركةُ
تُسْرِمُ أجسامنا وتنقضنا طبائعُ في المزاجِ مشتركةُ
لولا انتشاقُ الهواءِ متُّ كما تموتُ مع فتقدِ مائها السمكةُ
نشأ بالبعثِ بعد ميتتنا أما يُعيدُ الزجاجَ من سبكهُ
ما أغفلَ الفيلاسوفَ عن طرقِ ليستُ لأهلِ العقولِ مُنسلِكةُ
من سلّمَ الأمرَ للإلهِ نجا ومن عدا القصدَ واقعَ الهلكةُ

وقال ٢ :

جاءَ به ملآنٌ من صافيةٍ معمورةٍ منها أقاليمُ الفرحِ ٣
حلَّ وكاءُ شدِّه عن مذبجٍ ٤ ظلَّ دمَ العنقودِ منه وسفح
حتى إذا ما صبَّ منه ريئنا سدَّ على التبرِ الذي كان فتح ٥

١ الديوان : ٣٥٩ (عن الذخيرة) .

٢ الديوان : ٨٥ .

٣ جاء في موضعه بيت آخر في الديوان .

٤ الديوان : مدمج .

٥ الديوان ، ريقاً ، سد على ذوب العقيق ما فتح .

ترى نجيجَ البرقِ^١ منه راشحاً
 مدامةً للروحِ أختُ برةً^٢
 قد علمت مزاجها فصرفتها
 يومٌ كأنَّ القطرَ فيه لؤلؤ
 تقدحُ ناراً من زنادِ برقه
 لما جرت فيه الصببا عليلةً
 كأنما الكافورُ نثرُ ثلجنا
 حتى أتى الليلُ بصحوٍ لم يكن
 كأنما خلت منه قشعم^٣
 وقد محاصيغَ الدياجي قمر^٤
 كأنه من ودجِ الليلِ رشح
 أخذةً ثاراتها من الترح^٥
 يجبرُ ما هاضَ وبأسو ما جرح^٦
 ينظمُ للروضِ عقوداً أو وشح^٧
 ويطفيءُ الماءُ^٨ سريعاً ما قدح
 رقَّ الهواءُ فيه للنفسِ وصح
 أوندافَ البرسِ لها^٩ قوسُ قزح
 يفتيقُ الغيثُ به كما اصطبج^{١٠}
 يتندى علينا ريشه إذا جنح^{١١}
 دينارُهُ في كفة^{١٢} الغربِ رجح

١ الديوان : الزق .

٢ الديوان : يتأى بها سرورنا عن الترح .

٣ الديوان :

قد علمت مزاجه فشرها يجرحه ثم يأسو ما جرح

٤ هذا البيت مع اثنين آخرين وردت في الوافي في نظم القواني ، الورقة : ٤٩ (مخطوطة ليدن) .

٥ الديوان : يقدح ناراً . . . الماء .

٦ الديوان : لنا .

٧ الديوان :

حتى علا الجو دجى لم يفتيق فيه الحيا من الثرى كما اصطبج

٨ الديوان :

غراب ليل فوقنا معلق يقبض عنا ظله إذا جنح

٩ ص : كف .

حتى إذا ردَّ حذاءُ عَدُوِّهِمْ^١ نَبَّهَ ذَا هَذَا وَكَلَّ طَرْفُهُ^٢ يُسْأَلُ فِي تَقْوِيمِ جَيْدٍ مَائِلٍ^٣ وَجَاءَهُ السَّاقِي بِكُوبٍ مَفْعَمٍ^٤ يَا عَاذِلِي^١ فِي الرَّاحِ كَمْ سَيْئَةٌ^٢ أَغْشَى خَلْقَ اللَّهِ عِنْدَ ذِي هَوَى^٣ حَتَّى إِذَا فَكَّرَ عَنِ بَصِيرَةٍ^٤

من كان في وادي الرقادِ قد سرح
يلمَّحُ طرفَ السكرِ من حيثُ لمح
لو [لم] بسامح في الحميتا لسبح
لو شاء أن يسبح فيه لسبح
تجاوز الرحمن عنها وصفح
من عرَّض الرشدَ عليه ونصح
ذمَّ [من] الأفعالِ ما كان مدح

وقال ٢ :

ومشمولةٍ راحٍ كأنَّ حبابها لها من شقيقِ الروضِ لون كأنما شربتُ^٣ على برق كأنَّ ظلامه^٤

إذا ما بدا في الكاسِ درٌّ مجوفُ
إذا [ما] بدا في الكاسِ منه مطرفُ
إذا احمرَّ فيه أسودٌ باتَ يرعفُ

وهذا من قول المعري^٤ :

إذا ما احتاجَ أحمرَّ مستطيلاً^١ حسبتَ الليلَ زنجياً جريحاً

وقال أبو محمد أيضاً^٥ :

.....

- ١ الديوان : يا لالمي .
- ٢ الديوان : ٥٥٤ (عن الذخيرة والمسالك) .
- ٣ ص : سريت .
- ٤ شروح السقط : ٢٤٠ .
- ٥ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة ، ومنها بيتان في المسالك) .

ما زلتُ أشربُ كامهٌ من كفته
حتى انجلي الإصباحُ عن إظلامه
والشهب في غُربِ السماءِ سواقطُ
ورضابُه نقلٌ على ما أشربُ
كالسترِ [يُرفَعُ] عن مليكٍ يحجب
كبناتِ ماء في غدِيرِ ترَسُبُ

وقال في صفة نهر^١ :

ومطرِدِ الأجزاءِ تحسبُ^٢ مَسْنَه
جريحِ بأطرافِ الحصى كلِّما جرى
كأنَّ حَبَاباً ريعَ تحتَ حَبَابِهِ
شربنا على حافاتِهِ دَوْرَ سكرةٍ
كأنَّ الدجى خطَّه^٥ المجرة بيننا
كلفتُ بشري للصبوحِ^٦ مبكراً
صبأ أعلنتُ سرَّ القذى في^٣ ضميره
عليها شكا أوجاعه بخبره
فسارعَ يلقي نفسه في غديره
وأقتل سكرأ^٤ منه عينا مديره
وقد كُنَّاتُ حافاتُها بدوره
وكم بركاتٍ للفقى في بكوره

وله في شمة^٧ :

قناةٌ من الشمعِ مركوزةٌ
تحرَّقُ بالنارِ أحشاءها
لها حربةٌ طُبعتُ من لهُبِ
فتدمعُ مقلَّتُها بالذهبِ

١ الديوان : ١٨٦ .

٢ الديوان : يصقل .

٣ الديوان : صبأ أعلنت للعين ما في .

٤ ص : وأقبل سكرأ .

٥ ص : حط .

٦ الديوان : بكاسات الصبوح .

٧ الديوان : ٢٤ وسرور النفس : ٤٣٣ .

تمشى لنا نورها في الدجى كما يمشى الرضى في الغضب
فأعجب^١ لأكلة جسمها بروح يشاركها في العطب
وله فيها^٢ :

مصفرة^٣ الجسم وهي ناحلة تستعذب^٤ العيش مع تعذبها
تطعن^٥ صدر^٦ الدجى بعالية صنوبري^٧ . لسان^٨ كوكبها
إن تلفت^٩ روح^{١٠} هذه اقتبست^{١١} من هذه فضلة^{١٢} تعيش^{١٣} بها
كحيّة^{١٤} باللسان^{١٥} لاحسة^{١٦} ما أدركت^{١٧} من سواد^{١٨} غيبها
وقال^{١٩} :

صدت^{٢٠} وبدر^{٢١} التم^{٢٢} مكسوف^{٢٣} به فحسبت^{٢٤} أن^{٢٥} كسوفه^{٢٦} من صدتها
فكانت^{٢٧} مرآة^{٢٨} قين^{٢٩} أحميت^{٣٠} فمشى^{٣١} احمرار^{٣٢} النار^{٣٣} في مسودتها
وقال^{٣٤} :

سكن^{٣٥} القلب^{٣٦} هوى^{٣٧} ذي صلتف^{٣٨} زاده^{٣٩} فيه سكوناً^{٤٠} حتر^{٤١} كته^{٤٢}
فهو^{٤٣} كالمركز^{٤٤} يبقى^{٤٥} ثابتاً^{٤٦} كلتما^{٤٧} دار^{٤٨} عليه^{٤٩} فلكه^{٥٠}
وقال^{٥١} :

-
- ١ الديوان : عجت .
 - ٢ الديوان : ٥٤١ (عن الذخيرة والمسالك) .
 ٣. الديوان : ١٤٣ (والبيت الأول من الذخيرة والمسالك) ومنها بيتان في الشريشي ١ : ٣١١
منسوبان لابن الصباغ الصقلي .
 - ٤ الديوان : ٥٥٦ (عن الذخيرة) .
 - ٥ الديوان : ٥٥٥ (عن الذخيرة) .

يومٌ كأنَّ نسيمةً : نفحاتُ كافورٍ ومسكٍ
 وكانَ قطرَ سمانهٍ درّ هوى من نظّمٍ سلكِ
 متغيّراً غَيِّماً وصحبه وأ مثلما حدثت عنكِ
 كالطفلٍ يُمنحُ ثم يُمنعُ : نَحُّ ثم يضحك ثم يبكي [١٢٠]

وقال ١ :

وحمامٍ سوءٍ وخيمِ الهواءِ قليلِ المياهِ كثيرِ الزحامِ
 فما للقيامِ به من قعودٍ ولا للقعودِ به من قيامِ
 حنيئاته عَطَفَاتُ القسيِّ وقَطْرَاتُهُ صَائِبَاتُ السهامِ
 ذكرتُ به النارَ حتى لقد تخيلتُ إيقادها في عظامي
 فياربِّ عَفْوِكَ عن مذنبٍ يخافُ لقاءَكَ بعد الحمامِ

وقال ٢ :

قَبَسٌ بكفِّ مديرها أم كوكبُ ينشقُّ منه عن الصباحِ الغيهبُ
 وأريجُ مسكٍ فاحٍ عن نفحاتها فذوائبُ الظلماءِ منه تطيّبُ
 قالوا الصبوحُ فقلتُ قرّب كاسه إني لمهديها [بها] أتقرب
 لا تسقني اللبنَ الحليبَ فإنّ لي في كلِّ داليةٍ ضروعاً تُحلبُ
 وذخيرةٌ للعيشِ مرّةً لعمرها عددٌ يشقُّ على يدي من يحسبُ
 دِبَابَةٌ في الرأسِ يصعدُ سكرها فتجدُ منا بالعقولِ وتلهبُ

١ الديوان : ٥٥٩ (عن الذخيرة) .

٢ الديوان : ٥٤٢ (عن الذخيرة) .

دارتُ بعقلي سَوْرَةٌ من كاسها حتى كان الأرض نحتي لولبُ
بأكرتها والليلُ فيه حُشاشةٌ يستلها بالرفقِ منه المغرب
والجوُّ أقبَلَ في تراكبِ مُزنه قُنُزحٌ بعطفةِ قوسه يتنكَّب
صابتُ فأضحكتِ النديمَ بأكؤسٍ عهدي به من نقطهنَّ يقطب
والبشرُ في شُربِ المدامةِ فارتقب منها سرورَ النفسِ ساعة تعذبُ

فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري^٢

شيخُ الفتيان ، وآبدةُ الزمان ، وخاتمةُ أصحابِ السلطان ، وكان رحل
إلى مصرَ واسمُهُ خامل ، وسماؤه عاطل ، فلم ينشب أن طرأ على الأندلسِ
وقد نشأ خَلَقاً جديداً ، وأجرى إلى النباهةِ طَلَقاً بعيداً . فتهادتهُ الدول ،
وانتهتُ إليه التفصيلاتُ والحمل . وكلّما طرأ على ملك فكأنّه معه ولده ،
ولياته قَصْدَ ، فجرى مع كلِّ أحدٍ ، وتموّلَ في كلِّ بلدٍ . وتلوّنَ في

١ كذا في ص ، وأحسب صوابه : « تقرب » .

٢ هو عبد الله بن خليفة القرطبي ، المعروف بالمصري ، قال ابن سعيد : لطول اقامته بمصر ،
وأنكر ابن حبان أن يكون ابن خليفة (وكان ابن جارية) قد تعدى في رحلته العدو ،
وأخى عليه بالدم عند الحديث عن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في الاعذار الذنوبي (ص :
١٣٧ ، ١٣٩) وقد دافع عنه الحجاري في المسهب ، وذمه ابن اللبانة في كتابه « سقيط الدرر »
لأنه لم يكن وفيّاً للمعتمد بعد خلعه (انظر ترجمته في المغرب ١ : ١٢٨ وفيها اعتماد كثير على
الذخيرة ؛ وراجع أيضاً الحريرة ٢ : ١٩٣ والمسالك ١١ : ٤٦٦ وأجرى ذكره في القلائد :
٦ والمطمح : ١٥ وله أشعار في النفع) .

العلوم^١ تلونَ الزمان ، وتلاعبَ بالملوك بأفقنا تلاعبَ الرياح بالأغصان ، حتى ظفرَ به المأمون بن ذي النون ، فشدَّ عليه يدَ الضنين . فوجد كنفاً سهلاً ، وسلطاناً غفلاً ، فسراً وساء ، وارثم في أيِّ الدواوين شاء ، وكان بالطبِّ أكلف ، وعليه أوقف ، فتعلَّقَ بسببه ، حتى اشتُهرَ به ، ولم يكن من النفوذ فيه حسباً استذاع عنه الخبر . خلا أنه كان - زعموا - بصيراً بطبِّ النظر ، وكان مع ما يحمله من هذا الفنِّ حسنَ البيان مليحَ المجلس ، حاضرَ الجواب كثيرَ النادر ، راوية^٢ للشعرِ والمثل السائر ، نسيابةً للمفاخر ، عارفاً بالمثالب والمناقب . وقفتُ له على شعرٍ مجموع ، عاطلٍ أكثرُهُ من حنلي البديع . وكان بالجملة روضة أدب ممتعاً للمجلس ، وهيهات أن يأتي الدهرُ بمثله . وقد وصفه ابن حيان ، في فصلٍ قد أثبتته في أول هذا القسم من الديوان^٣ .

فلما انصرفت الدولة الذنونية ، تميَّز أبو محمد إلى اشبيلية ، فأنس المعتمد بمكانه ، وجعل له حظاً من سلطانه ، ولم يزل في من يتردد عليه ويفشاه ، حتى أشجاه من الخلع - حسباً وصفناه - ما أشجاه . وبقي أبو محمد على حاله ، مشتملاً بفضل جدِّه وإقباله ، غير مستريبٍ بدهره . ولا منكر لشيء من أمره . ممتعاً بألاته ، مقبلاً على لذاته^٤ ، إلى أن توفي سنة ست وتسعين منتصف رجب الفرد .

وعلى ذكره ، فقد أجريتُ طرفاً من نظمه ونثره ، منها على مكانه ، ومُسْهِداً على ما وصفتُ من شأنه .

١ المغرب : العالم .

٢ ص : رواية .

٣ انظر ما تقدم : ١٣٧ ، ١٣٩ .

٤ ص : لذاته .

فصل له من رقعة خاطب بها المعتمد بن عباد ، وقد أخرج عنه إلى مالقة ،
قبل القبض عليه ، واستفتحها بهذين البيتين ^١ :

رحلتُ وفي القلبِ جمرُ الغضا وهجري لكم دون شكّ صوابُ
كما تهجرُ النفسُ حرّاً الطعامِ إذا [ما] تساقطَ فيه الذبابُ

وهذا المعنى مشهور ، قد اندرج منه في تضايف هذا التصنيف كثير ،
مثل قول بعضهم :

وتجشّيبُ الليوثُ ورودَ حوضٍ إذا كان الكلابُ يتلغّضنَ فيه
كما سقطَ الذبابُ على طعامٍ فتركه ونفسك تشتهيه ^٢

كتبتُ وقلبي متقلّبٌ على جمر الغضا ، أحرّ من الرمضا ، وصلتُ
فقطّعتُ ، وساحتُ فقربحت ، وارتفع عليّ الباطل فما سوحت ، حميت
بقرطبة أهلك وبنيك ، وحفدتك وذويك . أصبتهم في منزل عالمي الحيطان ،
وثيق الأركان ، في شهر كانون ، دون كنّ ولا كانون ، ولا ما يدفع عنهم
ريب المنون ، أكف الرزايا تصافحهم . وحوب المنايا تضاجعهم ، لا يمنهم
من القرّ شعار ، ولا يخميهم منه [١٢١] . فأنفذت الفرش وآلاتها ، وما يتعاق
بجهاها . وافتقدت بالطرف ، وتلست بالتحف ، وصنتهم صون الدرّ
في الحفاق . والسوادِ في الأحداق . والأطواقِ في الأعناق ، ومن عندك

١ انظر المغرب ١ : ١٣١ والشريشي ٣ : ٣١١ .

٢ مقتبس من قول الأول :

إذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه

يعلم هذا ولا ينكره ، ويشكره ولا يكفره ، وما كانت لك عليّ نعمة فأرعاها ،
ولا سطوة فأخشاها ، وإنما فعلت ذلك بالجوهرية التي ركبها الله في نفسي ،
والطبع الذي جبل عليه حسّي :

ولكنّ أشخاصَ المعالي خفيّةٌ على كلِّ عينٍ ليس تُبصرُ باللبّ

فهل سبق لأحدٍ مثلُ هذا الوفاء . أو كان له شكلُ هذا الولاء ، فان قيل
إن السؤال أتى بمثله وشكله . فليس الخبر كما ظن . ولا الأمر كما احتسب .

ومن شعره في أوصاف شتى

قال :

ريمٌ إذا رمّت أن أحظى بموعدهِ أقام لي بلسانِ الخُلُفِ أَعذارا
وإن تَلَطَّفْتُ لاسْتِنزالِ سَوَرَتِهِ أصار قلبي لخليلِ المهجرِ مضمارا
إذا تذكّرتُ أياماً لنا سَأَلْتُهُ خَطَّطْتُ يدُ الشوقِ في الأحشاءِ أسطارا
قال الوشاةُ ودمعُ العينِ منحدرٌ ودمعُهُ فوقِ روضِ الوردِ قد حارا
يا مُجْرِيَ الدمعِ من عينيه في ذهبِ أما ترى الدرَّ بالمرجانِ قد جارا
النارُ يحرقها قلبي بزفرتهِ من العجيبِ فؤادٌ يحرقُ النارا

وقال :

يا ناظراً قد سلّ من ناظري إلى سوادِ القلبِ والخاصِرِ
طيفك لما نامَ عن زويتي زادك [زادَ] الكلفِ الساهرِ

ظلمتك أضحى لي بلا مريية مؤثراً في خدك الناصر
ما أرفق الله بأهل الهوى إذ صيّر الجور على الجائر

وقد تقدم مثل هذا المعنى لعبد الجليل حيث يقول^١ :

دعوتُ دعاءَ مظلومٍ عليه فعلى من عذارينه الذنوبيا

وقال^٢ :

الحبُّ داءٌ دواؤه القُبيلُ والرُّسلُ بين الأحيّةِ المقلُّ
يا حفيظَ الله ليلةً سلفت حَيَّتْ بيدٍ سماؤه الكلل
بتنا وراح العفافِ^٣ تُلحِفنا بُردَ وفاءٍ والشملُ مشتمل
اثنان من شدةِ التعانقِ قد صارا كفردٍ بالروحِ يتصل
لو أن جودَ السماءِ أمطرتنا لم يُصبِ الأرضَ تحتنا بلل
حتى إذا غرّةُ الصباحِ بدتْ وجفنهُ بالعبيرِ مكتحل
فارقني وهو خائفٌ وجيلٌ نشوانٌ من خمرةِ الصبا ثمل
عيناى منه قريرةٌ أبداً والنارُ بين الضلوعِ تشتعل

وقال :

قالوا الصديقُ شقيقُ النفسِ قلتُ لهم إنَّ الصديقَ مع العناءِ قد طارا

١ انظر القسم الأول : ١٤٥ باختلاف في الرواية .

٢ المغرب ١ : ١٢٩ - ١٣٠ .

٣ ص : ونار الحجاب ؛ وأثبت ما في المغرب .

اسمٌ لعمرى بلا جسمٍ ولا نفَسٍ إلاً كلاماً بزورِ القولِ قد سارا
فما ترى غيرَ من يسقيك من يده أرياً وفي قلبه قد أضمر النارا
فنادمِ الكتُّبَ ما عمُرتَ إنَّ لها عندي وعيشِكِ أسراراً وأخبارا

ومن قصيد له في ابن حماد بلقين أوله :

الرأيُ يسبقُ وقَعَّ الصارمِ الذِّكْرُ والعزمُ يفصلُ بينَ الخُبْرِ والخَبْرِ
والناسُ قد جمعوا في أصلِ خلقتهم لكنهم فترقوا في اللَّبِّ والنظرِ
كالنورِ أولُّهُ نارٌ وبينهما من التفاضِ ما يخفى على البشرِ
كما تهدي ابنُ حمادٍ وقد طَلَعَتْ طلائعُ السعدِ تحذوها يدُ القدرِ
والناسُ قدرجتُموا الأقوالَ من حذرٍ وقال بعضهمُ هذا من الغررِ
حتى إذا أظلمَ الخطبُ المهمُّ لهم جَدَّوتَه بصباحِ البيضِ والسمرِ
ليس الجسومُ لها صبرٌ ولا جَسَدٌ وإنما الصبرُ بالأرواحِ والفكرِ
لا تلتقَ دهرُكَ إلا راكباً خطراً فإنما تُبَلِّغُ العلياءُ بالخطرِ

بيته الثاني ، من متداولات المعاني ، ومنها قول الأول ٢ :

الناسُ أخفافٌ وشتى في الشَّيَمِ وكلَّهتُمُ يجمعهم بيتُ الأدمِ

وأخذته التهامي فقال ٣ :

١ ص : البلاد .

٢ المعاني الكبير : ١٢٥٣ واللسان (آدم) وفصل المقال : ١٩٧ والصدقة والصديق : ٢٨

٣ ديوان التهامي : ٥٧ .

الناسُ متفقون في « إيرادهم وتفاضل الأتوام في الإصدار

وقوله : « ليس الجسوم لها صبر » . . . البيت ، هو شبيه بقول الآخر :

فالعبدُ أصبرُ جسماً والحرُّ أصبرُ قلباً

وقال من أخرى [يمدحه] ويذمُّ بني رياح :

أبا المنصورِ ما للدهرِ عَيْنٌ سواكَ فوارِها فهو الصلاحُ
ولا تتعرَّضنَّ^١ إلى رياحٍ فأعدى ما على العينِ الرياحُ
إذا حَلَفْتَ رياحُ فاتهما ورأسُ الحنثِ ما حَلَفْتَ رياحُ
قبيلةٌ لها في اللؤمِ بأسٌ وعند المكرماتِ لها جِماحُ
سبالُ اللؤمِ لا كانت سبالٌ وجوهُ الذلِّ والحدُّ الوقاحُ
أناسٌ في مفارقهم قرونٌ ولكن بالفِقاخ هو النطاحُ
ولا تتزوجنَّ لهم بنتٍ فللسودانِ عندهمُ مراحُ
بأرجلهنَّ يستغفرنَّ دأباً فأرجلهنَّ في الدعواتِ راحُ

وذكرتُ^٢ بمعنى هذا البيت الأخير منها خبراً أورده بعضُ الرواةِ

عن شاعرٍ أنشدَ زُبَيْدَةَ بنتَ جعفرٍ شعراً قال فيه : [١٢٢]

١ ص : تعرض .

٢ ابن خلكان ٢ : ٣١٥ والمفوات النادرة : ٣٧ وغرر الخصاص : ١٤٣ (ط / ١٣١٨)
والبيتان وحدهما في عيار الشعر : ٩٢ .

أزبيدةُ ابنةَ جعفر طوبى لزاثيركِ المثابِ
تعطينَ من رجلكِ ما تُغظي الأكفُ من الرّغابِ

فجعل عبيدُها يقرعون رأسه فقالت : دعوه فإنه أراد خيراً فأخطأ ،
وهو أحبُّ إلينا ممن أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم : شمالتك أندى من
يمين فلان فظن [أن هذا مثل ذلك] ١ .

وله من أخرى يستأذن في الجواز إلى الأندلس :

فيا أثلاثِ الجزعِ من مَرَبَعِ الحمى فؤادي على تلك الرسومِ ينوحُ
فعلّ أبي ٢ المنصورِ يُدني بسِستِعهِ ركابي منها إنه لتنزوجُ

ومنها :

فسرّ إنما العلياءُ شخصٌ مصورٌ وأنت له دونَ البريةِ روح
أثيتَ بآيٍ ٣ أعجزتُ كلَّ عالمٍ كأنك من بعد المسيحِ مسيح
ولو جيتُ للانصافِ ما جيتُ مادحاً لأنتَكِ من نجرِ السماحِ صريح
ومن أصبحتُ [فيه] المكارمُ جوهراً بلا عَرَضٍ فالمدحُ فيه قبيح
ولكن رأيتُ الشعرَ يثبتُ ذكرهُ فلا غرّوا أن يُهدى إليك مديح

١ بياض في ص ، وأثبت ما عند ابن خلكان .

٢ المعروف : « أبا » ولكني أبقيته على حاله ، إذ لعل الشاعر هنا يحاكي قول كعب بن سعد
الغنوي (وهو شاهد نحوي) « لعل أبي المفوار منك قريب » .

٣ ص : بآية .

وله من أخرى في باديس بن حبوس^١ :

رَسَخَتْ أَصُولُ عِلَاكِمُ تَحْتَ الثَّرَى وَلَكُمْ عَلَى خَطِّ الْمَجْرَّةِ دَارُ
تَبْدُو شَمُوسُ الدَّجْنِ مِنْ أَطْوَاكِمِ وَتَفِيضُ مِنْ ثِنْيِ^٢ الْبِنَانِ بِحَارِ
إِنَّ الْمَكَارِمَ صُورَةٌ مَعْلُومَةٌ أَنْتُمْ لَهَا الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
ذَلَّتْ لَكُمْ قِيمَتُهُمُ الْخَلَائِقِ مِثْلَمَا ذَلَّتْ لَشِعْرِي فِيكُمْ الْأَشْعَارُ
فَمَنْ مَدَحْتُ وَلَا مَدَحْتُ سِوَاكُمْ فَمَدِيحِكُمْ [فِي] مَدْحِيهِ إِضْمَارُ

وهذا من قول أبي نواس^٣ :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذي نعي

وأخذه المتنبي فقال^٤ :

وظنوني مدحتهم قديماً وأنت بما مدحتهم مرادي

والمصري^٥ أيضاً القائل ، من قصيدة كأخواتها طويلةٍ دون طائل ، أولها :

دعي لئومي فما أنا بالمليمِ ولا من هجرٍ سلمى بالسليمِ

يقول فيها :

١ المغرب ١ : ١٣٠ .

٢ المغرب : بين .

٣ زهر الآداب : ٩٢٣ والصناعة : ٢٠٨ والوساطة : ٣١٨ وديوان أبي نواس : ٦٦ .

٤ ديوان المتنبي : ٨٠ .

وإن شئت اختبارَ الناسِ جهراً ولم تكُ بالتجاربِ بالعلِيمِ
فَجَرَّبَ مَنْ تَشَأْ مِنْهُمْ عِيَاناً وقد أصبحتَ في بُرْدِي عَدِيمِ
فإن لم [تُكَلِّفِ] ذلكَ مستحيلاً وترعى منه في مرعىٍ وخيمِ
فقلْ إني دعِيٌّ في نزارِ ولإني ضدُّ لقمانَ الحكيمِ
رأينا معشراً لبسوا ثياباً مجدَّةً على عِرْضِ رَمِيمِ
لهم دورٌ مشيدةٌ [وأفعالٌ مُحَيَّلَةٌ الرسومِ

ومن المدح :

وما يحتاجُ يومَ الحربِ جيشاً فإنَّ عِداهُ كالزَّرْعِ الحطيمِ
وإن أبقى لهمُ فرعونُ سحرأ ففي يَدِهِ عصا موسى الكليمِ

وقد تقدم إلى هذا المعنى أبو نواس بقوله ، ونذكر خبراً بتعلق بديله^١ :
كان أبو نواس قويَّ البديه ، ويرتجلُ كلَّ ما يقولُ ولا يرويه ، فقال له
الخصيبُ يوماً وهو يمازحهُ بالمسجدِ الجامع . أنت في الشعرِ غيرُ مدافعٍ
ولا منازع . ولكنك لا تخطبُ ، فقام من فورِهِ يقولُ مرتجلاً :

منحتكمُ يا أهلَ [مصرَ] نصيحتي ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيبِ
رماكم أميرُ المؤمنينَ بحية أكلِ لحياتِ القلوبِ^٢ شروبِ
فإن يكُ باقي سحرِ فرعونَ فيكمُ فإنَّ عصا موسى بكفَّ خصيبِ

١ انظر الخبر والشعر في بدائع البداهة : ٣٣٣ وديوان أبي نواس : ١٠٣ .

٢ بدائع : لحيات البلاد .

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيبٌ مِصْنَعٌ ، فاعتذرَ إليه وأقسمَ أنه ما قال ذلك إلاً مازحاً .

وقول المصري : « معشراً لبسوا ثياباً » . . . البيت مع الذي بعده ، ألمَّ فيه بقول منصور الفقيه :

لبس الثياب وتشبيد القصور وفي تلك الثياب علتها أنفُسُ خَرَبِيَّةٍ
لأَضْرِبَنَّ رجائي ألفَ مَقْرَعَةٍ فيكم وأصلبُ آمالي على خَشَبِهِ

➤ وقال المصريُّ في ابن مجاهد من قصيدة ، يرثي مهراً أخذ له ، وحكي أن الذئبَ أكله :

وقد أقيمتُ لدهرى وهو يظلمُنِي حتى وصلتُ عليتاً سيدَ العربِ
وإن يكنْ ليس منهم في أرومتِهِ فإنه منهمُ في المجدِ والحسبِ
يا مَنْ إليه شكَّوناهُ فقال لنا شكوتى القنيلِ [إلى] الخطيئةِ السلبِ

ومنها :

يا ويحَ قلبي من دهرٍ تعمَّدتني بالنائبِ فلاذتُ بي يدُ النوبِ
حتى بمهرٍ مضيمٍ الكشحِ ذي هيفٍ كأنَّ أجزاءهُ جأبٌ على نَسَبِ
حلوا الصَّهيلِ له في صَوْتِهِ فِتْنٌ كأنه حينَ يَشْدُو بالثَقيلِ ربي
لولا تشكُّلُهُ في حينِ خَلْقَتِهِ بالخيلِ أضحى مع العيقبانِ في نصبِ
يا يوسفَ الخيلِ يا مَقْتولَ إخوتِهِ قلبي لفَقَدِكَ بينَ الحربِ والحَرَبِ
إن كانَ يَعْقوبُ لم يَتَقَنَّعْ بكذبِهِ إني لأَقْنَعُ منهمُ بالدمِ الكذبِ [١٢٣]

ومنها ١ :

وما التناسب إن لم تكن أنفُسُ القربى ذوي نسب

وهذا من قول القائل :

. إذا لم يرافقها انتسابُ قلوبِ

وقل من أخرى ٢ :

. نفحة الخلد جائلُ

لئن كنتَ من درّ القلائدِ عاطِلاً

وكلُّ رسولٍ قد بعثت مماطلُ

سقاني وخذُ الفجرِ يلطمهُ الضُّحى

شَمولاً لها من وجنتيه شمائلُ

بهاراً فأجدى ما علينا الرسائلُ

عليك زكاة من جمال وغرة

وأنتَ بمفروضِ الزكاةِ تماطلُ

ومنها :

فصاح وشاحٌ هز إليك ولكن لم تجبهُ الخلاخلُ

رعى الله دهرأ قد نعمنا بطيبه

لدى روضة غناء غنت قيانها

ونرجسها [در] على التبر جامد

وقهوتها تبر على الدر سائلُ

١ طمست أجزاء من الورقة هنا فلم أتمكن من قراءة ما وضعت نقطاً في موضعه .

٢ منها بيتان في النفع ٣ : ١١٨ .

وإن سأل الأَقوام عن عرض منزلي فإني ما بينَ السماكين نازل
وأنتي قد قلدت سيف مآثر له من عليّ المكرمات حمائل
إلى أبيات غير هذه من قصيدة طويلة اهتمت فيها أبو محمد قصيدتي أبي
الطيب والمعريّ اللتين في وزنها ورويها ؛ وقوله : « عايك زكاة من جمال ... »
البيت ، من قول المعري أيضاً ٢ :

لغيري زكاةٌ من جِمالٍ فإن تكنُ زكاةَ جِمالٍ ٣ فاذكري ابنَ سبيلٍ
وعلى [ذكر] هذه الزكاة فما أملح مألح البستيّ في تلك الفقهيات
حيث يقول :

أقولُ لشادينِ في الحسنِ فردٍ بصيدٍ بلحظِهِ لحظَ الكميّ
ملكته الحسنَ أجمعَ من نظامٍ فأدّ زكاةَ منظرِكَ البهيّ
وذلك أن تجودَ لمُستهامٍ برشفٍ من مُقبَلِكِ الشهيّ
فقال أبو حنيفةَ لي إمامٌ وَيُفْسِي لا زكاةَ على الصبيّ

وقال الحصري الكفيف في مثله :

وظبيّ غريرٌ هزّ أعطافه اللينُ وسمتهُ ريحانَ المحبّ الرياحينُ

- ١ قصيدة أبي الطيب مطلعها : « دروع لملك الروم هذه الرسائل » (الديوان : ٣٦٤) وقصيدة المعري : « ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل » (شروح السقط : ٥١٩) .
- ٢ شروح السقط : ١٠٤١ .
- ٣ ص : جميل .
- ٤ ص : عزيز .

أقولُ له والحبُّ يُفتي برخصةٍ
فقال ولم يعلمُ زكاةً أَرَدْتُهَا
فقلتُ زكاةُ الحسنِ أعني فقال لا
عليك زكاةٌ [ما] ونحن مساكين
وكيف أوديتها ولم يمنِ الحين
أوديكُ فالعشاقُ [ليس] لهم دين

جملة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة

في صفة قصر طليطلة^٢ :

قَصْرٌ يُقَصِّرُ عن مَدَاهُ الفرقدُ
نشر الصباحُ عليه ثوبَ مكارمِ
وكانتِ المأمونُ في أرجائِهِ
وكانتِ الأقداحُ في راحَتِهِ
عَدَبَتْ مصادِرُهُ وطابَ الموردُ
فعليةِ أرويةِ السعادةِ تُعقَدُ
بدرِ تمامِ قابلتهُ أسعدُ
درُّ جمادٍ ذابَ فيه العسجدُ

وله في صفة البركة والقبّة عليها^٣ :

شمسيّةُ الأنسابِ بدريّةُ
كانتِ المأمونُ بدرُ الدُّجى
بحارُ في تشبيهها الخاطرُ
وهي عليه الفلكُ الدائرُ

وله في صفة عود :

١ ص : أعطيك .

٢ نفع الطيب : ١ : ٥٢٩ .

٣ نفع الطيب : ١ : ٥٢٩ .

يا حبتدا العودُ فكم من فتيّ باحَ له البمُّ بأسراريتهُ
هتنتُ عليهِ الطيرُ رطباً وقد غنتُ به لما قسا جاريه
فهو على أخلاقِها قد جرى وهي على أخلاقِيهِ جاريه

وبيته. الثالث كقول ابن قاضي ميلة^١ :

جاءتْ بعُودٍ يُناغيها ويُسعيدُها فانظرُ بدائعَ ما خُصَّتْ به^٢ الشجرُ
غنتُ على عودِهِ الأطيّارُ مُفصّحة^٣ غضباً فلمّا ذوى غنتي به البشر
فلا يزالُ عليهِ أوزٌ بهِ طربٌ^٤ يتهيجُهُ الأعجمانُ^٥: الطيرُ والوتر

وقال المصري من جملة أبياتِ خاطبَ بها صاحب المدينة يشفعُ للفقير
البرّ الطليطيّ :

يا ماجداً أصبحَ من رفعةٍ منزلهُ تحتَ نجومِ الفلّكِ
هدا الفقيه البرُّ ما ذنبُهُ لقد غدا قُبُرةً في الشركِ
أيؤخذ المسكينُ معُ فتيةٍ قد عقدوا الأمرَ لحلّ التّككِ
وقارعوا بالبَيْضِ بيضَ الخصى وطاعنوا الأشرّاحَ [في] المعتركِ

١ ابن خلكان ٥ : ٣٤٨ . والمسالك : ٣٠٤ والثريشي ٣ : ٢٠٥ .

٢ ابن خلكان : ما يأتي به .

٣ ابن خلكان : ساجمة .

٤ ابن خلكان : عليه الدهر مصطخب .

٥ ص : الأعجم .

وهذا مثل ما أنشدنيه لنفسه أبو بكر الخولاني المنجم ، مما خاطب به بعض الحكّام يشفع للقلمندر^١ ، وقد أخذ في مثل ذلك سكرانا :

إن جرء الحدود بالشبهات لحديث رواه [كل] الثقات
ما أراه إلا تناول تفناً حأفتمت عليه في الطرقات [١٢٤]

نفحات التفاح والراح والأنتسرج للمرء جيداً مشتهيات
فبتلك الشمائل المخجلات السروض غب الغمام الماطلات
وبجلم إليه مذ كنت تعزى وبصبر تعزى له^٢ وأناة
اعف عنه وأعنفه من ثمانين تدمي أعطاه المائسات
وأقل ذنبه وعشترته فهو بمراه من ذوي الهيئات

وقال :

وشادن طالبتته قبلة فأظهر الإعراض والصدأ
وأرسل الدر على عسجد من سبج فانتظما عقدا
فقلت إذ أبصرته باكياً نرجسة العين سقت وردا

وهذا كقول [الأخر] :

١ هو أبو الأصبع عبد العزيز البجليوسي ، وكان طبيباً مستهتراً بالخمير وكان يقول : أنا أولى الناس بالأبلا يترك الخمير لأنني طبيب أحبها عن حلم بمقدار منفعتها (انظر المغرب ١ : ٣٦٩ والنفح ٣ : ٤٥٢ وكتب لقبه فيه « القلندر » ، وورد عند العماد في الحريرة ٢ : ٢٥٨ من لقبه « القمندر » ولكنه كناه أبا بكر) .

٢ ص : إليه .

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطْرُ نَدَىٍّ تَسْقُطُ مِنْ نَرَجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وَقَالَ فِي صَبَاهِ فِي طَرِيقِ بِلَادِ الْمَشْرِقِ وَقَافِلًا مِنَ الْحِجَازِ ١ :

أَلَا يَا هِنْدُ قَدْ قَضَيْتُ حَجِّي فَهَاتِ ٢ شَرَابَكَ الْعَطِيرَ الْعَجِيبَا
فَقَدْ ذَهَبَتْ ذُنُوبِي فِي اللَّيَالِي ٣ فَتَقُومِي الْآنَ نَقْتَرِفِ الدُّنُوبَا
خَلَطْنَا مَاءَ زَمْزَمَ فِي حَشَانَا بِمَاءِ الْكُرْمِ ٤ فَامْتَزَجَا قَرِيبَا
وَطَافَ بِهَا غَزَالٌ كَسْرُويٌّ طَيِّبُ النَّفْسِ يَدْعُوهُ طَبِيبَا
أَطَاعَتَهُ الْجُسُومُ فَسَاعَدَتْهُ كَذَاكَ يَكُونُ مَنْ مَسَّكَ الْقُلُوبَا
بَدَا غُصْنًا وَأَطْلَعَ بَدْرًا تِيمًا وَأَضْمَرَ فِي مَازِرِهِ الْكَثِيبَا
نَرَاهُ فِي تَوَاصُلِهِ بَعِيدًا وَنَلَقَى وَعَدَّهُ أَبْدَأَ قَرِيبَا

وَقَالَ ٥ :

أَيَّ هَلَالٍ أَطَّلَ فِينَا مَسْطَلَمَتُهُ الطُّوقُ وَالْجُيُوبُ
كَحَمِيلٍ طَرَفٍ ثَقِيلٍ رَدْفٍ مَبْسَمُهُ اللُّؤْلُؤُ الرُّطِيبُ
يَقُودُنَا كَيْفَ شَاءَ طَوْعًا لِأَنَّ أَعْوَانَتَهُ الْقُلُوبُ

١ المغرب ١ . ١٣٠ . ومنها ثلاثة أبيات في الشريشي ٥ : ٣٠٥ .

٢ صوابه : فهاتي .

٣ المغرب : في طواقي .

٤ الشريشي : المزن .

٥ المغرب ١ . ١٣٠ .

وله في بعض إخوانه وقد عذّر غلام كان يهواه :

يا ذا الذي عذّر خلّ له أتحتَ عيشَ العزّ معنى المهوان
لم ينبتِ الشعرُ على خدّه بل دبّ في أعضائه عقربان
رفقاً على نفسك لا تُفْنِها فجوهرُ الأنفُسِ شيءٌ يمان
وسقته من مُزّةٍ عتقتُ لتقتضي الحبّ بلا ترجمان

وله في غلام وسيم رمدت عيناه :

قال خلتني وجفوني لا تغطّي مقلتيها
سُقْمُ عينيّ أراه بعثَ السقم إليها
أم ترى توريد خدّي نفضَ الوردَ عليها
قلتُ لا أدري ولكن أنا من قتلى يديها

وقال :

رَمِدَتْ عيني فجماعوا دون رأبي بطبيب
وطبيب العين أعمى في مداواة القلوب
رمدني من فقْدِ خيلتي فاكحلوني بالحبيب

وما أحسن ما قال بعض أهل عصري . وقد تقدم إنشاده :

إذا رمدت بحمرته عيون شفاها منه إثمُدُ عارضيه

١ ص : أراني .

في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي^١

أحدُ أضيافِ المعتمد ، وقد أُجريتُ ذكره في ما مرَّ من هذا المجموع^٢ ،
ووصفت أن شعره عاطلٌ من حلي البديع ، وأفرط في باب الاستعارة
وأبعد ، وخرجَ فيها إلى حينِ الإضحاكِ بما برد ، كقوله متغزلاً :

• بُقراطُ حُسْنِكَ لا يرثي علي عِلي •

وكقوله في الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون :

شيبايّةٌ وابنُ زيدونها أتى في قِراهُ علي شينها

وسمعه ينشد المتوكل شعراً قال فيه .:

• أفاقت بك الأقطارُ من برّصِ البلوى •

ومن أشبه شعره في المعتمد قوله من قصيدة أولها :

فتحت سعودك كلَّ بابٍ مغلقٍ فتهنَّ ذلك وابقِ يَصْلُحُ ما بقي

يقول فيها ومدح ابن عمار حين دخوله بمرسية وخروج بني طاهر منها

حسبما وصفتها :

١ ذكره ابن سعيد في رايات المبرزين : ١١٠ (غ) باسم « عبد الله » وأورد له بيتين في

حرشوفة نقلا عن كتاب « زمان الربيع » للنخعي ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٧ .

٢ انظر القسم الأول : ٨٤٢ .

إنَّ ابنَ عمَّارٍ حكى عمرو القنا
لما وصلتَ المغربَ الأقصى به
بمصرَ الجيشَ اللهمَّ بحكمة
يسري بنيتَ خالصٍ . من خلفها
ويصيد عنقاء الأمازي التي
فبجوده وبأسه وبجيشه

ومنها :

يا أيها الملكُ السعادةُ أطبقتُ
هبط المطوقُ جبرئيلُ منظماً
ما غيرك الملكُ المطوقُ وحده
ما دولة إلا ونادتُ بعلمها
فليعرفُ بالجوذِ كلُّ مشعوذٍ
الأرضُ كالشطرنجِ فادعُ ملوكها
يا يوسفِي الحُسنِ والصدقِ استمعُ
نادتُك هيتَ لك البلادُ بأسرها
ولو استطاعتُ مصرُ إذ لم تدنُّها

جفناً عليك فبتُ بجنِّ مطبقتِ
لك درَّ كلِّ كرامةٍ فتطوقِ
أبدأ بروحِ القدس فافتقُ وارتنقِ
وأفانك مقتضُ البلادِ وطلقتِ [١٢٥]
ويقرُّ بالانصافِ كلِّ ممخرقِ
ما الرخُّ في حركاته كالبيدقِ
أحلى محاوره وإن لم تُنطقِ
فتفتحُ ، أسيرُك من ينادي غلقتِ
جعلتُ تقولُ عشقتُ من لم يعشقِ

١ ص : مشعوذ .

٢ ص : مراوحة .

وجميلُ صنْعِكَ في البلادِ وأهلها
لكفالكِ أندلسُ فنفسُ كلِّ من
من حمصٍ تفتحُ حمصَ غيرَ مدافع
مِغْنِيطسٌ فَيَجْدِبُ قوْتَهَ ثِقِ
تَرْضِيكَ طاعتهُ وإلا خنقِ
عنها وتفتحُ جِلْدًا من جلقِ

وأخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو محمد المهدي
بهذه الأبيات يستهدي مشروباً^١ :

قل للوزير فتى خولانٍ خولني
علمي بفضلك مميّزاً فهو ميزاني
رصدتُ في فلّكِ الأشواقِ بدرَ هوّى
له رقيبٌ ثقيلٌ مثلُ كيوان
فابحثْ إليّ براحٍ مثلِ ريقته
فمثلها كان يُسْتَقَى عند رضوان

ويا بعد ما بين هذا وبين [قول] بعض أهل عصرنا ، وهو أبو حاتم
الحجاري يستهدي أيضاً مشروباً من الحكيم أبي الأصمغ البلنسي^٢ بقرطبة :

يا من سقاني الكؤوسَ سائغةً
وكأسُ أخلاقِهِ غدا أسوغُ
ساعديّ للمبيتِ ذو هَيْبِ
وذو لسانٍ مستعذبٍ ألتغ
أبلغتُ في وصفه [على] سَنِي
لكنْ رأيتُ السكوتَ بي أبلغ
وقلتُ والسرُّ لا أبوحُ به
من حقِّ هذا الحديثِ أن يمضغ
ما [إن] ترى ساعةَ الخلوِّ به
وقد بداني الشيطانُ أن ينزغ

١ منها بيتان في المسالك ١١ : ٤٥٧ - ٤٥٨ .

٢ - لعله : البطليوسي ، أي القلمندر الذي مرّ التعريف به آنفاً ص : ٣٥٧ .

والليلُ قد أسبِغَتْ ذوائبُهُ على هلالِ فروعُهُ أسبغ
قهقهتُ أثناء ذلك من ضحكٍ قهقهةَ الجامِ يا أبا الأصبغ
فترشُ جناحيَّ وما قرأتَ فقلُّ قوالبُ السحر هكذا تفرغ

وقال أبو حاتم في مثله :

يا سيدي والنهارُ تبصُّرُهُ منسجمَ الدمعِ مُطلقَ الأفقِ
وعنديَ البدرُ قد خلوتُ به وفوق خديه حمرةُ الشفقِ
جاذبته الحبلَ فاستقاد وكم بربيتُ حَرِّيَ الجموحِ في الطلقِ
والحمرُ نعم العتاد سائغةٌ لشاربيها مسكيتة العبقِ
وقد هزناك كي تُرجِّهها في الشعرِ هزَّ القضيبِ في الورقِ

وقال الأديب أبو محمد بن صارة الشنبريني ^٢ :

أعندك ^٣ أنَّ البدرَ باتَ ضجيجي ففضيتُ أوطاري بغيرِ شفيعِ
جعلتُ ابنةَ العنقودِ بيني وبينه فكانت لنا أمّاً وكان رضيعي

١ ص : جوانيحي .

٢ النسخ ٣ : ٤٥٨ والقسم الثاني من الذخيرة : ٨٣٧ .

٣ ص : أعينك .

وقد أخرجتُ مما وجدتُ من شعره ونثره ، ما يستخفُّ رواسي الجبال ،
ويستوفي ضروب [السحر] الحلال .

فصل له من رقعة كتبها عن بعض الأمراء جواباً عن كتابٍ وردَ من
بعضِ العمال الجهال يهول فيه : وقفنا على كتابك الذي طال فقَصُرَ ،
وكبُرَ جرمُهُ فَصَغُرَ ، صدرتَه بنون التعظيم . وسطرتَه بمجدك الحديث
والقديم ، وخاطبتنا فيه بالألفاظ الحمجائية ، التي تخاطب^١ بها غوغاءُ الرعيّة ،
ارجعْ - أصلحك الله - عن هذا الأدب . وتأدّب في خطابك لذوي الرُتب ،
فقد أطعنا فيك [١٢٦] سلطانَ الحكم . لانتسابك إلى اسم العلم .

واجتاز على مدينة مرسية في مدة رياسة الكاتب الماهر ، أبي عبد الرحمن
ابن طاهر ، فأنزله هنالك بدارٍ اتفقَ أن يدخلَ فيها قبل أن تُفْرشَ له ، وابنُ
طاهرٍ قصد ذلك ، ليرى ما يأتي من بديهته هنالك ، فكتب إلى ابن طاهر رقعةً
قال فيها : بيد أني نزلتُ هذا المنزلَ الحديد بالرحلِ القديم ، نزول السّفَر .
بالبلدِ القفْر ، فهو معمورٌ ، إلاّ أنه بور . وما هو إلاّ أنه مُحيلٌ^٢ قليلُ
السكونِ والغموض ، كثير البراغيث والبعوض . لفقد الستور ، ويرضي
البراغيث فقدُ السرير : الطولُ والعرض ، والسماءُ والأرض : فقد كثر
رھطه ، وقلّت نمارقُهُ وبسطُهُ ؛ قراءتي^٣ في أكنافه : ﴿ منها خَلَقْنَاكُمْ
وفيها نُعيدُكُمْ ﴾ ومنها نُخرِجُكُمْ تارةً أخرى ﴿ (طه : ٥٥) .

١ ص : خاطب .

٢ ص : محيل .

٣ ص : فراني .

وبلغه عن بعض الشعراء بمرسية أنه هجاه . فبعث إليه رجلاً كان
يتصرف له يعرف بابن المقدم فصفعه . فاستعدى عليه ابن طاهر ، فكتب إليه
المراديُّ بأبياتٍ منها قوله :

تعرضني كلبٌ بهجويٌ مخذَلٌ^١ كقيِّمِ السِّكاريِ أو هُرَّاءِ المبرسَمِ
فأنفَذتُ من وقيِّ إليهِ سحائباً من الصَّمعِ يحدو وقدَّها ابنُ المقدمِ
فحامتُ عليهِ كالجرادِ تساقطت من الجوّ في أنوارِ روضِ معصمِ
وغنىّ دويّ النعلِ في صحنِ رأسه « ألا عم صباحاً أيها الربعُ واسلم »^٢

وكان بالمرية مؤدّبٌ يسمى وليد بن عبد الوارث وينبئ بالبقرى كان
يقول بقدمِ الحروف . فألّف المراديُّ في ذلك رسالةً راداً عليه وقصيدة
قال فيها :

لا درّ درّ سخافةٍ شنعاءَ جاء بها الوليدُ
كفرٌ تكادُ له الجبا ل على ثقالتها تميدُ^٢
قلُّ للرئيسِ الأحوصِ يَ ورأيهُ أبدأً سديدِ
حمقَ المؤدّبِ فادّعى من بينهم ما لا يجيدِ
مكتموه من الكلا م وجهلُّه أبدأً يزيدِ
وتركتموه مسرّحاً أين السلاسلُ والقيودُ ؟
أغثلا الحديدُ بأرضكم أم ليسَ يمكنهُ الحديدِ

١ ص : محول .

٢ ص : مقالتها (دون إجماع التاء) تبيد .

وكانت بينه وبين الشيخ أبي محمد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم ، فسافر المرادي عن أغمات ، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات :

قلْ لعبد العزيزٍ يكثرُ من بعدِ يَ ما شاءَ منه قبلاً وقالاً
وتشجعُ ما غبتُ عنكَ فإننا قد ضربنا لك الأمثالا
« وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحده والنزالا »

وسايرَ المرادي يحيى بن بانو^١ بسجلماسة . فاتفقَ أن سقطَ كاتبٌ له كان يكنى بأبي الأصمغ عن دابته ، وقام بأثرٍ جرحٍ في وجهه ، ثم اتفقَ أن سقطَ إثرَ ذلك أيضاً المرادي وقامَ دونَ أثرٍ عليه ، فقال أبو الاصمغ : وهذا الفقيه أيضاً قد سقط ؛ فقال المرادي من جملة أبيات :

فشتانَ بين وقوعي أنا وبين وقوعِ أبي الأصمغِ
فذاك سقوطٌ يشجّ الوجوه وهذا سقوطٌ كما ينبغي

١ يحيى أحياناً « فانو » (انظر البيان المغرب ٤ : ١٠٣) .

الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك^١

من جملة هذه الطائفة الطارئة المذكورة^٢ ، على الجزيرة ، ومع بديهية كانت له قوية ، توفي على الرويثة ، استهلم^٣ عدة قصائد ، لغير واحد ، من أهل الشام والعراق ، وغيرها من تلك الآفاق ، وكان مع ذلك حلون الحوار ، مليح التندير ، يُلهي ويضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر . وفيه يقول النحلي^٤ :

لو بيع يوماً فكيك^٥ وبين فكيه^٦ دُرّة
ضربتُ من يشتريه^٧ بحرية^٨ ألف^٩ مرّة

وكان الفكيك قصيراً دميماً، ورأيته يوماً قد لبس طاقاً أحمر على بياض ، وفي رأسه طرطوراً أخضر. وقد عمّم عليه عمّة^{١٠} لازوردية، وهو ينشد بين يدي المعتمد شعراً قال فيه :

وأنت سليمان^{١١} في ملكه^{١٢} وبين يديك^{١٣} أنا الهدهد^{١٤}

فأضحك من حضر :

١ انظر نفع الطيب ٣ : ١١٩ (وفيه نقل عن الذخيرة) ونقل المقرئ حكاية المضحك البغدادي في مجلس المنصور بن أبي عامر وسماه « الفكيك » ، وهو خطأ لأن الفكيك لا يمكن أن يكون قد أدرك عهد المنصور (انظر ما تقدم في هذا القسم ص : ٢٨)
٢ ص : المذكورين .
٣ استهز في .
٤ ترجمته في القسم الثاني : ٨٠٩

وسمعه أيضاً ينشد في جملة قصيدة في المعتمد^١ :

أبا القاسم الملكُ المعظَّمُ قَدْرُهُ سواك من الأملاكِ ليس يعظَّمُ
لقد أصبحتُ حمصٌ بـمـدك^٢ جنةً وقد أبعدت عن ساكنيها جهنمُ
ولي بحماك الربع عامٌ وأشهرٌ أزحرفُ أعلامَ الثناءِ وأرقمُ
وأنفقتُ ما أعطيتني ثقةً بما أوَمَلُ فالدينارُ عندي درهمُ
وقلبي إلى بغداد يصبو ولاني لنشرِ صباها دائماً أتسمُ

وكنت يوماً بدارِ أبي بكر الخولاني المنجم باشيلية مع لمة من الأدباء ،
فأفضى بنا الحديثُ إلى ما للشعراءِ من مُلح التضمين [١٢٧] في المديح والهجاء ،
فأنشد بعضهم ما حضره من تضمينات الحمدوي^٣ في الطيلسان وشاة سعيد ،
وأنشد آخر قولَ القائل في الحسن بن وهب . وتضمنت بيتَ مهلهل^٤ :

وسألني عن الحسنِ بن وهبٍ وعمّا فيه من كرمٍ وخيرِ
فقاتُ هو المهذبُ غيرَ أني أراه كثيرَ إرخاءِ الستورِ
وأكثرُ ما يغنيه فتاهُ حسينٌ حين يخلو بالسرورِ
« فلولاً الريحُ أسمعَ من بحجرٍ صليلَ البَيْضِ تُقرَعُ بالذكورِ »

١ النفع ٣ : ١١٩ .

٢ بمدك : لم يبق منها في ص إلا « لك » .

٣ ص : الحمدي ، والحمدوي (ويرد في المصادر « الحمدوني ») هو اسماعيل بن ابراهيم بن

حمدويه وكان كثير النظم في طيلسان بن حرب وشاة سعيد (انظر طبقات ابن المعتز : ٣٧١

والأغاني ١٢ : ٦١ والروافي ٩ : والفوات ١ : ١٧٣ وابن خلكان ٧ : ٩٥) .

٤ زهر الآداب : ٢٣٤ والغيث ٢ : ١٢٣ :

وأشدد بعضهم قول الآخر ، وضمّن بيت النابغة فقال ١ :

يا سائلي عن خالدٍ عهدي به رطبُ العِجانِ وكفّهُ كالجلمدِ
« كالأقحوانِ غداةٍ غيبَ سماثيه جفّت أعالیه وأسفلهُ ند »

فدخل الفكّيك ونحن من هذا الحديث المستطرف على طرف ، فقال :
أحسنُ من جميع ما أنشدتم أبياتٌ زعم أنه قالها في البديع يهجوهُ وهي :

رأيتُ البديعَ على أربعٍ وقد عاينته عيون البشرُ
يقولُ وقد شرّعتْ خلفه كمامةُ الفحولِ رماحَ الكَمَرِ
« فلا وأبيكِ ابنة العامريِّ لا يدعي القومُ أنّي أفر »

فكان الجماعة لم تجبه لكثرة حمقه ، وفجاجة خلقه . ثم حركت الفكّيك
أريحية العُجب لسكوتِ أهلِ المجلس عنه هنالك ، فكأنّه غاظني ذلك ،
وقلت : لم تأتِ أنتِ بشيء ، ومن حضّر لم يصمتْ عنك ، وإنما أردتَ أن
تحدو حدوّ كاتب بكر حيث يقول وضمّن بعضَ أبياتِ لامرئ القيس ،
فقصّرت عنه وهو قوله ٢ :

حديثُ أبي الفضل شيءٌ نُكُتُرُ إذا ما تذكّرتُهُ أفشعيرُ
مررتُ به وعليه الغلامُ ومن خلفه ذنبٌ مستطر

١ الفَيْثُ : (نفسه) والإيجاز والإعجاز : ٨٧ وقد نسب فيه لأبي الحسن الحمام الحرائي ، كما نسب

في رفع الحجب ١ : ٩٧ لابن الرومي ، وانظر الذخيرة ١ : ٣٠٨ .

٢ ما جاء مضمناً في الأبيات فهو من قصيدة لامرئ القيس في ديوانه : ١٥٣ وما بعدها .

« فلا وأبيك ابنةَ العامري » ما هاب مني ولم يزدجر
فقال وقد قامَ عنه الغلام وماذا عليكَ بأن تنتظر
فقال أرى رجلاً واقفاً فقال هُبَيْتَ ألا تنتصر
« فلو أن قيساً وأشياعها وكندة حولي جميعاً صبر »
لما رمتَ أو تنقضي حاجتي « ولا يدعي القومُ أني أفر »
فوليتُ عنه على خجلةٍ « فثوباً نسبتُ وثوباً أجر »
وراكبه فوقه مثلما « أكبَّ على ساعديه النمر »

فلما انتهيتُ إلى آخر هذا الوصف ، سكت ولم ينطق بحرف .

ومن شعر الفكيك - على زعمه - قوله من قصيد أوله ١ :

معاهدهم حاتت رُباكِ عُهُودُ وحاتت عقودَ المزنِ فيك رعودُ
وأبكتُ عيونَ السحبِ فيك روائحُ تضاحكُ أغوارُ بها ونجود
وحاكتُ لكِ الأنواءُ كلَّ مُلاءةٍ عليكِ بها من رَقْمِيهِنَّ برود
بها نثرتُ كفَّ الصبا لؤلؤَ الندى فمنها بأجبادِ الغصونِ عقود
وحيثما نسيمُ الودِّ آرامَ رملةٍ وحيثما حواه عالجُ وزرود
فكمُ من عميدٍ فيه قلبُ قلبه على جمرِ نارِ الشوقِ وهو عميد

ومنها :

١ منها أبيات في النوح ٣ : ١١٩ - ١٢٠ .

وقفنا بركبِ الوجدِ نبكي معالماً
وقيدَ إنسانِ العيونِ جمالُها
بكي بعدهمُ حولاً وأوسعَ أعذره
وذرى^٢ على ربعِ العقيقِ دموعه
شبهتُ وما تنغي شهادةُ عاشقٍ
وكلُّ^١ بنخيلِ بالدموعِ يجود
وكلُّ جمالٍ للعيونِ قيودُ
بما [سنته] في العالمين لبيد
عقيقاً ففيها توأمٌ وفريد
بأنَّ قتيل^٣ الغانياتِ شهيد

ومنها :

إذا قابلوه قبلوا تُربَ أرضيه
وقد حازهم نقصٌ وأصبح قدره
سهرتَ وأحداقُ النجومِ رقادُ
وقد هزَّ منك الله للملوكِ صارماً
وربعكُ مخضراً به ينبتُ الغنى
وهمُ لعلاه ركعٌ وسجود
على رغمهم في المآثراتِ يزيد
وقمتَ إليها والملوكُ قعود
تُقامُ بحدّي شفرتيه حدود
ويورقُ في دوحِ المكارمِ عود

وله من أخرى^٤ :

لأيةِ حالٍ حالٍ عن سنّةِ العدلِ
ولا خطرتُ ذكرى سلوٍ بخاطري
ولم أصغِ يوماً في هواه إلى العدلِ
ولا طمعتُ نفسي لما عنه لي يسلي

١ ص : وأوشح .

٢ ص : وروى ، وأثبت ما في النسخ .

٣ ص : قال .

٤ منها أبيات في النسخ ٣ : ١٢٠ .

إذا كان لا يرضيك إلا مني
 وليل كأن الأنجم الزهر نرجس
 على زهرات كحبل القطر مرهها
 كأن عليل^١ الطل فوق عيونها
 وكم عطر الروض^٢ النسيم كأنه
 يجرّد من غمد الندى صارم الحيا
 وكم ميسم من جود يمناه عاجل
 تملك رقتي بالعوارف منعماً
 وأنسيتني أرض العراق ودجلة
 فبما قاتلي من قتلتي أنت في حل
 به في رياض فتحتها يد الطل
 ستفتها ندي المزن علاً على نهل
 دموع التصابي حرن في العين النجل
 نسيم نشيد الملك في الحزن والسهل
 فتضرب يمناه به عشق البخل
 لراجي نوال منه في جهة المطل
 وأغنيني بالجوّد عن كل ذي فضل
 وربعي حتى ما أحن إلى أهلي [١٢٨]

وكان يرهق في دينه ، فأفضت به الحال ، في اشبيلية إلى الاعتقال ،
 فمن شعره في المعتمد وهو مسجون :

أيا ابن عبّاد الملك الذي يده
 أضحي مديحك في درع العلا عطرأ
 وكنت أحسد^٢ إما كنت أنشد^١
 فمن رأى شاعراً في السجن مطرأ
 ناديت حلمك والأقدار حائمة
 من فيضها الرزق بين الخلق مقسوم
 به تنفس منشور ومنظوم
 فاليوم ها أنا بين الناس مرحوم
 في ظلمة وهو بالبهتان مظلوم
 كصاحب الحوت نادی وهو مكظوم

١ ص : عليا : النفع : بقاء .

٢ ص : ما .

فاحلل . بيمينك^١ ربقّ الأسر عن عنقي فأنتَ بالفضل والإفضالِ موسم

ومن أخرى في ذلك :

يا محيياً بندااه مَيِّتَ آمالي ومصلحاً في فسادِ الدهرِ أحوالي
لاني لأعجبُ من سجنٍ به أمينتُ نفسي من الخوفِ في عرّيسِ رثبال
ولم أر فيه مثلَ السيفِ أغمده من انتصاه لأشعاري^٢ وأتوالي
أسمي وحوالي رجالٍ في الكبولِ [وهم] مقسّرونَ بأصفاذِ وأغلال
كم قائلٍ لي وأثوابي مدنسةٌ وقد غدوتُ مذالاً مثلَ أذبالِ
أصرتُ ترفلُ في الأسمالِ قلتُ لهم أسماليَ اليوم بين الناسِ أسمى لي

الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني من مدينة فاس^٣

أحد من وفد أيضاً على هذا البلد أيام ملوك الأندلس ، وله شعرٌ بديع ،
وتصرفٌ مطبوع . وكان حاضر الجواب ، ذكياً الشهاب ، قال له ابن
زيدون أبو الوليد يوماً ، وهو بين يدي المعتضد وكأنه استجهله ، أو أرادَ
أن يفحّمه ويخجله : أفاسي أنت يا أبا زكريا ؟ يوهم أنه يسأله عن بلده ،

١ ص : بيمينك .

٢ ص : لأشعار .

٣ ترجمته في جذوة الاقتباس ٢ : ٥٣٦ نقلا عن الذخيرة ، وانظر المسالك ١١ : ٤٥٨ .

وخبأ له^١ فيها شيئاً فهمه يحيى بصفاء خلده ، وأجابه سريعاً بفضل توفده ،
فقال : منسوبٌ - أعزك الله - فأعجب به عبّاد ؛ ولجّ ابنُ زيدون فقال :
نعم الفتى أبو زكرياء ، وفهم ابن الزيتوني تصحيفه ، فصدمهُ بمثله ، ورماهُ
بشكله ، فقال له - وقبّل يده - : عبدكَ أعزك الله ، فحجّل أبو الوليد
وتشوّر ، واستخف الطرب جميع من حضر^٢ .

ومن شعره في المعتضد يستنجزه :

سفينة الوعدِ في بحرِ الوفا وقفّت^٣ فامنن بريحٍ من الإنجاز تجريها
وله من قصيدة أولها :

فدقتَ الهلالَ بدا الجمال فتواسيه^٤ وجرحت باللحظ الغزالَ فآسسه^٥
يقول فيها :

لم أفنِ دمعاً في سواه ولا جرى قلمٌ بغير ثناء في قرطاسه
فلقيتُ من كلفني به ما لم يكن لاقى سُحيمٌ من بني حسحاسه^٦
ما البحترى^٧ وإن أرقّ نسيبه وأجادَ وصفَ الرّوضِ في بطياسه^٨
وأني بتشبيهاً حُسنِ نسيمه ونوادِرِ بصفاتِ عَيْنِ طِماسه

١ ص : وخاله .

٢ حاول ابن القاضي المكتنابي حل هذا الحوار عن طريق التصحيف ، حلا جزئياً ، ولعله
وفق في بعضه فليراجع (عبدك : عندك ، نعم : يعم ، الفتى : الفسا . . الخ) .

٣ بطياس : قرية من حلب (انظر ديوان البحترى : ٢١٤ ، ١١٣٥) .

بأرقّ من شعري وأحسنَ موقعاً منه اليناقى في حُلَى أنفاسِهِ
طماس كان ابن أخي ابراهيم بن العباس^١ ، وكان البحترى يتولع
بوصف عوره .

[فصل في ذكر] الأديب أبي بكر بن العطار ، اليابسي الدار^٢

ويابسة من الجزائر الشرقية ، وهي من الأندلس في سمت دائية ، وهو
من جملة من لقيته وأنشدني شعره ، ولم أحفظ منه عند تحريري هذه النسخة
إلاّ أبياتاً من قصيدة في المعتمد أوّلها :

بحدّ عزمكَ نصّلتَ القنا السُّلْبُها قدماً وأجججتَ في مامِ الظبا هُبا

يقول فيها في صفة البحر وجواز المعتمد له في وجهته إلى أمير المسلمين
وأنشدها يوم أنشده عبدُ الجليل قصيدته البرمكية المتقدمة الذكر :

كيف اضطربتَ به قدست^٣ من جبلٍ لودكنتُ الأرض من حوآيه ما اضطربا

١ اسمه أحمد بن عبد الله بن العباس وهو عم أبي بكر الصولي (انظر ديوان البحترى: ١١٢٧ والهاشية)

٢ انظر المسالك ١١ : ٤٥٨ والمغرب ٢ : ٤٧٠ أبو بكر العطار (بحدف كلمة ابن) والنفع

٤ : ١٠ وفي عنوان المرقصات : ٣٠ من اسمه عبد الله بن محمد العطار ولا أظنه هو لأن

الترجم به اسمه في النفع « محمد » ، ولعبد الله العطار أيضاً ترجمة في المسالك ١١ : ٤٣٢

وهو من شعراء الأندلس ، فهو على هذا ليس من يابسة .

٣ ص : قد سدت ، والتصويب عن المسالك .

وضاق حتى لو استنهضت طرفتك أن
وكان كالسيف ألقته فوق صفحته
وكان من بعض ما أهدت مكارمه
من كل أشوس سامي الطرف منجرد
إلى نجائب خوص في حقائبها
يهوي بمتخذ الماذي من درق
إذا استطال رماح الخط قنوسه
فدس [فديت] بخيل الله أندية
واجل الظلام بوقناد الفرند كان
يروق مضطرباً ماء الصقال به
ولا ترد حديد الهند ذا وضوح
تفر منه الليالي الغر عن لعس
ولا تحل يداً من كعب ذابله

ومنها :

فالأرض تقائق من جيش قفلت به
جيش إذا ما [قتام] النقع جالده
والجو يعثر فيه من قنأ وظبا
كانت سيوفك ناراً والعدا حطبا

١ ص : ألفت .

٢ ص : تكسره .

من كلّ ملتئمٍ والبيضُ سافرةٌ
جمت مياهُ وجوهِ القومِ فاتخذوا
وليس ينفكُ من سحْبِ تظلائه^١

ومنها في صفة الزورق :

يبدو على الموج أحياناً وتضميره^٢
أمطاك^٣ عزّمك منه متنّ ساجحةٍ

وله من أخرى^٤ :

أقسمتُ بالزُرُقِ والهنديّةِ الدُّلُبِ
لأنتِ بدرُ سماءِ المائلِ تحرسُهُ
وأنتِ يا فتوحُ عن فتحِ خُصِصتِ به
جاء البشيرُ به تذكو ذلّذلهُ
فراقَ أعيننا [ما] في صحيفتهِ
والجيشُ قد جعلتْ أبطالهُ مرحاً
هزّت نواصبيها لما قفّلتْ بها

والشمسُ قد كُسيّت من قسطلٍ حجبا
من الحياءِ على أبقارها فُتُبا
إن لم تكن رَهجاً كانت دخانَ كبا

كالأيّمْ يعتسفُ الأهضامَ والكُتُبا
خلتِ الحبابِ على لبّاتها لها

والأعوجيّةِ والمهريّةِ التلحِقِ
شهبُ الأسنّةِ عن إصغامِ مسترقِ
وعمّ كلاً عمومِ العارضِ الغدقِ
كأنّما المسكُ مذرورٌ على الطرقِ
كأنّه شععرٌ في عارضٍ يتحقِ
تختالُ عن خنّيلاءِ السبقِ العتقِ
قبّ البطونِ لما فيها من التلحِقِ

١ المسالك : تنفك . . تظللها .

٢ ص : تستعف .

٣ النفع : أمطيت .

٤ منها بيتان في المغرب والمسالك .

هي البحورُ ولكن في كوائسها
إذا تسمعرتِ الهيجاءُ أخمدها
عند الكريمةِ منجاةٌ من الغرق
ما في معاطفها من ندوةِ العرق

وله من أخرى ٢ :

يا حبذا شهبُ الذوايلِ ما اعتلى
والبيضُ سافرةُ الوجوهِ كأنما
تشدو بهامِ المشركين فيعتري
والخيشُ مضطربُ البنودِ كأنه
ثابتٌ في طلبِ العدوِّ مغاوراً
فصدرتَ والإسلامُ فوق جبينه
والكفرُ منحطيمُ الفقارِ بعنقه
فتستمو قائلَ الجبالِ وعنده
هيئات يُعجزهُ العدو لو أنه
ولذا أقامَ على الرضى في بلدةٍ
من نورٍ وجهك فوقها لألاء
نحدودهنَّ من اللقاءِ حياء
أذنَ الهدى لغنائها إصغاء
تحتَ العواصفِ لُجَّةٌ خضراء
حتى اشتكى التأويبُ والاسراء
وضحَّ تضاعلُ عن سناه ذكاء
خضَّعُ وفي أجفائه إغضاء
أنَّ البسائطَ والجبالَ سواء
فوقَ اليتامعِ فريدةٌ عصماء
رُبَّ النباتُ بها وماجُ الماء

١ الكوائب : جمع كائبة وهي من الفرس قدام المرج .

٢ أورد العمري منها ثلاثة أبيات .

٣ ص : وضاح .

فصل في ذكر [ابن القابلة السبي] ١

وأُنشِدت لعبد الله بن القابلة السبي ٢ :

الشيْبُ في مفرقٍ حلا وعقدَ عهدِ الملاحِ حلا
وكان كالآبنوسِ رأسي فاحتلته عاجُهُ فحلتى
وحرمتُ وصلي الغواني وقُتِلُ العميدِ حلا

وكان ابنُ القابلة ٣ هذا يوماً مع ابنِ عبادةَ بالمرية : فنظر إلى غلامٍ
وسيمٍ شديدِ البياضِ يسبحُ بالبحر : وقد تعلقَ بأحدِ المراكبِ ، وبقي
نصفُ جسدهِ بالماء ، فقال له ابن عبادة :

انظرُ إلى البدرِ الذي لاحَ بكُ

فقال ابن القابلة :

.....

١ سقط عنوان الفصل من ص، وهذا قد يفسر: كيف أن العمري في المسالك لم ينتبه إلى أن ابن بسام قد انتقل إلى ترجمة جديدة . ولهذا أدخل العمري بيتي شعر لابن القابلة في ترجمة ابن العطار الياسي ؛ وحين أراد أن يترجم لابن القابلة عقد له ترجمة مستقلة (١١ : ٢٢٩) واعتمد في هذه الترجمة على عنوان المرقصات : ٣٠ وهي قاصرة على ثلاثة أبيات له وردت أيضاً في الدرّة المضيئة : ٤٨٧ واسم ابن القابلة عبد الله . ولا بد من أن نذكر بينه وبين ابن دابلة آخر ليس سبتياً وهو محمد بن يحيى الشلطي (المعروف بـ)

٢ الشريشي ١ : ٦١ .

٣ انظر القصة في بدائع البدائع : ٨١ والنسخ ٣ : ٦١٠ ، ٤ : ١٣

في وَسَطِ السَّجَةِ يَجْلُو الحَلَّكَ

قد جعل الماء مكانَ السما واتخذ الفُلُكَ مكانَ الفَلَّكِ

وأنشدت له^١ :

ووجهٍ محبٍّ^٢ رِقَّ حسناً أديمه يرى الصنبُ فيه وجهه حين ينظرُ

تعرضَ [لي] عند اللقاءِ به رشاً تكادُ الحميماً من عيانهُ تعصر^٣

ولم يتعرضْ كمي أراهُ وإنما أرادَ يريني أنْ وجهي أصفر

وأنشدتُ له يصف القتلى^٤ :

تركتهمُ نهبَ الفلاةِ ووحشِها شعورهمُ شعثٌ وأوجنهمُ غُبرُ

تظلُّ سباعُ الطيرِ عاكفةً بهم على جُثثٍ^٥ قد سَلَّ أنفُسها الذعرُ

وقد عوّضتهم من قبورٍ حواصلًا فيا من رأى ميتاً يطيرُ به قبر

وهذا كقول التهامي^٦ :

١ انظر المرقصات والدررة المضيئة والمسالك والغيث ٢ : ٢٥٩ ورفع الحجب ١ : ١٨٢

والشريشي ٤ : ٧٨ .

٢ ص : وجه محبي ؛ في أكثر المصادر : وجه غزال ؛ الغيث : وجه مليح .

٣ في المصادر : تقطر .

٤ منها بيتان دخلا في ترجمة ابن العطار الياسي في المسالك ١١ : ٤٥٩ .

٥ ص : لهم على جثة .

٦ لم يردها في ديوانه .

حمتهم قبوراً من ذئابٍ وأنسريّ تروحُ بأشلاءِ الدفينِ وتفتدي
فمن حاملٍ فوق البسيطةِ ملحداً وآخرَ يهوي في السماء بملحدٍ

قال ابن بسام : إلى هذا المكان انتهى ما انتخبته من أشعار هذه الفرقة
الوافدة من المشرق ، على بلاد هذا الأفق . وتتلوه إن شاء الله بأخبار من
وعدنا أن نأتي بذكره من أعيان أهل الآداب . وأعلام الشعراء والكتاب ،
ممن كان [١٣٠] بالمشرق ومعاصراً لطبقة هذا الكتاب ، وقد قدمت السبب في
اجتلاب أخبارهم ، وانتخاب أشعارهم . . .

ملحق القسم الثاني (قراءات النسختين ك ل) ١

هي كانت قاعدة (ك)	٨ : ١١
لأولي العقول وذوي العلوم (ك)	١١ : ١٥ - ١٦
ولا مشيراً إليه (ك ل)	٣ : ١٣
إلا وبه شيء راتب (ك)	١٨ : ١٨
فهتكت أستارها وخربت ديارها (ك)	٦ : ٢٠
هذه الغزاة : : وتجاوز البلاء برعيته (ك)	١٠ - ٩ : ٢٠
واستخرجوا بذلك ما ادخروه (ك)	٨ : ٢١
فلا يقاتل الأعداء (ك)	١٣ : ٢١
فمن ذلك قوله وذكر فتح رنده (ك)	٨ : ٣٢
بأي شيء صنع (ك)	٥ : ٣٩
لم تُجره الوفادة (ك)	١ : ٤٠

١ انظر القسم الثاني ص: ٨٥٥ في وصف هاتين النسختين ، ولم أذكر في هذا الملحق ما تخل به كل نسخة منهما ، ولا ما تشترك فيه مع النسخ الأخرى ، [فعلى وجه الجملة تلتقي (ك) بالنسختين (ط د) كما تتفق (ل) مع النسختين (م س)] ولم أدرج في هذا الملحق أيضاً القراءات التي لا وجه لصحتها فذلك عبء لا مجال له هنا ، وإنما أثبت قراءات محتملة أو بمض زيادات تنفرد بها النسختان ، وهذه الزيادات - فيما عدا بضعة مواطن - لا تضيف كثيراً إلى المعنى ، ولكن لإثباتها أمر تفرضه أمانة التحقيق . لهذا أرجو القارئ ألا يعتبر هذا الملحق في معظمه تصويهاً لأخطاء ، وإنما هو وفاء بمتطلبات العمل ، والتزام بالدقة العلمية .

لا يجدّ إلا رائثا (ك)	٤٢ : ١
زاد في (ك) بعد السطر السابع :	٤٨ :
فالنفس جازعة والعين داعية والصوت منخفض والطرف منكسر وبعد السطر العاشر :	
قوم نصيحتهم غش وحبهم بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر يميز البغض في الألفاظ إن نطقوا ويعرف الحقد في الألفاظ إن نظروا (وانظر ديوان المعتمد : ٣٨)	
وحذراً من حضور الوفاة (ك)	٥٦ : ٩
قبل القبر ومرغ جبينه (ك)	٥٨ : ٤
رواهما الرواة على روي اللام (ك)	٥٩ : ١٢
وعند ذلك أيضاً قال (ك)	٦٨ : ١
ما أعجب الحادث (ك)	٦٨ : ٨
زاد في (ك) بعد السطر : ١٢	٨٠ :
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضمّ رحلك واجمع فضلة الزاد ويا مؤمل وادبهم ليسكنه خف القطين وچف الزرع بالواد وأنت يا فارس التحيل التي جعلت تختال في عدد منهم وأعداد	

لما دنا الوقت لم تخلفت له عسدة	
وكل شيء ليلقات وميعاد	
والنوح يتبعها (ك)	٣ : ٨١
عبد الله بن أبي سعيد (ك)	١٥ : ٨١
وصححت منابته في الكرم (ك)	٨ : ٨٦
ومن كلام المحدثين مما أجروه فجري (ك)	٨ : ٩٢
من تأويل الدواوين (ل)	٥ : ٩٦
تقول في كل معنى (ك ل)	٩ : ١٠٧
غربت ألبابنا (ك ل)	٣ : ١٠٩
وقال أبو عامر (سقطت لفظة الوزير في ك ل)	٣ : ١١١
وذوي الرياسة والفهم (ك)	٣ : ١١٣
وقد أخرجت من نظمه ونثره ما يشهد بنبله وفهمه (ل)	٨ : ١٢٥
وقد اقتضبت من الرسالتين بعض فصول (ك)	٦ - ٥ : ١٢٧
فإن لكل واحد منها (ل)	٢ : ١٢٨
وقوام أمرها به (ل)	١٢ : ١٣٠
ولما أن قرأته (ك ل)	١٥ : ١٣٠
فليس يرغب في الحرام (ل)	١٨ : ١٣٨
بالله من شيطانك استعد (ل)	٣ : ١٤٢
كما تجاوب أطياف بأشجار (ك ل)	١٠ : ١٥٠
عاطني أكؤس المدام (ل)	٣ : ١٥١
وأختار ذيبا (ل)	٦ : ١٥١
سهل للناس هذا السبيل (ل)	١٢ : ١٥١

وما يتشبت بهذه الأسباب (ك ل)	١١ : ١٥٢
يخرج بي عن المقصود (ك)	٩ : ١٥٥
خذت جرى للنعيم فيه (ك)	١١ : ١٦٥
إلى البدر صاحبي (ك)	١١ : ١٧١
فتعطيني العطاء المضاعفا (ك)	٩ : ١٧٧
يخر وجلباب الدجى يتمزق (ل)	١٥ : ١٧٨
كل مرأى ومسمع (ك)	١٧ : ١٨٣
بمرأى عينك نفس أريب (ك ل)	١٧ : ١٩٣
أو كانت للمجد روضة (ل)	٤ : ١٩٤
وإماماً في سائر التعاليم مخفوداً (ك ل ؛ قلت :	٩ : ٢٠٠
والمحفود : المعظم الذي يخدمه إخوانه)	
ويصف الشعر (ل ؛ قلت : اقرأ : الشقر وهو	٥ : ٢٠١
شقائق النعمان أيضاً)	
وقد يحرم الرامي المصيب فريضة (ك ل)	١٥ : ٢٠٧
أبي الأصبح بن سيد (ك ل)	١٤ : ٢٠٩
صنعة ثوبها (ك)	٥ : ٢١٤
والكريم إلى سكنته (ل)	١٣ : ٢٢٠
وهي أن أكبر بناته (ك)	٩ : ٢٢٧
تسدّ به بعض خلقتها (ك ل)	١٠ : ٢٢٧
ما وجدت من شعر (ل)	١٥ : ٢٢٩
وتخلّى للمعتضد عن أونبة (ل)	١٣ - ١٢ : ٢٣٤
جلالاً وخلالاً (ل)	١٨ : ٢٣٤

وقد علم ما كنا عليه قبل (ل)	٧ : ٢٤٢
قد تحصنوا بالخلق (ل)	٤ : ٢٤٣
ويستبيح الذمار (ك ل)	١٥ : ٢٥٣
تحتفل وتحتشد (ك ل)	٣ : ٢٥٩
الغوي المجيء والمذهب (ك ل)	٦-٥ : ٢٧٥
وتقاصر من غلوه (ك ل)	٣ : ٢٧٧
ورد كتابك منبئاً (ل)	٩ : ٢٨٣
من يرتسم بهذا الشأن (ل)	٥ : ٢٨٦
ولا طفت ولا سعيت (ك)	١٤ : ٢٨٧
يا رسول الله حرمة عيادي بك (ل)	١٦ : ٢٨٧
أسباب الحياة والحيا (ك ل)	٤ : ٢٩١
عليك ظليل (ل)	٥ : ٢٩٢
ولا نجم (ل)	٥ : ٢٩٨
ووصل من مقطوع أنسابها (ل)	٨ : ٢٩٨
يوم تقطع الأنساب والأسباب (ل)	١١-١٠ : ٢٩٨
ولا انسحبت عليه للزمن (ل)	٢ : ٣٠٥
ومطالع علمك (ل)	١٢ : ٣٠٥
ما خصصته به (ل)	١١ : ٣١٠
الدمث الخليقة (ل)	١٣ : ٣١٠
وكريم الاعتداد (ل)	١٣ : ٣١١
الحسيب الأريب أخيك (ل)	١٨-١٧ : ٣١٥
وللآمال في تراخي مدته (ل)	١ : ٣١٦

والله يعوضك منه العزاء (ك)	١٠ : ٣١٦
لا شيء أعرف من عقل (ل)	١٥ : ٣٢٨
وقد خطبت وخطبت (ل)	٨ : ٣٢٩
ومددت إلى اجتلاء السرور عيني (ل)	٩ : ٣٣٠
وأرب قصي عن فأبرمه (ل)	١٥-١٤ : ٣٣٧
وحوم به جناح (ل)	٧ : ٣٣٩
لا يسمن ولا يغني (ل)	١٣-١٢ : ٣٤٠
لن تجدوا في غيري مرشفا (ل)	١١ : ٣٤٢
ونجباء الأولاد (ل)	١١ : ٣٤٤
قاس من الأيك أو رطيب (ل)	١ : ٣٥٢
ولا أخفض من الجهارة (ك ل)	١٣-١٢ : ٣٥٢
وتستدر جلموداً (ل)	٦ : ٣٥٣
ولا شره المكتسب (ل)	٩ : ٣٥٦
وفي فصل منها (ك)	١ : ٣٥٩
أنا من فرط بري (ك ل)	٨ : ٣٦١
ولو شككت له نبوء المنزل (ل)	١٤ : ٣٦٦
ويحوز المعنى الأتم (ك)	٤ : ٣٦٧
رغبة بنفسه عن نحلة (ل)	١٣ : ٣٦٩
نسخ الغدر اقتضاء وفائه (ك)	٢ : ٣٨٢
ما وجدته من شعره (ك)	١ : ٣٨٨
عند وقع المصائب (ك)	١ : ٤٠٤
تدعى بشميس مصفرة (ل)	٧ : ٤١٤

- ٤١٤ : زاد في (ك) بعد سطر : ١١ أبياتاً في هجاء ابن
عمار للمعتمد ؛ ولا ريب في أنها دخيلة على
الأصل ، لأنها من فاحش الهجاء الذي يتحاشاه
ابن بسام ، وهو قد قال : « وبعده ما أضربت عنه »
- ٤١٥ : ٢ بنظر اشبيلية (ل)
- ٤٢٥ : ٤ ونأى لأبصار العداة (ك)
- ٤٢٦ : ٤ قل لبرق الغمام ظهر البريد (ك)
- ٤٣٠ : ١ على ابن عمار الخائن (ك)
- ٤٣٢ : ٦ من كان تقدم فيه إليه (ك ل)
- ٤٤٠ : ١٢ ولا أمتري في أنها (ك) ... ومن أبلغ حججهم (ك ل)
- ٤٤١ : ٤ - ٥ يتعايرون به أشد منه (ل)
- ٤٤٧ : ٣ بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه : . البيت (ك ل)
- ٤٤٨ : ٩ ابن ذريح (ك)
- ٤٤٩ : ٢ - ٣ دفن بمقبرة الروم (ل)
- ٤٥٠ : ١٣ يداعب ابن جهور (ل)
- ٤٥٠ : ١٥ الشهود لما تدعي (ل)
- ٤٥١ : ١ فجننا ابن جهور (ل)
- ٤٥٤ : ٣ أم نحت الخطوب الموردا (ل)
- ٤٦٢ : ١ ولم أسمع بهذا البيت (ل)
- ٤٧٢ : ١٠ فجلس المعتمد يوماً على تلك البحيرة (ل)
- ٤٧٧ : ٥ - ٦ وسأخذ فيتما بعد بطرف (ل)
- ٤٨١ : ١٢ في حساها العجبي والألمعي (ك ل)

أبو الحسين بن الجلد (ك)	٣ : ٤٨٧
خافق وجل (ك)	١٢ : ٤٩١
من أهل بلدنا وعصرنا (ل)	٧ : ٤٩٤
يؤتى الأمن من حيث يبتغى (ل)	١٤ : ٤٩٤
من نعت الأصحاب (ك ل)	٣ : ٤٩٦
بوجوه اللوم مخضوب (ل)	٧ : ٤٩٦
أشكو لديك الندى (ل)	٦ : ٤٩٩
في سلطانها النكد (ل)	١٣ : ٥٠١
وقال أبو محمد الأيادي (ل)	١ : ٥٠٧
بطشة تنسي الأعادي (ل)	٥ : ٥١٠
زاد في (ل) بعد البيت الثالث :	: ٥١١
وأعتبني الزمان فصرت أردى	
بما أحيا سقاماً واعتللاً	
ومن عجائبه قول جنوب (ل)	١٠ : ٥١٣
تأوي له وتثوب (ل)	١٢ : ٥١٦
زمان ممهتي الصفحتين ضروب (ل)	٢ : ٥١٧
ترقرق عنها الملك (ل)	٧ : ٥١٩
في صفحة شمعة (ل)	٤ - ٣ : ٥٢٠
بالقصر المبارك (ل)	١٢ : ٥٢٠
ولم نظلم (ل)	٧ : ٥٣٤
صديقنا الفاضل أبي الحسن (ل)	١٣ : ٥٣٧
شغفت بها (ل)	١ : ٥٣٩

والا زياد يحرك الخطب (ل) ؛ قلت : وهذه قراءة جيدة)	٣ : ٥٣٩
فتبقى سمحة القياد (ل)	٤ : ٥٤٢
لكن أخبرك عن حال (ل)	١٣ : ٥٤٢
المستعين بن هود أعزه الله (ل)	٦ : ٥٤٥
خذك أزهر (ل)	٧ : ٥٤٩
فصعد وتولى (ل)	٧ : ٥٥١
ويزيد على الأيام (ل)	٧ : ٥٥٢
عند الملك الطاهر (ل)	١١ : ٥٥٢
من يمرّ به النسيم (ل)	٢-١ : ٥٥٣
أمتلها فأمّ لها ، وقدّم رجاءها (ل)	٥ : ٥٥٣
أو يدور بنا عليك مدارا (ل)	١٤ : ٥٥٥
وتأتى فعلاً وأشرق حسناً (ل)	١٦ : ٥٥٥
حين خططت هذه الحروف (ل)	٣ : ٥٥٩
وختمتها بهذه الأبيات (ل)	٧ : ٥٥٩
له من قصيد أوله (ل)	٢ : ٥٦٤
ونازعتهم حتى فلتت (ل)	٩ : ٥٦٥
يتيح الجنى (ل)	١٤ : ٥٦٩
كل فعل يقصر (ل)	١١ : ٥٧٦
بفصول الانعام والاجلال (ك)	١ : ٥٧٧
بهذه العين أبصرت (ل)	٦ : ٥٧٧
لما يجعل المعدّر في حيز الاعتذار (ل)	١١-١٠ : ٥٧٧

ومن النثر أبرعه (ك)	١ : ٥٨٠
المنبت الذي إليه منتحاه (ك)	٦-٥ : ٥٨١
فأحاله هذا بلحينا (ل)	٨ : ٥٨٣
قد عظم الله شأنه (ل)	٦ : ٥٨٥
اعطاء سائل (ك)	١ : ٥٨٧
ابق للعليا تشيد (ل)	٧ : ٥٩٣
مذحيل منك بأذني (ك ؛ قلت : اقرأ : مذحلّ)	١٥ : ٥٩٧
كم قلت فيه (ل)	٢ : ٦٠١
ولقد أباح لك الهوى (ل)	١ : ٦٠٤
فصكت ضلوعي . . . صكة (ل)	٤ : ٦٠٥
ما في الليل من درن (ك)	١٧ : ٦١٩
إما من الجبن أو من شدة الفشل (ك)	٣ : ٦٢١
ويصرع أقراناً (ك)	١٤ : ٦٢١
بعض أهل عصري (ل)	١٤ : ٦٢٤
للين لباس (ل)	٨ : ٦٢٦
يشق علينا ترك مدحك (ك)	١٣ : ٦٢٧
برح الهوى (ل)	١٣ : ٦٣٣
وهنيم بأسمائهم السلطان هنيهة (ك ل)	٥ : ٦٣٧
أنظره وهو في السما ينظر (ل)	٧ : ٦٣٨
والأعيان الأدباء . . . في الدولة المؤرخة . . .	١٠-٨ : ٦٣٩
المحيط الرومي والأندلس (ل)	
خمسين مجلداً (ك ل)	١٠-٩ : ٦٤٠

في جملة ما سرد (ل)	٧ : ٦٤١
بذلك الأوان (ك ل)	٨ : ٦٤١
ابن شرف القروي (ل)	١٦ : ٦٤١
كتب بهذا القصيد (ل)	١٣ : ٦٤٣
لأنه أنبأ أنه يسهره (ل)	٨ : ٦٤٤
إلا مع وفور النوم (ل)	١٠ : ٦٤٤
فشمرت عن ساق (ك)	١١ : ٦٤٦
على قديم الزمان (ل)	٧ : ٦٤٨
لا على المتصل عنك الآن (ك ل)	١٣ : ٦٤٩
لدهي في جبلته (ك)	٨-٧ : ٦٥٠
وثغره مشغوراً (ل)	١٠ : ٦٥٠
وفرد العصر (ل)	٦ : ٦٥٢
وأخذ بأعنان السماء (ك ل)	٤ : ٦٥٣
وهي من الجزيرة (ل)	٥ : ٦٥٥
رحمه الله يومئذ مشغول (ل)	٤ : ٦٥٦
حسبما تخلّص الخبير عنها (ل)	١٠ : ٦٥٦
والأجل يتفحمه (ك)	١٢ : ٦٦١
أسطولاً ضخماً (ل)	٢ : ٦٦٢
ليلة الجمعة [...] من صفر المؤرخ (ل)	١١ : ٦٦٣
في نفر من أصحابه (ك)	١٢ : ٦٦٣
من رؤوس جماعته (ل)	١٦ : ٦٦٣
يبري ظبة السيف (ك)	٣ : ٦٦٩

وهو اليوم ببلدة يابرة (ل)	٩ : ٦٦٩
والأفواه ريتاً (ل)	٨ : ٦٧٠
رحمي النسب والأدب (ل)	٧ : ٦٧١
وأبهى لفظها ومعناها (ل)	٦-٥ : ٦٧٢
إن كان للكلام إمارة (ل)	٢-١ : ٦٧٣
ما يربي على الديمة (ل)	١٤ : ٦٧٣
أقرأ : وأغوص رباها على الأفراح	٩-٨ : ٦٧٦
لقد حيا نفوسنا بها (ل)	١٠ : ٦٧٦
وأبقى من أرواحها (بعد «أرواحها» لفظة في ل لم أستطع قراءتها)	١٤ : ٦٧٦
في وجوه مائها (بعدها لفظة غير واضحة في ل)	١٥ : ٦٧٦
فأعدي ، واشتكى من الفقر فأشكي ، والمحل :	٥ : ٦٧٧
أنس من السقيا ببعثة الحيا فقال : يا رباها فرحاً بسقياه (ل)	
ما حاسنتُ البقيعَ المزهراً بحرّة (ل)	٩ : ٦٧٧
مشكورة أياديه (ل)	١١ : ٦٧٧
المصلي بالسابق ، وتطلق الضحى الشارق (ل)	٢ : ٦٧٨
وتجهز كتائبك إلى عديد قليل ، وبديد قليل (ل)	١٧ : ٦٧٨
وما حسبته إلا تيممة (ل ؛ وكذلك سن : ١٦)	٤ : ٦٧٩
ونظمي في ضنك معانيها (ل)	٧ : ٦٧٩
فصل من ترسيل (ل)	٤ : ٦٨٠
إذ الصباية أزيكى عتاد (ل)	٢ : ٦٨١

عن كل طبع (ل)	٧ : ٦٨١
من اجتنائه بأبرّ قسم (ل)	١٢ : ٦٨٢
تفرد بالخلافة (ل)	١٧ : ٦٨٢
تلك الشمائل الواعدة الصادقة (ل)	١٩ : ٦٨٢
[ورحمت] في الأذنا (اقرأ : الأدباء) (ل)	٨ : ٦٨٥
برز العوالي (ل ؛ قلت : والرز : الصوت)	٥ : ٦٨٦
وان يسلم فقد تركت به (ل)	٣ : ٦٨٧
حباً عليها جآجيا (ك ل ؛ جمع جؤجؤ)	١ : ٦٨٨
على استنجاز طبعي (ل)	٦ : ٦٩٠
راعوا قديم ولائي . . . وما أطرت (ل)	١٣ : ٦٩٥
مثل التاء في الترخيم (ك)	١٢ : ٦٩٦
فلم تبقَ فيها (ل)	١٠ : ٧٠٥
بما خلف الدروع (ك)	١٢ : ٧١٠
بقرية لب على وادي آنه (ل)	٣ : ٧١٢
إلا أن قول أبي محمد أولى بالتقدم منه قول بشر (ل)	١٤ : ٧١٣
والبيض والسمر مثل . . . (ك)	٣ : ٧٢١
وانتدبت لخمفر وابنه (ل)	٣ : ٧٢٣
سحقاً ليومكم سحقاً (ل)	٩ : ٧٢٣
ويح السماح ويح الناس (ل)	١٣ : ٧٢٣
وردها يدعو إلى صدر (ل)	٥ : ٧٢٤
سلام منتصب للأجر (ل)	٦ : ٧٢٤
شئى وذو عبر (ل)	٧ : ٧٢٤

التطيلي في قصيدة يرثي بها السينائي وقتل غيلة فقال (ل)	٨ : ٧٢٤
فأعقب عنها آخر الدهر (ل)	٢ : ٧٢٥
وانثالت في يدك (ل)	١٣ : ٧٢٩
وان لم يكن فشبع وريّ (ل)	١٤ : ٧٢٩
الذي شرف قدره على الأقدار (ل)	٨ : ٧٣٠
إن عنيّ سواي وعرها (ل)	٣ : ٧٣١
ولترى أين أقع وتأمر بما أصنع (ل)	١٩ : ٧٣١
يبسط نفسه (ل)	٢٠ : ٧٣١
يا قلب ذب كمدأ (المورد)	٨ : ٧٣٥
تأملتني أم المجد (ل والمورد)	٨ : ٧٣٦
سيعديها فيعطفها (المورد)	١٦ : ٧٣٦
خير من الهجر في جهد (المورد)	٢١ : ٧٣٦
ان كنت الست ^١ بذني نقص (اقرأ : بغض كما في المورد) (ل)	٧ : ٧٣٧
إلا فت في عضدي (المورد)	٨ : ٧٣٧
من خبل ومن كمد (ل)	١٣ : ٧٣٧
نفثت بالسحر في عقد (ل)	١٥ : ٧٣٧
منه الأسى في السهل والجلد (ل والمورد)	١٤ : ٧٣٨

١ مجلة المورد ٦ : ٢ / ١٩٧٧ ص : ٣٠١ - ٣٠٤ استدراقات د . محمد مجيد السعيد على ديوان التطيلي .

ووجه الدهر أسحيم مظلم (المورد)	١٩ : ٧٣٨
كأنهن العندم (المورد)	٢ : ٧٣٩
تبيينوا ألا أطيق فترحموا (ل والمورد)	٥ : ٧٣٩
وتظلمون بجهدكم (ل والمورد)	٧ : ٧٣٩
اقرأ : فأبتُ بدمعي . . . وأبتُ بما في مقلتيها	٥ : ٧٤٣
بدت رقة الشكوى على عصفاته (ل)	٩ : ٧٤٣
بالبرس يثبت بين القوس (ل)	٧ : ٧٤٧
ليس شعري بمنقص (ل)	٨ : ٧٤٩
مكذوبي النهى والتجارب (ل)	٣ : ٧٥٠
وعدي له الأيام الا نواهب (؟) (ل)	١٩ : ٧٥٠
خاطب بها الوزير الفقيه أبا الحسين (ل)	٦ : ٧٥٤
بعض الريش إلى جناحي (ك)	١٤ : ٧٥٥
وأقرئك من أثناء تلك الدولة (ل)	١٧ : ٧٥٥
ولا أفر إلا لنعمائك (ل)	٧ : ٧٥٦
والله تعالى يبقيك لي ويمليك (ل)	١٠ : ٧٥٦
ومؤديه ناصح مملوكك (ل)	١٢ : ٧٥٦
من علامات الكرام أنه شبيه (ل)	١١ : ٧٥٧
قال الله تعالى فيه (ل)	٣ : ٧٥٩
وجدته أمراً من الزيادة (ل)	٥ : ٧٥٩
من النسر الأشغى (ل)	١١ : ٧٥٩
له بين وردك وباسمينك (ل)	٧ : ٧٦٠
وتنسى على منابر أدواحك (ل)	٨ - ٧ : ٧٦٠

أولى الأمة بذلك نوح (ل)	٥ : ٧٦٢
وهو الوسع المحمود (ل)	٧ : ٧٦٥
بأبيات قال فيها (ل)	١٠ : ٧٦٥
موشومة ، إذا ما تأملتها كالسفن (ل)	٩ : ٧٧١
ولم يسترِك من بعضها (ل)	١ : ٧٧٣
ثم انبسط أبو بكر (ل)	١٠ : ٧٧٣
وتعاور أطوارها وتناوبها (ل)	٩ : ٧٧٦
إلى هذا النسب الكريم (ل)	٥ : ٧٧٧
فابدعوه بالتحية (ل)	٩ : ٧٧٨
والغريب مثل المنكوب (ل)	١٠ : ٧٧٨
وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع (ل)	١٥ : ٧٧٨
على أني إنما أتكبر (ل)	١ : ٧٧٩
ويشرع في وداد (ك ل) ويكشف . . : عن أصل هذا التهاجر (ل)	٣ - ٢ : ٧٧٩
فذكرك بصفاتك (ل)	٦ : ٧٧٩
رواية (ل) في ترتيب الأبيات هي الصحيحة	: ٧٧٩

وهي كما يلي :
أبا أيوب والأيام لا تبقى على حال
[وان المرء منها بن ادبار واقبال]
لئن رحمت رخي البال ذا جاه وذا مال
ومركوب وغاشية وأقام وأذبال
جميع الشمل ملقى الرحل بين الأهل والآل

وأصبحتُ مقللاً رهنَ إقبالٍ وإذلالٍ فإنك حد (الأبيات)	
كسبيل ما وردني الآن به كتابك (ل)	٨ : ٧٨٣
خان بعض الثقات (ل)	١٤ : ٧٨٣
منع الجواز إليها (ل)	١٢ : ٧٩٠
رفعت راياته (ل)	١٥ : ٧٩٢
فلم يتزّن (ل)	٩ : ٧٩٤
بعد السطر السادس ورد في (ل) : وقال آخر :	٧٩٥ :
والثريا في الجوّ كالمنقود	
رهينة بانصداع الشمل (ل)	٧ : ٧٩٦
ممن نظم الدر المفصل وطبق المفصل (ل)	٢ : ٧٩٧
على الله الثناء (ل)	٩ : ٨٠٠
وللبروق مجامر (ل)	١٥ : ٨٠٠
لم يبقَ للظلم في أيامكم (ل)	٢ : ٨٠٥
تأمنُ وتمكفَ (ل)	٤ : ٨٠٥
وأنهم في قولهم كاذبون (ل)	٥ : ٨٠٧
قل لي أبا مروان (ل)	٨ : ٨٠٧
إليه واستبسلس عساه يلين (ل)	١٢ : ٨٠٧
دراهم ملوك أفقنا (ك ل)	٤ : ٨٠٩
ماورد (ك : بماء ورد) كان بين يديه (ل)	٨ : ٨١٠
من وثاقه وأذن الله بانطلاقه وله في ذلك قصيدة (ل)	٨ : ٨١٥
يقول فيها (ل)	١٢ : ٨١٦

بعد البيت الرابع (س : ٤) في ل ورد البيت :	٨٢٤ :
أدامت حمامات على فقد إلفها	
وينكر أقوام عليّ دوامي	
ليت الزمان من العثار يقال (ل)	٨ : ٨٢٧
على جيد ما جد (ل)	٩ : ٨٣٠
ومما راعني لم أصدق (ل)	٨ : ٨٣٢
مما انتحاه (ل)	٧ : ٨٣٤
أوحش حلولا من الليل (ل)	٢ : ٨٣٥
وفي مثل ذلك يقول (ل)	٨ : ٨٣٦
أعندك أن البدر بات (ل)	٢ : ٨٣٧
لم أدر (ك) ما جيد الهوى (ل)	١٣ : ٨٣٩
ووسطى في نظام المكرمات (ك)	١٢ : ٨٤٢
حتى حسبنا أديم الماء (ل)	١٢ : ٨٤٣
في غير ما موضع (ل)	٦ : ٨٤٦
يسير بالعدل والأحكام (ل)	١٠ : ٨٤٧
وله من أخرى (ل)	٢ : ٨٤٩
من سروهم شبه الأحجال	٣ : ٨٤٩
في (ل) بعد السطر السابع :	٨٥٠ :
أنا يا ابن حمدين وتلك مقالة	
برئت شهادتها من التجريح	

فهرس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

أدريس بن اليماني ١٤٠	- ١ -
أذفونش بن برمند ٨٤	آدم ١٧٧
أذفونش بن فرذلند ١٥٦ ، ١٤٩	ابن أبي دواد ٣١
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،	ابن أبي الزلازل (الحسين بن
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،	عبد الرحيم) ١٧٨
١٦٨	ابن أبي سمرة الدارمي ١٠٠
ابن أذين. (صاحب الخليل) ١١٧	ابراهيم (النبي) ١٧٩ ، ٢١٧
الاسكندر ٣٦١	ابراهيم الموصلي ١٣٦
أسماء (في شعر) ٢٨١	ابراهيم بن العباس الصولي ٣٧٦
أسماء بنت غالب ٦٥	ابراهيم بن محمد ، انظر : ابن السقاء
اسماعيل بن ذي النون : انظر :	أحمد البصري (الناهي) ٢١٧
الظافر ابن ذي النون ناصر الدولة	أحمد بن أبي طاهر ٢٩٣
الأسود بن يعقوب ١٩٧ ، ٢٠١	أحمد بن زياد ٥٧
أشجع السلمي ٣٠٦	أحمد بن فارس المنجم ٧٩
أشعب الطمع ٢٢٥	أحمد بن المعتصم ٣٧
الأصمغين بن الناصر ٥٧ ، ٥٨	الأحنف بن قيس ٣٧
أبو الأصمغين البلنسي الحكيم ، ٣٦٢	الأخطل ١٩٧ ، ٢٠٣
٣٦٣	أدريس بن عبد الله العلوي ٣٠٦
أبو الأصمغين الكاتب ٣٦٧	

ابن بسام ٧ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٣ ،

٤٤ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٢٦ ، ١٤١ ،

١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ،

١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ٢٢١ ،

٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢١٠

البستي ، أبو الفتح ٢٥٧ ، ٣٥٤

بشار بن برد ٩٧ ، ٢٠٤

بطليموس ١٨٣

بقراط ٣٦٠

أبو بكر الخولاني المنجم ٣٥٧ ،

٣٦٢ ، ٣٦٩

أبو بكر المرادي القروي ، أبو الحسن

(٣٦٤ - ٣٦٧)

البكري ، أبو زيد ٥٥

بلال بن رباح ١٩٤

بلقين بن حماد ٨٩ ، ٣٤٧ ،

٣٤٩

بنفسج العامرية ٤٨

بهار العامرية ٤٧

- ت -

تبع ٢٧١

ابن الأعرابي ١٢٥

امرؤ القيس بن حجر الكندي ٢٠

٣٣ ، ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ،

١٩٨ ، ٢٣٣

أوس (والد أبي تمام) ١٧٩

إياس القاضي ٣٧

أيوب (النبوي) ٢١٥

- ب -

باديس بن حبوس ١٢٥ ، ١٧٧ ،

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٣٥٠

باقل ١٨٣

البيغاء ، أبو الفرج ٢٥

البحثري (الوليد بن عبادة) ١٩٨ ،

٢٠٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧ ،

٣٧٥ ، ٣٧٦

ابن بدر ١٧

بديع الزمان الهمداني ١٩٦ ،

٢٥٢ ، ٢٧٠

البر الطليطلي الفقيه ٣٥٦

أبو البركات العلوي ٢٥

ابن برلوصة ، أبو عمر ١٦١

- أبو تمام (حبيب بن أوس) ١٣ . جالينوس ١٨٣
- ١٤ . ٣٧ : ١٤١ : ١٧٥ . ابن جدار المصري ١٩٨
- ١٧٦ . ١٧٧ . ١٧٩ . ١٩٧ . الجرجاني (راوية مقامة) ٢١٢ .
- ٢٠٦ : ٢٠٧ . ٢٢٣ : ٢٣٠ . ٢١٣
- ٢٣٤ . ٢٣٥ : ٢٩٤ . جرول (الخطيئة) ١٨٣ .
- ٢٠٢ . ١٩٧ . جرير بن الخطفي ٩٨ ، ١٩٧ .
- ٢٠٣ : ٢٣٤ . أبو جمعة نهشل ١٩٤ ، ١٩٥ .
- ١٩٦ . جعفر الصقلي ٦٧
- ٣٢٧ . التهامي أبو الحسن ٢٩٧ ، ٣٤٧ .
- ٣٨١ . ابن التيباني ١٩
- ٢٠٢ : ١٩٧ . تميم بن مقبل
- ٢٨٠ ، ٢٨١ . تميم بن بلقين
- ٣٨ . تميم بن جميل السدوسي
- ٣٢٦ : ٣٢٧ . تميم بن المعز ٨٩
- ٣٢٧ . ث -
- ٢٩٧ ، ٣٤٧ . ثابت بن محمد الجرجاني ، أبو الفتوح
- (١٢٤ - ١٢٦)
- ٨ : ١٣ ، الثعالي . أبو منصور
- ٩٩ ، ٢١٧ . ٢٥
- ج -
- ١٢٨ . ١٣٢ . ١٣٦ . ابن جابر
- ٢٠٩ . جعفر بن علي
- ٢٢٩ ، ٢٦٠ . جمل (في شعر)
- ١٩٧ . جميل بشينة
- أبو جنيس . انظر : الرمادي يوسف
- ابن هارون
- ٢٣٩ . ابن جهور . أبو الوليد
- ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ١٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
- ٢٤٤ . ابن جهور . عبد الملك
- ٥٨ . جوذر الفتي

- ح -

- الحسين بن علي ١٩٣
الحصري الكفيف (علي بن عبد
الغني ، أبو الحسن) (٢٤٥ -
٣٥٤) (٢٨٣)
الحطيئة ، انظر : جروال
الحكم (الأول الأموي) ٣٠٤
أبو الحكم الحاجب ٢٥٢
الحكم المستنصر ٥٦ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ١٤٢ ،
الحكيم المصري (عبد الله بن خليفة ،
أبو محمد) (٢٩٠ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ٣٤٢) -
(٣٦٠)
ابن حلزة ، الحارث ١٩٧ ، ١٩٩
الحلواني ، أبو الحسن (عبد الكريم
ابن فضال) (٢٨٤ - ٣٠٠)
الحمادان ١٩٦
ابن حماد ٣٠٢
ابن حمام ، أبو اسحاق ٢٤٥
الحمدي (اسماعيل بن ابراهيم)
٣٦٩
ابن حمديس (أبو محمد عبد الجبار)
(٣٠٢ - ٣٤٢)
- حاتم الطائي ١٨٣ ، ١٥٨ ،
٣٦١
أبو حاتم الحجاري ٣٦٢ ، ٣٦٣
حاجب بن زارة ١٧٩
الحاكم الفاطمي ٩١ ، ٩٤
حبيب الصقلي ٣٤
حبيب بن أوس : انظر : أبو تمام
ابن الحديد ، أبو بكر : ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٥٦ .
ابن حزم ، أبو محمد ١٢٥ ،
١٢٦
حسان بن ثابت ١١٦ ، ١٧٣ ،
١٩٧ ، ٢٠١
ابن حمداي ، أبو الفضل ٢٥٣ ،
٢٥٤
الحسن بن هاني ، انظر : أبو نواس
الحسن بن وهب ٢٢٣ ، ٣٦٩
ابن حسون ، أبو مروان ٢٨٢
الحسين الفقي ٣٦٩
الحسين بن الضحاك ٣٢٢

ابن خلصة الشلوني ٢٦٨	ابن حمود ١٤٤
خلف بن حسين (والد ابن حيان)	الحميدي ، أبو عبد الله ١٢٢ ،
٥٢ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٦	١٢٣
خليدة (امرأة) ٣١٥	أبو حنيفة ٣٥٤
خليفة المورته (والد الحكيم المصري)	ابن جيان المؤرخ ٩ ، ٢٠ ، ٥٠ ،
١٣٧	٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
خيران العامري ١١	٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
- د -	٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٧ ،
ابن الدب . أبو جعفر (أحمد بن	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
سعيد) ١٠ ، ١١	١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
ابن دراج القسطلي ١٧٠ ، ١٩٨ ،	١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣٨ ،
٢١١ ، ٢٩٦	٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٣٤٣
ابن دريد أبو بكر ٣٢	- خ -
دريد بن الصمته ١٩٧ ، ٢٠١	خارجة السهمي ٢٢٦
دعبل الخزاعي ١٩٧ ، ٢٠٥	خالد (في شعر) ٣٧
أبو دلف المعجلي ٣١	خالد القسري ١٩٠
الدميني (ابن الدمينه) ١٩٧	خالد بن هشام ٦٧ ، ٦٨
أبو دواد الإيادي ١٤٧	الخالدي . أبو بكر ٢٥٦
- ذ -	الخيزر أرزي (نصر بن أحمد)
ذو الرمة ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠	١٢٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٩
	الخصيب ٣٥١

ابن الرومي ٣٧ : ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٤٧ ، ٢٩٨ ، ٣٢١	ابن ذكوان القاضي ، أبو العباس ٤٢ ، ٥٠ ، ٧٥
أبو الريان (بطل مقامة) ١٩٧ ، ١٩٨ . ٢١١	ذو النون (جد بني ذي النون) ١٤٢ أبو ذؤيب الهذلي ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٤٧
- ز -	ذو الإسرائيلي ١٣٦
زاوي بن زيوري ٨١ ، ٨٢	- ر -
الزبرقان بن بدر ١٨٣	
زبيدة بنت جعفر ٣٤٨ ، ٣٤٩	الراعي (عبيد بن حصين) ١٩٧ ، ٢٠٢
الزبيدي ، أبو بكر ١٤ ، ١٥	رائق (أخو صبيح) ٧١
ابن زرارة ٢٢	الرباب (في شعر) ٢٧٢ ، ٢٧٨
زرقاء اليمامة ١٨٣	الرشيد (هارون) ٢٦٢ ، ٣٠٦
زهير بن أبي سلمى ١٩٧ ، ١٩٩	ابن رشيق ، أبو علي ٢٤ ، ٨٩ ، ١٠٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٢٥ ،
ابن الزيات (صاحب طرسوس) ١٢٦	٢٣٠ ، ٢٩١
ابن الزيات الوزير (محمد بن عبد الملك) ٥٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦	الرضي (الشريف) ٢٣٤ ، ٢٤٨
زياد بن أبي سفيان ٢٦٤	ابن الرقاع العاملي ١٩٧
زيادة الله بن مضر الطنبلي ١٩	الرمادي يوسف بن هارون أبو جنيس ١٢٠ ، ٢٩٦
زيد الخيل ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٢	الرماح بن ميادة ١٩٨ ، ٢٠٤
ابن زيدون . أبو بكر ٣٦٠	
ابن زيدون . أبو الوليد ١٧٢ . ٣٧٤ ، ٣٧٥	

سليمان (النبى) ٢٤٢ ، ٣٣٤ ،	زيري (والد زاوي) ٨٢
٣٦٨	
سليمان بن حسان النصيبي ٢٣٠	- س -
سليمان بن عبد الملك ٣٦	سحبان وائل ١٨٣
سليمان بن محمد الصقلي (١١٩ -	سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٩٧
١٢٤)	٣٧٥
السموأل ١٨٣ : ٣٤٥	سعاد (في شعر) ٢٢٩
السميسر ٢٢٧	سعدى (في شعر) ٢٢٩
سيبويه ١٤ : ٢٥٠	سعدان المؤدب ٤٣
سيرين (جارية) ١٧٣	سعيد (صاحب الشاة) ٣٦٩
سيف الدولة ٢٣ : ٢٤	سعيد بن حميد ٣٠٧
- ش -	أبو سعيد السيرافي ١٤
ابن الشامي صاحب الخمس ٢٩١ ،	ابن السقاء (ابراهيم بن محمد أبو
٢٩٢ . ٢٩٦ . ٣١٨	الحسن) ٢٣٧ (٢٣٨ -
شانجة بن غرسيه ٤٥ ، ٧٣ ،	(٢٤٥)
٧٤ . ٨٠ . ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦	سقراط ١٨٨
شانجة بن فرذلند ١٦٠	سلامة بن جندل ١٩٧
ابن شرف ، أبو عبد الله ٢٣ ،	السلامي ، أبو الحسن ١٠٦ .
٢٤ . ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،	١٢١
(١٦٩ - ٢٤٥) ٢٨٥	سلمى (في شعر) ٢٢٠ . ٣٥٠
شروان شاه ٨٨ ، ١١٣ ، ١١٤	سليمان (المستعين) ١٠ . ٥٥
	١٤٢ . ١٤٣

ششند	١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨
شعيب	٨٣
ابن شماخ	٢٨٨
ابن شهيد ، أبو عامر	٤٠ ، ٤١ ، ٤٢
ابن شهيد ، أبو مروان	٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩

- ص -

الصابي ، أبو اسحاق	٢٥
الصاحب بن عباد	٢٧٣
ابن صارة الشتريني	٣٢٢ ، ٣٦٣
صاعد بن الحسن البغدادي	(٨ -)
(٥٦)	
ابن الصباغ الصقلي (أبو عبد الله محمد)	(٣٠٨ - ٣٢٠)
صبح أم هشام	٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢
صدقة بن يوسف الفلاحى	٨٨ .
(٩١)	
الصديق (أبو بكر)	١٤
ابن صروم	١٣٥

صريع الغواني	١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦
ابن صفوان	١٨٣
صمصام الدولة (صاحب صقلية)	٣١٨
الصنوبري	١٩٨ ، ٢٠٨
صيدح (ناقة ذي الرمة)	١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

- ض -

ابن ضابط ، أبو الوليد ٤٤

- ط -

الطائيان (أبو تمام والبحري)	١٩٦
طارق بن زياد	٥٦
طالوت	٢٢٣
ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن	٢٢٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
الطبري	٣٠٣
الطبري (يزيد بن الطبرية)	١٩٧
ابن الطراوة ، أبو الحسين (سليمان)	٢٤٩

أبو العباس السكري الاسكندراني	طرفه الفتي ٥٢.٥١.٥٠
١٤٤	طرفه بن العبد ٣٨ ، ١٩٧ ،
عباسة (في شعر) ١٧	١٩٨
ابن عبد البر الكاتب ١٦١ ،	الطرماح ١٩٧ ، ٢٠٤
١٧٥ ، ١٧٤	ابن الطلاء المهدي ٢٨٨
عبد الجبار بن حمديس ، انظر :	(٣٦٣ - ٣٦٠)
ابن حمديس	طماس ٣٧٥
عبد الجليل بن وهبون ، انظر :	أبو الطيب المتنبي ، انظر : المتنبي
ابن وهبون	
عبد الحميد الكاتب ٢٥٢ ، ٢٧٣	- ظ -
ابن عبد ربه ١٩٨ ، ٢١٠	الظافر بن ذي النون ناصر الدولة
عبد الرحمن الناصر ، انظر : الناصر	اسماعيل ١٤٢ ، ١٤٣ ،
عبد الرحمن بن قاسم الشعبي ،	١٤٤ ، ١٤٥
انظر : أبو المطرف الشعبي	
عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ،	- ع -
انظر : ابن عيسى القرطبي أبو	العاصمي النحوي (محمد بن عاصم)
أبو زيد	٣٣ ، ١٤
عبد الرحمن (شنجول) بن المنصور	عامر بن الطفيل ١٩٧ ، ٢٠٢
٨٦ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٤٦	ابن عبادة ٣٨٠
ابن عبد الرؤوف ، أبو عبد الله ٣٠٤	العباس بن الأحنف ١٢٠ ، ١٢٢
عبد العزيز التونسي ، أبو محمد	١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦
٣٦٧	

عبد العزيز بن محمد السوسي (١٢٦ - ١٢٧)	عبد العزيز بن محمد السوسي (١٢٦ - ١٢٧)
عبد العزيز بن الناصر ٥٨ ، ٥٧	عبد العزيز بن الناصر ٥٨ ، ٥٧
ابن عبد العزيز ، أبو بكر ٢٩٧	ابن عبد العزيز ، أبو بكر ٢٩٧
ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ١٥٦	ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ١٥٦
عبد الغني (ابن الحصري) ٢٧٧ ، ٢٧٤	عبد الغني (ابن الحصري) ٢٧٧ ، ٢٧٤
عبد الكريم بن فضال الحلواني ، انظر : الحلواني	عبد الكريم بن فضال الحلواني ، انظر : الحلواني
عبد الله بن مسلمة الوزير ١١ ، ١٠	عبد الله بن مسلمة الوزير ١١ ، ١٠
عبد الله بن ياسين ٣٦٤	عبد الله بن ياسين ٣٦٤
عبد الملك الجزيري ، أبو مروان ٣٥ ، ٣٦ (٤٦ - ٥٢)	عبد الملك الجزيري ، أبو مروان ٣٥ ، ٣٦ (٤٦ - ٥٢)
٧٤ ، ٦٩	٧٤ ، ٦٩
عبد الملك المعافري (جد المنصور) ٥٦	عبد الملك المعافري (جد المنصور) ٥٦
عبد الملك بن مسلمة ٥٢	عبد الملك بن مسلمة ٥٢
عبد الملك المظفر بن المنصور ٥٠	عبد الملك المظفر بن المنصور ٥٠
٥١ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤	٥١ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤
٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ (٧٨ - ٨٦)	٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ (٧٨ - ٨٦)
ابن عبدون ٤٤	ابن عبدون ٤٤
عبد يغوث بن وقاص الحارثي ٣٨	عبد يغوث بن وقاص الحارثي ٣٨
عبدود ٢٦٣	عبدود ٢٦٣
عبيد بن الأبرص ١٩٧	عبيد بن الأبرص ١٩٧
عبيد الله بن بدر ٧٥	عبيد الله بن بدر ٧٥
عبيد الله بن طاهر ٣٠٧	عبيد الله بن طاهر ٣٠٧
العتابي (كلثوم بن عمرو) ٩٧	العتابي (كلثوم بن عمرو) ٩٧
عثمان بن جعفر المصحفي ٦٥ ، ٦٧	عثمان بن جعفر المصحفي ٦٥ ، ٦٧
أبو العرب الصقلي (مصعب بن محمد) (٣٠٨ - ٣٠١)	أبو العرب الصقلي (مصعب بن محمد) (٣٠٨ - ٣٠١)
ابن العربي ، أبو بكر ١٢٢	ابن العربي ، أبو بكر ١٢٢
عرقوب ٢٢٥	عرقوب ٢٢٥
عروة بن حزام ٢٢٠ ، ٢١٩	عروة بن حزام ٢٢٠ ، ٢١٩
ابن العريف ، أبو القاسم ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠	ابن العريف ، أبو القاسم ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠
عزيز ٨٣	عزيز ٨٣
العُشِّي (من الشعراء) ١٩٧ ، ٢٠١	العُشِّي (من الشعراء) ١٩٧ ، ٢٠١
ابن العطار اليابسي ، أبو بكر (٣٧٦ - ٣٧٩)	ابن العطار اليابسي ، أبو بكر (٣٧٦ - ٣٧٩)
عطية (والد جرير) ٢٠٣	عطية (والد جرير) ٢٠٣
عفراء ٢٢٩	عفراء ٢٢٩
عفراء بنت مالك العنذري ٢١٩ ، ٢٢٠	عفراء بنت مالك العنذري ٢١٩ ، ٢٢٠

عمارة الصقلي ٣٤	عقيل (أحد نديمي جذيمة) ١٩٤
عمر بن الخطاب ٢٢٠	عقيل بن أبي طالب ٢٢٥
أبو عمر الزاهد ٣٢	علقمة الفحل ١٤٠
عمران (في شعر) ١١٩	علقمة بن علاثة ٢٠١
عمرو القنا ٣٥١	علي (غلام) ١٠٣
عمرو بن العاص ٢٢٦	علي بن أبي الرجال ٢٢٢ ، ٢٦٠
عمرو بن معديكرب ٣٧ ، ١٧٩	علي بن أبي طالب ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥
عمرو بن كلثوم ١١٩ ، ٢٠٠	علي بن الجهم ٣٩ ، ١٩٧ ، ٢٩٦
ابن العميد ٢٥٢ ، ٢٧٣	علي بن حمزة ١٢٦
عنرة العبيسي ٥٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩	علي بن العباس الأيادي ١٩٨ ، ٢١١
ابن عياش الوزير ٢٧	علي بن عبد الغني الحصري ، انظر : الحصري الكفيف
ابن عياش اليهودي ٢٥٣	علي بن القاسم بن عشرة ٣٢٥
ابن عياض ٢٨٣	علي بن مجاهد العامري ٨٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤
عيسى (بن مريم) ١٨٤ ، ٢٤٩ ، ٢١٥	علي بن وداعة ، أبو الحسن ٥٣ ، ٥٤
عيسى بن سعيد بن القطاع ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢	ابن عمار ، أبو بكر ٤٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
ابن عيسى القرطبي ، أبو زيد ١٣٠	
- غ -	
غالب (مولى الناصر) ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥	

الفكيك البغدادي ، أبو الحسن
(٣٦٨ - ٣٧٤)

- ق -

ابن القابلة السبي (أبو محمد)
٢٨٦ (٣٨٠ - ٣٨٢)

قابوس بن وشمكير ٢٥٢

القادر يحيى بن ذي النون ١٢٧ ،

١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨

القارظان ١٩٣

أم القاسم (في شعر) ٩٨

ابن قاضي ميلا ٣٥٦

القالبي : أبو علي البغدادي ٩ ، ١٥

القائم الخليفة العباسي ٨٨ ، ٨٩

القراطيسي الكوفي ١٢١

قريط بن أنيف العنبري ١٩٠

ابن قزمان ، أبو مروان ١٩٦

قس بن ساعدة الايادي ٢٦٤

القسطلي : انظر : ابن دراج

غالب بن صعصعة ٢٠٣

غانم بن وليد المخزومي ٢٥٢

غرسية بن شانجة ٣٥ ، ٤٥

غرسية بن فرذلند ١٦٠

أبو الغزور (؟) الأعرابي ١٢

الغريض المغني ٢٧

غيلان ، انظر : ذو الرمة

- ف -

فاتن (فتي المنصور) ٣٤

فائق الفتي ٥٨

الفتح بن المعتمد ٣٢٧٨

أبو فراس الحمداني ١٩٨ ، ٢٠٩

فرتني ٢٧٢

ابن الفرج ، أبو سعيد ١٤٥ ،

١٥١ ، ١٥٢

ابن الفرج ، أبو عامر ١٣٠

فرذلند ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٦

الفرزدق ٣٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ .

٢٢٦

فرعون ٣٥١

- ل -

- ابن اللبانة ، أبو بكر الداني ٢١٧
لبنى (في شعر) ٢٧٨
لبنى (صاحبة ابن ذريح) ١٩٤
ابن لبون ١٤٥
لبيد بن ربيعة ١٨٤ ، ١٩٧ ،
٣٧٢ ، ١٩٩
لقمان الحكيم ٣٥١
لقمان بن عاد ٢٦٤
ابن لنكك البصري ٢٩٣
ليلي الأخيلية ٢٠١
ليلي العامرية ١٩٤

- م -

- مالك (أحد نديمي جذيمة) ١٩٤
مالك بن أنس ٢٨٠
المأمون العباسي ٢٤
المأمون بن ذي النون ٢٣ ، ٢٤ ،
٢٩ ، ٩٠ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

ابن القطاع ، انظر : عيسى بن سعيد

- القعيني ، أبو حفص ٣٠٨ ،
٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣
القلمندر ٣٥٧
قيس الأخيلية (?) ٣١٠
القيسان ١٩٤ ، ٢٠٤
قيصر ٢٧٠ ، ٣٣٣

- ك -

- كاتب بكر ٣٧٠
كافور الأخشيدي ٥٠
كثير عزة ١٩٧ ، ٢٧٤
ابن كثير ١١٨
كسرى ٢٧٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
كسرى أنو شروان ١٢٧
كشاجم ١٠٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٨
كعب بن مامة الإيادي ٤٢ ،
١٨٣ ، ١٨٥
الكك البغدادي ٢٨
الكميت الأسدي ١٩٧ ، ٢٠٤
الكندي ، انظر : امرؤ القيس

صاحب الخمس	١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،
محمد بن أبي عامر ، انظر : المنصور	١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
الكبير	١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٥١ ، ١٧٠ ،
محمد بن اسماعيل ٦٦	١٧٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٥ ،
محمد بن أفلح ٦٣	١٤ ، ٢٠ ،
محمد بن زريق ١٢٦	٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ١٢٦ ،
محمد بن زكي الأشبوني ١٣٩	١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،
محمد بن طنج ٥٠	٢٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ،
محمد بن عبد الرحمن (الأمير	المتوكل بن الأفتس ١٥٧ ،
الأموي) ١٤٢	١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٦٠ ،
محمد بن عبد الملك الزيات ، انظر :	ابن المثني ، أبو الحسين ١٢٣
ابن الزيات الوزير	ابن مثني ، أبو المطرف ١٤٠ ،
محمد بن عبد الواحد البغدادي ،	١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٦٧ ،
أبو الفضل (٨٧ - ١١٩)	بجاهد العامري (أبو الجيـش) ١١ ،
محمد بن سلمة ٦٦ ، ٦٧	١٣ ، ١٢٥ ، ٢٦٥ ،
محمد بن وضاح ٥٧	مجنون بني عامر ٣١
محمد بن يحيى بن عامر المرابطي	ابن محفور ١٤٥ ، ١٤٦ ،
٣٦٤	المحلق ٢٠١
ابن المذلق ٢٠١	محمد (الرسول) ١٧٣ ،
مرة بن محكان السعدي ٣٨	١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٤٩ ،
مروان بن أبي حفصة ٢٠٤	محمد السقاء (والد الأمين) ٢٣٩
١٤٤	محمد بن ابراهيم الصقلي صاحب
مروان بن الحكم	الخمس ، انظر : ابن الشامي
ابو مزبد ١٢	

أم معبد ٢٠٢	المسيح ، انظر : عيسى بن مريم
المعتز العباسي ٢٦٢	ابن المشاط ١٥٤
ابن المعتز ٣٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ،	المصحفي (جعفر بن عثمان) ٥٨
٢٦٩ ، ٢٩٣	٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .
المعتصم العباسي ٣١ ، ٣٩	٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .
المعتضد عباد ١٧٠ ، ١٧١ ،	٧٠
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ،	مصعب بن الزبير ٣٨
١٩ ، ٢٢١ ، ٢٧٣ ، ٣٧٤ ،	مصعب بن محمد . انظر : أبو
٣٧٥	العرب الصقلي
المعتمد بن عباد ١٠٦ ، ١٦٦ ،	المضراس بن ذي النون ١٤٢
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،	أبو المطرف الشعبي (عبد الرحمن
٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،	ابن قاسم) ٢٧٩ ، ٢٨١ .
٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ،	٢٨٢ ، ٢٨٣
٣٢٤ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٣	المظفر . انظر : باديس بن حبوس
٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ،	المظفر بن أبي عامر ١٥٧
٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦	المظفر بن المنصور ، انظر : عبد
المعري . أحمد بن سليمان ٨٨ ،	المك المظفر
٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،	المظفر بن الأفتس ١٤٧ ، ١٩٣ .
٢٥٩ ، ٢٩٥ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ،	معاوية بن أبي سفيان ١٨٦ ، ٢٢٥ .
المعز بن باديس ٨١ ، ٨٨ ،	٢٦٤
٨٩ ، ٩٥	معبد المغني ٢٧
معز الدولة المرداسي ٨٨ ،	معبد بن الصمة (أخو دريد) ٢٠٢
١١٠ ، ١١١	

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،	معز الدولة (بن علي بن مجاهد)
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ،	٢٦٧
٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ،	معز الدولة ابن المظفر ، انظر :
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، (٥٦ -	المقتدر بن هود
٧٨) ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤	المغامبي ١٦٨
منندس بن غندشلب ٨٤	ابن مغيث ١٦٣
المهدي بن عبد الجبار ٧٨	المغيرة بن الناصر ، ٥٧ ، ٥٨ ،
مهلهل بن ربيعة ٣٦٩	٦٥
موسى (الكلبي) ١٧٩ ، ٢٨٧ ،	مفرج العامري ٥١ ، ٥٢
٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١	المقتدر بن هود ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،
موسى بن نصير ٥٦	٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،
مؤمل ١٥٣	٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
مؤمن بن سعيد ٤٣	ابن المقدم ٣٦٦
ميرة (صاحبة ذي الرمة) ١٩٧ ،	الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس
٢١٩ ، ٢٢٠	منشا بن ابراهيم ٩٣
ميسور الصقابي ٣٤	المنذر الخمي ٢٦٢
ميمون بن قيس الأعشى ٢٠١	منصور الفقيه ٣٥٢
- ن -	المنصور الصغير (حفيد ابن أبي
النايفة الجعدي ٢٠٠	عامر) ٢١٨
النايفة الذبياني ٢٠٠ ، ٣٠٦ ،	المنصور الكبير (محمد بن أبي عامر)
٣٧٠	٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،
	١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

٢٣٠ ، ٢١٨ ، ٢١٠ ، ١٩٨
هدبة بن الخشرم ٣٨
أبو هريرة ١٨٧ ، ١٨٨
هشام (ابن أخي المصحفي) ٦٦
هشام بن الحكم ٥٤ ، ٥٥ ،
٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤
٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٩٠
هند ٣٥٨

- و -

الوأواء الدمشقي ٢٩٠
الواساني ٩١
واضح الفقي العامري ٨٤ ، ١٤٢
وليد بن عبد الوارث البقري ٣٦٦
ابن وهب ٣٥
ابن وهبون ، عبد الجليل ١٠٦ ،
٢٨٦ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦

- ي -

يجي (حفيد المأمون بن ذي النون)
انظر : القادر بالله

٥٧ الناصر الأموي ، عبد الرحمن
٦٨ ، ٢٦٣
نجم الوصيف ٣٤
أبو النجم المعجلي ١٧٨
النحلي ، أبو الوليد ٣٦٨
نرجس العامرية ٤٨
نسيم (غلام البحري) ٣٧٥
نصيب ١٩٧ ، ٢٠٤
نعم (في شعر) ٢٦٠
النعمان بن المنذر ٢٦٢

النوايع (من الشعراء) ١٩٧
أبو نواس (الحسن بن هانيء)
٢٢ ، ٢٣ ، ١٨١ ، ١٩١ ،
١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٨٧ ،
٣٢٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١
نوح ٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٧٥

- ه -

هاروت ٢٥٧
هارون (غلام) ٢٥٧
هامان ١٦٦
ابن هانيء الأندلسي ، ٩٩

يوسف	١٦١	يحيى بن بانو	٣٦٧
يوسف (النبي)	٢٢٣ ، ٣٥٢	يحيى بن حمود	١٢٥
يوسف بن تاشفين	١٦٩	يحيى بن خالد البرمكي	١٢
يوسف بن علي	٩١ ، ٩٨٢	يحيى بن الزيتوني ، أبو زكريا	(٣٧٤ - ٣٧٦)
يوسف بن القلاس البطليوسي	١٥٨	ابن يحيى ، أبو الحسن	٢٣٦
يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :		يزيد بن الصعق	٥٥ ، ٥٦
الرمادي		يعقوب (النبي)	٣٥٢
يوشع	٢١٦	يعقوب الكندي الفيلاسوف	٣٧

٢ - فهرس الأماكن

الأندلس	٤ ، ١٠ ، ٨ ، ٧	- ١ -
	٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤	
	٦٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢	آفة (نهر) ٦٢
	٨٤ ، ٨٦ ، ١٢٥ ، ١٣٩	أبو قبيس ١٧٠
	١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩	الأبلىق الفرد ١٨٣
	٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦	أثينيا ١٨٨
	٢٩٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢	أرملاط ٢٧
(وانظر	٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦)	اسبيجاب ١٢٥
أيضاً : الجزيرة)		الاسكندرية ٨٨
ايوان كسرى ٣٣٤		اشبيلية ٢٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
- ب -		١٨١ ، ٣٤٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ،
البحر المحيط ٢٣٦		٣٧٣ ، (وانظر أيضاً : حمص
برشلونة ٨٤		المغرب)
بطليوس ١٦١		أغمات ٣٢٤ ، ٣٧٦
بظياس ٣٧٥		افريقية ٨١ ، ٨٨ ، ١٢٣ ،
بغداد (مدينة السلام) ٨٧ ، ٨٨		٢٠٩
٩٥ ، ١١٤ ، ٢٦٢ ، ٣٦٩		اقليش ١٤٢
		المرية ٣٦٦ ، ٣٨٠

- ح -	بلنسية ٨٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩٧ .
الحامة (حصن) ٦٢	- ت -
الحجاز ٣٥٨	تدمر ٢٧٠
حجر ٢٢٠ ، ٣٦٩	تهامة ١٨٠
حزوى ٢١٩ ، ٢٢٠	- ث -
حلب ٨٨ ، ١١٠ ، ١١١	ثبير ٣٢٤
حمص الغرب (اشبيلية) ١٢٠	الثغر الجوفي ٦٢
٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ ،	- ج -
٣٦٩ . (وانظر أيضاً: اشبيلية)	جرجان ٢١٢ ، ٢٢٦
حمص الشام ٣٦٢	الجزائر الشرقية ٥٢
الحنيات ٢٦١ ، ٢٧٨	الجزيرة (الأندلس) ٨ : ١٦٦ .
حومل ٢٦٠	١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٦٨
- خ -	الجزيرة (صقلية) ٢٩٣
خفان ١١٦	(وانظر أيضاً: صقلية)
- د -	جلق (الأندلس) ٣٦٢
دار الخدمة ٢٤١	جلق (الشام) ٣٦٢
دار اللذة ٢٤٣ ، ٤٤٤	جليقية ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٥ .
دارين ٣١١	١٦٦
دانية ٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ،	الحمل (يوم) ٢١٨
٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٧٦	جيرون ٩١

٣٧١	زرود	٣٧٣ ، ١٠٦	دجلة
٣٥٨	زمزم	٣٦٤	دكول
٦٨ ، ٦٦	الزهراء	٩١	دمشق
- س -		٢٢٠ ، ٢١٩	الدهناء
٧٨	سبنة	٢٧	دير عما
١١١	السيبية	- ذ -	
٣٦٧	سجلماصة	٢٢٠	ذات البين
٢٦٤ ، ٥٢	سرقسطة	٢٣٤ ، ٢٢٠ ، ١١٧	فو سلم
٣٢٥	سلا		
٢٢٧ ، ١٢٣ ، ٨٩	سوسة	- ر -	
٢٣٩	سويقة بن أبي سفيان		
- ش -		٦٦	الرصافة
٤٠	الشاذياخ	٣٢٤ ، ٢٦٠ ، ١٩	رضوى
٣٦٨ ، ١٨٤ ، ٢٥ ، ٧	الشام	١٨٣	الرها
١٩٤	شامة	٢٣٣	روطة (؟)
١٣٢	الشعر	٢٨٠ ، ٦٠ ، ٢٨٣	رية (كورة)
	الشرق . انظر : المشرق	٢٨٣ . (وانظر أيضاً : مالقة)	
٢٨٠	شرق الأنابلس	- ز -	
٣٠٦	شقورة	٢١١ ، ٢٠٩	الزاب
٥٥	شاطيش	٤٧ ، ٢١ ، ١٥	الزاهرة
١٦٣	شيهنتور	٥٢ ، ٥١	

العدوة ١٣٧	- ص -
العدوة القصوى ٦٠	صبرة ٢٧٨ ، ٢٦١ ، ٢٣٨
العذيب ١١٧	صفين ٣١١ ، ٢٢٥
العراق ٧ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ١٩١ ،	صقلية ٥٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ،
٣٦٨ ، ٣٧٣	٣٢٦ (وانظر أيضاً : الجزيرة)
عسفان ٢٢٠	- ط -
العقيق ٣٧٢	طرابلس الغرب ٨٩
عكاظ ٣١٥	طرسوس ١٢٦
- غ -	طيزنا باذ ٢٧
الغرب ١٠١ (وانظر أيضاً: المغرب)	طفيل ١٩٤
غرناطة ١٢٥	طليطلة ٧٣ ، ٨٩ ، ١٤٢ ،
غليسية ٨٤	١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
- ف -	١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
فارس ١٩٩	١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
فاس ٣٧٤	٣٥٥ ، ١٦٧
الفرات ٣٨	طنجة ٢٨٣ ، ٢٤٦
فيفاء ١١٩	الطور ١٧٩
- ق -	طيبة ٢٨٠ (وانظر أيضاً المدينة،
قرطبة ٩ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٤٣ ،	يثرب)
٤٥ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ،	- ع -
	عالج ٢٩٠ ، ٣٧١

١٤٢ ،	كونكه (قونكه)	٧٧ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٦٦
١٥٩ ، ١٥٤		١٥٢ ، ١٤٩ ، ٨٦ ، ٨٥
- ل -		٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ١٩٤ ، ١٦٩
		٣٦٢ ، ٢٦٢ ، ٤١٢ ، ٢٣٩
٨٥	ليونه	٨٦ القسطنطينية
- م -		١٦٣ ، ٨٤ ، ٧٣ ، ٤٥ قشتيلة
٢٧٩ ، ٢٥٢ ، ١٤٤	مالقة	٢١٨ ، ٢٧ قطربل
٣٤٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٠		٦٢ قلعة رباح
(وانظر أيضاً : ربة)		٨٤ قلمريه
١٩	متالع	قونكه : انظر : كونكه
١٩٦٣	مجريط	القيروان ٨٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ،
٨٨ (وانظر أيضاً : طيبة ،	المدينة	١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ،
يثرب)		١٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٧٤ ، ٦٣ ، ٤٥	مدينة سالم	٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
٨٦ ، ٨٤ ، ٧٥		٢٩٢
مدينة السلام . انظر : بغداد		- ك -
١٢٤ ، ١٢٣	المربد	١٠٩ كاظمة
٣٦٥ ، ٣٦٠ ، ٢٢٠	مرسية	٣٣٢ كيبك
٣٦٦		١٨٢ الكعبة
١٦٩	مسجد قرطبة الجامع	٢٧ كلواذى
٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٣٩		١٩٣ الكوفة
٢١٩	مشرف	

- ه -		المشرق	٢٦ : ٢٣ . ١٢ . ٨
			٤٠ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١٠١
١٨٣	الهرمان		١١٩ ، ٣٦٨
٣١١ : ٢٩٧ : ٢٨٩ : ٣٦	الهند	مصر	١٧ ، ٥٠ ، ٨٨ ، ٨٩
			٩١ ، ١٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٥١
- و -			٣٦١
		معرفة النعمان	٨٨
١٨١	وادي اشبيلية	المغرب	١٢ : ٥٦ ، ٨١ ، ٨٨
١٥٤ . ١٥١	وبلدة		٣٠٦ ، ٣٦٤
- ي -		المغرب الأقصى	٣٦١
		المكرم (مجلس)	١٣٢ ، ١٢٧
٣٢	يابرة (يا بورة)		١٤٧
	يابسة	منعج	٢٢٠
٣١١	يبرين	المنية المصورة (?)	١٦٤
١٩٧ (وانظر أيضاً :	يثرب	المهدية	٣٢٦ ، ٣٢٧
	المدينة ، طيبة)		
٢٦٠	يذبل		
١٨٦	يلمام	نجد	١٠٢
٢٢٠	اليمامة	نجران	٣٨ ، ٢٥١
١٢	اليمن	نعمان	٢٩٠ ، ٣١١
		نقران	٢٥١
		النيل	١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٩٠
- ن -			

٣ - فهرس للطوائف والقبائل والأمم

- ت -		- ١ -
٢٠٠ ، ١٩٧ تغلب		٧٥ آل أبي عامر
١٢٦ ، ٩٠ ، ٣٨ تميم		الأساود ، انظر : السودان
٣٨ تميم		٢٣٧ ، ٣٨ بنو أسد
- ث -		٣٩ ، ٣٢ الأعراب
٩٤ بنو ثعل		٨٥ ، ٨٤ الأفرنجية
- ج -		٥٧ ، ٩ بنو أمية (الأموية)
٣٠٦ الجاهليون (الشعراء)		٧٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٦٢
١٥٧ جديس		٣٩ أوس بن تغلب
٢٧١ جذام		٢٤٧ إيباد
٢٠١ چشم		- ب -
٧٩ الجلالقة		١٨٦ باهلة
٢٤٣ ، ٤٣ بنو جهور		٥٥ ، ٧٩ البرابر (البرابرة)
- ح -		١٢٥
٣٢٠ ، ٣١٥ بنو حام		٨١ البرابرة العدويون
١٥٥ بنو الحديدي		١٧ البغداديون

البروم ٢٥ ، ٨٦ ، ٢٦٥ ،

٣٢٦

بنو رياح ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٤٨

- ز -

بنو زرارة ١٩٧

زغبة ٢٣٦ ، ٢٣٧

- س -

سعد ٢٣٧

سعد العشيرة ١٩١

ساول ١٨٦

سليم ٥٣ ، ٥٤

بنو سهل ٢٢٦

السودان ٢٨ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٢٣٧

السودان الرقاصة ٧٤

- ش -

بنو الشامي ٣١٨

- ص -

الصقلاب (الصقالبة) ١١ ،

٣٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ١٢٩

بنو الحسحاس ٣٧٥

بنو حماد ٢٦٥

حمير ١٨٥

- خ -

الخفافون ١٣٧

خولان ٣٦٢

- د -

الدائرة ٢٤١

الدولة الجهورية ٢٣٨ ، ٢٣٩

الدولة العامرية ٧٠ ، ٧٨ ، ١٤٢

الدولة المظفرية ١٧٧

الديلم ٦١

- ذ -

بنو ذي النون ١٤٢

- ر -

ربيعة ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩١

ربيعة الفرس ٨

الرقاصة ٢١٤

عنس	١٨٦	صنهاجة	٨٢
- غ -		- ط -	
غسان	٢٠١	بنو طاهر (الأندلسيون)	٣٦٠
بنو غومس	٧٣ ، ٨٥	الطوائف	٤١
- ف -		ملوك الطوائف	١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٤٦ ، ٣٦٤ ، ٢٦٦
فزارة	٥٣ ، ١٩٧	- ع -	
- ق -		عاد	٢٧٠
بنو قرة	٢٣٦ ، ٢٣٧	بنو عامر (القبيلة)	٣١ ، ١١١
قريش	١٤٤ ، ١٩١	بنو عباد	٢٦٢
القوالون	١١٠ ، ١٢٢	بنو (ولد) العباس	٢١ ، ٥٧ ، ٦١
قيس	٣٧١	العباسية	٢١٠
- ك -		بنو عبيس	٣٦
كنندة	٣٧١	آل عثمان (المصحفيون)	٦٦
- ل -		المعجم	٦٩ ، ٧٩
لخم	٢٦٢	العدنانية	٥٣
- م -		العرب	٩ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٥٣ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٥٢
مالك بن حنظلة	٢٠٣	عكل	١٨٦
		بنو العنبر	١٩٠

	- ه -	المحدثون (من الشعراء) ١٤١ ،
		٣٠٦ ، ٣١٦ ، ٢٠٤
١٤٤	الهاشميون (بنو هاشم)	٣٠٦ ، ٢٠٤ المخضرمون
	٢٨٣	٣٦٤ المرابطون
	٢٤٧ هذيل	١٢٤ المرديون
١١٦	الهرابذ (الموابذ ؟)	٥٧ ، بنو مروان (المروانية)
	٢٣٦ بنو هلال	٢١٠ ، ٢٠٣ ، ٨٦
	٨٧ الهنود	٨٦ ، ٨٥ ، ٧١ المسلمون
	٢٥٧ الموازنة	١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٥٠ ، ١٤٥
	٢٧٢ بنو هود	١٩١
	- و -	١٢١ المصريون
	٢٠٩ ، ١٨٣ وائل	٣٠٣ ، ١٩١ ، ١٨٥ مضر
	٢٢٣ بنو وهب	٢٦٥ بنو مناد
	- ي -	٣٠٦ المولدون (من الشعراء)
	٢٢٦ بنو يربوع	- ن -
٣٠٣ ، ١٩١	يمن	٣٥١ نزار
		النصارى (جموع النصرانية)
		١٦٨ ، ١٦٧ ، ٨٤ ، ٦٦ ، ٦٢

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المن

- ١ - أبتكار الأفكار لابن شرف القبرواني ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- ٢ - الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة لحبيب الصقلبي ٣٤
- ٣ - أعلام الكلام لابن شرف القبرواني ١٧١ ، ١٧٩
- ٤ - ألف غلام للشعالبي ٩٩
- ٥ - الانجيل ١٨٤
- ٦ - الدالية (قصيدة) لابن الجهم ٢٦٠
- ٧ - رسالة للمراي في الرد على البقري ٣٦٦
- ٨ - الرصافية (قصيدة) لابن الجهم ٢٠٦
- ٩ - سهم الشهم (قصيدة) للحصري ٢٥٠
- ١٠ - الفصوص لصاعد البغدادي ٩ ، ١٥ ، ١٦
- ١١ - قراضة الذهب لابن رشيق ٢٣٠
- ١٢ - كتاب سيويه ١٤
- ١٣ - المعلقات ٢٠٠
- ١٤ - مكفرات ابن عبد ربه ٢١٠
- ١٥ - النكت للصغاني (كتاب وهمي) ١٥
- ١٦ - النوادر لأبي علي القالي ١٥
- ١٧ - اليتيمة للشعالبي ٨ ، ٨٩

٥ - فهرس القوافي

- أ -

٢٩٧	التهامي	الكامل	سماها
٢١٩	ابن شرف	الطويل	وفيفاء
١١٦	حسان	الوافر	لحاء
٢٩٤	البحثري	الكامل	الأعداء
٣٧٩	ابن العطار اليايسي	الكامل	لألاء
٢٥٤	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	الخطاء
١٩٩	ابن حلزة	الخفيف	ضوضاء
٢٧٤	الحصري الكفيف	الكامل	بالإيماء

- ب -

٣٣٩	ابن حمديس	المتقارب	لهب
٣٢٩	ابن حمديس	الطويل	وركابا
٣٢٢	أبو نواس		كوكبا
١١٢	أبو الفضل البغدادي	البسيط	شربا
٣٧٦	ابن العطار اليايسي	«	لهبا
٣٥٢	منصور الفقيه	«	خريبه
٣٤٦	ابن وهبون	الوافر	الذنوبيا

٣٥٨	الحكيم المصري	الوافر	العجيبا
٣٢٨	ابن حمديس	الوافر	اليبابا
٢٥٦	ابن هانيء الأنداسي	الكامل	تصابي
٢٩٨	ابن الرومي	السريع	أنجبا
٢٧٤	الحصري الكفيف	الخفيف	قضييا
٣٤٨	—	المجتث	قلبا
٩٠	المعري	الطويل	وأدرب
٩٠	المعري	»	وتشرب
١٠١	ابو الفضل البغدادي	»	غرب
٣٠٧	عبيد الله بن طاهر	»	لمازب
٣٠٧	المتنبي	»	ذهاب
١٧٦	أبو تمام	البيسط	سلب
٣٠٧	سعيد بن حميد	»	ويرتكب
١١٨	أبو الفضل البغدادي	»	مصابوب
٢٥٣	الحصري الكفيف	مخلع البيسط	غريب
٣٥٨	الحكيم المصري	مخلع البيسط	والجيوب
١٣	أبو تمام	الكامل	المركب
٦٩	المصحفي	»	يتقلب
٣٠٧	البحثري	»	يسلبوا
٣٣٩	ابن حمديس	»	أشرب
٣٤١	ابن حمديس	»	الغيبه
٢٧٧	الحصري الكفيف	المجتث	رَبُّهُ

١٢	صاعد	المتقارب	والكوكبُ
٣٤٤	الحكيم المصري	المتقارب	صوابُ
٣٢٦	ابن حمديس	الطويل	فحاربِ
١٨٠	أبو الأسود الدؤلي	»	بليبي
٣٥١	أبو نواس	»	بنصيب
٣٥٣	—	»	قلوب
١٠٨	كشاجم	»	حرب
٢٨٥	البحثري	»	الصبّ
٣٤٥	—	»	باللب
٢١٥	ابن شرف	»	مكروب
٢٢٥	ابن شرف	البيسط	عرقوبِ
٢٢٣	—	»	الكذب
٣٠٠	البيستي	»	والحرب
٣٠٥	أبو العرب الصقلي	»	والأدبِ
٣٥٢	الحكيم المصري	»	العرب
١١٥	أبو الفضل البغدادي	الوافر	الثياب
٣٠٥	أبو العرب الصقلي	»	والطلاب
٢٧٠	الحصري الكفيف	»	الغريب
٩٦	أبو الفضل البغدادي	الكامل	حجاب
١٠٧	—	»	تغرب
٣٣١	ابن حمديس	»	المطلب
٢٥٦	أبو بكر الخالدي	»	بخضابه

٣٤٩	-	مجزوء الكامل	المثاب
٣٥٩	الحكيم المصري	الرمل	بطبیب
١١٩	أبو الفضل البغدادي	السريع	هبي
٢٩٤	-	»	بالصاحب
٨٦	صاعد	المنسرح	بالكتب
٣٤٠	ابن حمديس	»	تعذبها
٢٠	-	الخفيف	عتابي
٣٢٣	ابن صارة	الخفيف	بجباب
٣١٢	-	الخفيف	والكروب
٢٢٧	ابن شرف	المجتث	المجيب
٩٨	-	المتقارب	مصاب
٢٧٢	الحصري الكفيف	»	الكاذب
٢٤٧	ابن الرومي	»	انيابها

- ت -

٣٩	تميم بن جميل	الطويل	أتلفت
٢٧٧	الحصري الكفيف	البسيط	ماتوا
٢٩٢	الخلواني	الكامل	زفراته
٧٠	المصحفي	الكامل المرفل	مت
٢٦٩	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	المكرمات
٣٨٩	مرة بن محكان	الطويل	اشمعلت
٢٥٧	أبو بكر الخولاني	الخفيف	الثقات

- ث -

٢٢٧	ابن شرف أو ابن رشيق	الكامل	حديثُ
٢٤٩	الحصري الكفيف	مخلع البسيط	خبثِ

- ج -

٩٥	أبو الفضل البغدادي	الكامل	مصرجا
٢١٧	الناهي	السريع	والزيج
٢٧٤	الحصري الكفيف	مجزوء الوافر	الفرجُ
٢٩٠	-	السريع	عالجُ
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	الكامل	الديباج
٣٢٦	-	المنسرح	المهج

- ح -

٣٣٦	ابن حمديس	الرجز	الفرحُ
٣٢٣	ابن حمديس	السريع	المراحُ
٣٢٤	ابن حمديس	الطويل	صحا
٢٦٨	الحصري الكفيف	الوافر	فلاحا
٣٣٨	المعري	الوافر	جريحا
٢٣٦	ابن شرف	الطويل	جراح
٣٤٩	الحكيم المصري	الطويل	ينوح
٢٨١	الحصري الكفيف	المديد	نازحه
٣٤٨	الحكيم المصري	الوافر	الصلاح

٢٧٥	الحصري الكفيف	الوافر	تنوح
٣٧	ابن الرومي	البسيط	تلويح
٥٤	صاعد	الوافر	الرماح
٩٨	جرير	الوافر	مراحي
٢٤٨	-	الوافر	الرياح
٢٥٩	المعري	المجث	براح
٢٥٩	الحصري الكفيف	المجث	بطاح

- خ -

٢٧٥	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	أخ
-----	---------------	--------------	----

- د -

٢١٨	ابن هانيء الأندلسي	الرمل	فحسد
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	الطويل	نجد
٢٣٧	العباس بن الأحنف	البسيط	أبدا
٢٣٢	ابن الزبير أو غيره	الوافر	سودا
٢٦٩	الحصري الكفيف	الكامل	زادا
٣٥٧	الحكيم المصري	السريع	والصدا
٢٨٥	الخلواني	الخفيف	شديدا
٣٧١	الفكيك	الطويل	رعود
٢٢٤	المتنبي	الطويل	بد
٢٨٨	الخلواني	مخلع البسيط	السواد

٢٠٨	الفرزدق	الوافر	العبيدُ
١٠٦	السلامي	الوافر	تقاد
٣٥٥	الحكيم المصري	الكامل	المورد
٣٢٣	ابن حمديس	الكامل	عودة
٣٦٦	أبو بكر المرادي	مجزوء الكامل	الوليد
٣١٣	ابن الصباغ الصقلي	الرجز	قمد
٣٦٧	الفكيك	المتقارب	الهدهد
١٢٤	الخبز أريزي	المتقارب	تجدوا
٣٨٢	التهامي	الطويل	وتغندي
٢٩٥	عدي بن زيد	«	مقند
٢٩٤	أبو تمام	«	حامد
٣٦	الفرزدق	«	شاهد
١٣	—	«	القد
١٤	المتنبي	«	القد
١٠٠	ابن أبي سمرة	«	صدها
٢٨٦	الخلواني	المديد	جلدي
١٧٢	ابن رشيق	البسيط	ومعتضد
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	«	ألخادي
٢٨٦	ابن القابلة السبتي	مخلع البسيط	اعتقادي
١٢٣	—	مخلع البسيط	فوادي
٣٥٠	المتنبي	الوافر	مرادي
٢٤٧	—	«	إياد

٢٣٦	الحصري الكفيف	الوافر	الحداد
١٨١ ، ١٥٦	صاحب العلوي	«	بعيد
٣٧٠	أبو الحسن اللحام	الكامل	كالحلمد
٢٢٣	أبو تمام	«	المولود
٣٥	صاعد البغدادي	«	صاعد
١٠٠	الصنوبري	«	قده
٣٤٠	ابن حمديس	«	صدها
٢٥٩	الحصري الكفيف	مجزوء الرجز	بالأتمد
١٠٠	أبو الفضل البغدادي	السريع	عبده
٣٤٨	—	المنسرح	ورد
٣١٧	—	المتقارب	قصده
٢٦١	الحصري الكفيف	المتدارك	جلدي

- ذ -

٢٦	ابن شهيد أبو مروان	المنسرح	أفذاذا
----	--------------------	---------	--------

- ر -

٣٧٠	كاتب بكر	المتقارب	اقشعر
٣٧٠	الفكيك	«	البشر
٣٤٥	الحكيم المصري	البسيط	أعدارا
٣٤٦	الحكيم المصري	«	طارا
٢٩٧	الخلواني	الوافر	نهارا

١٢٠	الرمادي	الكامل	فأدراها
١٠١	أبو الفضل البغدادي	مجزوء الرمل	خمارا
٢٣١	ابن شرف	السريع	امهارها
٢٧١	الحصري الكفيف	المنسرح	محتضره
٣٦٨	النجلي	المجتث	دره
٢٢	صاعد	الطويل	وقتير
٢٨٤	الخلواني	«	تسير
٣٢٤	المعتمد	«	قبور
٣٢٤	ابن حمديس	«	تدور
٢٦٠	الحصري الكفيف	«	فيزدار
٣١	المجنون	«	عمرو
٢٣٠	أبو تمام	«	القفر
٣٨١	ابن القابلة السبتي	«	غبر
٢٢٠	ابن شرف	«	مسفر
٣٨١	ابن القابلة السبتي	«	ينظر
٢٣٤	ابن شرف	«	الضرائر
٩٧	العتابي	البسيط	تقصير
٢٨٥	الخلواني	«	القمر
٢٩٨	الخلواني	«	والقمر
٣٥٦	ابن قاضي ميعة	«	الشجر
١٠٦	ابن وهبون	«	فينهصر
٩٧	بشار	الوافر	قصار

٣٥٠	الحكيم المصري	الكامل	دار
٢٩٥	المتنبي	«	أنصار
٣٠٦	أشجع السلمي	«	حذار
٤٨	ابو مروان الجزيري	«	وتحار
٩٨	منصور الفقيه أو غيره	«	كبير
٢١٨	—	«	وأنز
٢١٥	ابن شرف	مجزوء الرمل	بدر
٣٥٥	الحكيم المصري	السريع	الخاطر
١٣	—	الخفيف	الأسفار
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	والبدر
٢٧٠	الحصري الكفيف	«	الفضنفر
٣٣٢	ابن حمديس	«	مبصر
١١٣	أبو الفضل البغدادي	«	الخوافر
١١٨	» » »	«	كثير
٣٣٩	ابن حمديس	«	ضميره
٣٠٢	أبو العرب الصقلي	البيسط	خطر
٢٥	صاعد	«	معبار
١١٨	أبو الفضل البغدادي	«	الازاهير
١٢٠	الأعمى التطيلي	«	قدر
٢٢٢	ابن شرف	«	العسر
٢٢٣	—	«	الذكر
٣١٤	القمني	«	القصر

٢٩٨	ابن عمار	البيسط	والقمر
٢٣٧	المعري	»	الخصر
٣٤٧	الحكيم المصري	»	والخبز
٣٢١	ابن حمديس	»	والخفر
٤٣	مؤمن بن سعيد	»	سقر
٣٥٩	—	الوافر	وخير
٣٣	—	»	بمخبشار
١٩١	—	»	السريز
٣٤٨	التهامي	الكامل	الاصدار
٢٥٦	الخصري	»	والمذور
٢٩٣	ابن المعتز	الكامل المرفل	الدهر
٢٩٣	ابن أبي طاهر	مجزوء الكامل	الغبار
١٧٩	أبو النجم العجلي	الرجز	شعري
٢٥	الببغاء أبو الفرج	»	متقارها
١٧٢	ابن شرف	مجزوء الرجز	بنارهم
٣٤٥	الحكيم المصري	السريع	والخاطر
٢٥	أبو البركات العلوي	»	بمتقار
١٠٢	أبو الفضل البغدادي	»	العطر
٢٨٧	الحلواني	المنسرح	الكبر
١٣٦	الحكيم المصري	»	السحر
٢٩	المنصور بن أبي عامر	الخفيف	أبكار
٣٠	ابن شهيد أبو مروان	»	الجارى

٢٨٦	ابن وهبون	المتقارب	خير
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	»	اضطرار

- ز -

٢١٤	ابن شرف	الكامل	فأوجزا
٢٨٥	ابن شرف	»	عززا

- س -

٢٥٨	الحصري الكفيف	الوافر	يسوسا
١٧	-	المتقارب	حراسها
١٧	صاعد	»	نفاسها
٢٥٢	الحصري الكفيف	»	وقابوسه
٢١	صاعد	مجزوء الرمل	وجليس
٩٦	أبو الفضل البغدادي	الطويل	اللمس
٣٠	ابن شهيد أبو مروان	الكامل	الكنس
٤٨	أبو مروان البخزيري	»	الرجس
٣٧	أبو تمام	»	اياس
٣٧٥	ابن الزيتوني	»	ماسه
١١٨	أبو الفضل البغدادي	السريع	أجناس
١٠٠	» » »	»	نفسه

- ص -

١٦	صاعد	السريع	الفصوص
١٦	-	»	يغوص
١١٥	أبو الفضل البغدادي	الكامل	منغص
١٨٢	ابن شرف	البسيط	القنص

- ض -

٢٨٣	الحصري الكفيف	الطويل	قاص
٢٧٩	الحصري الكفيف	الطويل	ينضي
١٧٢	ابن شرف	السريع	بغضهم
٢٢٧	السميسر أو غيره	المجتث	غموضي

- ط -

٩٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	محطها
٢٧٦	الحصري الكفيف	المنسرح	لقطا
٢٣٠	سليمان بن حسان	الوافر	تقط

- ع -

٢٣٣	امرؤ القيس	الطويل	أروعا
٨٩	الصاحب أبو القاسم	المتقارب	ساعه
٣٠٦	النابعة الذبياني	الطويل	واسع
١٧٦	أبو تمام	»	أبايعه

١٧٦	ابن الزيات	الطويل	بائعه
٣١٤	القعيبي	البسيط	أودعه
٢٨٢	الحصري الكفيف	الكامل	المرباع
٢٩٨	الحلواني	المتقارب	تسمعُ
١٠٥	أبو الفضل البغدادي	الطويل	منعي
٢١٦	ابن شرف	»	يوشع
٣٦٣	ابن صارة	»	شفيح
٤٩	—	الوافر	بالصراع
٢٢٦	ابن شرف	الكامل	يربوع
٤٩	أبو مروان الجزيري	»	نياعه
١٩٤	—	»	الوداعه
٢٩٥	أبو الفضل البغدادي	السريع	الطالع
١٤٨	الشريف الرضي	الخفيف	بسمعي

- غ -

٣٦	أبو حاتم الحجاري	المنسرح	اسوغُ
٢٥٣	الحصري الكفيف	المجتث	البلغ
٣٦٧	أبو بكر المرادي	المتقارب	الأصبغ

- ف -

٢٣٠	ابن هانيء	الطويل	تُطفا
٤٢	ابن شهيد أبو عامر	المنسرح	صدفا

١٨	صاعد	الطويل	خائفٌ
٣٣٨	ابن حمديس	الطويل	مجوف
١٠٨	-	الطويل	الحنفِ
٢٢٦	ابن شرف	البسيط	صافِ
٢٥٥	الحصري الكفيف	الوافر	تكافي
٢٢١	ابن شرف	الكامل	طوافي
٢٨٨	ابن الطلاء	السريع	تنتفِ
٤٤	ابن عبدون	المجتث	عزف

- ق -

٢٢٦	ابن شرف	مجزوء الكامل	السوابقُ
٥٦	قيس بن زهير	المتقارب	الصعقُ
١١٠	-	البسيط	وميثاقا
٣٦	أبو مروان الجزيري	المتقارب	المغدقة
٢٢٦	ابن شرف	الطويل	سوابقُ
٢٣٢	»	»	ويطرقُ
٢٣٦	»	»	أفاويقُ
٢٢٤	»	الوافر	الطليقُ
٢١	صاعد	البسيط	وأوراقُ
٤٦	أبو مروان الجزيري	الكامل	الأوثقُ
٢٨٠	الحصري الكفيف	المتقارب	الشقيقُ
٢٣	المتنبي	الطويل	ومشرقِ

٢٦٩	ابن المعتز	الطويل	بعقيقٍ
١٠٧	أبو الفضل البغدادي	البيسط	كالفلقِ
١٠٩	أبو الفضل البغدادي	»	السرقِ
٣٧٨	ابن العطار الياسي	»	اللقحِ
٢١	صاعد	الوافر	العقيقِ
٣٦٠	ابن الطلاء	الكامل	بقي
٢٦٨	الحصري الكفيف	»	أخلاقه
١٢٢	العباس بن الأحنف	السريع	يخلقِ
٩٦	أبو الفضل البغدادي	المنسرح	القلقِ
٣١٢	ابن الرومي	»	والحدقِ
٣٦٣	أبو حاتم الحجاري	»	الأفقِ
٢٢	ابن زرارة	الخفيف	صديقي
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	بالإشراقِ

- ك -

٣٥٦	الحكيم المصري	السريع	الفلكُ
٣٨١	ابن القابلة السبي	»	الحلكُ
٣١١	ابن الصباغ الصقلي	الوافر	سواكا
٢٨	ابن شهيد أبو مروان	الرميل	مستهلكا
٢٨٧	الحلواني	المنسرح	الفتكّةُ
٣٣٦	ابن حمديس	»	شركّةُ
٢٥٢	ابن الطراوة	الطويل	عالكُ

٣٤٠	ابن حمديس	الرمل	حركه
٣٤١	ابن حمديس	مجزوء الكامل	ومسك
١٢١	السلامي	المنسرح	ملك
٣٢٢	الحسين بن الضحاك	»	الفلك

- ل -

٣٣٤	ابن حمديس	الطويل	قتلا
٣٠٦	أبو العرب الصقلي	الطويل	الأناملا
٣٠٢	»	البيسط	حملا
٣٨٠	ابن القابلة السبتي	مخلع البيسط	حلا
١٠٣	أبو الفضل البغدادي أو غيره	الكامل	وبلابلا
١٠٧	أبو الفضل البغدادي	الكامل	أعزلا
٣٢٠	ابن حمديس	الكامل	المندلا
١١٣	أبو الفضل البغدادي	الكامل	قليلا
٢٢٧	ابن شرف	الخفيف	يصلى
٣٦٧	أبو بكر المرادي	الخفيف	وقالا
٢٤٧	العباس بن الأحنف	المتقارب	جميلا
٢٥٩	المعري	الطويل	والحمائل
٣٥٣	الحكيم المصري	الطويل	حبائل
٢٦٩	ابن المعتز	الطويل	الليل
١٤٠	ابن شرف	الطويل	غفل
٣٢٥	ابن حمديس	الطويل	القتل

١١٠	أبو الفضل البغدادي	الطويل	سؤال
٣٠٢	—	البيسط	والدول
٤٠	ابن شهيد أبو عامر	مخلع البيسط	نبيل
١١	صاعد	الكامل	زليل
٢١٧	ابن اللبانة	»	تعديل
١٠٨	أبو الفضل البغدادي	الرجز	مثالته
٢٥٦	الحصري الكفيف	المنسرح	مفسول
٣٤٦	الحكيم المصري	»	المقل
٩٩	أبو الفضل البغدادي	المجتث	الجمال
٢٦٠	الحصري الكفيف	الطويل	حومل
٣٠٨	عبد الله بن حجاج	»	حابل
٣٣	امرؤ القيس	»	مرجل
٩٠	الحكيم المصري	»	وبل
٣٧٢	الفكيك	»	العذل
٣٥٤	المعري	»	سبيل
٣٧٤	الفكيك	البيسط	أحوالي
١٨٢	أبو نواس	»	بالنيل
٢٢٢	ابن شرف	»	الأسل
٣٦٠	ابن الطلاء	»	عللي
٢٠	المتنبي	الوافر	قبلي
٢٥١	المتنبي	»	دليل
٢٢٤	ابن شرف	»	سبيل

١٢٧	عبد العزيز السوسي	الكامل	الأجلا
٢٣٥	أبو تمام	الكامل	بحالي
٣٥	صاعد	»	مدتل
٢٣٣	ابن شرف	»	متأمل
٢٣٤	جزير	»	يسأل
٢٣٤	أبو تمام	»	الأول
١٢٠	ابن الرومي	مجزوء الكامل	بمثاله
٢١٨	ابن شرف	الرميل	ينجلي
٢١٨	ابن شهيد أبو عامر	الرجز	خليلي
١٤	أبو تمام	»	وهزله
٩١	الواساني	المنسرح	الحمل
١٠٤	أبو الفضل البغدادي	المتقارب	الآفل

- م -

٣٤٧	-	الرجز	الشم
٢٥٥	الحصري الكفيف	السريع	سقيم
١١٧	أبو الفضل البغدادي	المتقارب	سلم
٧٠	المصحفي	الطويل	تندما
٢٧٠	الحصري الكفيف	الطويل	تهدما
١٠٣	ابن رشيق	مخلع البسيط	حساما
٢١٦	أبو نواب	الخفيف	التحكيم
٢٩٢	الحلواني	»	السقيما

٢١٧	المتنبي	الطويل	ينجم
٢٩٧	الخلواني	»	يحلّم
٣٦٩	الفكيك	»	يعظم
٦٩	المصحفي	البيسط	والندم
٦٩	أبو مروان الجزيري	»	الكرم
٢٩١	الخلواني	»	الظلم
٣٧٣	الفكيك	»	مقسوم
٢٧٣	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	الكريم
٣٠٤	الطبي	الخفيف	الكلام
٣٧	الفرزدق	الطويل	المفارم
٢٩٩	الخلواني	»	المباسم
٣٠٣	أبو العرب الصقلي	»	والمتوسم
٣٦٦	أبو بكر المرادي	»	المبرسم
٩٧	أبو الفضل البغدادي	»	الدهم
٢٣٤	الشريف الرضي	البيسط	سلم
٢٠٠	-	»	كلثوم
١٢٠	سليمان الصقلي	الوافر	الحمام
٣١٨	ابن الصباغ الصقلي	»	المرام
٣٥٠	الحكيم المصري	»	بالسليم
٢٧٨	أبو نواس	مجزوء الوافر	معلمه
٢٩٤	ابن لنكك	الكامل	الأيام
١٦	-	»	ضمّام

٢١٦	ابن شرف	الكامل	كالتهويم
٩٨	ابن الرقاع	»	القاسم
٣٢٣	ابن صارة	»	مرامها
٣٤١	ابن حمديس	المتقارب	الزحام

- ن -

٣٥٩	الحكيم المصري	السريع	الهوان
١٩٠	قريط بن أنيف	البيسط	هانا
٢٥٧	الحصري الكفيف	مجزوء الرمل	فتونا
٢٥٩	الحصري الكفيف أو المعتمد	مجزوء الرجز	جاهنا
٤٧	أبو مروان الجزيري	السريع	منه
٢٢	صاعد	المنسرح	أنا
٢٥٨	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	لهوازنة
٣٥٤	الحصري الكفيف	الطويل	الرياحين
١٢١	العباس بن الأحنف	البيسط	الحسن
١١٦	أبو الفضل البغدادي	الوافر	نخون
٢٣٧	ابن شرف	»	دفين
١١٦	أبو الفضل البغدادي	الكامل	سلطان
٢٩٤	الحلواني	»	ندمازه
٢٥٨	الحصري الكفيف	السريع	وسلاطين
٢٨٩	الحلواني	»	العين
٩٧	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	الظنون

٢٥٨	الحصري الكفيف	الحفيف	ياسمين
١٢	أبو الغزور الاعرابي	الطويل	وتنصرفان
١٢٥	—	»	فيأتللمان
١٢٦	—	»	هجان
٢٢٠	عروة بن حزام	»	تنحبان
٢٧٦	الحصري الكفيف	»	القمران
٢٩٩	—	»	يدان
٣٥٠	أبو نواس	»	نعني
٢٥٢	الحصري الكفيف	البسيط	ألفاني
٢٢٥	ابن رشيق	»	ضنين
٢٨٩	الحلواني	»	ويغريبي
٣٦٢	ابن الطلاء	»	ميزاني
١٠٣	أبو الفضل البغدادي	مجزوء الوافر	مرتبن
١٠٣	علي (غلام أبي الفضل)	»	يخنر
٢٥٦	ابن الرومي	الكامل	الشبان
٢٩٩	الحلواني	»	وهوان
٢٣٠	—	»	زمانه
٢٥٤	الحصري الكفيف	مجزوء الكامل	لساقني
٣١١	ابن الصباغ	الهزج	دارين
٢٥٧	الحصري الكفيف	السريع	فاتي
٣١٦	—	»	جون
٢٩٠	الوأواء	المنسرح	أين

١٠٦	أبو الفضل البغدادي	الخفيف	استبطاني
١٠٨	»	»	وان
٣٦٠	ابن الطلاء	المتقارب	شينها

- ه -

١٢٢	القراطيسي	السريع	الولاه
٢٨٨	الحلواني	»	راحتيه
١١٩	سليمان الصقلي	الطويل	كريمها
٣٧٥	ابن الزيتوني	البيسط	تجرمها
٣٥٩	الحكيم المصري	مجزوء الرمل	مقلتيها
٢٨٣	الحصري الكفيف	السريع	وماضيها
٢٨٧	الحلواني	المتقارب	شفاها
٣٤٤	-	الوافر	فيه
٣٥٩	-	»	عارضيه
١٢١	ابن يونس	الكامل	عليه
٣٨	ابن المعتز	»	وبديه
٢٢	صاعد	مجزوء الكامل	فيه

- ي -

٣٨	عبد يغوث	الطويل	لسانيا
١١٤	أبو الفضل البغدادي	»	وباديا

١٦١	مالك بن الربيع	الطويل	ورائيا
٢٣٢	—	السريع	جاربه
٣٥٦	الحكيم المصري	. »	بأسراريه
٢٩	ابن شهيد أبو مروان	الخفيف	الرزايا
٢٥٨	الحصري الكفيف	مجزوء الخفيف	علانيه
٤٣	ابن عمار	المتقارب	الشنايا
٣٥٤	البستي	الوافر	الكمي

فهرس المحتويات

•	مقدمة المحقق
	ذكر الكتاب الوزراء والأعيان الأدباء والشعراء الوافدين على جزيرة الأندلس والطارئين عليها من أول المائة الخامسة من الهجرة
٧	حتى ٥٠٢
٨	فصل في ذكر الأديب اللغوي أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي
١٠	فصول من نثره في أوصاف شتى
١٤	جملة أخبار نوادر جرت له مع المنصور بن أبي عامر
٢٠	[استطراد بذكر حادثة جرت لابن بسام]
٢١	رجع إلى أخبار صاعد]
٢٣	[استطراد بذكر من حاولوا معارضة المتنبّي]
٢٥	[عود إلى ذكر صاعد]
٢٧	[أخبار ابن شهيد أبي مروان]
٣٠	[عود إلى صاعد]
٣٤	[فأتن ونبهاء الصقالبة]
٣٤	[رجع إلى أخبار صاعد]
٣٦	[الفرق بين البديهة والارتجال نقلاً عن العمدة]
٤٠	[بديهة الأندلسيين]
٤٥	إيجاز الخبر عن أسر غرسية

- ٤٦ مقتل أبي مروان الجزيري [وبعض أخباره]
- ٥٣ رجع ما انقطع [من خبر صاعد]
- ٥٦ تلخيص التعريف بدولة ابن أبي عامر
ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة وقيامه
بالجهاد دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك
- ٦٢ مظاهرة غالب لمحمد بن أبي عامر على المصحفي
- ٦٣ جمل وجوامع من كبار الأحداث بالدولة العامرية
- ٧٠ وفاة المنصور بن أبي عامر
- ٧٣ قيام عيد الملك ابنه بالدولة
- ٧٨ فصل في ذكر الوزير أبي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي
- ٨٧ [هجاء الواساني لعلي بن يوسف ومنشا بن إبراهيم]
- ٩١ جملة من أشعار أبي الفضل في أوصاف شتى - النسيب
وما يناسبه
- ٩٥ [استطراد بذكر أشعار في الشيب]
- ٩٨ [عود إلى شعر أبي الفضل]
- ٩٩ ما أخرجه من شعره في سائر الأوصاف
- ١٠٥ من قصائده المطولات في المدح وما يتعلق به
- ١١٠ من مقطوعاته في الإخوانيات وغيرها
- ١١٥ فصل في ذكر طائفة من الشعراء المقلين الطارئين على الأندلس من
المشرق
- ١١٩ منهم : سليمان بن محمد الصقلي
- ١١٩

- فصل في ذكر الأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد
الجرجاني ١٢٤
- فصل في ذكر الأديب عبد العزيز بن محمد السوسي
[فصل لابن حيان في الصنيع الذنوني] ١٢٦
- ١٢٧
مجلس الأنس في ذلك الصنيع ١٣٥
- فصل في ذكر الشعراء في الاعذار الذنوني ١٣٨
- جملة من أخبار بني ذي النون وذكر أولية أمرهم
ذكر الخبر عن بعض ما تنهى إليه المأمون من تشييد
البنيان ١٤٢
- ١٤٧
ذكر الخبر عن مآل حفيد المأمون الملقب بالقادر
مقتل الفقيه أبي بكر بن الحديد ١٤٩
- ١٥٢
فرار حفيد ابن ذي النون من طليطلة ودخول المتوكل
خروج المتوكل من طليطلة ورجوع ابن ذي النون إليها
بقية الحديث عن شؤون ابن ذي النون بطليطلة
وإسلامها لظهيره الطاغية أذفونش ١٥٧
- ١٦١
١٦٣
١٦٩
١٧١
١٧٥
١٧٧
١٨٣
١٩٣
١٩٦
- فصل في ذكر الأديب الكامل أبي عبد الله محمد بن شرف
جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره
[استطراد بذكر ابن الزيات وأبي تمام]
رجع [إلى نثر ابن شرف]
فصول من نثره في أوصاف شتى
ومن ترسيبه
مقامة ابن شرف في الشعراء

- ٢١٢ مقامة له أخرى
ما أخرجه من شعر ابن شرف في أوصاف شتى -
- ٢١٤ النسيب وما يناسبه
- ٢١٨ من قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به
- ٢٢٤ سائر مقطوعات له في أوصاف شتى
- ٢٢٧ مرثيه لأهل القيروان
- ٢٣٨ جملة من أخبار ابن السقاء القرطبي
- ٢٤٥ فصل في ذكر الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري
- ٢٤٧ جملة ما أخرجه من نثر الحصري
- ما أخرجه من شعره في أوصاف شتى - النسيب وما
- ٢٥٥ يتشبه به
- ٢٦٠ شعره في المديح
- ٢٦٥ ذكر الخبر عن دانية وكيف تغلب عليها المقتدر
- ٢٦٨ مقطوعات للحصري في أوصاف شتى
- ٢٧٠ ما أخرجه من مرثيه مع ما يتشبه بها
- ٢٧٩ من شعره في الفقيه الشعبي وابن حسون
- ذكر الأديب أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني المشهور
- ٢٨٤ بالحلواني
- ٢٨٤ النسيب وما يناسبه
- ٢٩١ ما أخرجه من قصائده المطولة في المديح وما يتشبه به
- ٣٠١ فصل في ذكر الأديب أبي العرب الصقلي
- ٣٠٨ فصل في ذكر الأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن الصباغ الصقلي

٣٢٠	في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي
٣٣٦	من شعره في أوصاف شتى
٣٤٢	فصل في ذكر الوزير الحكيم أبي محمد المصري
٣٤٥	من شعره في أوصاف شتى
٣٥٥	جماعة من مقطوعات المصري في فنون مختلفة
٣٦٠	في ذكر أبي محمد ابن الطلاء المهدي
٣٦٤	فصل في ذكر الأديب الفقيه أبي بكر ابن الحسن المرادي
٣٦٨	الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك
٣٧٤	الأديب أبو زكريا يحيى بن الزيتوني
٣٧٦	الأديب أبو بكر بن العطار الياسي
٣٨٠	في ذكر ابن القابلة السبي
٣٨٣	ملحق القسم الثاني (قراءات نسختي ك ل)
٤٠١	فهارس الكتاب
٤٠٣	فهرس الاعلام
٤٢١	فهرس الأماكن
٤٢٧	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٤٣١	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٤٣٢	فهرس القوافي
٤٥٧	فهرس المحتويات

بمونه تمال
انجز طبع هذا الكتاب
بدار الثقافة
ص. ب. ٥٤٣ - بيروت

الذخيرة في مجاز أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

القسم الرابع - المجلد الثاني

تحت إشراف
الدكتور احسان عباس

دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٤

فأول من أبدأ به منهم من رسخت أصوله في تربة التقديس والتسبيح، والنفتُ فروعه بأجنحة الملائكة والروح، مَنْ عُبِدَ الرحمن في زمانه، وَخُلِعَتِ الأوتانُ بين صارمه وسنانه، صلى الله عليه أتمُّ صلاةٍ وأزكاها، وأقربها من رضوان الله وأدناها، وعلى أهل بيته أولى الناسِ بِنُصْحِ جيبونا، وأحقهم بطاعة فلوبنا، وأرجاهم لحط خطايانا وذنوبنا.

فصل في ذكر الشريف أبي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى^١

وابتات جملة من شعره الذي شرف بقائله وطائله،
وعرف بجلالة ناظمه، وأصالة مبادئه وخواتمه.

كان هذا الشريف المرتضى إمام أئمة العراق، بين الاختلاف والاتفاق، إليه فِرَعُ علمائِها، وعنه أَخَذَ عظمائِها؛ صاحبُ مدارسها، وجماعُ شاربِها وأنسها، ممن سارت أخباره، وعُرِفَتْ به أشعاره، ومُجِدَّتْ في ذاتِ الله مآثره وأثاره؛ إلى تواليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، بما يشهدُ أنَّه فرعُ تلك الأصول، ومن أهلِ

(١) مولده سنة ٣٥٥ ووفاته سنة ٤٣٦. وقد تفرّد في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو ومعاني الشعر واللغة وله عدد كبير من الكتب، وبدوانه يقع في ثلاثة مجلدات؛ انظر ترجمته في انباه الرواة ٢ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١٣ : ١٤٦ وابن خلكان ٣ : ٣١٣ (وفيه نقل عن الذخيرة) ودمية القصر ١ : ٢٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٢ وشمسة البتيمة ١ : ٥٣ والمنظّم وابن الأثير والذهبي (وفيات ٤٣٦) وتلخيص مجمع الآداب ١/٤ : ٦٠٠ ومرآة الجنان ٣ : ٥٥ ولسان الميزان ٤ : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٣٣٥ والتذذرات ٣ : ٢٦٥ وعبر الذهبى ٣ : ١٨٦ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٩ وروضات الجنات : ٣٨٧ والدرجات الرفيعة : ٤٥٨ والذريعة ٢ : ٤٠١ وابن كثير ١٢ : ٥٣ وللدكتور عبد الرزاق محيي الدين دراسة عنه بعنوان « أدب المرتضى » (بغداد ١٩٥٧) ؛ ويعتمد ابن بسام هنا في الاكثر على كتاب « طيف الخيال » (القاهرة : ١٩٦٢)

ذلك البيت الجليل ؛ وقد أخرجت من شعره ما لا يمكن لحاقه ، ولا يُنكر تبريزه
وسباقه .

جملة من شعره في أوصافِ شتى

في وصفِ الطَّيْفِ

[قال]^١ :

ما زال يخذعني بأسبابِ المنى^٢ حتى حسبتُ بأنه حقاً معي
أحسبُ إلىّ وقد تغشّى ناظري
ولقد عجبتُ على المسافةِ بيننا
كيف اهتدى من غير هادٍ موضعي^٣
أفضى إلى شعثٍ لقوا هاماتهم
لما سقوا خمراً الكرى بالأذرع
هجعوا قليلاً ثم ذَعَذَعُ^٤ نَوْمَهُمْ
غَبَّ السرى داعي الصباحِ المسمع

وقال :^٥

وزورٍ تخطى جنوبَ الملا فناديتُ أهلاً بذا الزائرِ
أتاني هدواً وعينُ الرقيبِ مطروفةً بالكرى الغامرِ
وأحبُّ به^٦ يُسْعِفُ الهاجعينِ وتُحْرِمُهُ مقلّةُ الساهرِ
وعهدي بتمويه عينِ المحبِّ ينمُّ على قلبه الطائرِ
فلما التقينا برغمِ الرقادِ مؤه قلبى على ناظري

١ طيف الخيال : ١٢٠ والديوان ٢ : ٢٢٢ (طيف الخيال = ل ، والديوان = ن)

٢ ل ن : الكرى

٣ هذا البيت مقدم في : ل ن .

٤ في الاصل : زعزع

٥ ل = ١٢١ ؛ ن : ٢ ؛ ٦٢ والشريشي ٢ : ٢٣٠ - ٢٣١

٦ ل ن : وأعجب به

قال الشريف المرتضى^١ : قلت هذه الأبيات في سنة أربع^٢ وثمانين وثلاثمائة ، وتداول أهل الأدب إنشادها ، واستغربوا هذا المعنى ، وشهدوا أنه مخترع لم يسمع ، فلما تصفحت ديوان شعراخي لاستخراج ما يتعلق بوصف الطيف في هذا الوقت وهو سنة اثنتين^٣ وعشرين واربعمائة وجدت هذه البائية بخطه على ظهر الجزء الثاني من شعره^٤ :

إن طيفَ الخيالِ زارَ طُرُوقاً . والمطايا بين القنّانِ وشُعْبِ
 زارني واصلاً على غيرِ وعدٍ . وانثنى هاجراً على غيرِ ذنبِ
 كان قلبي إليه رائدَ عيني . فعلى العينِ مِنَّةٌ للقلبِ
 كان عندي أنّ الغرورَ لطرفي . فاذا ذلك الغرورُ لقلبي
 فلستُ أعرفُ كيف جرتِ الحالُ في خبرها ، وهل قصد رحمة الله إلى نظمها
 حتى لا يخلو شعره من هذا المعنى ، أو أنسي ساعته مني ، وقذف به خاطره وجرى
 على هاجسه ، وكثيراً ما يلحقُ الشعراءُ ذلك فيتواردون في بعض المعاني المسبوقِ
 إليها ، وقد كانوا سمعوها فأنسوها ، فالخواطرُ مشتركة ، والمعاني معترضةٌ لكلِّ
 خاطر ، وكيف جرى الأمرُ فيها فان العنصرَ واحد ، وأينا سبقَ إلى معنى فالآخرُ
 بالتجَرِّ والسُّنخِ إليه سابقٌ وبه عالق .

وقال المرتضى^٥ :

أمنك سرى طيفٌ وقد كان لا يسري . ونحن جميعاً هاجعون على الغمْرِ
 تعجبتُ منه كيف أمَّ ركابنا . وأرحلنا بين الرِّحالِ وما ندري

١ ل : ٩٤ - ٩٥

٢ ل : في سنة نيف

٣ ل : نيف .

٤ ديوان الرضي : ١ ، ١٧٢ والشريشي : ٢ ، ٢٣١

٥ ل : ١٢٢ - ١٢٤ : ن : ٢ ، ٦٧

وكيف اهتدى والقاع بيني وبينه
وأفضى إلى شعث الحقايب عرسوا
وقوم لقوا أعضاد كل طليحة
سروا وسماك الرمح فوق رؤوسهم
وبات ضجيعاً لي ونحن من الكرى
أضم عليه ساعدي إلى الحشا

قال المرتضى : قلت : « مناعة القطر » ، وهي على الحقيقة ممنوعة ، لأقابل
بين لماعة ومناعة ، والمعنى مع ذلك صحيح/ [١٣١] وإنما قلت : سماك الرمح^٢
لضيق الشعر . ومعنى : « لقوا أعضاد كل طليحة » أي توسدوا أذرع المطي كلالاً
وتصعلكاً .

قال ابن بسام^٣ : ومثله قول ذي الرمة^٤ :
رمى الإدلاج أيسر مرفقيها بأشعث مثل أشلاء اللجام
يعني نفسه [وا أنه عرس على إحدى ذراعي ناقته ، وخص اليسرى لتكون وجوههم
وجوه الإبل في ناحية واحدة فيكتلون بأبصارها^٥ [لأنها أبصر وأسهر] ولو توسدوا
أيامن المطي كانت وجوههم إلى أعجازها ؛ وفي الاكتلاء لعين المطية يقول الآخر^٦ :
أنخت قلوصي واكتليت بعينها وأمرت نفسي أي أمري أفعل
وقال ذو الرمة أيضاً^٧ :

١ في الأصل : القرطين ؛ ولماعة القطرين : السحابة .

٢ يعني كان حقه أن يقول : السماك الرامح

٣ النص منقول عن شرح الأمالي : ٢٠٠

٤ ديوان ذي الرمة ٢ : ١٣٩٨

٥ في الأصل : فيكتلون بأبصارهم ، وما بين معقفين زيادة من السط .

٦ السط : ٢٠٠

٧ ديوان ذي الرمة : ٢٩٠ (مكارنتي)

جَنَحْنَ عَلَى أَرْدَافِهِنَّ وَهَوَّمُوا سُحَيْرًا عَلَى أَعْضَادِهِنَّ الْمِيَّاسِرِ
وقال أيضاً^١ :

رَجِيعةَ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زَمَامَهَا [شَجَاعُ] لَدَى يَسْرَى الذَّرَاعِينَ مُطْرِقُ
كَأَنَّ الزَّمَامَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الشَّقِّ الَّذِي يَضْطَجِعُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ أَبُو حِيَةَ بِقَوْلِهِ :
[...]^٢ أَيْمَنَ الْكَشْحِينَ مِنْهُ إِلَى يُسْرَى يَدَيْ حَرَجِ أَمُونِ
وَإِنَّمَا يَتَوَسَّدُ الْقَوْمُ أَيْمَانَهُمْ لِمَكَانِ السَّلَاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ ، وَأَنَّ مُعَرَّسَهُمْ لَيْسَ بِمَكَانٍ
طَمَآنِينَةٍ وَلَا وَضِعَ السَّلَاحِ مِنْ أَيْسَرِهِمْ .

وقوله : « فَمَا هَوَّمُوا إِلَّا عَلَى وَقَعَةِ النَّسْرِ » ، بَيْنَ مَسَامَتَةِ السَّهَائِكِ لِقَمَّةِ الرَّأْسِ
مِنْ وَقَعِهِ زَمَانٌ طَوِيلٌ . وَمِثْلُهُ مِمَّا أَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ^٣ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي ذِكْرِ
الشَّعْرَى وَالنَّسْرِ ، قَوْلُ أَيْمَنِ بْنِ خُرَيْمٍ :

أَتَانِي بِهَا يَحْيَى وَقَدْ نَمَتْ نُومَةً وَقَدْ غَابَتِ الشَّعْرَى وَقَدْ جَنَحَ النَّسْرُ

وقد أنكر أبو عبيد البكري عليه هذه الرواية وقال^٤ : الصَّحِيحُ فِي الْمَعْنَى :
« وَقَدْ طَلَعَ النَّسْرُ » ، لِأَنَّ الشَّعْرَى الْعَبُورَ إِذَا كَانَتْ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ كَانِ النَّسْرُ
الْوَاقِعُ طَالِعًا مِنْ أَفْقِ الْمَشْرِقِ عَلَى نَحْوِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ النَّسْرُ الطَّائِرُ لَمْ يَطْلُعْ ؛
وَإِذَا كَانَتْ الشَّعْرَى الْغَمِيصَاءَ فِي أَفْقِ الْمَغْرِبِ ، كَانِ النَّسْرُ الْوَاقِعُ حَيْثُ نَزِدُ غَيْرَ مَكْبُودٍ ،
فَكَيْفَ أَنْ يَكُونَ جَانِحًا ، وَكَانَ النَّسْرُ الطَّائِرُ حَيْثُ نَزِدُ فِي أَفْقِ الْمَشْرِقِ طَالِعًا عَلَى
نَحْوِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ أَيْضًا ؛ فَرَوَايَةُ أَبِي عَلِيٍّ لَا تَصِحُّ أَلْبَتَّةَ ، فَكَأَنَّ النَّسْرَ الْوَاقِعَ نَظِيرُ
الشَّعْرَى الْعَبُورِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِنِّي وَعَبَدَ اللَّهَ بَعْدَ أَجْتَاعِنَا لِكَالِنَّسْرِ وَالشَّعْرَى بِشَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

١ ديوان ذي الرمة : ٣٩٤ (مكارتي)

٢ الكلمة قد كسحت ولم يبق منها إلا الحرف الأول وهو التاء ؛ ولم يرد البيت في شعر أبي حية المجموع .

٣ أمالي القاضي ١ : ٧٧

٤ انظر التنبيه : ٣٨ والسمط (شرح الأمالي) : ٢٦٢

يلوح إذا غابت من الشرقِ شخصُهُ
وقال أبو نواس^١ :

وخسارةً نبهتُها بعدَ هجعةٍ
فقلتُ : مَنْ الطَّرَاقُ قلنا عصابةً
وقد لاحَتِ الجوزاءُ وانغمص^٢ النسرُ
خفافُ الأداوى تُستَقَى لهم الخمر

قال ابن بسام : وأبو عبيد البكري هذا كان آخر علماء أفقنا بالأوان ، وأوهم بالبراعة والاحسان ، حتى كأنَّ العربَ استخلفته على لسانها ، والأيامَ ولتُهُ زمامَ حدثانها ، وقد ذكرت [له] في القسم الثاني من هذا التصنيف^٣ ، عدَّة من التوايف في شتى الفنون ، تشهدُ أنه تلقى رايةَ المعارفِ باليمين .

وقال المرتضى من قصيدة أخرى^٤ :

ألا يا ابنةَ الحيينِ مالي ومالكِ
هجرتِ وأنتِ الهُمُّ إذ نحنُ جيرةُ
وماذا الذي يتنابني من خيالكِ
فما نلتقي إلا على نشوةِ الكرى
وزرتِ وشحطُ دارُنَا من دياركِ
يفرِّقُ في ما بيننا وَضَحُ الضحى
بكلِّ خُداريُّ من الليلِ حالكِ
وتجمعنا زُهرُ النجومِ الشوايكِ
وما كان هذا البذلُّ منكِ سجيَّةً
ولا البذلُّ^٥ يوماً خلَّةً من خلالكِ
فكيف التقينا والمسافةُ بيننا
وكيف خَطَرُنَا من بعيدٍ ببالكِ
ولما امتطيتِ الليلِ كنتِ حقيقةً
بغيرِ الهدى لولا ضياءَ جمالكِ

١ متابع للسمط . وانظر ديوان أبي نواس : ٢٧٣

٢ السمط : وانغمص : الديوان : وانحدر

٣ موضع ترجمة أبي عبيد في القسم الثاني من الذخيرة : ٢٣٣ ولم يرد فيها ذكر لتصانيف أبي عبيد لأن النسخ المعتمدة قد أدخلت بإيرادها ، وهذه الاحالة هنا تثبت أن ابن بسام كان قد أدرج له ترجمة مستوفاة ، ولعله فعل ذلك في مرحلة متأخرة من إعدادة للكتاب ؛ ويجدر القول أن للبكري عدة مؤلفات هامة ذكرت بعضها في حواشي ترجمته في القسم الثاني .

٤ ل : ١٢٤ ، ن : ٢ : ٣٧٠ وحماسة ابن الشجري : ١٨١

٥ ل : الوصل

وهذه أبيات غريبة الطرح ، بدوية السنخ .

وقال من أخرى ^١ :

يا طيفُ زُرْنَا إنْ تَشَطَّتْ لَنَا فَاَلرَّكْبُ بِالْأَبْوَاءِ قَدْ نَزَلَا
عِنْدَ النَّهَارِ مَطِيَّةً لَفَيْتُ وَخِذِ الظَّلَامَ مَعَ السُّرَى جَمَلَا
وَدَعِ التَّعَلَّلَ فَالْحَيِيبُ إِذَا مَلَّ الوَصَالَ تَطَلَّبَ العِلَلَا
عَجَّلْ سُرَاكَ إِلَى مَضَاجِعِنَا وَإِذَا خَطَرْتَ ^٢ فَلَا تَغِبْ عَجَلَا
مَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ مَنْ نَحَاذِرُهُ قَطَعَ الخِيَالَ الحَبْلَ أَمْ وَصَلَا

وقال ^٣ :

يا طيفُ أَلَا زُرْنَا بِسَوَادِ مَا كَانَ ضَرَّكَ وَالوَشَاةُ بِعَزَلِ
وَالرِّيُّ فِيكَ وَقَدْ صَدَيْتُ فِقْلَ لَنَا وَمَنْ أَجَلَ أَنْتَكَ تَسْعَفِينَ عَلَى الكَرَى
يَا زُورَةً مِنْ بَاخِلٍ بِلِقَائِهِ ^٤ تَرَكَ البَيَاضَ لِأَمْنٍ وَأَتَى بِهِ

وقال ^٥ / [١٣٢]

أَلَا [يَا] أَيُّهَا الحَادِي قَفِرِ العَيْسَ عَلَى الوَادِي
وَأَيْنَ الطَيْفُ مِنْ ظَمِيَا ءَ أَمْسَى وَهُوَ مَعْتَادِي

١ ل : ١٢٦ ؛ ن ٣ : ٤٦

٢ ل ن : حضرت

٣ ل : ١٢٧ ، ن ١ : ١٦٠ والشهاب : ٦٦

٤ ل : برقاده

٥ ل : ١٣١ ، ن ١ : ٢٦٥

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين أعضاد^١
تلاقينا بأرواح وفارقنا بأجساد
قال المرتضى : الأرواح لا يصحُّ لها في الحقيقة التلاقي والتزاور ، لكنَّ الشعراء
لما رأوا الأجساد في طيف الخيال لم تلتق ولا تدانت ، نسبوا التلاقي إلى الأرواح
تعويلاً على مَنْ جعلَ النفسَ لها قيامٌ بنفسها ، وأنها غيرُ الجسد ، وأنَّ التصرفَ لها ،
فجرينا على هذا الطريق ، وإنَّ كانَ باطلاً بالتحقيق .

وقال ٢ :

زارني والرقادُ مني ومنهم داخلُ في العيونِ من كلِّ بابِ
زُورَةٌ زُورتَ عليَّ ولو كا نت يقيناً لما شَفْتُ بعضَ ما بي

وقال ٣ :

قل لطيف الخيال ليلة هومنا بنجدٍ هلاً طرقت هزيعاً
والمطايا من الكلالِ على رَمَلِ زُرودٍ قد افترشْنَ الضلوعا
ما على من يحلُّ بالغُورِ لوبا ت لنا طيفُهُ بنجدٍ ضجيعا
خادعونا بالزُورِ منكم عن الحسِّقِّ فما زال ذو الهوى مخدوعا
واطلبوا إن وجدتم كاتماً للسرِّ منكم فقد وجدنا المذيعا

وقال ٤ :

وليلةً بتنا بالأبيرقِ جاءني على نشوة الأحلام وهناً رسولها
خيالٌ يريني أنها فوق مضجعي وقد شطَّ عني بالفؤيرِ مقليلها

١ ل ن :

جفا صباحاً ووافاني صريعاً بين رقاد
وأعناق المطايا من كلال بين أعضاد

٢ ل : ١٣٤ والشهاب : ٧١ ولم يردا في الديوان .

٣ ل : ١٣٦ ن : ٢ : ٢٠٤

٤ ل : ١٣٨ ن : ٣ : ٣٦ - ٣٧

فيا ليلةً ما كانَ أنعمَ بثَّها تنازحَ غاويها ونامَ عذوها
وما ضرنِّي منها وقد بتُّ راضياً يباطلها أن بان صباحاً بَطوها
فلما تجلَّى الليلُ بالصَّبحِ واهتُّ دياجيرُ مرخاةٍ عليها سدوها
أفقتُ فلم يحصلْ عليَّ من الذي خُدِعتُ به إلا ظنونُ أجيلها
قال المرتضى ^١ : ولهذه الأبيات ما تراه ، مما لا تقدرُ على جَحْدِهِ من
الفصحاحة والطلاوة والبدويَّة التي يُوجدُ طعمُها في فصيح الكلام ؛ وإنما جعلتُ
الطيفَ رسوفاً لأنه مذكَّرٌ بها ومترجمٌ عنها ، فجرى مجرى الرسول . وكان عندي
أنبي سابقٌ إلى وَصْفِ الطيفِ بالرسولِ حتى وجدتُ أشجعَ السلميِّ يقول :

حيَّ طيفاً أتاكَ بعد المنامِ يتخطى إليك هولَ الظلامِ
شحطَ الحيُّ من سعادٍ ومنا رُسلُ بيننا من الأحلامِ
وقال البحرني ^٢ :

إذا أرسلتُ طيفاً يذكّرني الهوى رددتُ إليها بالنجاح رسوفاً
وقال المرتضى ^٣ :

وزورِ زارني والليلُ داجٍ [وقد ملأ الكرى منّا العيوناً]
يريني أنه ثاني وسادي مضاجعةً وُزورُ ما يرينا
نعمتُ بباطلٍ ويودُّ قلبي وداداً لو يكونُ لنا يقينا
وقال ^٣ :

حللتُ بنا والليلُ مُرخٍ سدولهُ فألاً وضوءُ الصبحِ في العينِ مُسْرِقُ

١ ل : ١٣٩ - ١٤٠

٢ ديوان البحرني : ١٧٩٧

٣ ل : ١٥٣ ؛ ن : ٣ ؛ ٣٠٥ والشريشي ٢ : ٢٣٠

٤ ل : ١٦٢ ؛ ن : ٢ ؛ ٣٠٦

فأحسبُ به من طارقٍ بعد هدأٍ على نشوة الأحلام لو كان يصدق
ولما تفرقنا ولم يكُ بيننا هنالك لولا النومُ إلا التفرق
تطائرَ وصلُ غرنا فكأنه رداءً سحيقُ أو مُلاءٌ مُشَبَّرقُ

وقال ١ :

ألمَ خيالُ من أئيمةَ طارقُ ومن دونِ مسرّاهُ اللّوى فالأبارقُ
ألمَ بنا لم نذرِ كيفَ لمامهُ وقد طال ما عاقتهُ عنا العواققُ
فلله ما أوى الكرى من دُجنتِهِ جفّتها الدراري طلعاً والبوارقُ
نعما به حتى كأنّ لقاءنا وما هو إلا غايةُ السُرورِ، صادقُ
فما زارني في الليلِ إلا وصُبحنا تُسلُّ علينا منه بيضُ ذوالقُ
وكيف ارتضيتَ الليلَ والليلُ ملبسُ تضلُّ به عنا وعنك الحقائقُ
تُخيلُ لي قُرباً وأنتَ بنجوةٍ وتوهمني وصلأً وأنتَ مُفارقُ

وقال ٢ :

ضنّ عني بالثررِ إذ أنا يقظا نُ وأعطى كثيرهُ في منامي
والتقينا كما اشتهينا ولا عيبَ سوى أنْ ذاك في الأحلام
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً فالليالي خيرٌ من الأيام

وقال ٣ :

وسأدني كفه وعانقني ونحنُ في سكرةٍ من الوسنِ
وباتَ عندي إلى الصباحِ وما شاعَ التقاءُ لنا ولم يسنِ

١ ل : ١٧٠ : ٢ ن : ٢٠٧
٢ ن : ٣ : ٢٧٠ : ل : ١٧٤ - ١٧٥ وابن خلكان ٣ : ٣١٤
٣ ن : ٣ : ٣٤٢ : ل : ١٧٥

خادعني ثم عدَّ خَدَعَتَهُ
فان تكن زورةً مَهْوَمَةً
وإن يكن باطلاً فكم باطلاً
[وقال] ١ :

يا خليلي من ذؤابة قيسٍ
غثياني بذكرهم تطرباني
وخذا النوم من جفوني فاني
للتصابي رياضة الأخلاق / [١٣٣]
واسقياني دمعي بكأس دهاق
قد خلعت الكرى على العشاق

فصل في ذكر الوزير أبي القاسم

الحسين بن علي المغربي

واجتلاب سابق أشعاره ، ورائق أخباره ٢

كان أبو القاسم نجماً مطالعهُ الدُّوْلُ ، وبحراً عُبابه القولُ والعمل ، وروضةً تقوتُ القلوبَ نفاثتها ، وتقيدُ الأبصارَ صفائِها وموصوفائِها ، أمّا العلماءُ فعِيالٌ عليه ، وأمّا العظماءُ فلَعَبٌ في يديه ، وأمّا الأقلامُ فبعضُ شيعِهِ وأنصارِهِ ، وأمّا الأقاليمُ فبينَ إيرادِهِ وإصدارِهِ ، وأمّا مكائِهُ من العلمِ الحديثِ والقديمِ ، وسبِقُهُ إلى غايَتِي المنثورِ والمنظومِ ، وإقدامُهُ على المهالكِ ، وتلاعِبُهُ بالأملِكِ والممالكِ ، فأشهرُ من الصباحِ ، وأسيرٌ من الرِّياحِ .

١ ن ٢ : ٣٤٢ وابن خلكان ٣ : ٣١٤

٢ وردت ترجمة الوزير المغربي (٣٧٠ - ٤١٨) في تنمة البيتمة ١ : ٢٤ ودمية القصر ١ : ٩٤ والمنظم ٨ : ٣٢ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٩ ومعجم الأدياء ١٠ : ٧٩ وتاريخ ابن الأثير ٩ : ٣٦٢ وابن خلكان ٢ : ١٧٢ - ١٧٧ وبغية الطلب ٥ : ١٤ - ٣٠ واعتاب الكتاب ٢٠٦ ورجال النجاشي ٥٥ والاشارة الى من نال الوزارة ٤٧ ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وراجع في أخباره أيضا ذيل ابن الفلاني ٦١ - ٦٤ وصفحات متفرقة من اتعاظ الحنفا (ج ٢) والدرة المضية ٦ : ٣٠٩ - ٣١٢ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٦ ؛ وقد ذكره ابن القارح في رسالته وحكى شيئاً من أخباره معه (انظر رسالة الفران : ٥١ - ٥٨) وقد علق ابن العديم على ذلك بقوله : وكان بين أبي القاسم ابن المغربي وبين علي بن منصور (ابن القارح) ما يوجب ألا يقبل قوله فيه .. (بغية الطلب ٥ : ١٩)

ومن أوابد أخباره ، وخالد آثاره ، كتابه المترجم بـ « المنخل » في اختصاره « إصلاح المنطق » لابن السكيت ^١ ، فانه غاية لا يتعاطاها إلا من بهر عتقه ، واشتهر سبقه ، وطريقة لا يتوخاها إلا من رسخت في العلم قدمه ، وترامت به إلى معالي الأمور هممه ؛ وما يعجب من أمره ، ويرفع الصوت بجلالة قدره ^٢ : « أنه استظهر القرآن وعدة من الكتب المجردة في اللغة ، ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر وتصرف في النثر ، وبلغ من الخط إلى ما يقصر ^٣ عنه نظراؤه ، ومن علم الحساب وجميع الأدوات ^٤ إلى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة ، واختصر ذلك الكتاب فتناهى في اختصاره ، وأوفى على جميع فوائده ، حتى لم يفتئ شيء من ألفاظه ، وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار ، وجمع كل نوع [إلى] ما يليق به » .

ولما أوقع الحاكم بأبيه وأهل بيته ونذر دمه ، خرج من مصر معتقداً لعلوهمته ، ناشداً لضائع ذمته ، فأتى مكة فحمل أبا الفتوح ^٥ على القيام بها ، وقرب له ما كان يستبعد من طلبها ، وجسره على أخذ ما كان بها من محاريب الفضة والذهب ،

١ بعث ابن المغربي بالمختصر إلى أبي العلاء المرعي فكتب إليه الرسالة الاغريقية بثني على اختصاره وبنه على فضله ، وما قاله ، « ووقفت على مختصر إصلاح المنطق الذي كاد بسبات ألباب ، يعني عن سائر الكتاب ، فعبجت كل العجب من تقييد الاجمال ، بطلاء الاحمال ، ... شرفاً له تصنيفاً شفى الريب ، وكفى من ابن قريظ ، ودل على جوامع اللغة بالاجزاء ، كما دل المضمهر على ما طال من الأسهاء... » (رسائل أبي العلاء : ١٨ وصبح الاعشى : ١٤ : ١٨٢) ولأبي العلاء رسالة أخرى إلى ابن المغربي تعرف بالمنهج (انظر الرسائل ص : ٣)

٢ ما بين اقواس صغيرة يكاد ان يكون نص ما كتبه والد الوزير المغربي في ابنه ، على ظهر مختصر إصلاح المنطق . ونقله ابن العديم في بغية الطلب : ٥ : ١٧ وما بين معقفين زيادة منه ، وما جرى إصلاحه فانما تم اعتقاداً عليه ، وكذلك هو عند ابن خلكان .

٣ في الأصل : نقص

٤ ابن العديم : ومن حساب المولد والجبر والمقابلة وجميع الأدوات ..

٥ هو الحسن بن جعفر العلوي ، وقد جوز له الوزير المغربي أخذ مال الكعبة وضربه دراهم ، وتلقب بالراشد بالله ، وإلى بعض هذا يشير ابن القارح بقوله : « وبفضي له - شهد الله - حياً وميتاً أرجيه أخذه محاريب الكعبة ، الذهب والفضة وضربها دنانير ودراهم وسأها الكعبية .. » (رسالة الغفران : ٥٨ ، وانظر بغية الطلب : ٥ : ٢٤)

فصاحبها دنانير ، وفرقها على من تبعه من ثوبان العرب ، ثم سار يدعو إليه ، ويسفر بينه وبين من عسى أن يأبى عليه ، حتى دخل الرملة وصعد منبرها ، فتلا من غير استفتاحٍ لتحميد ولا صلاةٍ على النبي عليه السلام قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ وأوماً بيده إلى مصر ، يعني الحاكم ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْذِبِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (القصص : ٤) ثم عاد إلى أبي الفتح المذكور ، وهزه لذلك ، فألقى سيفه كهما ، وسحابه جهاما ، فخرج إلى العراق ، ودخل الكوفة متقرباً بالسلطانها ، ثم خافه وزير قرواش^١ فتقرب إليه بالمال ، وأشار عليه بالترحال ، فصار إلى ميفارقين ، وأميرها يومئذ نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ، فتقلد وزارته بعد طول مقام ، وبعد مرام ، وخلع المرقعة والصفوف ، ولبس المسك والشقوف ، فهتك ستر الحياء ، وخلع ربة الرياء ، فصار كما قال في نفسه ، وقد ابتاع غلاماً تركياً كان يهواه ، قبل أن يبيعه منه مولاه^٢ :

تبدل من مرقعة ونسك بأنواع المسك والشفوف
وعن له غزال ليس يحوي هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكاً كذاك الدهر مختلف الصروف
ثم روى بعد بوزارة الموصل^٣ ، فسار إليها ، وتقلد حينه وزارة المستولي عليها ، فملك زمامها ، وصرف أيامها ، ودوخ معالمها وأعلامها ، وأتى على ما كان بها من رمق ، وجرى من العسف بأعظم أهلها من أبعدي طلق ؛ ثم راسلته وزارة بغداد وأميرها يومئذ أبو علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة بن عضد

١ هو المعروف بابن أبي الوزير الكافي ، وكان وزيراً ومديراً لدولة قرواش بن المقلد ، ويقول ابن العديم ان هذا

الوزير قدم إلى ابن المغربي مالا كثيراً كي يرحل عن الموصل فسار عنها إلى ديار بكر (بغية الطلب ٥ : ٢٦)

٢ الأبيات في بغية الطلب ٥ : ٢٦ واعتاب الكتاب : ٢٠٦ والشريشي ٥ : ٣٠٥ وتاريخ المسبجي : ٢٣٤ ب

٣ كان ذلك بعد وفاة ابن أبي الوزير الكافي .

الدولة بن ركن الدولة أبي عليّ، فتبجّح ذروتها، واقتعد لوقته صهوتها، فانتظمت له الأيام، ومجدّ على يديه النقص والإبرام، وبلغ الحال التي تصغر عنها النعم، وتقصر دونها الهمم. ثم إن أبا عليّ أوقع بمن كان يتهمه من الأتراك، وكان قد نهاه الوزير، وأشار عليه بما يقتضي التدبير، فأبى إلا ركوباً لرأسه، وإدلالاً بنفسه، فاضطرب العسكر اضطراباً اضطرهما جميعاً إلى الهرب، وأفضى بهما إلى استجارة أمير العرب.

حدّث نحرير غلامه قال: عهدي بالوزير وهو خارج، وقد لبس ثياباً رثة، وعلى وجهه منديلٌ قد لفّه فيه لثلاً يمتاز [١٣٤] من جملة العامة، وقد أقبل عليّ واستقبلني في الدهليز ينشدني لنفسه في الحال^١:

مَرَسْتُ مَنِي الْعَلَا بِأَمْرِي^٢ قَدْ عَلِقَ الْمَجْدُ بِأَمْرَائِي^٣
يَسْتَجِدُّ النُّجْدَةَ مِنْ رَأْيِهِ وَيَسْتَقِلُّ الْكُثْرَ مِنْ بَاسِهِ^٤
أُرْوَعُ لَا يَرْجِعُ عَنْ تَيْهِهِ وَالسِّيفُ مَسْلُوكٌ عَلَى رَأْسِهِ
وقد قيل إن إخراجهُ المَلِكَ معه إنما كانت حاجةً في نفسه قضاها، وخطّةً من مكره أَلَزَمَهُ إِيَّاهَا، إِبْقَاءً عَلَى جَلَالَةِ الْمَقْدَارِ، وَأَنْفَقَهُ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِعَيْبِ الْفِرَارِ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عَلِيٍّ ثَابَ سُلْطَانُهُ، وَرَاسَلَهُ شَيْعُهُ بِالْحَضْرَةِ وَأَعْوَانُهُ، فَعَادَ إِلَيْهَا، وَأَقَامَ أَبُو الْقَاسِمِ بِالْمَوْصِلِ وَقَدْ كَثُرَ أَتْبَاعُهُ، وَمَلَأَ الْبِلَادَ [عِيَانُهُ] وَسَمَاعَهُ، فَأَقَامَ بِهَا يَسِيرًا، وَاسْتَشْعَرَ مِنْ صَاحِبِهِ تَقْصِيرًا، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى مِيَا فَارِقِينَ، فَحَلَّهَا، وَتَلَقَّاهُ نَصْرُ الدَّوْلَةِ بِالْأَصْطِنَاعِ، وَأَقْطَعَهُ صَامَتَ الْأَمْوَالِ وَفَاشِي الضِّيَاعِ، ثُمَّ رُوِيَ ثَانِيَةً

١ الأبيات في دمية القصر ١ : ٩٦ وبعاهد التنصيص ٣ : ٣٣ وإعتاب الكتاب : ٢٠٧

٢ دمية : فارعت الأيام مني امرأ

٣ روايته في دمية القصر :

يستنزل الرزق باقدامه ويستدر العزم من باسه

٤ دمية : لا ينحط

من بغدادَ للوزارة ، واستأذن نصرَ الدولة ، فخلى بينه وبين مراده ، ولم يجدُ بُدّاً من إسعاده ، ووفاءً بانجازِ ميعاده ، فلما برزت قبابُهُ ، وكادت تستقلّ ركابه ، خُوفَ نصرُ الدولة عاقبةَ مكره ، وأشيرَ عليه بالرأي في أمره ، فسقاهُ شربةً كانت آخرَ زاده ، ووفاءً بانجازِ ميعاده ، وتقدّم حين أحسَّ [بالموت] بحمله إلى الكوفة ليُدفنَ في حجرة أعدّها هنالك بازاء قبرِ أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، فسيرَ بتابوته مسيرةَ شهر ، بين أيدي المحتوف ، وتحت أظلال السيوف ، أكرومةً ختم بها مجدهُ ، وأحدوثُهُ أبقاها في الناس خالدةً بعده .

وقد أجريتُ من نثره الرائقةِ فصوله ، ونظمه المتقنةِ فروعهُ وأصولهُ ، ما يعطرُ الزهرَ شذاه ، ويروقُ النجومَ الزهرَ مرآه .

فصل من رسائله

لما دخل البطحةَ وبها أبو القاسم هبةُ الله بن عيسى ^١ [وزيراً] مهذبِ الدولة ، وكان من أفاضل أهلِ وقتهِ ، فدخل إلى ابنِ المغربيّ رجلٌ يُعرفُ بسليمانَ ابنِ الربيع ، وسلّم إليه قصيدةً قد بُيّتْ على السؤالِ عن ألفاظٍ من اللغة على جهةِ الامتحانِ لمعرفته ، فلما وقف عليها امتعضَ في الحال ، وأحفظه ما لقي من التعديّ والسؤال ، ونسبَ ذلك إلى فعل أبي القاسم وزيرِ مهذبِ الدولة البطحيّ ، فكتب عقيبَ الوقوف ^٢ على ذلك لوقته جواباً أثبتَ بعضَ فصوله ، لطوله ، بعدَ هذه الأبياتِ المذكورة :

يا أفضَلَ الأدباءِ قو لا تعارضُ الشكوكُ
لا العلمُ ناءٍ من حجا ك إذا نطقت ولا فيروكُ

١ ذكر ابن الأثير (٩ : ٢٥٢) أنه توفي سنة ٤٠٦ وقال فيه : « كان من الكتاب الملقين ، ومكاتبته مشهورة . وكان ممدحاً ، ومن مدحه ابن الحاجج » .

٢ ص : عقب الدولة .

عرضت مسائل أنت للفتوى بمشاكلها دُرُوكُ
 ما الحي والحيت أم ما جلبح نضو بروك
 أم ما ترى في برقع رقصاء مجهدا حبيك
 أم ما الصرئقح والزري وما الملمعة النهوك
 ولك السداية والبصيرة في مداحيها السهوك
 وأبن لنا ما خطط أبداً بأمرغية معيك
 أو ما اعتنانة فوهدي فيه الملامة لا تحيك
 أم ، ما ترفل [هبرج] يرتب مرسنة هلك
 ولرب أفاظ أتك وفي مطاويها حلوك
 فافسق بنشرك طيها وانظر بذوقك ما تلوك
 هذا وقد لذمت فؤادي خرميل هيرط ضحوك
 دعكئة نظرة في خيس غانظها شكوك
 تغدو وخرفعها المذبي ل في طوائفه سدوك
 وأراك ما لك مشبه في ما علمت ولا شريك
 حقاً لقد حزت العلو م حياة العلم الضريك

فأجابه ابن المغربي برقة قال فيها : وقفت على ما ذكرت أن بعض أهل
 الأدب كلفك المسألة عن شعر وجدته ، لا أحب أن أقول في صناعته شيئاً ، مشتملاً
 على أفاظ من حوشي اللغة لا يتساعل بمثلها أهل التحصيل ، ولا يتوفر على تأملها
 إلا كل ذي تأمل عليل ، لخروجها عما ينفع في الأديان ، ويعترض في القرآن ،
 ولما ينتها ما يجري في المذاكرة ، وتستخدم فيه المحاوره ، وزاد في عجيبي منها صدرها
 عن البطيحة وفيها الأستاذ الفاضل هبة الله بحر الأدب الذي عذبت موارده

١ ص : من الأستاذ . ولعلها « مثل الأستاذ »

ومصادره^١ ، وريُّ العقول الظماء ، وطبُّ الجهلِ المستغمرِ الداء^٢ ، والبابُ الذي يفتحُ عن الدهرِ تجربةً وعلماً ، والمرأةُ التي تُتصَفَّحُ بها أوجهُ الأيام/ [١٣٥] إحاطةً وفهماً .

وفي فصل : فان كان الغرضُ في هذه الأبياتِ الخرابِ ، المقفرةِ من الصوابِ ، طلبَ الفائدةِ ، فقد كان يجبُ أن يُنَاحَ عليه بِمُقفلها ، وَيُقصدَ إليه بِمُعصلها ، فعندهُ مفتاحُ كلِّ مسألةٍ مُقفلةٍ ، ومصباحُ كلِّ داجيةٍ مُشكِّلةٍ ؛ بل لستُ أشكُ أن هذا السائلُ لو جاوره صامتاً عن استخباره ، وعكفَ على ذلك الجَنابِ كأنما لجأ في طيِّ إضماره ، لأعداهُ رقةً نسيمِ أرضه ، وهذبَ^٣ خاطرهُ التقاطُ لفظه ، حتى يغنيهُ الجوارُ عن الحوارِ ، والاقترابُ عن رَجْعِ الجوابِ ؛ وان كان قصدَ الامتحانِ للمسؤولِ ، وتعرضَ لهذا الموقفِ الرَّحولِ ، فذلك أعجبُ : كيف لم يتأدَّبْ بأدابهِ الصالحةِ ، ويعتشي إلى هدايتهِ الواضحةِ .

وفي فصل : وكيف لم يعلمَ هذا العريضُ المكلفُ - بما أُعطيَ من سعادةِ مكائرتِهِ ، وسبق^٤ إليه من بركةِ صحبته - أن هذا التعريضُ كما قال المخزوميُّ لعبد الملك بن مروان وقد^٥ لقيه في طريقِ الحجاز : بسئتُ تحيةَ الغريبِ من القاطنينِ ، ولؤمتُ هديةَ الوافدِ من المقيمينِ ، وقد كان حقُّ الغريبِ بينكم أن يكثرَ قليلُهُ ، ويسدَّ ذريعه ، ويعارَ من معالي الصفاتِ ما يُؤنسُ غُرْبَتَهُ ، ويصدقُ مخيلَتَهُ . وعلى أنه لو كان قد احتبى للجدالِ ، وركبَ للنزالِ ، لما كان في عزوبِ^٥ كلماتٍ من حوشيِ اللغةِ عن ذكره ، ما يدلُّ على قصرِ باعه ، وقلةِ اطلاعه ، ويا عجباً للفراغِ

١ ص : المستعمل اللان .

٢ ص : وهذبت .

٣ ص : وساق .

٤ ص : والفاء .

٥ ص : عسروب .

كيف يستوعج لهذا المغتر أن يجاري بخلو ذرعِهِ تَقَسُّمَ أفكارِي ، وكيف أنساهُ اجتِماعُ شمله بُعدَ ديارِي ، وكيف أذهلهُ حضورُ أحبته عن مغيبِ أفلاذِ كبدي ، وكيف طرفت نواظرُهُ سكرةَ الحظِّ عن تصوُّرِ ما يُجِنُّ خلدي ، وكيف لم يدر ما لي من الحافظِ مُقسِّمةً ، وظنونِي مُرَجِّمةً ، وقد تكلفتُ الإجابةَ لما تَضَمَّنَتْهُ الأبياتُ انقياداً لمرادك ، ومقتصرَ الرأيِ على إسعادك ، أجرُ أقلامي جرّاً وهنَّ نواكل ، وأنبه قرائحي وهنَّ في عَمَراتِ الهمومِ ذواهل :

قال السائل : « إن المسؤولَ دَرُوكٌ لتلك الفتوى ، ومستحقٌّ بها للرتبة العليا » ودَرُوكٌ لا يجوز هنا لأنَّ فعولاً لا يكونُ من أفعال ، ولو جاز ذلك لجاز « حَسُونٌ » من « أحسن » و « جَمُولٌ » من « أجمل » . وما نحبُّ استيفاءَ القولِ في هذا الزلل ، ولا نستفتحُ كلامنا بالمناقشة في السَّهُوِ والحِطَلِ ، ولعلَّ القائلَ أوهم حَملاً على قراءةِ حَفْصٍ ﴿ في الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (النساء : ١٤٥) فظن أن الدَّرَكِ بوزنِ فَعَلٍ ، وأنَّ فعلاً مصدرُ فَعَلٍ يفعل ، ولم يجعله من الدَّرَكِ ، لأنَّ الفتح عندهم لا يخفف ، لا يقولون في جَمَلٍ « جَمَلٌ » ، وذهب عنه أن يكون اسماً مبنياً مثله وان لم يكن مخففاً منه كما قالوا : « دِرْكَةٌ ودِرْكَةٌ في حَلْقَةِ الوترِ التي تقع في فُرْضَةِ القوسِ ، فخففوا وحركوا ، وعلى أنها لو كانا مصدرين لجاز أن يبنيا على الشذوذ ولا يحمل عليهما ما يُبْنَى من الفعل ، لأنَّ الشذوذَ ليس بأصلٍ يقاس عليه . ولعله اغترَّ بقولهم : « دَرَاكٌ » - بالشدِّ - وهو شاذٌّ لأنهم قد [بنوا] أفعال من فَعَلٍ ، وهو قليل ، قالوا فطَّرته فأفطر ، وبشَّرته فأبشَرَ ، فجاز على هذا دَرَكته فأدْرَكَ ، قال سيبويه : وهذا النحو قليل في كلامهم . ولعله ذهب إلى قولهم : « دَرَاكٌ » مثل « تَرَالٍ » فظنَّ أنه يقال منه « دَرَكٌ » كما يقال من « مَنَاعٌ » و « تَرَالٌ » : مَنَعٌ وتَرَلٌ . وذهب عنه [أنه] قد جاء الرباعي في هذا الباب ، قالوا : قرقار وعرعار ، في

١ ص : فرض .

٢ ص : يفعل

معنى قرقر وعرعر. فأما الفرق بين الرباعي والثلاثي ، فسيبويه يرى إجازة « فَعَالٍ » في موضع فعل الأمر الثلاثي كله ، ويمنعه في الرباعي إلا مسموعاً ، وقال غيره من النحويين : بل هما ممنوعان إلا مسموعين ، واعتمد سيبويه في الفرق على كثرة الثلاثي ، وقلّة ما جاء في الرباعي . أولعله أصغى إلى قول الآخر^١ :

إن يكشف الله قناع الشكّ فهو أحقّ منزلاً بِدَرَكَ
فذهب إلى أن « دَرَكَاً » مصدرٌ ، ولم يعتقده أنه كما قرأ حَفْصُ بالاسكان . أولعله عَلِقَ سمعه [قول] العتبي :

إذا قلت أوفى أدركته دروكةً فيا موزع الخيراتِ بالعُذرِ أقصِر
وما أعرفُ له حجةً أقوى منه . أولعله أراد بقوله : دروك من الدَرَكَ مثل : لغوب ، وهي لغة تكلمتُ بها العرب .

ثم بدأ السائل فسأل عن « الحيّ » ، ولم أقف على صحّة سؤاله لأنني وجدتُ الأبيات مكتوبةً بخطّ عليّ ، وإن كان سأل عن « الحيّ » - بكسر الحاء - فقد أنشد أهل العلم قولَ العجاج^٢ :

وقد نرى إذ الحياةُ حيٌّ واذ زمانُ الناسِ دَغْفَلِيٌّ
فقال الحيّ من الحياة ، والحيّ / [١٣٦] جمع حيّ . وأما كونه على معنى الحياة فوزنه على فِعْلٍ باختلاف .

١ ورد في اللسان (درك) :

بظفر من حاجتي ودرك فذا أحق منزل بتارك

وفي التاج :

إن يكشف الله قناع الشك بظفر من حاجتي ودرك

فذا أحق منزل [بتارك]

٢ ديوان العجاج : ٤٨٦ واللسان والتاج (دغفل) : والدغفلي من العيش : المخصب الواسع .

قال ابن بسام : ومدّ أبو القاسم في هذا الجواب أطنابَ الإطناب ثم قال :
« والحَيَّوتُ الحيةُ وَرُزْنُهُ فَعَلَّوتُ ، والتاءُ فيه زائدة ، وكثيراً ما تُزَادُ خامسةً مثل
عفريت ، وإنما هو عفريّ .

و« الجَلْبَجُ » العجورُ الكبيرةُ ، وأنشدوا : « إِنِّي لأَقْلِي الجَلْبَجَ العجوزا »
و« بَرِّقِعُ » : السماءُ الدنيا ، قال أمية بن أبي الصلت ^١ :

وكانَ بَرِّقِعَ والملائكُ حولها سَدِيرٌ تَوَاكَلَهُ قوائمُ أربعُ ^٢
و« الصَّرْتَقِحُ » : الشديدُ الخالصُ ولا يكونُ فَعَنْتَلٌ إلا وصفاً لا اسماً ، قال
جران العود ^٣ :

ومنهنَّ غلُّ مُقْمِلٌ لا يَفْكُهُ من القومِ إلا الشَّخْشَحَانُ الصَّرْتَقِحُ
و« الزَّرِيرُ » الذكيُّ والمتحدِّرُ ^٤ ، وكان شيخنا أبو أسامة ^٥ يخالفُ جميعَ
اللغويين فيه ويقول : هو الزَّرِيرُ ، ومنه اشتق اسم « زُرارة » ، وقولُ أبي أسامة
أصح .

و« الملمعة » الفلاةُ التي يَلْمَعُ فيها الآل ، وفي مَثَلٍ : « أَكْذَبُ من
يَلْمَعُ ^٦ » وهو السراب ، ومنه الألمعيُّ ، كأنه يلمعُ العواقبَ بدقة فطنته ، وأما

١ ديوان أمية : ٣٥٨ واللسان (سدر) ونجيه قافية البيت أحياناً « أجرد » و« أجرد » وقال ابن بري : صوابه
« أجرد » والقصيدة دالية ، والجرد : الملاسة .

٢ السدر : البحر ، ولم يسمع به إلا في شعر أمية ، تواكلته : تركته ، والقوائم هنا : الرياح .

٣ ديوان جران العود : ٨

٤ في اللسان والتاج أن الزرير هو الذكي الخفيف .

٥ هو جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي (- ٣٩٩) كان مكثراً من حفظ اللغة ، أخذ عن الأزهري وغيره ،
وقتلته الحاكم العبيدي (انظر ابن خلكان ١ : ٣٧٢ وجمجم الادباء ٧ : ٢٠٩ وبنية الوعاة ٢ : ٤٨٨)

٦ انظر المثل في الدرّة الفاخرة : ٣٦٢ (وفيها تحريجه) .

اللوزعيّ فهو الذي يتلذّع من شدة ذكائه . ويقال ألمعت الوحشيّة وغيرها اذا بان
لضرعها سيقالُ ويريقُ باللبن ، قال الأعشى ^١ :

مُلِمِعُ لَاعَةَ الْفُوَادِ إِلَى جِحْشٍ فَلَاةٌ عَنْهَا فَبِئْسَ الْفَالِي ^٢

ويقال إن « لاعة » فعلة ومذكرها لاع ، وفي الحديث : هاعُ لاعُ ، وقيل بل لاعة
بوزن فاعلة ، كان الأصل « لاعية » من اللعو ، وهو أشدُّ الحرص ، وبين الخليل
وأهل النحو فيه خلاف يشقُّ إحصاؤه .

و « النَّهوك » و « النَّهيك » و « النَّهاكة » معروفة .

و « البصيرة » الترسُ ، قال الأسعر الجعفي ^٣ وليس بالأسعر ^٣ المازني :

راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأي ^٤

والبصيرة : الدم ؛ [والبصيرة : الدية] ومعنى البيت على هذا أنهم أخذوا
الديات ولم آخذُ ، فركبتُ يعدو بي فرسي لطلب الثأر ، ويكونُ هذا مشبهاً لقولهم :
.....^٥ ورحتُ أجرُ ثوبِي أرجوان

١ بيت الأعشى في اللسان والتاج (لوع) وديوانه : ٨

٢ قال الأصمعي : الملمع التي قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها باللبن ؛ وقال أبو عبيدة : ملمع : نتوج
مقرب ، لاعة الفؤاد اراد لاعة الفؤاد أي مستخفة من الحزن ، ورجل هاع لاع وهاع لاع مشتاق إلى الشيء ،
والفالي : الطارد .

٣ في ص : الأسعر ؛ والأسعر الجعفي - ضبطه الأمدي بالسین المهملة - هو مرثد بن أبي حمران ، وأورد له بيتين من
قصيدته التي منها هذا البيت التالي وهي قصيدة اصمعية (الأصمعيات : ١٥٦) وانظر اللسان (عتد ، وأي)
والمعاني الكبير : ١٠١٣ والوحشيات رقم : ٥٧

٤ العتد : الفرس الحاضر المعد للركوب ؛ الوأث : السريع المشدد الخلق ؛ وقال ابن قتيبة في شرح البيت ، البصيرة ،
الدفعة من الدم أي دماؤهم قد خرجت فصارت على أكتافهم وبصيرتي في جوفي يعدو بها فرسي ، يريد أنهم جرحوا ،
ويقال بل أراد أن الذي طلبوه من الذحول على أكتافهم لم يدركوه بعد ، فهو ثقل عليهم ، وبصيرتي أي دخلت قد
أدركت به .

٥ لم أستطع قراءة هذا الشطر ، وصورته في ص : عدا دل داه لمن حجة .

كلانا اختار فانظر كيف تَبْقَى أحاديثُ الرجالِ على الزمانِ
والبصيرة في هذا الموضع : الحق .

و « المداحي » مُفاعِلٌ من الدَّخُو وهو البَسْطُ ، والدَّخُو أيضاً النكاح .
و « السَّهوك » من السَّهَكِ وهو السَّحْقُ ، ويقال : رِيحٌ سَيْهوكٌ وسَيْهوجٌ ، إذا
كانت شديدةَ المرورِ والهبوبِ .

و « الخمطط »^١ هو الكُحْكُحُ ، وهو الشيخُ الكبيرُ .

و « المرغ » الريقُ ، يقال أحرق ما يجافي مرغهُ ، أي ما يمسك ريقه ، والمرغ :
التراب ، في غير هذا .

و « معيك » فعيلٌ بمعنى مفعول من المَعَكِ ، وهو كالكنى .

وسأل عن الفوهْدِ ، والفوهْدُ والثوهْدُ : الغلامُ الممتلئُ شباباً ، وأنشدوا^٢ :

تَحِبُّ مِنَّا مُطْرَهَفًا فَوْهَدًا عِجْرَةً شَيْخِينَ غَلَامًا أَمْرَدًا
يَنْشُدُ بِالنَّاءِ وَالْفَاءِ .

و « القُلْفِعُ »^٣ الطينُ الذي يتقلعُ عن الكمأة . وفيها خلاف .

و « الهَبْرَجُ » من صفة بقر الوحش .

و « يرتبُّ » يفتعل ، من رَبَّ الأَمْرَ ، أصلحه .

و « المرْسَن » موضع الرسن .

١ لم أجد هذه اللفظة وأقرب الصور لها « لطلط » وهي بمعنى الكحك .

٢ اللسان (طرهف . فهد) والمطرهف : الحسن النام . والفوهد والثوهد والقلهد : الغلام السمين الذي قد راهق الحلم .

٣ لم ترد في الآيات ، فعمل فيها تنطاً .

و « الهلوك » الفاجرة لأنها تنهالك في مشيتها أي تتأيل وتتهادى .

و « لذم » بالمكان والذم ، مثل لزم وألزم .

و « الخرميل » المرأة الفاجرة ، وقيل الحمقاء ، قال مزرد^١ :

* إلى خرميل شر النساء الخراميل *

و « الهرط » النعجة المستنة و [اللحم المهزول] في غير هذا ، والهرط : الشق

و « دعكئة » أصله السمن والفتوة ، وهو ما لا يسأل عنه ، لأن كل ما زيدت

فيه النون في هذا الموضع يدل لفظه على اشتقاقه كما تدل سمعته ونظرته على السمع والنظر ، ودعكئة من الجلادة ، كأنه من الدعاك^٢

و « الخيس » الغابة ، وفي غير هذا الموضع اللحية .

و « الغانظ » فاعل من الغنظ وهو الكرب ؛ قال عمر بن عبد العزيز : في

الموت غنظ ليس كالغنظ وكظ ليس كالكظ ، وهما الكرب .

و « الخرفع »^٣ القليل من كل شيء .

و « المذيل » المكمل .

و « الطوائف » الأيدي والأرجل .

و « السدوك » لا أومين به لأنه يقال / [١٣٧] سدك سدكاً وسدكاً ، فان جاء

فيه سدوكاً فهو شاذ قليل ، وهو اللزوم .

قال ابن المغربي : هذا ما حضرنا من القول ، ولولا أننا لا نود أن ننهي عن

١ روايته في ديوان مزرد : ٤٨

رواء ومن شر النساء الخراميل

إلى صبيبة مثل المغالي وخرمیل

٢ ص : الدعاء .

٣ الخرفع : القطن وقيل ثمر العشر .

خُلِقَ ونَأْتِي مثله ١ لسألنا مستفيدين ، نشراً لما فيه من شفاء البيان ، لا نظماً لما فيه من التعاطي والطغيان ، فسألناه عن اللغة ان كان عُنيَ بها : عن العَلاَفيقِ بالعين ، فهو بالغين معروف ٢ ، وعن المِصْمَمَةِ بكسر الميم ، فهو بفتحها مشهور ، وعن هندٍ لا تضافُ الى الأحامسِ ٣ فان ذلك معروف ، وسُكْرَى بضم السين فهو بفتحها معروف . وعن الدَّونِ بالواو فهو بالياء معروف ، وعن الفَرْنَ بالفاء فهو بالعين مذكور ، وكم في الكلام أفعلة أسماء فهو في الصفات معروف ، وما النديمُ في الناسِ فانه في الجماد معروف ، وما الشاهدُ على جوازِ أفلاجِ بالجيم فانه بالحاء معروف .

هذا ان كانت اللغة عنده مهمة ، فان قال إن النحو هو المهمُّ عنده قلنا : فما جمعُ على أفعلةٍ أغفله سيبويه فلم يُلحِقْهُ بكتابه أحدٌ من النحويين ، وهل ذلك الجمعُ إن كنت عارفاً به مطرُداً أو محمولٌ على مكانه في اللفظ ؟ وعلى أي شيء خفض ﴿ وقيله يا رب ﴾ في قراءة حفص ، لا على ما أورده أبو علي الفارسي ، فانه لم يسلك مذهب في التدقيق عليه ؟ ولم منع سيبويه من العطفِ على [عا] ملين ، وهو في سورة الجاثية بنصب ﴿ آيات ﴾ ، ورفعهُ لا يتَّجِهُ إلا عطفاً على عاملين ، فان كان خطأ الأخفشُ فمن أين زلُّ؟ وان كان أصاب فكيف تجوزُ له مخالفةُ الكتاب ؟ وهل قولُ سيبويه في النسبة إلى أمية أمويّ - بفتح الهمزة - صوابٌ أو سهوٌ استمرَّ عليه وعلى جميع النحويين بعده ؟ ولم قيل معدي كرب ، ولم تحمل الياء في لغةٍ من أضاف ولا من جعلها اسماً واحداً إلا على ما أورده النحويون ، فلهم فيه أقاويل غير متجهة . وهل مذهبهم في أن سُدَى وَهْدَى مصدران صحيحٌ أم لا ؟ وهل

١ فيه إشارة إلى قول الشاعر :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

٢ ذكر ابن دريد في الجمهرة (٣ : ٣٩٦) العلافق وقال انه اسم موضع ، ولم يذكر العلافق .

٣ يقال لقي هند الأحاس إذا مات أو وقع في الداهية ، وإضافتها إلى غير الأحاس مثل هند الهند ، وهند بني سعد وما إلى ذلك ، ولكنني أعتقد ان ابن المغربي يشير الى ما هو أدق من ذلك .

بيض في قولهم : حمزة بن بيض اسم أم جَمْعٌ ، وما معناه في اللغة ووزنه في النحو مسموعاً لا مقيساً على ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة ؟ ولم اختاروا « أن » مع عسى وكرهوه مع كاد ؟

فان قال : لست أتشأغلُ بعلوم المؤدبين ، وإنما أخذُ بمذهب الحافظ ، إذ يقول : علمُ النسبِ والخبرِ علمُ الملوكِ ، قلنا له : فمن أبو خَلْدَةَ^١ فان أبا جِلْدَةَ^٢ معروف ، ومن العاضُ وما اشتقاقه^٣ فان العاصَ معروف ، ومن حَبْشِيَّةً - مفتوح الأول مخفف - فانه بالتشديد وضم أوله معروف^٤ ؟ ومن عمرو بن معدي كرب غير صاحب : « أمينُ رِيحانةِ الداعي السميعِ »^٥ فان هذا معروف ؟ وما اسم امرئ القيس على الصَّحَّة لا على هذا الظاهر وعلى أن في اشتقاقه كلاماً طويلاً فان هذا معروف ؟ ومن الزُّبَيْرُ غير الأسدي واليهودي فكلاهما معروفان ؟ ومن الزُّبَيْرِ بفتح الزاي فانه بضمها معروف^٦ ؟ ومن القائل :

وقابلة لجلجتها فَرَدَّدْتُهَا لَدَى الْفَرَسِ لَوْنَهِنَّهَا قَطَرَتْ دَمَا
أَرْجُلُ أَوْ امْرَأَةٌ ؟ وَهَلْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةِ قَلْبُ امِّ مَوْلَاةٍ ؟ وَهَلْ الْمُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِهِ فِي
« غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ » أَبُو كَعْبٍ بِالْبَاءِ أَوْ التَّاءِ ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ ، وَأَيُّهَا كَانَ اسْمُهُ

١ الحاء غير معجمة في ص ؛ وخذلة هي بنت طلق الهامبي ، حدثت عن أبيها ، وخذلة بنت العرباض بن كلاب ، روت عن عمها (الاكحال ٣ : ١٨٢)

٢ أبو جلدة بكسر الجيم مسهر بن النعمان ، وشاعر يشكري وآخر عجلي (الاكحال ٣ : ١٨٢)

٣ العاض بن ثعلبة بن سليم الدوسي ، وقال الوزير المغربي هو بلا تشديد (تبصير المنتبه : ٨٩٠) وهو من عضا بعضو الجرح أي كان بصيراً بالجراح .

٤ هنالك حبشية بن كعب بن ثور من مزينة (تبصير : ٤٨٦) وحبشية بن سلول ، وهذا الثاني يقرأ أيضاً بفتح الحاء وتخفيف الياء (تبصير : ٤٠١)

٥ صدر بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وعجزه : « يورقني واصحابي هجوع » (ديوانه : ١٣٦) ؛ وهناك رجل آخر بهذا الاسم وهو عمرو بن معد يكرب الزبيدي الاكبر جاهلي قديم (المؤتلف : ٢٣٣)

٦ الأسدي هو الزبير بن العوام ، واليهودي هو الزبير بن باطا من بني قريظة أسلم ابنه عبد الرحمن (الاكحال ٤ : ١٦٦) وهناك الزبير بن عبد الله الكلابي وقد عاش آخر خلافة عمر (الاستيعاب : ٥١٠) ؛ وأما الزبير - بفتح الزاي - فهو ابن عبد الله بن الزبير شاعر ابن شاعر (الاكحال ٤ : ١٦٥ - ١٦٦) .

ومن أي شيء اشتقاقه ؟ ومن النَّطْفُ الذي يُضْرَبُ به المثل فيقال : كنز النطف^١ ؟
ومن العكمص ، لا أسأل عن تفسيره فإنه في اللغة معروف^٢ ؟ وكذلك ذو طلال^٣ ،
وما خَوْعَى فأنَّ جَوْعَى معروف ، وهل أخطأ ابن دريد في هذه اللفظة أم أصاب^٤ ؟
وما تقول في عدنان غير الذي ذكره محمد مولى بني هاشم فإنه معروف^٥ ؛ وهل
يخالفُ فيه أم لا ؟ وحبيب والد ابن حبيب العالم رجل أو امرأة ، وهل هو لغية^٦ أم
لرشدة^٦ ؟ ومن أحمد بالجيم فهو بالحاء كثير^٧ ؟ ومن زَبَد بالباء فهو بالنون
معروف^٨ ؟ ومن روى عنه عليه السلام : « لا يمنع الجارُ جازَهُ أن يجعل خشبَهُ في
حائطه »^٩ وقال « خشبة واحدة » وقالوا كلهم : حَشَبَهُ مضافاً ؟ ومن يكشر ذكر
الحضرمي في شعره من العرب^{١٠} ؟ والتبيذ المشروب : هل كان معروفَ الاسم أم لا

١ هو النطف بن خبيري أحد بني سليط بن الحارث (انظر قصة احتيازه الكنز في نهار القلوب : ١٣٩ وشرح العيون : ٥٤ - ٥٥)

٢ العكمص : الحادر من كل شيء أو الكثير أو الشديد الغليظ وبه كني أبو العكمص التميمي (التاج : عكمص)

٣ ص : ذو طلال ؛ ولم يبين ما يريد هنا . وذو طلال : ماء قريب من الريدة وقيل هو واد لطفان (معجم البكري : ٨٩٢)

٤ جوعي المعروف هو مؤنث جائع وقال ابن دريد في الجمهرة (٢ : ١٠٥) إن جوعي موضع وأثبتها البكري عنه ، وذكر أنها جوعي بالحاء المعجمة في شعر امرئ القيس (معجم البكري : ٤٠٤)

٥ محمد مولى بني هاشم هو محمد بن حبيب نفسه وهو يذكر أن في الازد عدنان بن عبد الله بن الازد وقال غيره انه عدنان (الاكحال ٦ : ١٥٣ - ١٥٥)

٦ حبيب اسم أمه ويقال إن اباها غير معروف .

٧ أحمد بن عجمان شهد فتح مصر (تبصير ١ : ٣)

٨ زيد بن سنان بفتح الزاي ، وزند بن الجون ابو دلالة وزند في نسب عدنان (الاكحال ٤ : ١٦٨ - ١٦٩)

٩ ورد الحديث في البخاري (مظالم : ٢٠ وأشرية : ٢٤) ومسلم (مساقاة : ١٣٦) وسنن أبي داود (أقضية : ٣٦) وابن ماجه (أحكام : ١٥) والموطأ (أقضية : ٣٢) وسنن أحمد ١ : ٣١٣ ، ٣ : ٤٨٠ ؛ قلت : خشبة

(بالافراد) هي رواية أبي ذر ورواه غيره (خشبه « بالهاء - بصيغة الجمع ؛ وقال عبد الغني بن سعيد : كل الناس يقولونه بالجمع إلا الطحاوي) وانظر مزيداً من التفصيلات في ارشاد الساري ٤ : ٢٦٦)

١٠ الحضرمي : النعل المصنوعة بحضرموت ، وأراها ترد كثيراً في شعر كثير « الى مرهفات الحضرمي المعرب » (ديوانه : ٢٦٥) ، و « بأقدامهم في الحضرمي الملسن » (ديوانه : ٢٥٢) الخ ...

عند العرب^١؟ ومن روى عن ظئِرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنها قالت في شارفها: « وكانت لا تغذي أحداً » وما معناه^٢؟ ومن تفرَّدَ من أهل العلم بنصر ذي الرمة وتغليط الأصمعي في قوله: إيه عن/[١٣٨] أمّ سالم، لا على ما قاله النحويون من التعريف والتنكير، فان ذلك معروف^٣؟ ومن قال عن المتنبئة إنها سَجَّاحٍ مثل قَطَّامٍ ومن قال سجاج مثل غمام غير مبني^٤؟ ولم سميّ خليل الشاعر: خليل عيين^٥؟ ومن عُمَيّ التي تنسب اليها الصكّة فيقال « صكّه صكّة عُمَيّ »، وهل ذكر في شعر ومن ذكره^٦؟ ومن هو الذي تنسب اليه العرب الصلال ومن ذكره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ومن كرب المنسوب اليه معدي كرب^٧؟

١ التسمية معروفة ولكن الدلالة مختلفة، إذ كانت اللفظة تدل على كل ما نبذ في الدباء والمزفت فاشتد، ولكنه كان شيئاً غير الخمر ولهذا نجد القلمس يقول في الخمر:

أروي بها نفسي فتحيا بشربها ولا أشتهي شرب النبيذ من التمر

٢ ذلك هو حديث عبد الله بن جعفر عن حليلة السعدية وكانت قدمت المدينة تطلب ولداً ترضعه ومعها شارف-وهي ناقة مسنة؛ فلما قدر لها أن تكون مرضعة للرسول دَرَّ نديها وذرت الشارف « وقام صاحبي إلى شارفي تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا » وذلك بعد أن قالت: « ما يجد في ندي ما يغبنيه ولا في شارفنا ما يغذيه » (أسد الغابة ٥: ٤٢٧)

٣ قال ذو الرمة « وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم » - بكسر الهاء - قال الأصمعي: أخطأ ذو الرمة إنما كلام العرب إيه (بالتنوين) وقال يعقوب بن السكيت أراد إيه (بالتنوين) فأجراه في الوصل مجراه في الوقف وكذلك قال نعلب، كما قال الزجاج انه ترك التنوين للضرورة ولكن أبا علي الفارسي انتصر لذي الرمة وقال: اما هذا فالأصمعي مخطيء فيه .. ديوان ذي الرمة: ٧٧٩ واللسان والتاج (إيه)

٤ يقول الازهري وابن دريد والمجوهري وغيرهم من اللغويين انها « سَجَّاحٍ » مثل قطام؛ ولم أعتز على من أجاز أن تكون مثل « غمام ».

٥ قيل سمي بذلك لأنه كان يسكن أرضاً بالبحرين تعرف بعيين (الشعر والشعراء: ٣٧٣)

٦ الصكّة: شدة الهاجرة، يقال: لقيته صكّة عمي وصكّة أعمى وهو أشد الهاجرة حرّاً. وقال بعضهم: عمي اسم رجل من العاليق أغار على قوم في وقت الظهيرة فاجتاحهم، ويقال هو تصغير أعمى مرخاً. وأنشد ابن الأعرابي:

صكّها عين الظهيرة غائراً وعمي ولم يتعلن إلا ظلالها

٧ معد يكرب اسم يمني يرد في النقوش، وهو سبأبي محض، ولا تنطبق عليه التفسيرات التي يوردها لغويو عرب الشمال.

وهل أصاب المترد في نسبة الأبيات الجيمية :

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعني أخذت بُرْدِيَّ واستمرتُ أدراجي
أم أخطأ ؟

فان قال إنه صاحبُ سيرٍ وآثارٍ وأحكام ، قلنا : أرشدك الله ، وما معنى قوله عليه السلام : « من سعادة المرء خفة عارضيه » وهو عليه السلام لم يكن خفيفَ العارضين ، لا على ما فسره المترد فانه لم يأت فيه بشيء^٢ ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « تسحروا فإن في السحور بركة »^٣ ونحن نرى [أنه] ربما أهاض وأنخم ، وأضرَّ وأبشم ؟ ومعنى قوله عليه السلام : « اتقوا النار ولو بشقِّ تمرٍ »^٤ ولو سرق سارق [كيلجة] تمر فتصدق بنصفها كان مستحقاً للنار عند أكثر المسلمين ؟ وما معنى قوله عليه السلام : « لا يزال الأنصار يقلّون ويكثر الناس »^٥ ؛ ولو شئنا لعددنا أشخاصهم أكثر مما كان في البادية والحاضرة ؟ ومعنى قوله « ان امرأ القيس حاملٌ لواء الشعراء الى النار »^٦ وهل يثبت الخبر أم لا ؟ ولم قال : « ان من الشعر

١ نسب المترد هذه الأبيات للراعي (الكامل ١ : ٢٨١) وفي ظنه انها للراعي النميري ، وبين الأمدي الأمر في

المؤتلف : ١٧٧ إذ قال انها للراعي الكلبي واسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأوص .

٢ اورد المترد هذا الحديث في الكامل (٢ : ١٢٩) وقال : ليس هذا يناقض لما جاء في إعفاء اللحى وإحفاء الشاربين .

٣ ورد الحديث في النسائي (صيام : ١٨) وابن ماجه (صيام : ٢٢) والدارمي (صيام : ٩) ومواضع متعددة من مسند أحمد ، منها ٢ : ٣٧٧ ، ٤٧٧ ، ٣ : ٣٢ ، ٩٩ (انظر معجم الفاظ الحديث)

٤ ورد في البخاري (أدب : ٣٤ ، زكاة : ١٠ ، رقائق : ٥١ ، توحيد : ٣٦) ومسلم (زكاة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠) والترمذي (قيامة : ١ ، زهد : ٣٧) والنسائي (زكاة : ٦٣ ، ٦٤) وابن ماجه (مقدمة : ١٣ ، زكاة : ٢٨) والدارمي (زكاة : ٢٤) ومسند أحمد ١ : ٣٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤ : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٧٧ ، ٦ : ٧٩ ، ١٣٨ .

٥ الحديث في البخاري (الجمعة : ٢٩) ومناقب : ٢٥ ومناقب الانصار : (١١)

٦ تروده الكتب الأدبية ، انظر مثلاً الشعر والشعراء : ٦٧ وليس في الأحاديث المتعلقة بامرئ القيس ما هو قوي مقبول منها .

لحكمة^١، ثم قال عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم^٢ وهل تخرج الحكمة من جوامع الكلم ؟

فان قال : إنما أفنيت عمري في القرآن وعلومه ، وفي التأويل وفنونه قلنا : اذن يكون التوفيقُ دليلك ، والرشادُ سبيلك : صفُ لنا كيف وقعَ التحديُّ بهذا المعجز ليمت بوقوعه الإعجاز ، وأخبرنا عن صفةِ التحديِّ : هل كانت العربُ تعرفه أم لا ، أم كان شيئاً لم تجرِ عادتها به فكان إقصارها عنه ، بل لأنه التماس ما لم تجرِ المعاملة بينهم بمثله ، ثم يُسألُ عن التحديِّ هل لقي بعارضة بان تقصيرها عنه أو لم تكن بعارضة ، ولكن القوم عدلوا إلى السيف كما عدل المسلمون مع تسليمهم ولم يعارضوه . ثم يسأل عن قوله تعالى ﴿ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (النساء : ٨٢) وفيه من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ما لا يكون أشدَّ اختلافاً منه^٣ ؛ ويسأل عن قوله تعالى ﴿ وغرايب سود ﴾ (فاطر : ٢٧) وما معنى الزيادة في الكلام ، والغرايبُ السودُ هي الغرايب ، فان قال تأكيداً فقد زل ، لأن رجحان بلاغة القرآن إنما هو إبلاغ المعنى الجليّ المستوعب إلى النفس باللفظ الوجيز ، وإنما يكون الاسهابُ البليغُ في كلام البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبة العالية من البلاغة ؛ على أنه لو قال تأكيداً لخرج عن مذهب العرب ، لأنَّ العرب تقول : أسودُّ غريب ، وأسودُّ حالك وحلوكك ، فتقدم السواد الأشهر ثم

١ ورد في البخاري (ادب : ٩٠) والترمذي (ادب : ٦٩) وابن ماجه (ادب : ٤١) والدارمي (استئذان : ٦٨) ومواقع كثيرة من مسند أحمد منها ١ : ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ... الخ .
٢ حديث أعطيت جوامع الكلم في مسلم (مساجد : ٥ - ٨) وأثرية : ٧٢) والبخاري (تعبير : ١١) والترمذي (سير : ٥) ومسند أحمد ٢ : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ... الخ وحديث « بعثت بجوامع الكلم » في البخاري (جهاد : ١٢٢) وتعبير : ٢٢ واعتصام : ١) والنسائي (جهاد : ١) وتطبيق : ١٠٠)
٣ يرى الزمخشري ان عدم الاختلاف هنا معناه عدم التناقض والتفاوت في مستوى النظم والبلاغة والمعاني ، وصدق الخبر .. (الكشف : ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧) .

تؤكدده ، وهذه الآية تخالف ذلك ، فإذا بطل التأكيد في المعنى^١ ؛ وما معنى ﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل : ٢٦) وهل يكون سقف من تحتهم فيقع لبسٌ يحتاج إلى إيضاحه بذكر فوق وتحت^٢ ؟ ونحو منه قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ (النحل : ٥٠) وهل لهم ربٌّ من تحتهم ؟ وما معنى فوق ها هنا ، وهل تدلُّ على اختصاص مكان^٣ ؟ وما معنى قوله ﴿كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (النحل : ٧٧) وما هذا الأقرب^٤ ؟ وما معنى قوله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة : ٧٤) وهل شيء أشدُّ قسوةً من الحجارة^٥ ؟ وما معنى قوله ﴿إِلَهِينِ اثْنَيْنِ﴾ (النحل : ٥١) وهل بعد قوله (إلهين) إشكال بأنهم أربعة فيستفيد بقوله اثنين ثبات المعنى^٦ ؟ وما معنى قوله ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة : ٢٨٢) هَلَّا كان أوجز وأشبه بالمذهب الأشرف في العربية ؟ وما معنى قوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّهُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل : ٤٧) ومن أين تُناسِبُ الرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ هَذَا الْأَخْذَ الشَّدِيدَ عَلَى التَّخَوُّفِ الَّذِي يَقْتَضِي الْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ^٧ ؟

١ قال الزمخشري : فان قلت : الغريب تأكيد للأسود ، يقال اسود غريب وأسود حلكوك .. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يفتي وما أشبه ذلك قلت : وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة « والمؤمن العائذات الطير » وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاضمار والاظهار جميعاً (الكشاف ٣ : ٣٠٧)

٢ الوجه في « فوق » هنا في قوله « وهو القاهر فوق عباده » أي أنهم يخافون ربهم عالياً قاهراً لهم (انظر الكشاف ٢ : ٤١٣) ؛ وقوله « كلمح البصر أو هو أقرب » أي كما تبالغون أنتم حين تستقربون شيئاً (نفسه : ٤٢١) ؛ وقوله « إلهين اثنين » الوجه فيه : ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريد التأكيد على ان المقصود هو العدد شفع بما يؤكد فقيل إلهين اثنين او رجل واحد .. الخ (نفسه : ٤١٣) ويأخذهم على تخوف أي وهم متوقعون وقيل هو أن يأخذهم على أن ينتقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم وبذلك تكون الرأفة والرحمة حيث يحلم عنهم ولا يعاجلهم مع استحقاتهم (نفسه : ٤١١) .

٣ ان قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعال التفضيل وفعل التعجب قلت : لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ، ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الاقسي ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة (الكشاف ١ : ٢٩٠) ولم يورد الزمخشري توجيهها لتكرير كلمة « احداها » في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ، وذهب أبو حيان الى أنه أبهم الفاعل في أن تضل بقوله « احداها » ولهذا أبهم الفاعل في =

وعلى أن هذا السائل لو علم لسأل عن الصناعة التي أنا بها مُرتَسِمٌ ، وبشروطها مُلتَزِمٌ ، لا في الترسُّلِ / [١٣٩] فإني ما صَحَبْتُ به ملكاً ؛ ولكن في صناعة الخراج ، فكان يجبُ أن يقولَ : ما البابُ المسمَّى المجموع من الجماعة^١ وأين موضَعُهُ منها ، وأيُّ شيء قد يكون فيه ولا يحسن ذكرُهُ في غيره ؟ وأن يقولَ : ما الفائدة في إيراد المستخرج في الجماعة ومن كم وجه يتطرَّق الامتثال عليها بالغاية منها ؟ وأن يقولَ : ما الحكم في متعجِّلِ الضمان قبل دخولِ يدِ الضامن ، وأيُّ شيء يجبُ أن يوضع منه إذا أراد الكاتبُ الاحتسابَ به للضامن من النفقات ، وخاصةً من جاري العامل ، وفيه أقوالٌ تحتاجُ إلى بحثٍ ونظرٍ ؟ وأن يقولَ : إنَّ عاملاً ضمنَ أن يرفعَ عمله بارتفاعِ مالٍ إلاَّ أنه لم يضمنْ استخراجَ جميعه ، وضمنْ استخراجَ ما يريدُ على ما استخراج منه خمسَ سنين إلى سنته بالقسط ، كيف يصحُّ اعتبارُ ذلك ، ففيه كمينٌ يُحتاجُ إلى تفصيله وتأمله ؟ وأن يقولَ : لِمَ يُقدِّمُ المبيعُ على المستخرج ، والمبيعُ إنما هو من المستخرج ، وكيف يصحُّ ذلك ؟ وأن يقولَ : أيُّ غلطٍ يلزمُ الكتابَ وأيُّ غلطٍ لا يلزمه ؟ وأن يقولَ : متى يجبُ الاستظهارُ للسلطانِ في صناعة الخراج ومتى لا يجوزُ الاستظهارُ له ؟ وأن يقولَ : متى يكون النقصُ في مالِ السلطانِ أسدً في صناعة الكتابة من الزيادة ، ولست أعني نقصَ الارتفاعِ مع العدل ، وعادلَ زيادةٍ مع الجور ، فذلك ما لا يُسألُ عنه ، وأن يقولَ : ما بابُ من الارتفاعِ إذا كُنْزُ دَلٌّ على قَلَّةِ الارتفاعِ ، وإذا قلَّ دَلٌّ على جِمام الارتفاعِ ووفوره ؟ وأن يقولَ : متى تكونُ مشاهدةُ الغلطِ أحسنَ في صناعة الكتابة من عديمه ؟ وأن يقولَ : كم نسبةُ جاري العمل من مبلغ الارتفاعِ وأول من قرَّره ورثَّبه ؟ وأن يقولَ : ما رتبتانِ من رتَبِ الكتابة إذا اجتمعتا لكاتبٍ بطلت أكثرُ حججه في احتساباته ؟ وأن يقولَ : هل يطردُّ في أحكام

= « فتذكر » فكرر إحداها ، إذ كل من المرأتين يجوز عليها الضلال والاذكار فلم يرد بأحداها معينة (البحر المحيط^٢ ٢ : ٣٤٩)

١ الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ، ولا يسمى موافقة ما لم يرفع باتفاق ما بين الراجع والرفوع إليه ، فان انفرد به أحدها سمي محاسبية (مفاتيح العلوم : ٣٨) .

الكتابة حملها على مناصبة أحكام الفقه أم لا ، وهل يذهب [الى ذلك] أحد من متقدمي الكتاب ، وما الحجّة فيه ، وبالله التوفيق .

قال ابن بسام : وهذا المجموع إنما هو لسان منظمٍ ومنثور ، لا ميدان بيانٍ وتفسير ، أورد الأخبار والأشعار لا أفك معًاها ، في شيء من لفظها ولا معناها ، ولو ذهبت فيه إلى إيضاح مبهم ، وإعرابٍ مُستعجم ، لكانت هذه الفصول أولى ما فتحت مُقفله ، وأكد ما أوضحت مُشكلة ، على أنني قد ألمعت فيه ببعض تنبيه ، بين ذكرٍ أجره ، ووجهٍ عذرٍ أريه .

فصول من سائر ترسيله

فصل له من رقعة : وقفتُ على كتابك ولم أزل أثنمُ ، كأني قد ظفرتُ باليد التي بعثته ، وأضمه كأني أضمتُ الجوانح التي نثنته ، وكأني كلما أدنيتُهُ إلى الكبدِ المعذبةِ ببعديك ، وأمررتُهُ على العينِ المطروفةِ بفقدك ، سحبتُ على النار ذيلَ السحاب ، وسقيتُ عطشَ الحبِّ كأسَ الرضاب ، وأعرتُ أخا سبعين ظلَّ الشناب ، فأرختُ يومَ قدومه لأجعله موسمًا للسرور ، وعيداً باقياً على الدهور ، ارتقبُ السعدَ عنده كلَّ عام ، وأنتظرُ الفرجَ منه من كلِّ غرام ؛ وأتفقَ ورودُهُ في أشرفِ فصولِ الدهرِ حسباً ، وأكرمَ مفاخرِ الأيام نسباً ، حين ابتداءِ الربيعِ يزخرفُ بروده ، والروضُ ينظمُ عقوده ، وكنتُ أعرفُ هذا الفصلَ باعتدالِ منهاجه ، وصحةِ مزاجه ، وأنه لو كان الزمنُ شخصاً لكان له مُقبلاً ، ولو أنَّ الأيامَ غوانٍ لكان لها حليلاً وحللاً ، لأنَّ الشمسَ تخلصُ فيه من ظلماتِ حوتِ السماء ، خلاصَ يونسَ من ظلماتِ حوتِ الماء ، فإذا وردتِ الحملَ وافتأ أحبُّ أوطانها إليها ، وأعزُّ مساكنها عليها .

وفي فصل منها : فيا حُسنَ تلك الصحيفةِ ومدادها يُنتهبُ بالأفواه ، ويزيدُ بالتقبيلِ لعساً في الشفاه ، ويا عجباً كيفَ حفظَ مع بُعدِ العهدِ نثرَ عرْفِكَ ، وكيفَ

علق مع تراخي الأيام طيبَ كَفْكَ ، وكيف جاءَ كأثكَ كَتَبْتَهُ من أمم ، وأنفَذْتَهُ وبيننا خطوةً قَدَمَ ، وكيف لم يغيره ما قطعَ من مهاولِ قفار ، وليلٍ ونهار ، وعدوٍ كاشح ، ورقيبٍ لامح ، فأنعِمَ به من ريحانةِ ألفاظٍ دامتْ لدوتها ، وباكورةٍ وصاليٍ سلمتْ غضوضتِها^١ ، ومسحةٍ يدٍ بقيَ أثرها أَرَجَا ، وروضةٍ كلم دام على الصيف بهجتها^٢ .

وفي فصل منها : فامَّا سُؤْلُكَ عَنِّي فَمَا يُشْبِهُ سِيرَتَكَ الحسنى ، ولا يليقُ بطريقتك المثلى ، كيف تسألني والإجابةُ معك ؟ وكيف تستخبرُني ومحلُّ الخَبْرِ والاستخبارِ عندك ؟ / [١٤٠] ومتى سمعتَ بجوابِ جَسَدِ رهينةٍ ؟ وأين رأيتَ طِباحَ عينٍ لواحظها مقيدةٌ كليله ؟ ألم أفارقكَ وقلبي عندك أعشار ، وأضلعي منه قفار ؟

وفي فصل : وردتُ الموصلَ التي خالفَ اسمُها معناها ، وكانتُ مَقْطَعاً بيننا لولا خُدُعُ الأمانى ، وَفَصْلاً لولا المرجوُّ من عفو الليلي ، فوجدتُ هواءَها يعطلُ سوقَ يقراطٍ اعتدالاً وطيبة ، وماءَها يُسلي عن مجاجِ النَّحْلِ استمراءً وعدوية ، وصقعها قد تَبْعَدَدَ رقةً ولطفاً ، وجوَّها قد تزندقِ تنعماً وظرفاً ، تكادُ تُثْقِلُهُ عقودُ الغانيات ، وَيُجْجِلُهُ تتابعُ اللحظات ، كلُّ شماله نسيم ، وكلُّ جنوبه حياً عميم ، ورأيتُ أرضَها أطيبَ الأرضِ خيما ، وأزَيْنها أديماً^٣ ، تُنْسَجُ بالسُّنْدُسِ الأخضر ، وتفتُرُّ عن الأقحوانِ الأحمر ، والفيثُ بنيانها هو الذي حمده اللهُ في تنزيله^٤ ، وأحبه لنا أن نكونَ مثلهُ جهاداً في سبيله ، مَرْصُوصاً بِوَقَاحِ الجلمد ، ملاءماً بينه بالشَّيدِ الممرِّد ، قد حُصِّنَ ظاهره على باطنه عن تداخلِ الإبر ، ومساكنِ الذرِّ ، يزلُّ عنه ظُفْرُ الطائرِ ، وتندحرُجُ عليه أحداقُ^٥ الناظر ، وتُعْنَى به العروسُ عن الماويِّ المنيرِ^٦ ، وتستبينُ

١ ص : غضاضتها ، وهو عند بعض اللغويين جائز ، وأنكره علي بن حمزة ، والالتزام به هنا غير ذاهب مع السجع

٢ كذا وردت العبارة في ص ، ولعلها « دام على الصيف زهرها بهجاً » أو ما أشبه .

٣ ص : ديمياً .

٤ يعني أنه بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً (انظر الآية ٤ من سورة الصف) .

٥ ص : اكداه .

٦ الماويّ : حجر البلور أو المرآة .

به الجفونُ منابتَ الشكيرِ من أهدابها والغميرِ ، متلاقيةً أقطارها على رجالِ كأنهم
أنسلاءُ عادٍ وثاقَةَ أجسام ، وصلابةُ أحلام ، وَبُعْدَ مَرَام ، لطفوا عن بدويةِ الشام
وغلظته ، وجمدوا عن ذُوبِ العراقِ وخلايته ، قد عُقِدَتْ ألسنتُهُم بالصدقِ فما ينتشرُ
الباطلُ من عذباتها ، وصحَّتْ غرائسُهُم في المودَّةِ فما يُجْتَنَى الغَدْرُ من ثمراتها ، إن سلماً
فسلماً وإن حرباً فحرباً ، لا يعرفون تدليسَ الأخلاق ، ولا تمويهَ النفاق ،
وشعراؤهم^١ ملء اليدين ، وكتائبهم أثرٌ بعد عينٍ ، أدبهم [حسن]^٢ على قلةِ
الملوكيِّ فيه ، وعلمهم مُتَقَنَّ لِمَن تَأَمَّلَ أدقَّ مسرِبٍ^٣ في فِتْنِ معانيه ، قد مَحَّصَ
تهذيبُ المحنِ شرارَهُم وأوهنَ خيارَهُم ، بَلَدُهُم أَطْلالُ ، وأحوالُهُم آل ، قوِيَهُم يثنَّ
ضعفاً ، وضعيفُهُم يماطلُ حَتْفاً ، بَقِيَتْ عليهم أسماؤُ النعمِ وذهب الدهرُ باجسامها ،
وانجلت عنهم ظُلُلُ المحنِ وهم يتأوهون من غيرِ آلامها ، إلا أنَ فيهم بقيَّةٌ نقيَّةٌ ،
وفيهم موضعُ تداركٍ إن رُزِقوا سيرةً مرضيةً ، فلولا ما أَرْجُوهُ من مداوِةِ أسقامهم ،
وإعادةِ صالحِ أيامهم ، لفضاني الانتفاءِ بمعاشيتهم قبلَ معاناتهم ، وبملاحظتهم قبلَ
مقاساتهم ، لكتبي أعلمُ أنَ من يحيي العظامَ وهي رميم ، ويبعثُ^٤ الروضَ وهو
هشيم ، وينشئ [...] بعد ما كانت قفاراً ، ويجعلُ من الشجرِ الأخضرِ
نارا ، قادرٌ على أنَ يجعلَ ثوابَ نيتي فيهم معونتي على ما أنويه لهم ، وجزاءَ تأملي بهم
بلوغِ الغرضِ في تداركِ رَمَقِهِم .

وفي فصل : لو أَطَقْتُ تفصيلَ المِجْمَلِ ، وإيضاحَ المُشْكَلِ ، لجرتُ لك به
يدي طَلَقَ الجموح ، ولأغنتك أسيارُهُ عن الوترِ الصَّدوح ، إلا أنَ القلبَ عليل ،
والخاطرَ كليلى ، والزمانَ ببلوغِ الأملِ بخيلى .

١ ص : وسفراؤهم .

٢ لبس في موضعها بياض في ص .

٣ ص : متقن من مسرباً .

٤ ص : ويبعث (دون اشعاع) .

وفي فصل من أخرى إلى ذي السعادين^١ : للرياسة كُلف لا يستقلُّ بها إلا المهذبُ الكاملُ ، ولا يخطو تحت أثقابها إلا الأوحُدُ الفاضلُ ، ولا يبلغ ذوائبَ أعاليها ، إلا مَنْ شربَ الأجاجَ من ماءٍ واديها ، ولا يلذُّ بملكها إلا من أعلى المهْر من كريم مساعيه ، ولا يفضُّ ختامها إلا من جعل منازلَ الخطوب سلكاً لعقود أيامه ولياليه ، ولذلك قيلَ ما أنشدتهُ استبصاراً ، وأنا إلى إيراده أئينُ إصراراً :

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصِّبراً^٢

وإنَّ سياسةَ الأقوامِ فاعلمُ لها صعداءُ مَطْلَعُهَا طويلُ^٣

ويظلموا فنرى الألوانَ مسفرةً لا خوفَ ذلٍّ ولكن فضلُ أحلامِ

ويحتاجُ الرئيسُ إلى أعوانٍ يُظهرُ بهم كمينَ مكارمِهِ ، وَيُضِي فيهم وبهم ماضي عزائمِهِ ، فلولا الطالبُ لعاش الكريمُ مطويّاً على حَسَرَاتِ أوطارِهِ ، ولولا الخاطيءُ لما وجدَ الحليمُ لذّةَ حلمه ووقاره ، وكلّما كان التابعُ أبعدَ مذهباً في معناه ، كان المتبوعُ أشدَّ جَدلاً بظهورِ مناقبهِ وعلاه .

وفي فصل : وقد كانت مني كباثرُ تكتنّفُها معاذيرُ لا أشينُ وجّهَ العفوِ بإيرادها ، ولا أنتقصُ جملةَ الصّفح والغفران بتعدادها ، في أنْ لم أفتتحُ مناسكي بالسّعي إلى حَضْرَتِهِ ، ولم أبدأ من مطالبِ شرّعي بالتوفّر على / [١٤١] خِدْمَتِهِ ، وقد عَلِمَ اللهُ

١ ذوا السعادين هو الحسن بن منصور أبو غالب وكان وزيراً للسلطان البويهبي بهاء الدولة ثم وزير بعده لسلطان الدولة (٤٠٩) ثم نالته لشرف الدولة (سنة ٤١٢ ؛ وتوفي في هذه السنة نفسها) .

٢ من أبيات تنسب لرجل من بني اسد (شرح المضمون : ٤٧٣)

٣ ورد البيت غير منسوب في اللسان والتاج (سعد) ؛ واكمة ذات صعداء : يشتد صعوبها على الراقي .

أن ذلك ليس من اعتلال بصيرة بشرف الانتفاء إليه ، ولا انخفاض همّة عن سعادة
المثول بين يديه ، ولا إمعان في البدويّة - وإن كنت من أهلها - حتى أذهل عن
مطلع النّير الأعظم من الأفق الذي سكنت ظلّه ، ومفيض الفرات الأعذب من
البلد الذي استوطنت محله ، ولا أن ذكره لم يكن في تلك الأوطان زينة الأعياد ،
وحلية البلاد ، وأنس الحاضر والبادي ، وبلغة المسافر والحادي ، ولا أني لم أكن
ذكيّ الخاطر بتلاوق مآثر الآثي ، ومستشفياً بنسيم الريح من أرضه وسائه ، ومُعجباً
بما جمع الله فيه لعفاة أهل الأدب ، بل السراة أهل الرتب ، ومعنى قول القائل :

يأتيك عن فهم الثناء عطاؤه عفواً وتلك عطية المستبصر
كرمُ تكشف عن حلى آدابه كالبحر يكشف غمّره عن جوهر

وفي فصل من أخرى : ولما أزعجتني الأقدار إلى هذا المقبر الجليل على
اضطرار باد ، بنبو ذلك المهاد ، وردت مطروف الناظر ، كليل الخاطر ، فقصدت مع
ذلك خدمته - في وروده الأول - باللقاء أو استطلاع الإذن بالمكاتبة ، فأعجلها
مسيرة الميمون ، فأحلت بذلك على الجدّ الظنون ، والزمن الخوون ، ثم كتبت
مستبدها في هذه الرقعة بأمور يشف عنها الكتمان بصادق ظنه ، وينم بها السر
والاختفاء إلى نجيّ ذهنه ، فلم أبشر بقدمه حتى أنذرت بصدّره ، وقد كان من
الحق أن أسير في أثره ، وأنفذ في تصيد العزّ بملاحظة عُمرته ، واستلام حضرته ،
ولكني أهديت من ضعف عذري وقوّة ذنبي زينة إلى حلمه ومسامحته ، ورجوت أن
يضيف إلى الإغضاء عن زلتني تريباً لي بما حرّمته طول هذه المدة من خدمته ، فان
حقّق محيّل الظن في الإغضاء فيفضله ، وإن أعرض عن كلّ من تعرب عليه
الشمس لجرمي فبعده ، وإن يك ظني صادقي^١ فسينخدع لي انخداع ذوي
الإنعام ، ويتغابن في صمتي عن^٢ إيجابه تغابن الكرام ، بأريحيته اللدنة الأعطاف .

١ ص : صادقي .
٢ ص : قيمتي من .

ورياسية الموطاة الأكناف .

ومن جواب ذي السعادتين له : للسودد محل يدعو إلى نفسه ، ويُسفر عن شمسهِ ، ويأبى أن يتقلقل به مهاده ، أو يتململ بقراره وساده ، أو يكون إلا لمن وطأ له [كنفاً] ، وألان بحمله معطفاً ، واستقل بأعباء تكاليفه ، وأغمض بدائع أفكاره في تضاعيفه ، ونص^١ المذكيات في مضماره ، واستبرد المصطفى من أواره ، وغدا لفارده عشرأ ، وشرح للعناء^٢ فيه صدرا ، وكان كما قيل : إن رأى حسنة قال ، أو رأى سيئة أقال ؛ فقد أحسن القائل :

إِذَا يَرِينِي مَفْصِل^٣ فَقَطَعْتَهُ فَيُوشِكُ أَنْ يَدَوِيَ لِدَلِكِ سَائِرُهُ
وَأِنَّمَا نَصَصْتُ عَلَى الْمَوْجِعِ الْأَنْبِيَّ مِنْ حَضْرَتِهِ ؛ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ بِنَارِهِ وَسِمْتُهُ ، لِيَأْذًا
بِقُوَّةِ الدَّوَاعِي مِنْهُ فِي تَمَثُّلِ مَا أَجْرَاهُ الْإِتْفَاقُ عَلَى ضِدِّ الْمَرَادِ ، وَتَنَاهِ الْقَدْرُ الْغَالِبُ فِيهِ
عَنْ غَرَضِ الْإِعْتِقَادِ ، وَسَنَنِ الْإِرْتِيَادِ .

وفي فصل منه : حتى بدا مطلع الأمل من حيث شيمته ، وصدق اليقين بتلك الأوصاف اللائقة ، والفضائل الشائقة الرائقة ، ما تصوّرته وتحققته ، وذّر البدر^٤ الكامل بالكتاب العرب عن جميع أدوات الفضل ومعانيه ، وبوارع الأدب^٥ النبيل ومعاليه ، فأكرم به من واصل بالمعنى في موضع العتب ، ووافد بالحسنى على الأساءة بالذنب ، وأعجب بما حواه من رائع البلاغة وبارع العبارة ، ومستكرم المائة ، ومستغنى الاطالة . ولقد أخبر من أنباء السلامة في النفس المحروسة ما ضاعف المسرة ، وضاعف الغبطة والحبرة ، وأشار فيما عداها إلى ما أسال العبرة ، وأشعر الحسرة ، ولله تعالى في مثل ذلك الطاف توضح عن حُسن عواقب

١ ص : وتسل .

٢ ص : للهاء .

٣ ص : ما يريني مفصل .

٤ ص : ذر البدر .

٥ ص : ووارع الأب .

التفويض ، وتقوم باكرام الانابة والتعويض . وقد استرهن عندي ببسدا التطول
بالمكاتبة يداً ، اقتضى اعتدادي بها وشكري لها بما يبرهن عن توافقنا في الصفاء ،
وتشاكلنا في الإخاء ، وسيدي يطبع في ذلك بواعث كرمه ، ونوازع شيمه .

فأجابه ابن المغربي برقعة قال فيها : ألقى إلى كتاب كريم يكتفي شرف
الهمة بخيال عنوانه ، ولا يُبلِّغ بشق النفس شكر ظاهره فضلاً عما في طي جنايه ،
ففضضت عن الروض العازب ، والتقطت منه فرائد الكواكب ، ووجدت فيه نسيم
الشباب ، وتعللت به في عطف الأيام / [١٤٢] السالف العذاب ، ووجدته قد
احتوى من عقائل الفصاحة وكرائم البلاغة على ما يُعدي المعجم العبي فينطق
متخيراً ، ويُشده الناطق البليغ فيبلس متحيراً ، وظننت أن العشاق لو أعيروا من
ألفاظه مزاجاً للمرشف ، وهبوا من أنفاسه عطرًا للسوالف ، لصالوا بحجج تجل
عن تسمية المعاذير ، وتصبغ الخطأ بلمع الصواب المنير ، ولو أنهم جعلوه رمي سهم
الفرق لكفت عوادها ، وأخذة لأعين الرقباء لطفرت [من] ماقيها ، ولو أن الحمام
أصغت إليه لعاد نوحها شدواً ، ولو أن الليالي تندثر به لصارد جأها غدواً ، وعجبت
مما حمل على منتي الضعيفة من منن كنت قبلها نضو العزيمة فكيف [أنهض] بها ،
ومن مبارً يكاد يمنعني فادح أثقالها أن أستار مرفقها ، فلو أن ذلك الكتاب الجليل
صدر إلي من عدوي لاهترزت ببدايع ما فيه ، ولو أنه تاه عن إنعام علي لغالطني
عذوبة لفظه عن مرارة معانيه ، فكيف وقد جاءني عن الأيام عنتي ، وجعل قلبي
لخواطير الجدال نهياً ، ولست ألم بشكره عن هذه العاطفة الكريمة فأوهم أنها مما تتناوله
أفكاري الكليلة ، ولا أتعرض لحمدها فأحبط أجري في الاعتراف بالتقصير عن
مواهبها الجزيلة ، ولكن أوفيها ، ما وجب من إظهار العجز فيها .

وفي فصل منها :

١ ص : تندهما ، وعليها علامة خطأ .

* وأيّن الثريّا من يدِ المتناولِ *

لوأعنتُ بما تلاقى عليه [...] من خواطرٍ ملتَهبةِ المطالعِ ، وألسنةٍ معروفةٍ المقاطعِ ،
لما ازداد هذا الدّينُ عليّ إلاّ توثّقاً ، ولا استجدُّ هذا الحقّ إلاّ تعلقاً ،
* دَعُ ذَا وَعَسَدُ الْقِسْوَلِ فِي هَرَمِ ١ *

أنا الآن من التّشوّقِ إلى خدمته لو وجدتُ إليها سبيلاً ، وأعملتُ نحوها
رحيلاً ، وقد كنتُ ارتحتُ للفقرة التي تضمنها كتابه العالي من ذكر التفويضِ
والتعويضِ ، ورأيتُ أنها لو صدّرت عن الحسنِ البصريّ لما زادتُ ٢ على ما غشّأها
في عيني من البهائمِ وجلالةِ الصدقِ ، ولقد انتفعتُ بها ورجوتُ يُمنَ نقيبتها
[وَحُسْنِ] عاقبتها . وجملة ما أقترحه ان يتصوّر في ما يتصوّر في بعض الأقرين
من خادمٍ يُصطَنعُ فيجرى من الحنوِّ عليه مُجرى خواصّ الأهلِ وأداني الأصحابِ ،
فله الرأي العالي في إنزالي حيث أنزلتُ نفسي من الاختصاصِ بجهته ، فأما المكاتبَةُ
فقد تقدّم القولُ في اقتناعي منها بمثل طيفِ الخيالِ ، أو رضائي أن يخطر ذكري
بالبال ، إن شاء الله .

وطار للشريف أبي طاهر بازٍ كان يتصيد به ، فكتب إليه : بلغني خبرُ الغاورِ
المفارقِ ، والباشقِ الآبقِ ٣ ، فشاركته في الاستيحاشِ [مِنْ فراقِهِ] لما كان يُبدعُ
من مصايدِهِ ، ويقرب عن مطارده ، ورأيتُهُ قد شابَ فضائلُهُ بهذا الغدر الذي يُسلي
عن تذكّاره ، والإباقِ الذي يُنسي محاسنَ آثاره ، والنكثِ الذي ختم به عواقبَ
عهده ، وبغضِ إلينا ، بل إلى سيدنا ، استخدم أمثالِهِ من بعده ، لأنّ أحقّ الناسِ
بكرَاهةِ الغدر من كان الوفاءُ رضيعَ لبانه ، والحفاظُ منبتَ أصولِهِ ومنشأَ أغصانه .

١ صدر بيت زهير بن أبي سلمى ، وعجزه : « خير الكهول سيد الحضرة » (شرح ديوانه : ٨٨)

٢ ص : رددت .

٣ ص : الاريق .

وكأني بفقده وهو عند الدراج من أنعم الأعراس ، ومن الوحشة منه وهي بين سراب
الطيور من ألد الإيناس ، لأنها أريحت بعده من حثفها العاجل ، وسَمَّها القاتل ،
وأجلها القاصر ، ووجلها الحاضر ، وعقلة قواديمها وخوافيها ، ودهشة نواظرها
ومآقيها ، والكوكب المنقض على مسارحها ، والسهم القاصد الى مذابحها ، والآفة
التي كانت حرمت بها حُسن الرياض المونقة ، وثكلت برد الغدران المغدقة ،
وتغصت مشاهدة هذا الجو الرقيق الشبائل ، اللازوردي الغلائل ، حتى صارت لا
تلتذ بوكر تبنيه ، ولا يفرخ تغذيه ، علماً بأن لها منه مُفرق العدد ، وفاجع الوالد
بالولد ؛ ولو علمت هذه الأطيوار الشامتة بنفاده ، السالكة سبيل الأشر بافتقاده ، بما
يُعدّه سيدنا لها من ذي ظفر مظفر ، ومنسرٍ للطير مُيسر ، وخلفٍ صالح ، وجارح
جرح ، أشد لها منه اصطلاماً ، وأسد إلى مقاتليها سهاماً ، لعلمت أن كثرتها
استجماع^٢ له ؛ وأن وفورها توفير عليه .

وفي فصل منها : وما ألوم هذا المارق على مَلِّه وانحياشه ، لأنه كان قد تعود
أن يصيد بمقدار قوته ومعاشيه ، فصار سيدنا يستخدمه بهمة تطلب الغاية البعيدة ،
وتستسهل/ [١٤٣] المشقة الشديدة ، التي هزلها جد ، وجورها قصد ، ولعبها
ارتياض ، يتصير من لم ينقد إليها سريعا ، [ذا] ضراوة على اقتناص من لم ينته
إلى أوامرها مطيعاً ، فلم يُطبق على ذلك جَلداً ، ولم يجذ بهذا الأمر الفادح يداً ، فما
أشد بسطي لعذره ، ومعرفتي بسبب غدريه ، وأمل أن يتذكر ما كان له بفنائيه من
نعيم ، تخياله بين غينيه ، وطيب عيش ، تذكره أجدى له من حماقيه ، فتدعوه
عواطف التريبة والإيثار ، وتزول عنه عوارض السهو والاعتثار ، فيعود إلى رسمه ،
ويعود من جرُمه ، ويرجع وقد أدبته النكبة ، وهذبته الغربة .

١ ص : المناقض .

٢ ص : استجمام

وكان في ذلك الأوان بمدينة [تكريت ، رئيس]^١ ممن يشار إليه ، ويعولُ قومه عليه ، فرأى في منامه^٢ النبيَّ عليه السلام مع عليِّ بن أبي طالب ، وحضاه على الاسلام ، ووجد في الانجيل ما ذلَّهُ على البشارة بمحمَّد عليه السلام ، فاستدعي إلى الحضرة ببغداد ، وطيفَ به في سائر البلاد ، فكتب إليه ابنُ المغربي رقعةً قال فيها :

ويعلمُ الله ما ورد عليٍّ وعلي كآفةٍ من حضر من المسلمين من السرور بما أبان الله^٣ من آية قطعَت عُذرَ الجاحدين ، [حجة]^٤ استهلكتُ شبهة العاندين الجاهلين ، لا أن هذا الدين - بحمد الله - مفتقر من بعض حواشيه ، إلى بينة تزيد فيه ، ولا أن الاستدلالَ الصادقَ كان تركَ شبهةٍ إلا فضحها ، ولا معجزةٍ إلا أوضحها ، وزانها إلا قومه ، وجاهلاً إلا علمه ، وركناً للباطل إلا خفضه ، وعقداً للشرك إلا نقضه ، إلا أن المخالفين قد شغلت الدنيا أكثرهم عن التأمل ، وحجبت العادات خواطيرهم عن التأول ، فبعُد بالحجج السالفة ذكرهم ، واشتد إلى البراهين المستحدثة فقرهم ، فكان أبلغ [برهان] إقبال مثله إلى المحجة عن غير رغبة استفزته ، ولا رهبة هزته ، ولا محاسدة أغرته ، ولا مناظرة عزته ، بل أطلق عنان عقله ومدَّ به راشداً حتى وقفه على الصراط المستقيم ، واستتلاه قاصداً حتى أورده إلى المنهج السليم ، فوردت النعمة بتخييره صافية غير مكدرة ، والمنحة في استثنائه وافية غير مقصرة ، فهنا الله الاسلام ما لا يزال يتولاه به من إيضاح مناره ، وتبليغ أنواره ، وإدامة صبحه

١ بياض في ص. وزدته من تاريخ المسيحي : ٢٣٥ ب والرئيس المشار اليه هو أبو مسلم مشرف بن عبيد الله ، وكان يعرف بالطران الكبير ، رئيس اليعاقبة ؛ ويذكر المسيحي ان أسلام الرجل تم يوم الخميس السابع من جمادى الأولى سنة سبع [...] وأريحا وان الوزير المغربي أرسل اليه هذه الرسالة من ميفارقين ؛ وقد أورد المسيحي جانباً من الرسالة لم يورده ابن بسام ، وانقطع فيها بضياع الأوراق ما أورده صاحب الذخيرة ما عدا سطرين منها .

٢ ص : منها .

٣ المسيحي : سروراً بما أتى الله لجلت قدرته .

٤ زيادة من المسيحي .

ضاحكاً تتصدعُ عنه دياجيرُ الشبهات ، وتتجلي منه ملابسُ الضلالات ، وهنا الله
الشيخ ما رآه له أهلاً من هذا السناء الذي تقفُ دونهُ هممُ المعالي ، وتضيءُ به ظلمُ
الليالي ، وغرسَ عنده التوفيقَ الذي يسترهن لواءَ النعمة ، ويضمنُ بقاءَ العصمة .

وفي فصل من أخرى : ولولا أتى إذا أردتُ المواصلةَ بنفسي ثقلتُ ثقلين
بالزيارة ، وبالذالة المستعارة ، لما استنبتُ والله على لساني قلبي ، ولا استنطقتُ
يدي قبلَ فمي ، ولكن الاضطرار يقود وأتبع ، والزمان يقولُ فأستمع .

وله من رقعة [في] فتح : ولما تقاربتِ الفتانِ إذا بعدونا في عِدَّةٍ قد اشتملتُ
منهم على كلِّ سهمٍ في كنانتهم ؛ قد استكثروا من علوجٍ لا يَحْشُونَ^٢ حَوْمَةَ
اللقاء ، ولا يثبتون على مقارعةِ الأكفَاءِ ، فلما اجتمع أعداءُ الله وقلوبُهُم بالدَّعيرِ
متفرقةً ، وأقدموا وأقدامُهُم القهقراءَ راجعةً ، وكانت لنا عيونٌ تجثمُ على مدارجِ
أنفاسهم ، وطلائعُ تقبضُ على مسارجِ الحاظهم .

وفي فصل منها : وبأدرتُهُم فتیان بني عامرٍ على الجُرْدِ الصلادم^٣ ، قد بزوا
الجَنَنَ تَعَجُّلاً للطراد، وتخففوا من الرماحِ تقصيراً للبعاد، فوكزوهم بالرماحِ وكزاً ترك
الدروعَ منهم غلائلَ ، وأمانياً الحياةَ فيهم قلائلَ، فلم يتركِ القتلُ منهم إلا أنفساً
عافتها كرامُ السيوف، وأآخرين عزينُ تكفكفُ عنهم الرحمُ العطوف، يتمسكون
بأنفسهم حوزاً ، ويعتدون ذلَّ الفرارِ عزّاً ، وافترقوا إلى أوطانهم يرقبون الليلَ كما
يُرْتَقَبُ الصباح ، ويدلجون بكلِّ ماشٍ من الخيلِ بجناح ، وكان أميرهم في بلهنيّةِ
الاستهامةِ بهم ، وقلةِ الفكرِ فيهم ، قد بات يعملُ كاسه ويلهي جُلَّسه ، وغدا سكرانُ

١ غير واضحة تماماً في ص .

٢ يحشون : يدخلون

٣ ص : الصوام

٤ ص : عن

٥ ص : عريئة (دون اعجام)

على فرسٍ جموحٍ يبادرُ النهابَ وهي أنفسهم ، ويحاولُ الغنائمَ وهي مُهَجُّهُمُ ،
فرَقَصَتْ بهِ الفرسُ فصادفَ ذلكَ الأَجَلَ المكتوبَ له . فجزى الله هذا الحيَّ من آلِ
عامرٍ أهناً الجزاءَ عاجلاً ، وأدومَهُ أجلاً ، وثنى ببني عمنا الأقرَبين ، وعشيرتنا
المستخلصين ، خفاجَةَ ، وكذلك الجيران ، وأهل البلدِ والأعيان [١٤٤] وألفاف^١
كانت أسماؤهم نكرةً ، فعَرَفَتْها المواقفُ الحميدة ، وطوائف عاطلة حَلَّتْها الخطا
البعيدة ، وخاملة نبَّه عليها شكرُ السيوفِ لأيدٍ منهم وَصَلَتْ قصارها ، وأُوصَلَتْ في
زحامِ الوردِ حوارها .

وفي فصل له : وكلما هممتُ بمفاتحتِهِ اعترضتني خَجَلَةُ المتأرَكَةِ ، واستوقفتني
غفلةُ المجانبة ، وخانتُ يدي قلبي ، فلم تَشْفِهِ باظهارِ ضميره ، ولم تحسنِ النيايةَ
عنه في الاعتذارِ من تقصيره .

وهذه أيضاً جملةٌ من شعره في أوصافِ شتى

قال :

عجبتُ هندُ من تَسْرَعِ شيبِي قلتُ هذا عقبي فطامِ السرورِ
عَوَّضتني يدُ الثلاثين من مسـكٍ عذاري رشاً من الكافور
كان لي في انتظارِ شيبِي حساباً غالطتني فيه صروفُ الدهورِ

والبيت الثاني منها كقول الوزير أبي محمد ابن عبدون :

يا دهرُ ذنبكَ عندي غيرُ مكفورِ على مَ عَوَّضتَ مِن مسكي بكافورِ

وقال ٢ :

١ ص : والغات

٢ منها أربعة أبيات في دمية القصر ١ : ٩٤ وثلاثة في الشريشي ٣ : ١٢٠ والأبيات ٩،٧،٦،٣،٥،٤،٢،١٠ في ريجانة
الأبيات ٢ : ٤٧٦

عَلَّمْتُ مَنْطِقَ حَاجِيئِهِ وَالْبَيْنُ يَنْشُرُ رَايَيْهِ
 وَعَرَفْتُ آتِ النَّعِيمِ بِقَبْلَةٍ فِي عَارِضِيهِ
 وَلَقَدْ أَرَاهُ فِي الْخَلِيجِ يَشْقَهُ مِنْ جَانِيهِ
 وَالْمَاءُ مِثْلُ السِّيفِ وَهُوَ فِرْنَدُهُ فِي صَفْحَتِيهِ
 لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِ أَبَدًا وَلَا تَلِدُوا عَلَيْهِ
 قَدْ ذَابَ فِيهِ الْحَسَنُ [مِنْ] حَرَكَاتِهِ أَوْ مَقْلَتِيهِ
 وَالسَّلْمُ أَسْلَمُ فَاحْذَرُوا مِنْ فَتْرَةٍ فِي نَظَرِيهِ
 صَبَغْتُ بِيَاضَ النَّيْلِ حَمْرَةً وَرَدَقَ [فِي] وَجْنَتِيهِ
 وقال :

تَمَنَّعَ أَنْ رَأَى زَغْبَا بِعَارِضِهِ قَدْ التَهَبَا
 وَتَاهَ عَلَيَّ أَنْ أَبَدْتُ عَقَابُ صُدْغِهِ ذَبَا
 وَقَدَّرَ أَنَّهُ سَبَبٌ يَقْطَعُ بَيْنَنَا النَّسْبَا
 وَلَا وَاللَّهِ لَا أَلُو لِحَقِّ عِنْدَهُ طَلْبَا
 وَلَا خَلَيْتُ فِي كَفَيْهِ قَلْبًا طَالَ مَا انْتَهَبَا
 أَمَا عَيْنَاهُ عَيْنَاهُ اللَّسْتَانِ أَبَاحَتَا الرَّيَا

وقال وقد كسفت الشمس :

لمثلِ ذَا الْيَوْمِ يَا مَعْدَبْتِي كَانَتْ تَرْجِيكَ أَخْتُكَ الشَّمْسُ
 قَوْمِي أَخْلَفِيهَا فِي ذَا الْكُسُوفِ فَفِي وَجْهَكَ عَنْهَا إِنْ أَوْحَشْتَ [أَنْس] ٢
 وَغَالِطِي حَاسِبَ النُّجُومِ فَإِنْ لَجْتُ وَغَابَتْ أَصَابَهُ لَبْسُ

١ الشريشي والدمية : الغدير .

٢ موضع هذه اللفظة في ص : « خلف » .

وقال:

يومُ الكسوفِ جلا على بصري قامت فأرختُ من ذوائبها
فسألْتُها لمَ قد لبستِ دجىً قمرأً أحرارَ الجنِّ والإنسا
وتجلَّلتُ من شعرها لبنا قالتُ أسأعِدُ أختيَ الشمسَا

وقال:

قالوا كسوفُ الشمسِ مقترِبُ ثقتي بكاسيفها وكاشيفها
مَنْ لو يشاءُ أعادَ مَشْرِقَها هي شُعْلَةٌ من نورِ فاذا
قلتِ ادَّخرتُ لدفعِ نائبها ولفضلِ ماحيها وكاسبها
متبسِّماً لك من مغاربها ما شاء أظلمَ أو أضاءَ بها

وقال ١:

أدِرْ كأسَ المدامِ فانِ قلبي حلتُ بيبابلٍ وأردتُ ألاَّ
أُتِيحَ له عن التقوى ارتحالُ أهيمَ بسحرهم ، هذا محال

وقال ٢:

دنفُ بحمصَ وبالعراقِ طبيبُهُ ما ناله إلا الذي هو أهلهُ
لزمَ السهادَ تحييراً وتلدداً زعمَ الفراقَ دعا به فأجابهُ
يُضْنِيهِ عنه بعادُهُ ويذيبُهُ إذ غابَ عن بلدٍ وفيه حبيبهُ
وتأسفاً إذ أوبقتهُ ذنوبهُ ونعمَ دعاهُ فلمَ أرادَ يجيبهُ

١ تاريخ المسبحي : ٢٣٣/أ

٢ الشريشي ٣ : ١٢٠

وهذا كقول الآخر:

أَتَظَنُّ عَنْ حَبِيْبِكَ ثُمَّ تَبْكِي عَلَيْهِ فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ

وقال آخر:

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى تَشْكُو الْفِرَاقَ وَأَنْتَ عَيْنُ الظَّالِمِ

وقال ابن المغربي^١:

ولما احتوى بدر الدجى صحنُ خدّه
تبلبلَ لما أن توسَّطَ خدّه
كأنَّ انعطافَ الصدغِ لأمِّ أمالها
أديبٌ يجيّدُ الخطَّ أيّانَ يكتبُ
تجويرٌ حتى ما درى أين يذهبُ
وما زال من بدر الدجى يتعجّبُ

وهذا المعنى كقول الآخر، وأنشدُ القطعة بكاملها، استيفاءً لجهاها:

تعلّم العطفَ من صدغيه فانعطفنا
دبَّ العذارُ على ميدانِ صفحته
كأنه كاتبٌ عزَّ المدادُ به
وكان من شأنه ألا يفني فوفى
حتى إذا همَّ أن يسعى به وقفا
أراد يكتبُ لاماً فابتدا ألفا

وقال ابن المغربي:

حبيبٌ سرى يستقبلُ الليلَ وخذهُ
فلا الأنسُ من أمثاله الأدمِ عاقهُ
يخوضُ إليّ الليلَ ما بلَّ عطفه
ويسبقُ آرامَ الصريمِ وأسندهُ
ولا الذعرُ من أعدائه الغلبِ صدّه
ويفرجُ غيلَ الدوحِ ما حلَّ عقده

المصراع الأول منه كقول المعري^٢:

١ الأول والثالث في الشريشي ٥ : ٢٢٣

٢ شروح السقط: ١٢٢٣

عجبتُ وقد جرتِ الصرّاةَ رِفْلَةً وما خَضِلْتُ مما تَسْرَبُلْتِ أذْيالُ^١
 [١٤٥] / وقد طلعتُ في الرأسِ مَنِّي رايَةً ثكلتُ بها هزلَ النعيمِ وجَدَّهُ
 كلوحُ مشيبٍ لو يكونُ^٢ تَبَسُّماً كما زعموا ما [إن] بكى القلبُ عنده
 وما زَهْرَاتُ الشيبِ فيه ظوالمُ كذا العشبُ يأتي يانعُ الزهرِ بعده
 أخذتُ من الدهرِ التجارِبَ جملةً وقبلَ أشدِّي ما بلغتُ أشده

قوله « كلوح مشيب » ينظر إلى قول ابن الرومي^٣ :

لم يضحكِ الشيبُ من قُوْدِيهِ بل كلحا سمَّ القبيحِ من الأساءِ ما قُبُحا
 ان كان ابنُ المغربي قد تَقَصَّ معناه ، وطمسَ سناه ، فقد زاد فيه ما ذهبَ
 ببعض جنائته ، ومحا كثيراً من إساءته . وكان الناسُ قديماً وحديثاً يستعيرونَ
 لبياضِ المشيبِ التَّبَسُّمَ ، حتى جاء ابن الروميَّ بحرُّ الإبداع ، وعذبةُ لسانِ
 الاختراع ، فقال بيته المتقدمَ فأسكتَ به القائلين ، ودفع في صَدْرِ المتقدمين ، وبينَ
 أنه ربما كان الفضلُ للآخر ، وأبقى السالفُ للغابر . وأرى أوَّلَ من نحا هذا
 المنحى ، وسلك بالمشيبِ هذه المحجَّةَ المثلى ، حيث استعار الضحكَ للشيبِ ، غير
 مبالٍ إلى ما في ذلك من العيب ، دعبل حيث يقول^٤ :

لا تعجبي يا عبدَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسه فبكى
 فاستعار الجناح ، وغدا على ألسنةِ الرواقِ وراح ، وتتابع فيه الشعراءُ فأبدأوا
 فيه وأعادوا ، ونقصوا وزادوا .

١ الرِفْلَةُ : الطويلة الذيل ؛ الصرّاة : مجتمع دجلة والفرات ؛ خضلت : ابتلت .

٢ ص : يكن .

٣ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣

٤ ديوان دعبل : ١١٧ وروايته : لا تعجبي يا سلم (وفي الديوان تخريج مستفيض)

وقال ابن المغربي :

ولما دعوتُ الكأسَ تؤنسُ وحشتي لبعْدِكَ زادتنِي اشتياقاً إلى القربِ
ومالت بأعطافي لها أريحيةً فقربُكَ أحلى من جناها إلى القلبِ
فأنت مزاجُ العيشِ إن كان صافياً وأنت المعيرُ الصفو في كَدْرِ الشربِ

وقال في غلام تركي وسيم ، كان به يهيم :

غزال لم الأيسُ قبله التبريحَ والكمداً
أظنُّ عِداهُ حانيةً لعشقي مذ كذا رسداً

وقال :

يا أهل مصرٍ قد عاد ناسِكُكُمْ بالكَرْخِ بعد التقى إلى الفتكِ
جَمَسَ قلبي [مُقْرَاطُ غَنِيحٍ بدا لقلبي فيه من النسكِ
رمى فؤادي بسهمٍ مقلتهِ وكيف يُخطي مولدُ التركِ

وذكرت بمعنى البيت الثاني من هذه قول كشاجم ، وان لم يكن به ، فيتعلقُ

بسببه ٢ :

يقولون تُبُّ والكأسُ في يد أغيدٍ وصوتُ المثاني والمثالثِ عالٍ
[فقلت لهم لو كنتُ أزمعتُ توبةً وشاهدت هذا في المنام بدا لي]

وقال ابن المغربي ٣ :

حبيبٌ مللتُ الصبرَ بعد فراقِهِ على أنني علَّقتُهُ وألقتُهُ
محا سنُّ يأسِي شَخْصَهُ من تفكّري فلو أنني لاقيتُهُ ما عرفتهُ

١ الشريشي ٥٠ : ٣٠٥

٢ انظر زهر الآداب : ٦١١ والشريشي ٥ : ٣٠٥

٣ تاريخ المسبحي : ٢٣٤/أ

وقال :

اللّه يعلم ما إثمُ همتُ به إلا وَبَعْضَهُ خوفي من النار
وإن نفسي ما هامتُ بعصيةٍ إلا وقلبي عليها عاتبٌ زار

وله في غلام نصراني :

رغبتُ في ملّةِ عيسى وما يخيبُ من يرغبُ في ملّته
رغبتني في دينه شادنُ رأيتُهُ يخطرُ من بيعته
صنعُ حكيمٍ ما أرى أنّه يسلّطُ النارَ على حكمته
إن كان ذا من ساكني نارِهِ فنارُهُ أطيبُ من جنته

ومن مرثية له في الشريف أبي الحسن ، صهره :

يا ناعيَ الدينِ والدنيا أشيدَ بهما في حيثَ سألَ بالِ اللهِ وادّيه
هذي معالي قريشٍ غاضَ آخرها ومجد هاشمَ زارَ الترابَ باقيه
قل يا أبا حسنٍ والقولُ ذو سعةٍ لولا حجابُ من الثّرياءِ^٢ يثنيه
أأخِرُ الدهرِ أم تُحَنّي عواطفهُ وفيصلُ البينِ أم يُرَجّي تلافيه
كلّاً لقد فاتَ منك الوصلُ أملهُ مذ شَيّدَ الجَدثَ المأهولَ بانيه
هُنيتَ ريعاً برغلمِ المجدِ تسكُنهُ تلقى أباك علياً في مغانيه
إن أخلُ بعدك بالدنيا أروضها فقد خلا بضميرِ النبعِ باريه
هل كنتَ تعلمُ إذ عودتني أبداً حُسنَ التصبّرِ أني فيك أُنفيه

وهو القائل ٣ :

١ ص : في سعة

٢ الثرياء : الأرض أو القرى والتدى

٣ الأبيات في باتوت ١٠ : ٨٢ والمنتظم ٨ : ٣٣ وابن خلكان ٢ : ١٧٦

كنتُ في سَفَرَةِ البطالَةِ والغِيِّ زماناً فحانَ منه قدومُ
تبتُ عن كلِّ مَأْثَمِ فعسى يُحْيِي بهذا الحديثِ ذاكَ القديمِ
بعد سبعٍ^٢ وأربعينَ لقد ما طلُتُ إلاَّ أنَّ الغريمَ كريمِ

انتهى ما أثبتته لأبي القاسم من فصوص نثره ، وملح شعره ، وأختتم ذكره
بخبر يتعلق بكرمه ، ومحاسن شيمه^٣ : كان يوماً بدارِهِ ببغداد في نوروز سنة ثمانِي
عشرة وأربعمائة ، وهو اذ ذاك وزيرها ، وله تديبُها ، فدخل عليه وجوهُ أمراءِ الديلمِ
والاسفهلارية من الأتراك على طبقاتهم ، ووضعت الهدايا بين يديه على رَسْمِ
الفرس ، فلما [١٤٦] خفَّ المجلس وتعلَّى النهار ، استؤذِن عليه للدليمي مهيّار ،
فأذن له ودخل ، فلما مثل بين يديه وسلَّم قال : أيُّدك الله ، هذه البضاعةُ التي معنا
كانت كاسدة ، وقد وجدنا لها نفاقاً بحضرتك ، فقال : هات ما معك ، فأنشده
قصيدتهُ التي أولها^٤ :

* عسى مُعْرِضٌ وَجْهَهُ مُقْبِلٌ *

وهي قصيدةٌ نِيَّفَ فيها على المائة ، وقد أثبتُ ما أخرجتُ منها في موضعها من
هذا القسم ، فجعل ينشدها وابنُ المغربي يستعيد أبياتهُ النادرةَ فيها ، ويكثر إعجابه
بها ، ويجمع كُفْيَه ويبسطهما ويقول : أحسنتَ والله ، أجدتَ والله ، إلى آخرها . فلما
فرغ أشار له إلى دراهيم ودنانير كانت بين يديه دونَ باقي الهدايا ، ففتح مهيّارُ كُمه
الأيسرَ وجمع بيده اليمنى حتى ملأ كُمه الأيسر ، ثم فتح كُمه الأيمن وجمع بيده
اليسرى إلى أن لم يبق في الموضع دينار ولا درهم ، ونهض ؛ وسئل مهيّار بعدُ عن

١ ياقوت : كنت في سفرة الغواية والجهل مقبلاً

٢ ياقوت : بعد خمس .

٣ بغية الطلب ٥ : ٢٩ ، ١٩ .

٤ ديوان مهيّار ٣ : ١٢٤ وعجز البيت : فيروهب للأخر الأول .

زنة ما حصل له يومئذ فقال : كانت الدنانير ألفاً ومائة مثقالٍ وعشرين ، والفضة ثمانية آلاف درهم .

فصل في ذكر الفقيه الحافظ

عبد الوهاب بن نصر المالكي البغدادي^١

ناصر دين المالكية ، وإيراد قطعة من شعره

الذي هو حلاوة الأمان ، وبشر وجه الزمان

كان أبو محمد في وقته بقية الناس ، ولسان أصحاب القياس ، وهو أحد من صرّف وجوه المذهب المالكي ، بين لسان الكنانيّ ، ونظر اليونانيّ ، فقدر أصوله ، وحرّر فصوله ، وقرّر جملته وتفصيله ، ونهج فيه سبيلاً كانت قبله طامسة المنار ، دارسة الآثار ، وكان أكثر الفقهاء ممن لعله كان أقرب سنداً ، وأرحب أمداً ، قليل مادة البيان ، قليل شباقة اللسان ، قلماً فصلّ في كتبه غير مسائل يلقفها ولا يثقفها ، ويؤبها ولا يرتبها ، فهي متداخلة النظام ، غير مستوفاة الأقسام ، وكلهم قلّد أجر ما اجتهد ، وجزء ما نوى واعتقد .

وقد وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح ، وألفاظه أحلى من الظفر بالنّجح ؛ وتبت به^٣ بغداد ، كعادة البلاد ، بذوي فضلها ، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها ، فخلع أهلها ، وودّع ماءها وظلّها . وقد حدثت أنه شيعه يوم فصلّ

١ ترجمة عبد الوهاب المالكي في طبقات الشيرازي : ١٦٨ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والمنظم ٨ : ٦١ وترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ والديباج المذهب : ١٥٩ ومرة الجنان ٣ : ٤١ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمراقبة العليا : ٤٠ وابن كثير ١٢ : ٣٢ والشذرات ٣ : ٢٢٣ والفوات ٢ : ٤١٩ والزرکشي ٢ : ٢٠٢ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ والنجم الزاهرة ٤ : ٢٧٦ وورد في دمية القصر (١ : ٢٩٥ - ٢٩٧) ترجمة أبي نصر عبد الله بن علي بن نصر المالكي ، ولعل صوابه « عبد الوهاب بن علي » إذ نسب له البخارزي أحياناً نسبت لعبد الوهاب في أكثر المصادر .

٢ ص : حصله .

٣ ص : بعد

عنها ، من أكابرها ، وأصحاب محابرها ، جملة موفورة ، وطوائف كثيرة ، وأنه قال لهم
عندما وقفهم للتوديع ، وعزم عليهم في الرجوع : والله يا أهل بغداد لو وجدت بين
ظهرايكم رغيفين كل غداة وعشيّة ، ما عدت ببلدكم بلوغ أمنية ؛ والخبز عندهم
يومئذ ثلاثائة رطل بمثقال . وزعموا أنه ارتجل يومئذ هذه الأبيات ^١ :

سلامٌ على بغدادَ في كلِّ موطنٍ وحقُّ لها منِّي السلامُ المضاعفُ
لعمركَ ما فارقْتُها قالياً لها وإنِّي بشطِّي جانبيها لعارفُ
ولكنها ضاقتُ عليَّ برحبها ولم تكن الأرزاقُ فيها تساعفُ
فكانت كخُلِّ كنتُ أهوى وصاله وتناى به أخلاقه وتخالفُ ^٢

وبلغني أنه اجتاز في وجهته تلك بعمرة النعمان ، وبها يومئذ أبو العلاء أحمد بن
سليمان ، فضيّفه ، وكتب إليه بما أثبتته في موضعه ، وفي ذلك يقول أبو العلاء ^٣ :

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ زار في سَفَرٍ بلادنا فحمدنا النأيَ والسفرا
إذا تفقّه أحياءُ مالكاً جدلاً وينشرُ الملكَ الضليلَ إن شعرا

واستقرَّ الفقيه أبو محمدٍ بمصر ، فحملَ لواءها ، وملاً أرضها وسماهاها ، واستتبع
ساداتها وكبراءها ، وتناهتُ إليه الغرائبُ ، واثالتُ في يديه الرغائبُ ، فبات لأول ما
وصلها ، من أكلةٍ اشتهاها فأكلها ؛ زعموا أنه قال وهو يُقلِّب ، ونَفْسُهُ [قد] تصعدُ
وتصوبُ « لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا » . وكانت وفاته بها رحمه الله سنة اثنتين
وعشرين وأربعمائة .

وقد أخرجتُ من شعره ما يروى العيون ، ويفوقُ المنشور والموزون . ومن شعره

١ وردت في أكثر المصادر التي جاءت فيها ترجمته ؛ وقيل إن الأبيات ليست له ؛ وانظر الشريشي ٤ : ٣١٧

٢ ترتيب المدارك ؛ وتجانف .

٣ شروح السقط : ١٧٤٠ وابن خلكان : ٢٢٠ والقوات : ٤٢٠ والشذرات : ٢٢٤

مما أنشده أبو المطرف المالقي^١ :

لا تتعجل قطيعتي فكفى
عما قليل تحين^٢ فرقنا
يوماً يدُ الدهر بيننا تقطع
ثمت لا ملتقى ولا جمع

واستقضي بمدينة اسعرد^٣ ، فبلغه عن أحد أدبائها أنه قال عنه / [١٤٧] كلاماً
معناه : القاضي - أعزه الله - مجيد ، في كل ما يريد ، إلا أنه ربما فتر قوله إذا شعر ،
فقال عبد الوهاب :

أبغى رضاكم جاهداً حتى إذا
إني لأصبح من تحن خائفاً
فإلى م صبري للتعتب منكم
لوشئت أمنني القريض من الذي
فيظل بي متملماً متنغصاً
لكنني أرعى الوداد وإن غدا
وأطل يملكني الحنو عليكم
وأجل قدرتي في المودة أن أرى
أتظن بغدادياً طبع خالص
هيات إن من الظنون كواذباً
إن تعتذر منها تجدني قابلاً

أملت حُسنِي عاد لي منكم أذى
وَسَلْمَكُم من حربكم متعوذاً
وإلى م إغضائي الجفون على القذى
أنا خائف ولكن لي مستنقداً
من كان قبيل الشر بي متلذذاً
غيري به متشدقاً متطرماً^٥
وأكف عائر أسهمي أن ينفذاً
بغد الحفاظ لعهدهم أن ينبذاً
يلقى هزيم من اغتدى متبغداً
والحزم أولى في الحجى أن يحتدى
أورمت تجديد الوداد فحبذاً

١ السريسي ٢ : ١١٣ - ١١٤

٢ ص : سحر

٣ اسعرد (وتكتب أيضاً : أسعرد ، اسعرت ، سعرت) إلى الجنوب من ميفارقين (انظر تقويم البلدان : ٢٨٨ - ٢٨٩)

٤ ص : منسوقاً .

٥ المنطرمذ : العلف المتكرر بما لم يفعل .

وَيَغْفِرِ زَلَّاتِ الْأَخْلَاءِ اغْتَدَى
لَا تَصْغِينَ لِقَوْلِي وَاشْرِي إِنْ هَدَى
إِنْ رَابِنِي ظَنُّ بَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَا
فَإِذَا نَضَا عَنْهُ تَحْدَهُ قَدْ بَذَا
دُرُّرًا غَدَّتْ وَزَبْرَجِدًا وَزَمْرَدًا
فِيهَا وَقَلُّ لِمِثْلِهَا أَنْ يُوْخَذَا
مَنْ قَالَ شِعْرًا فَلْيَقْلُهُ هَكَذَا

طبعي التجاوز عن صديقٍ إن هفا
فتجنبن عتبي وعد لودتي
واعلم بأنني لست غافر زلة
ذو الحلم إن سألته لك منصف
يا شاعراً أفاظه في نظمه
خذا فقد نظمتها لك حكمة
حتى تظل تقول من عجبٍ بها

وقال ١ :

وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
وما حكموا في غاصب بسوى الرد
وان أنت لم ترضي فألف عن العد
على المذنب الجاني ألد من الشهد
فقلت بلى ما زلت أزهد في الزهد
وباتت يساري رهن ٣ واسطة العقد

ونائمة قبلتها فتنبهت
فقلت لها إني فديتك غاصب
خذيها وحطي ٢ عن أئيم ظلامه
فقلت قصاص يشهد العقل أنه
وقالت ألم أخبر بأنك زاهد
فباتت يميني رهن ٣ هميان خصرها

وقال ٤ :

ولو برزت بالليل ما ضل من يسري
أعدّي لفقدي ما استطعت من الصبر

ومحجوبة في الخدر عن كل ناظر
أقول لها والعيس تُحدج للنوى

١ أوردها ابن خلكان والفوات والشذرات ومرآة الجنان وابن كثير .

٢ في رواية : وكفي

٣ في رواية : وهي ... وهي

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في ياقوت ١٠ : ٨٨ وابن خلكان ٢ : ١٧٣ منسوبة للوزير المغربي : وأربعة في الشريشي

١ : ٢٩٩ للفاضي عبد الوهاب .

سَأُنْفِقُ رِيْعَانَ الشَّيْبَةِ أَنْفَاءً
أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لِيَالِيًا
وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَوَاكِبُ لَجَّةٍ
عَلَى طَلَبِ الْعُلِيَاءِ أَوْ طَلَبِ الْأَجْرِ
تَمْرٌ بِلَا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عَمْرِي
نُظُنُّ قَعُودًا وَالزَّمَانَ بِنَا يَجْرِي

وقال ١ :

حَمَدْتُ إِلَهِي إِذْ بُلِيتُ بِحَبِّهَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَخَالِنِي
وَبِي حَوْلٌ يُغْنِي عَنِ النَّظَرِ الشَّرِّ
نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْرِ

وقال :

لَا تَتْرِكِ الْحَزْمَ فِي شَيْءٍ تَحَاذُرُهُ
الْعَجْزُ ذُلٌّ وَمَا بِالْحَزْمِ مِنْ ضَرَرٍ
فَانْ سَلِمْتَ فَمَا فِي الْحَزْمِ مِنْ بَأْسٍ
وَأَحْزَمُ الْحَزْمِ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

وقال :

لَسْتُ وَإِنْ كُنْتُ مَعْنَى بِهِ
بَلْ رَاضِيًا مَا كَانَ مِنْهُ وَإِنْ
مُرُّ الْهَوَى أَطِيبُ مِنْ عَذْبِهِ
مَا صَدَقَ الْحَسْبُ امْرُؤٌ لَمْ تَبِتْ
يَسْتَعَذِبُ التَّعْذِيبَ فِيهِ وَإِنْ
لَا بَاغِيًا مِنْهُ نَوَالًا وَلَا
مَشْتَكِيًا مِنْهُ أَدَى حُبِّهِ
حَمِلْتُ فِي الْحَبِّ عَلَى صَعْبِهِ
وَجَدْبُهُ أَنْعَمُ مِنْ خَصْبِهِ
نِيرَانُهُ تُضْرَمُ فِي قَلْبِهِ
أَلْ بِهِ ذَاكَ إِلَى نَجْبِهِ
يَشْكُو الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ كَرْبِهِ

وقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي يَوْمَ بَيْنَهُمْ
نَدِمْتُ إِذْ وَدَّعْتَنِي غَايَةَ النَّدَمِ

١ انظر حاشية : ٢ في ابن خلكان : ٢٢١ ونسبها ابن خلكان نفسه في ٤ : ٣٨١ لأبي حفص الشطرنجي .

تزامت في فؤادي للنوى حرقُ تراجمَ الدمعِ في أجفانٍ منسجم
ثم انشيتُ وفي قلبي لفرقتهم وقعُ الأسنّةِ في أعقابٍ منهزم
وكتب يخاطب المستنصر بالله صاحب مصر : حصنَ الله المؤمنين من الشيطانِ
[بجنن] الطاعة ، ودثرهم من قرّ وسواسه بسرابيل القناعة ، وهبهم من نعيمه مَدداً
ومن توفيقه رَشداً ، وصيرهم إلى منْهَجِ الاسلامِ وسبيله الأقوم ، وجعلهم من الآمنين
فيا هم عليه موقوفون ، وزَيَّنهم بالتثبِتِ فيما هم عنه مسؤولون ﴿وما ربُّك بظلامٍ
للعبيد﴾ (فصلت : ٤٦)

كتابي إليك من الحبِّ بازاءٍ مصرك ، وفناء برك ، بعد أن كانت بغداد لي
الوطنَ ، والألفةَ والسكَنَ ؛ ولما كنتُ على مذهبٍ صحيح ، ومتجرٍ ربيع ، كُثرتُ
عليّ الخوارج ، وشقّ [على] الماء ارتقاءُ المناهج ، ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن
الله لقويٌّ عزيزٌ﴾ (الحج : ٤٠) فأبيتُ مكةَ - حرسها الله - لكي أقضي فرضَ
الحج ، من عَجِّ وشج ، أسألُ الله تعالى القبولَ ، وكيف وإنما يتقبلُ الله من المتقين ؛
وقد كنتُ عندي ذا سنّةٍ ودين ، محباً في الله تعالى وفي النبيين ، وفي محمدٍ صلى الله
عليه وسلم والمهدين ، فورد الناطقون ، وأتى المخبرون ، بخبرٍ ما أنت عليه ،
فذكروا أنّك مُدْحِضٌ لمذهبِ مالك ، موعِدٌ/ [١٤٨] لصاحبه بأليمِ المهالك ، هيهات
هيهات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾
(الزمر : ٣٠-٣١) فأبيتُ القبولَ على أمرٍ لم يصحَّ ببيانه لكثرة الكذبِ في الدنيا ، وإذ
لا يحلُّ لمسلمٍ أن يموتَ طوعاً ، فأردتُ الكشفَ عن ذلك بكتابٍ منك ، والسلامُ على
من اتّبع الهدى .

جواب المستنصر بالله : حرس الله مهجتك ، وطولَ مُدَّتِكَ ، وقدمَ أميرِ
المؤمنين إلى المنية قبلك ، وخصّه بها دونك ، ورد كتابك المكرم ، وأتى خطابك
المعظم ، يُفصِحُ البكم ، ويُنزِلُ العُصمَ ، هبَّت عليه رياحُ البلاغةِ فنمقته ، ووكفتُ

عليه سحائب البراعة فرققته ، فيا له من خطَّ بهي ، ولفظٍ شهبي ، تذكر فيه حُسْنُ
ظنونك بنا ، وتثبتُ مآثرنا ، فلما أن عرَّست بازائها ورد من فسح عليك ، فحُذِّ
بظاهير ما كان عندك وِردٌ ، ودَّعَ لرَبِّكَ عِلْمَ ذاتِ الصدور ، والسلام .

ومن شعره أيضاً قوله^١

أهيمُ بذكرِ الشرقِ والغربِ دائماً وما بي شرقٌ للبلادِ ولا غربُ
ولكنَّ أوطاناً نأتُ وأحبةً فعُدتُ متى أذكرُ عهدَهُمُ أصبُ
إذا خطرَتْ ذكراهُمُ في خواطري تنأثر من أجفاني اللؤلؤ الرطبِ
ولم أنسَ من ودَّعتُ بالشَّطِّ سحره وقد غرَّدَ الحادون واستعجل الركبِ
ألفان هذا سائرٌ نحو غربة وهذا مقيمٌ سار عن صدور القلبِ

وقال^٢ :

ومحطوة المتين مهضومة الحشا مُنعمَةٌ الأطرافِ تدمى من اللمسِ
إذا ما ذخانُ الندِّ من طيها علا [على] وجهها أبصرتُ غياً على الشمسِ

وقال :

رحلتُم فكم من أتةٍ بعد زفرةٍ مبيئةٌ للناسِ شوقي البكمِ
فان كنتُ أعتقتُ الجفونَ من البكا فقد ردها في الرقِّ حزني عليكم

وقال :

يأبي مقامي في مكانٍ واحدٍ دهرٌ بتفريقِ الأجابةِ مولعُ
كفكفُ قسيكُ يا فراقُ فآته لم يبق في قلبي لسهمك موضعُ

١ الأبيات التالية عدا الثالث في ابن خلكان : ٢٢١ والمنازل والديار : ١١٩/أ ووردت في القسم الرابع من الذخيرة :

١٠١ منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

٢ وردا في هذا القسم الرابع : ٩٦ منسوية لأبي الفضل البغدادي .

وقال^١ :

تذكّر نجداً والحمى فبكى نجداً
وحيثه أنفاسُ الحزامي عشيةً
فأظهر سلواناً وأضمرَ لوعةً
ولو أنه أعطى الصبابة حقها
ولم أنسه والسكرُ يفتلُ قده
وقال :

بالكرخ من جانبِ الغربيّ عنّ لنا
ذؤابتاه نجادا سيفٍ مقلتيه
ضفيرتاه على قتلي تضافرتا

وقال :

من بعد ودّي رمتم أن تهجروا
وزعمتم أن الليالي غيّرت
إن شئتم أن تُنصفوني في الهوى
رُدّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحشا

وقال :

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ
لعمرك ما فارقتُ بغدادَ عن قلبي
إذا ذكّرتُ بغدادَ نفسي تقطّعتُ
كفى حزناً إن رُمتُ لم أستطعُ لها

١ وردت ص : ١٠٢ من هذا القسم منسوبة لأبي الفضل البغدادي .

وقال:

تَمَلَّكَتْ يَا مُهْجَتِي مُهْجَتِي وَمَا كَانَ ذَا أَمَلِي يَا مَلُولُ
فَجَدْتُ بِالْوَصَالِ فَدَتُّكَ النَّفُوسُ وَفِيكَ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الْكَلَامِ
أَيَا غَائِبًا حَاضِرًا فِي الْفُؤَادِ وَأَسْهَرْتَ يَا نَاطِرِي نَاطِرِي
وَلَا خَطَرَ الْهَجْرُ فِي خَاطِرِي فَلَسْتُ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَادِرِ
وَلَقَبَسَنِي النَّاسُ بِالشَّاعِرِ سَلَامٌ عَلَى الْغَائِبِ الْحَاضِرِ

وقال :

وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي اللَّهِ تَبْقَى وَكُلُّ مَوَدَّةٍ فِي مَا سِوَاهُ
عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ سَعَةٍ وَضَيْقٍ فَكَالْحَلْفَاءِ فِي لَهَبِ الْحَرِيقِ

وقال :

أَمْنَزَلْتِي سَلْمَى وَحَسْبِي زُبَاهِمَا سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّمَا
لِيَالِي لَا أَخْشَى حَزُونََ قَطِيعَةٍ فَقَدْ صَارَ حَظِّي مِنْ جَمِيعِ لِقَائِكُمْ
فَمَجْتَمَعِي وَادِيهِمَا بِأَثَالِ مَهَبٌ جَنُوبِي أَوْ مَصَابُ شِمَالِي
وَلَا أَمْشِرُ إِلَّا فِي سَهُولٍ وَصَالِ تَعَرُّضَ بَرْقٍ أَوْ طَرُوقِ خِيَالِ

وقال :

يَا أَمْلَحَ النَّاسِ بِلَا مَرِيَةٍ مَا زَادَنِي صَدُّكَ إِلَّا هَوَى
مِنْ غَيْرِ مَسْتَشْنَى وَلَا مَسْتَعَادَ وَالشَّرُّرُ [مِنْ] عَيْنِيكَ^٢ إِلَّا وَدَادَ
فَاحْكُمْ بِمَا شِيتَ فِيهِ الرُّضَى وَكُنْ كَمَا شِيتَ فَأَنْتَ الْمَرَادُ

١ وردت منسوبة للوأواء الدمشقي في الشرحي ١ : ١١٢ وهي في ديوانه : ٩٩ ومنها ثلاثة أبيات في البيمة ١ : ٢٩٦ له أيضاً .

٢ ص : وسود عينيك .

وما عسى تبلغه طاقتي وإنما بين ضلوعي فؤاد
وقال :

فؤادي فرّ من جسدي إليكم فضمّوا الجسم أو ردّوا فؤادي
وقال :

يا لهف نفسي على شيئين لو جمعا [١٤٩] كفاف عيش يقيني كل مسألة
وقال ١ :

أشكو الذين أذاقوني مودّتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقّدوا
واستهضوني فلما قمت منتصباً بحمل^٢ ما حملوا من ودّهم قعدوا
لأخرجن من الدنيا وحبكم بين الجوانح لم يشعر به أحد
ألقت بيني وبين الحب معرفة
وقال :

ولما رأيت العيش أزع للنوى عزمت على الأجمان أن تترقفا
فخذ حجّتي من ترك قلبي سالماً وجيبي ومن حقّهم أن يرقفا
يدي ضعفت عن أن تمزق جيها ولو كان قلبي حاضراً لتمزقاً
وقال :

حرق سوي قلبي ودّعه فأنني أخشى عليك وأنت في سودائه
جاورته سوء الجوار فسؤته لما حللت فناءه بفنائيه

١ هذه الأبيات للعباس بن الأحنف (ديوانه : ٨٤) والبيت الأول منها - في الأقل - لا يمكن أن يكون للقاضي عبد الوهاب لورده في مصادر سابقة لعصره مثل الأغاني والشعر والشعراء ؛ وقد ورد في الذخيرة : ٥١٤ منسوباً للعباس ابن الأحنف .

٢ ديوان العباس : بثقل : ص : معتدلاً بحمل ... ففدوا

وقال :

في النَّفْسِ ضَيْقٌ وفي الفؤادِ سَعَةٌ
البخلُ لا أستطيعُ أفعَلُهُ
فآلةُ الجودِ غيرُ مُتَّبِعَةٍ
والجودُ لا أستطيعُ أن أدعَهُ

وقال :

قَضَتْ أَيامُنَا سَهْمًا صحیحًا
كَأَنَّ عَلِيَّ لِلْإِعْدَامِ دَيْنًا
لَمَنْ يَأْوِي إِلَى فِهْمٍ سَقِيمٍ
فَلَا زَمَنِي مِلَازِمَةَ الْغَرِيمِ

وقال :

يَحْتَاجُ مَنْ كَانَ فِي مَوَاعِدِكُمْ
أَمْوَالَ قَارُونَ يَسْتَعِينُ بِهَا
إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
وَعَمْرٍ نُوْحٍ وَصَبْرٍ أَيُّوبِ

وقال :

طَوَّلْتُ لِلنَّفْسِ فِي الْأَمَانِي
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّبَابَ وَلِي
أَيَقِنْتُ [أَنِي] عَلَى فَنَاءِ
يَا طَوْلَ شَوْقِي إِلَى أَنْاسِ
فَحَسَرْتِي الْيَوْمَ حَسْرَتَانِ
وَطَالَعَ الشَّيْبَ قَدْ عَلَانِي
مَشَمَّرَ الذَّيْلَ غَيْرَ وَانٍ
خَلَّفَنِي عَنْهُمْ التَّوَانِي

وقال :

أَنَا فِي الْغُرْبَةِ أَبْكِي
لَمْ أَكُنْ يَوْمَ خُرُوجِي
عَجْبًا لِي وَلِتَرْكِي
مَا بَكَتْ عَيْنُ غَرِيبٍ
مَنْ بِلَادِي بِالْمَصِيبِ
وَطَنًا فِيهِ حَبِيبِي

وقال^١ :

بَغْدَادُ دَارُ لِأَهْلِ الْمَالِ وَاسِعَةٌ
وَلِلصَّعَالِيكِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضَيْقِ

١ ورد البيتان في ابن خلكان : ٢٢١ وترتيب المدارك : ٦٩٤ والفوات : ٤٢٠ والديباج : ١٦٠ وابن كثير : ٣٣ والشريشي : ٤ : ٣١٧

أصبحتُ فيها مهاناً في أزقتها^١ كأنني مصحفٌ في بيتِ زنديق

وقال :

جَرَّدُ عَزِيمَةَ مَاضِي الِهْمِّ مَعْتَزِمٌ وَدُونَ نَيْلِ الَّذِي تَبَغِيهِ لَا تَمُرْ
وَلَا يَصِدُّنَا عَنْهَا خَوْفُ حَادِثَةٍ فَانْمَا الْمَرْءُ رَهْنُ الْمَوْتِ وَالسَّقَمِ
مَا قَدَّرَ اللَّهُ آتٍ كُنْتَ فِي سَفَرٍ أَوْ فِي مَقَرِّكَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ

وقال :

إِنْ يَكُنْ مَا بَكَ هَزَلٌ فَالَّذِي بِي مِنْكَ جِدٌّ
جَمَلَةٌ تَغْنِي عَنْ التَّفْسِيرِ : مَا لِي عَنْكَ بَدٌّ

وقال :

إِنْ تُرِيدَ الْوَصَلَ فَهَذَا أَنَا وَإِنْ تُرِيدُ هَجْرِي لَكَ الْأَمْرُ
مَا أَنَا مَحْتَاجٌ وَلَا وَامِقٌ فَوَاحِدٌ وَصَلُّكَ وَالْهَجْرُ

وقال :

لَمَّا نَشَرْنَا عَلَى عَمَدِ ذَوَائِبِهَا يَكَادُ مِنْهَا فَتِيْتُ الْمَسْكَ يَنْتَشِرُ^٢
تَقُولُ يَا عَمَّتَا كَفَيْ ذَوَائِبُهُ وَيَجِي ضَنْبِي وَأَخْفَى جِيدِي الشَّعْرُ
مِثْلَ الْأَسَاوِدِ قَدْ أَعْيَا مَوَاشِطُهَا فِيهِ تَضَلُّ مَدَارِيهَا وَتَنْكَسِرُ
تَدْعُو عَلَى شَعْرِهَا لَمَّا أَضُرَّ بِهَا يَا لَيْتَهُ كَانَ [فِيهِ] الْجَعْدُ وَالْقَصْرُ

وقال :

رَحَلْتُ وَخَلَيْتُ الْفَوَادَ لَدَيْكُمْ رَهِيناً وَإِنْ لَمْ تَخْلُ مِنْهُ الْأَضَالُ
فَإِنَّ أَنْتُمْ ضَيَعْتُمُوهُ أَسَاتِمُ وَمَا الْحَقُّ إِلَّا أَنْ تَصَانَ الْوَدَائِعُ

١ ريس لمدارك . مضاعفا بين أظهرهم.

٢ ص سوس

وقال :

أطال بينَ الديارِ ترحالي
إن بُرْتُ في بلدةٍ مشيتُ إلى
كأنني فكرةُ الموسوسِ ما
وقال يتشوق إلى بغداد^١ :

خليلي في بغدادَ هل أنتم لي
وهل أنا مذكورٌ بخيرٍ لديكما
وهل دَرَفْتُ عندَ النوى مقلتاكما
وهل فيكما مَنْ إنْ تنزَّلَ منزلاً
«أجدُّ لنا طيبُ المكانِ وحسنهُ
كما بي عن شوقٍ شديدٍ اليكما
على أدمعٍ منهلةٍ فتأملاً
ولا تياساً أن يجمعَ الله بيننا
«فقد يجمع الله الشتيتين بعدما
فدى لك يا بغداد [أهلوا] منزلاً
ولا مثلَ أهلها أرقَّ شمائلاً
وكم قائلٍ لو كان ودُّك صادقاً
«يقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهم

١ وردت الأبيات ١٢ - ١٤ من هذه القصيدة في المرقبة العليا : ٤١ وترتيب المدارك : ٦٩٤

٢ يضمن ويجري بعض التحوير في قول الشاعر :

ولنازلنا منزلاً طله الندى
أجدُّ لنا طيب المكان وحسنه
..... (البيت)

٣ مضمن أيضاً من شعر المجنون .

٤ الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمنة من شعر إياس ابن القائف (الحماسية رقم : ٤٠٦ في شرح المرزوقي) وإن لم يرد البيت الأوسط في الحماسية المذكورة .

«وما هجروا أوطانهم عن ملالةٍ
إذا زرتُ أرضاً بعد طولِ اجتنابها
ولكن حذاراً من شيات الأعدايا»
فقدت حبيبي والديار كما هيا»

وقال: [١٥٠]

وماذا عليكم لو مَنَنْتُمْ بزورٍ
فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا
فأجزلتُم فيها علينا التفضلاً
فكونوا أناساً يعرفون التجملاً

وقال:

هبني أسأتُ كما زعمتَ فأينَ عاقبةُ الأخوةِ
ولئن أسأتَ كما أسأتُ فأينَ فضلُكَ والمرءِ

وقال:

ولما حدا الحادي بعيسٍ أحبَّتي
بكيتُ دماً حتى لقد قال قائلُ
ونادى غرابُ البينِ بالبينِ يهتفُ
تَرى ذا الفتى من جَفَنٍ عينيه يُرَعَفُ

وقال:

قلتُ لها يوماً وأبصرُها
ما أقبحَ الصدِّ فقالت: بلى،
بسياسةٍ في كُنها نرجسُ
أقبحُ منه عاشقُ مفلسُ

وقال:

متى أخفِ الغرامَ يَصِفُهُ جسمي
فلو أن الثيابَ فُجِصْنَ عني
بألسنةِ الضنَى الخُرسِ الفصاحِ
خفيتُ خفاءً خَصْرِكِ في الوشاحِ

وقال:

قطعتُ الأرضَ في شَهْرِي ربيعِ
إلى مصرٍ وعدتُ إلى العراقِ

١ ورد البيتان في الصداقة والصديق : ٢٠٦ (دون نسبة)

٢ وردت في ابن خلكان : ٢٢١ وتنسب للوزير أبي القاسم المغربي في دمية القصر : ١ : ٩٦

فقال لي الحبيبُ وقد راني سُبوقاً [للمضمرّة] العتاقِ
ركبتُ على البراقِ؟ فقلتُ كلاً ولكنّي ركبتُ على اشتياقي

فصل في ذكر الأديب الأريب أبي عبد الله بن قاضي ميلة^١

وهو ممن طرأ ذكره ، وانتهى إلى شعره ، إذ ضرب في الأدب بأعلى قِدْح ، وافتَرَّ
عنه على أَوْضَحِ صُبْحٍ ، وأقام دَوْحَهُ على سوقه ، وبنى المنازل^٢ على سواء طريقه ،
ورأيتُ ابا علي بن رشيقي قد ذكره في ما اندرج من كلامه في شعراء « الأَمْوُذَجِ » ،
وأعرب عن فضائله ، وأوضح ما لم يخفَ من دلالاته^٣ ، ولعلَّ بعض من يتصفح
كتابي هذا يقول : إن شعراء الأَمْوُذَجِ مائة شاعر وشاعرة ، وأكثرهم كان في المائة
الخامسة من الهجرة ، وتقاربت موالدهم ، وتشابهت مصادرهم ومواردهم ، أفلا ذكّرهم
عن آخرهم ، وماله اقتصر على بعضهم دون سائرهم؟! فبعضُ الجواب أني كثرت
بهذا الكتاب عَدَدِي ، وجردته في محاسن أهل بلدي ، ثم عرضتُ بعد معارضته أبا
منصور ، بذكر مَنْ هنالك من شاعرٍ مشهور ، واجتلاب ما يتعلق بذلك من خبر
مأثور ، فأشرتُ إلى ذكر من كان في هذا الوقت المؤرّخ ممن طالَه طَلَّقه ، وأشرق
أفقه .

١ سباه ابن خلكان (٦ : ١٥٩) عبد الله بن محمد التنوخي وكنيته أبو محمد ؛ وفي أحد أصول ابن خلكان « ابو عبد
الله محمد بن محمد ؛ وقد ترجم له في المسالك ١١ : ٣٠٤ (وفيه نقل عن الذخيرة والاموذج) ومرد ذكره في كتاب
التعريف بالقاضي عياض : ٧٢ ؛ وميلة التي ينتسب اليها تقع في الجزائر .

٢ المسالك : طار .

٣ المسالك : وابتنى منازل .

٤ قال فيه ابن رشيقي (كما نقل العمري) : هو شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ، ويكثر الزجر والعيافة ويسلك طريق
ابن أبي ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات (واستشهد على ذلك بفائتيه) .

٥ ص : كان .

ولأبي عبد الله أشعارٌ شاردة سارت على السنة الأنام ، وكُتبت في جبهات^١
الأيام ، غير أنه لم يقع إليّ منها عند تحرير هذه النسخة إلا ما أثبت . فمن ذلك ما
حدّث به أبو محمد بن خليفة المصري^٢ قال : لما وليّ ابنُ البواب وزارةَ المعزّ بن
باديس سأله أبو عبد الله أمراً كلفه ، فمطله فيه حتى صرفه ، فكتب إليه^٣ :

أقولُ له إذ طيَّسْتُهُ رياسَةً أنت غفلةً مهلاً فقد غلِطَ الدهرُ
ترفُّقُ يراجعُ فيك دهرُكَ عَقْلُهُ فما سُدتَ إلا والزمانُ به سكر
فما برحتَ أيامُهُ أن تصرَّمتَ وما عندنا شكرٌ ولا عنده عذر

وأنشد أيضاً له المصري المذكور^٤ :

جاءت بعودٍ تناغبه فيتبعها^٥ فانظر بدائع ما يأتي به الشجرُ
غنى على عودها الأطيَّارُ مفضحةً رطباً فلما عسا^٦ غنى به البشرُ
فما يزالُ عليه أو به طرب^٧ يهيجهُ الأعجمانِ الطيرُ والوتر

قال ابن بسام : وهذا في ما وصف ، كقول ابن شرف^٨ :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي زكت منه أغصانُ وطابت مغارسُ
تغنى عليه الطيرُ والعودُ أخضرُ وغنى عليه الناسُ والعودُ يابس

١ المسالك : جبهة .

٢ وردت ترجمته في الأول من القسم الرابع : ٣٤٢ .

٣ المسالك : ٣٠٤ .

٤ وردت الأبيات أيضاً في الأول من القسم الرابع : ٣٥٦ وقد خرجتها هنالك .

٥ ابن خلكان : ويسعدهما

٦ ابن خلكان : غنت عليه ضروب الطير ساجمة ، حباً فلما ذوى .

٧ ابن خلكان : فلا يزال عليه الدهر مصطخب .

٨ ورد بيتا ابن شرف عند ابن خلكان (٥ : ٣٤٨) برواية أخرى ، وانظر الشريشي ٣ : ٢٠٥

وأشدد أيضاً له المصري ١ :

أشقى لجدك أن تكون أديبا
إن كنت مستوياً ففعلك كله
كالنقش ليس يصح معنى ختمه
أو أن يرى فيك الورى تهديبا
عوج وإن أخطأت كنت مصيبا
حتى يكون بناؤه مقلوبا
وأشدد له أيضاً ٢ :

لدياك نور ولكنّه
فان عشت فيها على أنها
فلا تعمرن بها منزلاً
ولا تذخرنّ خلاف التقى
ظلام يحار به البصر
كما قيل قنطرة تُبَر
فان الخراب لما تعمر
فيفنى ويبقى الذي تذخر
وظنّ أناسُ بأن قد سموا
فقالوا علونا ولم يشعروا
كذا البحر يطفو عليه القذى
ويرسبُ في قعره الجواهر

وكان لابن قاضي ميعة صديقان فتقاطعا وندما ، واتفق أن بنى أحدهما منزلاً ،
فقيل لصاحبه : لست تجد وقتاً لمراجعة صديقك أحسن من تهنتك له بهذه الدار
الجديدة ، فركب إليه وهناه ، وكان على صاحب المنزل قباءً ديباجٍ فيه صور
طواويس ، فكرر بصره فيها ذلك القاصد ، فقال له صاحبه : أتعجبك
هذه/[١٥١] الصور؟ قال : أجل ، فوهب الثوب له صاحب المنزل ، فقال له
القاصد : وأنا عندي طواويس حية تصلح لهذه الدار ، فلبس صاحب المنزل القباء
غلاماً وسياً له اسمه نحرير ، كان صديقه يهواه ، وأهداهُ إليه ، وأخذ صديقه
الطواويس وأهداها مع غلام له اسمه بديع كان صاحب المنزل أيضاً يكلف به ،

١ الثاني والثالث في المسالك : ٣٠٤ وزدت لابن رشيق في ديوانه : ٣٧ وانظر الذخيرة ١ : ٤٤٨ والغيث ٢ : ١١٤

والشريشي ٥ : ١٢٧

٢ الشريشي ٣ : ١٠١ (أربعة أبيات)

فبلغ ذلك الاكحل تأييد الدولة^١ صاحب صقلية^٢ ، فأمر الشعراء بصفة ذلك ، فمن شعر ابن قاضي ميلة فيها هنالك ، من جملة قصيدة :

ولله يومكأ إذ أتاك . مبتهجا بتمام البناء
فأنفذ في حزنٍ نحريه طواويسَ موشية في قباء
فما جنك الليل حتى بعثت بديعاً بكل بديع المكاء
بأحسنٍ متخذٍ في البيوتِ وأطرفٍ مكتسبٍ في القباء
تقابلتما لاختلاف الصفات ولولاهما لاختلاف الهواء
ويعلي الذنابي مدلاً بها على رأسه كانتصاب اللواء
فتلحظ مرأى يروق العيون ويتقضي لوصفه بالغناء
هدايا أفتتم لا يصلها ظباء تجر ذبول البهاء
وما عاين الناس من قبل ذا طواويس [فوق] أكف الظباء
ومنها :

وعاين رجليه في معزلٍ من الحسن حل عقود البكاء
فيهدم جلوته بعدما أقام لها محكمات البناء
ومن سام بالنفس عين التمام نازعه النقص حظ النماء
فيا قمرى سؤدي قابلا وجوه السنأ بوجوه السناء
إذا الدهر رفع قدركما فقد سربل الدهر ثوب العلاء
ومن شعره^٣ :

قالت الحسناء لما أن رأته أدمعي ترفض في ما ابتدرا
ليس هذا الدمع ما خبرته أنا من يهدي إليك الخبرا

١ أحد امراء صقلية من بني أبي الحسين الكلبيين ؛ انظر دوره في حكم الجزيرة في « العرب في صقلية » : ٤٧ - ٤٨
وصفحات متفرقة من المكتبة الصقلية .

٢ هذا وجه من الوجوه التي يكتب بها هذا الاسم .

٣ وردت ما عدا الثاني في المسالك : ٣٠٥

رقّ في خديّ من ماء الصبا
تأخذُ الاحاظ منه ريبها
وله من قصيد فريد يقول فيه ١ :

ولما التقينا محرمين وسيرنا
نظرتُ اليها والمطايا كأنها
وقالت أما منكنّ من يعرفُ الفتى
أراه إذا سرنا يسير أمامنا
فقلتُ لتربّيها أبلغاها بأنني
وقولا لها يا أمّ عمرو أليس ذا
تفاءلتُ في أن تبذلي طارف الهوى
وأما دمأءُ الهدي فهو تواصلُ
وفي عرفاتٍ ما يجبّرُ أنني
وتقبيلُ ركنِ البيتِ إقبالُ دولةٍ
فأبلغنها ما قلّته فتبسمتُ
بعيشي ألم أخبركما أنه امرؤ
فلا تأمنا ما استطعنا كيدَ نُطقه
لئن كنتِ ترجو في منى الفوزَ بالمتى
وقد أنذر الإحرامُ أن وصلنا
فهذا وقذفي بالحصى لك منذر
فبادرْ^٢ نفاري ليلةَ النفيرِ إنه

١ أورد ابن خلكان ٦ : ١٥٩ هذه القصيدة كاملة ومنها ثلاثة عشر بيتاً في المسالك ، وسبعة عشر في رفع الحجب ٢ :

٤٨ وأحد عشر بيتاً في الشريشي ٤ : ٢٦١ وفي الرواية اختلافات بسيرة لا داعي لاثباتها .

٢ المسالك وابن خلكان : فحاذر .

ومن مليح الزجر وغريب الفأل قول أبي حية^١ :

جرى يوم رحنا عامدين لأرضها
فهاب رجال منهم فثعثوا
عقاب بأعقاب من الدار [بعد] ما
وقالوا حمامات فحم لقاؤها
وقال صحابي هدهد فوق بانه
وقالوا دم دامت موثيق بيننا
لعيناك يوم البين أسرع واكفاً

وقال ذو الرمة^٢ :

رأيت غراباً ساقطاً فوق قضبة
فقلت غراباً لا غتراب وقضبة
من القضب لم ينبت لها ورق خضر
لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وقال آخر^٣ :

دعا صرد يوماً على غصن بانه
فقلت أتصريد وشحط وغربة
وصاح بذات البين منها غرابها
فهذا لعمرى نأها واغترابها

ومن قصيدة جحدر^٤ :

ومما هاجني فازددت شوقاً بكاءً
حمامتين تجاوبان/ [١٥٢]

١ هو أبو حية النميري . انظر شعره في الأمالي ١ : ٦٩ (وقارن بشرح الامالي : ٢٤٣) وزهر الآداب : ٤٧٧ ورفع

الحجب ٢ : ٤٨ ومنها أبيات في الشريشي ٤ : ٢٦١ وديوان أبي حية (المورد : ١٩٧٥ ، العدد الأول : ١٣٧)

٢ زهر الآداب : ٤٧٨ ونقل المبرد ان الرواة لم يروها في ديوانه ، وانظر ديوانه : ٦٦٧ (مكارنتي) ورفع الحجب

٢ : ٤٨ والشريشي ٤ : ٢٦٠ (لجران العود)

٣ زهر الآداب : ٤٧٨

٤ وردت الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة جحدر في رفع الحجب ٢ : ٤٨ والقصيدة في معجم البلدان (حجر) .

والنسخة الاستانبولية من منتهى الطلب وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٦ والخزانة ٤ : ٤٨٣ ورفع الحجب ١ : ٥٠

تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ على عودين من غَرْبٍ وبانٍ
فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمِي وفي الغَرْبِ اغترابٌ غيرُ دانٍ

وفي هذه القصيدة يقول :

فيا أخويَّ من كعبِ بنِ عمروٍ أقبلاً اليومَ إن لم تسعداني
يحاذرُ سطوةَ الحجاجِ ظلماً وما الحجاجُ ظلماً لجانٍ
وكان من آخرِ خبره معه أنَّ الحجاجَ جَوَّعَ له أسداً ثم سلَّطَهُ عليه ، فبادر
جحدرٌ إليه وقتل الأسدَ ، فعفا عنه الحجاج لما رأى من جرأته ، واتخذَه من
صحابته .

وحكى المدائني قال^١ : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قرب منها
رأى غراباً على شجرة ينتف ريشه ، فتطير من ذلك ومضى لوجهه ، فلقبه رجل من
بني هلب فقال : يا أبا الحجاز ، مالك كاسف اللون ، هل رأيت شيئاً أنكرته ؟
قال : أجل ، غراب على بانه ينتف ريشه وينعب ، قال : إنك تطلب حاجة لا
تدركها ، فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانهٍ ينتفُ أعلى ريشه ويطايره
فقلتُ ولو أني أشاءُ زجرته بنفسي للنهدي هل أنت زاجره
فقال غرابٌ لاغترابٍ من النوى وفي البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيفَ النهدي لا درَّ درّه وأزجره [للطير] لا عزَّ ناصره

ومن مליح الزجر^٢ قولُ أبي نواس وقد اجتمع إخوانه واختفوا عنه ، ووجهوا

١ متابع لزهرة الآداب : ٤٧٩ - ٤٨٠ وانظر عيون الاخبار : ١٤٧ وديوان كثير : ٤٦١ - ٤٦٢ وفيه تخريج الأبيات ،
ويضاف إليه ربيع الأبرار : ٢٩٦/أ والبيت الأول في اللسان (تشش) وشرح النهج : ٤ : ٤٣٣ (ط . ١٣٢٩)
والشريشي ٤ : ٢٦٠

٢ بايجاز عن زهرة الآداب : ٤٩٢ وانظر الشريشي ٤ : ٢٦٠

رسولاً إليه بظهر قرطاسٍ أبيضٍ لم يكتبوا فيه شيئاً ، وخزموه بزير وختموه بقارٍ ،
ورمى بالكتاب من وراء الباب ، فاستعلم موضعهم وأنشدهم :

زجرتُ كتابكم لما أتاني يرُّ بسانح الطير الجواري
نظرتُ إليه مخزوماً بزيراً على ظَهْرٍ ومحتوماً بقارٍ
فقلتُ الزيرُ ملهيةٌ وهوُ وقلتُ القارُ من دنِّ العقارِ
وختُ الظهرَ أهيفَ قرطياً يحرُّ العقلَ منه باحورارِ
فَهَمْتُ إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بدارٍ^٣
فكيف ترونسي وترون زجري ألسْتُ من الفلاسفةِ الكبارِ

ومن أبدع ما لأبي عبد الله وأغربه ، وأحلى الكلام واطننه قوله من كلمةٍ ،
يعني السيفَ ، وقد رويت لغيره^٤ :

حيث التقى أسدُ العرينِ وشادنُ^٥ تحت اللحافِ وصارمُ وسوارُ
قالت أرى بيني وبينك ثالثاً ولقد عهدتك بالدخيل تغار
أأمنتُ نَشَرَ حديثنا فأجبتُها هذا الذي تُطوى به الأسرار
وقوله أيضاً^٦ :

وتعجبني الغصونُ إذا تشَّتْ ولا سيمما وفيهنَّ الشارُ
إذا اهتزتُ^٧ نهودُ في قدودٍ فقلُّ للحلمِ قد ذهب الوقارُ

١ الزير : الكتان (وهو أيضاً أحد أوتار العود)

٢ زهر الآداب : يحيل : الشريشي : يحار .

٣ الشريشي :

فطرت اليكم يا أهل ودي بقلب من هواكم مستطار

٤ المسالك : ٣٠٥ والشريشي ٤ : ٣١

٥ الشريشي : وظبية

٦ ورد البيتان في المسالك : ٣٠٥

٧ المسالك : هزت .

فصل في ذكر أبي الحسن علي بن محمد التهامي

واثبات جملة من شعره^١

كان مشتهراً بالاحسان ، ذربَ اللسان ، مخلىً بينه وبين ضروب البيان ، يدل شعره [على] فوزِ القُدْح ، دلالة برد النسيم على الصبح ، ويُعربُ عن مكانه من العلوم ، إعرابِ الدمع^٢ عن سرِّ الهوى المكتوم .

جملة من شعره في أوصاف شتى

المدح وما يتصل به من النسب

له من قصيدة أولها^٣ :

فؤادي الفداء لها من قُبِّ طوافٍ على الآلِ مثلَ الحبِّ

يقول فيها :

كأنَّ [على] الجوّ فضفاضةً مساميرها فضةٌ أو ذهب
كأن كواكبَهُ أعينُ تُراعي سنا الفجر أو ترتقب
فلما بدا طَفِقَتْ هَيَّبةً تُسْتَرُّ أحداقها بالهدب
وشقَّتْ غلائلَ ضوءِ الصّباحِ فلا هو بادٍ ولا محتجب

ومنها :

أبا قاسمٍ حُزّتْ صَفْوُ الكلامِ وغادرتْ ما بعده للعرب
وليس كلامك إلاّ النجومَ علوتْ فناثرتْها من كسب

١ كان على صلة بالوزير المغربي ، وله فيه مديح ، وقد استخدمه حسان بن مفرج (الذي ثار على الفاطميين بتحريض الوزير المغربي) رسولاً إلى عرب بني قرة ببرقة لتحريضهم على الثورة ، فقبض عليه في مصر وسجن ثم قتل سنة ٤١٦ ؛ ترجمته في تنمة اليتيمة ١ : ٣٧ وابن خلكان ٣ : ٣٧٨ (وهو ينقل عن اللخيرة) وعبر الذهبي ٣ : ١٢٢ والشذرات ٣ : ٢٠٤ وبرة الجنان ٣ : ٢٩ وقد وصف ابن خلكان ديوانه بأنه صغير وأن أكثره نخب .

٢ ديوان التهامي : ١٥ - ٢٠

٣ ص : الربيع

رأيت الفصاحة حيثُ الندى وهل ينظمُ الروضَ إلا السحب
وقد شرفَ الغيثُ إذ بينه وبين بنايكِ أدنى نسب

ومنها في صفة القلم :

وأرعنَ أخرسَ من كثرة اللـغاتِ بأرجائه واللَّجِبُ
يلاقي النجومَ بأمشالها من البَيِّضِ من فوقها واليلب
إذا واجه الشمسَ ردَّ الشعاع واعترضَ الرياحَ سدَّ المهب
ثبتَ بأرْقشَ ذي زينةٍ^١ تُجَلَّى الخطوبُ به والخطبُ/[١٥٣]
إذا ما جعلتَ له هذماً من النَّقْسِ طال الرماحُ السُّلْبُ
وطالتُ به مفخرأً أنها وإياه في الأصلِ بعضُ القصب
تقلَّمُ أقلامكُ الحادثاتِ فتبرأً^٢ وتهتمُّ نابَ النوب

وله من أخرى^٣ :

وكيف لا تُذركهُ نشوةٌ واللحظُ راحُ وجنى الريقِ راحُ
لو لم تكن ريقتهُ خمرهً لما تَشَنَّى عطفه وهو صاحُ
يبسمُ عن ذي أشرٍ مثلما يلتقطُ الظبيُّ بفيه الأقاحُ
أفله مني وقد صدتهُ برقدو صوتُ منادي الفلاحُ
فنحن في نومٍ وفي يقظةٍ بين دنوٍ منهمُ وانتزاحُ
وموقفٍ لولا التقى لالتقى فيه نجادي ونظامُ الوشاحُ
ومنها :

ومجهلٍ مشتبهٍ طُرُقُهُ كأنما هُنَّ خطوطُ قُزاحُ

١ الديوان : وإن واجه الريح .

٢ الديوان : ريقة .

٣ الديوان : قسراً .

٤ ديوان التهامي : ٢٢

وهذا تشبيهه مخترع ، ومعنى مبتدع .

كأنما أشباحُ أنضائنا قسيُّ نبعٍ وكأنا قداح
حتى اجتلينا بعدَ طولِ السرى بخرقةِ الكاملِ وَجْهَ الصباح
فقال لي صبحي أبدُرُ الدجى فقلتُ لا بل هو بدرُ السباح
يُنبيكَ عن سُودده بِشْرُهُ مخايلُ السؤددِ خُرسُ فصاح
واصطلح الناسُ على فضلهِ واختلفوا بعدُ فليس اصطلاح

ومنها :

إن لمسَ الطرسَ بأطرافها فاضَ نوالاً وبياناً وساح
وشقَّ من لؤلؤهِ أفخرَ اللؤلؤِ هنَّ الكلمات الفصاح^٢

وهذه القصيدة مدح بها أبا القاسم بن المغربي المتقدم الذكر .

وله من أخرى^٣ :

لو جادهنَّ غداةَ رُمنَ رواحا غيثٌ كدمعي ما أزدنَ براحا
ماتت لفقْدِ الظاعنينَ ديارهمُ فكأنهمُ كانوا بها أرواحا

وهذا كقول ابن الرومي وقد تقدم^٤ :

فقد ألفتُهُ النفسُ حتى كأتهُ له جسدٌ إن بانَ غودِرَ هالكا
متوارثي مرضِ الجفونِ وإنما مرضُ الجفونِ بأن يكنَّ صحاحا
من كانَ يكلفُ بالأهلةِ فليزرُ وَلَدِي هلالِ زغبةِ ورياحا
لا عيبَ فيهم غيرُ شحِّ نسايتهمُ ومن السباحةِ أن يكنَّ شحاحا

١ الديوان : السبا

٢ في الديوان :

لؤلؤ هن الكلمات الفصاح

وسمى من لؤلؤه أبحراً

٣ ديوان النهامي : ١٠

٤ لم ترد البيت نفسه فيما تقدمه ، وإنما ورد بيتان آخران من قصيدة ابن الرومي هذه في ١ : ٢٠٨

طَرَقْتُهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَّتْ لَهُ
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَسِنَّةٌ

ومنها في المدح :

يرمي الكتيبة بالكتاب إليهم
من نقيسه دهماً ومن مياته
ساست أقاليم الورى أقلامه

وله من أخرى^١ :

بعثت إليك بطيفها تعليلاً
فأتاك وهناً والظلام كآته
وإذا تأملت الكواكب خلتها
أهدت لنا من خدها ورضابها
ورداً إذا ما شمّ زاد غضاضةً
وجلّت لنا برداً يشهي برده
برداً يذيب ولا يذوب فكلها

وهذه كقول ابن الرومي ، وقد تقدم^٢ :

ريق إذا ما ازددت من شربيه

ومنها في ذكر القلم :

يلقى العدا من كُتبه بكتائب
فترى الصحيفة حلبة وجيادها
في كفه قلم أتم من القنا

وهناً من الغرر الصباح صباحا
وهزرن من تلك القدود رماحا

فيرون أحرفه الخميس كفاحا
زرداً ومن أليفاته أرماحا
فأجم أطراف القنا وأراحا

وخضاب ليلك قد أراد نصولا
نظم النجوم لرأسه إكليلا
زهراً تفتح أو عيوناً حولاً
[ورداً] تحيينا به وشمولا
ولو أنه كالورد زاد ذبولاً
نفس الحصور العابد التقبيلاً
شرب المتيم منه زاد غليلاً

رياً ثنائي الري ظمناً

يجرّن من زرد الحروب ذيولاً
أقلامه وصريهئن صهلاً
طولا وهن أتم منه طولا

١ ديوان التهامي : ٢٩

٢ الذخيرة ١ : ٣٦٣

قلم يقلم ظُفْرَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ويردُّ حدَّ شَبَّاتِهَا مفلولا
ومنها :

يدعو النبي من الجدود وحيدراً ومن العمومة جعفرأ وعقيلأ
نسبُ ترى عنوانهُ في وجهه لا شبهةً فيه ولا تأويلا
ومن أخرى^١ :

وأراد الخيالُ لثمي فصيّرتُ لثامي دون المراففِ سترأ
أصر في الكأس من رضابك عني حاشَ لله أن أرشَفَ خمرا
ولو أن الرضابَ غيرُ مدامٍ لم تكوني في حالة الصحو سكرى
[ومنها في ذكر القلم] :

وإذا راش بالأناملِ منه قلمأ واستمدَّ ساءَ وسراً
قلمأ دبَّرَ الأقاليمَ حتى قال فيه أهلُ التناسخِ إمرا
يتبعُ الرمحُ أمرهُ إنَّ عشريــــن ذراعاً بالرأي تخدمُ شبرا
ومن شعره مما يتعلق بأوصافِ طيفِ الخيال ، وله أغراضُ غريبة ، وألفاظ
عجيبة ، قال^٢ :

عَبَسَنَ من شَعْرٍ في الرَّأسِ مَبْتَسِمٍ ما نَفَرَ البِيضُ مِثْلُ البِيضِ في اللَّمَمِ
فَقَبِلْتَنِي تَوَدِيعاً فَقَلْتُ لها كَفَي فليس ارتشافُ الخمر من شيمي / [١٥٤]
لو لم يكن ريقها خمراً لما انتطقتْ بلؤلؤٍ من حبابِ الثغرِ منتظم
ولو تيقنتُ غيرَ الراحِ في فمها ما كنتُ ممن يصد اللثم باللثم
وزاد ريقَتَها برداً تحدرُها على حصي بَرْدٍ مِنْ ثغرها شيم

١ ديوان النهامي : ٣٦

٢ ديوانه : ٦ وهي في مدح الأمير نصر الدولة بن مروان الكردي .

ومعنى البيت الثاني من هذه كقول أبي الحسن الرضي^١ :
وقبلته فوق اللثام فقال لي هي الخمر إلا أنها بفدام
وتشبيه أرياق الملاح بالراح أكثر من أن يحصى ، وأشهر من أن يتقصى ، ولكن
التهامي ولد معنى حسناً ، وجرّ هاهنا للبلاغة رسناً ، بقوله : « لو لم يكن ريقها
خمرأ .. » البيت .

وفيهما يقول :

إنسي لأطريف طرفي عن محاسنها تكراً وأكف الكف عن أمم
ولا أهم ولي نفس تنازعني أستغفر الله إلا ساعة الحلم
ومعنى هذا البيت حسن ، ولكن أبا الطيب كان أملك لشهوته ، وأعف في حين
خلوته ، حيث يقول^٢ :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
ألا تسمع كيف عفّ في الكرى ، وأتى من حُسن اللفظ وبراعة القسمة بما
ترى ؟ وقد أثبت في أخبار ابن الأبار^٣ ، في هذا المعنى عدة أشعار .

وقال التهامي^٤ :

أهدى لنا طيفها نجداً وساكنه حتى اقتنصنا ظباء البدو والحضر
فبات يجولنا من وجهها قمراً من البراقع لولا كلفة القمر
وراعها حرّ أنفاسي فقلت لها هواي ناز وأنفاسي من الشرر
وزاد درّ الثنايا درّ أدمعها فالتف منتظماً منه بمنشر
فما نكرنا من الطيف الملمّ بنا ممن هويناه إلا قلة الخفر

١ لم أجده في ديوان الرضي .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٠ والذخيرة ٢ : ١٤٠

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ١٣٥ - ١٤٤

٤ ديوان التهامي : ٤١ .

فسرتُ أعشُرُ في ذيلِ الدجىِ وهأ
وللمجرّةِ فوقِ الأرضِ مُعترَضُ
وللشريا رقودُ فوقِ أرحلنا
كأنَّ أنجمَهُ والصبحُ يُغمضها
فروعَ السربِ لما ابتلَّ أكرعه
ولو قدَرَنَ وثوبُ الليلِ منخرِقُ

ومنها :

لو لم يكن أحيواناً تفرُّ مسمها
يا ربُّ معنى بعيدِ الشأو أسلكهُ
لفظاً يكونُ لعقدِ القولِ واسطةً
إن الكتابةَ سارتُ نحو أمليه
تردُّ اقلامُهُ الأرماعِ صاغرةً

وفي كتابك فاعذر من يهيمُ به
الطرسُ كالوجه والنوناتُ دائرةً

وله من أخرى :

قولا له هل دار في حوْبائه
ريمٌ إذا رفع الستائرَ بيننا
نمّ الضياءُ عليه في عَسَقِ الدجىِ
أهدى لنا في النومِ نجداً كلهُ
وسفرن في جنحِ الدجى فتشابهتُ

ما كان يزدادُ طيباً ساعةَ السحر
في سيلكِ لفظٍ قريبِ الفهمِ مختصر
ما بين منزلةِ الإسهابِ والحصر
والجودِ فالتقيا فيه على قدر
عكساً كعكسِ شعاعِ الشمسِ للبصر

من المحاسنِ ما في أحسنِ الصور
مثلُ الحواجبِ والسيناتِ كالطُريرِ

أن القلوبَ تحومُ حولَ خبايئه
أعشاني اللألاءُ قبلَ رواه
حتى كأنَّ الحسنِ من رقبائه
بيدوره وغصونهِ وظبائه
في الليلِ أنجمُ أرضهِ وسبائه

١ ديوان النهامي : ٨٨ وقد مر منها بيان نسبها الى الناضي نبيد الوهاب المالكي (ص : ٥٢٤)
٢ الديوان : دون .

وجلا جبيناً واضحاً كالبدري في
حتى اذا حطّ الصباحُ لثامه
حيّاً بكأسِ رضايه فرددتها
قلبي فداؤك وهو قلبٌ لم تزل
جاوَزتهُ شرَّ الجوارِ وزرتهُ
حرقُ سوى قلبي ودَعه فاني
تكويره وبعاده وضيائه
ومضى الظلامُ يجرُّ فضلَ ردايه
نفسى فداءِ رضايه وإبائه
تذكي شهابَ الشوقِ في أثنائه
لما حللتَ فناءه بِفَنائه
أخشى عليك وأنت في سودائه

ومعنى هذا البيت مشهور، وقد أجرينا منه طلقاً فيما تقدم .

ومن مراثيه قصيدته التي أوهأ :

حُكْمُ المنيّةِ في البريةِ جارٍ ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ
يقول فيها :

إئسي وتُرتُ بصارمٍ ذي رونقٍ
يا كوكباً ما كان أقصرَ عمره
وهلالَ أيامٍ مضى لم يستلِز
عجل الحسوفُ عليه قبل أوانه
واسئَلُ من أتراه ولداً به
فكأنّ قلبي قبره وكأنه
أشكو بعاذك لي وأنت بموضعٍ
والشرقُ نحو الغربِ أقربُ شقّةً

أعددته لطلاية الأوتار
وكذاك عمرُ كواكبِ الأسفار
بدرًا ولم يُهَلْ لوقتِ سرار
فمجاه قبل مَظنّةِ الإبدار
كالمقلّة استلت من الأشفار
في طيه سرٌّ من الأسرار
لولا الردى لسمعت فيه سراري
من بُعدِ تلك الخمسة الأشبار/ [١٥٥]

ومنها :

قَصرتُ جفوني أم تباعدَ بينها
لو كنت تُمنعُ خاضَ دونك فتيةً
أم صوّرتُ عيناً بلا أشفار
منا بحارَ عواملٍ وشفار

فَدَحَوْا فُؤَيْقَ الْأَرْضِ أَرْضاً مِنْ دَمٍ ثَمِ اثْنَوْا فَبِنُوا سَمَاءَ غِبَارِ
قَوْمٍ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ حَسِبْتَهُمْ سُحْباً مُزْرَرَةً عَلَى أَقْفَادِ
ومن هنا أخذ ابن عبد البر الشنتريني قوله في صفة الاكواس :

كَأَنَّهَا وَشِعَاعُ الشَّمْسِ دَاخِلَهَا قُمْصٌ مِنَ الْمَاءِ قَدْ زُرَّتْ عَلَى هَبِّ
وَتَرَى سَيُوفَ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهَا خُلِجٌ تَمَدُّ بِهَا أَكْفُ بَحَارِ
لَوْ أَشْرَعُوا أَيَّامَهُمْ مِنْ طَوْهَا طَعَنُوا بِهَا عَرْضَ الْقَنَا الْخَطَّارِ
وَكَأَنَّهَا مَلَأُوا عِيَابَ دَرُوعِهِمْ وَغَمُودَ أَنْصُلِهِمْ سَرَابَ قِفَارِ
فَتَدْرَعُوا بِمَتُونِ مَاءٍ جَامِدٍ وَتَقْنَعُوا بِحَبَابِ مَاءٍ جَارِ
يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحَسَنِ وُجُوهِهِمْ كَتَزَيَّنَ الْهَلَاتِ بِالْأَقْمَارِ
مِنْ كُلِّ مَنْ جَعَلَ الْقَنَا أَنْصَارَهُ وَكُرْمَنَ فَاسْتَغْنَى عَنِ الْأَنْصَارِ
وَاللَيْثُ إِنْ سَاوَرْتَهُ^٢ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى الْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
وَإِذَا هُوَ اعْتَقَلَ الْقَنَاةَ حَسِبْتُهَا صِيلاً تَأْبِطُهُ هَزْبُرٌ ضَارِ
شَابَ الْقَذَاةَ وَكُلُّ غَصْنٍ صَائِرٌ فَيُنَائِيهِ الْأَحْوَى إِلَى الْإِزْهَارِ
وَتَلْهُبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرَقِي هَذَا الشِّعَاعُ^٣ شَوَاطِئُ تِلْكَ النَّارِ
ومن أخرى^٤ :

أَبَا الْفَضْلِ طَالَ اللَّيْلُ أُمَّ خَانَسِي صَبْرِي فَخَيْلَ لِي أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تَسْرِي
يقول فيها :

وَلَا حُزْنَ إِلَّا يَوْمَ فَارَقْتُ شَخْصَهُ وَرَحْتُ بَبْعِ النَّفْسِ وَالْبَعْضِ فِي الْقَبْرِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَادِثَاتِ بِمِرْصِدٍ لِتَأْخِذَ كُلِّ مِثْلٍ مَا أَخَذَتْ شَطْرِي
أَحِينَ نَضَا ثُوبَ الطَّفُولَةِ نَاسِلاً كَمَا نَسَلَ الرِّيشُ اللَّوْأَمُ عَنِ النَّسْرِ

١ الديوان : الظبا . ٣ الديوان : الضياء .
٢ الديوان : بارزته . ٤ ديوان التهامي : ٧٧

وخلى رضاعَ الثدي مستبدلاً به
وألقى تمياتِ الصِّبا وتباشرتُ
وقامتُ عليه للعلاءِ شواهدُ
طواه الردى طيَّ الرداءِ فأصبحتُ
وقالوا سَيْسَلِيهِ التَّاسِي بِغَيْرِهِ
ومنها :

بضربٍ يطيرُ البيضُ من حَرِّ وَقَعِهِ
ولما تُضْفُفُ في نصرَةٍ الله طعنةُ
فلا تسألوني عنه صبراً فأنني
وإلا تكنُ قلبي فانك بَعْضُهُ
شعاعاً كما طار الشرارُ عن الجمر
إلى ضربة كالتبر فوق شفا نهر
دفنتُ به قلبي وفي طيه صبري
قددتكما قدَّ الهلال من البدر

قوله : « أحين نضا ثوب الطفولة .. » كقول المعري :

ترى أعطافها ترمي حمياً كأجنحة البُرْزاة رَمَتْ نُسَالَا

وقوله : « كما استشهد العضب السريجي بالأثر » كقوله أيضاً ٢ :

* كالسيف دلَّ على التأثيرِ بالأثر *

وقوله : « كالتبر فوق شفا نهر » معناه مشهور ، إلا أنَّ التهامي لم يُتهم فيه
ولا أنجد ، ولا اضطلع بأعباء ما تقلد ، ولا قام ولا قعد ، وأعلق منه بنسبه الذي
يقول :

* عليهنَّ من وَقَعِ السيوفِ حواجبُ *

وقال آخر :

* فنضربهم شُكْلاً ونطعنهم نُقْطَا *

١ شروح السقط : ٤٧

٢ شروح السقط : ١٣٩ و صدر البيت : يبين بالبسر عن إحسان مصطنع .

وقال آخر ، وإن كان في اللفظ [وكان بين أجزاء البيت تباعد :
 طعنُ كما فَهَقَ الغديرُ يَوْمَهُ ضربُ كحاشيةِ الرداءِ طويلُ
 وهذا كثيرٌ وهو من متداولاتِ المعاني ، ومنه قول أبي العشائر الحمداني :
 أخا الفوارسِ لو شهدتَ موافقي والخيل من تحت الفوارسِ تُنحطُ
 لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى والبيضُ تُشكِلُ والأسِنَّةُ تنقطُ
 وكان أبو الطيب يستحسنه له على قلةِ رضاه ، بقولٍ سواه .

ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة

قال من قصيدة^٢ :

تحوّل الدهرُ أحوالي وبدّلني	داراً بدارٍ وجيراناً بجيرانٍ
وربّ أمرٍ رميتني الحادثاتُ به	أرنبو إليه وحالي فيه حالان
إذا نظرتُ بعين الهزلِ أضحكني	وإن نظرتُ بعين الجِدِّ أبكاني
يظلم الكريمُ فلا يُسقى وقد ظفرتُ	كفُّ اللثيمِ بسيحانٍ وجيحان
تأمل القدرَ المحتومَ وارضَ به	فانما ورنَ الدنيا بميزان
فظلّ يزدادُ فيها كلُّ منتقص	علاً ويهبطُ منها كلُّ رجحان
كم من رجالٍ إلى الأديان قد نصبوا	وربما صيدتِ الدنيا بأديان
كم عمّرتُ بالخنا خالي منازلهم	عمارةَ الكتبِ من فقه وقرآن
وباقلُ الخطِّ سبحانهُ المقالِ فهل	كباقلٍ في نشاه أو كسحبان
تراه مجفوّ نادٍ مستضامٍ يدٍ	مستخبلاً وهو في أثواب لقمان/ [١٥٦]
ما ذنبُهُ غيرُ نفسٍ لا تساعده	على لباسِ رياءٍ غيرِ صوّان

١ البيتة ١ : ١٠٤

٢ لم ترد في ديوان التهامي .

قوله : « ويهبط منها كلُّ رجحان » ، كقول ابن الرومي^١ :
 قالت علا الناسُ إلا أنتَ قلتَ لها كذاك يسفلُ في الميزانِ ما رجحا
 وذكرت بذكره باقلاً وسحبانَ ، قولَ أحمد بن سليمان^٢ :
 إذا وصف الطائيَّ بالبخلِ مَادِرٌ وعيرٌ قُسّاً بالفهاهةِ باقِلُ
 وقال السُّهالُ للشمسِ أنتَ خفيّةٌ وقال الدجى للصبح لوئكَ حائلُ
 فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدِّي إن دهرَكَ هازلُ
 وقوله : « يظا الكريم فما يسقى .. » البيت ، معنىً قد طوي ونشر ، وعرف
 حتى أنكر ، ومنه قول بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبد الغفور ، من
 شعر اندرج له في رسالة خاطب بها بعضَ أهلِ وقتهِ^٣ :

وأصْرَفُ عِن وَرِيٍّ وَقَدْ غَمِرَ النَّدَى^٤ خفيفَ عذارٍ والهبْنَقَةَ الألقى
 ومن عجبٍ أن يُقْطَعَا كُلَّ نُحَّةٍ^٥ وأمنعَ لِلْقُرْصِ الَّذِي قَاتَنِي ملحا

وقال التهامي^٦ :

ألا قاتلَ اللهَ الحمامَ فانها بكتُ فَشَجْتُ قلباً طروباً إلى هندی
 وما ذكره هنداً وقد حال دونها قنا الخطُّ أو بيضُ رفاقٍ من الهندی
 وأسدُّ على جُرْدٍ من الخيلِ ضُمَّرَ وهيهات من تحميه أسدُّ على جرد
 وبيداء^٧ تكبو دون إيرادها القطا ويوهي السرى فيها قوى الحازم^٨ الجلد

١ ديوان ابن الرومي : ٥٦٣ وقد مرَّ في القسم الأول من الذخيرة : ٢٥٠

٢ يعني أبا العلاء المعري ، انظر شروح سقط الزند : ٥٣٣ - ٥٣٨

٣ انظر القسم الثاني من الذخيرة : ٣٦٦

٤ في الأصل : عمر الربا .

٥ في الأصل : لجة .

٦ ديوان التهامي : ٢٠٢

٧ الديوان : ويهاه

٨ الديوان : الضيغم

مطوحة لولا الدراري ما درى دليل بها كيف السبيل إلى الرشد
سباريت ما فيهن زاد لراكب سوى ما حوت فيها الأداحي من رُبْد
كيهَاء كلفت المطي اعتساقها إلى الحسب الزاكي إلى الكرم العِد
إلى الأسدِ الضرغام في حومةِ الوغى إذا احمرَّ في غاب القنا حدقُ الأسد
من [الأجأين] الذين جياذهم بأحشاء^٢ من عاداهم أبداً تُردي
نجوم بني فحطان في طخيةِ الدجى إلى عَدَدِ عِدِّ وألسنةٍ لُدِّ
وقال^٣ :

بين كريمين مجلسٌ واسعٌ والودُّ حالٌ تقربُ الشاسعُ
والبيتُ إن ضاق عن ثمانيةٍ مُتسعُ بالودادِ للتاسعُ

فصل في ذكر مهيار الديلمي

وذكر جملة من شعره ، مع ما يتعلق بذكره

كان شاعرَ العراقِ وَقْتَهُ لا يُدَافِعُ ، ولسانَ تلكَ الآفاقِ لا يَنارِعُ ، سبيلُ
أصبحت منه المذانبُ تلاعا ميثاً ، وبدرٌ تجلَّتْ به الغياهبُ قديماً وحديثاً ، أحد من
خُلِّيَ بينه وبين الميدانِ هنالك فَجْرَى وَحَدَهُ ، وسبق من قبله إلى غايةِ الاحسانِ فما
ظنُّكَ بمن بعده ، وقد أخرجتُ من شعره ما يعلِّلُ الرفاقَ ذكراه ، ويملأ الآفاقَ سناؤه
وسناه .

١ الديوان : القصد

٢ الديوان : بأحياء .

٣ لم يرد البيتان في ديوانه .

٤ هو أبو الحسين (أو أبو الحسن) مهيار بن برزويه ، كان مجوسياً وأسلم - فيما يقال - على يد الشريف الرضي . سنة
٣٩٤ هـ ، اقرأ ديوان شعره بجامع المنصور ببغداد ، وكانت وفاته سنة ٤٢٨ : انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٦
والمنتظم ٨ : ٩٤ ودمية القصر ١ : ٢٨٤ وابن الاثير ٩ : ٤٥٦ وابن خلكان ٥ : ٣٥٩ وعبر الذهبي ٣ : ١٦٧ وابن
كثير ١٢ : ٧٦ والشذرات ٣ : ٢٤٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٦ ، ويقع ديوانه في أربعة أجزاء (ط . دار الكتب
المصرية : ١٩٢٥ - ١٩٣١) .

جملة من شعره في اوصاف مختلفة

قال من قصيدة^١ :

مَنْ عَذِيرِي يَوْمَ شَرْقِيٍّ الْحَمَى مِنْ هَوَىٍّ جَدًّا بِقَلْبِيٍّ مَرْحَا
 نَظْرَةٌ عَارَتْ فَعَادَتْ حَسْرَةً قَتَلَ الرَّامِيَّ بِهَا مَنْ جَرَحَا
 لَا تَعُدُّ إِنْ عَدْتَ حَيًّا بَعْدَهَا طَارِحًا عَيْنِيكَ فِيهَا^٢ مَطْرَحَا
 فَدَ تَذَوَّقْتُ الْهَوَى مِنْ قَبْلِهَا وَأَرَى مُغَذِّبَهُ قَدْ أَمْلَحَا
 سَلُّ طَرِيقَ الْعَيْسِ مِنْ وَادِي الْغُضَا كَيْفَ أُعْشِقْتُ لِنَا رَأْدَ الضَّحَى
 لَا لَشَيْءٍ غَيْرِ مَا جِيرَانِنَا خَلَفُوا نَجْدًا^٣ وَحَلُّوا الْأَبْطَحَا
 يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ الْحَمَى^٤ شَدُّ مَا هَجَّتَ الْجَوَى وَالْبَرْحَا
 يَا نَدَامَايَ بِسَلْعٍ هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْمَغْبِقَ وَالْمُصْطَبِحَا
 أَذْكَرُونَا ذِكْرَنَا عَهْدُكُمْ رَبِّ ذَكَرَى قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا
 وَارْحَمُوا^٥ صَبًّا إِذَا غَنَّى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْفَدْحَا
 رَجِعِ الْعَاذِلُ عَنِّي آيسًا مِنْ فَوَادِي فَيْكُمْ أَنْ يَفْلِحَا
 لَوْ دَرَى ، لَأَحْمَلْتُ نَاجِيَةً رَحْلَهُ ، فِي مَنْ لِحَانِي مَا لِحَا
 [قَدْ شَرِبْتُ الصَّبْرَ عَنْكُمْ مَكْرَهًا وَتَبِعْتُ السَّقْمَ فَيْكُمْ مُسْمِحًا]^٦
 وَعَرَفْتُ الْهَمَّ مِنْ بَعْدِكُمْ فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرْحَا

١ ديوان مهباز ١ : ٢٠٢ وقد نظمها سنة ٤١٤

٢ في الأصل : بقلبي .

٣ الديوان : فينا

٤ كذلك هي في أصل الديوان ، وجعلها المحقق : « أُعْشِقْتُ » .

٥ الديوان : الشيء .

٦ الديوان : نفضوا نجداً

٧ الديوان : من كاظمة .

٨ الديوان : واذكروا .

٩ زيادة من الديوان لاتصال السياق .

ما سمعتم^١ في السرّي من قبلهم بابين ليلٍ ساءه أن يصبح
أراه قلب المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى » .

صوحت ريحانة العيش به
انكرت تبديل أحوالي ومن
شد ما منى غروراً نفسه
والمنى والظن باباً أبداً
قد خبرت الناس خبيري شيمي
وتولت على أخلاقهم^٢
يشتهون المال أن يبقى لهم
وهذا كقول الآخر^٣ :

أبو حسن يشهى المديح
كبكر تشهى لذيذ النكاح
ويعجز عن صلة المادح
وتفرق من صولة الناكح/ [١٥٧]
رجع :

ما تبالي ما قضت حاجاتها
عود البدر وقد قابله
وراه البحر أوفى جمّة
أنتم استزلتم عنها يدي
ما دمي من خفها أو قرحا
غرة مات بها مستصبحا
منه بالنائل لما طفحا
بعد ما ظن بها لن تسمحا^٤

وقال^٥ :

١ الديوان : سمعنا .

٢ في الأصل : الأحباب

٣ في الأصل : أعلامهم .

٤ الشعر في أمالي القالي ٣ : ١٢٧ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٩٠ ونسب فيه لابن هرمة وكذلك في المختار : ٢٩٠

وحماسة ابن الشجري : ٢٦٩ وانظر ديوان ابن هرمة (جمع المعبيد) : ٢٦٣ - ٢٦٤ وفيه تحريجات كثيرة .

٥ الديوان : بعدما عز بها أن أسمحا .

٦ ديوان مهباز : ٣ : ٣٢٧

بكر الوابل^١ تحدوه النعامي
 ومشتت فيك أرواح الصبا
 وإذا مغنى خلا من زائر
 ففضى عهدا الهوى أن تصبحي
 أجتدي المزن وماذا أربي
 وقليل قيل أن ادعو لها
 أين سكائك لا أين هم
 صدعو^٣ بعد التمام فعدت
 وتلقوا كل حيران بليد
 يا لؤاة الدين عن ميسرة
 فسفك الري يا دار أماما
 يتأرجن بأنفاس الخزامي
 بعد ما فارق أو زير لاما
 للمحيين مناخا ومقاما
 أن يجود المزن أطلا لاما
 لا يراني الله أستجدي الغما
 أحجازا يموها أم شاما
 بهم أيدي المرامي تترامي
 يسأل الجندل عنهم والرغاما
 والضنينات وما كن لاما

والمصراع الأول من هذا البيت كقول أبي الفرج الوأواء^٤ :

يطل كل العباد دينهم وهو ملي بذلك الدين

ومنها :

قد وقفنا بعدكم في ربكم
 سعد الراكب تحت [به]
 تطأ العسف فتدمي خفها
 تنزري أنفا في خلقها
 وقضينا استلاما والشاما
 جسرة تخط وهدا وإكاما
 جبهات الأرض شجا ولطاما
 أن تطيع السوط أو ترضى الزاما

١ الديوان : العارض .

٢ الديوان : حفظ

٣ في الأصل : صدعت

٤ ديوان الوأواء : ٢٢١ .

٥ في الأصل : تتبرا .

وبجرعاء الحمى قلبي فَعَجَّجُ
 وترجّلُ فتحدّثُ عَجَباً
 قلْ لجيرانِ الغضا أو على
 نصلَ العامِّ وما نساكمُ
 حملوا ریحَ الصُّبا نشاركُمُ
 وابعثوا أشباحكمُ لي في الكرى
 وقف الظامي على أبوابكم
 ما يبالي من سقيتنِ لمي
 واعجبوا من أن يرى الظلمُ حلالاً
 أشتكيكمُ وإلى من أشتكي
 أنتمُ والدهرُ سيفٌ وفمُ
 كلما عاتبْتُ في حظي دهري
 وإذا استصحبْتُ خلاً فكأنني
 لمتُ أيامي على الغدر فقد
 ولزمتُ الصمتَ لا أشكوهمُ
 دفع الله وحامى عن أناسٍ^١
 كان دهري هراماً قبلهمُ

بالحمى واقراً على قلبي السلاما
 أنَّ قلباً سار عن جسم أقالما
 طيب عيش بالغضا لو كان داما
 وقصارى الوجد أن نسلخ^٢ عاما
 قبل أن تحمل شيخاً أو ثاماً
 إن أردتم^٣ لجفوني أن تناماً
 أفيقضي^٤ وهو لم يقض أواماً
 منعكن الماء عذباً والمداماً
 شاربٍ وهو يرى الخمر حراماً
 شمل الداء فمن يُسري^٥ السقاما
 لا يملأن ضراباً وكلاماً
 زادني العتبُ لجاجاً وغراماً
 منه جردت على حنفي حساماً
 زادت الإجرام حتى لا ملاباً
 بعد أن أفنيت في العذل الكلاما
 مذ رعوني لم يضعوا لي سواماً
 فأعادوه بما أبدوا غلاماً^٦

١ في الأصل : يصلح .

٢ الديوان : أدنتم .

٣ في الأصل : فتفضي .

٤ في الأصل : القتل : والظلم : ماء الاسنان .

٥ الديوان : أنتم الداء فمن يشفي .

٦ الديوان : رجال

٧ سقط هذا البيت من الديوان .

كفني جودهم أن أجتدي وأبى عزهم لي أن أضاما
وقال من أخرى^١ :

لا عداك الغيثُ يا دارَ الوصالِ كلُّ مُنَحَلِّ العرى واهي العزالي
ومنها :

والغواني آفاتٌ لفي ويدي مرتبكات^٢ في حبال
كل هيفاء يميني طوقها فحمة الليلِ وقرطها شالي
وقال^٣ :

أتراها يوم صدت أن أراها علمت أني من قتلى هواها
أم رمت جاهلةً ألاحظها لم تميز عمدها لي [من خطاها
سنحت بين المصلئ ووني مسنح الظبية تستقري طلاها
وقال^٤ :

ضربوا بدرجة الطريق قباهم يتقارعون بها على الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه حب القرى خطباً على النيران
وقال من قصيدة أولها^٥ :

دعوها ترد بعد خمسٍ شروعا وراخوا علائقها والنسوعا
ولا تحبسوا خطمها أن تطول الحياض وأيديها أن تبوعا
وقولوا دعاء لها لا عُقرت ولا امتد دهرك إلا ربعا

١ ديوان مهيار ٣ : ١٣٣

٢ الديوان : أذونات لفي ... مرتينات .

٣ ديوانه ٤ : ١٨٩

٤ ديوانه ٤ : ٥٦

٥ ديوانه ٢ : ٢٢٢

فقد حَمَلْتُ وَنَجْتُ أَنْفَساً كَرَّائِمَ جُبْنَ الْأَمَانِي سَرِيعَا
حَمَلْنَ نَشَاوَى بِكَأْسِ الْغَرَامِ كُلُّ غَدَا لِأَخِيهِ رَضِيعَا
أَحْبَبُوا فُرَادَى وَلَكِنَّهُمْ عَلَى صِيحَةِ الْبَيْنِ مَاتُوا جَمِيعَا
حَمُوا رَاحَةَ النَّوْمِ أَجْفَانَهُمْ وَشَدُّوا عَلَى الزَّفَرَاتِ الضَّلُوعَا
وَبَاتُوا بِأَيْدِيهِمْ يَسْنَدُونَ فَوْقَ الرَّحَالِ جُنُوباً وَقَوْعَا
وَفِي الرِّكْبِ إِنْ وَصَلُوا لِأَحْقِينَ عَقَائِلُ يَشْفِينُ تِلْكَ الصَّدُوعَا
مِنَ الرَّاقِصَاتِ بِحَبِّ الْقُلُوبِ حَتَّى يَصِيرَ الْحَلِيمُ الْخَلِيعَا
قِصَائِدُ لَمْ يَصْطَفَيْنَا الْمِيَاءَ وَلَمْ يَحْتَرِشْنَ السَّرَايِعَ جَوْعَا
إِذَا الْحَسْبُ إِعْتَزُّ مِنْ خَنْدِفِ مَسْحَنَ ذَوَائِبَهُ وَالْفُرُوعَا/ [١٥٨]
خَرَّقْنَ نَقُوباً لَنَا فِي السَّجُوفِ جَعَلْنَ الْعَيُونَ عَلَيْهَا رَقُوعَا
فَقَمْتُ أَنَا شَدَهْنَ الْعَهْودَ لَوْ يَسْتَطَعْنَ الْكَلَامَ الرَّجِيعَا

قوله : « خرقن نقوباً .. » البيت ، اهتدمه من قول العتبي^٢ :

وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنِي أَوْ سَمِعْنَ بِي بَدَرْنَ فَرَقْعَنَ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

وأخذ هذا المعنى أبو الشبل^٣ من شعراء الدولة العباسية فقال^٤ :

رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسْنِي أَهْبَةَ الْكَهْلِ
فَأَعْرَضْنَ وَقَدْ كُنَّ إِذَا قِيلَ أَبُو الشَّيْبِ

١ في الديوان : يصطبغن ، وهو خطأ ؛ واصطفان المياه : اقتسامها لشح في الماء .

٢ هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو ، شاعر بصري راوية ينسب الى جده عتبة بن أبي سفيان ، وتوفي سنة ٢٢٨ (انظر ابن خلكان ٤ : ٣٩٨ وفي الحاشية مصادر ترجمته) والبيت ورد عند ابن خلكان ٤ : ٣٩٩ ومعجم

المرزباني : ٣٥٧ والأغاني ١٤ : ١٩٢

٣ أبو الشبل عاصم (أو عصيم) بن وهب له ترجمة في طبقات ابن المعتز : ٣٨٠ والأغاني ١٤ : ١٨٤ وكان حياً في أيام المتوكل ، وكان كثير الغزل ماجناً .

٤ الأبيات في الأغاني ١٤ : ١٩١

تَسَاعَيْنَ فَرَقْنَ الْكُوى بِالْأَعِينِ النَّجْلِ

ومن أناشيد المبرد^١ :

سَدَدَنْ خِصَاصَ الْبَيْتِ حِينَ دَخَلْتُهُ بِكَلِّ [الْبَانِ] وَاضِحٍ وَجِبِينِ

وقال مهيار^٢ :

لَعَلَّهُمْ لَوْ وَقَفُوا أَيْلُ هَذَا الْمَدْفُ
يَا قَلْبُ هَلْ أَنْتَ مَعِي^٣ أَمْ مَعَهُمْ مُنْصَرِفُ
يَا حَادِي الْأَطْعَانِ أُرْ وِدُّ، بَعْضَ مَا تَعْتَسِفُ
فَان [فِي] بَيْنَهَا^٤ أَفْتَدُ تَحْتَطِفُ
عَلَى النِّقَا الْمَطْلُولِ مِنْهَا غُصْنُ مَهْفُفِ
إِيهِ عَلَى رِيحَانِهِ لَوْ كَانَ مِمَّا يَقْطِفُ
فَلَا بَرَا وَجَدِي بِهِمْ وَلَا أَفَاقِ الشَّغْفِ^٥

وقال من أخرى^٦ :

مَشْتَبَهُ أَعْرَفُهُ وَإِنَّمَا مِغَالِطاً قَلْتُ لِحَبِيبِي : دَارُ مَنْ
يَا صَاحِبِي عَوْناً وَإِنْ أَيْسَنِي مِنْ جَلْدِي^٧ قَوْلِي لِحَوَارِي : أَعِينُ
قَفْ بَاكِيّاً فِيهَا فَإِنَّ كَتَّ أَخِي مَوَاسِيّاً فَبِكَّهَا عَتَكَ وَعِينُ
يَا زَمناً مَرّاً كَمَا اقْتَرَحْتُهُ بِالنَّعْفِ إِنْ عَادَ الصَّبَا فَعُدُّ إِذْنُ

١ الكامل ٢ : ٢٨٤ وروايته : سددن خصاص الخيم لما دخلته .

٢ ديوان مهيار ٢ : ٢٨١ .

٣ الديوان : هل أنت يا قلب معي .

٤ أورد : تمهل ، وفي الأصل أزرور .

٥ الديوان : فان بين سوقها .

٦ لم يرد هذا البيت في الديوان .

٧ ديوان مهيار ٤ : ٤٧ .

٨ الديوان : وإن اشفني مع جلدي .

٩ الديوان : أخوا مؤاسياً .

وحاملي على السرورِ حاملُ في كفه وطره سيفَ الفتن
قد كتب الهجرُ على عارضه ما أقبح الهجرانَ بالوجه الحسن
يديرُ مما اختارَ عسجديةً ما قُلِّلتُ^١ عن مثلها هامةً دن

وقال يمدح الوزير ابن المغربي من قصيدة^٢ :

وقفنا وأتعب لي الرقابِ يسقطُ الغضا^٣ طللُ يمثُلُ
وفي الركبِ من ثعلٍ من يدقُ إلا على سهمِ المقتل
أوانسُ ماتت لهنّ الذحولُ وحلمَ فيهنّ من يجهلُ
محسدة العين شهلُ اللحاظِ يصبغها ميلها الأكل
مهاوي قلائدها إن هوينَ بطاءً على غررٍ تنزل
أحقاً تقنّصني بالحجازِ في شكّتي رشاً أعزل
عددتُ سني لها والبياضُ لدعواي في عدها مبطل
وأقبلتُ أستشهدُ الأربعينَ لو أن شهادتها تُقبلُ
وقالوا رداءُ جميلُ عليك ألا ربما كرهَ الأجل
وما الشيبُ أولُ مكروهةٍ بحبوبة أنا مستبدل
تمرّن جنبي بحمل الزمانِ فكلّ ثقلاته أحمل
يردُّ يدي عن منال المنى وكفّي من باعِهِ أطولُ
وتعقلُ ناشط عزمي الهمومُ والماءُ يجبسُهُ الجدولُ
وما الحظُّ في أدبٍ مُفصحٍ ومن دونه نَشَبُ مجبلُ
يرومُ الفتى رتبةً وهو [حيث] يجعلُهُ مالهُ يجعلُ

١ الديوان : قطعت .

٢ ديوان مهيار ٣ : ١٢٥ .

٣ الديوان : اللوى .

٤ سقط هذا البيت من الديوان .

تَشْرَفُ بِحِطِّ فَا نِ الْحِظْوِظِ وَوَا فِ الْمَوَاسِمِ . ضَخَمَ الْعِيَابِ حَمَى اللّٰهَ لِلْمَجْدِ نَفْسًا بَغِيرِ وَحِيًّا عَلَى ظُلْمَاتِ الْخُطُوبِ وَتُقْبَلُ بِالرِّزْقِ قَبْلَ السُّؤَالِ وَمِنْهَا :

تَخْطَى بِلَا قَدَمٍ تَسْتَزِلُّ مِنْ الْقَوْمِ تُنْجِدُ أَيْمَانَهُمْ لَهُمْ غُرْرٌ أَزْدَشِيرِيَّةٌ وَيَوْمٍ تَوَاكَلُ فِيهِ الْعَيْونُ تُعَارِضُ فِيهِ الْكِمَاةُ الْكِمَاةُ بَطْعَنٍ كَمَا [شُقٌّ] ٢ جِيبُ الْقَمِيصِ .

ومنها :

وَتَحْتَكُ طِرْفُ يَطِيشُ الْمِرَاحُ كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ طَافَتْ عَلَيْهِ شَجَاهُ غِنَاءُ الطُّبَا فِي الطُّلَى إِذَا فَاتَ سَعْيُكَ [شَأْ] وَالرِّيَاحُ يَضُجُّ النَّدِيُّ خَصَامًا فَإِذَا وَيَخْتَلِفُ النَّاسُ حَتَّى إِذَا بَسَطَتْ يَدَيْنِ يَدًا تَأْخُذُ النَّفْسُ بِهَا وَيَدًا تَبْذُلُ فِيمَنَّاكَ صَاعِقَةٌ تُتَّقَى وَيُسْرَاكَ بَارِقَةٌ تَهْتَلُ

١ هذا البيت والذي يليه لم يردا في الديوان .

٢ زيادة بحسب المعنى . اذ البيت لم يرد في الديوان .

ولم تر أنواءً من قبلها
فذاك وتفعلُ مالا تقولُ
أعيدُك بالكلماتِ التي
فما يسعُ الجوُّ ما قد وسعتُ
ليهنِ الوزارةُ أن رُوجتْكَ
غدتُ بك مُحصنةً لا تحلُّ
وتعلمُ إن نازعتُ للرجالِ
لئن جنتها عانساً قد أبرَّ
فمن معجزاتك أن الشبابَ
وإن كنتَ آخرَ خطابها
فضاحكُ بغداد بعد الخطوبِ
طلعتَ عليها طلوعَ الصباحِ
ومنها:

فهل أنت مُنتشلي من نيوبِ
ومن عيشةٍ كلُّ أعوامها
فصنُ بك وجهي عمَّن سواكُ
فكم راش مثلك مثلي فطارُ
وقدماً وفي لزهيرٍ وزادُ
فسار به الشعرُ فيما سمعتُ
وحسانُ أمست رقاء الصعابُ
تعرفَ ریح عطاياهمُ
وأبصر نعاءهمُ نازحينُ

١ يشير إلى أن حسان كان قد أضر في شيخوخته . ولكنه عرف ببصيرته أن جيلة بن الأيهم كان قد أرسل إليه عطاء زهدايا .

ملوكٌ مضوا بالذي استعجلوا وطاب لهم ذكرٌ ما أجلوا
وما فيهمُ جامعٌ ما جمعتَ إذا أنتَ حصَّلتَ أو حصلوا
رمى الشعراءُ عناني إليك ففتتُ وأرساغهم تُشكَلُ
وسرهمُ أنهمُ يعملونَ بزعمهمُ وأنا أعملُ
ولو أقتع الخبرُ بالسيفِ كان أحقُّ بضربِ الطلِّ الصيقلُ
ببسطكٍ لي سال وادي فمي ولا ينسي الكلمُ الأفضلُ
أفسوتها مهرةً لا يعصُ بغيرِ يدي شذقتها مسحلُ^٢
محرمةُ السرجِ إلا عليك تشرفُ منك بمن تبعلُ
كان عبيداً تغطى بها ومسحَ أعطافها جرولُ

فصل في ذكر أبي منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي الخراساني^٣

والايتيان بطرق من خبره وحميد أثره

كان أبو منصور - وقتته - راعي تَلَعَاتِ العلم ، وجامعَ أَشْتَاتِ النثر والنظم ،
أسوةً المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكره سَيْرَ المثل ،
وَضُرِبَتْ إليه أباطُ الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغرب ، طلوعَ النجم في

١ الديوان : ذخري .

٢ زيادة من الديوان ليتصل سياق الأبيات .

٣ ترجمته في ابن خلكان ٣ : ١٧٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) وعبر الذهبي ٣ : ١٧٢ ونزهة الالباء : ٢٤٩ ودمية القصر
(ط . حلب) : ١٨٣ والشذرات ٣ : ٢٤٦ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٦٦ وانظر مقدمتي محققي كتابي التمثيل
والمحاضرة ولطائف المعارف ، ففيها محاولة لمدِّ كتبه ، ودراسة عن الثعالبي بعنوان « الثعالبي ناقدًا وأديبًا » للاستاذ
محمود عبد الله الجادر ، بغداد ، ١٩٧٦ .

٤ ابن خلكان : رأس .

الغيايب ، وتواليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر راو لها وجامع ، من أن يستوفيهما عدً أو صفً ، أو يُوفيهما حقوقها نظمً أو رصف، وقد أخرجت من نشره فصولاً أدرجها في أثناء كتبه ، ومن نظمه جملاً وتفاصيل أعرب بها عن تفرق طبعه وتدقق أدبه ، تشارك الأرواح في الأجساد ، وتقعده للاقتراح بالمرصاد .

من ذلك فصول من كلامه في صدر كتابه « فقه اللغة »^١ :

مَنْ شرح الله صدره للإيمانِ اعتقد أنَّ محمداً عليه السلام خيرُ الرسل ، والاسلامَ خيرُ الملل ، والعربَ خيرُ الأمم ، والعربيةَ خيرُ اللغات ، والاقبالَ على تفههما من الديانة ، إذ هي أداة العلمِ ومفتاحُ التفقهِ في الدين ؛ ثم هي لإحراز الفضائلِ ، والاحتواءِ على المروءةِ وسائرِ المذاهبِ كالينبوعِ للماء ، والزُّندِ للنار . ولو لم يكنْ في الإحاطةِ بخصائصها ، والوقوفِ على تضاريفها ، إلا قوةُ البيانِ^٢ في معرفةِ إعجازِ القرآنِ ، وزيادةِ البصيرةِ في إثباتِ النبوةِ ، اللذين هما عمدة الدين^٣ ، لكفى بها فضلاً يحسنُ أثره ، ويطيبُ في الدارينِ ثمره ، فكيف وأيسرُ ما خصَّها الله تعالى به من ضروبِ المباحِ يُكلُّ أقلامَ الكتَّبةِ ، ويُتعبُ أناملَ الحسَّبةِ .

وفي فصل^٤ :

قيض الله لها خَزَنَةً وحفظَةً من خواصِّ الناسِ وأعيانِ الفضلِ وأنجمِ الأرضِ ، فنسوا^٥ في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر ، وكدوا في حَصْرِ لغاتها طباعَهُمْ ، وأسهرُوا في تقييدِ شواردها

١ فقه اللغة : ١

٢ فقه اللغة : وسائر أنواع المناقب .

٣ فقه اللغة : اليقين .

٤ فقه اللغة : الايمان .

٥ فقه اللغة : ٣

٦ فقه اللغة : تركوا

أجفانهم ، فعظمت الفائدة ، وعمت المصلحة ، وكلما بدأت معالمها^١ تنتكر ، وعرض لها ما يشبه الفترة ، ردّ الله تعالى لها الكرة ، فأهبَّ ريجها ، ونفّق سوقها ، بصدر^٢ من أفراد الدهر أديب ، ذي صدر رحيب ، وقريجة ثاقبة ، ودراية صائبة/[١٦٠] يجب الأدب ، ويتعصب للعرب^٣ ، فيجمع شملها ، ويكرم أهلها، ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها ، مثل الامير السيد الأوحى أبي الفضل [الميكالي] :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل
وما عسييتُ أن أقولَ في من جمع طرائفُ المحاسن ، واستوى على غايات
المناقب ، فان ذكر كرم المنصب ، وشرف المنتسب ، كانت شجرته الميكالية في قرارة
المجد والعلاء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وإن وُصفَ حُسنُ الصورة التي هي
أولُ السعادة ، وعنوانُ الخيرِ وسمةُ السيادة ، كان في وجهه المقبول الصبيح ، ما
يستنطقُ الأفواه بالتسبيح ، لا سيما إذا تفرّق ماء البشر في عُرتِهِ ، وتفتّق نورُ
الشرف بين أسرته . وإن مُدِحَ حُسنُ الخلقِ فله أخلاقُ خُلِقنَ من الكرم المحض ،
وشيمٌ تشامُ منها بارقةُ المجد ، فلو مُزِجَ بها البحرُ لَعَدَبَ طعمه ، ولو استعارها الزمانُ
لما جار على حرِّ حكمه ، وإن حُدِّثَ عن التواضع كان أولى بقول البحترى^٥ من قيل
فيه :

دنوتَ تواضعاً وعلوت مجداً^٦ فشاناك انحدارُ وارتفاعُ

١ فقه اللغة : معارفها .

٢ فقه اللغة : بفرد

٣ فقه اللغة : للعربية .

٤ فقه اللغة : أطراف

٥ ديوان البحترى : ١٢٤٧

٦ الديوان : وبعدت قدراً .

كذلك الشمس تبعد ان تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأما سائر أدوات الفضل وآلات الخير وخصال المجد فقد قسم الله تعالى له
منها ما يباري الشمس ظهوراً ، ويجاري القطر وفوراً . وأما فنون الأدب فهو ابن
بجدتها ، وأخو جملتها ، وأبو عذرتها ، ومالك أزمته ، ولله هو إذا غرس الدر في
أرض القراطيس^١ ، ودرزاً بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره جواهر البلاغة
على أنامله ، فهناك الحسن برمته ، والاحسان بكليته ، فلو كنت بالنجوم مصدقاً
لقلت : إن عطارداً تأثق في تدبيره ، وقصر عليه معظم همته ، ووقف في طاعته ، عند
أقصى طاقته . ومن أراد ان يسمع سرّ النظم ، وسحر الشعر^٢ ، ورقية الدهر ، ويرى
صوب العقل ، وذوب الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشذ ما أسفر عنه طبع مجده ،
وثمره^٣ عالي فكره ، من ملح تمتزج بأجزاء النفوس لنفاستها ، وتُشرب بالقلوب
لسلاستها :

قوافٍ اذا ما رآها المشوق هزها الغايات القدودا
كسوّن عبيداً ثياب العبيد وأضحى لبيد لديها بليدا

وفي فصل^٥ :

وايم الله ما من يوم أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدني بالاعتباس
من ثوره ، والاعتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسودد تنتثر من شمائله ،
ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالاً على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من

١ فقه اللغة : القراطيس

٢ فقه اللغة : وطرز .

٣ فقه اللغة : النشر .

٤ فقه اللغة : وأثمه .

٥ فقه اللغة : ٤ وليس بين هذه الفقرة وما تقدّم حذف .

٦ فقه اللغة : الكرم والفضل .

الحاظه . وانتهيتُ فرائدَ الفوائدِ من ألفاظه . إلا تذكرتُ ما أنشدنيه لابن الرومي^١ :

لولا عجائب صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصبٍ
 وأنشدتُ فيما بيني وبين نفسي قول الطائي^٢ :

فلو صَوَّرتَ نفسك لم تَزِدْها على ما فيكَ من كرمِ الطباعِ
 وثَلثتُ بقول كشاجم^٣ :

ما كان أحوجَ ذا السكّالِ إلى نقصِ يوقيه من العين
 وربَّعتُ بقول المتنبي^٤ :

فان تُفَقِرِ الأنامَ وأنتَ منهم فان المسكُ بعضُ دم الغزالِ
 وفي فصل^٥ :

فاستغرقت أربعة أشهرٍ هناك بحضرته ، وتوفرت على خدمته ، وما رمتُ في أكثرِ الأوقاتِ في الليل والنهار عاليَ مجلسه ، وتعطرتُ عند ركوبه بغبار موكبه ، فبالله بيناً قد كنتُ غنياً عنها لو خفت [حنتاً] فيها أني ما أنكرتُ طَرْفاً من أخلاقه، ولم أشاهدُ إلا شرفاً ومجداً من أحواله ، وما رأيتُه اغتاب غائباً ، أو سبَّ حاضرأ ، أو حرم سائلاً ، أو خيبَ أملاً ، أو أطاع سلطانَ الغضبِ والحرد ، أو تصلى بنارِ الضجرِ وبطشَ بطشَ المتجبرِ ؛ وما وجدتُ المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطاه ، فعوذتُه بالله تعالى من كلِّ طَرْفٍ عائن ، ومن كلِّ صدرٍ خائن ، هذا ولو أعارتني

١ ديوان ابن الرومي : ١٩٦ .

٢ ديوان أبي تمام : ٣٤٠ وشرح العيون : ٣٢٤ ، ٣٣٠ .

٣ مرغير منسوب في الذخيرة ٢ : ٦٨٠ .

٤ ديوان المتنبي : ٢٥٨ والذخيرة ٢ : ٦١٨ .

٥ فقه اللغة : ٥

خطباءً إيادَ ألسنتها ، وكتابُ العراقِ أيديها ، في وصف أياديه التي اتصلت عندي اتصالَ السعود ، وانتظمت لديَّ انتظامَ العقود ، فقلت في ذكرها طالباً/ [١٦١] أمدَّ الإسهاب ، وكتبتُ في شكرها مادداً أطنابَ الإطناب ، لما كنتُ بعد الاجتهاد إلا مائلاً في جانب القصور ، متأخراً عن الغرضِ المقصود ، فكيف وأنا قاصرُ البلاغة^١ ، قصيرُ باعِ الكتابة ، وعلى ذلك فقد صدقَ فهمي لبعدي - كان - عن حضرته ، وتكدرَ ماءُ خاطري لتطاولِ العهدِ بخدمته .

وفي فصل^٢ :

وما عدلتُ بمؤلفاتي عن اسمه ورسمه ، إخلالاً بما يلزمني من حقِّ سؤدده ، بل إجلالاً [له] عما لا أرضاهُ للمرورِ بسمعه ولحظه ، وتحامياً لِعَرْضِ بضاعتي المزجاجة على قُوَّةِ نقده ، وذهاباً بنفسي عن أن أهديَ للشمسِ ضوءاً ، أو أزيدَ في القمرِ نوراً ، أو أكونَ كجالبِ المسكِ إلى أرضِ الترك ، والعودِ إلى بلادِ الهند ، والعنبرِ إلى البحرِ الأخضرِ .

وفي فصل له^٣ :

ان خير الكلام بعد حمد الله والصلاة على رسوله ما شغل بخدمة مَنْ جمعَ الله له عُدَّةً^٤ الملكِ إلى بسطة العلم ، ونورَ الحكمةِ إلى نفاذِ الحكم ، وجعله مبرزاً على ملوكِ العصر ، ومدبّري الأرضِ وولاةِ الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، لا يدخلُ أيسرُها تحت العادات ، ولا يُدركُ أقلُّها بالعبارات ، ومحاسنِ سيرِ تحرُّسِها أسنَّةُ الأقلام ، وتدرسها السنة الليالي

١ فقه اللغة : قاصر سمي البلاغة

٢ فقه اللغة : ٧

٣ التمثيل والمحاضرة : ٤

٤ التمثيل : عزة .

والأيام ، وهذه صفةٌ تغني عن تسمية الموصوفِ لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثثاره على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير شمسِ المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ، إذ هو بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخبار ، واجتماع الأولياء ، وإصفاق الأعداء ، كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، وواحدُ الدهر ، وغرة الدنيا ، ومَفْرُوعُ الورى ، وجِنَّةُ العالم ، ونكتة الفلك الدائر ، فبلَّغَهُ اللهُ تعالى أقصى نهاية العمر ، كما بلَّغَهُ أبعَدَ غاية الفخر ، ومَلَّكَهُ ازمَةَ الارض ، كما ملكه أعنةَ الفضل ، وأدام حُسْنَ النظر للعباد والبلادِ بإدامية أيامه التي هي أعيادُ الدهر ، ومواسمُ اليُمنِ والأمن ، ومطالعُ الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً وفمواً ، كما زاده في السنِّ علواً ، حتى تكون السعاداتُ وفُدَّ بابُه ، والبشائرُ قَرى سمعه ، والمسائرُ غذاءَ نفسه ، ويترامى به الإقبالُ إلى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل .

وفي فصل ٣ :

هذا الكتابُ أخرجتُ بعضهُ من غررِ نجومِ الأرض ، ونكتِ أعيانِ الفضل من بلغاءِ العصرِ في النشر ، وحللتُ بعضه من نظمِ أمراءِ الشعرِ الذين أوردتُ مُلَحَ أشعارهم في كتابي المترجمِ « يتيمة الدهر » ، فلفقتُ جميعَ ذلك وَسَفُتُهُ ، وجردته وَسَفُتُهُ ، وأنفقتُ عليه ما رزقته ، وعملته بكدِّ الناظر ، وجهدِ الخاطر ، وتعبِ اليمين ، وعرقِ الجبين ، وتعمدتُ فيه لذةَ الجِدَّةِ ، ورونقَ الحدائثِ ، وحلاوةَ الطراوةِ ، ولم أشبهُ بشيءٍ سوى كلامِ أهلِ العصرِ إلا في قلائلٍ وقلائدٍ من ألفاظِ [الجاحظ] وابنِ المعتزِّ ، تخلَّلتُ أثناءَهُ ، وتوسَّطتُ تضاعيفه ، ولم أُخلِ كلماته التي هي وسائطُ الآدابِ ،

١ ص : ومشاهدة .

٢ التمثيل : وحسنة .

٣ سحر البلاغة : ٥

٤ في الاصل : من .

٥ في الأصل : الألباب .

وصياقلُ الألبابِ ، وما تشتهي أنفسُ الأدباءِ وتلذَّ أعينُ الكتابِ ، من لفظٍ فصيحٍ ، أو معنى صريحٍ^١ ، أو تجنيسٍ أنيسٍ ، أو تشبيهٍ بلا شبيهٍ ، أو تمثيلٍ بلا مثيلٍ ولا عديلٍ ، أو استعارةٍ أو طباقٍ ، على ذي رونقٍ باقٍ . فمن مرافقِ هذا الكتابِ قُرْبُ متناوِلِهِ من الكتابِ ، إذا وشّوا ديباجَ كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وساحةٍ قياده لأفراد الشعراء إذا رصّعوا عقودَ نظامهم مما يلتقطونه من شذوره . فأما المخاطبات والمحاورات فأنها تتبرّجُ بغيرِ من عُرِّره ، وتتوجُّ بدرقٍ من درره .

وفي فصل^٢ :

وقد كانت تجري في مجلسه العالي نكتٌ من أقاويلِ أئمة الأدبِ في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها ، مما لم ينتهوا إلى جمع شملها ، ولا توصّلوا إلى نظمها ، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لمع يسيرة كالتوقيعات ، وفقرٌ خفية كالإشارات ، فيلوح لي - أدام الله عزه - بالبحث على أمثالها ، وتحصيل أخواتها ، وما ينخرط في سلكها ، وأنا ألوذُ بأكتاف المحاجة ، وأحومُ حولَ المدافعة ، وأرعى روضَ الماطلة ، لا تهاوناً بأمره السذي أراه كالكتوبات ، ولا أميزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمي عن هدفِ إرادته ، وانحرافاً عن الثقة بنفسي في عمل/ [١٦٢] ما يصلحُ لخدمته ، إلى أن اتفقتُ لي في بعض الأيام التي هي أعيادُ دهري ، وأعيانُ عمري ، مواكبةً القمرين بمسيرة ركابه ، ومواصلة السعدّين بصلة جنابه^٣ في متوجّهه إلى فيروزباد ، ومنها إلى حداد^٤ ، بعضٍ قرأه من الشامات ، عمرها الله بدوام عمره ، فلما :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح^٥

١ سحر البلاغة : أو معنى بديع .

٢ فقه اللغة : ٧ .

٣ في الأصل : جناحه .

٤ فقه اللغة : خدای زاد

٥ الشعر والشعراء : ١٣ وفي تخریج البيت انظر السمط : ٧٧ (الملحق) وديوان كثير : ٥٢٥ .

وعدنا إلى العادة عند الالتقاء في تجاذبِ أهداب الآداب ، وفتقِ نوافج الأخبار والأشعار ، أفضت بنا شجونُ الحديث إلى هذا الكتاب ، فقال لي - صدق الله قوله ، ولا أعدم الدنيا طوله - : إنك إن أخذتَ فيه أجدت وأحسنت ، وليس إلا أنت ، فقلت : سمعاً سمعاً ، ولم أستجز لأمره دفعا ؛ فأقام لي في التأليف معالمَ أفقٍ عندها ، وأففوحَ حذَّها ، وأهاب [بي] إلى ما اتخذته قبلة أصلي إليها ، وقاعدةً أبني عليها : من التمثيل والتنزيل والتفصيل والتقريب والتقسيم والترتيب ، وانتجعتُ من الأئمة الخليل والأصمعي وأبا عمرو والكسائي وأبا عبيد وأبا زيد ، ومن سواهم من شيوخ العلماء ، وظرفاء الأدباء ، الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة ، وأقتبس^١ من أنوارهم :

وأجتني من ثمار قومٍ قد ألفت منهم البقاع

ومن كلامه في صدر كتاب اليتيمة

لما كان الشعر عمدة الأدب ، وعلم العرب الذي اختصت به على سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتابُ الله المنزل ، على النبيّ منهم المرسل ، عليه السلام الأجزل ، كانت أشعارُ الاسلاميين أرقَّ من أشعارِ الجاهليين ، وأشعارُ المحدثين [ألطفَ من أشعار المتقدمين] ثم كانت أشعارُ العصرين أجمعَ لنوادير المحاسن ، وأنظَمَ للطائفِ البديع من أشعار سائر المذكورين ، لانتهاؤها إلى أبعدي غاياتِ الحُسن ، وبلوغها أقصى نهايةِ الجودَةِ والظرفِ ، تكاد تخرجُ من باب الإيجاز إلى الإعجاز ، ومن حدِّ الشعرِ إلى السحر ، وكأن الزمانَ ادّخر لنا من نتائج خواطرمهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار افهامهم ، أتمَّ الألفاظ والمعاني استيفاءً لأقسام البراعة وأوفرها [نصيباً] من كمال الصنعة ورونق الطراوة ،

١ فقه اللغة : وأجتني .

٢ اليتيمة : الاعجاب .

ولسلك ما ساد النبي محمد كل الأنعام وكان آخر مرسل

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين والمتأخرين ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين عن إخلق جدته ، وبلى برذته ، [ومع] السمع لمردداته ، وملاحة القلب لمكرراته ، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رؤاء الحدائث ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة في كتاب يضم نشرها ، ويشد أزرها .

وقد كنت تصدّيت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، والعمر باقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء ، مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقياً تمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفيته شرطه ، وارتفع كعجالة الراكب ، وقضيت به حاجة في نفسي وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمستحسنين يتداولونه ، وحين أعزته بعض بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبيئت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : « إن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت ، عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه » هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟! ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة ومادات غزيرة حصلت إلي بعد ، فقلت : إذا كان هذا الكتاب له موقع من نفوس الأدباء ، ومحل من قلوب الفضلاء ، فلم لا أبلغ فيه المبلغ الذي يراد ، ويستوجب من الاعتداد^٢ ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والاتمام [هدفاً] المرام ؟ فجعلت أثبته وأحوه ، وأفتتحه فلا أختمه ، وأنتصفه فلا أتمه ، والأيام تعجز وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة ، فاختلست لمعة من ظلم الدهر ،

١ اليتيمة : والمتسخين .

٢ اليتيمة : المبلغ الذي يستحق حسن الاحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الاعداد .

وانتهزت رقدةً من عينِ الزمان ، واغتتمتُ بَبْوَةً من أنيابِ النوايب ، واستمررتُ في تقريرِ هذه النسخةِ الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخِ الكثيرة . فهذه تجمعُ من بدائعِ أعيانِ أهلِ الفضل ، ونجومِ الأرضِ من أهلِ العصرِ/ [١٦٣] ما لم تأخذِ الكتبُ العتيقةُ غرره ، ولم تقتضِ عُذْرَه ، ولم ينقضْ قِدْمُ العهدِ زُبْرَهُ .

والشرطُ في هذه النسخةِ إيرادُ لبِّ اللباب ، وحبّةِ القلب ، وناظرِ العين ، ونكتةِ الكلمة ، وواسطةِ العقد ، ونقشِ الفص ، فانِ أخرتُ متقدماً وقَدّمتُ متأخراً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيءِ والمقدّمُ غيره ، قال تعالى ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (التّغابن : ٢) وقال حسان بن ثابت ، وذكر بني هاشم^١ :

بِالليلِ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وابْنُ أُمِّ عَلِيٍّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وقال الصلتان العبدني :

فمَلَّتْنَا أَننا مسلمونَ على دينِ صديقنا والنبي

وفي فصل منه^٢ :

كان الخوارزمي في ربيعانِ عمره ، وعنفوانِ شبابه^٣ قد دَوَّخَ بلادَ الشام ، وحصل في حضرةِ سيفِ الدولةِ بحلب ، مجمعِ الرواةِ وأهلِ الأدب ، ومطرحِ الغرباءِ والفضلاءِ ، فأقام بها مع أئمةِ الأدباءِ بين علمٍ يدرسهُ ، وأدبٍ يقتبسه ، ومحاسنِ ألفاظٍ يستفيدها ، وشواردِ أشعارٍ يصيدها ، وانقلبَ عنها أحدَ أفرادِ الدهر ، وأمراءِ النظم والنثر ، وكان يقول : ما فَتَّقَ طبعي ، وشحذَ فهمي ، وصقلَ ذهني ، وأرهفَ حدَّ لساني ، وبلغَ هذا المبلغَ بي ، إلا تلكَ الطرائفُ الشامية ، واللطائفُ الحلبيّة ،

١ ديوان حسان : ١ ، ٩٩ (وفيه التخرّيج)

٢ البيّمة : ١ ، ٢٦

٣ البيّمة : وعنفوانِ أمره .

التي عَلِقَتْ بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصنُ الشبابِ رطيب ، وَبُرْدُ^١
الحدائثِ قشيب .
وفي فصل ٢ :

كان بنو حمدان ملوكاً أَوْجُهُهُمُ لِلصَّبَاحَةِ ، وألسنتُهُمُ للفصاحة ، وأيديهم
للساحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيفُ الدولة مشهورٌ بسيادتهم ، وواسطةُ قلاذتهم ،
عُرَّةُ الزمانِ والعصور ، وَمَنْ به سيداد الثغور ، وسدادُ الأمور ، وكانت وقائعه في عَصَاةِ
العرب تكفُّ بأسها وتغلُّ أنيابها ، وتُذِلُّ صِعَابها ، وتكفي الرعيةَ سوءَ آدابها ،
وغزواته تدركُ من طاغية الرومِ النَّارَ ، وتحسُّ شَرَّهُم المثار ، وتُحسِّنُ في الاسلامِ
الآثار ، وحضرتهُ مقصدُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وقِبْلَةُ الآمال ، ومحطُّ الرحال ، وموسمُ
الأدباء ، وقبلةُ الشعراء ، ويقال إنه لم يجتمع بباب أحدٍ من الملوك - بعد الخلفاء -
ما اجتمع ببابه من شيوخِ الشعر ، ونجومِ الدَّهْرِ ، والسلطانُ سوقٌ يجلبُ إليها ما
ينفق لديها ؛ وكان أديباً شاعراً محبباً لجيد الشعر ، شديدَ الاهتزازِ لما يُمدِّحُ به ، فلو
أدركَ ابنُ الروميِّ زمانه ما احتاج أن يقول :

ذهب الذين يهزهم مداحهم هزَّ الكماةِ عواليَ المرانِ
كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم فالاريجية منهم بمكان
وفي فصل ٣ :

كان أبو فراسٍ فَرْدَ دهرِهِ ، وشمسَ عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ،
وبلاغةً وبراعةً ، وفروسيةً وشجاعةً ، وشعره مشهورٌ سائرُ بينِ الحسنِ والجَوْدَةِ
والسهولةِ والجزالةِ والعدوبةِ والفخامةِ والحلاوةِ والمتانةِ ، ومعه رُؤاءُ الطبعِ وَسِمَةُ الظَّرْفِ
وعزةُ الملك ، لم تجتمع هذه الخلالُ قبله إلا في شعر ابن المعتز ؛ وأبو فراس بعدُ أشعرُ

١ البيتمة : ورداء .

٢ البيتمة : ١ : ٢٧

٣ البيتمة : ١ : ٤٨

منه عند أهل الصنعة وَتَفَدَّةَ الكلام . وكان الصاحب يقول : بدىء الشعر بملك -
يعني امرأ القيس - وختم بملك - يعني أبا فراس - .

وأطلت^١ عنانَ الاختيارِ في محاسنِ كلِّ شيءٍ حسنٍ^٢ لا سيما روميَّاته التي رمى
بها هدفَ الإحسانِ ، وأصابَ شاكلةَ الصوابِ . ولما خرجَ نيرٌ^٣ الفضلِ من سراه ،
وأطلقَ أسدُ الحربِ من إساره ، لم تطلُ أيامُ فرحته ، ولم تسمحِ النوائبُ بالتجافي
عن مهجته ، ودلَّتْ قصيدةُ قرأتها للصابي في تأيينه على أنه قُتِلَ في وقعةٍ كانت بينه
وبين بعضِ موالي أسرته ؛ وما أحسنَ وأصدقَ قولَ أبي الطيبِ :

فلا تَتَلَكَّ اللَّيالي إنَّ أيديها إذا ضربنَ كسرنَ النبعَ بالغرب
ولا يُعِنُّ عدواً أنتَ قاهرُهُ فانهنَّ يَصِدُنَّ الصقرَ بالحرب

وفي فصل^٥ :

كان المتنبي نادرةَ الفلكِ ، وواسطةَ عقْدِ الدهرِ ، في صناعةِ الشعرِ ؛ شاعرٌ
سيفِ الدولة الذي جذبَ بِضَبْعِهِ ، ورفعَ من قدره ، ونفَّقَ من سِعْرِ شعره ، وألقى
عليه شعاعَ سعادته حتى سار ذكره مسيرَ الشمسِ والقمرِ ، وسافرَ كلامُهُ في البدو
والحضرِ ، وكادت اللَّيالي تنشده ، والأيامُ تحفظه ، كما قال^٦ :

وما الدهرُ إلا من رواقِ قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشدا
فسار به مَنْ لا يسيرُ مسامراً وغنَّى به من لا يغني مغردا/[١٦٤]

١ البيهقي ١ : ١٠٢ - ١٠٣

٢ البيهقي : من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن .

٣ البيهقي : قمر .

٤ ديوان المتنبي : ٤٢٦

٥ البيهقي ١ : ١٢٦

٦ ديوان المتنبي : ٣٦١

وقد ألفت الكتب في تفسيره وجلاء^٢ مشكله وعويصه ، وكسرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبحار كلامه وعونه ، وتفرقوا في مدحه وذمه ، والقدح فيه والتعصب له وعليه ، وذلك أدل دليل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده على أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ورق المعاني ، والكمال من عدت سقطاته ، والسعيد من حُسيبت هفواته .

وانخذ^٣ الليل جملاً وفارق بغداد متوجهاً إلى ابن العميد ، ومراعماً للمهلب ، فوراً أرجاناً فطمع الصاحب في زيارته باصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، فكتب يلاطفه في استدعائه ، فلم يُقَم له المتنبى وزناً ، ولا أجابه عن كتابه ، وقصد عضد الدولة ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية . واتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ، ويتبع سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرّف الناس بمحاسنه ، وأكثرهم استعمالاً إياها في مخاطباته .

وخطأ^٤ المتنبى في اللفظ والمعنى كثير ، ويتبع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، ويفتح^٥ بذلك شعره ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط ، فبينما هو يصوغ أفرح حلّي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفَسَ وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة وتعويض اللفظ وتعقيد المعنى ، فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مسباغ لها ، واستهدف لسهام العائنين ، فمن متمثل بقول الشاعر :

١ البيمة ١ : ١٢٧

٢ البيمة : وحلّ

٣ البيمة ١ : ١٣٨

٤ البيمة ١ : ١٦٣

٥ كذا في الأصل ، وليست العبارة في البيمة ، ولعل الصواب « وينح »

أنت العروسُ لها جمال رائعٌ لكنها في كلِّ يومٍ تُصرِّعُ
ومن مشبِّه إياه بمن يقدم مائدةً تشتملُ على غرائبِ المأكولاتِ وبدائعِ
الطيباتِ ، ثم يُتبعها بطعامٍ وِضْرٍ وشرابٍ عكرٍ ، أو من يتبخَّرُ بالنَّدِّ المعشبِ المثلثِ
المركبِ من العودِ الهنديِّ والمسكِ الأصهبِ والعنبرِ الأشهبِ ثم يرتَّقهُ^١ بإرسالِ الريحِ
الخبِيثةِ ، أو بالواحدِ في عقلاءِ المجانينِ ممن ينطقُ بنوادرِ الكلامِ وطرائفِ الحكمِ ثم
يعتريه سكرُ الجنونِ .

وفي فصل ٢ :

أبو الفرج الببغا : نجم الآفاق ، وشامة الشامِ والعراقِ ، وظرفُ الظرفِ ،
وينبوع اللطفِ ، أحدُ أفرادِ الدهرِ ، في النظمِ والنثرِ ، ولقبَ بذلكِ للثغَةِ [فيه] .

وكان نظيف اللبسةِ ، بهيِّ الرُكبةِ ، مليحَ اللثغَةِ ، ظريفَ الجملةِ ، وأخذتِ
الأيامُ من جسمه وقوته ، ولم تأخذُ من ظرفه وملحه وأدبه ؛ ووردني كتابه سنة إحدى
وتسعين مشتملاً من النظمِ والنثرِ على ما أبدت^٢ به حالُ من بلغ ساحلَ الحياةِ ، ووقف
على ثنِيَةِ الوداعِ ، ولست [أدري] بعدُ ما فعل الدهرُ به ، وأغلبُ ظني أنه [الحق]
باللطيفِ الخبيرِ .

وفي فصل ٤ :

أبو الفرج ألأواء : من حسناتِ الشامِ ، وصاغَةِ الكلامِ ، ومن عجيبِ شأنه
أنه كان بدارِ بطيخِ دمشقَ ينادي على الفواكهِ ، وما زال يشعرُ حتى جاد شعره وسار
كلامه ووقع فيه ما يروقُ ، ويشوقُ ويفوقُ ، حتى تعلَّقَ بالعَيوقِ .

١ في الأصل : يوبقه .

٢ البيتة ١ : ٢٥٢

٣ البيتة : أنرت .

٤ البيتة ١ : ٢٨٨

وفي فصل ١ :

أبو محمد الواساني : أعجوبة الزمان ونادرته ، وفردُ عصره وبقاعته ، وهو أحدُ المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه .

وفي فصل ٢ :

أبو محمد بن وكيع : شاعرٌ بديعٌ ٣ ، وعالمٌ جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحدٌ في أوانه ، وله كلُّ بديعةٍ تسحرُّ الأوهام ، وتستعبدُ الأفهام .

وفي فصل ٤ :

السري الرفاء : وما أدراك ما السري ؟ صاحبُ سرِّ الشعر ، الجامعُ بين [نظم] عُقودِ الدرِّ ، والنفثِ في عُقدِ السحر ، ولله دره ، ما أعذبَ بحره ، وأعجبَ أمره !! وقد أخرجتُ من شعره ما يُكْتَبُ على جبهة الدهر ، وَيُعَلَّقُ في كعبةِ الظرف ٥ ، وكتبت منه محاسنٌ وملحاً ، وبدائعٌ وطرفاً ، كأنها أطواقُ الحمام ، وصدورُ البزاةِ البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهودُ العذارى الحسان ، وغمزاتُ الحدقِ الملاح .

وفي فصل ٦ :

عضد الدولة : [كان] على ما مُكِّنَ له في الأرض ، وجُعِلَ إليه من أزمّةِ البسنتِ والقبض ، وخُصَّ به من رفعةِ الشان ، وأوتي من سعةِ السلطان ، يتفرغُ للأدب ،

١ البيتية ١ : ٣٥١

٢ البيتية ١ : ٣٧٢

٣ البيتية : بارع

٤ البيتية ٢ : ١١٧

٥ البيتية : الفكر

٦ البيتية ٢ : ٢١٦

ويتشاغل بالكتب/ [١٦٥] ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل رائع قرأته للمصاحب في وصف شعره ، وطلب أمد الإبداع في مدحه .

وفي فصل ١ :

الصابي : أوحى العراق في البلاغة ، ومن تُشئى الخناصرُ به في الكتابة ، وتتفق له الشهاداتُ ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة . وكان قد حَقَّق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره ، ولا بس خيره ولا مس شره ، ورأس ورأس ، وخُدم وخُدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء ، وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره ، وأراده الملوك على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جليلة ، فلم يهدو الله للاسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه .

وفي فصل ٢ :

عبد العزيز بن يوسف : أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكلم ، وأعيان المدحيين المقدمين في الأدب والكتابة والبراعة والكفاية وجميع أدوات الرياسة . ونثره يُعرب عن أدب فضفاض ، وخاطر بالاجادة والاحسان فياض .

وفي فصل ٣ :

القاضي التنوخي : من أعيان الأدب والعلم ، وأفراد الكرم وحسن الشيم ، وإن أردت فسبحه ناسك ، وإن أحببت فتفاحه فاتك ، أو اقترحت فمدرعة راهب .

١ البيتة ٢ : ٢٤٢

٣ البيتة ٢ : ٣٣٦

٢ البيتة ٢ : ٣١٣

أو أشرت^١ فنُخِبَةُ شارب ، ريحانةُ الندماء ، و نارنجُ الظرفاء ، ويعاشرون منه مَنْ
تطيبُ عشرته ، وتلينُ قشرته ، وتكرمُ أخلاقه ، وتحسنُ أخباره ، وتسيرُ أشعاره ، حتى
نظمتُ حاشيتي البرِّ والبحر ، وناحييتي الشرق والغرب ، وكان له غلامٌ يسمى نسيماً
في نهاية الملاحاة واللباقاة ، وكان يؤثره على سائرِ غلمانه ، ويختصُّه بتقريبه واستخدامه ،
فكتب إليه بعضُ من يأنس به^٢ :

هل عليّ لامهُ مدغمٌ لا اضطرارِ الشعر في ميم نسيمٍ
فوقَ تحته : نعم ، ولم لا ؟
وفي فصل^٣ :

أبو علي ابنه : هلالُ ذلك القمر ، وغصنُ ذلك الشجر ، والشاهدُ العدلُ لمجدِ
أبيه وفضله ، والفرعُ المشيرُ لأصله ، والنايبُ عنه في حياته ، والقائمُ مقامه بعد
وفاته ، وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وناهيك بحسنه ، وامتناعِ فنّه ، وما جرى
فيه من الفألِ يمينه ، لا جرمَ أنه أُسِيرُ من الأمثال ، وأسرى من الخيال .
وفي فصل^٤ :

ابن لنكك : فرد البصرة وصدُرُ أدبائها ، وفردُ ظرفائها في زمانه ، المرجوعُ إليه
في لطائف الأدبِ وطرائفه ، وكانت حرفةُ الأدبِ تمسه وتجمسه ، ومحنةُ الفضلِ تدركه
فتخذه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يَضَعُه ؛ وأكثرُ شعره مَلَحٌ وطرف ، خفيفةُ الأرواحِ
تأخذ من القلوبِ بمجامعها ، وتقعُ من النفوسِ أحسنَ مواقعها ، وجلّها في شكوى
الزمانِ وأهله ، وهجاءِ شعراءِ عصره . ويشبه شعرُهُ في الملاحاةِ وقلةِ مجاوزةِ البيتينِ
والثلاثةِ شعرَ ابنِ فارس . وأقدَرُ أنه بالجبالِ كهو بالعراق . وكان يقال : إذا رمى
منصورُ الفقيهِ برجومه قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيتَ والبيتينِ أغربَ بما
جلب وأبدعَ بما يصنع ، فأما إذا قصَّدَ فقلماً ينجح ويفلح .

٣ البيئمة ٢ : ٣٤٦

٤ البيئمة ٢ : ٣٤٨

١ البيئمة : أثرت .

٢ ورد في الذخيرة ، القسم الثاني : ١٣٣

وفي فصل ١ :

ابن نباتة : من فحول الشعراء في عصره وأحاديهم ، وصدور مجيديهم وأفرادهم ، الذين أخذوا برقاب القوافي وخوارق المعاني . وشعره مع قُرب لطفه بعيد المرام مستمر النظام، يشتمل من حرّ الكلام على غرر كقطع الروض غب القطر ، وفقّر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، في أرق من نسيم الاسحار وشكوى الأحباب .

وفي فصل ٣ :

السلامي : من أشعر أهل العراق قولاً بالاطلاق ، وشهادةً بالاستحقاق ، وعلى ما أجريت من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، الذي كتبت من محاسنه نزهة العيون ورقى القلوب وسرّ النفوس . ولم يزل بحضرة الصاحب بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض ، إلى أن أترقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فجهزه الصاحب إليه وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال فيه : « باعة الشعر أكثر من عدد الشعر ، ومن يوثق أن حليته التي يؤديها من نسج فكره أقل من ذلك ؛ ومن خبرته بالامتحان فأحدثه ، وفرزته بالإحسان واخترته^٤ ، أبو الحسن السلامي . وله بديهة قوية ، ثوفي على الروية ، ومذهب^٥ [١٦٦] في الاجادة يهش السمع لوعيه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أملة - وخير له - الى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر معه بياض حاله ، فجهزت منه أمير الشعر في موكبه^٦ ، وحلّيت فرس^٦ البلاغة

١ البيتة ٢ : ٣٨٠

٢ البيتة : وملكوا رق .

٣ البيتة ٢ : ٣٩٦ ، ٤٠١

٤ في الأصل : واختبرته .

٥ في الأصل : مركبه .

٦ في الأصل : فارس

بمركبه ، وكتابي هذا رائدُهُ هذا إلى القَطْر ، بل مَشْرَعُهُ إلى البحر .

فاشتمل عليه جناحُ القبول ، ودُفِعَ إليه مفتاحُ المأمول ، واختصَّ بخدمة
عضد الدولة في مقامه وطمعنه إلى العراق ، وتوفَّرَ حظُّه من صلاته وخلعه ، واللهما تفتح
اللهي . وكان عضد الدولة يقول : « اذا رأيتُ السلاميَّ في مجلسٍ ظننتُ أنَّ عَطاردَ
قد نزل من الفلك إليّ ، ووقف بين يدي » .

وفي فصل^١ :

ابن سكرة الهاشمي : شاعرٌ متَّسعُ الباع ، في أنواع الإبداع ، فائقٌ في قول
الطرف والملح ، وأحدُ الفحول والأفراد ، جارٍ في ميدان المجون والسخف ما أراد .

وفي فصل^٢ :

ابن الحجاج : وإن كان في أكثر شعره لم يستتر من العقل بسخف ، ولا بنى
جلُّ قوله إلا على سخف ، فانه من سَحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وفردُ زمانه في
فته الذي شهَّرَ به ، لم يُسَبِّقْ إلى طريفته ، ولا لحُقْ شأوه في نمطه ، ولم يُرْ كاقْتداره
على ما يريد من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعدوبتها وانتظامها
في سلك الملاحظة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبةً بلغات المكيدين وأهل
السطارة ، ولولا أن جدَّ الأدب وهزله جدُّ لصنَّتْ كتابي عن كثيرٍ من كلام من يمدَّ يدَ
المجون فيعركُ بها أذنَ الحزم ، ويفتح جرابَ السخف فيصفعُ به قفا العقل .

وفي فصل^٣ :

القاضي ابن معروف : شجرةٌ فضلٍ عودها أدبٌ وأغصانها علمٌ وثمرتها عقلٌ
وعروقها شرف ، تسقيها سماءُ الحرية ، وتغذيها أرضُ المروءة .

١ البيتية ٣ : ٣

٢ في الأصل : وصدور .

٣ البيتية ٣ : ٣٦ .

٤ البيتية ٣ : ١١٢

وفي فصل ١ :

أبو الفرج الاصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ : كان من أعيان أدبائها
وأفراد مصنفها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء .

وفي فصل ٢ :

الشريف أبو الحسن الموسوي : [يتحلّى مع محتده الشريف] ومفخره المنيف
بأدبٍ ظاهر ، وفضلٍ باهر ، وحظٍّ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعرُ الطالبين مَنْ
مضى منهم ومن غير ، ولو قلتُ إنه أشعرُ قریش لم أبعدُ عن الصدق ، وقد شهد بما
أجريتُ من ذكره ، شاهدٌ عدل من شعره العالي القُدْح ، الممتنع عن القُدْح ، يجمعُ
إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتملُ على معانٍ يُقربُ جناها ، ويبعدُ
مداها .

وفي فصل ٣ :

الصاحب بن عباد : ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محلّه في
العلم والأدب ، وجلالته شأنه في الجود والكرم ، وتفردّه بغاياتِ المحاسنِ والشيم ،
وجمعه أشناتِ المفاخر ، لأن قولي ينخفضُ عن أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدٌ وصفي
يقصرُ عن أيسرِ فواضله ومساغيه ، ولكنني أقول : كانت همته في مجدٍ يشيده ،
وإنعام يُجدّده ، وفاضلٍ يصطنعه ، وكلامٍ حَسَنٍ يسمعه أو يصنعه ، ولما كان نادرةً
عطاردةً في البلاغة ، وواسطةً عقدِ الدهر في السباحة ، جُلِبُ إليه من الآفاق وأقاصي
البلاد كلُّ خطابٍ جزل ، وقولٍ فصل ، وصارت حضرتُه مشرعاً لروائع الكلام ،
وبدائع الأفهام ، ومجلسه مجعماً لصبوبِ العقول وذوبِ العلوم ونثارِ الخواطرِ ودررِ
القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يُعدُّ في السحر ويكادُ يدخلُ في حدِّ الإعجاز ، وسار

١ اليتيمة ٣ : ١١٤

٢ اليتيمة ٣ : ١٣٦

٣ اليتيمة ٣ : ١٩٢

٤ في الأصل : العقول .

كلامهُ مسيرَ الشمس ، [واحتفًا] به من نجوم الأرض وأفرادِ العصر وأبناء الفضلِ
وفرسان الشعر ما يُربي عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصرون عنهم في الأخذ
برقاب المعاني وملك رقّ القوافي ، فانه لم يجتمع بباب أحدٍ من الخلفاء ما اجتمع
بباب الرشيد من فحولة الشعراء .

وفي فصل^١ :

أبو دلف الخزرجي : شاعرٌ كثيرُ الملح والطُرف ، مشحودُ المديّة في الكديّة ،
خنقُ التسعين في الاضطراب والاعتراب ، وركوبُ الأسفار الصعاب ، وضربُ صفحة
المحراب^٢ بالجراب ، وخدمة العلوم والآداب .

وفي فصل^٣ :

القاضي الجرجاني : فرد الزمان ونادرة الفلك ، وإنسانٌ حدّقة العلم ، وقبة
تاج الأدب ، وفارسٌ عسكر الشعر ، يجمعُ خطّ ابنِ مقلّة إلى نشر الجاحظ ونظم
البحثري ، وينظمُ عقدَ الاتقان والاحسان في كلّ ما يتعاطاه .

وهذه أيضاً جملة من شعره

زاره الأمير أبو الفضل الميكالي فكتب إليه^٥ :

لا زال مجدك للسّامك رسيلاً وعلو جدك بالخلود كفيلاً
يا غرّة الزمنِ البهيم إذا غدا هذا الوريّ لزمانه تحجيلاً [١٦٧]
يا زائراً مدّت سحائبُ طولِهِ ظلاً عليّ من الجمال ظليلاً
وأنت بصوبِ جواهرٍ من لفظه حتى انتظمن لفرقي إكليلاً

١ البيتية ٣ : ٣٥٦

٢ في الأصل : الحراب .

٣ البيتية ٤ : ٣

٤ البيتية : درة . ٥ زهر الآداب : ٣١٢

٦ زهر : أهل العلا .

بأبني وغير أبي هلال نورُهُ
 نقشتُ حوافرُ طُرْفِهِ في عَرَضَتِي
 ولو استطعتُ فرشتُ مسقطَ خطوه
 ونثرتُ روعي بعدما ملكتُ يدي

يستعملُ التسييحَ والتهلِيلَا
 نقشاً محوتُ رسومَهُ تقبيلَا
 بجفون عينٍ لا ترى التكهيلَا
 وخررتُ بين يدي هَوَاهُ قتيلَا

وقال فيه ٢ :

لكَ في المفاخرِ معجزاتُ جَمَّةُ
 بحران : بحرٌ في البلاغةِ شابهُ
 كالنورِ او كالسحرِ أو كالبدرِ أو
 شكرًا فكم من فقرَةٍ لك كالغني
 وإذا تفتَّقَ نُورُ شعركِ ناضراً
 أرجلتَ فرسانَ الكلامِ ورضتَ أفـنـراسَ البديعِ وأنتِ أجمدُ مبدعِ
 ونقشتِ في فصِّ الزمانِ بدائعاً
 أبداً لغيركِ في السورى لم تُجمَعِ
 شعرُ الوليدِ وحسنُ لفظِ الأصمعي
 كالوشى في بُردٍ عليه موشعِ
 وفى الكريمِ بُعيدَ فقرٍ مدقعِ
 فالحسنُ بين مرصعٍ ومصرعِ
 تُزري بآثارِ الربيعِ المرعِ

وله إليه جواباً عن كتاب ورد عليه ٣ :

أنسيمُ الرياضِ حولَ الغديرِ مازجتهُ رِيَا الحبيبِ الأثيرِ
 أم وروذُ البشيرِ بالنجحِ من فسكُ أسيرِ أم يسرِ أمرِ عسيرِ
 في ملاء من الشبابِ جديدِ تحتَ أيكٍ من التصابي نظيرِ
 أم كتابُ الأميرِ سيدنا الفر دِ فيا حبذا كتابُ الأميرِ
 وثارُ السرورِ ما أجتنيه في سطورِ فيها شفاءُ الصدورِ
 نمفتها أناملُ تفتقُ الأنسوارَ والزهرَ في رياضِ السطورِ

١ زهر: بعيون عين .

٢ زهر الآداب : ١٣٧ واليتيمة ٤ : ٣٥٥

٣ زهر الآداب : ١٢٨ .

كالنسي قد جُمِعْنَ في التعم الغم مع الأمن من صروف الدهور
يا أبا الفضل يا ابنه يا أخاهُ جلَّ باريك من لطيف خبير
شيم يرتضعن دَرَّ المعالي ويعبَّرْنَ عن نميم العبير
وسجايا كأنهنَّ لدى البشرِ رضابُ الحيا بأزي مشور
وحيا لدى الملوك محيا صادق البشر مخجل للبدور
فأجابه الأمير أبو الفضل بأبيات منها :

وهدي زُفْتُ إلى السمع بكرٍ تتهادى في حليةٍ وشذورٍ
عجب الناسُ إذ بدت من سوادٍ في بياضِ كالمسكِ في الكافور
نُظِمْتُ من بلاغةٍ ومعانٍ مثلَ نظمِ العقودِ فوق النحور
كم تذكرتُ عهدهما من عهدٍ للتلاقي في ظلِّ عيشِ نضير
فدمتُ الزمانَ إذ ضنَّ عتاً باجتماعِ يضم شملَ السرور
ولئن راعنا الزمانُ أبينِ ألسناً الأُنسِ ذلَّةَ المهجور
فحسى الله أن يعيدَ اجتماعاً في أمانٍ من حادثاتِ الدهور
إنه قادرٌ على ردِّ ما فات وتيسيرِ كلِّ أمرٍ عسير

فصل في ذكر الشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري^١

واجتلاب جملة من كلامه

كان أبو اسحاق هذا صدرَ النديّ ، ونكتةَ الخبرِ الجليّ ، وديوانَ اللسانِ العربيّ ، راضَ صعايةً ، وسلكَ أوديتهُ وشعايةً ، وجمعَ أشناته ، وأحيا موأتهُ ، حتى صار لأهله إماما ، وعلى جدّه وهزله زماما ، وطنتُ به الأقطار ، وشُدَّتْ إليه الأقتابُ والأكوار ، وأنفقتُ فيما لديه الأموالُ والأعمار ، وهو يقذفُ البلادَ بدررٍ صدفها الأفكار ، وسلوكٍ ناظمها الليلُ والنهار ، عارضَ أبا بحرٍ الجاحظ بكتابه الذي وسمه بـ « زهر الآداب ، وثمر الألباب » ، فلعمري ما قصرَ مداه ، ولا قصرتُ خطاه ، ولولا أنه شغلَ أكثرَ أجزائه وأنحائه ، ومرجٍ يجبو حمي أرضه وسنائه ، بكلام أهلِ العصرِ دونَ كلامِ العربِ ، لكان كتابَ الأدبِ ، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد ، وأعمى بصيرته الحسد . ثم أخذنا بعد ذلك في إنشاء التواليف الرائقة ، والتصانيف الفائقة ككتاب « النور والنور »^٢ وكتاب « المصون من الدواوين »^٣ ، إلى عدّة رسائل وأشعار ، أندی من نسيم الاسحار ، وأذكى من

١ ترجمة الحصري أبي اسحاق في معجم الادباء ٢ : ٩٤ - ٩٧ وابن خلكان ١ : ٥٤ والوافي للصفدي ٦ : ٦١ ومسالك الأبطار ١١ : ٣٠٩ وعنوان الأريب ١ : ٤٣ ؛ وقد اختلف في وفاته فقال ابن رشيقي كما نقل عنه ياقوت توفي سنة ٤١٣ وقال ابن بسام سنة ٤٥٣ ورجح ابن خلكان القول الأول دون ان يذكر سبباً لذلك ، ولعله اعتمد على ان ابن رشيقي أدرى بذلك من غيره؛ ونقل الصفدي عن كتاب الجنان لابن الزبير أن الحصري ألف زهر الآداب سنة ٤٥٠ .

٢ في المسالك : ثم غير : ص : ثم أجد .

٣ يسميه الصفدي : نور الظرف ونور الطرف ، ويقول إنه اختصر فيه كتابه زهر الآداب ، وينقل التجاني في تحفة العروس : ١١٥ عما يسميه كتاب النورين للحصري وكذلك يسميه ياقوت ، ومرة أخرى ينقل التجاني عن نور الطرف : ١٣٨ ؛ وانظر عيون التواريخ (الفاتح رقم : ٤٤٤١) : ٧ : ٥٧ ؛ يسميه الصفدي : المصون في سرّ الهوى المكنون ، وعند ياقوت ، المصون والدرّ المكنون ؛ ومن هذا الكتاب نسخة بخزانة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ، ذكرها الدكتور محمد بن سعد الرويشد في مقارنة أجزائها بين طوق الهامة والمصون (مجلة الفيصل ، السنة الأولى ، عدد ١٠ ص ١٦ - ٢١) وانظر بروكلمان ١ : ٢٦٧ .

شميم الأزهار؛ وقد أخرجتُ من كلامه ما لا ينكر فضله ، ولا يُنشي مثله إلا مثله ،
وكانت وفاته - فيما بلغني - سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

فصول من كلامه اندرجت في تواليفه ، من نشره ونظامه

فصل ١ :

ولبني عليّ أهل البيتِ كلامٌ يعرضُ في حلى البيان ، ويُنقشُ في فصّ الزمان ،
ويُحفظُ على وجه الدهر ، ويفضحُ عقائلَ الدرّ ، ويكتحلُ بنور الشمس . ولم لا
يطوّون ذبولَ البلاغة ، ويحجّرون فضولَ البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمهم البتول ،
وكلهم/ [١٦٨] قد عُذِيَ بِدَرِّ الحلم ، وربّي في جِجْرِ العلم .

ما منهمُ إلا مُرَدِّي بالحجى أو مُبَشِّرُ بالأحويّة مؤدّم

وفي فصل ٢ :

البديع : اسمٌ وافقَ مسأه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، وكلامُهُ غضُّ المكاسر ، أنيقُ
الجواهر ، يكادُ الهواءُ يسرقُهُ لطفاً ، والهوى يعشقه ظرفاً . ولما رأى ابن دريد قد أغربَ
بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ،
وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارضَ حوشيةٍ ، وألغازٍ
عنجهيةٍ ، فجاء أكثر ما أظهرَ تنبؤ عن قبوله الطباع ، ولا ترتفع له حجُبُ الأسباع ،
وتوسّع فيها ، إذ صرّف ألفاظها ومعانيها ، في وجوهٍ مختلفةٍ ، وضروبٍ متصرّفةٍ ،
عارضه بأربعمائة مقامةٍ في الكدية تدوبُ ظرفاً ونقطة حسناً ، لا مناسبة بين واحدةٍ
منها لفظاً ولا معنى ، عطف مساجلتها ، ووصف مناقلتها ، بين رجلين يسمّى
أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبو الفتح الاسكندري ، وجعلها يتهاديان الدرّ .

١ زهر الآداب : ٥٦ والمسالك : ١٣٠

٢ زهر الآداب : ٢٦١ .

ويتنافثانِ السحر ، في معانٍ تُضجِكُ الحزين ، وتحرِّكُ الرصين يطالِعُ منها كل طريفة ،
ويوقِفُ منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخصَّ بعضها بالرواية .

وفي فصل ١ :

هذا كتابٌ اخترتُ [فيه] قطعةً كافيةً من البلاغة في الشعر والخبر، والفصول
[والفقرا]، مما حسن لفظه ومعناه ، واستُدِلَّ بفحواه على مغزاه ، ولم يكن شاردًا
حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ، بل كان جميعُ ما فيه من ألفاظه ومعانيه :

في نظامٍ من البلاغة ما شكَّ امرؤ أنه نظامٌ فريدٌ
حُزنٌ مستعملُ الكلام اختياراً وتجنبين ظلمة التعقيد
وركنَ اللفظَ القريبَ فأدركـن به غايةَ المراد البعيد

كتابٌ يتصرَّفُ فيه الناظرُ من نثره الى شعره ، ومطبوعه الى مصنوعه ، ومحاورته
الى مفاخرته ، ومناقلته الى مساجلته ، وخطابه المبهت ، الى جوابه المسكت ،
وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، الى أمثاله السائرة ،
وجذِّه المعجب ، الى هزله المطرب ، وجزله الرائع ، الى رقيقه البارع . وقد نزعَتْ فيما
جمعتُ عن ترتيب التوبيخ ، وعن إبعاد الشكلِ عن شكله ، وإفراد الشيء من
مثله ، فجعلتُ بعضه مسلسلاً ، وتركتُ بعضه مرسلاً ، ليحصلَ محرَّرَ النقد ، مقدَّرَ
السردِّ ، قد أخذ بطرفي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف . [وقد يعرُّا
المعنى فألحقُ الشكلَ بناظره ، وأُغلقُ الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقيةٌ أفرقها في
سائره ، ليسلمَ من التطويل المملِّ ، والتقصير المخلِّ ، وتظهرَ في الجميع فائدةُ
الاجتماع ، وفي التفريق لذادةُ الإمتاع ، فيكملُ منه ما يونقُ القلوبَ والأسماع ، إذ

١ زهر الآداب : ١

٢ الابيات للبحترى في ديوانه : ٦٣٦ - ٦٣٧

كان الخروج من جدُّ إلى هزل ، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، أنفى للكلل ، وأبعد من الملل ؛ وقد قال أبو العتاهية^١ :

لا يضلحُ النفسَ إذ كانت مصرَّفةً إلا التنقلُ من حالٍ إلى حالٍ

وفي فصل^٢ :

ومعلومٌ أنه ما انجذبت نفسٌ ، ولا اجتمع حسٌ ، ولا مال سرٌّ ، ولا جال فكر ، في أفضل من معنى لطيف ، ظهر في لفظٍ شريف ، فكسأه من حُسْنِ الموقع قبولاً لا يُدفع ، وأبرزه يختالُ من صفاء السبكِ ونقاءِ السلكِ وصحةِ الديباجةِ وكثرةِ المائة في أجمل حُلَّة ، وأجل حلية .

والمعنى إذا استدعى القلوبَ إلى حفظه ، بما ظهر في مستحسن لفظه ، من بارع عبارة ، وناصع استعارة ، وعذوبة مَوْرِد ، وسهولة مَقْصِد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابقٍ أنحاء وتجانسٍ أجزاء ، وتمكَّن ترتيب ، ولطافة تهذيب ، مع صحة طبع وجودة إيضاح ، يثقفه تثقيف القُداح ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدره أكمل تقدير ، [فهو مشرق في جوانب السمع] .

وان كنت^٣ قد استدركتُ على كثيرٍ ممن سبقني إلى مثلٍ ما أجريتُ إليه ، واقتصرْتُ في هذا الكتاب عليه ، لمح أوردتها كنوافثِ السحر ، وفقرَ نظمها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظِ أهلِ العصر ، في محلولِ النثر ، ومعقودِ الشعر ؛ ولهم من لطائف الابتداع ، وتوليداتِ الاختراع ، أبكارٌ لم تفترعها الأسماع ، يصبو إليها القلبُ والظرف ، ويقطرُ منها ماء الملاحظة والظرف ، وتمتزع بأجزاء النفس ، وتسترجعُ نافرَ الأنس ، تخللت تضاعيفه ، ووشحت تأليف ، وطرزت ديباجه ، ورصعت تاجه ،

١ ديوان أبي العتاهية : ٣٢١

٢ زهر الآداب : ٣

٣ زهر الآداب : ٤

٤ في الأصل : ديباجاته .

ونظمت عقوده ، ورقمت بروده ، فنوّرها يرفّ ، ونورها يشيفّ ، في روضٍ من الكلم
موتق ، ورونق من الحكم مشرق .
وفي فصل^١ :

إلى هذا المكان أمسكتُ العنانِ . والإطنابُ في هذا الكتابُ يعظمُ ويتسعُ ، بل
يتصلُّ ولا ينقطعُ ، إذ كان غرضي فيه ، أن أُلْمِعَ من معانيه ، ثم أنجرُّ معه حيث
انجرُّ ، وأمرُ فيه كيف/[١٦٩] مرّ ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا
مقرونٍ بمثله ، وقد أحلُّ نظاماً وأفردُ تَوَافُماً ، نشرّاً لبساط الانبساط ، ورغبةً في
استدعاء النشاط .

وهذا التصنيفُ لا تُدرِكُ غايتهُ ، ولا تُبلِّغُ نهايته ، إذ المعاني غيرُ محصورةٍ بعدد،
ولا مقصورةٍ إلى أمدٍ ، وقد أبرزتُ في الصدر ، صحيفة العذر ، يجولُ فرنداها ، ويثقبُ
زئذها ، ومن ركبَ مطيئة الاعتذار ، واجتنبَ خطيئة الإصرار ، فقد خرجَ من تبعه
التقصير ، وبرز من عهدَةِ المعاذير ، وإن أحسق ما احتكِمَ إليه ، واقتصرَ عليه ،
الاعترافُ بفضلِ الانصافِ ، فليعلمُ من ينصفُ أن الاختبارَ ليس يُعلمُ ضرورةً ،
ولا يوقَّفُ له على صورة ، فليكثرِ الأغماض ، وليقلِّ الاعتراض ، ولو وقع الإجماعُ
على ما يرضي ويسخط ، ويثبتُ ويسقط ، لارتفع حجاجُ المختلفين في أمر الدنيا
والدين .
وفي فصل :

هو كليلُ الخاطرِ ، سقيمُ النفسِ ، صدىء القريحة ، عديمُ الحسِّ ، ذو طبعٍ
جاسٍ ، وفهم قاسٍ ، ولله درّابن الرومي في قوله^٢ :

خفافيشُ أعشاهها نهارُ بضوئِهِ ولأئمها قطعُ من الليل غيبهُ

١ زهر الآداب : ١٠٩٦

٢ ديوان ابن الرومي : ١٥٧

بهائم لا تصغي إلى شدة معبدٍ فأما على جافي الحداء فتطرب
قد تعود لي الألسن بالسباب ، وَعَمَزَ الأعينِ على الأصحاب ، واستعمل
الملقَ والكذابَ ، فهو بين جاهلٍ متغافل ، قد حُتِّي قلبه رَيْنًا ، وملىءَ لسانه مِينًا ،
وبين مَنْ سائمٌ نمائمُه تلذع ، وعقاربُ مكایدِهِ تلسعُ ، وبين مُعجَبٍ متصلّفٍ ، باردٍ
متكلّفٍ ، لا يرى سبويه كان على شيء ، كما لا يرى الكسائي قبله :

وإذا ما تذاكرَ الناسُ معنىً من شهير الأَشعارِ والمجهول
قال هذا لنا ونحنُ كَشَفْنَا عنه للمستدلّ والمسئول^٢
فهو كما قال الخوارزمي : قد أسكرتهُ خمرُ الكبر ، واستهوتهُ غيرةُ التيه ،
فخيّل إليه أن كسرى حاملٌ غاشيته ، وقارونٌ وكيلٌ نفقته ، وبلقيسٌ إحدى
داياتِهِ ، وأن الشمسَ تطلعُ من جبينه ، والغمامُ يندى من عينه ، فهو يرى ببصرِ
جهله لا ببصيرةِ عقله ، وأن امرأَ القيس ما بكى بالديار وعرضاتها ، ولا اغتدى
والطيرُ في وكناتها ، ولا أحسنَ تقصيدَ القصائد ، وتقصيدَ الأوابد ، وأنَّ زياداً^٣ لم
توقدْ باليفاع نارُهُ ، ولا أعتبَ النعمانَ اعتذاره ، وأنَّ شعره لم يرقَ حتى يقال : الماءُ
أو أسلسُ ، ويجزل حتى يقال : الصخرُ أو أملس ، وأنَّ زهيراً كان متعاطلَ الكلام ،
متداخلَ الأقسام ، غيرَ مطبّقٍ للمفاصل ، ولا مُصيبٍ للشواكل ، وأما طبقاتُ
المخضرمين من الاسلاميين فلا يضربون إليه بِقَدْحٍ ، ولا يفوزون عنده بِنُجْحٍ .

فلو أتيناهُ بمستطرفٍ من مُبدعاتِ الهزلِ والجدِ
أرقٍ من دمعَةٍ مهجورةٍ مرهأً تمريها يدُ البعدِ
لو قرعتُ سمعَ يزيدٍ سلا بحسن ما يسمع عن هندی

١ ص : سير .

٢ ص : عيبه المسئول والمسئول .

٣ يعني النابغة الذبياني .

٤ ص : من ند .

أَعْرَضَ عَنْهَا ثَانِيًا عِطْفَهُ وَلَمْ يُعْرِهَا عِطْفَةَ الْوَدِّ
هَذَا وَقَدْ لَاحَ بِوَجْهِ الْحَجِيِّ مِنْهَا ضِيَاءُ الْقَمَرِ الْفَرْدِ
وَأَقْبَلْتُ نَخْتَالَ فِي حَلَّةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا طُرُزُ الْحَمْدِ
وَمَا يَضُرُّ الشَّمْسَ أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْرِضُ عَنْهَا أَعْيُنُ الرَّمَدِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرٌّ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا

وفي فصل :

قد تقاربت الصفاتُ ، وتوازنت الذواتُ ، وتكاشفنا لما تعارفنا ، ورفعت الخلوَّةُ
حجابَ الاحتجابِ ، وحطت الخلطةُ لثامَ الاكتتامِ ، وكنا مع طولِ الامتحانِ
والاختبارِ ، ومدَّةِ الالتباسِ والاحتيارِ ، نقنعُ من ارتفاعِ القناعِ بلمحةٍ ، ومن اتقادِ
الزنادِ بِقَدْحَةٍ ، ونُبْرِزُ العباراتِ ، من معارضِ الاشاراتِ ، وغوامضِ الاستعاراتِ ،
في طرازٍ من الأرمازِ يدقُّ عن مسرى السَّحْرِ ، ويرقُّ عن مجرى الخمرِ :

في تعابيرنا « اللطاف اللواتي هي أخفى من مستسر الهباء »^٢
« بل من السرِّ في ضمير محبٍّ أدبته عقوبةُ الإفشاء »

ونختلسُ حركاتِ البيانِ ، في سَكَنَاتِ الزمانِ ، كما اختلس اللفظُ المحبُّ
الكتومَ . فهلمَّ الآنَ إلى التصريحِ دونَ التعريضِ ، والتصحيحِ دونَ التمريضِ ،
وتعالَ نتلاطفُ ونتكاشفُ ، إذ قد لبسنا ثوبَ الأمانِ من الزمانِ .

وفي فصل ٣ :

١ ص : الضبايع .

٢ استعار البيتين من ابن الرومي ، ديوانه : ٦٧

٣ الابيات في الشريشي ٥ : ٢٢٧

إذا بدا القلمُ الأعلى براحيتهِ مطرّاً لرداءِ الفخرِ بالظلمِ
 رأيتُ ما اسودَّ في الأبصارِ أبيضَ في بصائرٍ لحظها للفهمِ غيرُ عم
 كروضةٍ خطرَتْ في وشي زهرتها وافترَّ نوارها عن ثغرٍ مبتسم
 وتبرجتُ في حللها وحليها ، وابتهجت بوسميها/ [١٧٠] وليها ، وكاد الهوا
 يسرقه لطفها ، والهوى يعتنقه ظرفها ، فاجتنت ما اشتهت من خزامها وعراها ،
 واجتليت ما رأيت من خيريتها وبهارها ، ولثمتُ خدودَ وردها وسوسانها ، ورشفتُ
 ثغورَ أقاحها وحوذانها ، والتقطتُ ما لا تُخلقُ الأيامُ بهجتهُ ، ولا تغيرُ الأعوامُ جدتهُ ،
 من نورٍ يُقطفُ بالأسماعِ والأبصارِ ، وزهرٍ يُتناولُ بالخواطرِ والأفكارِ ، وسرحتُ
 الطرفَ في ما يفوتُ الوصفَ ، من غرائبِ إبداعِ ، وعجائبِ اختراعِ ، لم تفترعها
 الأسماعِ .

وفي فصل ١ :

أسهمني من واضح الفجرِ غرّةَ الصباحِ ، وقسم لي من طائرِ الذكرِ قادمةَ
 الجناحِ ، وألبسني من التنويهِ ، ما لا يُعزى الى تمويهِ ، فأصبحتُ أجيلُ الجوزاءِ
 على يدِ قُصورِ ، والثناءِ على لسانِ قصيرِ ، ولئن كبتُ جيادي ، عن مضار مُرادي ،
 وعجزَ لساني ، عما حواه جناني ، فتمثلت بقول الزعفراني ٢ :
 لي لسانُ كأنه لي معادي ليس يُنبئني عن كُنهٍ ما في فؤادي
 حكم الله لي عليه فلو أنصفَ قلبي عرفتُ قدرَ ودادي
 وقد علمتُ أنّ شمسَ الخواطرِ ، إذا جرتُ في فلكِ الضائِرِ ، اتصل النورُ
 المبينِ ، وانفصل الشكُّ من اليقينِ .

وفي فصل :

١ ورد بعضها في المسالك : ٣١٠

٢ هو أبو القاسم الزعفراني ، وبيتاه في زهر الآداب : ٣٢٤ والأول في المسالك : ٣١٠

فتقنا نوافج الأراب ، عن مسك الآداب ، ونشرنا طرائف المطارف ، عن
لطائف الزخارف ، وتسألنا من أبواب المذاكرة ، وتجادبنا أهداب المحاضرة ، من
سانح فِكْر ، وغرائب فِقْر ، ألد من سَمَر بلا سهر ، إلى أن أفضينا الى ذكر البيت
المظلوم واجب حقوقه ، المسلوک به غير طريقه ، على أنه ورد من صفاء السلك ،
وصحة الديباجة وكثرة المائبة في أجمل حلة ، وأجل جلية ، فكان كما قلت :

مُذْهَبِ الوشي على وجهه ديباجة ليست على الشعر
كزهرة الدنيا وقد أقبلتُ تروداً في رونقها النضر
أو كالنسيم الغضّ غبّ الحيا يختال في أودية الفجر
هذا وهو بمحاورة الطبع للسمع ، ومباراة الخاطر للناظر ، من غير إعمال الفكر
ولا تدقيق النظر ، لكنّ بديهتك إذا أهداها قلبك إلى قلمك ، وأداها لسائلك عن
فهمك ، وأبديت بادرة ما أهديت إلى من عهدك به وهو محرر للنقد ، مقدّر على
السر ، أعرض عنه صفحا ، وطوى دونه كشحا ، حتى طال بلا طائل لذيده ، ولا
طلاوة عليه :

فقلت والقلبُ موقوفٌ على حرقٍ يبعثن أنفاسَ صدرٍ كاظمٍ وحمر
أي القرائح يعفو لمع بارقها في عارضٍ من ظلام الليل مرتكم
بحيث لا نحن من إقبال ذي أدبٍ نحظى بنجح ولا إفضال ذي كرم
إذا كان من إليه تتحاكمُ الخصومُ في كلِّ العلوم ، فتقفُ منه الألبابُ على
فصل الخطاب ، وفصّ الصواب ، ووجه الجواب ، يلحظ ما يجري لأبناء عصره ،
وأنشاء دهره ، من سرّ البديع ، الزاهي على زهر الربيع ، والزاري بالوشي الصنيع ،
بطرفٍ أسقم من أجفان الغضبان ، ويعيره وجهاً هو لفرط التقطيب ، كوامق فاجأه
شخص الرقيب ، أو غزل طالعه وفد المشيب ، فأى لب يصفو مزاجه ، وأي قلب
يضيء سراجُه !

وهذه أيضاً جملة من شعره

حكى أبو علي بن رشيقي في كتابه المترجم بـ «الأنموذج» قال : كان أبو إسحاق الحصريّ قد نشأ على الوراثة والنسخ لجودة خطّه ، وكان منزله لزيقّ جامع مدينة القيروان ، فكان الجامع بيته وخزانته ، وفيه اجتمع الناس إليه ومعه ؛ ونظر في النحو والعروض ، ولزمه شبّان القيروان ، وأخذ في تأليف الأخبار ، وصنعة الأشعار ، مما يقرب في قلوبهم ، فرأس عندهم ، وشرف لديهم ، ووصلت تأليفاته صقلية وغيرها ، وانتالت الصلوات عليه ، وله شعر كثير . ومن شعره مما أنشده ابن رشيقي^١ :

إنني أحبك حباً ليس يبلغه فهمي ولا ينتهي وصفي الى صفيته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز مني عن إدراك معرفته

وأنشد له :

ولقد تسمت الرياح لعلي فآثرن من حرق الصباية كامناً
وأذعن من سر الهوى مكتوماً وكذا الرياح إذا مررن على لظى
أرتاح أن يبعثن منك نسياً نار خبت ضرمنها تضريماً

وله^٢ :

عليل طرف سقيت خمراً من مقلتيه فمت سكر
ترقرقت وجنتاه ماءً مازج فيه العقيق دراً/ [١٧٨]
يحرّك الدل منه غصناً ويطلع الحسن فيه بدراً
[قد خط مسك بعارضيه خلقت للعاشقين عذراً]

١ البيتان في ياقوت ٢ : ٩٦ وابن خلكان ١ : ٥٤ - ٥٥ والوافي ٦ : ٦١

٢ البيت الأول في المسالك : ٣١١ وما بين معقنين زيادة عنه أيضاً ؛ والابيات جميعاً في الشريشي ٥ : ٢٢٧

وقال ، مما لم ينشده ابن رشيقي^١ :

تلاحظني صروفُ الدهرِ شزرا
وفي عيني دموعُ ليس ترقا
أقلبُ في الدجى طرفاً قليلاً
ولو نُشِرَ الذي أطوى عليه
أصمَّ مسمعَ الدنيا عوبلاً
فيا مَنْ غاب عن عيني مَشُوقٍ
قرأتُ كتابك الأعلى محلاً
فأحياني وقد غودرتُ ميتاً
نقشتَ بحالك^٢ الأنفاسِ نوراً
فدبَّحَ من بسيطِ الفكرِ روضاً
لو استسقى الغليلُ به لرؤى
هفا عطرُ الجنوبِ له نسيمٌ
نشرتَ لنا على الكافورِ مسكاً
فيا مَنْ تمسكُ الأوصافُ عنه
ومن يدعو القلوبَ إلى مناها
ومن يجري اللآلئَ في أقاحٍ
ويغرسُ في رياضِ الدلِّ غصناً
كأنَّ بخده زهباً صقيلاً
أفرطَ فيك إن أفرطتُ وصفاً

كأنَّ عليّ^٣ للأيامِ وترا
وفي قلبي صدوعُ ليس تبرا
إذا جيبُ الظلامِ عليّ زُرا
على من تحويه الأرضُ طراً
وهزَّ جوانحَ الأيامِ ذعرا
يرى لنواه طعمَ العشق^٤ مرا
لدي وموقعاً ويدا^٣ وقدرا
وأُشرَني وقد ضُمَّنتُ قبرا
[جلا] لعيوننا نوراً وزهراً
أنيقاً مشرقَ الجنباتِ نضرا
أو استشفى الغليلُ به لأبرا
أقولُ إذا أناسمُ منه نشرأ
ولم تنثرُ على القرطاسِ حبرا
أعنةً وُصفينا نظماً ونثرا
بعينيه فلا تأتيه قسرا
يمازجُ ظلمهُ برداً وحمرا
ويُطلِّعُ في سماءِ الحسنِ بدرا
أذابَ عليه ياقوتاً وودرا
وأعجزُ عنك إن أعجزتُ شعرا

١ منها أبيات في الشريشي ٥ : ٢٢٨

٢ كذا في ص ولعل الصواب « العيش » .

٣ الشريشي : شرقاً .

٤ ص : بنورك .

ولي قلبُ عليك لما يلاقي
ولولا ما يؤمّلُ من لقاءٍ^١
سأسحبُ فيك أذيالَ الأمانِي
لعلّ الدهرُ يُتبعُ منك طرفي
وقال :

إفانِ ضمها الهوى في خلوةٍ
فاذا الرقيبُ مُطالعٌ عن غفلة
فتفرّقنا عن ساكبٍ متحدّرٍ
وكأنما الوقتُ الذي سعدنا به
ليتَ الذي خلقَ الرقيبَ أصابه
قوله في ما تقدم : « وكذا الرياح إذا مررنَ على لظى » .. البيت ، كقول ابن
الرومي :

لا تغرينَ جوىً بلومٍ إنه
قال يحيى بن هذيل القرطبي^٢ :

رَوّحني عاذلي فقلتُ له
أما ترى النارَ وهي خامدةٌ
مه. لا تزدنني على الذي أجدُ
عند هبوبِ الرياحِ تتقدُّ

وحكى أبو صفوان العتكي بصقيلية قال^٤ : كان أبو اسحاق الحصري يختلف
إلى بعض مشيخة القيروان ، وكان ذلك الشيخ كلفاً بالمعذرين [من] الغلمان ، وهو
القائل فيهم :

١ ص : البك ، ولعلها « البين »

٢ ص : بقاء .

٣ وردا في القسم الأول من الذخيرة : ٦٢١ منسويين لابن اللماهي .

٤ وردت القصة والأبيات في الشريشي ٣ : ١١٧ وابن خلكان ١ : ٣٩٤ (نقلاً عن الذخيرة)

ومعدّرين كأنّ نبتَ خدودهم أقلامُ مسكٍ تستمدُّ خُلوقا
قرئوا البنفسجَ بالشقيقِ ونظّموا تحت الزبرجدِ لؤلؤاً وعقيقا
فهمُ الذينَ إذا الخليُّ رآهمُ وجدَ الهوى بهمُ إليه طريقا
وكان يختلفُ إليه غلامٌ من أعيانِ أشرفِ القيروانِ ، وكان به كلفاً ، فبينما هو
يوماً والحصري قد أخذ في الحديث إذ أقبل الغلام :

في صورةٍ كملتُ فخلتُ بأنّها بدرُ السماءِ لستِ وثانٍ
يُعشي العيونَ ضياؤها فكأنها شمسُ الضحى تُعشى بها العينان

فقال له الشيخ : يا حصري ، ماذا تقول في من هام بهذا القدّ ، وصبا بهذا
الخدّ؟ قال له الحصري: الهيانُ به والله غايةُ الظرفِ، والصبوةُ إليه من تمام اللطفِ ،
لاسيما إذا شاب كافورا خدّه ذلك المسك الفتيت ، وهجم على صبحه ذلك الليلُ
البهيم ، والله ما خلتُ سوادهُ في بياضه إلا بياضَ الإيمانِ في سوادِ الكفرِ وغيبَ
الظلماءِ في منيرِ الفجرِ . فقال : صِفهُ يا حصري ، قال : منْ مَلَكَ رِقِّ القولِ حتى
انفادت له صعابُهُ ، ودلّلَ له جموحه حتى سَطَعَ له شهابُهُ ، أقعدُ مني بذلك ، فقال :
صفه ، فاني معملٌ^٣ فكري في ذلك ، فأطرقا ساعة فقال الحصري^٤ :

أورد قلبي الردى لأم عذارٍ بدا
أسودُ كالكفرِ في أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ : أتراك/ [١٧٢] اطلعت على [ضميري أو خضت بين جوانحي

وزفيري ؟ قال : لا ؛ ولمَ ذاك ؟ [قال : لأنني قلت :

١ الشريشي : شام كافوره . ص : شيب

٢ ص : الكفران .

٣ ص : فاني نعمل ؛ وهي بعامية الاندلس والمغرب .

٤ ابن خلكان ١ : ٥٥ ، ٣٩٤

حرّك قلبي فطاز صولج لام العذار
أسود كالليل في أبيض مثل النهار

فصل في ذكر الأديب الكامل أبي علي بن رشيق المسيلي^١

وسياقة طرف من غرائب أشعاره ، وعجائب أخباره

بلغني أنه ولد بالمسيلة وتادّب بها قليلاً ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة. وكان أبو علي ربوة لا يبلغها الماء، وغاية لا يناها الشد والارخاء^٢، محله من الدم ، محل الصواب من الحكم ، واقتداره على النثر والنظم ، اقتدار الوتر على السهم ، إن نظم طاف الأدب واستلم ، أو نثر هلّل العلم وكبر ، أو نقد سعى الطبع الصقيل وحفّد، أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب . ولم يكن لأهل إفريقية قديماً في الأدب نبغ ولا عرّب ، ولا من لسان العرب ورّد ولا قرّب ، يدلّ على ذلك ما وصف به أبو علي البغدادي أهل القيروان ، وقد أثبتّه في موضعه من صدر هذا الديوان^٣ . ورأيت ديواناً مجموعاً في أشعار قدماء أهل إفريقية هو بالكم أشبه ، وفي لسان العجم أنوه وأثبه ، هذا وأجنادها على قدم الدهر العرب العاربة ، وقوادها الأغالبة والمهالبة ، فلما زال ملكها عن أيدي العرب ، تدفقت بها بحور الأدب ، وطلعت منها نجوم الكتب ، ورمت أقاصي البلاد ، بمثل ذرى الأطواد ، وسمعنا بزهر الآداب ، وأنموذج الشعر اللباب ، وبفلان وفلان ، من كلّ فارس ميدان ، وبحر

١ ترجمة ابن رشيق في الخريدة ٢ : ٢٣٠ وانباء الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وابن خلكان ٢ : ٨٥ (وفيه نقل عن الذخيرة) ومسالك الأبصار ١١ : ٢٢٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة ٣ : ٢٢٠ وعنوان الأريب ١ : ٥٢ وللأستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب بساط العقيق في تاريخ القيروان وشاعرها ابن رشيق ، وللدكتور عبد الرحمن ياغي كتاب عنه ؛ وقد جمع شعره الميمني في النثف ثم ياغي ، ولا يزال كثير من شعره غير مضمّن في هذين المجموعين وخاصة جانب غير قليل مما أورده ابن بسام .

٢ المسالك : وغاية لا تناها الوجناء .

٣ راجع القسم الأول : ١٤ - ١٥ .

بلاغية وبيان ، وقال أبو علي بن رشيقي ، وما أبو علي ؟ شعاع القمر ، وحديث
السمر ، ومعجزة الخبث والخبث ، فات الأواخر والأوائل ، وأسكت المناظر والمائل .

ولما طلع نجم النحوس ، بملك^٢ المعز بن باديس ، وخرج الى المهديّة بساء
كاسفة الأقمار ، وذمّاء أقصر من ظمّ الحمار ، كان أبو علي ممن انحشر في زمرته
المحروبة ، وتحيز إلى فتنه المفلولة المنكوبة ، فأقام معه بها أنفة من الجلاء ، وإشفاقاً
من فرقة الأحبة والخلصاء ، وغشي المهديّة أسطول الروم فأصبح البحر ثنايا ، تُطلع
النايا ، وأكاماً تحمل موتاً زواماً ، فدخل يومئذ على تميم^٣ حين وضع الفجر ، وقد تمّ
الذعر ، وضاق ذات الصدر ، فوجده في مصلاه والرقاع عليه تردّ ، والشمع بين يديه
يتقد ، فقام على رأسه يُنشد قصيدته التي أولها :

تثبت لا يخامرك اضطرابُ فقد خضعت لعزتك الرقابُ
فقال له : مه ، أحال عهدك أم تغير ، أم قد أدبر بك الزمان في ما أدبر ؟
ويلك ! متى عهدتني لا أثبت ؟ إذا لم تجتنا إلا بمثل هذا فمالك لا تسكت عتاً ؟
وأمر بالرقعة التي كانت فيها القصيدة فمزقت ، ولم يقنعه ذلك حتى أدتوها إلى
السراج^٤ فأحرقت ، فخرج ابن رشيقي يومئذ من عنده على غير طريق ، لا يعقل ما
يطأ ، ولا يدري إلى أين ينكفي ، وكان وجهه إلى صقيلية ، وكان ابن شرف قد
سبقه إليها ، ووفد قبله عليها ، وكان وقع بينهما بالقيروان ، [ما وقع] بين الخوارزمي
وبديع الزمان ، من مناقضات ومعارضات ، شحذت الطباع ، وملأت العيون
والأسماع ، وتجاوزت الإحسان والإبداع ، فلما اجتمعا يومئذ بصقيلية تنمر بعضهما
لبعض ، وتشوّف أعلام البلد لما كان بينهما من إبرام ونقض ، وقصد ابن رشيقي

١ المسالك : نجوم .

٢ المسالك : بساء .

٣ المسالك : المعز ؛ وهو أصوب

٤ المسالك : الشمع

بعضُ إخوانه وقال له : أنتما علما الإحسان ، وشيخا أهل القيروان ، وقد أصبحتما بحالِ جلاء ، وبين أعداء^١ ، والأشبهُ بكما ألا تفرّيا أديكما ، ولا تُطعما الأعداءَ لحومكما ، فقد كان يحميكما السلطانُ ، ويمحو كثيراً من مساويكما الإخوان ، فقال له: إيتِ ابنَ شرف فخذُ عهدَهُ بذلك، فلستُ أنا أراجِعُك فيما هنالك، فأتاه وكان امرأً صِدْقٍ ، فوجده أجنحَ للسلّم ، وأدنى إلى الحلم ، برىء إليه من صَبِيهِ وصَعْدِيهِ ، وأعطاه على الوفاءِ بذلك صفقتي لسائنه ويده ، فكان ابنُ رشيق بعد ذلك ربما أعرَضَ وعَرَضَ^٢ ، وتحلَّبَ إلى شيء من تلك الهنات أو تلمظ ، وأما ابن شرف فلم يحلَّ ما عقد ، ولا حالَ عما عهد .

ولابن رشيق عدة تواليف في النظم والنثر ، نفت بها في عُقدِ السحر ، ككتابه المترجم بـ « العمدة » و « كتاب الأمودج »^٣ ، إلى عدّة رسائل رائقة^٤ ، وبدائع فائقة . وأما الشعرُ فانه أنسى/[١٧٣] أهله وملك منه شَحْتَهُ وَجَزَلَهُ ، وقد أثبت من خبره ، وحميد أثره ، ما يملأ الأذان بياناً ، ويبهرُ العقولَ [حسناً] وإحساناً .

جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره

حدّث أبو عبد الله بن الصّفّار الصّقليّ قال : كنتُ ساكناً بصقيلية وأشعار ابنِ رشيقِ تردُّ عليّ ، فكنتُ أتمنى لقاءه ، حتى استغلبت الرومُ علينا ، فخرجتُ فارّاً بمهجتي ، تاركاً لكلِّ ما ملكت ، وقلتُ : أجمعُ مع أبي عليّ ، فرقةً شمائله وطيبُ مشاهدته سيذهبُ عني بعضَ ما أجِدُّ من الحزنِ على مفارقةِ الأهلِ والوطنِ ، فجنّتُ القيروانَ ولم أقدمُ شيئاً على الوصولِ إلى منزله ، فاستأذنتُ ودخلت ، فقام

١ المسالك : الأعداء .

٢ المسالك : اعترض وتعرض .

٣ نشر العمدة عدة مرات دون تحقيق ، أما الأمودج فمنه قطعة سالحة في مسالك الأبصار ، ونقول كثيرة في الوافي والقوات وبعض نقول في معجم البلدان ومعجم الأدباء .

٤ من رسائله : قراصة الذهب ، وقد نشرت بتحقيق جيد قام به الأستاذ الشاذلي بويحيى . (تونس ١٩٧٢)

إليّ وهو ثاني اثنين ، فأخذ بيدي ، وجعل يسألني ، فأخبرته عن أمري [...و] بعد أن تمكن أنسي بمجالسته قال لي يوماً : يا أبا عبد الله ، إنَّها هنا بالقيروان غلاماً قد برَّح بي حُبّه ، واستولى عليّ كَرْبُهُ ، منذ عشرة أعوام ، وأنا إذ عضَّ هواه على كبدي ، وسطا شوقُهُ على جلدي ، ناهضُ إليه ، وحَسْبُكَ أنني ما اضطربتُ عنكَ منذ حين ، إلا أني أحدثُ نفسي بحديثه العذبِ المواردِ والمصادر ، وأعللها بأخباره المحمودَةِ الأوائلِ والأواخر ، فان أنت ساعدتني على الشخوصِ إليه قَدِّمْتَ عندي يداً لا يَعْدِلُها إلا رضاه ، فقلت : سمعاً وطاعةً ؛ وصرتُ معه حتى جئنا صناعةَ الجوهريين ، فاذا بغلامٍ كأنه بدرٌ تمامٍ صافي الأديم ، عطرِ النسيم ، كأنما يضحكُ عن درٍّ ، وَيَسْفِرُ عن بدرٍ ، قد ركبَ كافورَ عارضيه غبارُ عنبر ، فحكى كتابةً مِسْكِ على بياض ، يجرُّهُ الوهمُ بخاطره ، ويدميه الطرفُ بناظره ؛ فلما رأنا الغلامَ عَلَّتُهُ خجلةٌ سلبتُ وجهَ أبي عليّ ماءه ، فأشدتُه قول الصنوبري^١ :

آيةٌ من علامةِ العشاقِ اصفرارُ الوجوه عند التلاقي
وانقطاع يكون من غير عيٍّ وولوعٍ بالصمتِ والاطراقِ

فقال لي : يا أبا عبد الله ، والله ما واجهتُهُ قطُّ بوجهي إلا وَعْثِيَّ عليّ ولكنتي تَثَبَّتْ^٢ بك، وأيستُ إلى عذوبة لفظك ، مع أني لم أزوّد من وجهه القمر ، إلا متعةً بقده المشر ، لتنكيسه رأسه عند طلوعي عليه ، فقلتُ : ولم ينكس رأسه ؟ والله ما رأيتُ أشبهه بالبدر منه خدّاً ، ولا بالغصن قَدّاً ، ولا بالدّرّ ثغراً ، ولا بالمسك من رياه نَشْراً ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ما أبصركَ بمحاسن الغلمان ، لا سيما من فَضُضَتْ كَفُّ الجمالِ صفحته ، وذهبتُ وجنته ، وخافت على تفاح خده العيون ، فوكلت بها الفتون ، يا أبا عبد الله : ينكسُ رأسه لأنني عَلَّقْتُهُ وخده هلالِي ، وفرعه ظلامي ،

١ ديوان الصنوبري : ٤٣٨

٢ ص : أثبت :

ولحظهُ بابليّ ، وقدّه قضيبيّ ، وردّفهُ كشيبيّ ، وخصرُهُ سابريّ ، وصدْرُهُ عاجبيّ ،
فكان فمي يشربُ كافوره بالشفق ، فيخرج ذلك صدْرُ الغسق ، فوكّل من بهيمه ،
رقيباً على فضيّ أديمه ، فتوهّم ذلك الطاهر الأخلاق ، والطيبُ الاعتناق ، أن ذلك مما
يُضعِفُ أسباب محبته ، ويُخلِقُ رسومَ مودّته . فقلتُ له : بحقي عليك يا أبا عليّ إلاّ ما
قلتُ في هذا المعنى شيئاً ، فأطرق قليلاً ثم قال^١ :

وأسمِرِ اللون عسجديّ يكادُ يستمطرُ الجهاما
ضاق بحمل العذارِ ذرعاً كالمهر لا يعرفُ اللجاما
ونكّسَ الرأسَ إذ رأني كآبةً واكتسى احتشاما
وظنّ أن العذارَ ممّا يزيحُ عن قلبي الغراما
وما درى أنه نباتُ أنبتَ في جسمي^٢ السقاما
وهل ترى عارضيه إلاّ حمائلًا قلّدتُ حُساما^٣

ومعنى هذا البيت الأخير كقول الآخر :

ومستحسنٍ وصلي جعلتُ وصالته شعاري فما أنفكُ دأباً أوأصيلة
كأنّ بعينه إذا ما أدارها حساماً صقيلاً والعذارُ حمائله
قال أبو عبد الله الصقلي : فلم أزلُ أتكرّرُ على أبي عليّ والأطفه حتى
أطلعني على سرائره مع ذلك الغلام ، فوالله ما أطلعتُ له معه على ما يحاسبُ به من
قبيح فعلٍ ولا مذمومٍ . وكنتُ في خلال ذلك أختلفُ إلى ذلك الغلام الجوهريّ ،
فجلستُ يوماً إليه فجعلتُ أذكرُ له بعضَ ما ذكر لي أبو عليّ ، فرأيتُهُ قد تغيرَ لونه ،
وأطرقَ ساعةً ، ثم أخذَ سحاةً فكتبَ فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتانُ السرِّ
حلية القلب ، فان أزاله بقي عاطلاً » ثم طواها ودفعها إليّ وقال : قد أودعتُ

١ ديوان ابن رشيق : ١٦٨ والشريشي ٢ : ٣٣٥ ٢ الشريشي : قلبي .

٢ مرّهذا البيت من قبل ٣ : ٨٢٢ وروايته « وهل على عارضيه ... حمائل » .

السحابة لفظاً موجزاً/ [١٧٤] ومعنى مُحَرَّزاً ، فاذا وردت على أبي عليّ فأَعْلِمُهُ أَنَّ
 المحبَّ إذا كتم رُجِمَ ، واذا نشر [فُضِيحَ] فلا يَعُدُّ بعد هذا إلى إفشاء سرِّي ، فان نمَّ
 بحبي انتهيتُ عن زيارته والإمام به ، وَعَوَّضْتُهُ من لذته ببيض الدموع ، وطولِ
 الخضوع ، حتى لا يجرع كأساً إلا مشوباً ، ولا يزرّ ثوباً إلا خضلاً بعبرة مقلته ،
 وأنا أقسمُ بحاجته إليّ ، وإدمانه بالبوح عليّ ، ألا أُخْلي صدره من زفرة ، ولا ضلوعه
 من جرة ، ولا جفونته من عبّرة . فجئتُ أبا عليّ ، فدفعتُ إليه السحابة وقرأها ،
 وأخبرتهُ كلامه ، فشهِق شهقةً توهمتُ أن ضلوعه تقضقت ، وقال لي : أهبذا القسم
 أقسم ؟ قلتُ : نعم ، قال لي : أتريدُ أن أنظم لك منشوراً ما جئتني به حتى تتوهم أنه
 كلامه ؟ قلتُ : بحياتك إلا ما فعلت ، فقال ٢ :

لَمْ بَاحَ بِاسْمِي بَعْدَ مَا كَتَمَ الْهُوَى زَمناً وَكَانَ صِيَانَتِي أَوْلَى بِهِ
 فَلَا [مَنْعاً] جَفَوْنَهُ طَيْبَ الْكُرَى وَلَا مَرْجَنَ دَموعَهُ بِشْرَابِهِ
 وَحَيَاةَ حَاجَتِهِ إِلَيَّ وَفَقْرَهُ لِأَوَاصِلِنَّ عَذَابَهُ بَعْدَابِهِ
 قال أبو عبد الله : ثم استنشدته من شعره فيه فأنشدني عدة مقطوعات ،
 منها قوله ٣ :

وفا تر الأُلْحَاظِ فِي وَجِنَةٍ كَأَنَّهَا فِي الْحُسْنِ وَرُدُّ الرِّيَاضِ
 قَلْتُ لَهُ يَا ظَبِي خُذْ مَهْجَتِي دَاوِ بِهَا تِلْكَ الْجَفُونَ المَرَضِ
 فَجَاوَبْتُ مِنْ خَدِّهِ خَجَلَةٌ كَيْفَ تَرَى الحَمْرَةَ فَوْقَ البِياضِ

وقوله ٤ :

إِنْ كُنْتَ تَنْكُرُ مَا مِنْكَ ابْتَلَيْتُ بِهِ وَأَنْ بَرَّ سَقَامِي عَزَّ مَطْلَبُهُ

١ ص : يروز ،

٢ الديوان : ٤٠

٣ الديوان : ٩٦ والشريشي ٥ : ٢٣٠ .

٤ الديوان : ٣٣ والشريشي ٥ : ٦٧

أشُرُّ بَعُودِ مِنَ الْكِبَرِيَّتِ نَحْوِ فَمِي

وقوله :

تَمَنَيْتُ تَقْبِيلاً عَلَيْهِ فَجَادَ لِي
فَقُلْتُ لَهُ جُدْ لِي بِشَعْرِكَ إِنِّي

ومن جيد قوله^١ :

سَقَى اللَّهُ أَرْضَ الْقَيْرَوَانَ وَصَبْرَةَ
تَرَى أَنَسِي فِي الْقَرَبِ مِمَّنْ أَحَبَّهُ
وَإِنْ كَانَ إِدْرَاكُ الْمُحِبِّينَ بَغِيَةً

وقال فيه :

مُدْمَجُ الْخَصْرِ وَالْحَشَا
هُوَ بَدْرٌ بِوَجْهِهِ
مَا عَلَيْهِ إِذَا الضَّنَا
جَارَ قَاضِي صِبَابَتِي

وقال فيه^٢ :

وَمَهْفَهْفٍ يَحْمِيهِ عَنِ نَظَرِ الْوَرَى
أَوْمَى إِلَيَّ أَنْ ائْتَنِي فَأَتَيْتَهُ
فَلْتَمْتُ خِذَاً مِنْهُ ضَرَمَ لَوْتِي
وَضَمَمْتُهُ لِلصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوْهَبْتُ
فَكَأَنَّ^٣ قَلْبِي مِنْ وَرَاءِ ضَلُوعِهِ

وَانظُرْ إِلَى زَفْرَاتِي كَيْفَ تُلْهِبُهُ

فَقَبِّلْتُهُ ثَنَيْنِ فِي الْخَدِّ وَالْخَدِّ
[أقول] بتفضيل الأقاح على الورد

ففيها ثوى شخصٌ عليّ عزيزُ
على بُعدٍ ما بين الديار أفوزُ
على مذهبِ الأيامِ ليس تجوزُ

يَتَشَى إِذَا مَشَى
وَبَأَجْفَانِهِ رَشَا
شَاعَ فِي الصَّبِّ أَوْ فِشَا
وَهُوَ لَا يَقْبَلُ الرَّشَا

غَيْرَانُ سَكُنَى الْمَلِكِ تَحْتَ قَبَابِهِ
وَالْفَجْرُ يَرْمِقُ مِنْ خِلَالِ نِقَابِهِ
وَجَعَلْتُ أَطْفِي حَرَّهَا بِرِضَابِهِ
مَنْي ثِيَابِي بَعْضَ طَيْبِ ثِيَابِهِ
طَرِباً يَخْبِرُ قَلْبَهُ عَمَّا بِهِ

١ الديوان : ٩٠

٢ الديوان : ٢٧ والشريشي ٤ : ٣٠

٣ ص : فطار .

وينظر في هذا المعنى قول ابن المعتز :

يا ربَّ إخوانِ صحبتهمُ لا يدفعون لسلوقةِ قلبا
لو تستطيعُ قلوبهمُ نَفَدَتْ أجسامهمُ فتعانقتُ حبا

وقال ابن الرومي^٢ :

أعانقهُ والنفسُ بعدُ مشوقةٌ إليه وهل بعد العناقِ تداني
وألثمُ فاه كي تموتَ حرارتي فيشتدُّ ما ألقى من الهيمان
كأنَّ الذي بي ليس يشفي غليله سوى أن يُرى الروحان يمتزجان

قال أبو عبد الله : وناولته يوماً تفاحةً فقال^٣ :

وتفاحةٍ من كفِّ ظبيِّ أخذتها جناها من الغصنِ الذي مثلُ قُدِّهِ
ها لمسُ ردفه وطيبُ نسيمه وطعمُ ثناياه وحمرةُ خده
قال أبو عبد الله ، وأخبرني أبو عليّ قال : وعدني يومَ عيدٍ بالكُونِ عندي ،
فصليتُ وارتقتُ بحبيته ، فاذا بالساء قد اعدت وأبرقت فكتبت إليه والغيث
منهمل^٤ :

تجهمُ العيدُ وانهلَّت مدامعه وكنْتُ أعهدُ منه البشرَ والضحكا
كأنما جاء يطوي الأرضَ من بُعْدٍ شوقاً إليك فلما لم يجذك بكى
قال أبو عبد الله ، قال أبو عليّ^٥ : كنت [أوصي] غلاماً وضيعاً كان يختلف
اليّ وأحذره من كثرة التخليط ، فخرج يوماً في جماعة من أصحابه فأوقع به ،
فأخبرت بذلك فقلت :

١ الشريشي ٤ : ٢٩ وديوانه ١ : ٣٩٦ (بغداد) .

٢ الشريشي ٤ : ٢٩

٣ الديوان : ٦٤ والشريشي ٥ : ٢٥٤

٤ الديوان : ١٤٠ وابن خلكان ٢ : ٨٦

٥ نقلها الشريشي ١ : ٤١٦ ، وانظر الديوان : ١٤٦

يا سوءَ ما جاءتْ به الحالُ إنْ كانَ ما قالوا كما قالوا
ما أهدقَ الناسَ بصوغِ الخنا صيغَ من الخاتمِ خَلْخَالٌ/ [١٧٥]
وهذا المعنى : القولُ فيه طويل ، وقولُ ابنِ المعتزِ يناسبه في المعنى لا في
اللفظ ، وهو قوله^١ :

مضى مالكُ والمالُ تسعونَ درهماً فأبَ ورأسُ المالِ ثلثُ الدراهمِ
وقال أبو محمد بنِ صارة الشنتريني :

مِنْ كُلِّ مَنْ نِيكَ حَتَّى صَارَ مِنْ سَعَةِ
كَمَا تُحَلُّ يَدٌ مِنْ عَقْدِ تَسْعِينَا

قال أبو علي : وكنت أميل إلى قينة من قيان القيروان اسمها ليلى ، فعلقها
بعضُ خدامِ الحصون ، وكان يحسبُ خدمتها وكنسها منزلةً لا تشلمُ جاءَ متوليها ،
فنهيتها عنها فلم ينته ، فقلت فيه^٢ :

ظَنَّ أَنَّ الْحِصُونَ مَلِكُ سَلِيَا نَ وَليلى بجهله بلقيسا
وله في العصا مآربُ أخرى حاشَ لله أن تكون لموسى

* وهذا كقول إدريس من جملة أبيات :

فقال وَمَنْ هَذَا الَّذِي جَاءَ طَارِقاً فَقُلْتُ أَنَا مُوسَى وَهَذِي هِيَ الْعِصَا

ما أخرجته من سائر مقطوعاته في أوصافِ شتى

قال^٤ :

١ الشريشي ١ : ٤١٦

٢ الشريشي : خالد .

٣ الديوان : ٩١

٤ الديوان : ٧١ والشريشي ٣ : ٣٢٠ وابن خلكان ٢ : ٨٨

يا ربَّ لا أقوى على دفع الأذى
ما لي بعثت عليّ ألفَ بعوضةٍ

وله في بعض قضاة القيروان :

أقولها لو بلغت ، ما عسى
قاضيكَ إن لم تخصِّصه عاجلاً

وقال :

يا سالكاً بين الأستة والظبا
يا ليت شعري من رقاك بعودةٍ
إنني أشمُّ عليك رائحةَ الدمِ
أزحمت أسادَ الشرى في غيلها
حتى وطئت بها فراشَ الأرقمِ
وأمنت جهلاً من وثوب الضيغمِ

وأشدت له :

قبَّلتُ فاهها على خوفٍ مخالسةً
ماذا على رُصَّدي بالنار لو غفلوا
كقابسِ النار لم يشعر من الخجلِ
غضِّي جفونك عني وانظري أمماً
عني فقبلتها عشراً على مهل
فانما افتضح العشاق في المقل

وقال ٢ :

يا مَنْ يتيه بعارضيه يريدُ بالعشاقِ شراً
ما كنتَ تصلحُ في الجديدِ فكيف تصلحُ بالمطرِي

وهذا كقول أبي بكر الخالدي ٣ :

ما كان ينفعهُ لديّ شبابهُ
فعلامَ يجهد نفسه بخضابه

١ ابن خلكان : استعنت .

٢ المسالك : ٢٣٢

٣ لم يرد في ديوانه ، وقد مرّ منسوباً له ٤ : ٢٥٦ .

وقال ابن رشيقي :

حجّت إلى وجهك أبصارنا طائعة يا كعبة الحسن
تمسح خالاً منك في وجنة كالحجر الأسود في الركن

ولكنشاجم في مثله^١ :

فلم يزل خدّه ركناً أطوف به والخال في خدّه يُغني عن الحجر

وأنشدت له^٢ :

إن زرتّه يوماً على خلوة أو زارني في موضع خال
كنت له رفعاً على الابتدا وكان لي نصباً على الحال

وهذا كقول ابن الميكالي^٣ :

أفدي الغزال الذي في النحو كلمني مجادلاً فاجتنيتُ الشهد من شفّيتي^٤
وأورد الحجج المقبول شاهدها مناظراً ليريني فضل معرفته
ثم اتفقنا على رأيٍ رضيتُ به والرفع من صفتي والخفض^٥ من صفتي

وقال ابن رشيقي ، وهو من أملح ما له^٦ :

أومى بتسليمة اختلاس والناس في حومة الوداع
أحلى وإن لم تكن سماعاً من نغم الرّمير والسماع
وأفتر عن مبسم شنيب تختمه دائرة الرباع

١ زهر الآداب : ٣٧٩ والحديث فيه عن المؤنث لقوله قبله :

فديت زائرة في العبد واصلة والهجر في غفلة من ذلك الخبر

٢ نسبت الأبيات في زهر الآداب : ٧٢٠ لأبي الفتح البستي .

٤ زهر الآداب : مناظراً

٥ زهر الآداب : محققاً

٦ زهر الآداب : والنصب .

٧ ديوان ابن رشيقي : ١٠٩ والمسالك : ٢٣٢

وقد نَوَتْ مقلته نوماً وددتُ لو كان في ذراعي
فكان لي موقفُ افتراقٍ وللهوى موقفُ اجتماع
وقال^١ :

هَمَّتْ عذاراهُ بتقبيله فاستلَّ من عينيه سَيْفَيْنِ
وذلك المحمرُّ من خدِّه دمَاءُ ما بين الفريقين
وقال^٢ :

غَنَّنِي يَا أَعَزَّ ذَا الْخَلْقِ عِنْدِي «حَيَّ نَجْدًا وَمَنْ بَأَكْنَافِ نَجْدِ»
وَأَسْفَنِي مَا يَضِيرُ ذُو الْبَخْلِ مِنْهَا حَاتِمًا وَالْجَبَانَ عَمْرَوَ بْنَ مَعْدِي
فِي أَوَانِ الشَّبَابِ عَاجِلْنِي الشَّيْبَ فِهَذَا مِنْ أَوَّلِ الدَّنِّ دُرْدِي
وقال^٣ :

اشْتَرَى خَنْجِرًا لِقَتْلِي وَمَا ذَاكَ يَجْمَلُ
فَسَلُوهُ فَإِنَّ عَنُ مِثْلِ ذَا الشَّانِ يُسْأَلُ
كَيْفَ يَمْشِي بِخَنْجِرٍ مِنْ بَعِينِهِ يَقْتَلُ
وقال^٤ :

شَكوتُ بِالْحَبِّ إِلَى ظَالِمِي فَقَالَ [لِي] مُسْتَهْزِئًا مَا هُوَ
قَلْتُ غَرَامٌ ثَابِتٌ قَالَ لِي أَقْرَأْ عَلَيْهِ «قَلُّ هُوَ اللَّهُ»

وقال^٥ : [١٧٦]

مَعْتَدِلُ الْقَامَةِ وَالْقَدَّ مَوْرَدُ الْوَجْنَةِ وَالْحَدَّ

١ ديوانه : ٢١٤ والمسالك : ٢٣٢ والشريشي : ٤ : ٢٩٠

٢ ديوانه : ٦٢ والشريشي : ٣ : ٢٠٢

٣ المسالك (الأول والثالث) : ٢٣٢

٤ ديوانه : ٢٢٢ والشريشي : ١ : ١٥٣

٥ ديوانه : ٦١ والشريشي : ١ : ١٥٣ والأول والثاني في المسالك .

لو وضع الورد على خده
قل للذي يعجب من حسنه
ما عرّف الورد من الورد
اقرا عليه سورة الحمد
وقال :

ولقد قطعت الليل في دعة
بأعز من بصري على بصري
من غير تأثيم ولا ذنب
وأحب من قلبي إلى قلبي
وقال :

تلفت فما أفرق بين قيراط ودينار
ذهاب الزيت في القنديل بين الماء والنار
وقال ١ :

ومن حسنة الدهر عندي ليلة
خلونا بها نفي القذى من عيوننا
من العمر لم تترك لأيماننا ذنبا
بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكبا
وملنا لتقيل الحدود ولثمها
كمثل جياح الطير تلتقط الحبا
وقال ٢ :

يا من يمر ولا تمر
بغمامة من خده
وكأنه وكأنه
فاذا بدا وإذا مشى
شغل الجوانح والجوا
به القلوب من الحرق
أو خده منها سرق
قمر احاط به شفق
وإذا رنا وإذا نطق
رح والخواطر والحدق
وقال من قصيدة ٣ :

حسبي وحسبك من لومٍ وتثريب
بان الذي كان يغريني ويغري بي

١ ديوانه : ٣٢ والشريشي ٢ : ١٥١ وابن خلكان ٢ : ٨٧

٢ ديوانه : ١٢٨ والشريشي ٣ : ٢٣٧

٣ منها خمسة أبيات في ديوانه : ٣٤

أما الشبابُ فقد ودعتُ لذَّته
عرفتُ حالَ الليالي في تصرفها
وذللَّ الدهرُ صعبِي فاستكنتُ له
قرعتُ سنِّي على ما فاتني ندماً
فقد رددتُ كؤوسَ اللهو مترعةً
وربما أذكرتني صبوةً سلفت
أنزَّهَ السمعَ والعينين في نغمٍ
من كلِّ لافظةٍ بالدرِّ باسمه
أيامَ تصحبني الغزلانُ آنسةً
إلا أباطيلَ أحلامٍ وتشبيب
وشافهتني أفواهُ التجارِبِ
وطال ما كنتُ من تلك المصاعِبِ
من الشبابِ ومَن باللهو للشبيب
على السقاةِ وكانت جُلَّ مشروبي
وَرُقُّ الحمامِ إذا غنَّتْ بتطريب
ومنظرٍ غايةً بالحسنِ والطيب
عنه محلاؤُ نوعٍ منه مثقوب
هذا على أنني أعدي من الذيب

وقال :

اختر لنفسك من تعا دي كاختيارك من تُصادق
إن العدو أخو الصديق وإن تخالفت الطرائق

وأخبرني بعض وزراء اشبيلية قال : جهز عباد بعض التجار إلى صقلية ، وكان ابن رشيق كثيراً ما يسمع بذكر عباد فيرتاح إلى جنابه ، ارتياح الكبير إلى شبابه ، فلما سمع بمقدم ذلك التاجر لزم داره ، وجعل يتردد إليه ويغشاه ، ويقترح عليه لقاء عباد ويتمناه ، والتاجر يعده ويمنيه ، ويقرب له ذلك ويدينه ، حتى إذا سمحت الرياح ، وأمكن في ميدان البحر المراح ، ذهب التاجر لطيته ، وخلي بين ابن رشيق وأمينته ، وأخبر التاجر عبداً بذلك ، كأنه يتبجح له بما هنالك ، فبالغ عبداً في نكاله ، وأمر باستصفاء أكثر ماله ؛ ثم رام ابن رشيق بعد ذلك ركوب البحر فحشن له مسه ، ولم تساعده على ركوبه نفسه ، فقال ٢ :

١ ديوانه : ١٣٠ والشريشي ٢ : ٢١٦

٢ ديوانه : ٢٢٦ والمسلك : ٢٣٣

البحرُ صعبُ المذاقِ مُرٌّ لا جُعِلْتُ حاجتي إليه
أليس ماءً ونحن طينٌ فما عسى صبرنا عليه
ولأبي [علي] قصيدته المشهورة التي أوحاها :

من قُضِبَ نَعْمَانُ أُمٌّ مِنْ كُتُبِ بَيْرِينَ
اللَّهِ فِي دَمِ عَشَّاقِ مَسَاكِينِ
يقول فيها :

عيناك أمكنت الشيطان من خلدي
كم ليلة بت مطوياً على حرق
وكلما انصدعت من لوعة كبدِي
يا ما اميلحه ظلياً فتننتُ به

ووجنتين هما تفاحتا قبلي
كأن لمس بناني حين يلمسه
فتور عينيك ينهاني ويأمرني
أما لئن بعث ديني واشتريتُ به
سبحان من خلق الأشياء قاطبةً
ومنها :

يا أهل صبرة والأحباب عندكم
إني أدين بدين الحب ويحكم
مولاي [لا] تشمت الأعداء بي وإذا
حاسب هواك بما أنفقت من عمري
لو كنت أملك نفسي يا معذبها
وكتب إلى المعز بن باديس وقد ولدت له ابنة/ [١٧٧]

معز الهدى لأزال عزك دائماً ورزيت الدنيا لنا بحياتكا

١ اضطرب الشطر، صورته : فم يسقي بمثل نبات الزاجين .

أُتِنِّي أَنشَى يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي سررتُ بها إذ أمُّها من هباتكا
وقد كنتُ أرجو أنها ذو بلاغةٍ يقومُ مقامي في بديع صفاتكا
وما نحن إلا نبتٌ جودك كلنا وكلُّ نباتِ الأرضِ من بركاتكا
وقال^١ :

أسلمني حبُّ سلبانكم إلى هوىٍ أيسرُهُ القتلُ
لما بدا جندُ ملاحاتيهِ قال الوري ما قالتِ النملُ
قوموا ادخلوا مسكنكم قبل أن تحطمكم أجفائه النجيلُ
وهو القائل في غلامٍ عذُرٍ يعرف بابين الكناف :

لأمِّ العذارِ بخده تحكي أصابع جدِّه
قد خطَّها في حائطٍ خوفَ الخطأ من عدِّه

ذكر الخبر عن خراب القيروان

والالمام بشيءٍ من أخبار آل زيري الغالبيين عليها - كانوا - وقتهم
مع ما يذكر بها ، ويتعلق بسببها

قال ابن بسام : قد قدّمتُ [أنبي] أملت هذا الكتابَ بخاطرٍ قد خمدت جمرته ،
وتبلّدت قريحته ، وعلى حالٍ من تصرّف الزمان ، وإلحاحِ الحدّثان ، يتسبب تسبّب
الهجران ، ويتلوّن تلوّن الذعرِ في عين الجبان ،

وللموتِ خيرٌ من حياةٍ كأنها مُعرّسٌ يعسُوبُ برأسِ سنانٍ^٢

مع أنبي لم أخذ هذا الخبرَ عن سند ، ولا استعنتُ فيه بكتابٍ لأحد ، إنّما
اختلسته من ذكّرةٍ أجرىها ، أو أحدوثَةٍ إنّما لذّتي بين أن اكتبها وأملها ، والحديثُ

١ ديوانه : ١٤٢ وابن خلكان ٢ : ٨٨ (اعتاداً على الذخيرة)

٢ البيت الصخرأخي الخنساء ، انظر الأغاني ١٥ : ٦٣ وابن خلكان ٢ : ٨٤

طويل ، والمحصل قليل ، وإنما ألمع ها هنا بشيء من أخبار مملكة آل زيري الصنهاجيين : كيف هبَّت رياحُها ، وأشرقَ صباحُها ، ثم نشرحُ بعضَ الأسبابِ التي خصَّتْ آثارها ، وأحصتُ ليلها ونهارها :

لما تغلب آلُ عبيدِ الله الناجمين بافريقية على مصر ، فخلص له صميمها ، وأهاب له مُلكُها ونعيمها ، وأراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله ، المتلقب من الألقاب السلطانية بالمعز لدين الله ، اقتعادَ صهوتها ، وإثباتَ قدمه على ذروتها ، دعا زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفسِ الطالب ، وكان له عشرةٌ من الولد : آسادُ شرى ، وأقيارُ سرى ، فقال له : ادعُ لي بنيك ، فقد علمتُ رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنًا ، وأهونهم عليه شأنًا ، بُلقين بن زيري ، فدعا ولدهُ ما عداه ، والقدر لا يريدُ سواه ، وكانت من المعز - زعموا - اثاره من علم الحدثنان قد عرَفَ بها مصايرَ أحواله ، وأهلَ الغناء من أعيانِ رجاله ، وكانت عنده لخليفته على افريقية إذا صار إليه ملك مصر علامةٌ يأنسُ بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفانَ العاشقِ لذيوار أحبابه ، فنظر في وجوه بني زيري فأنكرها ، حين تفقدتُ تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرت من بنيك أحداً ، فلستُ أرى لمن ها هنا منهم أيدياً ولا يداً ، فقال له : إلا غلام ، وطفق يصغرُ شأنه ، والمقدارُ قد عناه وأعانه ، ويطوي أخباره والأخبارُ تدور عليه ، فقال المعز : لا أراك حتى أراه ، فلستُ أريدُ سواه ، فلما رآه عرفه ، وفوض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحمتُ مهابته الأهواءُ في الصدور ، وبعدتُ أسفاره واشتهرت أيامه ، واشتمل على صرف الأيام والليالي نقضه وإبرامه ، بلغ بغزواته سبته - في خبرٍ طويل ليس من شرط ما ألفتُ ، ولا في معنى ما صنفت - ثم أجاب صوتَ مناديه ، وخلعها على أعطاف بنيه ، حتى انتهت منهم إلى المعز بن باديس ، منزف العشيرة ، وآخر ملوكها المشهورة ، فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت به - زعم - سلطانه ، قتلُ الراضية ومراسلةُ أمير المؤمنين ببغداد ،

فبعث إليه بعهدِهِ ، وجاءت الخلعة واللقبُ من عنده ، رأياً اغترَّ بباديه ، وذُهِلَ عن عواقبه وبواديهِ ، واتصلت بالعبيدي وامرُهُ يومئذٍ يدورُ على الجرجرائي ، فاضطغنها عليه ، وفوقَ سهامَ مكروهه إليه ؛ وكانت بطونُ من عامر بن صعصعة : زغبة وعديِّ والأثبج ورياح وغيرهم من ألفافِ عامر ، تنزلُ الصعيدَ ، لا يُسْمَحُ لها بالرحيل ، ولا يخلىَ بينها وبين إجازة النيل ، فأراهم الجرجرائي لحينه ضجَّةَ السوق ، وأفرجَ عن لَقَمِ الطريق ، وأذنَ لهم في المعز ، أمنية طالما تحلبتُ/ [١٧٨] إليها أطعمهم ، وعكفت عليها أبصارهم وأسماعهم ، فغشاه منهم سيلُ العرم ، ورماه بذؤلول ابنة الرِّقَم ، وتهاون المعزُّ بهم أولاً فشغلهم بخدمته ، وحملَهُم أعباءَ نعمته ، وهم في خلال ذلك يتمرسونَ بجهاته ، ويدبّون إلى أنصاره وحماته ، ويطلون على مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شأنه ، وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة . وأرادوه على الاتاوة ، وجرتُ بينهم أثناء ذلك حروب ، لم يحمدها غالبٌ ولا مغلوب ، ولا أمنها بريء ولا مُريب ، أضربتُ عن خبرها لطوله ، ولأنه لم يبلغني عن مَنْ أتقُ بتحصيله ، كان من أفرأها لأديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعةٌ حيدران سنة أربعٍ وأربعين ، فانها أوهنت بَطْشَهُ ، وثَلَّتْ عَرَشَهُ ، وأرثُهُ البوارَ ، وضربتُ عليه الحصار ، وأحاط الأعرابُ بالقيروان يطؤون حريمها ، ويستعرضون راحلها ومقيمها ، حتى مآج بعضها في بعض ، وتبرأت منها كلُّ ساءٍ وأرض ، فلما كان سنةً خمسين أعطى الدنية ، وناشدهم التقيّة ، واشترط المهدية ، وقد كان نظر في ماله ، وفكّر في مَنْ بازائه من أقتاله ، فزفَّ إلى زعمائهم بناته وكن اللآلي وأماني الغالي ، فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، فلما استحكم بأسه ، وأهمتهُ نفسه ، استجاش مَنْ قِبَلَهُ ، واحتِتمل حُرْمَهُ وثَقَلَهُ ، وخلقَ الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أصهارُهُ فكانوا بحيث يسمعون نثيمه ، ويمنعونه ممن عسى أن يكيده ويضيمه ، حتى بلغ المهدية فأقام بها أسقطَ من الشمس في الميزان ، وأهون من العَفْرِ على القَبَّان ، ولم يكن أحدٌ في زمانه يَهِيبُ بِالسَّاءِ في الملاحم ، ولا أطولَ يداً بالمكارم ، ولا أعنى بلسان العرب ، ولا

أحنى على أهل الأدب ، منه . ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصر بن خزون في
دفعه مائة ألف دينار إلى ما وصله به من مركب ثقيل ، وزى نبيل . ثم لم يمكث
بالمهدية إلا نحو عامين ، وانقضت أيامه ، وغافسه حمامه ، تعالى من لا ينتقل
حاله ، ولا يتوقع زواله .

فصل في ذكر الشيخ أبي الفتیان العسقلاني^١

وأثبات قطعة من شعره وثره

أخبرني بخبر هذا الرجل الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن الوزير الفقيه أبي
محمد ابن العربي ، وأنه فارقه حياً يرزق وهو بالسنة [...] . وأنا أقول : إن أبا
الفتيان هذا من فرسان هذا الشأن ، ومن أعطي بسطة في علمه وبيانه ، وخلي بين
السحر ولسانه ، والذي أثبت من كلامه يضرح قذى العيون ، ويجلو وضح الصبح
المبين .

فصل له من رقعة :

مخايل السؤدد - أطال الله بقاء الشيخ - تُعثر على عقبه أخامص الكرام ،
وترقم بمناقبه برود الأيام . فأدام الله تمكينه حتى يصبح سلك المجرة واهي النظام ،
وتعبر في البسيطة جهة بهرام ، [ولا زال] يعقل بساحته الأمل الجامح ، وتستوقف
المرشد والمصالح ، إذ كان مفترق المجد قد أصبح في علانه مجموعاً ، وشامس الفضل
سامعاً مطيعاً ، وقد قرن وليه هذه الأسطر برقعة سأل عرضها على الحضرة السامية -
رفع الله منارها ، وتمر بوفود السعادة ديارها - وأن يتبعها من سديد مقاصده ما
يهدي من أمها سبيل النجاح . ويقضي لها بالمغنم وفوز القداح ، لا زال أفقه بنجوم

١ لعله مفضل بن حسن بن خضر العسقلاني الذي ذكره في الخريدة (الورقة : ٢٠١ من مخطوطة باريس رقم : ٢٣٢٨)
وقال إنه قدم مصر في أيام الأفضل وأورد له مقطوعة من أربعة أبيات .

٢ ص : جهات

السعادة منيراً ، وسرب الحوادث عن ساحته مطروداً مدحوراً .

ومن أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السامية تجبر من كسر الزمان مهيباً ، وتلزم^١ مسنوناً
للمكارم [وا] مفروضاً ، حتى يصبح عقد الكواكب ريفياً ، وكف المقادر مكفوفاً
مقبوضاً ،

وتُطلع^٢ للعافين في فحمة الدجى
وتودع جاش الدهر عزومي مشمراً
تسطاً تسعر الآفاق ناراً ورأفة
ومقدرة لو زاحم الأفق جيشها
شملت الورى يا ابن المحسن مسدياً
وأعلمت^٤ أغفال الزمان بأنعم
فأوريت زناداً للمفاخر مُصدداً
أقمت لنا سوق القريض وقد عفت
فلولاك لم يلف الهداية ناظماً
قضيت العلا لما أضيعت حقوقها
منيع المراقى يستجار بعزه
وتدعر أسراب الخطوب أو انساً
تقاضى سؤال المستمحين من
وتدأب في حفظ الرعية ساهراً

بوارق [جود] تستطير وميضاً
يفل صحيحاً أو [يبل] مريضاً
ترد^٣ هشيم المكرمات أريضاً
لغودر مسدود اللهاة حريضاً
صنائع يبعثن الكسير نهوضاً
أعدن دجئات الحوادث ييضاً
ورفعت طرفاً للساح غضيباً
معانيه صوناً أن يعود قريضاً
ولم يتوَّح المادحون عروضاً/[١٧٩]
نوافل يُلوى دينها وفروضاً
إذا أزم الناب الضروس عضيباً
كما ذعر الليث الهزبر ريبضاً
تقضي ديوناً ملحقاً وقروضاً
إذا قيد النوم الجفون غموضاً

١ ص : وبلزم

٢ ص : ينلج

٣ ص : يريد

٤ ص : وعملت

فمثلك في حُكْمِ الرياسةِ معوزٍ وكم من نقيضٍ لو طلبتَ نقيضاً
إذا ما سعى الأملأُكُ خلفَكَ للعلا غدوتَ سماءُ والأنامُ حضيضاً

وله من أخرى :

شهر الصيام زائرٌ يُستَقْبَلُ وفدُ المغفرةِ باستقباله ، وتتحلُّ ذنوبُ الأمةِ بنحول
هلاله ، وأيبُ تَقْدُمُ غرائبُ الحظِّ بقدمه ، ويعنقُ جزيلُ الأجرِ بينَ عَنقَه ورسيمه ،
جعله الله مطهراً من دنسِ الآثامِ ، وغُرةً سائلةً في جبهاتِ الأيامِ ، [جالياً] لَعَسَقِ
المعاصي بوضاءةِ أيامه ، ومكفراً لما اقترف من الجرائمِ في عامه ، فطوبى لمن أقضَ في
هذه المدة مضجعه ، واستعملَ منطقَه بما يُرضي الخالقَ وَمُسْتَمَعَه ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) والله جَلَّتْ أسأوه يجعلُ الحضرةَ
الساميةَ سابقةً في هذا المضمارِ ، أمانةً من عوارضِ الكِبوةِ والعثارِ :

بقيتَ لعقدِ المعالي نظاماً ولأكرمين جميعاً إماماً
ويُحْجِلُ جودك وجهَ السماءِ برقاً خَفَوْقاً وغيثاً سجاماً
مقيماً بحيثُ يضيعُ التلادُ وتحفظُ للمكرماتِ الذماماً
وتودعُ الآؤكُ السابغاتِ جيدَ الرياسةِ طوقاً تؤاماً
أيا ابنَ المكريمِ لا يعرفون عن دِرَّةِ المجدِ يوماً فطاماً

ومنها :

وهيجاءٌ مثلِ أوارِ الحريقِ تصطلمُ الدارعينِ اصطلاماً
تلثمُ خدَ الضحى عثيراً وتسفرُ فيها المنايا اللثاماً
فجردتَ عزمك في النائباتِ حصناً منيعاً وجيشاً لهاماً
مساعٍ تشقُ جبينَ الضياءِ إذا اعتكر الدهرُ طراً ظلاماً
ويهدي إليك أريجَ الثناءِ كما خطرتُ في الرياضِ النعامى

فَعِشْ مُمْسِكاً بَعْرِيَّ لِلْبَقَاءِ لَا يُحْدِثُ الدَّهْرُ فِيهَا انْفِصَامَا

ولا برح مَنْ جعلَ الأرضَ قرارا ، وأخرجَ من الشجرِ الأخضرِ نارا ، يُطْلَعُ فِي
سمائها السعودَ [غير] الآفلة ، ويقرّ بياها النعماء [غير] الناقله ، ويجعلُ لكلِّ [ليلٍ]
يُمِدُّ جناحَهُ ، ونهارٍ تَفَلَّقَ إصباحُهُ ، متكفلاً لها بِجَدِّ يلقى إليه زمامُ القَدْرِ تفويضاً ،
ويعنح الصخرةَ الصماءَ ترويضاً .

في ذكر القاضي أبي محمد بن نعمة بن خليل^١

وإثبات جملةٍ من نثره ونظمه

وبالسندِ المتقدمِ وصلَ إليّ خبره ؛ وهو أحدُ مَنْ يتصرّفُ فيجيد ، ويبدىءُ بيدِ
الإحسانِ ويعيد ، جزلُ المقاطع ، سهلُ المنازع ، وقد أثبتُ من كلامه ما تراه ،
وتستدلّ على غرضه ومنحاه .

فصول من نثره مع ما ينخرط في سلكها من شعره

أطال الله بقاءَ الحضرةِ العاليةِ لغرائبِ مجدٍ تبتدعها ، وفرائضِ جودٍ تُشرّعها ،
وحوادثِ أيامٍ تذللُّ صعابها ، ومستأنفِ سعويّ يطرقُ جناها ، وأدام أيامها التي هي
للدهرِ تائمٌ ، وفي المجدِ غمائم :

غررُ من الأيامِ يوضحُ فجرها والدهرُ من ظلّمِ النوائبِ قاتمُ
كم صرمتُ عني حوادثٌ لم تكن منجابهةً لولا الأجلُ الصارمُ

١ أغلب الظنّ أنه القاضي أمير الدولة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خليل العسقلاني (وحدث تصحيح في لفظة
« أحمد » فتحولت إلى « نعمة » أو العكس) ؛ ذكره العماد في الخريدة (الورقة : ١٩) من نسخة باريس رقم :
٣٣٢٨ وقال إنه « من الكتاب الشعراء والبلغاء الرؤساء ، إلا أنه مقل مع الاجادة والاحسان ، إنما يصنع ما يصنعه
تأدياً لا تكسباً ، وكان في عهد المستنصر » ؛ وأورد له شعراً في صارم الدولة ابن معروف صاحب عسقلان .

ملكُ تملكه التّدى وتجمعتُ في راحتيه غمائمٌ وسائمٌ
فالروضُ يُجذبُ وهو روضٌ ممرعٌ والغيثُ يُقلعُ وهو غيثٌ دائمٌ

وشتان ما بينهما : تلك سحائبٌ قد يُخلفُ بارقها ، وتُخدرُ صواعقها ، وروضُ
يجفُّ نباته ، وتتصوّحُ زَهْرته ، ومكارمُ الحضرةِ العاليةِ تزيدُ جدّةً على التكرار ، وقمائلُ
الفلكِ الدوّار ، وهي تباري الشمسَ [نهاراً] ، وتزورُ مزارَ الطيفِ سرارا :
مننٌ بعثنُ أهلةً مستورةً فطلعنَ في فلَكِ العلامِ أقمارا
ومواهبُ ومناقبُ ومناهبُ رَفَعَتْ له فوقَ السماءِ منارا

ولما كانت الأوقات الشريفة موسومةً بشيءٍ يُسمَعُ ، ومرسومةً بدعاءٍ يُرفعُ ،
وأهلّتُ هذه الأشهرُ المكرمة ، وجبَ على من حضر ، بل كافةً من يضمُّه الثغر ،
إخلاصُ الدعاءِ للحضرةِ العاليةِ ، بأن يمدَّ الله عليها ظلاله المسدلة ، ويديمَ لهم ما
شملهم من تمام/[١٨٠] المعدلة ، وأن يُسعدَ أنحاءَها في طاعةِ إمامها ، ويصرفَ
أعداءَها في حكمِ حسامها ، ويثبتَ لها من رأيِ سلطانها ما تستوفي به أقسامَ الفخر
جميعا ، ويزيدَ لها أحداثَ الدهرِ خضوعا :

فلقد خدمتَ بهمةٍ لا ترتضي إلا سميكَ صاحباً وضجيعا
والجيشُ [أيقن] حين عاد بأنه ألقى بربعك معقلاً وربيعا
وردوا نميراً من يمينك ريقاً وشرى محلّ في ذراك منيعا
وسهرتَ دون هجوعهم بعزائمٍ تقضي وطرفٍ لا يذوقُ هجوعا
هذا وكم من مارقٍ مرّفته بيدٍ تُفيضُ مكارماً ونجيعا

والحمد لله الذي جمع للحضرةِ العاليةِ شرائطَ السؤدد ، وخصّها بالمجد

الموطد ، والنسب الى أعلى خندق عماداً ، وأوراها في موقفِ الفخرِ زنادا ، أرومة
الرسالة وجرثومة الخلافة ، إليها انتزع هاشم ، وعنها أخذتِ المكارم ، فعبد
مناف بن النضر بن كنانة نؤابة الفخر :

هنالك أبناء الوغى وحماتها وشمّ العطاء الغمر والعدد الدثر
لهم أوجه زهر وأنديّة خضر وألوية حمر وخطية سمر
فأما الفضائل المكتسبة فان مولاي الأجل ناظم أشتاتها ، ومؤلف متنافراتها ،
فهوتارة تحت عذب الأعلام ، وأخرى بين طروس وأقلام ، يستصغر عظيما التدبير
ثقة بحزمه ، ولا يفغل صغيرات الامور تمضي إلا عن علمه ، فأما الحلم والأناة
واستلذاذ العصور مع القدرة والمحافظة على سرّ الخدمة فان الله تعالى وهب له من ذلك
ما سلّمه إليه معانده ، وعرف فضيلته فيه حاسده :

مناقب نُظمت منها محامده وشيمة عرفت فيها عوائده
وللندی غير منزور مؤمله وللردى [غير] معصوم معانده
يفديه وافد ليل أب زائره بنجحه وبخيل خاب قاصده
فأما المواقف المشهودة ، والآثار المؤرخة المعدودة ، فانه فيها ملقى النصر ،
دائم الظفر ، ميمون التدبير ، مسعود الرأي ، ميق عند الانتقام ، معتذر مع سعة
الانعام ، رجب الحمايل ، بسام المخايل :

يقصر الناظم عن آلائه فيستعين بحلى الوسائل
لم يستعز فيها له فضيلة حاشا العلا ولا مقال الباطل
وإنما يكتبها عن مجده فيستهل نسخة الفضائل
لم نرض أن أنالنا فصاحة موهبة إلا ببذل النائل
ولا زالت الحضرة السامية تجدد من رسم الأدب دائره ، وتلبس من الثناء
نفائسه وجواهره .

وله من رقعة تهنئة :

لقد عجبت أيامنا [حين أبصرت] بها أروعاً زينت بحسن علائمه
إذا سهكت اعطافهن تضحخت بمسكين من أفعاله وثنائه
هذا الشهر - أدام الله تمكين الحضرة العالمة - مضاه لها في شرف النسب ،
والطهارة من الريب ، والله يكرّر عليها مجازة ما ارتقت فيه ليلة القدر ، وانتشر في
السماء شعاع البدر ، في عز تسكن به الخطوب العرمة ، وتنتقض معه الأحداث
المبرمة .

وفي فصل منها : أرواه الله من تسنيم ، وجعله من ورثة جنة النعيم ، يرتع
في رياض الفردوس النضر ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر : ٥٥)
بعد ان يفني مدة الزمان عمرا ، ويوسع بنيه نوالاً عمرا ، ويجوز من المحامد ما تتطرز
به أردان الأيام ، وتتقوض فيه هضبات شام .

ومن أخرى في مثله :

أجزل الله بالحضرة الاثيرة بركات هذا الشهر الشريف الذي تُقضى فيه
المناسك بالبيت العتيق ، وترد بعده أيام التشريق ، ولا زال يُلقى رحاله ، ويواصل
إلفها بكره وأصاله ، في عز رفيع سماكه ، حاكمة بالبقاء أفلاكه ، ومجد راسية
جباله ، وسعادة مقرطسة [بها] نباله .

إذا انقضبت يوماً جبال سعادة غدت مُحصّدت كيف شاءت جباله
يضيء وصرف الدهر داج هلاله ويعرف في قحط السنين انهماله
وجاه نضير لا يخاف ذبوله ولا ينطفي بالعاصفات ذباله
والأرض [في] قبضته يقبض عنها أيدي العوارض ، ويُسبغ عليها ملابس
إنعامه الفائض .

ومن أخرى/ : [١٨٨]

ولو علمَ الطَّرسُ الذي قد حَبَّوْتُهُ قلائدٌ من درِّ الكلام المنضدِ
لقاد إليك الشكر حتى تملَّه وحتى يقول السامعون له قد

طلعت علي من الحضرة - لا زالت نجوم السعد بأفاقها طالعة ، وركائبُ
الحوادثِ عن ساحتها طالعة - رقعة كريمة أجلت ناظري في سطورها فقلت : سوسنُ
نثر على أقحوان ، أو قلائدٌ عنبر نُظمت في أجيادِ غزلان ، وراودتُ خاطري على بروز
ذلك المرموز فقال : أما تستحي ان تسومني ذلك ، وقد أتمدت الخطوبُ ينبوعي ،
ومحتِ الحادثاتُ ربوعي ، فقلت : خير لا بد من تأمله ، وأمر مطاع لا مندوحة عن
تقبله .

وله من أخرى :

شهادة الخادم - حرس الله أيام الحضرة - شهادة بسعادة مستخدمه ، ودلالة
على تواصل فضل الله وكرمه ، كالأصل إذا زكا أورقت فروعه ، والماء إذا استجم
فاضت ينابيعه . وعرفت في هذه الساعة وفود قادم على عبدها الأمير شبل الدولة
يثري من إنعام الحضرة العالمة يده ، ويورخ بأيامها الزاهرة مولده ، فشاركتُ
المذكورة في المسرة بهذه النعمة ، اشتراكنا معاً في الخدمة ، وإني وإياه فيها فرسا
رهان ، أو كالأناملِ ضمها اليدان ، والذي له الأسماء الحسنى يضاعف إحسانه
لديها ، ويجعل عواقب أمورها أحسن من مبادئها ، حتى يلود الكرمُ بجناها السعيد ،
ويعيش الأحرار في فضلها كما يعيش العبيد .

وله من أخرى :

يا ليت أن سوادَ طرِّي نائلُ ما نال من شرفِ سوادِ مدادي
ففساه يطفى لوعةً مشبوبةً ألفت عصاه في صميم فؤادي

وأقول حينئذ : أسعد الله الحضرة السامية بهذا الشهر الميمون ، وشحن صحيفتها بأجر غير ممنون ، ولا زالت الأيام تمرُّ بها جديدةً وترجع عنها بالية، وهي في أثناء ذلك ضامنة لها عزاً ينشر في الأفق ذوائبه ، ومجداً يجلي بالقمرين تراثه ، وسعداً لا تخطيء سهامه ، ولا يفضُّ أبداً ختامه ، ورزقاً تعذب نطافه ، وتدرّ طول الزمان أخلافه ، ورضى من الله تعالى يورث جنات النعيم ، ويهدي إلى صراط مستقيم .

ولما وصلت إلى هذا المكان من هذه السطور سلّمتُ إليّ تحفة من الحضرة السامية كأنها لونُ المحبِّ قُصِدَ بالهجران ، أو نهودُ الكواكبِ ضمّختُ بالزعفران ، وحين شممتها وجدتُ ذاتَ طيبين : طيبُ الأرومة ، وطيب استفادته من اليد الكريمة ، وأستغفرُ الله ، أين البرسُ من الحرير ، والملابُ من العبير .

وفي فصل من أخرى :

المكارم - أطل الله بقاءَ مولاي الشيخ معمورَ الفناء ، ممتعاً بدوام العزِّ والنعماء - فروضُ مُهتَبَلات ، ومساعٍ على الدهر مُنْجِحَات ، وبضائعُ في اكتسابِ الشكرِ مُرْبِحَات ، ولم يزلِ الحمدُ أكبرَ تجائره ، وتقليدُ المننِ للأعناقِ أنفَسَ ذخائره ، ومن تدرَّعَ أسبابَ رياسته ، وبهر الألبابِ بياهر فضيلةَ نباهته ، وبذَّ الأضرابَ بكمالِ ورعه ونزاهته، [وإدنا من قديم فخرِ آبائه، وطبَّقَ الأرضَ بفيضِ بحرِ عطائه ، وطاولَ بطولِ باعِ مُرُوتِهِ ، وتصدَّرَ بوسعِ صدرِ همته ، وأصبحَ حليةَ الزمنِ القديمِ ، وغرّةَ لامعةٍ في وجهِ الدهرِ البهيمِ ، عمَّ الأنامَ نفعاً ، وأتى الجميلَ خلقاً وطبعاً ، وتداركَ بقيةَ الأزمانِ المشفيةِ ، وجدَّدَ ما أخلقَ من الآمالِ المتعفّيةِ ، فلا زالتْ قَدُمُهُ محذّوةَ رفاتِ الأعداءِ ، ويدهُ مضمومةَ أزمّةِ العلاءِ :

ولا زالَ محروساً من الخطبِ بالغاً إلى غايةِ تجرّي فيقتصرُ المجري
ولا فقدتْ عينُ الرياسةِ شخصه ومتّع بالتأييدِ والنهي والأمر
وأدركَ من دنياه غايةَ سُؤله ونال المنى في الآلِ والمالِ والعمر

وقد تعرضتُ لواسع رأفته ، فاستعطفتُ كريمَ عاطفته ، واسترجعتُ فائتَ حظي بمراجعتي . وأعوذُ بالله أن أستنصرَ به على الزمان فيخذلني ، وإلى جوره بعد الاستسلام بعدله فيسلمني ، ويطرحني معتمداً من يده ، ويسقطني بالجملة عن عدده ، ويصرفني عن باب تصرفه بالحرمان ، ويذودني عن بحرِ جوده العذب مشتملَ الجوانح على غُلَّةِ الظمان ، ومتقدِّمُ المعرفةِ رحم ، والوفاءُ بالذمم كرم ، وقد ناديتُ من نداء - دام علاه - سميعاً ، وسألتُ منه جواداً لأمرِ الجود مطيعاً ، واستمطرتُ من [١٨٢] جوده غماماً غيرَ جهام ، وهزرتُ منه حساماً غيرَ كهام ، ومن أقدته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام .

ومن شعره

قد صار يخلق المحال ويُبطلُ
 من قال ليس على الثرى من يكملُ
 حكمتُ عليه معجزاتك أنه
 متحلُّ فيما حكى متقولُ
 لا زلتَ في كنفِ السَّعودِ وظلها
 أبداً تحلُّ بحيثُ شئتَ وترحلُ
 مثلَ الهلالِ يسيرُ في درجاته
 والشمسُ في أبراجها تنقلُ
 أصبحتِ يا دارَ المظفرِ كعبةً
 للمجد يُلثمُ ركنها ويقبلُ
 فالشهبُ ليس يُغمُّ مطلعها ولا
 جيدُ السماءِ من الغزالةِ يعطلُ
 يا صارمَ الملكِ الذي أيامُهُ
 أبداً تزانُ بمجده وتجمَلُ
 صقلته أيدي المكرماتِ ولم تخلُ
 أن الصوارمَ بالمكارمِ تصقلُ
 ملكُ طفيليِّ السباحِ يضيفُ منُ
 لم يستضفِ وينيلُ من لا يسألُ
 مذ ورَّخوا عهدَ المعاليِ باسمه
 ذهبَ التنازُعُ واستبانَ المشكلُ
 لو أن مطبوعاً يفارقُ طبعه
 لحلا إذا شربَ الزلالَ الحنظلُ
 ولا رأينا النحلَ تقضمُ علقماً
 لهوائها فيعودُ وهو معسلُ

وهذا كقول المعري^١ :

والنخلُ يجني المرَّ من نورِ الربي^٢ فيصيرُ شهداً في طريقِ رُضايهِ
يشي الرجالُ على القتيلِ بسيفه فكأما يُجبي به مَنْ يُقتلُ
وإذا لظى الهيجاءُ لثَمَ وجهه^٣ أبصرته تحت القنا يتظللُ
حيثُ المغاويرُ الكماةُ تميد من نشواتٍ ما اعتصر الوشيحُ الذبُّ
خمر تری مُهَجَّ الرجالِ دنانها لكتها بالسهمية تبذل
[وزعاق] ملح لا يسوغُ لشاربٍ كدرُ وأنت السلسيلُ السدل
يا عادلاً في كلِّ ما هو فاعلٌ ما بال كَفَّك في اللها لا تُعدِلُ
أفنى تِلادَ يدكِ عِلْمُكَ أَنَّهُ لا يُفْضَلُ الأَقْوَامَ من لا يُفْضِلُ

القاضي جلال الدولة بن عمار^٤

فصول من رسائله

مرحباً بطليعة السرورِ ، وساعدة الدهورِ ، وبشير النُجج والبركة في جميع
الأمرِ ، هذه صفةٌ تخصُّ كتاباً وردني من مولاي الأمير - أطال الله بقاءه ، وأدام
تأييده ونعماءه - على بُعدِ عهدٍ بكتبه وأنبائه ، بمعاندة الزمانِ لي فيه ، إلى أن أحكم
أسباب البعدِ بيني وبينه ، مع تقاربِ قلوبنا وامتزاجها في حالي القربِ والبعدِ ، كما
قال الباهلي :

وعاندني فيه ريبُ الزمانِ كأنَّ الزمانَ له عاشق

١ من قصيدة له في جواب شاعر مدحه اسمه محمد بن علي بن محمد أبو الخطاب الجبلي ؛ انظر شرح السقط : ٧٢٠ ، ص : يجني السور... الوري .

٢ هو القاضي جلال الدولة (أوجلال الملك) أبو الحسن علي بن عمار تولى أمر طرابلس بعد وفاة عمه القاضي أبي طالب ابن عمار سنة ٤٦٤ فضبط البلد أحسن ضبط ، ولما توفي المستنصر الفاطمي (٤٨٧) وانقسم الولاء بين نزار والمستعلي ، كان جلال الدولة في صف نزار ، فلما استتب الأمر للمستعلي قتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانته (ابن الأثير ١٠ : ٧١ ، ٢٢٨)

وإني لأتذكرك وأتذكرُ أوقاتَ المسرةِ بقربك ، والأنسِ بالاجتماعِ بك ، كما يتذكرُ الشيخُ الهمُّ شبابهُ ، والعاشقُ المفارقُ أحبابهُ ، وأرغبُ الى الله في تسهيلِ أمرِ تجمّعنا كما نحبُّ ، وأدعوه ربي ﴿ عسى ألا أكونَ بدعاءِ ربي شقيّاً ﴾ (مريم: ٤٨) وما ذلك على الله بعزيز .

نعم سررتُ والله يا مولاي بكتابك وأنستُ بقراءته ، وأوجبتُ حقاً لحامله وهششتُ والله إليه ، كما قال قيس^١ :

إذا ذُكِرْتُ ليلي هششيتُ لذكرها . كما هَشَّ للثدي الدرور وليدُ

وفي فصل :

وأما ما ذكرتهُ من التحركِ إلى جهتنا ، فهلمَّ ، قَرِّبِ الله داركُ ، وأدنى مزاركُ ، ورعى الله جواداً يملكك ، وطيبَ ريحاً تُوصلك ، وبارك الله في ليلٍ أونهاجٍ يفتُر عن لقائك ، ويبسمُ عن شهيةٍ مشاهدتك .

وله من أخرى :

وإني كتابك مطويّاً على نزه^٢ تقسّم الحسنِ بين السمعِ والبصرِ
جزلُ المعاني رقيقُ اللفظِ مونتقه كالماءِ يخرجُ ينبوعاً من الحجرِ

وصل كتابك يومَ عيدِ النحر فكان عيداً ثانياً ، وصادف أنسي واهياً ، فكان له مسنداً بانياً ، فارتحتُ له ارتياحَ الروضِ للمطر ، ولم أملّ بتكريرِ قراءتهُ وهل تملُّ عينُ من النظر ، فكم من معنىٍ بديع ، ولفظٍ مُحكمٍ صنيع ، وبراعةٍ أتى بها [قلمه] شرعاً ، وبلاغيةٍ جاشَ بها بحرُه طبعاً لا تطبعها ، « وليس بمنكرٍ سبقُ الجوادِ » ولا بتدعٍ جودُ العهد ، وأما النظمُ فنظمَ صفاتِ الإحسان ، واستدعى نوافج

١ لم يرد في ديوان قيس (مجنون ليلي) .

٢ ص . وافاني ... برة .

الاستحسان ، وأما النثر ، فأبهى من منشور الزَّهر ، وأعلى قدراً من الدرّ والجوهر ؛
ولقد هزَّتني إلى لقاء مولاي لواعجُ شوقٍ تالد ، وبواعثُ وجدٍ خالد ، ودواعي أسفٍ
متضرم ، لم يُخلقِ البعدُ جديده ، ولا أدوى طولُ العهدِ عودَهُ ، ولا أنسى تقلُّبُ
الأحوالِ جهوده ، ولا نقضُ مرورِ الأيامِ مرائره ، ولا كدُّرُ تكدُّرِ العيشِ / [١٨٣]
سرائره .

.....

[المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني] ٢

.....

... الجاذبُ أشطانه ، وإنما هو الآن يُرْخي حتى يجذب ، ويجتمعُ لكي يشب .

وله من أخرى :

الموداتُ إذا كانت متينةً العقود ، صادقةً المشهود ، موضوعةً على أصلٍ
عريق ، وأساسٍ وثيق ، لم تُجرعها^٣ الشبهةُ المرمضة ، ولم تُزلزلهما الأباطيلُ^٤

١ سقطت هنا - فيما أعتقد - صفحة - ضاعت بها بقية ترجمة جلال الدولة ابن عمار وأول ترجمة المجيد بن أبي الشخباء .

٢ هو الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو علي العسقلاني (ياقوت ٩ : ١٥٢) والحسن بن عبد الصمد (ابن خلكان ٢ : ٨٩) وقد أشار كلاهما إلى ترجمته في الذخيرة وأثبت ياقوت نقلاً عن ابن بسام أنه توفي سنة ٤٨٢ (وقع خطأ في الطبعة المصرية من معجم الأدباء : ٤٣٢) وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين ويقال إن القاضي الفاضل استمد من رسائله ؛ وذكره العماد في الخريدة في العسقلانيين في القسم التابع لشعراء مصر الورقة : ١٤ (نسخة باريس رقم : ٣٣٢٨) فقال : « مجيد كنعته ، قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة ، والملح الصنيعة ، وكان قبل عصرنا في أيام الأتسيس سنة سبعين وأربعمائة » وذكر العماد أنه رأى ديوانه عند صديق له بدمشق ؛ وللمجيد مختارات من شعره في الخريدة وجموعة من رسائله وخطبه في الريجان والريمان وفي جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ؛ وقال ياقوت إن أكثر رسائله إخوانيات وأورد جملة منها ؛ وجعل المقرئ في وفاته سنة ٤٨٦ (اتعاط ٢ : ٣٢٨)

٣ تجرعها : تدخل عليها الجزع .

٤ ص : الأباطيل ؛ وجمع باطل عند سيوريه « أباطيل » ، وعند غيره أن أباطيل جمع أبطولة ؛ وقد تردّ « أباطيل » إلى « أباطل » لحاجة الشاعر ، ولا ضرورة لذلك هنا .

المعترضة ، وإن تناقلتها ألسنٌ مختلفة ، وعلتها برودٌ من اللفظ مُفوّفة ، ولما رأيتُ زيارةَ مولاي قد صارت مُرّقة ، وجنوباً مودّية قد عادت مُروّعة ، وصرتُ أرى قوله متناقضاً ، وماءَ البشرِ من وجهه غائضاً ، من بعد ما عهدته^٢ :

تنبي طلاقةً وجهه عن وجهه^٣ فتكاد تلقى النّجحَ قبل لقائه
وضياء وجهٍ لو تأملهُ امرؤٌ صادي الجوانح لارتوى من مائه
لم أتجاسرُ على سؤاله عن العلة خوفاً أن يعيبَ عليّ الارتيابَ بوجه ، وتطرُقُ
سوءَ الظنِّ على عهده ، فسألتُ من يعلمُ دفايته ، ويخبُرُ ظاهره وباطنه ، فأخبرني أن
بعضَ الناسِ - ولم يُسمِّه - نقلَ إليه عني ، فشنَّ الغارةَ على وفائه ، وزلزلَ أواخي
ودّه وإخائه ، فقلتُ : عتبٌ والله ولا ذنب ، وشكايَةٌ ولا نكايَةٌ ، وأنا أحاكمُ مولاي
إلى إنصافِهِ لا إسعافِهِ ، وعدليه لا فضليه ، وما كان أجدرهُ برفضِ قولِ الماحلِّ ،
وتغليبِ الحقِّ على الباطلِ ، ولا يرى نفسه بصورةٍ من تستخفُّ حصاته الريحُ
الخافقة ، وتشعثُ من مودّته الأقوالُ الماذقة . ولو انتقضتُ عندي المعاهد ، وقامت
عليّ - وأعوذُ بالله - الشواهد ، لكان مولاي حريّاً أن يجري في كرم اللقائِ على
العادة ، ويتأدّبَ بقولِ أبي عبادة^٦ :

أبيتُ على الخلانِ إلا تحنياً يلينُ لهم قلبي^٧ ويصفو لهم شرّبي
وإني لأستبقي الصديقَ إذا نبا عليّ وأهنا من خلائقيهِ الجُربِ^٨

١ ص : وشيوب ؛ وتقول العرب للاتنين إذا كان متصافيين ريجهما جنوب ، قال الشاعر :

لعمري لئن ربح المودة أصبحت
شمالاً لقد بدلت وهي جنوب

٢ ورد البيتان التاليان في الخريدة : ١٥ .

٣ الخريدة : وده .

٤ ص : لاسعافه

٥ ص : القول الماجل ؛ والماحل : الساعي ، ومجل به : كاده بسعاية الى السلطان .

٦ هو البحرني ؛ والبيتان في ديوانه : ١٠٥ .

٧ الديوان : عطفني .

٨ أهنا : مخفف من أهنا أي أطلي بالقطران .

والآن فقد أَوْضَعْتُ وَأَوْجَفْتُ ، وتَأَلَّفْتُ مولاي واستعظفت ، فان عادت ظلالُ
 وُدّه مديدة ، وحبالُ كَرَمِهِ مَحْصُوفَةٌ^١ جديدة ، فَحَسَنُ بتلك الشائِل ، أن تجمع شَمْلَ
 الفضائل ؛ وإن تمادى على هذه الهجرة ، ولم يصح من نَشَوَاتِ تلك السُّكْرَةِ ،
 فما ذاك من ذنِبِ عَلِيٍّ اجترمتهُ إليه فيجزيني به حيثُ أعلمُ
 ولكنَّ إنساناً إذا ملَّ صاحباً وحاول صَرْمًا لم يزل يتجرّم
 واللهُ جلَّتْ قدرتهُ يجعلُ حفظَ المودّةِ عنده أوجبَ الحَقِّينَ ، وأنفعَ العَلْقَيْنِ ،
 ويرفعُهُ عن السُّمَّةِ بنقضِ المرائرِ ، وحليةِ الجائرِ الغادرِ .

وسافر بعضُ أخوانه فَشَغِلَ عن وداعه فكتب إليه : ما أَخْرَنِي عن خِدْمَةِ
 مولاي بالوداع أتي متأخراً في حَلْبَةِ ولائه، ولا عارٍ من ملابس إخوانه وآلائه، ولوددتُ
 لو صحبتُ ركبتهُ السعيدِ إلى الصعيد ، وقطعتُ معه عرضَ المهمِّ البعيد ، وَزَوَّدْتُ
 من مجاورته قلباً معموراً بودّه ، ومن مشاهدته طرفاً لا صَبْرَ له مِنْ بَعْدِهِ . وإنما حزنني
 أمران كلُّ منهما يهدُّ العذرَ ويبسطُهُ ، [ويمحو]^٢ الذنْبَ ويحِبِّطُهُ ، وهوشغلي في إنشاء
 التقليدِ [العليّ]^٣ وتحريره ، وفعل ما أمرتُ به الحضرةُ الساميةُ وتقريره ، ثم خوفي أن
 أرى مولاي وقد حلَّ انطلاقه ، وأسمع [أن قد حان فراقه] ، وَتَعَقَّ غرابٌ بَيْنَهُ فَقَضَّ
 أضلعاً ، وأفاض نفوساً وأدمعاً ، فضعفتُ عن مشاهدتهُ ذلك المقام ، وقصرت [عن
 تحمل ذلك] الداءِ العُقَامِ ، وظللتُ أَشِيدُ ، والدموعُ هُمُّعُ ، والفؤادُ مُصَدِّعُ :

وأخزني^٤ يوم انطلاقتك أن أرى على جمراتِ البينِ [قلبي يُلذِّعُ]
 فؤاد إذا قيل الفراقُ تساقطتُ خُفُوقاً أواخي صبرُهُ تتقطَّعُ

١ ص : مقصوفة ؛ والحبل المحصوف أو المحصف هو المحكم الفتل .

٢ بياض في ص .

٣ ما يرد بين معنيين حتى آخر القطعة سببه عدم ظهور الكلمات في أواخر الأسطر ، في هذه الصفحة .

٤ ص : وأخزني ، ولعلها أن تقرأ أيضاً « وأخزني »

٥ صبره : قراءة تقديرية ، وصورة الكلمة في الأصل تشبه « هزة » .

وإني صليبُ العودِ في كلِّ حادثٍ ولكنَّ أعودي [لنأيكَ خِرْوَع]]

وإذا استنقذ البينُ هذه النوبة ، وخفقت بمشيئة الله رياحُ الأوبة ،
وهبتُ وجهي للشحوب ، وجسمي للنَّصَبِ واللغوب ، وهتمتُ ثنايا الأرضِ إيصاعاً
وإرقالاً ، وجعلتُ مسافةَ اللقاءِ لمسافةَ الوداعِ أميالاً ، وأطلتُ شكرَ الزمانِ على ما
يجدُّه لي من مسرِّوٍ قد خلَّعتُ بردها ، واستطلتُ عهدها ، وأنشدتُ :

طربتُ وقد جاء البشيرُ بقربكم وذو الشوقِ عندَ أسمِ الحبيبِ طروبُ
وقمتُ إليه راشفاً من ترابه ثرىً لك يخلو رَشْفُهُ ويطيب
وما يبعُدُ ذلك في قدرةِ الله الذي يُخرِجُ من الشجرِ الأخضرِ جذوةَ نارٍ ، وهبُ
القمرَ كما لا بعدَ نقصٍ وسرارِ .

وله من أخري/ [١٨٤] يعاتبُ بعضَ القوادِ :

رأيتُ فلاناً^١ عندَ نظرتِه لي بالأمسِ قد قطَّبَ حاجبَهُ ، وزعزعَ مناكبه ، وأوسع
الغلامِ من [.. ..] ذيلِ كمه ؛ فقلتُ : ماله ؟ أنزِلَ إليه وحيُّ ، أم عُصِبَ به أمرُ
ونهيُّ ، أم حصلَ من الخلافةِ على وَعْدٍ ، أم أنسى له الأجلُ مدَّةَ العهدِ ، أم قلَّ
عَقْلُهُ فعقَّ نفسه وظلمها ، وجهلَ مقاديرَ الأشياءِ وقيمها ، واعتقدَ أنَّ الدنيا طوعُ
حكمه ، والقطرُ صائبُ فهمه ، أم رأى الملائكةَ المقرَّبينَ تتشَفَعُ به ، والحوارَ العينِ
تشكولاً عَجَّ حبه ، وثمارَ الجنةِ تدلتُ إلى يده ، ونارَ جهنمِ تقتبسُ من زنده ، والكوثرُ
يبدُ من معينه ، والسمواتِ مطوياتٍ بيمينه ، والبراقَ قد أمْطِي لحضرته ، والفرقَ
[...]. قوته ، فأجبتُ بأنَّ شيطانَ ظنِّي ماردٌ ، وتصوِّري فيه - أعزه الله - فاسدٌ ، ولا
حقيقةَ لشيءٍ مما توهمته ، وسدده من القولِ وأقمته ، فقلتُ : إذا لم يكن ذاك فما

١ الشق الأيمن من هذه الصفحة أكثره مطموس ، ولذلك تعذرت قراءة بعض العبارات ، كما أن بعض القراءات المشبهة
بما لا أقطع بصحته .

٢ ص : فلان .

ذلك ؟ قيل : سَفَهُ في الرأي وَأَقْن ، وتغيَّر في الطينة وَعَفَن ، ظن أن الأحرار يملكُ
عُهدته ، والعالمَ مجموع في بُرْدَتِهِ ، فحين سمعتُ ذلك أخذتني لمولاي الحميَّة ، وهزَّت
رأسي الأريحيَّة وقلتُ : معاذَ الله ، إنَّ دونه في الحِصَاة^١ والكيس بطليموس ، وفي
الحكمة ارسطاليس^٢ ، وإن الحكمة تُستنجحُ من ظنِّه ، والغيث يرشحُ من شنِّه ﴿من
ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإنه بحمدِ الله كما قيل :

خِرْقُ إذا أفضى السباطُ به كَنَرَ العشارُ وطَبَّقَ الزلُّلُ
وإذا السريُّرُ سما بقعدته عَرَيْتُ بظاهرِ كفه القُبْلُ

فهنالك سكنتِ الألسنُ الهادرة ، ووقفتِ المرادة^٣ الغادرة ، وعاد من حَضَرَ
يُثني على مولاي ويقرِّطُه ، ويحملُ من شكره ما يؤوده ويبهظه^٤ ، فإن كانت هذه
الوكالة واقعةً منه بالوفاق ، فيجعلُ ثوابي عليها انحلالَ العقدة من جبينه ، وزوالَ
المرض من جفونه ، وخفضَ الإصبع من سلامه ، وتركَ النزوة على غلامه^٥ .

وله من أخرى في مثله :

أرى^٦ سلامَ سيدي قد تقاصرَ طويلُه ، وروضَ جوو قد زاد ذبولُه ، وماءَ بشري
قد غاضتُ بحوره ، ونشاطَ لقائه قد استمرَّ فتوره ، وما عهدتُه - أعزَّه الله - تزدهيه
الشبهة وتستخفه ، وتصده عن كرمِ العهدِ وتكفه ، وينزلُ المينُ من سمعي بالمكانِ
المهيب ، ومن قلبه بالقابلِ المستجيب ، بل هو يرحبُ إذا حرجَ المضيق ، ويرطبُ وقد
عَصَبَ الريق ، وتقرُّ به المحفِظاتُ وهو راضٍ ، وتوقظه المغايظُ وهو متغاضٍ .

١ الحِصَاة : العقل والرزانة .

٢ ص : ارسطاليس

٣ ص : الموادة ؛ والمرادة : العتو والنمرد .

٤ ص : وينهضه

٥ ص : أعلامه .

٦ ص : أي

إذا أمرته مرةً من حفاظه بسوءٍ نهأه خُلُقُهُ الباردُ العذبُ
فما الذي أعاد فلَقَهُ غاسقاً ، وصريجهُ ماذقاً ، فان يكُ عن مللٍ فؤاده ،
وتشعبٍ وداده :

فكم آخر غيره يومي السـمـقبلُ عن أسي به الذاهبِ
ملٌ فلم يعطفُ لبَّ الصبا السـحـانسي ولا حقَّ العلا الواجبِ

واستقرت الوزارة لبعض أصحابه ثم توقف الأمرُ بعدُ فيها فكتب إليه :
الخيرُ - أطال الله بقاءَ سيدنا - تجيءُ من غير الأمرِ المختار ، وهي [محبوءةٌ تحت
أستارِ الأقدار ، فكم سببٍ اجتمعتُ فيه شواردُ الآمال ، ولبسَ ظاهرُهُ مسحةً من
الجمال ، كان المكروهُ منظوماً في تاجه ، منطوياً في أثنائه وأدراجه ، وآخر ظهر للناسِ
بلونِ شاحب ، ووجهٍ قاطب ، كان ضامناً لابتسامِ الزمن ، وكافلاً بالأجلِ
الأحسنِ ، وبهذا أدبُ تعالي عباده ، وقال في الكتاب المكنون ﴿وعسى أن تكْرهُوا
شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾
(البقرة : ٢١٦) فلمح أبو عبادة هذا الأسلوب فقال في معناه ٢ :

والشيءُ مُنْعُهُ يكونُ بفوتِهِ ٣ أحظى ٤ من الشيء الذي تُعْطَاهُ

وإذا تُصَفِّحتِ الأمورُ بعينِ البصيرة ، ونُظِّرتُ بالخواطرِ المستنيرة ، ونُفِدتُ
بالألبابِ الصيرفيَّةِ لا الوائفيَّةِ ، عَلِمَ أنَّ هذه الرتبةَ زليقةُ الصراطِ ، سريعةُ
الانحطاطِ ، يعلو الانسانُ صهوتها ثم هو بعدُ راجل ، ويتحلَّى بها وقتاً ثم هو مسلوبُ

١ ص : ملكه .

٢ ديوان البحري : ٢٤٠٣ وقبل البيت .

هفأً وليس العيش ما تنساه
فما أرت لرجوت ما أخشاه

والعيش ما فارقتَه فذكرته
ولو أنسي أعطي التجارب حقها

٣ ص : يمنعه يكون بقربه ، والتصويب عن الديوان .

٤ الديوان : أجدى .

عاطل ، وما لم يُوسَمَ بها فالخططُ تعتقبُهُ ، والمنازل ترتقبه ؛ أجلٌ ، وهذه الدرجةُ كلما خبرت الأقيامُ ، وقادت الأيامُ ^١ ، غاضَ معينها ، وزاد حينها ، فمنها الكمدُ ، ومن سيدنا الصيّدُ ، ومنها الكلفُ ، ومنه / [١٨٥] التّيهُ والصّلفُ ، حتى إذا نَغَلَ الأديمُ ، ورُعيّ الهشيمُ ^٢ ، وتشاقتِ ^٣ الخططُ ، وجار الحكمُ وقسطُ ، دُعِيَ سيدنا لشعبِ المنصدع ، ووَصَلَ المنقطع ، وإيجادِ الممتنع ، فهناك يَقومُ بالأمر ، ويسهل الحزنُ والوعر :

مُباركٌ تطردُ اللاؤاءَ رؤيتهُ طردَ الظلامِ فرندَ البلجّةِ الواري^٥
وزيرُ مُلكٍ خَلَّتْ^٦ في عدلِ سيرتهِ صحيفةُ الملكِ من إثمِ وأوزار
يذبُّ عنه وقد ريعتُ جوانبه برأيه المكتسي أو سيفه العاري

وكان يوماً المجيدُ بمجلسِ الأُنسِ ، ودَعَوَا بعضَ أصحابِ القلانِسِ فلم يحضِرْ^٥
لأجلِ الغناءِ فكتبَ إليه : عجبتُ لمولاي كيف أسنَدَ في التخلّفِ إلى عذرِ هلهال ،
وسلكَ طريقاً صعبةَ المجال ، وجعل المانعَ له من الحضورِ أمراً يقوي على الهموم ،
ويَقوتُ النفوسَ فكيف الجسوم ، ويمتزجُ بالقلبِ امتزاجَ تاموره ، ويُطَلِّقُ شكائِمَ
بهجتيهِ وسروره ، فان يكُ ذلكَ لدينِ وثيق ، وخُلِقَ بالتقوى خليق ، فما بلغ مولاي
من حفظِ الشريعةِ إلى هذه الرتبةِ ، ولا وُضِعَ قِدْرُهُ بعدُ على هذه الهضبةِ ^٧ . وإنما هو

١ ص : الأنام .

٢ نغل الأديم : فسد الجلد ؛ ورعي الهشيم : مثل على اللجوء إلى غير ذي الكفاية لعدم وجود من هو كفؤ . كما قال الشاعر :

ولكن البلاد إذا اقتشعرت وصوّح نبتها رعي الهشيم

٣ ص : وساقت .

٤ ص : منازل .

٥ فيه قلب ، إذ حقه أن يكون طرد فرند البلجة الواري للظلام .

٦ ص : جلت .

٧ كناية عن أنه لم يصبح بعد مشهوراً .

الآن يُحْكِمُ أَمْرًا ، ويصيد بها إذا تعقّلَ عمراً^١ . وإن كان للخوف^٢ من ثقيل ، وحذر من غلول ، فما كان هناك إلا مَنْ يَفْرُقُ السُّورَةَ^٣ ، ويستُرُّ العَوْرَةَ ، فان حضر طُويَ هذا البساط ، وتوفّرت للمسرة أقساط ، وإن تفادم وتغاتم ذلك^٤ عليه شرحُ أمورٍ قديمة ، وظهورُ أنباء مكتومة ، وجاءنا من حديثِ البستانِ الحيرِيِّ ما يَغُضُّ من الطيالسِ والقلائسِ ، ويُنسي يومَ الغبراءِ وداحس .

وله من أخرى في مثله :

لما هجر مولاي مجالسنا في الجامع وأوحشها^٥ ، وأطالَ إليه ظمًا النفوس وعطشها ، وأخلى مكانه من طلعت التي تُطْلَعُ علينا من السرورِ ما غرب ، وتؤنسنا بغرائب الأُنسِ والطربِ ، وتصرفَ فكري في ما اقتضى ذلك فلم أعثرُ على أمرٍ عاذر ، ولا ظفرتُ بسبب ناصر ، ذهب وهمي إلى أنه استحدث ودوداً ، واستطرفَ [خلاً] جديداً ، فترك هذا الأناج^٦ حتى ينفع أوامه ، ويبردَ غرامه ، وحين توت هذه الظنّة في نفسي أنفدتُ فلاناً لاستيضاح الخبر ، فحكى أنه الفى مولاي في الطبقة الدهيشية^(؟) فدهشَ لما رآه من مجلسِ حسنٍ ، ومقامِ صبوةٍ وفتنٍ ، وأمورٍ بديعة ، وأحوالٍ وسبعة ، وفاكهةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعة ، وظبيٍ قد كحلَ بالسُّحرِ لحظّاتِهِ ، وأطلقَ العقاربَ على وجنّاتِهِ ، ونظم السلوكَ في ثغره ، وأنبتَ ثمرَ الصِّبَا في صدره ، يدير على مولاي كأساً :

إذا أخذتُ أطرافهُ من بحورها رأيتَ اللجينَ بالمدام يُدَهَّبُ

١ ص : إذا لفل ؛ ولعلّ معناه : إنه يدير خطةً لئيل منزلةً يصبح بها عمرو رغم دهائه دونه . ولفظة « بصيد » قد تقرأ « يصير » ، رغم وضوح الدال في الأصل .

٢ ص : للخوف .

٣ يعني يتجنب سورة السكر ، أي لا يعربد ؛ وفي ص : لعدف السررة .

٤ ص : ان تعادم وتغاتم وذلك ؛ والتفادم : التظاهر بالفدامة ، والتغاتم : التظاهر بالفتمة أي العجمة .

٥ ص : وأوحشنا .

٦ ص : هذه الأيام .

كَأَنَّ بِخَدْيَيْهِ الَّذِي جَاءَ حَامِلًا بِكَفْيِهِ مِنْ نَاجِدِهَا [بَات] يُقْطَبُ

فَطَفَقْتُ مُتَعَجِبًا لِمَا وَصَفَهُ الْمُخْبِرُ ، وَحَمِدْتُ [اللَّهُ عَلَى صِدْقِ الْحَسِّ وَالتَّقْدِيرِ ، وَعَذْرَتُ مَوْلَايَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَامِعِ ، وَاسْتِيفَاءِ التَّهْلَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَشَارِعِ ، وَأَوْسَعَتُهُ مَلَامًا عَلَى التَّفَرُّدِ بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ ، وَالْفَاحِشَةِ الْمُتَبَيِّنَةِ ، دُونَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ ، الَّذِي يَنْحَازُ فِي فِعْلِهِ الْحَسَنَ ، وَيَضِلُّ فِي أَدْنَى ذَلِكَ السَّنَنِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَافَ أَنْ يَجْرِيَ هَذَا الصِّدِيقُ عَلَى طَاعَةِ شَيْطَانِيهِ ، وَالْبِدْءِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، وَالتَّدْحِرِجِ عَنْ مَوْضِعِهِ وَمَكَانِهِ ، لِيَتَأَبَّطَ فِي اللَّيْلِ شَرًّا ، وَيَسِيرَ إِلَى حَيْثُ تَسْكُنُ الْغَزْلَانُ سِرًّا ، وَقَدْ قَرَّتْ أَعْضَاؤُهُمْ نَوْمًا وَسُكْرًا ؛ وَمَعَ هَذَا فَأَوْثُرُ مَنْ مَوْلَايَ أَنْ يُقْبَلَ عَلَى شَانِهِ ، وَيُخَفِّضَ قَلِيلًا مِنْ عِنَانِهِ ، فَإِنَّ الْجَاهَ صَدَعُهُ لَا يُجْبِرُ ، وَالْمَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ لَا يُعْذِرُ ، وَقَدْ شَبَبْنَا عَنْ هَذِهِ الْحَالِ ، فَيُحَسِّنُ الْمَتَابَ ، وَيَسْمَحُ بَرْدَ الْجَوَابِ .

وله من أخرى :

لَوْ رَأَيْتُ مَوْلَايَ وَقَدْ أُرْشِفَتْ الْحَمْرَةَ فَوَجَدْتَهَا مَرَارَةً تُدْمُ وَلَا تُحْمَدُ ، وَتَشِيرُ كَامِنَ الْحَزَنِ وَالْكَمَدِ ، وَتَصَفِّحُ النَّدَامَ فَعَدَمْتُ مِنْهُمْ أَنْسَاءً عَنِ النَّاطِرِ دُونَ الْخَاطِرِ ، وَعَدَمْتُ تِلْكَ الْمَحَامِدِ وَالْمَأْتِرِ . فَأَمَّا الْمَاءُ فَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي اتَّجَرَعَهُ وَلَا أَكَادُ أَسِيغُهُ شَوْقًا إِلَى تِلْكَ الْخِلَالِ الَّتِي هِيَ أَنْقَى مِنْهُ أَدِيمًا ، وَأَرْقُ نَسِيًّا ، وَأَمْسِكُ لِلنَّفُوسِ رَمَقًا ، وَأَكْثَرُ لَذْوِي^٢ الْحَاجَاتِ تَدْفِقًا :

خِلَاسُكَ : إِمَّا مَاءُ كَرَمٍ^٣ تَرْقِرُقَا أُغَادِي بِهِ أَوْ مَاءُ مُزْنٍ تَصَفِّقَا
كَأَنَّ الصَّبَا جَرَّتْ عَلَيْهِ ذِيوَهَا أَصِيلًا وَفَارَ الْمَسْكُ عَنْهَا تَفْتَقَا

١ ص : وَقَدْ شَبَبْنَا مِنْ هَذِهِ الْحَالِ .. وَيَسْمَحُ بِرَبِّ الْحَرَابِ .

٢ ص : ذَوِي .

٣ ص : إِمَّا مَاؤُكُمْ .

٤ ص : مَوْتِ .

وأما ارتياحي إلى الموالي السادة - حَرَسَ اللهُ مُدَدَهُمْ ، وَكَثُرَ بِسَاحَةِ الْمَكَارِمِ عَدَدَهُمْ - فَارْتِيَا حُ مِنْ رَحْلِ وَتَرَكَ قَلْبُهُ عِنْدَهُمْ ، وَإِنِّي وَإِيَاهُمْ لِكَمَا قَالَ [الأول] ١ :
 لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ قَوْمًا فَأَخْبَرَهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَبًّا إِلَيَّ هُمْ
 وعلى القاضي السيد منهم السلام [١٨٦] خصوصاً ، لآتي أعلم عن صورة
 حاله في هذا الشهر ، واحتباس يده عن كأسٍ يجلبها ، وفمه عن قبلةٍ يسئلبها ،
 وقدميه من الحانة الخمرية ، وزيارة الغيد الحورية ، فاذا حُلَّتْ بِمَشِيئَةِ اللهِ أَنْشَوْتُ هَذَا
 الْعِقَالَ ، وَأَطْلَعَ اللهُ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِ هَلَالَ شَوَالٍ ، فَأَنْسَ وَسَطَ الْقَوْمِ ، وَأَخَذَ بِثَأْرِهِ مِنْ
 أَيَّامِ الصُّومِ ، فَلْيَذْكَرْ هُنَاكَ صَدِيقًا لَمْ يَنْسَهُ وَقَدْ ضَرَبَ الْبَيْنُ رَوَاقَهُ ، وَأَطَالَ الْفِرَاقُ
 اعْتِيَاقَهُ . وَأَوْمِلْ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَسَهِّلَ مِنْ قُرْبِ الدَّارِ مَا يُعِيدُ سَيْلَكَ الْمَسْرَةَ
 مَنْظُومًا ، وَالشَّمْلَ بِحَضْرَتِهِ السَّامِيَةِ مَلْمُومًا ، فَهِيَ الْحَضْرَةُ : تَهْبُ مِنْهَا رِيَا حُ الْعَلَاءِ ،
 وَتَحْطُ بِهَا حَقَائِبُ الْمَدْحِ وَالنَّوَاءِ ، وَتُبْدَعُ فِي إِسْدَاءِ الْمُنْحِ وَالْآلَاءِ .

والبيت الذي أنشده لزياد بن منقذ الحنظلي أخي المرار العدوي .
 قال ابن بسام^٢ : وأراه أولَ من استثار معناه ، ومنه قول الآخر مما أنشده

١ سيذكر ابن بسام في مايلي أن قائل هذا البيت هو زياد بن منقذ الحنظلي أخو المرار العدوي ؛ ونسبه البغدادي في
 الخزانة (٢ : ٣٩٤) إلى المرار نفسه ، وروايته :

وَمَا أَصْحَابُ مِنْ قَوْمٍ فَادْكُرْهُمْ
 إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَبًّا إِلَيَّ هُمْ
 وزعم الحصري أن المرار هو نفسه زياد بن منقذ ، ونقل ذلك البغدادي عنه (٢ : ٣٩٥) ، وجاء في بعض أصول زهر
 الآداب أنه أخو المرار ، حسبها ذكر ابن بسام ، وروى البيت كما جاء في الذخيرة (انظر زهر الآداب : ١٠٦٤) قال
 البغدادي (٢ : ٣٩٦) وزعم أبو تمام في الحماسة أن القصيدة التي منها البيت لزياد بن حمل بن سعيد بن عميرة
 (الحماسة رقم : ٥٧٧) وزعم الاصفهاني في الاغانى (١٠ : ٣٣٠) . والخالديان في شرح ديوان مسلم ابن الوليد
 أن هذه القصيدة للمرار بن سعيد الفقعسي ، والصواب أنها لزياد بن منقذ العدوي ، قاله باقوت في معجم البلدان
 (مادة : صنعاء) قلت : ما ذكره عن الحماسة ثابت عند التبريزي ، وفي شرح المرزوقي : قال زياد بن حمل ،
 وقيل زياد بن منقذ ، وكذلك هو عند البكري ، في شرح الأمالي : ٧٠ ، وانظر العيني ١ : ٢٥٧ وشرح شواهد
 المغني : ٤٩ وحاشية البكري : ٧٠ ؛ وكان من مناسبة القصيدة أن زياد بن منقذ رحل الى صنعاء فلم يحمدها ،
 فقال ذلك الشعر يذمها ويتشوق الى وطنه .

٢ يعتمد ابن بسام في اكثر هذا التعليق على زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ .

حبيب في حماسته ، ويزعم دعبل أن هذا الشعر له^١ :

ولما أبى إلا جماحاً فؤادهُ ولم يسأل عن ليلى بمالي ولا أهل
تسلى بأخرى غيرها فاذا التي تسلى بها تُغسري بليلى ولا تُسلي
وكان^٢ ابن عرارة^٣ السعدي مع سلم بن زياد بخراسان ، وكان له مكرماً ،
فتركه وصحب غيره فلم يحمدهُ أمره ، فرجع إليه وقال^٤ :

عتبتُ على سلمٍ فلما فقدتهُ وجربتُ أقواماً بكيتُ على سلمٍ
رجعتُ إليه بعد تجريب غيره فكان كبيراً بعد طولٍ من السقم
وأنشدهُ المبرد^٥ :

أخ لي عاداه الزمانُ فأصبحتُ مذممةً فيما لديه المطالبُ
متى ما تُدوِّقه التجاربُ صاحباً من الناسِ تَرُدُّهُ إليك التجاربُ

وأنشدهُ أيضاً^٦ :

حياةُ أبي العباس^٧ زين لقمويه لكلِّ امرئٍ قاسي الأمور وجرباً
ونعتبُ أحياناً عليه ولو مضى لكننا على الباقي من الناسِ أعتبنا

١ المحاسبة رقم : ٤٩٧ (١٢٩٢) في شرح المرزوقي ؛ وشرح المصنوع : ٢٤٩ والزهرة : ٣٤ وأما في الفاي ١ : ٢١٠
والمحاسة البصرية : ٢ : ١٧٣ ديوان ابن النعمانية : ٩٤ والآل في شرح الأمالي : ٥٠٢ (للحسين بن مطير)
ديوان دعبل (تحقيق الأشتري) : ٣١٩ ديوان الحسين بن مطير (جمع محسن غياض) : ٧٠ وفي المصدرين
الآخرين تخريجات أخرى .

٢ النقل عن زهر الآداب : ١٠٦٤

٣ زهر الآداب : ابن أبي عرادة .

٤ هنا في زهر الآداب ، والأول منها في عيون الأخبار ٤ : ٤ لنهار بن توسعة ، واعتاب الكتاب ، ١٧١ (دون نسبة)
والمستطرف ١ : ٢٢٣ لابن عرارة ؛ وبهجة المجالس ١ : ٦٥٧ (دون نسبة)

٥ زهر الآداب : ١٠٦٥ ونسبه للبحري ، ولم أجد في ديوانه .

٦ زهر الآداب : ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ والثاني في عيون الأخبار ٤ : ٤ والعقد ٣ : ٤٥٥ وبهجة المجالس : ٦٥٧

٧ الكامل : أبي العوام .

وقال مسلم بن الوليد^١ :

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى حياةً للمكارم والمعالي
جلبت لك الثناء فكان عفواً ونفسُ الشكر مُطْلَقُهُ العِقالِ
ويُرْجِعُنِي إِلَيْكَ وَإِنْ تَنَاءَتْ^٢ ديارِي عَنْكَ تَجْرِبَةُ الرِّجَالِ

ويتطرفُ هذا المعنى أيضاً قولُ ابنِ الرِّقاعِ^٣ :

وإذا نظرتُ إلى أميرِي زادني كلفاً به نظري إلى الأمراءِ

ومنه قول الرضي^٤ :

ما ساعدتني الليالي بعدَ بينكم إلا ذكرتُ ليالينا بذي سلمٍ
ولا استجدُّ فؤادي في الزمانِ هوى إلا ذكرت هوى أيماننا - القُدُمِ

ومن أخرى له عن الوزير الناصري^٥ إلى بعض القبائل : معلومٌ أن الله تعالى
قد يَأْذَنُ لِلنَّعَمِ إذا حُصَّتْ بالشكرِ أن تستدني البعيدَ القصي ، وتستأنسَ النافرَ
الوحشي ، وإذا قُرِنتُ بالكُفْرانِ يرحلُ منها القاطنُ ، وتستوحشُ المعاطنُ؛ ووصل إليَّ
ما كان منكم من الانحرافِ عن الحضرةِ السامية والتظاهرِ بالخلافِ عليها ،
فتحققتُ أن الشيطانَ قد أعملَ فيكم كَيْدَهُ ، واستنفذَ في إضلالكم قُوَّتَهُ وَأَيْدَهُ ،
وأوضَعَ بكم في مراعي وَبِيَّةٍ ، ودبَّ إليكم من طريقِ خَفِيَّةٍ ، فزَيْنَ لكم غيرَ
الحسنِ ، وأوطأكم الجانبَ الأُخْشَنَ ، ووسمكم في أحياءِ العربِ بإخفارِ الذَّمِّمِ ،

١ زهر الآداب : ١٠٦٤ - ١٠٦٥ والكامل ٤ : ١٢٦ وديوان مسلم : ٣٣٦ والثالث في المستطرف ١ : ٢٣٣

٢ الكامل وزهر الآداب : وإن نأت بي

٣ البيت في الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتن ، ٣٣٩ - ٣٤٠ وقد أورده ابن بسام في القسم الثاني من الذخيرة :
١١٦

٤ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٥ وقد ذكر ابن بسام أبياتاً من هذه القصيدة ١ : ٢٣٦٥ ، ١٤٠ ، ٢٧٩

٥ الديوان : ما ساعفتني ... بينهم إلا بكيت

٦ لم يتوجه لي على وجه الدقة من هو الوزير الناصري ، وما يزيد الأمر تعقيداً أنه يذكر « اللواء الحمداني » في هذه
الرسالة ، ولعله ناصر الدولة الحمداني الذي استولى على أكثر أمور مصر أيام المستنصر ، وقتل سنة ٤٦٥ .

وكُفْرانِ النَّعْمِ . وأقولُ ما يجبُ أن يفهم : ألمْ تصلوا إلى هذه البلاد فتعرفوا بها العيشَ الوحشي ، وتحلُّوا فيها محلَّ الغريبِ الأجنبيِّ ، وتعيشوا عيشَ الغرثانِ الحميصِ ، وتخطَّفَكُمُ العربُ تخطفَ الأجدلِ للقنيصِ ، فجمعتِ الحضرةُ شتيتكم ، ووصلتْ مبتوتكم ، فليتَ شِعْري ما الذي سَوَّلَهُ لكم أوهاؤُكُمْ ، وحدَّثتكم به أحلامُكُمْ؟! وإيمُ الله لئنِ انقلبتُم على الجَنابِ الناصريِّ ، وانحرفتم عن اللوائِ الحمداني ، لتصبحنَّ أكلةً للعربِ ، يَحْطُونُ أعلامكم ، وَيُزْلِزِلُونَ أقدامكُمْ ، ويمحونكم ورودَ الماءِ المباحِ ، ويمنعونكم حلاوةَ النَّعْمِ المُرَّاحِ ، فراجعوا حلومكم العازبةَ ، وتجافوا عن ذنوبكم اللازبةَ ، وأرجعوا^٢ إلى من أمتدَّ عليكم ظلُّه والزمنُ هجيرٌ ، وصفا لكم ورْدَهُ والعيشُ كديرٌ ، فلو قد فارقتُم جَنابَهُ الفسيحَ لتفرقتُم في الأرضِ شيعاً ، ونبتَ بكم مقرأً ومضجعاً ، وعثرتم عثرةً لا يقالُ لها [لَعاً] . وقد قلتُ ونصحتُ ، وبيّنتُ وأوضحتُ ، وسلكتُ مسلكَ الحَدِيبِ الشفيقِ ، وبقي أن ينجحَ اللهُ حُسْنَ التوفيقِ .

ومن أخرى :

ما أَعْتَمَدُهُ سَيِّدُنَا بِالْأَمْسِ مَعَ عَبْدِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ خَارِقٌ لِلْقَضِيَّةِ الْعَادِلَةِ^٣ ، ومحسوبٌ في الأَوْضَاعِ الحائِلَةِ ، وذلك أن كان مما [لا] يرفعُ الصيتَ وَيُبْعِدُهُ ، وَيُعْلِي الجَدَّ وَيُسْعِدُهُ ، وَيُشْجِي الحاسدَ وَيُغِصُّهُ ، وَيَهْبِضُ جناحَ العدوِّ/[١٨٧] وَيَقْصُهُ ، فان الرضى به [يعد] افساحاً بالفهم القليل^٤ ، ونكوباً عن محجّة التحصيل ، وما إخالُ سَيِّدُنَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ بِالذُّخُولِ فِي هَذَا الحَيْزِ ، والخروجِ عن سِمَةِ المحقِّقِ المميّزِ ، وليس يجبُ - وإن اشتهر بالعلم شَعْفُهُ ، وزاد [على] ذوي الآداب حنوهً وتعطفُهُ - أن يشيّمَ لهم حدّه ، ويهضم علاه وجهده ، فان استهام بحب المآثر

٢ ص : وتصاموا عن ذنوبكم الكاذبة وراجعوا .

٤ ص افساحا بالعيم العليل .

١ ص : فتعدموا

٣ ص : العادية .

٥ ص : وجهده .

والمساعي ، وقويت منه في إكرام أوليائه الدواعي ، وأنشدَ عند قراءة هذا الفصل :

* لقد جِئْتُ الملامَ لغير داعٍ^١ *

ثم تجاوزتْ هَمَّتُهُ النهجَ البعيدَ ، وفرع ذؤابة الطَّودِ المشيدَ ، واستحسن قولَ الوليد^٢ :

يُنزِلُ أَهْلَ الآدَابِ مَنْزِلَةَ الـ أَكْفَاءِ إِنْ نَاهَزُوهُ^٣ فِي أَدِيَةِ
لَمْ يُزِهِهِ عَنْهُمْ وَهُمْ سُوقُ فِي الْعَيْنِ وَطَاءُ الْمَلُوكِ فِي عَقْبِهِ
فَعَبْدُهُ يَسْأَلُ أَنْ يَخْتَصَرَ عَلَيْهِ فِي الْإِكْرَامِ ، وَيَقْفَ بِهِ دُونَ ذَلِكَ الْمَقَامِ ، فَالْلَمْحَةُ فِي
الْبَدْرِ تَضِيءُ السَّبِيلَ ، وَالْقَطْرَةُ مِنَ الْمَاءِ تَبْرُدُ الْغَلِيلَ .

ومن أخرى :

مَعْلُومٌ أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ عَادَانَا بِعُجَابِهِ^٤ ، وَنَهَشْنَا بِأَنْيَابِهِ ، وَأَادَارَ عَلَيْنَا مِنْ صُرُوفِ
أَحْدَائِهِ كَوَسْأً ، وَجَعَلَ كُلَّ غَرِيبٍ لَنَا أَنْيْسًا ، وَلَمَّا خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْعَادَةِ ، وَسَلَّكَ
فِي مَوْلَايِ غَيْرِ الْجَادَةِ ، وَأَوْدَعَهُ عَوَارِفَ يَضِيقُ عَنْهَا بَاعُ الْكِتَابِ ، وَقَذَفَ إِلَيْهِ أَقَاصِي
خَطُوبِ الْخَطَابِ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ رُشْدَهُ ، وَأَوْجَبَ حَمْدَهُ ، وَأَطْلَعَ شَمْسَ النَّهَارِ
مِنْ مَشْرِقِهَا ، وَوَضَعَ تَاجَ الرِّيَاسَةِ عَلَى مَفْرِقِهَا .

ومن أخرى :

خَلَّدَ اللَّهُ أَيَّامَ الْحَضْرَةِ الْأَفْضَلِيَّةِ^٥ ، مَا فَضَّلَتْ الْأَسْمَاءُ حُرُوفًا ، وَتَقَدَّمَتْ وَأُو

١ ص : وإع .

٢ ديوان البحترى : ٢٤٣

٣ الديوان : شاركوه .

٤ ص : بعجائبه

٥ يعني بالحضرة الأفضلية : الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، تولى الوزارة حين مرض والده سنة ٤٨٧ زمن الامام المستنصر ، وظل على الوزارة في أيام المستعلي ثم الأمر إلى أن اغتيل سنة ٥٦٥ (الإشارة الى من نال الوزارة : ٥٧ - ٦٤ وابن خلدون ٤ : ٧٠) فان كان ابن أبي الشخباء قد توفي سنة ٤٨٦ فهذه الرسالة مما أنشأه في الأفضل قبيل توليه الوزارة ، يهنيه بابلاله من مرض .

العطفِ معطوفاً ، ولزمتِ الأفعالُ اشتقاقاً وتصريفاً :

يُلْفَى عليها الحمدُ موقوفاً وفي عَرَصاتها شُمُّ الملوكِ وقوفاً
وتعيد سَطوتُها سِواءَ عداتها كِسَفاً وبدَرَ سَعُوْدِهِمْ مكسوفاً

ولَجَّ سمعَ العبدِ في هذه الساعَةِ نبأَ جمَعٍ عن أقباعِهِ ، وتصامَمَ عن استماعِهِ ،
تعاشياً عن صُبْحِهِ المبين ، وتغليباً للشكِّ على اليقين ، وخوفاً على العزِّ الشامخِ أن
يُضْحِبَ شَموسُهُ ، والمجدِ [الباذخِ] أن تكوِّرَ شَموسُهُ ، والمحامدِ أن تُنثَرَ كواكِبُها ،
والمناقبِ أن تَتَزَلَّزَلَ مناكبُها . ولما تلاهُ الخبرُ بما أصمَّتَ ناعقُهُ ، وكذَّبَ بارقُهُ ، ونطقَ
بأنَّ الجسمَ الشريفَ قد التفعَّ شملةَ الإبلالِ ، وعاد مزاجُهُ الى الاعتدالِ ، أطال
العبدُ في التُّرْبِ تعفيرَ خَدِّهِ ، وبالعِزِّ في شُكْرِ اللهِ وَحَمْدِهِ ، فيا لها نعمةٍ عَدَلَتْ بها
أحكامُ الزمانِ الجائرة ، واهتدت ركائبُ الآمالِ الحائرة ، وأصبحَ الملكُ المستصريُّ
سائلَ الغرةِ ، ضاحكُ الأسرةِ ، [والحضرةِ] قد تمكنت في خطابها ، وما نزعتم بُرْدَ
شبابها ، وامتدَّتْ بعدَ القُلُوصِ أفياءُها ، وأضاءتْ في ظُلُماتِ الخطوبِ آناؤها :

واللهُ أكرمُ أن [يعذَّبَ مهجةً] غَذِيْتُ بأخلاقِ العلا أعضاءها
فاذا طمت جسمَ الخطوبِ [عرامةً] [أربى على] فيضِ الحياءِ حباؤها
لو كان يُنكِرُ ملكَها [رُتَبَ] العلا أحدُ لكان شهودَها أعداؤها
ثابتُ بك الأيامُ عن جهلاتها وتوقَّرتْ من أهلها سَفْهاؤها
وبعدلِ جُكُمِكَ زالَ عتَا ظلمها وبنورِ مجدِكَ أشرقَتْ ظلماتُها
نارُ اعتزامِكَ ما يبوخُ - ذكاؤها وساءَ عَزَّكَ ما تغيَّبُ ذكاؤها
وعِراضُ فضلكَ لم تضقْ أرجاؤها وعفاةُ جودِكَ ما يخيبُ رجاؤها

فالحمدُ لله الذي منح الأمة من نعمةٍ أصبحت النوائبُ بها قد دَرَجَتْ أيامها ،

١ هذا البيت والتالي له وردا في الخريدة : ١٥/أ

وَهَدَّتْ مِنَ الْمَخَافِ أَعْلَامَهَا^١ ، وَالْبَخْلُ قَدْ هُدِمَ بِنْيَانُهُ الْمَرْصُوصُ ، وَالكَرْمُ قَدْ رِيشَ
جَنَاحَهُ الْمَقْصُوصُ . وَلَمْ يَبْقَ لَهُ سَحَابٌ إِلَّا وَهُوَ يُغْدِقُ وَيَهْمَعُ ، وَلَا مَنَادَى إِلَّا وَهُوَ
يَلْبِي وَيَسْمَعُ^٢ :

يَا مَا جَدًّا نَصَرَ الشَّرِيعَةَ حَيْثُ لَا
وَالنَّصَبُ مَنْصُوبُ اللِّوَاءِ وَشَانِعُ
عَمَّتْ عَوَارِفُهُ^٣ فَمَا مِنْ مَوْضِعٍ
سَائِلُ بِهِ وَدُمُ الْفَوَارِسِ سَائِلُ
وَالْيَوْمُ قَدْ كَتَبْتُ سَنَابِكَ خَيْلِي
فَهَنَّاكَ تَلْقَى الصَّدْرَ لَا مَتَضَائِقُ
وَالشَّمْسُ تَهْوَى أَنْ تَقْبَلَ كَفَّهُ
فَاقْعُ بِمَا مَلَكَتْ يَدَاكَ مِنَ الْعَلَا

بِيضُ تُشَامٌ وَلَا ذَوَابِلُ تُشْرَعُ
فِي أَهْلِهِ بُغْضُ الَّذِي يَتَشَبَّعُ
إِلَّا وَنَائِلُهُ إِلَيْهِ مَوْضِعُ
يُسْقَاهُ ظَهَانَ التَّرَابِ فَيَنْفَعُ
تَقَعًا جَبِينَ الْأَفْقِ مِنْهُ مُقَنَّعُ
وَالرُّوْعَ لَا نَخْبَ الضَّلُوعِ مَرُوعُ
فَتُدَادُ بِالسُّمْرِ اللَّدَانِ وَتَمْنَعُ
إِنْ كُنْتَ بِالشَّهْبِ الثَّوَابِقِ تَقْنَعُ

فَأَمَّا حَالُ الْعَبْدِ فَعَلَى الْحَالَةِ الَّتِي يُؤْمَلُ مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ كَشَفَ ضَبَابِهَا ،
وَأَنْتِكَاتٍ أَسْبَابِهَا ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْعَبُودِيَّةِ يَقْتَضِي أَلَّا يُغَيَّبَهُ مُزْنٌ مَكَارِمِهَا ، وَلَا تَتَجَاوَزُ عَنْهُ
جَفُونَ مَرَامِهَا ، فَيَصْبِحُ وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ الشَّدَائِدُ / [١٨٨] وَضَاقَتْ عَنْهُ الْمَصَادِرُ
وَالْمَوَارِدُ ،

أَتَرَكْنِي يَا دَهْرٌ فِي الْبُؤْسِ مَفْرَدًا
إِذَا هِمَمُ الْأَقْوَامِ شَابَتْ وَأَظْلَمَتْ
فِيَا قَاضِيَ الدِّينِ الَّذِي قَامَ حَافِظًا

وَمَا لِكُ رِقِّي مُفْرَدٌ فِيكَ وَاحِدٌ
فَهَمَّائُهُ بِيضُ الْوَجْهِ خِرَائِدُ
حِمَاهُ وَكُلُّ وَاهِنُ الْعِزْمِ قَاعِدُ

١ ص : وصدت في ... عيانها .

٢ الأبيات ٣ - ٧ من هذه المقطوعة وردت في الخريدة : ١٥/أ - ١٥ ب

٣ الخريدة : مواهبه .

٤ الخريدة : نسجت

٥ ص : الحزم .

ومن سادَ أهْلَ العَصْرِ طُرّاً وأَلْقَيْتُ له في عِرَاصِ الفِرْقَدِينِ وسَائِدِ
أُنَادِيكَ فِي نَادٍ يَجْفُ بِبِي الرَّدَى وتَنْزِلُ فِيهِ النَزَالَاتُ الشَّدَائِدِ
تُخَاطِبُنِي فِيهِ المَخْطُوبُ فَصِيحَةً وَيُسَهِّرُ عَيْنِي ضَيْقُ العَيْنِ بَارِدُ
يَطَارِحُنِي صَوْتاً ، سرورِي نَاقِصٌ إذا هو غَنَانِي وهَمِّي زَائِدٌ

وللحضرة العالمة الأفضلية ، الرأي العالي في انتياش العبد من هذه الغناء ،
وكأن ما تهب له من العناية زكاة عما ملأها الله من رزق الزمان ، ومكثه لها من
قواعد العز والسلطان ، وتقرباً إليه جل اسمه إذا انشقت [السماء] فكانت وردة
كالدهان .

قوله : فهناك تلقى الصّدْرُ .. البيت ، كقول المعتمد بن عباد^١ :

وأردتُمُ تَضْيِيقَ صَدْرِي لِمَ يَضِيقُ والسُّمْرُ فِي ثَغْرِ الصَّدُورِ^٢ تَحَطُّمٌ

وقال المعتمد أيضاً في صفة [مجلس] ، من شعر قد تقدّم إنشاده^٣ :

هذي المدامُ وهذا النقلُ من جَسَدِي غنّ لِنَفْسِكَ أشعاري بِالْحَانِي

وله من أخرى :

أطال الله بقاءَ الحضرةِ الساميةِ الصارمِيَّةِ ، ما عَظَّمَ رَجَبٌ فِي الإِسْلَامِ ، وولج

الضياءُ فِي الظلامِ ، وَوُشِيَّتِ الطُّرُوسُ بِأَسْنَةِ الأَقْلَامِ :

تَرَدُّ العُفَاةُ شَرَائِعاً من جودها تُسِيخَتْ بهنَّ شَرَائِعُ الإِعْدَامِ

١ ديوان المعتمد : ٦٧ وقلائد العقبان : ١٦ والذخيرة ٢ : ٥١

٢ القلائد : النحور .

٣ لا أراه تقدّم في الذخيرة ، كما أنه ليس في ديوان المعتمد .

٤ يريد بالحضرة الصارمية : صارم الدولة بن معروف ، وقد أورد ياقوت (٩ : ١٧٥) رسالة أخرى من ابن أبي

الشيخاء إليه افتتحها بقوله : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية ، يجزي القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر

بعزائم ألويتها .. الخ .

وترى قلائدَ حَمْدِهَا وثنائها منظومةً بترايبِ الأيام
وإذا عَصَتْ نُوبَ الزمانِ وخالفتْ وقفتُ لديكِ مواقفَ الخدامِ

إذ كانت أيامُ الحضرةِ العاليةِ شاهدةً لها بجودِ يريشُ أجنحةَ الكرامِ
المقصوفة^١ ، ويقومُ بفرائضِ المجدِ المنصوفة ، وحلمِ تَطْلِقُ القدرةَ عنانهُ ،
ويستعيرُ الجنانَ رُجْحانهُ ، ووفاءً يعلمُ الدهرَ حفظَ العهودِ ، وينقلُ طَبْعَهُ إلى الخلقِ
المحمودِ ، ورأيٍ يقطعُ والسيوفُ مُغْمَدَةً ، ويسري والعودُ العتاقُ مقيّدةً ، وبشرِ
يُجِلُّ ضوءَ الشارقِ ، ويضيءُ في جبينها إضاءةَ البارِقِ ، وجودٍ^٢ تأمرُ مكارمهُ الزمانَ
لينتصرَ بالصارمِ ذي الفضائلِ ، لا الصارمِ ذي الحمايلِ ، وينتجعُ الأنواءَ المظفريةَ ،
فِيهِتِنْتِنُها لها بالشهرِ والسنةِ حفظاً للسنةِ المرتبةِ ، لا اعتماداً على القضيةِ المستوجبةِ ،
والله تعالى يديمُ أيامَهَا الزاهرةَ ، دوامَ نِعْمِها المتظاهرةِ ، فإنَّ ذلكَ يَرُوهُ القريبُ
والشاطن^٣ ، ويتمثلُ به المقيمُ والظاعنُ :

ومرّتْ بكِ الأيامُ وهي كوافلُ
فيا صارماً أثنتُ عليه عُدائهُ
وفتُ بشروطِ الجودِ في المحلِ كفهُ
يُضيفُ إلى إنعامِهِ بشرَ وجهه
ولولا الذي قدمتُ من حسناته
فلا سرُّه ما بين عينيه ظاهرُ
صفتُ لك من صفوِ السُّعودِ مواردُ
تُقسِّمُ طولَ الدهرِ أمناً وخيفةً

بنيلِ الذي ترجوه منها ضوامنُ
وأصدقُ مَنْ يُثنِي العدو المباين
ومزنُ السحابِ الجودِ للأرضِ خائن
كما جمع الحكّمين في الحجّ قارنُ
لما وُجِدَتْ للدَّهْرِ فينا محاسن
ولا حقدُهُ ما بين جنبيه كامن
وجادتُ عليكِ المُعصِراتُ الهواتن
فمالكِ مرعوبُ [وعِرْضُكَ آمن]

١ ص : المخصوصة .

٢ ص : ووجد

٣ الشاطن : البعيد النائي

وله من أخرى :

أطال الله بقاء الحضرة السّامية معمورةً بوقود السعادة ديارها ، مشـ[مدودة
إلى] قَصْدِهَا أنساع العيرِ وأكوأرها ، مفلولةً عنها أنيابُ التَّوبِ وأظفارها ، ولا زال
من مدّ الظلّ ولو شاء جعله ساكناً ، يدُّ عليها الظلّ ما سرى في الليل سَفْرٌ ، وطلع
في السّماء غَفْرٌ^٢ ، وخرج عن أيدي الكرامِ وَفْرٌ ، وأنسَ بالركبان مهمه قفر :

يَطْوَعُ لها العاصي من الخطبِ عِزَّةً وَيَدْخُلُ قَسْرًا تحت أحكامها الدهرُ
ولا زال يُعلي في الخليقة أمرها على كلِّ أمرٍ من له النهي والأمر

وفي فصلٍ منها :

يا صارماً حاز الثناء بأنعمٍ لما انتضتُهُ يدُ الإمامِ تحققتُ
متواهنٌ عن كلِّ جُرمٍ طَرْفُهُ علقته يداهُ بكلِّ لدنٍ أسمرٍ
وتراه حين تضيقُ أثوابُ العلا يا عاشقَ العلياءِ ومُبغضَ مالِهِ
لا تسألني عن زمانني هل بدتُ أنت الزمانُ فإنَّ وجدْتُكَ ساخِطاً
كم قَوَّضتُ يَمَّاكَ عَنَّا شدةً ونهضتَ من ثقلِ المعالي بالذي
[وبقيتُ سُهرًا]^٣ كلَّ طرفٍ للعدا

لا تنقضي أوقاتهم فتقضي هذي البرية حُسنَ رأيِ المنتضي
فاذا رأى أكرومةً لم يُغْمِضْ يومَ اللقاءِ وكلَّ عَضْبٍ أبيضٍ
متأيساً في السؤدد المتفضفض/ [١٨٩]
نفسى فداؤك من محبٍ مبغضٍ لي منه صفحةً مُقبلٍ أو مُعرضٍ
يسخطُ عليَّ وإن رضيتَ فقد رضي لولاك بعدَ الله لم تتقوض
لوسيم يذُبلُّ بَعْضُهُ لم ينهض وتحلُّ هَضْبَ سعادةٍ [لم تُخْفَضِ]

١ من قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء جعله ساكناً » (الفرقان : ٤٥)

٢ الغفر : منزل من منازل القمر ، ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

٣ بياض في ص .

[وتقطف]^١ من إنعام الحضرتين ثماراً ، وتعيدُ جَدْبَ^٢ الزمانِ ربيعاً ، وتُفيضُ على بني الآمالِ ربيعاً ، فقد وَفَتْ لها حين خانتِ اليدُ بنانها ، وسئمتِ الضلوعُ جَنَانها ، وصدحتُ بالكلمةِ العَلَوِيَّةِ على المنبرِ ، وسهامُ العدا تقع خلفاً وأماماً^٣ ، ورهجُ خيولهم يَسْحَبُ على الموتِ غماماً ، وكم لها من مقامٍ نتقَ قلوبَ العداؤِ نتقاً ، وجمع قُطْرِي الرسالة فتقاً ورتقاً ، فلا قَلَصَ الله ظلّها عن هذا الثغر الذي يكادُ ترابُهُ بكرمها يورق ، ونبتهُ بحسنها يُشْرِقُ .

ومن أخرى له :

شهرُ الصيامِ [ذو] فضلٍ مشهور ، ورتبتهُ علّتْ^٤ جميعَ الأيامِ والشهور ، فما تُنتَهِكُ للشرع فيه حرّماتُ ، ولا تُسْمَعُ للأوتارِ نغماتُ ، ولا تنطقُ باللغو أفواه ، ولا ترشفُ رُضابُ الكؤوسِ شفاه ، وإذا اعتبرتُ أوقاتُ الحضرةِ المنصورة ، وُجِدَ أكثرها على هذه الصفةِ المذكورة ، إلا أنّ الشهر اختصّه الله بشرفِ القضية ، وفرض صيامه على جميع البرية ، فلا زال على الحضرةِ العالية عانداً ، ولها للأعمال الصالحة شاهدٌ ؛ تطلعُ في ليليه الحسناتُ شمساً ، وتجمعُ بين الشفقِ والفلقِ تسيحاً وتقديساً ، خاطرة^٥ في جلايب عَزْ يعتلقُ الدهرُ بأسبابه ، وكرمٍ يَغْرُقُ البحرُ في عبابه ، ومجدٍ تعشو النيراتُ إلى أنواره ، وتعنصمُ الملوكُ الخائفةُ بجواره ، وتتربُّ بمكارمها الأيدي التربة ، وتثبتُ بسعدها بروجهم المتقلّبة ، ويجدون ترابها في أفواههم عسلاً ، وفي أجفانهم كَحَلّاً ، ويرون وظائفَ الثوبِ عنهم تُرفعُ ، وأنفَ الحوادثِ تُجْدَعُ :

١ يبدو أنه وقع في هذه الصفحة تقطيع تداخلت فيه نهايتا سطرين ، مما أحدث خللاً واضطراباً في النصّ

٢ ص : تعيد أحذب .

٣ ص : وأماما .

٤ ص : ونبتها .

٥ ص : على .

٦ ص : ناظرة .

قد ودَّ هذا الشهرُ أنْ هلالُهُ
 ألبسته تقوى وألبسَ حُلَّةً
 وبرزتَ في جيشٍ تَغصُّ به الفلا
 لجبٍ شكتُ كَفُ البسيطةِ ثِقَلُهُ
 لا بدَّ تُعرَفُ بالعراقِ جِيادُهُ
 وعلى مَطَاهَا دارعون سيوفُهُمُ
 وتقيم شرعَ بني النبي بأرضِهِ
 لم تراضَ معروفَ العوارفِ نفسُهُ
 وإذا تَمَنَّى المألُ يُودَعُ كَفُهُ
 تركتُ سيوفك كلَّ خالِعِ طاعةٍ

ومن أخرى :

لقد أسعد الرحمنُ مَنْ بات ثانياً
 إذا ما الحيا جاركَ في حَلْبَةِ الندى
 وما يتساوى قطُّ بحرٌ وجدولُ
 وأنت سماءُ الملكِ وابنك شمسُهُ
 إذا لم تحطَ نظماً ونشراً بمدحِهِ
 فككتَ إساري مُنعماً وتركتني

إليكَ عنائي رغبةً وثناءً
 رمى فوق فؤديهِ قناعَ حياءِ
 ولا كلُّ أعضاءِ الفتى بسواءِ
 وهل نُظِرَتِ شمسٌ بغيرِ سماءِ
 فما حيلةُ الكتابِ والشعراءِ
 لآلائك الحسنى من الأسراءِ

والذي جعلَ الأرضَ بساطاً ييسطُ قدرها في الآفاق ، ويجعلُ أيامها ينابيعَ
 الارزاق ، حتى لا ينطق بسوى شكرها لسان ، ولا يُرى لغيرها على أحدٍ إحسان .

١ ص : بالفراق .

٢ الأيدع : صبغ أحمر .

٣ ص : يودع .

وفي فصل من أخرى :

وحضر قفان ، وعليه تمن نعمته آثار قد حلت عطله ، وسدت خلاله ، وظهر في
زي يكبت كل عدول وشامت ، وينطق بالمنة عنه وهو صامت ، وقد سير من ذلك ما
سير غوراً ونجداً ، ونظم في ترايب الأيام منها عقداً ، ولا زالت منه لذوي الآداب
قاطرة ، وعراضه بلطائم الشناء عاطرة ، يتغايّر النثر والنظم على مدائحه ، وتفيض
على العافين غروب مواهبه ومناحه . ولما اعتزم العودة إلى ذلك الظلّ المديد ،
والعيش الرغيد ، زودته هذه الرقعة مستدعياً له الزيادة من كرم العادة ، والحفظ
السنيّة الاستفادة .

ومن أخرى :

أثبتت - أطال الله بقاء مولاي - بشيء أنا فيه مكذب ومصدق ، ومدافع
ومحقق ، واحتجت بحكم ذلك الى مطالعته ، وعلم كنه حالته^١ ،

فالحل كالماء يبيدي لي ضائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

عرفت أن هذا الراقص البغدادي قد رفض مودته خلفاً ، وسلك به من الخلاف^٢
عسفا ، فوصله وهجر ديوانه ، وأرضاه وأسخط خلائه ، واستبدل فيه مصوناً من
قدره ، واستدل عزيزاً من تأتبه وبره ، وصار يهب النفس بلمسة [من] إهابه ، وجميع
سقي النيل برشفة من رضابه ، وينشد إذا تراكضت خيول اللهب واللعب ، وغلظ
عليه قول اللاحي المؤنب :

غزالٍ تمتعت في قُربهِ ونازعني الكاس حتى غلب
إذا ما تنفّس في نومه تنفّس عن مثل ما قد شرب

١ كنه حالته : قراءة تقديرية ، إذ هذا الجانب من الصفحة قد طمس .

٢ الخلاف هنا بمعنى الخلاف .

فيا ليلُ ليتك لا تنقضي ويا صبحُ ليتك لا تقترب
فوجدتُ والله من إشاعةِ هذه الحال ما يجدهُ الخائفُ غاب واقبه ، والسليمُ
عديمَ طبيبه وراقبه ، خوفاً على جاه مولاي أن يميل ، وَيَشْتَع فِيهِ الْقَالُ وَالْقِيلُ ،
فيصلَ إليّ من المصابِ بذلك ما يُعْشِي الناظر ، ويخذلُ الناصر ، لاسيماً والنسبُ حظُّهُ
من الشرفِ الخطير ، وقسطُهُ من الإِعْظَامِ والتوقير ، والصغيرُ يُعَدُّ به كثيراً ، والحصاةُ
تُحْسَبُ معه ثبيراً ، ولو كان مولاي مدً على هذه السقطة سَجْفاً ، وشرب ذلك العُقارَ
مَرْجاً لا صِرْفاً ، لجاز أن تخفى القِصَّةُ ، وتُنْسَاغَ قليلاً هذه الغُصَّةُ ، فالعقلُ نعم
الرقيب ، والليلُ نهارُ الأديب^١ . ويجبُ أن يتحققَ مولايَ أني ما أطلقتُ هذه اللفظة
إلا وقد حَصَرَ الكَتْمَانُ ، والتقتُ حلقتنا البطان ، وَسَمِعْتُ ما يُصِيمُ الآذَانَ .

وله من أخرى^٢ :

ما زال يختارُ الزمانُ ملوكهُ حتى أصابَ المصطفى المتخيراً
قل للألى ساسوا الوري وتقدموا قُدماً هلموا شاهداً^٣ المتأخراً
تجدوه أوسعَ في السياسةِ منكم صدراً وأحمدَ في العواقبِ مُصدراً
إن كان رأياً شاوروه أحنفاً أو كان بأساً نازلوه عنترا
قد صام والحسناتُ ملء كتابه وعلى مثالِ صيامِهِ قد أفطرا
ولقد تخوّفك العدوُّ بجهدِهِ لو كان يقدرُ أن يردَّ مقدراً

١ قوله « الليل نهار الأديب » فيه إشارة إلى قصة ليحيى البرمكي حين بلغه أن ابنه الفضل قد تشاغل بالذات عن النظر في أمور الرعية - وكان والياً بخراسان - فكتب إليه يلومه ، وضمن رسالته أبياتاً يقول فيها :

فكابد الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأديب

انظر ابن خلكان ٤ : ٢٨

٢ منها ثلاثة عشر بيتاً في الحريدة : ١٦ ب وأحد عشر في ابن خلكان ٢ : ٩٠ وقال ابن خلكان : وقد اقتضرت منها على هذا القدر خوفاً من التطويل .

٣ الحريدة : هلم فشاهدوا .

٤ الحريدة والوفيات : رأي ... بأس .

إن أنت لم تبعث إليه ضمراً
 تسري وما حملت رجالاً أيضاً
 خطرنا إليك فخطروا بنفوسهم
 عجبوا للحلمك أن^٢ تحول سطوبة
 لا تعجبوا من رقة وقساوة
 فلذاك عدك حين يعرض عارض
 لو رام قسطنطينة لا جلقاً^٣
 ولقد قضت أي الكتاب لكل من
 جرداً بعثت إليه كيداً مضمر
 فيه ولا ادعت كماً أسمر
 وأمرت سيفك فيهم أن يخطرا
 وزلال خلتك كيف عاد مكدرا
 فالنار قدح من قضيب أخضرا
 وسطى البنان وعد غيرك خنصرا
 بك لم يدع في أرضها متنصرا
 نصر الشريعة أن يعان وينصرا

فلا برحت الحضرة - حرس الله أيامها - تفتت عن مباسمها الحسان ، وتفتخر
 بمناقبها قبائل غسان ، فلو شاهد أهل جفنة جفانها ، وأهل جبلة بن الأيهم
 ضرابها وطعانها ، لعلموا أن الله أتاح الساحة والبسالة ملكاً منهم يحفظ ما ضيعه
 الناس من عهدوها ، ويسرح ما ذخروه من نقودها ، فما يزيد المدح مناقبه ضياءً ،
 ولا مراتبه اعتلاءً ، وإنما هو في ذلك كالمسك يطيب بنفسه^٧ طبعاً ، ويزيد
 المحارص^٨ تضحوا ونشراً ، وإن أطال العبد في نشر فضائلها ومقوده ، واستخدم في
 ذلك لسانه ويده ، فانما هو كمن يوقد في الشمس ذبالاً ، ويهدي إلى الفرات نطافاً
 أو شالاً ، والذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، يجعل أمداد النعيم على

١ ص : ادعت ! والتصويب عن ابن خلكان ، وفي الخريدة : اعتقلت ! وهو أدق .

٢ الخريدة : عجباً للحلمك إذ .

٣ ص : لا حلاً . ولم يرد هذا البيت في الخريدة .

٤ ص : تعبر

٥ جفنة : الغسانيون .

٦ ص : لعلم

٧ ص : لنفسه .

٨ كذا في ص ، ولعله : ويزيد في المجامس .

٩ ص : امتداد .

الحضرة مُغْدِقَةٌ ، ووفود المواهب بساحاتها مُحْدِقَةٌ ، ويمتّع الدنيا بمحاسنها التي يتظامن لها ذوو الأبصار ، وتتأرجح تأرجح القطر في جميع الأقطار .

وله من أخرى :

فولجت منزلاً قد استعار من قلب العاشق حرّاً ورهجاً ، ومن أخلاق مالكه ضيقاً
وحرَجاً^١ ، كأنما زفرت فيه النار ، ونُقِطَ على جذرائه^٢ بالقار ، فجلست طويلاً إلى أن
حضر الإخوان ، وقدم الخوان ، فرأيت أرغفة قد أحكمت في الصغر والإطاف ، ولم
تتعوذ قط من الأضياف ، قد مرّت عليها أيام ، وعُيبت بقول ابن بسام^٣ :

أتانا بخبز له يابس كمثل الدراهم في خلقتة
إذا ما تنفست عند الخوان تطاير في البيت من خفتة

وثلاثة صحاف ، واسعة الأكناف ، بعيدة الأوساط من الأطراف ، قد جعل
في قرارة كل منها ما [لا يدفع السغب ، ولا تجده^٤ / ١٩١] اليد إلا بالتعب ، فجئنا
جولة وعينه تطرف علينا شمالاً ويمينا ، وتتفقد منا حركة وسكوناً ، وقمنا ولم تقارب
الكفاف ، وقد ظن بنا الإسراف ، فحضرنا مجلس المعاقرة فأديرت علينا قهوة قد
خُصت باللون الكدر ، وكثرت بالماء الحضر^٥ ،

كالمهل تغلي في البطون لو أنها يوماً تُعدّ لكافر لم تحرم
فحسوتنا أولاً وثانياً ، وكرعتنا منها حمياً أنياً ، وقلنا لعل ما يحضر من الملهيات
يُصلح فاسيدها ، وينفق كاسيدها ، ولم يكن بأسرع من أن افتتحت قينة يحرم لها
السياع ، وتستلذ الصمم الأسباع :

١ ص : . وحر يا .

٢ ص : ولقط على جذرائه .

٣ هو علي بن بسام البغدادي (- ٣٠٢ أو ٣٠٣) وقد مر ذكره في عدة مواطن من الذخيرة ، انظر مصادر ترجمته في

٤ القسم الأول : ١٤٢ (الحاشية : ٣)

٥ الحضر : يريد ماء فيه طحلب ، للمبالغة ، والا فقد تقرأ « الحضر » .

تُكْدِرُ صَفْوَ الرّاحِ فِي شَدْوِهَا وَتَنْفِرُ الْأَنْقَارُ مِنْ ضَرْبِهَا
لَمْ تَكُنِ الْعَلِجَةُ مَطْبُوعَةً بَلْ كَانِ مَطْبُوعاً عَلَى قَلْبِهَا
فَسَمِعْنَا وَلَأْمَرَ اللَّهِ سَبَلْمَنَا؛ فَحِينَ جَرَّ الظَّلَامُ عَلَيْنَا الذُّيْلُ^٢، وَغَشَى النَّهَارَ
اللَّيْلُ، زُفْتُ إِلَيْنَا خَرِيدَةً رَأْسُهَا مَقْطُوعٌ، وَوَسْطُهَا مَشْغُوبٌ مَرْقُوعٌ^٣، قَدْ حَفِظْتُ
عَنْ عَادِ عَهْدَهُ، وَاسْتَعَارْتُ مِنْ يَأْجُوجَ قَدَّهُ، تَبَصَّ كَعْيُونَ الْجَنَادِبِ، وَتَضِيءُ فِي
الظُّلْمَاءِ كَنَارِ الْحَبَاجِيِّ، فَقَوَّضْنَا خِيَاماً، وَسَكَّرْنَا هَمّاً لَا مُدَاماً؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّدَ
مَوْلَايَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَمَنَعَهُ، وَحَمَى عَمَّا حَضَرْنَاهُ مُسْتَمَعَهُ.

وله من أخرى إلى نفيس الدولة يستدعيه :

أنا - أدام الله تمكُن مولاي - كالماء تتفرق أجزاءه فيلتئم، وكعرق الفصاد
تمزقه المباحض فيلتحم؛ وذلك أنه - أدام الله عزه - ارتد عن شريعة الوداد، ودان في
دين المحافظة بالإلحاد، واستعمل [من] الجفوة ما ينفر الطرف عن هجوعه،
ويوحش الصدر من صُحبة ضلوعه، فقسوت عليه أياماً، وأوسعته في النفس
ملاماً، ووجدت طعم السلوة طيباً، والصبر من الصبر عنه ضرباً، وتشخصت لي
أخلاقه مرة المقاطف، خربة المكاسير والمعاطف :

وإذا أقام الجحد وتدمل الهوى رأيت القلوب ولم تتر الأهداق

فما هو [إلا] أن اجتمعت به اليوم في المجلس المعمور حتى هبت علي رياح
صفاته فطبت تلك الكلام، وجددت تلك الرسوم، وأرثني المخفر من عهوده مخفوراً،

١ ص : الأنفار .

٢ ص : جرى ... الليل .

٣ ص : مشغوب مرقوع .

٤ ص : المضابع .

٥ ص : وأزبعته .

والمُحْصَى من ذنوبِهِ منسيّاً مغفوراً ، فاستحال السلو شوقاً مبرحاً ، والناضراً من المعتبة
هشياً مُصَوِّحاً :

وما زال داعي الشوقِ حتى أَجَبْتُهُ بِمَطْرُوفَةٍ تَدْمَى لَوَاهِي الأَنَامِلِ

وَصَدَرَتْ هذه الرُّقْعَةُ وأنا أودُّ كَلْفاً ، لو كنتُ فيها أَلْفَا ، تَفَاوُلًا بَعْدَةَ رِيحِ
الأُلْفَةِ ، وتسكيناً للقلب من نَزَوَاتِ الرَّجْفَةِ :

من الوفاءِ وفاءً لا يُغَيِّرُهُ مَرُّ الزمانِ بِاعراضِ وإقبالِ

وعندي الآن ذاك الصديقُ الذي يخطفُ العقولَ ويذهبها ، ويُغَيِّرُ على
الألبابِ وينتهبها ، ويحطِّمُ الرماحَ كِرَانُهُ ، ويؤمِّنُ في مضارِ المسرَّةِ خوائهُ ، وليس
والله تُتصَوَّرُ لي الأقداحُ ، وتُلْتَمُّ مراشفُ الراحِ ، إلّا ومولايَ يحاسيني كؤوسها ،
ويجهِّزُ إليّ خميسها ؛ وأسأله أن تكونَ قراءةُ هذه الرقعةِ وقد ركبَ سَمَتَ الطريقِ ،
وقابلَ الأمرَ بالتحقيقِ .

وله من أخرى ، وقد قبضَ على الوزيرِ وقتَ الظهرِ ، وأفرجَ عنه في العشاءِ
الآخرةِ :

من كَرَمِ اللهِ وجزيلِ إِسعافِهِ ، وجميلِ صُنْعِهِ وألطافِهِ، أنْ جُعِلَ سيدنا كالثُّجومِ
تغيبُ ثم يرتفعُ في غدٍ سَمْتُها ، أو كملكةِ الشطرنجِ يقالُ : قد فاضتْ ثم تعيشُ
لوقتها ؛ وقُضِيَ لحضرته بأنْ تزلَّ الخطوبُ عنها زليلَ الترابِ عن مَتْنِ الصُّفا ،
وتتحامها النوائِبُ [في هبوطها] وطلوعها ، منذ حَطَرَتِ الشمسُ في الحلالِ الجَلَناريَّةِ ،
إلى أنْ صارت في [الثيابِ] السُّوسِيَّةِ . ونزلَ سيدنا إلى دارِهِ بالسَّعْدِ المُصْحِبِ ، وفي

الموكب المتلاطم اللجب ، وترك الوزارة تدعوا من زانها وجمها ، لمن رقع هلها
وسملها^١ ، وإن أكتابت ليغديه ، وعبقت أعطافها بلطائف مجده :

يضوع تراها بالندي فتخالها رياضاً وكانت قبل وهي صوائح
صفا جوها بعد الكدور يعدله وطابت حشاياها الظاء القوامح^٢

فالحمد لله على ما من من سرعة الإقالة ، وانقضاب تلك الحباله ، وتفضل به
من حسن الرعاية والكفالة ، ولا زالت مواهبه - جلت الأوه - تقع عند سيدنا من
وراء الاقتراح ، وتسخر له أعطاف الغدو والرواح .

وفي فصل من أخرى^٤ :

وصلت رقة مولاي والصبح قد سل على الآفاق مقضبه ، وأزال بأنوار الغزالة
غيبه ، فكانت بشهادة [الله]^٥/[١٩٢] صبح الآداب ونهارها ، وثار البلاغة
وأزهارها ، قد توشحت بضروب من الفضل تعطيه^٦ قاصية المدى ، وتجرده^٧ في مضمار
الأدب مفرداً :

فكان روض الحزن تنشره الصبا ما ظلت من قرطاسها أنصفح

فأما ما تضمنته من وصفي فقد صارت حضرته [السامية]^٨ تتسمح في الشهادة
بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة ، وأنها لا توقع ألفاظها إلا في مواضع الحقيقة ،

١ كذا في ص . ولعله « تدع »

٢ ص : وشملها .

٣ الظاء القوامح : قراءة تقديرية ، فالخط باهت كثيراً تصعب قراءته .

٤ أورد ياقوت (٩ : ١٥٧) هذه الرسالة وقال ان ابن ابي الشخياء كتب بها إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقة .

٥ الكلمة مضموسة في الأصل ، واعتمدت في اثباتها على معجم ياقوت .

٦ ياقوت : تقصر .

٧ ياقوت : ويجري به .

٨ زيادة من ياقوت .

فإن كنتُ قد بهرجتُ عليها فلتراجع^١ في نقدها^٢ ، تجدني لا أستحقُّ من ذلك الإسهاب فضلاً ، ولا أعدُّ لكلمةً واحدةً منكم أهلاً ؛ والله يُنهضني لشكر هذا الإنعام الذي يقفُ عليه^٣ الثناء ويظلعُ ، ويحصُرُ دونه البليغُ المصنَعُ :

هيهات: تُعبي الشمسُ كلَّ مرامقٍ ويعوقُ دون منالِهِ العيوقُ

وفي فصل^٥ :

وأما الفصلُ الذي ذكر أنه ألفاه في رسائل الكتاب وهو^٦ : « وأما فلان فيحلُّ في قومه محلَّ العميد ، ويفرحُ بالضيوفِ فرحَ حنيفةَ بابن الوليد ، قدوره عمّارية ، وعطساتُ جواريه أسديّة ، تراهنُّ أبداً يمشين في حُللِ الشباب ، ويهوين لوخُلِقَ الرجالُ خلقَ الضباب ، يتضوَّعن عن النشرِ العبقِّيِّ ، ويرتضعن مرضعَ تُعالةِ المجاشعي » . [وما أمرتُ حضرتهُ الساميةُ من ذكرٍ ما فيه عندي ، فقد تأملتُهُ طويلاً ، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره ، راغباً في الرضى بما بلغت إليه المقدرة وتجليلِ ذلك بسجوفِ الصّفح [٧] .

قوله : « فرحَ حنيفةَ بابن الوليد » أشار إلى ما قتل خالد بن الوليد المخزومي من بني حنيفة ؛ وقوله : « قدوره عمّارية » أشار إلى قول الفرزدق^٨ :

١ ص وأصل ياقوت : فتراجع

٢ ص : بعدها .

٣ ياقوت : عنده

٤ ياقوت ، الخطيب .

٥ انظر ياقوت ٩ : ١٥٨ - ١٦٣

٦ ياقوت : الذي أودعه الرقعة الكريمة .

٧ هذه الزيادة من ياقوت ضرورة للربط ، وتوثيق نسبة الشرح إلى ابن أبي الشخباء لا إلى ابن بسام ، وفي إيراد هذه

الشروح يعتمد ابن بسام الإيجاز .

٨ ديوان الفرزدق ١ : ٣٢٦

لو أن قِدرًا بكتُ من [طولٍ ما] حُبِسَتْ على الحفوف^١ بَكَتْ قِدرُ ابنِ عَمَارٍ^٢
ما مَسَّهَا دَسَمٌ مذ فُضَّ مَعْدِنُهَا ولا رَأَتْ بَعْدَ نارِ القَينِ من نارِ

وقوله : « عَطَسَاتُ جَواريه أسدية » فأراد قولَ الأوَّلِ في هجاءِ بني أسد :
إذا أسديَّةُ عطستُ فنكها فان عَطَسَها طَرَفُ الوِداقِ^٣

وقوله : « يهوين لو خُلِقَ الرجالُ خَلَقَ الضباب » فذكر الجاحظُ أنَّ للضب
أيرينَ وللضبِّ حِرِينُ^٤ ، وأنشد قولَ النميريِّ^٥ :

تفرقتُم لا زلتُم قِرْنًا واحدٍ تفرَّقَ أيرِ الضبِّ والأصلُ واحدٌ
وأنشد قولَ القائلة^٦ :

وددتُ بأنَّه ضبٌّ وأنِّي ضُبِّيَّةٌ كُديَّةٌ وَجَدتُ خلاءَ

وأما قوله : « يتضوَّعَنَ عن النشْرِ العَبْقَسِي » فإنَّ من أمثالِ العربِ : هو
أخسرُ صَفْقَةٌ من شيخٍ مَهوٍ^٧ ، ومهوٌ بطنٌ من عبدِ القيسِ ، وكان من خبره أنَّ إياداً
كانت أفسَى العربِ ، فوفدوا وأخذهم إلى الموسمِ بسوقِ عكاظِ ، ومعه حِلَّةٌ نفيسةٌ

١ على الحفوف : قلة من الدسم ؛ وفي ياقوت : عن الحقوق (مع أن أصله : على)
٢ الديوان : ابن جبار ، وهذه الرواية يضطرب الاستدلال إذ يجب أن يقول « قدوره جبارية »
٣ البيت في الاغانى ١٢ : ١٨١ منسوب لكثير عزة (ديوانه : ٣٨٩) وروايته : إذا ضميرية عطست .
٤ انظر الحيوان ٦ : ٧٢ وانظر أيضاً ٤ : ١٦٣ - ١٦٤
٥ ص : قول البحترى : وأورده الجاحظ (الحيوان ٦ : ٧٢) دون نسبة ؛ وإنما رواية الخبر كله عن أبي خالد النميري
لا البيت وحده ؛ وقال الجاحظ ان البيت مما أنشده الكسائي . وفي ياقوت (٩ : ١٦٦) وأنشد الأصمعي لابن درماء
فما رواه أبو خالد النميري .
٦ هي عند الجاحظ وياقوت حَبِي المدينة .
٧ المثل في الدررة الفاخرة : ١٤٠ (أحق من ..) والعسكري ١ : ٣٨٨ والزنجشري ١ : ٨٢ وثبار القلوب : ١٠٦
واللسان (فسا) ؛ واسم الشيخ عبد الله بن بيدة . وفي نقل ابن بسام إيجازمخلّ : فان الايادي نادى ألا إني رجل
من إياد فمن ذا الذي يشتري عار الفسومني بيردي هذين فقام الشيخ العبدي فقال : هاتهما ، فأثر بأحدهما
وارتدى بالآخر ، وحيثُ أشهد عليه الايادي من شهد الموسم بعكاظ .

فقال : يا معشرَ العربِ إني قد بعثُ فسَاءَ إيادي لو أفدِ عبدَ القيسِ بحلتي هذه ؛
وافترقا راضيين ، وقد شهد عليهما أهلُ الموسم ، فصارت عبدُ القيسِ أفسى العربِ .
وقيل لابن مناذر^١ : كيف الطريقُ إلى عبد القيسِ ؟ قال : شمَّ ومُرَّ ،

فإنَّ عبدَ القيسِ من لؤمها تفسو فسَاءَ ريحُه يعبقُ
من كان لا يدري لها منزلاً فقل له يمشي ويستشق

وأما مراضع ثعالة فيقال : هو أعطشُ من ثعالة^٢ ، رجلٌ من بني مجاشع ، كان
ضلَّ الطريقَ هو وابنُ عمِّ له ، فعطشا ، فالتقم كلُّ واحدٍ منها أير صاحبه يشربُ
بوله ، فلم يُغنيا عنها شيئاً وماتا عطشاً ، فوجدا على تلك الحال ؛ ولذلك قال جرير
يعيرُ بني دارم^٣ :

رضعتُم ثم بال على لحاكمِ ثعالةٍ حين لم تجدوا شرابا

وقيل : ثعالة : الثعلب ، في تفسير هذا الخبر عن ابن حبيب ، وخالفه ابن
الأعرابي وحكى ما ذكرناه ، وأنشد أيضاً قول جرير^٤ :

ما كان يُنكرُ في عَزِيٍّ مجاشعٍ أكلُ الخزيرِ ولا ارتضاعُ الفَيْشَلِ
وله من أخرى يعزِّي بموتِ ولدٍ فخرِ الدولة غريقاً^٥ :

١ هو محمد بن مناذر شاعر بصري مات في أيام المأمون (الأغاني ١٨ : ١٠٣ والشعر والشعراء : ٧٤٧ وطبقات ابن
العتز : ١١٩ ومعجم الادباء ١٩ : ٥٥)

٢ ورد المثل في الدررة الفاخرة : ٣٠٩ والعسكري ٢ : ٧٠ والميداني ٢ : ٤٩ والزخشي ١ : ٢٤٨

٣ ديوان جرير : ٨١٨ وروايته « ثم سال »

٤ ديوان جرير : ٩٤١ والدررة : ٣٠٩ والنقائض : ٢٢٣ والمعاني الكبير : ٥٨٥ واللسان والتاج (فشل)

٥ الديوان : ندي : ص : عدي

٦ وردت هذه الرسالة في جمهرة الإسلام ، الورقة : ٦٨ وأنها في رثاء ولد كافي الكفاة وبين النصين اختلاف ، كما ان
الرسالة في الجمهرة اوفى مما هي في الذخيرة .

غيرُ يدعٍ من الزمان - أطل الله بقاء [حضرة] سيدنا - أن تُنكثَ حباله ،
وتَصَرَّدَ نبأه، وتراشَ في قصدِ الكرامِ سهامه [وتُرَهَّفَ نصاله] وتفهقَ بالغدرِ فجأجه ،
ويزجَ^٢ بالسُّمِّ أجاجه، ويثَارَ في النفوسِ عجاجه^٣، ولذلك عرفتِ النفوسُ مواقعَ نُكْرِهِ،
وَأَنَسَتْ بغرائبِ غَدْرِهِ ومكره ، واطمأنتُ الضلوعُ وقد أصمت ضرائبه^٤ ، وهجعتُ
العيونُ وقد استيقظت نوائبه ، فقلَّ ما يُرَاعُ رَوْعُ بما جناه ، وتجذَلُ نفسُ [١٩٣] بما
منحه وأقناه . فاذا اصطلم [يوماً] أنفُ المجد [و] جدع ، [وفطر قلوب المكارم
وصدع] ، وخرج عن العادة المألوفة فابتدع ، فهناك يحسنُ أن تُطْلَقَ بدمه الألسنُ ،
ويجبُ أن يُلقَى بجيشِ اللُّومِ اللِّجِبِ .

ولما طرق الفادحُ بمن لا أسميه تفادياً^١ من تحقيقِ الخبرِ بمصرعه ، وصوناً له
من مَوْرِدِ الحمامِ وَمَشْرِعِهِ ، رأيتُ^٢ المحامدَ ذاتِ نورِ خامد ، والمآثرَ ذاتَ عِقْدِ
متناثر ، والقمرَ قد سئم هالته^٣ ، والصُّبْحَ قد خلع^٤ الليلُ عليه غِلالته^٥ ، وشاهدتُ
الكتابةَ مقصورة المدود ، والبلاغةَ مغموشة الحدود^٦ والأدبَ قد اسودتُ سيحنته^٧ ،
واشتدتْ على الزمنِ^٨ وامتدت إحنته ، إذ طرق بما يتجاوزُ القدرَ ، ويوحشُ الأضالعَ
من صحبةِ الصُّدْرِ .

١ زيادة من جمهرة الإسلام .

٢ الجمهرة : وتجذع (اقرأ : وتجذح)

٣ قدمت هذه العبارة وقد تأخرت عن هذا الموضع في ص ، اعتماداً على جمهرة الإسلام وحفاظاً على تسلسل الاسجاع
وكانت في الاصل : ويثار في قصص الكورس عجاجه .

٤ الجمهرة : وأنس بعرف .

٥ الجمهرة : صوائبه .

٦ الجمهرة : تباعدأ .

٧ الجمهرة : رأى

٨ الجمهرة : ألقى .

٩ الجمهرة : شواهد البلاغة متصرمة المدود والكتابة مرسومة الحدود .

١٠ الجمهرة : على الدهر

شمسُ العلا غَرَبَتْ بِحَيْثُ تَرَى أبدأً غروبَ الشمسِ والبدرِ
 من برِّه بك أن يُحْطَ له جَنَنْ بِقَرَبِ عَطَائِكَ الغمراً
 وكأنما هو دَرَّةٌ دُفِنَتْ في جَنَبِ ما ولدت من البحرِ
 وتنزَّهت عن أن يَصَافِحَهَا سَمَكٌ الصفيح وظلمة القبرِ

ف تعالى الله كيف استرَّدَ ذلك البدرُ قبل تمامه ، وذبل ذلك الزَّهرُ في كمامه ٤ ،
 قبل أن تشرف بموكبه الأعلام ، وتروى من بنايه الأعلام ، ويعقب دَسْتُ الوزارِ
 بشره ، ويُنشرَ رميمُ السيادةِ بطيه وتشره ، وإيتاح [للطورسِ من أفاظه الدرية ما
 يَفْضَحُ العقودَ الدرية ، وتُعَسِّسُ معه الليالي البدرية .

وقبل يُرى من جودِهِ ما رأيتُهُ ويسمعَ فيه ما سمعتُ من العذلِ
 هذا والله هو المصابُ الذي تستعذبُ فيه الحلومُ هَفَواتِها ٦ ، وتفارقُ له القلوبُ
 سُويداً وإتِها ، وتستخفُّ النفوسُ حَمَلَ الأوزارِ ، وتأنفُ العيونُ ٧ من لقائِهِ بالدموعِ
 الغزارِ ، حتى تجعل ذلك دابَّها ، وتخصبُ بالنجيعِ [أهدابها ، إلا] أنه نزل بالحضرة ٨
 ممن شدَّت بالتقوى ٩ مريئته ، وتساوتُ في طاعة الله علانيته وسريته ، فالجزع لا
 يصبحُ مالكةً ، والخطوبُ لا تخطبُ تهالكه ، والنازلُ يُطيفُ منه بالعودِ البازل ، الذي
 يتحققُ أن الدنيا نسيماً شراراً ، وطعمها مرار ، والمقيم فيها مُوجِفٌ ، والرائد مُنَبِّئٌ
 مُعْجِفٌ .

١ لم يرد هذا البيت في الجمهرة

٢ الجمهرة : ما وليت من النحر .

٣ الجمهرة : صم

٤ الجمهرة : قبل إكمامه .

٥ الجمهرة : وتبته الطروس من الفاظه الدرية بما يفضح .. الخ

٦ الجمهرة : النفوس فواتها

٧ الجمهرة : الجفون

٨ الجمهرة : نزل من الحضرة العالية .

٩ الجمهرة : شزرت (أوسورت) من التقوى .

وذكرتُ بهذا الفصل ما أنشدته لبعضِ أهلِ عصري يصفُ غلاماً وسيماً [عامً
فانحسر منه العزم ونجا]¹ بعد أن أشرف على الموت من جملة أبيات :

شجاني المقام الصُّعْبُ لما شهدتهُ وقد ضاقتِ الأنفاسُ والنفْسُ تذهبُ
وقد بهتت فيه اللواحظُ إذ رَتَتْ إلى دَرِّقٍ تطفوا [أواناً] وترسبُ
كأنَّ خليجَ الماءِ كانَ مجرَّةً وأنتِ بها شمسُ تلوحُ وتغربُ
كُسيّتِ اصفرارِ الروضِ عند ذبوله ولكن على الحالينِ مرآكُ أعجبُ
عدا الماءِ من ماءِ الصبا فيكَ غيرة وما خلتُ أن الماءِ للماءِ يَغْضِبُ
ستبقى بهذا النهيرِ للناسِ عبرةً مؤرَّخةً في الكتبِ تتلى وتكتبُ
وتبني على شاطبي نجاتك كعبةً يحجُّ لها بالحبِّ مَنْ يتقربُ

وله من أخرى :

لدي³ - أطل الله بقاء مولاي الشيخ - نفسُ ترى النِّعمَ مع المهانةِ نِقماً ،
وتجدُ طَعْمَ العيشِ مع عَدَمِ الإنصافِ عَلْقاً ، ولو سُمَّتْها خروجاً عن هذا الأسلوبِ ،
ونزولاً عن ذلك الظهرِ المركوبِ ، لراتِ الخروجِ من الصدرِ أخْفَ عليها محملاً ،
وأعْدَبَ لديها مَنهلاً :

* لكل امرئٍ من دهره ما تعوداً *

وهذا بثُّ اقتضاه كثرةُ تعجّبِ مولاي من انقطاعي عن الحضرة التي بأنوارِ
مجدها تَوَضَّحْتُ ، وفي بحبوحه عزّها دُرْتُ وَسَرَّحْتُ ، وما أطلقَ من الألفاظِ التي لو
حاسب لسانه عليها لأَيْفَ من ذكرها ، واستغفر من إثمها وَوَزَّرَهَا ، وقبيحُ بمثله ممن

١ هذه القراءة بحسب المعنى لعدم وضوح الالفاظ في ص .

٢ هذا الشطر غير واضح في ص .

٣ ص : لسيدي

٤ صدر بيت للمتنبي ، عجزه : وعادة سيف الدولة الضرب في العدا .

أعطاه السؤدّد مقادّته ، وركبَ مثنّ الشرف وجادّته ، أن يأكلَ لحم أخيه حيّاً ، ويرى غيبةَ خُلطانيه طعاماً مرّياً ، ولو عرف أصلَ ذلك وفَرَعه ، وناجت به الحقيقةُ لسانه وسَمَعَهُ ، فكيف أن يُزري وهو لا يدري ، ويتكلم وهو لا يعلم ، ويستحسن قواريضَ من القريض تترك شملَ المحامدِ مُفَرَّقاً ، وأديمَ الأعراضِ ممزقا . ولقد كنتُ مُزِعاً على فراق العادة ، واتباعِ قولِ ابنِ ميادة^١ : [١٩٤]

وَجِئْتُ لَهُمْ مِمَّا أَقُولُ قِصَائِدًا تَخْبُ بِهَا صُهْبُ الْمَهَارَى وَجَوْنُهَا

ورأيتُ أن أنبّه مولاي على ما أنكرته : أن يكونَ بين أمرين : إمّا أن يسأل عن السببِ الموجبِ لبعدي عن تلك الحضرة ، أو يمسك عن الخوضِ في مالا تحيطُ به الخيرة ، فلعلهُ إذا علم الحقيقةَ مهدّ المعذرة ، وبرّد لفحاتِ اللومِ المستعرة ، وتبين أنّي ما ثنيتُ عناني عن هذا الموردِ إلا وقد ترنّقتُ مشارعهُ ، ولا زويتُ وجهي عن ذلك المنتجعِ إلاّ وقد ذوتُ مراتعهُ ؛ وبعد ذلك فبين أضلعي ولاءُ تشبكتُ أوأصرهُ والأنسابُ منفضمة ، ويشرقُ صباحهُ وأسرّةُ الشمسِ مُظلمةً ، إذا حفّتُ به الحفائظُ رقّ نسيمه ، وتساوى في الإخلاصِ حديثهُ وقديمه :

فان أنصّف فان يداً تولّت كسوري تهتدي لمكانِ جبيري
وإن أحرمَ قضاءَ العبدِ أرجعُ إلى كنفَيْنِ من هجرٍ وصبرِ

١ من قصيدة له أورد أبو الفرج أبياتاً عديدة منها (الأغاني ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٤) ومطلعها :
ألا حيا الأطلال طالّت سنينها بحيث التقت ربد الجناح وعينها
إلا أن البيت لم يرد في الأغاني وانظر شعرا بن ميادة (جمع الدليمي) : ١٠١ (رقم : ١٥٣)
٢ ص : ويتبين .

انتهى

القسم الرابع من كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وبكامله كمل جميع الديوان ، والحمد لله على ذلك كثيراً وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وسلم تسليماً . وذلك ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف عرفنا الله خيرها ، ووقانا بمنه سوء كل ضير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

والحمد لله رب العالمين

فهارس الكتاب

١٣٤٥

فهرس الأعلام

- ١ -

٥٤٢	ابن الأبار أبو جعفر
انظر: الحصري أبو اسحاق	ابراهيم بن علي الحصري
(٦٢٧ - ٦٦١)	ابن أبي الشخياء العسقلاني
٤٩٠	أحمد بن عجبان
انظر: المعري	أحمد بن سليمان
٦٤٩	الأحنف
٤٨٨	الأخفش
٦٠٥	ادريس بن اليان
٦٣١	ارسطاليس
٤٨٤	أبو اسامة (جنادة الهروي)
انظر: الحصري	أبو اسحاق الحصري
انظر: الصابي	ابو اسحاق الصابي
٤٨٥	الأسعر الجعفي
٤٨٥	الأسعر المازني
٤٧٣	أشجع السلمي
٥٨٢ ، ٥٦٨ ، ٤٩١	الأصمعي (عبد الملك بن قريب)
٦٥٧	ابن الأعرابي
٤٨٥	الأعشى
٦٤٣ ، ٦٤٠	الأفضل بن أمير الجيوش

٥٣٢	الأكحل تأييد الدولة
٥٥٢	أمامة (في شعر)
٥٨٩ ، ٥٧٢ ، ٥١٦ ، ٤٩٢ ، ٤٨٩	امرؤ القيس (الملك الضليل)
٤٧٤	أميمة (في شعر)
٤٨٤	أمية بن أبي الصلت
٤٦٩	أيمن بن خريم

- ب -

٦١١	باديس بن ميمون
٥٤٨ ، ٥٤٧	باقل
٥٨٥	البتول (فاطمة)
٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٦٢ ، ٤٧٣	البحثري (ابو عبادة الوليد)
٦٤٠ ، ٦٣٢ ، ٦٢٨	
٥٣٢ ، ٥٣١	بديع (غلام)
٥٩٨ ، ٥٨٥	بديع الزمان الهمداني
٦٥١	ابن بسام البغدادي
٤٩٦ ، ٤٨٤ ، ٤٧٠ ، ٤٦٨	ابن بسام الشنتريني
٦٣٦ ، ٦١٢ ، ٥٣٠	
٦٣١	بطليموس
٤٩٧	بقراط
٦٠٦	أبو بكر الخالدي
٥٩٨ ، ٥٨٩ ، ٥٧٠	أبو بكر الخوارزمي
٦٠٥ ، ٥٨٩	بلقيس
٦١٣	بلقين بن زيري
٥٣٠	ابن البواب الوزير

- ت -

انظر: الأكل	تأييد الدولة الأكل
٦٣٧ . ٥٦٤	أبو تمام (حبيب بن أوس)
٥٩٨	تيم بن المعز الصنهاجي
٥٧٦	التوخي القاضي
٥٧٧	التوخي ابو علي (الابن)
(٥٤٩ - ٥٣٧)	التهامي ابو الحسن (علي بن محمد)

- ث -

انظر: أبو منصور الثعالبي	لثعالبي
٦٥٧	ثعالمة المجاشعي

- ج -

٥٨٤ . ٥٨١ . ٥٦٦	الجاحظ (عمرو بن بحر)
٦٥١	جبله بن الايم
٥٣٥ . ٥٣٤	جحدر اللص
٤٨٤	جران العود النميري
٥٨١	الجرجاني (القاضي)
٦١٤	الجرجاني (الوزير)
٥٦٠	جرول (الحطينة)
٦٥٧	جرير (الشاعر)
٥٧٠ . ٥٤١	جعفر الطيار
انظر: ابن الأبار	أبو جعفر بن الأبار
(٦٢٧ - ٦٢٥)	جلال الدولة بن عمار
انظر: أبو أسامة	جنادة بن محمد الهروي

- ح -

٥٤٨	حاتم الطائي
٤٧٧ ، ٤٧٦	الحاكم الفاطمي
٤٨٩	حبشية بن سلول
انظر : ابوتمام	حبيب بن اوس
٦٥٧ ، ٤٩٠	ابن حبيب
٥٣٥	الحجاج (بن يوسف)
٥٧٩	ابن الحجاج (الشاعر)
٥٧٠ ، ٥٥٩	حسان بن ثابت
٥٠٣	الحسن البصري
انظر : ذو السعادتين	الحسن بن منصور الوزير
انظر : الوزير المغربي	الحسين بن علي المغربي
(٥٨٤ - ٥٩٧)	الحصري ابواسحاق (ابراهيم بن علي)
انظر : جرول	الخطيئة
٤٨٨ ، ٤٨٢	حفص (القارىء)
انظر : الأفضل بن أمير الجيوش	الحضرة الافضلية
٤٨٩	حمزة بن بيض
٥٣٤ ، ٤٦٩	ابو حية النميري

- خ -

٦٥٦	خالد النميري
٦٥٥	خالد بن الوليد
انظر : ابو بكر الخالدي	الخالدي
٤٩١	خليد عينين

٥٣١ ، ٥٣٠ ابن خليفة المصري الحكيم
٥٦٨ ، ٤٨٥ الخليل بن أحمد

- د -

٥٨٥ ، ٤٩٠ ابن دريد
٦٣٧ ، ٥١١ دعبل بن علي الخزاعي
٥٨١ ابودلف الخزرجي

- ذ -

٥٣٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٦٨ ذو الرمة
٥٠١ ، ٤٩٩ ذو السعادتين (الحسين بن منصور)

- ر -

٥٨١ الرشيد (هارون)
٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٢٩ ابن رشيقي ، ابو علي المسيلي
(٥٩٧ - ٦١٢)
انظر: الشريف الرضي
٦٣٨ ابن الرقاق العاملي
٥٤٨ ، ٥٤٠ ، ٥٣٩ ، ٥١١ ابن الرومي
٦٠٤ ، ٥٩٥ ، ٥٨٨ ، ٥٧٥ ، ٥٧١ ، ٥٦٤ ريحانة
٤٨٩

- ز -

٤٨٩ الزبير بن باطا
٤٨٩ الزبير بن عبدالله بن الزبير

٤٨٩	الزبير بن العوام
٥٩١	الزعفراني ابو القاسم
٥٥٩	زهير بن ابي سلمى
٥٨٩	زياد (النابغة الذبياني)
٦٣٦	زياد بن منقذ الحنظلي
٥٦٨	أبو زيد (اللغوي)
٦١٣	زيري بن مناد

- س -

٤٩١	سجاح
٥٤٨ ، ٥٤٧	سحبان
٥٧٥	السري الرفاء
٦٣٨	ابن سعدان بن يحيى
٥٧٩	ابن سكرة الهاشمي
٤٧٦	ابن السكيت
٥٧٩ ، ٥٧٨	السلامي (الشاعر)
٦٣٧	سلم بن زياد
٥٢٣	سلمى (في الشعر)
٥٣٥	سليمى (في الشعر)
٦٠٥	سليان (النبي)
٦١٢	سليان (في الشعر)
٤٧٩	سليان بن الربيع
٥٨٩ ، ٤٨٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢	سبيويه
٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٠	سيف الدولة الحمداني

- ش -

٥٣٠ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩	ابن شرف ابو عبدالله
٥٥٥	أبو الشبل (عاصم بن وهب)
٦٢٢	شبل الدولة
٥٠٣	الشريف ابو طاهر
٥١٣ ، ٥٤٢ ، ٥٨٠ ، ٦٣٨	الشريف الرضي
(٤٦٥ - ٤٧٥)	الشريف المرتضى

- ص -

٥٧٢ ، ٥٧٦	الصابي ابواسحاق
٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨	الصاحب بن عباد
٥٨٠	
٦١٨ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥	صام الدولة ابن معروف
٦٠٥	ابن صارة الشنتريني
٥٧٠	الصديق (ابو بكر)
٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤	ابن الصفار الصقلي ابو عبدالله
٤٨٩	صفية الباهلية
٥٧٠	الصلتان العبدي
٦٠٠	الصنوبري
انظر : ابوتمام حبيب بن اوس	الطائي
: حاتم الطائي	

- ظ -

٤٧١	ظمياء (في الشعر)
-----	--------------------

٤٨٩	العاظمُ بن ثعلبة
٦١٠	عباد (المعتضد)
انظر : البحري	أبو عبادة
٥٤٥	ابن عبدالبر الشنتريني
٥٧٨ ، ٥٧٦	عبد العزيز بن يوسف
٥٤٨	ابن عبدالغفور أبو محمد
انظر : ابن الصفار الصقلي	أبو عبدالله بن الصفار الصقلي
انظر : أبو منصور الثعالبي	عبدالمملك بن اسماعيل
انظر : الأصمعي	عبدالمملك بن قريب
٤٨١	عبدالمملك بن مروان
(٥١٥ - ٥٢٩)	عبدالوهاب بن نصر المالكي
٥٠٧	ابن عبدون أبو محمد
٥١١	عبدة (في الشعر)
٤٧٠ ، ٤٦٩	أبو عبيد البكري
٥٦٨	أبو عبيد القاسم بن سلام
٥٦٣ ، ٥٦٠	عبيد بن الأبرص
٥٨٧	أبو العتاهية
٥٥٥ ، ٤٨٣	العتبي
٤٨٣	العجاج (الراجز)
٦٣٧	ابن عرارة السعدي
٦١٥	ابن العربي أبو بكر الفقيه
٥٣٥	عزة (صاحبة كثير)
٥٤٧	أبو العشائر الحمداني
٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٥ ، ٥٧٣	عضد الدولة البويهبي

٥٤١	عقيل بن ابي طالب
انظر: المعري	ابو العلاء المعري
٤٧٨ ، ٤٧٧	ابو علي البويهى (بن سلطان الدولة)
٤٨٨	ابو علي الفارسي
انظر: القالي	ابو علي البغدادي
٥٧٠ ، ٥٤٠ ، ٥١٣ ، ٥٠٥ ، ٤٧٩	علي بن ابي طالب (حيدرة)
انظر: التهامي ابو الحسن	علي بن محمد التهامي
انظر: جلال الدولة ابن عمار	ابن عمار
٦٥٦	ابن عمار
٤٨٧	عمر بن عبدالعزيز
٥٦٨	ابو عمرو (الراوية)
٦٠٨ ، ٤٩١ ، ٤٨٩	عمرو بن معد يكرب
٥٧٣	ابن العميد ابو الفضل
٦٤٩	عنتر
٥١٣	عيسى (المسيح)
٥٨٥	عيسى بن هشام

- ف -

٥٧٧	ابن فارس
٥٨٥	ابو الفتح الاسكندري
٤٧٧ ، ٤٧٦	ابو الفتوح (الحسن بن جعفر العلوي)
(٦١٨ - ٦١٥)	ابو الفتيان العسقلاني
٦٥٧	فخر الدولة كافي الكفاة
٥٧٢ ، ٥٧١	ابو فراس الحمداني
٥٨٠	ابو الفرج الاصفهاني

٥٧٤	ابو الفرج الببغا
٦٥٥	الفرزدق
انظر: الميكالي	ابو الفضل الميكالي

- ق -

٦١١ ، ٥٨٩ ، ٥٢٥	قارون
(٥٣٦ - ٥٢٩)	ابن قاضي ميللة
٥٩٧ ، ٤٦٩	القالبي ، ابو علي البغدادي
٤٧٧	قرواش
٥٤٨	قس بن ساعدة
٦٢٦	قيس (ليلي)

- ك -

٥٣٥	كثير عزة
٥٨٩ ، ٥٦٨	الكسائي
٥٨٩	كسرى
٦٠٧ ، ٥٦٤ ، ٥١٢	كشاجم
٦١٢	ابن الكفاف

- ل -

٥٦٣	ليبد بن ربيعة
٥٤٧	لقمان
٥٧٧	ابن لنكك
٦٠٥	ليلي (قينة)
٦٢٦	ليلي (العامرية)

٥٤٨	مادر
٥٢٠	مالك بن أنس
٦٣٧ ، ٥٥٦ ، ٤٩٢	المبرد
٥٧٢ ، ٥٦٤ ، ٥٤٧ ، ٥٤٢	المتنبي ابو الطيب
٥٧٣	
انظر : ابن ابي الشخباء	المجيد بن ابي الشخباء
٦١٦	ابن المحسن
٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٠ ، ٤٧٧	محمد (الرسول)
٥٤١ ، ٥٢٠ ، ٥٠٥ ، ٤٩٣	
٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦١	
٦٤٧ ، ٥٨٥	
٥٣٥	المدائني
٦٣٦	المرار العدوي
انظر : الشريف المرتضى	المرتضى
٤٨٧	مزرد
٥٢٠	المستنصر بالله الفاطمي
٦٣٨	مسلم بن الوليد
٥١٧	ابو المطرف المالقي
٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٥٧١ ، ٥٦٦	ابن المعتز
٦٤٣	المعتمد بن عباد
٥٧٩	ابن معروف القاضي
٦٢٥ ، ٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٥١٦ ، ٥١٠	المعري ابو العلاء (احمد بن سليمان)
٦١٣	المعز الفاطمي (معد بن اسباعيل)
٦١٣ ، ٦١١ ، ٥٩٨ ، ٥٣٠	المعز بن باديس

٦١٤	
٥٨١	ابن مقلة
انظر : امرؤ القيس	الملك الضليل
٦٥٧	ابن منذر
٦١٥	المنتصر بن خزرون
	ابو منصور الثعالبي
(٥٨٣ - ٥٦٠) ٥٢٩	(عبد الملك بن اسماعيل)
٥٧٧	منصور الفقيه
٤٧٩	مهدب الدولة (صاحب البطيحة)
٥٧٣	المهلي (الوزير)
(٥٦٠ - ٥٤٩) ٥١٤	مهيبار الديلمي
٦٠٥	موسى (النبي)
٦٦١	ابن ميادة
٦٠٧ . ٥٨٣ . ٥٨١ . ٥٦٦ . ٥٦٢	الميكالي (ابو الفضل)

- ن -

٥٧٨	ابن نباتة السعدي
٤٧٨	نحرير (غلام الوزير المغربي)
٥٣٢ . ٥٣١	نحرير (غلام)
٥٧٧	نسيم (غلام)
٤٧٩ . ٤٧٨ . ٤٧٧	نصر الدولة الكردي (احمد بن مروان)
٤٩٠	النطف
٥٨٩	النعمان اللخمي
(٦٢٥ - ٦١٨)	ابن نعمة بن خليل العسقلاني
٦٥٢	نقيس الدولة

النمرود
ابو نواس
نوح (النبي)
٦٠٦
٥٣٥ . ٤٧٠
٥٢٥

- ه -

هبة الله بن عيس الوزير
هرم بن سنان
هند (في الشعر)
٤٨٠ . ٤٧٩
٥٥٩ . ٥٠٣
٥٨٩ . ٥٤٨ . ٥٠٧

- و -

الواسياني ابو محمد
الوأاء دمشقي ابو الفرج
الوزير المغربي (الحسين بن علي)
الوزير الناصري
ابن وكيع ابو محمد
الوليد ابو عبادة
٥٧٥
٥٧٤ . ٥٥٢
(٤٧٥ - ٥١٥) ٥٣٧ .
٥٥٧ . ٥٣٩
٦٣٨
٥٧٥
انظر: البحري

- ي -

يحيى بن هذيل
يزيد (بن الطثرية ؟)
يونس (النبي)
٥٩٥
٥٨٩
٤٩٦

فهرس القبائل والأمم والطوائف

- أ -

٥٦٥ . ٥١٤ . ٤٧٩	الأتراك
٦١٤	الأثبج
٥٤٩	الاجأبون
٥١٤	الاسفهلارفة
٦١٤	الأعراب
٥٩٧	الأغالبة
٤٩٢	الانصار
٦٥٧ . ٦٥٦ . ٥٦٥	إفاء
٦٥٦	أسد

- ب -

الترك : انظر الأتراك .

- ب -

٥٥٧ ثعل

- ب -

٦٥٠ . ٥٥٩ بنو جففة

- ب -

٥٧١ بنو حمدان

٦٥٥ حنيفة

٦٧٨

- خ -

٥٠٧	خفاجة
٦٢٠ ، ٥٥٥	خندف

- د -

٦٥٧	بنو دارم
٥١٤	الديلم

- ر -

٦١٣	الرافضة
٥٩٩ ، ٥٧١	الروم
٦١٤ ، ٥٣٩	رياح

- ز -

٦١٤ ، ٥٣٩	زغبة
٦١٣ ، ٦١٢	بنو زيري

- ص -

٦١٣	صنهاجة
-----	--------

- ط -

٥٨٠	الطالبيون
-----	-----------

- ع -

٦٥٢ ، ٤٩٨	عاد
-----------	-----

٦١٤ . ٥٠٧ . ٥٠٦ .	بنو عامر
٦٥٧ . ٦٥٦	عبد القيس
٦٢٠	عبد مناف بن النضر
٦١٣	العبيديون
٥٩٧	العجم
٦١٤	عديّ
٤٩٣ . ٤٩٠ . ٤٧٧ . ٤٧٠	العرب
٥٨٤ . ٥٧١ . ٥٦٢ . ٥٦١ . ٥٣٧	
٦٥٧ . ٦٥٦ . ٦٣٩ . ٦٣٨ . ٦١٤ . ٥٩٧	
٥٨٥	بنو عليّ
- ف -	
٥١٤	الفرس
- ق -	
٥٤٩	قحطان
٥١٣	قريش
٤٧٥	قيس
- ك -	
٥٣٥	كعب بن عمرو
- ل -	
٥٣٥	بنو لهب

- م -

٦٥٧

بنو مجاشع

٥٩٧

المهالبة

٦٥٦

مهر

- ه -

. ٦٢٠ . ٥٧٠ . ٥١٣ . ٤٩٠

بنو هاشم

٥٣٩

هلال

- ي -

٦٥٢

يأجوج

فهرس الأماكن

- أ -

٤٧٤	الأهراق
٤٧١	الانبواء
٤٧٢	الأبرق
٥٢٣	أنال
٥٧٣	أرجان
٥١٧	أسعد
٦١٠	— اشيلية
٥٧٣	— أصهان
٦١٣ . ٥٩٧	أفريقية

- ب -

٥٠٩	بابل
٥٦٥	البحر الأخضر
٥٧٧	البصرة
٤٨٠ . ٤٧٩	البيطحة
٥١٤ . ٥٠٥ . ٤٧٩ . ٤٧٧	بغداد
٥٢٢ . ٥٢٠ . ٥١٦ . ٥١٥	
٦١٣ . ٥٥٩ . ٥٢٧ . ٥٢٥	

- ت -

٥٠٥	تكريت
-----	-------

- ث -

٦٤٩	ثبير
-----	------

- ج -

٥٢٠	الجب
٦٥٠	جلق
٥٤٧	جيحان

- ح -

٥٥٧ ، ٥٥٢ ، ٤٨١	الحجاز
٥٧٠	حلب
٥٠٩	حمص
٦١٤	حيدرآن

- خ -

٦٣٧	خراسان
٥٣٣	الخيف

- د -

٥٢٧	دجلة
٥٧٤	دمشق

- ر -

٤٧٧	الرملة
-----	--------

- ز -

٤٧٢	زرود
-----	------

٦٨٣

- س -

٦١٣	سببته
٥٥٠	سلع
٦٣٨	ذو سلم
٥٤٧	سيحان

- ش -

٥٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٥٢ ، ٤٩٨	الشام
٤٦٧	شعب
٥٧٨	شيراز

- ص -

٦١١ ، ٦٠٣	صيرة
٥١١	الصراة
٦٢٩ ، ٦١٤	الصعيد
٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣ ، ٥٣٢	صقلية (صقلية)
٦١٠ ، ٥٩٩	

- ع -

٥٠٩ ، ٤٩٨ ، ٤٧٧ ، ٤٦٥	العراق
٥٧٤ ، ٥٦٥ ، ٥٤٩ ، ٥٢٨	
٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦	
٦٤٧	
٥٣٣	عرفات
٦٥٦	عكاظ

- غ -

٤٦٧	الغمر
٤٧٢	الغور
٤٧٢	الغوير

- ف -

٦٥١	الفرات
-----	--------

- ق -

٦٥٠	قسطنطينية
٤٦٧	القنان
. ٥٩٧ . ٥٩٦ . ٥٩٥ . ٥٩٣	القيروان
. ٦٠٣ . ٦٠٠ . ٥٩٩ . ٥٩٨	
(٦١٥ - ٦١٢) . ٦٠٦ . ٦٠٥	

- ك -

٥٢٢ . ٥١٢	الكرخ
٤٧٩ . ٤٧٧	الكوفة

- ل -

٤٧٤	اللوى
-----	-------

- م -

٥٩٧	المسيلة
-----	---------

٥١٦ ، ٥١٢ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦	مصر
٦١٣ ، ٥٣٥ ، ٥٢٨	
٥١٦	معرفة النعمان
٥٢٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦	مكة
٥٣٣	منى
٦١٤ ، ٥٩٨	المهدية
٤٩٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	الموصل
٤٧٨ ، ٤٧٧	ميفارقين

- ن -

٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٢٢ ، ٤٧٢	نجد
٦٠٨ ، ٥٥٠	
٦١١	نعمان
٦٤٨ ، ٥٠٨	النيل

- ه -

٥٦٥ ، ٥٤٨	الهند
-----------	-------

- ي -

٦١١	يبرين
-----	-------

فهرس الكتب المذكورة في المتن

٤٧٦	اصلاح المنطق لابن السكيت
٥٠٥	الانجيل
٥٩٣ . ٥٢٩	الانموذج لابن رشيق
٥٩٩ . ٥٩٧	
٥٩٧ . ٥٨٤	زهر الآداب وثمر الألباب لأبي اسحاق الحصري
٥٩٩	العمدة لابن رشيق
٤٨٩	غريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام
٥٧٧	الفرج بعد الشدة للتوخي
٥٦١	فقه اللغة للشعالبي
٤٨٨	الكتاب لسبيوه
٥٨٤	المصون من الدواوين لأبي اسحاق الحصري
٤٧٦	المنخل (اختصار اصلاح المنطق) للوزير المغربي النور والنور (نور الظرف ونور الطرف)
٥٨٤	لابي اسحاق الحصري
٥٨٦ . ٥٦٦	يتيمة الدهر للشعالبي

فهرس القوافي

- الألف المقصورة -

٤٨٥ الأسعر الجعفي الكامل وأى

- الهمزة -

٦٥٦ حبي المدينة الوافر خلاء
 ٦٤١ - الكامل أعضاؤها
 ٦٤٧ - الطويل وثناء
 ٦٢١ - الطويل علائه
 ٦٣٨ ابن الرقاع الكامل الأمراء
 ٦٢٨ ابن أبي الشخباء الكامل لقائه
 عبدالوهاب المالكي او الكامل سودائه
 ٥٢٤ ابو الحسن التهامي
 ٥٤٣ التهامي الكامل خبائه
 ٥٩٠ ابن الرومي الخفيف الهباء
 ٥٣٢ ابن قاضي ميله المتقارب البناء

- ب -

٥٣٧ التهامي المتقارب الحبيب
 ٦٤٧ - المتقارب غلب
 ٦٠٩ ابن رشيق الطويل ذنبا
 ٦٣٧ - الطويل وجربا
 ٦٥٧ جرير الوافر شرابا
 ٥٠٨ الوزير المغربي الوافر التهبها

	ابن قاضي ميللة او	الكامل	تهذيبا
٥٣١	ابن رشيق		
٦٠٤	ابن المعتز	الكامل	قلبا
٦٣٠	—	الطويل	طروبُ
٥٤٦	—	الطويل	حواجب
٦٣٧	البيحترى او غيره	الطويل	المطالبُ
٥٨٨	ابن الرومي	الطويل	غيهْبُ
٦٣٤	—	الطويل	يذهب
٦٦٠	—	الطويل	تذهب
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	غرب
٥٢١	ابو الفضل البغدادي		
٦٣٢	—	الطويل	العذب
٥٣٤	—	الطويل	غرابها
٦٠٢	ابن رشيق	البيسيط	مطلبه
٥٩٨	ابن رشيق	الوافر	الرقابُ
٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	ويذيبه
٥١٢	الوزير المغربي	الطويل	القربِ
٦٢٨	البيحترى	الطويل	شربي
٤٦٩	—	الطويل	ومغربِ
٥٤٥	ابن عبد البر الشنتريني	البيسيط	لهبِ
٥٦٤	ابن الرومي	البيسيط	عصب
٥٧٢	المتنبي	البيسيط	بالغرب
٦٠٩	ابن رشيق	البيسيط	يفري بي
٥٩٢	ابو اسحاق الحصري	الكامل	وتعشِبِ
٦٠٩	ابن رشيق	الكامل	ذنبِ

٦٠٢	ابن رشيق	الكامل	به
٦٠٣	ابن رشيق	الكامل	قبابه
٦٠٦	ابو بكر الخالدي	الكامل	بخضابه
٦٢٥	المعري	الكامل	رضابه
٥٠٩	الوزير المغربي	الكامل	نائبها
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	مجزوء الرمل	غريب
٦٣٢	—	السريع	الذاهب
٥١٩	عبد الوهاب المالكي	السريع	حبه
٦٥٢	—	السريع	ضربها
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	المنسرح	تكذيب
٦٤٠	البحثري	المنسرح	أدبه
٤٧٢	المرتضى	الخفيف	باب
٤٧٦	الرضي	الخفيف	وشعب
٥٧٠	الصلتان العبدى	المتقارب	والنبي

- ت -

٥١٢	الوزير المغربي	الطويل	وألفته
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	البسيط	صفته
٦٠٧	الميكالي او البستي	البسيط	شفته
٥١٣	الوزير المغربي	السريع	ملته
٦٥١	ابن بسام البغدادي	المتقارب	خلقته

- ج -

٤٩٢	الراعي الكلبي	البسيط	أدراجي
-----	---------------	--------	--------

- ح -

٥٣٨	التهامي	السريع	راخ
٥٤٨	ابن عبد الغفور	الطويل	الألحي
٥١١	ابن الرومي	البسيط	قبجا
٥٤٨	ابن الرومي	البسيط	رجحا
٥٣٩	التهامي	الكامل	براحا
٥٥٠	مهنيار الديلمي	الرميل	مزاحا
٤٨٤	جران العود	الطويل	الصرنقح
٥٣٤	ابو حية	الطويل	سنيح
٥٦٧	كثير او غيره	الطويل	الاباطح
٦٥٤	—	الطويل	صواتح
٦٥٤	—	الكامل	اتصفح
٥٢٨	عبدالوهاب المالكي	الوافر	الفصاح
٥٥١	ابن هرمة	المتقارب	المادح

- د -

٥٢٣	عبدالوهاب المالكي	السريع	مستعاذ
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	نجدا
٥٢٢	ابو الفضل البغدادي		
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بعدا
٥٧٢	المتنبي	الطويل	منشدا
٥١٠	الوزير المغربي	الطويل	وأسده
٥١٢	الوزير المغربي	الوافر	والكمدا
٤٨٦	—	الرجز	وفهدا
٥٩٦	ابو اسحاق الحصري	السريع	بدا

٥٦٣	—	المتقارب	القديدا
٦٢٦	قيس	الطويل	وليذ
٥٤٢	المتنبي	الطويل	راقذ
٦٤٢	—	الطويل	واحد
٦٥٦	—	الطويل	واحد
	عبدالوهاب المالكي او	البيسط	رقدوا
٥٢٤	العباس بن الاحنف		
٦٢٠	—	البيسط	عوائذة
٥٩٥	ابن هذيل او اللماهي	المنسرح	أجد
٥٢٦	عبدالوهاب المالكي	مجزوء الرمل	جد
٥١٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	بالحد
٥٤٨	التهامي	الطويل	هند
٦٠٣	ابن رشيق	الطويل	والحد
٦٢٢	—	الطويل	المنضد
٦٠٤	ابن رشيق	الطويل	قدّه
٤٧١	المرتضى	الكامل	الوادي
٦٢٢	—	الكامل	مدادي
٦١٢	ابن رشيق	مجزوء الكامل	جدّه
٤٧١	المرتضى	الهرج	الوادي
٥٨٩	—	السريع	والجد
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	والحد
٥٩١	الزعفراني	الخفيف	فؤادي

- ذ -

٥١٧	عبدالوهاب المالكي	الكامل	أذى
٦٠٦	ابن رشيق	الكامل	الموذني

- ر -

٥٩٧	—	السريع	العذار
٤٩٩	—	البيسط	الصبرا
٥١٦	المعري	البيسط	والسفرا
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	مخلع البيسط	سكرا
٥٩٤	ابو اسحاق الحصري	الوافر	وترا
٦١٩	—	الكامل	اقمارا
٦٤٩	ابن ابي الشخباء	الكامل	المتخير
٦٠٦	ابن رشيق	مجزوء الكامل	شرا
٥٣٢	ابن قاضي ميله	الرميل	ابتدار
٥٤١	التهامي	الخفيف	سترا
٤٦٩	ايمين بن خريم	الطويل	النسر
٤٧٠	ابو نواس	الطويل	النسر
٥٣٠	ابن قاضي ميله	الطويل	الدهر
٥٣٤	ذو الرمة	الطويل	خضر
٦٢٠	—	الطويل	الدثر
٦٤٥	—	الطويل	الدهر
٥٧٠	حسان بن ثابت	الطويل	المتخير
٥٠١	—	الطويل	سائره
٥٣٥	كثير عزة	الطويل	وبطيره
٥٢٢	عبدالوهاب المالكي	البيسط	نفر

٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	البيسط	ينتشر
٥٣٠	ابن قاضي ميعة	البيسط	الشجر
٥٣٦	ابن قاضي ميعة	الوافر	الثمار
٥٣٦	ابن قاضي ميعة	الكامل	وسوار
٥٢٢	عبد الوهاب المالكي	الكامل	تخير
٥٢٦	عبد الوهاب المالكي	السرّيع	الأمر
٥٣١	ابن قاضي ميعة	المتقارب	المبصر
٤٦٧	المرتضى	الطويل	الغمري
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	يسري
٥١٨	الوزير المغربي		
	عبد الوهاب المالكي او	الطويل	الشرير
٥١٩	ابو حفص الشطرنجي		
٦٢٣	—	الطويل	المجري
٥٤٥	التهامي	الطويل	تسري
٤٦٩	ذو الرمة	الطويل	المياسري
٥٥٥	العتبي	الطويل	بالمحاجر
٤٨٣	العتبي	الطويل	أقصى
٥٠٧	ابن عبدون	البيسط	بكافور
٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	البيسط	البشر
٥٤٢	التهامي	البيسط	والحضر
٥٤٦	المعري	البيسط	بالأثر
٦٠٧	كشاجم	البيسط	الحجر
٦٤٨	—	البيسط	الكدر
٦٢٦	—	البيسط	والبصر
٥١٣	الوزير المغربي	البيسط	النار

٦٣٣	—	البسيط	الوارى
٦٥٦	الفرزدق	البسيط	عمار
٥٣٦	ابو نواس	الوافر	الجوارى
٦٦١	—	الوافر	جبىرى
٥٠٠	—	الكامل	المستبصر
٥٤٤	التهامى	الكامل	قرار
٦٥٩	—	الكامل	والبدر
٦٠٩	ابن رشىق	الهنزج	ودىنار
٥٩٢	ابو اسحاق الحصرى	السرىع	الشعر
٥٠٧	الوزىر المغربى	الطفىف	السرور
٥٨٢	الطفىف	الطفىف	الأنىر
٥٨٣	المىكالى	الطفىف	وشذور
٤٦٦	المرطفى	الطفىف	الزائر
	عبدالوهاب المالكى او	الطفىف	ناظرى
٥٢٣	الوأاء الدمشقى		

- ز -

٥٠٣	ابن رشىق	الطفىف	عزىز
-----	----------	--------	------

- س -

٥٠٩	الوزىر المغربى	الكامل	والانسا
٦٠٦	ابن رشىق	السرىع	الكسا
٦٠٥	ابن رشىق	الطفىف	بلقىسا
٥٣٠	ابن شرف	الطفىف	مغارس
٥٢٨	عبدالوهاب المالكى	السرىع	نرجس
٥٠٨	الوزىر المغربى	المنىسرح	الشمس

	عبدالوهاب المالكي او	الطويل	اللمس
٥٢٦	ابو الفضل البغدادي		
٥١٩	عبدالوهاب المالكي	البيسط	باس
٤٧٨	الوزير المغربي	السريع	بأمراسه
	- ش -		
٦٠٣	ابن رشيق	الخفيف	مثنى
	- ص -		
٦٠٥	ادريس بن اليان	الطويل	العصا
	- ض -		
٦٠٢	ابن رشيق	السريع	الرياض
٦١٦	-	الطويل	وميضاً
٦٤٥	-	الكامل	فتنفضي
	- ط -		
٥٤٦	-	الطويل	نقطاً
٥٤٧	ابو العشائر الحمداني	الكامل	تنحط
	- ع -		
٥١٧	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	تقطع
٥٤٩	التهامي	المنسرح	الشاسع
٦١٩	-	الكامل	وضجيعاً
٤٧٢	المرتضى	الخفيف	هزيعاً
٥٢٥	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	متسعة

٥٥٤	مهيار الديلمي	المتقارب	والنسوعا
٦٢٩	ابن أبي الشخباء	الطويل	يلذعُ
٥٢٦	عبدالوهاب المالكي	الطويل	الأضالع
٥٦٨	—	مخلع البسيط	البقاع
٥٦٢	البحثري	الوافر	وارتفاعُ
٤٨٤	أمية بن أبي الصلت	الكامل	أربعُ
٥٢١	عبدالوهاب المالكي	الكامل	مولع
٥٧٤	—	الكامل	تصرع
٦٤٢	—	الكامل	تشرع
٦٤٧	—	الكامل	يرفع
٦٠٧	ابن رشيق	مخلع البسيط	الوداع
٥٦٤	أبو تمام	الوافر	الطباع
٤٦٦	المرتضى	الكامل	معي
٥٨٢	الثعالبي	الكامل	تجمع

- ف -

٥١٠	—	البسيط	فوق
٦٤٩	—	الكامل	وقوقا
٥٦٦	عبدالوهاب المالكي	الطويل	المضاعفُ
٥٢٨	عبدالوهاب المالكي	الطويل	يهتف
٥٣٣	ابن قاضي ميلة	الطويل	تعسف
٥٥٦	مهيار الديلمي	مجزوء الرجز	المدنفُ
٤٧٧	الوزير المغربي	الوافر	والشفوف

- ق -

٦٠٩	ابن رشيق	مجزوء الكامل	الحرق
٦١٠	ابن رشيق	مجزوء الكامل	تصادق
٥٢٤	عبد الوهاب المالكي	الطويل	تترقفا
٦٣٥	—	الطويل	تصفقا
٥٩٦	—	الكامل	خلوقا
٤٦٩	ذو الرمة	الطويل	مطرق
٤٧٣	المرتضى	الطويل	مشرق
٤٧٤	المرتضى	الطويل	فالأبارق
٦٥٥	—	الكامل	العبيوق
٦٥٢	—	الكامل	الأحداق
٦٥٧	ابن مناذر	السريع	يعيق
٦٢٥	—	المتقارب	عاشق
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	البسيط	والضيق
٥١٠	—	الوافر	الفراق
	عبد الوهاب المالكي او	الوافر	العراق
٥٢٨	الوزير المغربي		
٦٥٦	كثير او غيره	الوافر	الوداق
٥٢٣	عبد الوهاب المالكي	الوافر	وضيق
٥٩٥	ابن الرومي	الكامل	بالأحراق
٤٧٥	المرتضى	الخفيف	الأخلاق
٦٠٠	الصنوبري	الخفيف	التلاقي

- ك -

٤٧٩	—	مجزوء الكامل	الشكوك
-----	---	--------------	--------

٥٣٩	ابن الرومي	الطويل	هاكا
٦١١	ابن رشيق	الطويل	بحياتكا
٦٠٤	ابن رشيق	البسيط	والضحكا
٥١١	دعبل	الكامل	فبكي
٤٧٠	المرتضى	الطويل	خيالك
٤٨٣	—	الرجز	الشك
٥١٢	الوزير المغربي	المنسرح	الفتك

- ل -

٥٢٨	عبد الوهاب المالكي	الطويل	التفضلا
٤٧٣	البحثري	الطويل	رسوها
٥٤٦	المعري	الوافر	نسالا
٥٩٠	المتبي	الوافر	الزلالا
٥٤٠	التهامي	الكامل	نصولا
٥٨١	الثعالي	الكامل	كفيلا
٤٧١	المرتضى	الكامل	نزلا
٤٦٨	كعب بن زهير	الطويل	أفعل
٥١١	المعري	الطويل	أذيال
٥٤٨	المعري	الطويل	باقل
٤٨٧	مزد	الطويل	الخرامل
٦٠١	—	الطويل	أواصله
٦٢١	—	الطويل	حباله
٤٧٢	المرتضى	الطويل	رسوها
٤٩٩	—	الوافر	طويل
٥٠٩	الوزير المغربي	الوافر	ارتحال

٥٤٧	—	الكامل	طويل
٥٦٢	—	الكامل	ليخيل
٦٢٤	ابن خليل العسقلاني	الكامل	يكمل
٦٣١	—	الكامل	الزلل
٦٠٥	ابن رشيق	السريع	قالوا
٦١٢	ابن رشيق	السريع	القتلُ
٦٠٨	ابن رشيق	الخفيف	يحملُ
٥٥٧	مهيار الديلمي	المتقارب	يمثل
٥١٢	كشاجم	الطويل	عالٍ
٥٢٣	عبدالوهاب المالكي	الطويل	بأنالٍ
٦٣٧	دعبل او غيره	الطويل	أهلٍ
٦٥٩	—	الطويل	العذلِ
٥٠٣	—	الطويل	المتناولِ
٦٥٣	—	الطويل	الأناملِ
٦٠٦	ابن رشيق	البيسط	الحجلِ
٥٨٧	ابو العتاهية	البيسط	حالِ
٦٥٣	—	البيسط	وإقبالِ
٦٣٨	مسلم بن الوليد	الوافر	والمعاليِ
٥٦٩	—	الكامل	مرسلِ
٦٥٧	جرير	الكامل	الفيشلِ
٥٥٥	ابو الشبلِ	الهزج	الكهـلِ
٦٢٠	—	الرجز	الوسائلِ
٥٥٤	مهيار الديلمي	الرمـلِ	العزاليِ
٦٠٧	ابن رشيق	السريع	خالِ
٥٢٧	عبدالوهاب المالكي	المنسرح	أماليِ

٤٨٥	الأعشى	الخفيف	الغالي
٥٨٩	—	الخفيف	والمجهول

- م -

٥٢٤	عبدالوهاب المالكي	الوافر	لديكم
٥٧٧	—	الرميل	نسيم
٤٨٩	—	الطويل	دما
٦٠١	ابن رشيق	مخلع البسيط	الجهاما
٥٩٣	ابو اسحاق الحصري	الكامل	نسيا
٥٥٢	مهيار الديلمي	الرميل	أماما
٦١٧	—	المقارب	إماما
٥٢١	عبدالوهاب المالكي	الطويل	اليكم
٦٢٩	—	الطويل	أعلم
٦٣٦	زياد بن منقذ	البسيط	هم
٥٨٥	—	الكامل	مؤدم
٦٤٣	المعتمد بن عباد	الكامل	تخطم
٦١٨	—	الكامل	قاتم
٥١٤	الوزير المغربي	الخفيف	قدوم
٥٤٢	الرضي	الطويل	بفدام
٦٠٥	ابن المعتز	الطويل	الدراهم
٦٣٧	ابن عرارة السعدي	الطويل	سلم
٤٩٩	—	البسيط	أحلام
٥١٩	عبدالوهاب المالكي	البسيط	الندم
٥٢٦	عبدالوهاب المالكي	البسيط	تم
٥٤١	التهامي	البسيط	اللمم

٥٩١	—	البيسط	بالظلم
٥٩٢	—	البيسط	وحم
٦٣٨	الرضي	البيسط	سلم
٤٦٨	ذو الرمة	الوافر	اللجام
٥٢٥	عبد الوهاب المالكي	الوافر	سقيم
٥١٠	—	الكامل	الظالم
٦٠٦	ابن رشيق	الكامل	الدم
٦٥١	—	الكامل	تحرم
٦٤٣	—	الكامل	الاعدام
٤٧٣	اشجع السلمي	الخفيف	الظلام
٤٧٤	المرتضى	الخفيف	منامي

- ن -

٥٥٦	مهيار الديلمي	الرجز	من
٦٠٥	ابن صارة	البيسط	تسعيناً
٤٧٣	المرتضى	الوافر	العيونا
٥٤٠	ابن الرومي	السريع	ظماناً
٦٤٤	—	الطويل	ضوامن
٦٦١	ابن ميادة	الطويل	وجوثها
٥٥٦	—	الطويل	وجبين
٦٠٤	ابن الرومي	الطويل	تداني
٦١٢	صخر اخو الخنساء	الطويل	سنان
٥٤٧	التهامي	البيسط	بجيران
٦٤٣	المعتمد بن عباد	البيسط	بالحناني
٦١١	ابن رشيق	البيسط	مساكين

٥٢٥	عبدالوهاب المالكي	مخلع البسيط	حسرتان
٤٨٥	—	الوافر	أرجوان
٥٣٤	جحدر اللص	الوافر	تجاوبان
٤٦٩	ابو حية	الوافر	أمون
٥٥٤	مهيار الديلمي	الكامل	الضيفان
٥٧١	ابن الرومي	الكامل	المران
٥٩٦	—	الكامل	وثمان
٥٦٤	كشاجم	الكامل	العين
٦٠٧	ابن رشيق	السريع	الحسن
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	سيفين
٤٧٤	المرتضى	المنسرح	الوسن
٥٥٢	الوأواء دمشقي	المنسرح	الدين

- ه -

٥٥٤	مهيار الديلمي	الرميل	هواها
٦٣٢	البحثري	الكامل	تعطاه
٦٠٨	ابن رشيق	السريع	هو
٦١١	ابن رشيق	مخلع البسيط	إليه
٥٠٨	الوزير المغربي	مجموعه الكامل	رايتيه

- و -

٥٢٨	عبدالوهاب المالكي او غيره	مجزوه الكامل	الأخوه
-----	---------------------------	--------------	--------

- ي -

٥٢٧	عبدالوهاب المالكي	الطويل	باليا
٤٨٣	العجاج	الرجز	حي

مصادر التحقيق (١)

- كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ، القاهرة ، ١٩٣٠ .
الابانة عن سرقات المتنبي للعميدي تحقيق ابراهيم الدسوقي البساطي ، القاهرة
١٩٦١
ابن حمديس للسقا والمنشاوي ، القاهرة ، ١٩٢٠ .
ابن حمديس للمستشرق فرانشيسكو جبرائيلي (بالاطالية) ، روما
الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبدالبر ، تحقيق علي محمد البجاوي ،
القاهرة
أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، طهران ١٣٤٢
الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي تحقيق عبدالله مخلص ، مصر ١٩٢٤ .
أنساب الاشراف للبلاذري (١/٤) تحقيق كستر ، القدس ١٩٧٢
الإيجاز والاعجاز للثعالبي (ضمن خمس رسائل) ط . الجواب ١٣٠١
البحر المحيط لأبي حيان الجبائي (ج ٢) مصر ، ١٣٢٩
بغية الطلب لابن العديم (صورة عن نسخة خطية بمكتبة الجامعة الاميركية في
بيروت)
تاريخ المسيحي (ج ٤٠) نسخة الاسكوريال
تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني تحقيق البجاوي والنجار ، مصر ١٩٦٤
التبيان في شرح ديوان المتنبي للعكبري ، القاهرة ١٩٣٦
التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبدالله محمد تحقيق محمد بن شريفه
(الرباط)
الثعالبي ناقدأ وأديباً لمحمود عبدالله الجادر ، بغداد ١٩٧٦
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس لابن القاضي (الرباط
(١٩٧٣)

(١) لا يرد هنا إلا المصادر التي لم تذكر في المجلدين الثاني والثالث .

الخريذة للعماد الاصفهاني (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٢٨)
دراسات في الأدب الاندلسي لاحسان عباس ووداد القاضي والبير مطلق (الدار
العربية للكتاب ، ليبيا - تونس) ١٩٧٦

الدرجات الرفيعة لعلي خان بن أحمد بن محمد الحسيني ، النجف ١٩٦٢
الدرة المضية لابن أيبك الدواداري (ج ٦ من كنز الدرر) تحقيق صلاح
المنجد القاهرة ١٩٦١

دمية القصر للباخرزي (ط . حلب)
ديوان ابن المعتز (١ - ٣) تحقيق الدكتور يونس احمد السامرائي ، بغداد
١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

ديوان ابن هرمة تحقيق محمد جبار المعبيد ، النجف ١٩٦٩
ديوان امية بن ابي الصلت جمع وتحقيق عبدالحفيظ السطلي ، دمشق ١٩٧٤
ديوان الحسين بن مطير جمع الدكتور محسن غياض ، بغداد ١٩٧١
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٢
ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق عبدالكريم الاشر، دمشق ١٩٦٤
ديوان الشريف المرتضى (١ - ٣) تحقيق رشيد الصفار ، القاهرة ١٩٥٨
ديوان المزرد بن ضرار تحقيق خليل ابراهيم العطية ، بغداد ١٩٦٢
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، بيروت ١٩٠٨
رسالة اعلام الكلام لابن شرف (في سلسلة الرسائل النادرة) القاهرة ١٩٢٦
رسالة الاعلام الكلام لابن شرف تحقيق وترجمة شارل بلا ، الجزائر ١٩٥٣
رسالة الغفران لابي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطيء ، القاهرة (الطبعة
الثانية)

رسائل ابي العلاء المعري تحقيق مرجوليوث ، اكسفورد ١٨٩٨

رسائل البلغاء جمع محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٤٦

رجال النجاشي طهران

روضات الجنات للخوانساري ، طهران ١٣٦٧

- ريحانة الالبا للخفاجي (ج ٢) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٧
سحر البلاغة للثعالبي ، وقف على طبعه احمد عبيد ، دمشق .
شرح ديوان زهير ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤
شرح العكبري = انظر التبيان
شرح المضمون به على غير اهله لابن عبدالكافي ، القاهرة ١٩١٣
شرح المقامات للشريشي (ج ٥) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة
١٩٧٦
شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ط مصر ، ١٣٢٩)
شعر ابن اللبانة جمع محمد مجيد السعيد ، الموصل ١٩٧٧
شعر ابن ميادة جمع محمد نايف الدليمي ، الموصل ١٩٦٨
شعر عروة بن حزام جمع ابراهيم السامرائي واحد مطلوب بمجلة كلية الآداب -
العدد الرابع ، بغداد ١٩٦١
صبح الأعشى للقلقشندي (ج ١٤)
صوان الحكمة المنسوب لابي سليمان المنطقي تحقيق عبدالرحمن بدوي ، طهران
١٩٧٤
طبقات الفقهاء للشيرازي تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠
طيف الخيال للشريف المرتضى تحقيق الصيرفي والاياري ، القاهرة ١٩٦٢
العرب في صقلية لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧٤
عيار الشعر لابن طباطبا العلوي تحقيق زغلول سلام وطه الحاجري ، القاهرة
١٩٥٦
عيون التواريخ لابن شاکر الكتبي (ج ١٢) تحقيق فيصل السامر ونبيلة
عواد ، بغداد ١٩٧٧
عيون التواريخ لابن شاکر الكتبي (مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٤١)
غرر الخصائص الواضحة للوطواط ، القاهرة ١٢٩٢
فقه اللغة للثعالبي تحقيق السقا والاياري وشلبي ، القاهرة ١٩٣٨

- الكشاف في التفسير للزمخشري (ج ١ ، ٢) ط . مصر . ١٩٦٦
- مجالس ابي العباس ثعلب تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة
مذكرات الامير عبدالله تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥
- مرآة الجنان لابي محمد اليافعي ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ - ١٣٣٩
- المرقية العليا للنباهي تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨
- المستطرف للابشيبي ، مصر ، القاهرة ١٩٥٢
- معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ، القاهرة ، ١٩٤٧
- معجم الفاظ الحديث لفنسنك وآخرين ، لندن ١٩٣٦ - ١٩٦٩
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (ط . مصر)
- المقترح في جوامع الملح (نسخة جامعة برنستون)
- المكتبة الصقلية جمع أماري ، ليسيا ١٨٥٧
- المنازل والديار لاسامة بن منقذ ، موسكو ١٩٦١
- منتهى الطلب لابن ميون (النسخة الاستانبولية)
- النتف من شعر ابن رشيقي وابن شرف لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٣٤٣
- الهفوات النادرة للصابي تحقيق صالح الاشر ، دمشق ١٩٦٧
- الوحشيات لابي تمام ، تحقيق عبدالعزیز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣
- الورقة لابن الجراح تحقيق عبدالوهاب عزام وعبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٣

محتويات الكتاب

٤٦٥	فصل في ذكر الشريف ابي القاسم المرتضى ذي المجدين علم الهدى
٤٦٦	جملة من شعره - في وصف الطيف
٤٧٥	فصل في ذكر الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي
٤٧٩	فصل من رسائله
٤٩٦	فصول من سائر ترسيلاه
٥٠٧	جملة من شعره في أوصاف شتى
٥١٥	فصل في ذكر الفقيه الحافظ عبد الوهاب بن نصر المالكي
٥٢٩	فصل في ذكر الأديب ابي عبدالله بن قاضي ميلاء
٥٣٧	فصل في ذكر ابي الحسن علي بن محمد التهامي
٥٤٧	ومن سائر شعره في أوصاف مختلفة
٥٤٩	فصل في ذكر مهيار الديلمي وذكر جملة من شعره
٥٥٠	جملة من شعره في اوصاف مختلفة
٥٦٠	فصل في ذكر ابي منصور عبدالملك بن اساعيل الثعالبي
٥٦١	فصول من كلامه في صدر كتابه فقه اللغة
٥٦٨	من كلامه في صدر كتاب اليتيمة
٥٨١	جملة من شعره
٥٨٤	فصل في ذكر الشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري
٥٨٥	فصول من كلامه اندرجت في تواليفه
٥٩٣	جملة من شعره
٥٩٧	فصل في ذكر الأديب أبي علي بن رشيق المسيلي
٥٩٩	جملة من أخباره مع ما يتخللها من أشعاره
٦٠٥	ما أخرجته من سائر مقطوعاته
٦١٢	ذكر الخبر عن خراب القيروان

٦١٥	فصل في ذكر الشيخ ابي الفتيان العسقلاني
٦١٨	في ذكر القاضي ابي محمد بن نعمة بن خليل
٦٢٥	القاضي جلال الدولة بن عمار
٦٢٧	[المجيد بن ابي الشخباء العسقلاني]

٧٠٩ - ٦٦٥

فهارس الكتاب

٦٦٥	فهرس الاعلام
٦٧٨	فهرس القبائل والامم والطوائف
٦٨٢	فهرس الاماكن
٦٨٧	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٦٨٨	فهرس القوافي
٦٨٨	فهرس القوافي
٧٠٤	مصادر التحقيق
٧٠٨	فهرس المحتويات



بعونه تعالى
نجز طبع هذا الجزء من الذخيرة
على مطابع بيروت كومبيوتر برس
هاتف : ٣١٣٥٣١ . ص.ب : ٢٠٣
في آذار (مارس) ١٩٧٩